شؤون فلسطينية

١٣

ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٣ **ايلول (سبتمبر) ١٩٧٢**

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ـمن العـدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

تراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

ـسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : يافا في القرن التاسع عشر

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور أنيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ **هكذا خطفت طائرة البوينغ** ، ليلى خالد [مناضلة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين] .

١٦ **عدوان حزيران وخـرافة الابادة** ، د. أسعد رزوق [باحث في الشؤون الاسرائيلية ــ مركز الابحاث] .

٢٦ **أبعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا** ، د. غسان العطية [مدير مركز الدراسات الفلسطينية بجامعة بغداد بالانابة] .

٤٧ **يوميات الحزن العادي** ، محمود درويش [الشاعر والكاتب الفلسطيني ، مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٦٠ **مناقشة مع الحزب الشيوعي الاردني** ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] .

٧٠ **العبرانيون السود** ، عبد الحفيظ محـارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٨٣ **الوحدة الوطنية الفلسطينية : واقعها وكيفية اجتراحها** ، د. سعيد حمود [نائب مدير مركز التخطيط في م. ت. ف.] .

٩٠ **الفلسطينيون في العـراق** ، عصام سخنيني [رئيس تحـرير اليوميات الفلسطينية في م. أ.] .

١١٧ **صحف اليسار المصري وقضية فلسطين** ، عبد القادر ياسين [باحث في الشؤون الفلسطينية] .

١٣٧ **غسان كنفاني حاضر أبدا .**

١٣٨ **غسان كنفاني .. رجل تحت الشمس** ، لطفي الخولي [رئيس تحرير مجا الطليعة القاهرية] .

١٤١ **الجسور والعلاقات في قصص غسان : دراسة في فكره القصصي** ، د. احسان عباس [استاذ اللغة العربية في الجامعة الاميركية في بيروت] .

١٥٠ **غسان والموت** ، بلال الحسن [رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. أ.] .

١٥٦ **عالم القضية الفلسطينية في أدب غسان كنفاني** ، أحمد خليفة [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

١٦٧ **البطل الفلسطيني في قصص غسان** ، الياس خوري [باحث في الشؤون الفلسطينية] .

١٨١ **برقوق نيسان** ، غسان كنفاني [كان الشهيد غسان كنفاني عضوا في المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ورئيسا لتحرير مجلة الهدف] .

١٩٢ **عالم غسان كنفاني** ، فضل النقيب [باحث في الشؤون الفلسطينية] .

٢٠٥ **غسان كنفاني في كتبه الاحد عشر** ، ف. المنصور [باحث في الاعلام الاسرائيلي في م. أ.] .

٢٢٢ **رسائل** : رسالة من واشنطن : حديث مع الشاعر الفلسطيني فوزي الاسمر ، ح. ح. رسالة من بيروت : الجامعة الفلسطينية المقترحة ... الى أين وصلت ؟ ابراهيم ابو ناب [مدير المركز العربي للاعلام والنشر] . رسالة من الارض المحتلة : تقرير عن معاهد التعليم العالي في الضفة الغربية ، ح. ن. رسالة من أمستردام : عملية مطار اللد والاعلام العربي ، عقيل هاشم [مدير القسم العربي في الاذاعة الهولندية] . رسالة من لندن : فلم « اضبارة القدس » الصهيوني ، خالد القشطيني [باحث عربي ومراسل شؤون فلسطينية في لندن] . رسالة من دمشق : المؤتمر الاول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين ، شحادة موسى [باحث في م. أ.] .

٢٤١ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، د. كلوفيس مقصود [الكاتب التقدمي العربي ، مستشار صحيفة « الاهرام »] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] (٤) المناطق المحتلة ، ع. م. جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ١٢/٧ — ١٩٧٢/٨/١٢ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.] .

٢٦٦ **اسرائيليات** : م. د.

شؤون فلســطينية

الدكتور أنيس صايغ

يعز علي أن يصدر هذا العدد الثالث عشر من شؤون فلسطينية دون أن ألتقي بالقراء ولو على صفحة واحدة لاحدثهم عن شؤون المجلة وشجونها كما كنت أفعل منذ ان صدر العدد الاول قبل سنة ونصف السنة . وليعذرني الذين ارادوا أن أبتعد عن المجلة وعن مركز الابحاث (وربما ارادوا ايضا ان يوقفوا المجلة وأن يغلقوا مركز الابحاث) عندما أرسلوا الي رسالتهم المتفجرة، وليعذرني أيضا الاطباء الذين يعالجوني بكفاءاتهم وبقلوبهم اذا عصيت اوامرهم، بخصوص عدم تعاطي الكتابة ولا حتى الاملاء قبل مضي عدة أشهر، لاول مرة منذ الحادثة قبل شهر وأمليت هذه الاسطر القليلة لالتقي بالقراء الاعزاء لقاء سريعا ولاحدثهم هذه المرة عن شؤوني وشجوني أنا شخصيا .

والواقع انها مجرد كلمة شكر .

كلمة شكر للآلاف من المستفسرين والمستنكرين والمحبين والاصدقاء (دون معرفة سابقة بعدد كبير منهم) الذين أبدوا ، بزياراتهم ورسائلهم وبرقياتهم ، عطفا كبيرا واهتماما زائدا ، سواء أكانوا أفرادا أو مؤسسات . ولم يكن يخطر لي ان لشؤون فلسطينيـــة ولمركز الابحاث ولي هذا العدد الضخم من الاخوان الذين غمروا المجلة والمركز وغمروني شخصيا بعواطف سأعتز بها وأعيش على ذكراها ما حييت .

وكلمة شكر للاطباء والجراحين في مستشفى الجامعة الاميركية الذين عهد اليهم بأمري منذ ان نقلت اليهم بين الحياة والموت ، الذين تمكنوا من الاحتفاظ لي بجزء من بصري وجزء من سمعي والذين عالجوا الجروح والحروق بمهارة شديدة . وأقدم الشكر أيضا الى ادارة مستشفى الجامعة والى الممرضين والممرضات الذين يوفرون لي أفضل أنواع الخدمة الطبية والراحة النفسية .

وكلمة شكر لزملائي وزميلاتي في مركز الابحاث ، من باحثين واداريين ، الذين أثبتوا من جديد ان العاملين في المركز انما هم أسرة واحدة يتفانى أفرادها في خدمة بعضهم بعضا ، وأخص بالذكر الاخوان والاخوات الذين سهروا الليالي الطويلة على حمايتي وحماية المركز من غدر جديد من العدو وبالوقت نفسه استمر العمل والانتاج في مركز الابحاث على ما عهده المواطنون في هذه المؤسسة الفكرية الفلسطينية .

كلمة الشكر الكبرى انما أوجهها الى الذين أرسلوا الي تلك الرسالة المتفجرة ـــ سواء أكانوا جهازا اسرائيليا أصيلا أو جهازا اسرائيليا بالعمالة والتبعية . فقد اتاحوا لي ان اخوض شرف النضال الحقيقي في سبيل فلسطين الذي لا ينحصر بكتابة المقالات واصدار البحوث والمساهمة ببناء الفكر الفلسطيني الجديد بل يتعداه كثيرا ليصل الى درجة بذل الدماء . وليعلم هؤلاء الاسرائيليون الاصيلون والاسرائيليون بالعمالة اننا في سبيـــل فلسطين نعيش وفي سبيل فلسطين نموت ، وان فلسطين ستبقى ولو زال بعض ثوارها. وعلى العكس ، ان فلسطين تتغذى بأجساد ثوارها وتنتعش بدمائهم . وكلما ازداد ضحايا الغدر الصهيوني ، الصهيوني بالاصالة او بالعمـــالة ، ازدادت قدرة الشعب الفلسطيني وآماله بتحرير الوطن واستعادة الارض واعادة بناء فلسطين الخالدة من النهر الى البحر .

هكذا خطفت طائرة البوينغ

ليلى خالد

خصت ليلى خالد « شؤون فلسطينية » بهذا الجزء من الفصل الخامس من الكتاب الذي سيصدر لها قريبا ، بالانكليزية ، عن Bantam Books بعنوان My People Shall Live وتروي ليلى ، في هذا الفصل ، قصة خطف طائرة البوينغ الاميركية في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ .

يتهم خصوم العرب وأحيانا اصدقاؤهم العرب بالعاطفية وحب التظاهر واستعمال الكلام المنمق . ومن حقي كامرأة عربية فلسطينية ان اكون عاطفية نحو قضية فقدان وطني ، وانكار حاضري ومستقبلي علي وحرماني من العيش وشعبي.ولكني لن أخضع للعاطفية ولن اسمح لمشاعري ان تعمي بصيرتي وتنسف ثقتي في قدرة شعبي على تحرير ارضه . وبالرغم من قوة العدو المهيمنة فانني اميل الى الاعتماد على الايديولوجية والستراتيجية الثورية والتعبئة الجماهيرية الثورية أيضا في تحقيق اهدافنا . ولذلك اخترت ان اكون في عملي حليفة للعقل ، لا العاطفة . ان الحزب الذي انتمي اليه وهو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يفكر ويحلل اولا ثم يقدم بعد ذلك على العمل . اننا في الجبهة الشعبية لا نرغب مجرد رغبة ثم نترجمها الى عمل . اننا نوجز اولا بوضوح العمل المقترح والخيارات القائمة امامنا وندرس مضامينها وتأثير كل منها على الصورة الشاملة ثم نختار أكثر السبل فعالية في تنفيذه . اننا نحدد العدو ونفكر ونحسب ثم نعمل . اننا، وفقا لنمط تفكيرنا ، نحدد العدو ونتعرف على مكامن قوته وضعفه ، وقدرته على العيش وامكانية ضربه واختراقه ، ومناطق دعمه ، وارتباطاته ومعارضته على الصعيد الدولي. ونجد في معالجتنا المسألة الصهيونية ان هناك علاقة عضوية بين اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية والامبريالية الغربية . واحيانا نرى فروقات صغيرة بين هذه القوى. الا ان تلك القوى هي بصورة اساسية شيء واحد لا يتجزأ طالما يتعلق الامر بالعالم العربي عموما والشعب الفلسطيني خصوصا . وعلى سبيل الايجاز نقول : اننا نرى ان التناقض الرئيسي هو بيننا وبين قوى التقدم والاستنارة من جهة وبين الامبريالية وقوى الرجعية من جهة اخرى . ومعنى ذلك ان اسرائيل تجسد المثال الامبريالي ـــ الصهيوني والقوة المحتلة في فلسطين وانها تلعب دورا مركزيا في العالم هو دور الحارس الامبريالي أو « القوة المحلية » على حد تعبير روبرت مكنمارا عندما صور دور الدول الطيبة التابعة لاميركه في خطابه الذي ألقاه في مونتريال بكندا في العام ١٩٦٤ . وبما ان الامبريالية ظاهرة عالمية تمتد مصالحها على اتساع العالم ولها فيه مصالح استراتيجية حيوية فانه يغدو طبيعيا في عصر مبدأ « الرد المرن » العسكري ان يكون رد المستغلين متناسبا مع مقتضيات الحرب ومتطلبات الساعة . ولذلك نرى ضرورة مقاتلة قوة العدو المهيمنة في نقاط الضعف في جهازه القمعي العالمي . بمعنى اخر ، اننا نعمل ما تمليه طبيعة العدو

وبدافع الفجوات القابلة للاختراق التي نحددها في جهازه . وبايجاز أكثر ، اننا لا نقـــوم بأعمال فردية مغامرة ورومنطيقية لتحقيق « حاجات فردية » او « نعمل بدافع مرارات وعداوات » كما يحلو لعلماء النفس الغربيين « العلميين » ان يفترضوا . اننا نعمل بشكل جماعي ووفق خطة مدروسة لتحييد صديق متوقع للعدو او لكشف عصب حيوي مـــن أعصاب العدو لتمزيقه وارهابه وقبل كل شيء لعرض حالتنا نحن وللتعبير عن عزمنـــا الاكيد على تغيير « الوقائع الجديدة » التي خلقتهـــا جيش موشـه دايان . وبناء على ذلك فاننا نعمل عموما ليس لشل وتعطيل العدو لاننا عاجزون عن القيام بذلك ، بل نعمل من اجل نشر الدعاية الثورية ، ومن اجل بذر الارهاب في قلب العدو ، وتعبئة الجماهـــير ، وتعميم قضيتنا على الصعيد العالمي ، وحشد قوى التقدم الى جانبنا ، والتأكيد عـــلى مظالمنا امام الرأي العام الغربي الذي لا يستجيب وذلك بوحي من الصهيونية وبناء على المعلومات التي يحصل عليها عن طريق الصهيونيين . وعلى حد قول احد الرفاق : اننا نعمل ببطولة في عالم جبان لنثبت بطلان القول بأن العدو لا يقهر . اننا نعمل بعنف من اجل ازالة الصمغ من آذان الليبراليين الغربيين الصم ومن اجل ازالة القذى من عيونهم . اننا نعمل كنماذج ثورية لنوحي للجماهـــير ونفجر الجيشان الثـــوري في عهـــد الثورة المضادة .

ان الامر بصورة أكثر وضوحا هو انني لا ارى كيف يستطيع مضطهدي أن يحكم علـــى ردي على أعماله القمعية . انه لا يستطيع ان يصدر حكما غير متحيز ولا أن يتهمني بالقرصنة الجوية والاختطاف بعد أن سرق هو نفسه وطني والقى بي وبشعبي خـــارج ارضنا . واذا كان العدو يحدد اخلاقيته وقانونيته وفقا لمنظوره الخاص ويقرر تنفيـــذ مبادئه الاخلاقية والقانونية ضدي لانه يملك القوة ووسيلة الاتصال لتبريـــر وحشيته فانني لست ملزمة بأن أصغي اليه . دع عنك طاعة ما يمليه . والواقع أنني ملزمـــــة أدبيا بمقاومة ومقاتلة غطرسة العدو وفساده الاخلاقي حتى الموت . أضف الى ذلـــك أنني أجرؤ على القول بأن اولئك الذين يصغون الى العدو ويرددون بقوة حديثه المزيـــف والمتحايل عن « المسافرين الابرياء » وكلامه التافه عن حياتهم وما يملكون هم مذنبـــون بسبب عجزهم اذا لم أقل فسادهم الاخلاقي . وهكذا فانه يجب ان يكون واضحـــا ان عملي لا يمكن تقييمه بمعزل عن الواقع وبدون تفحص الاسباب الكامنة وراءه ، او على أساس المبادىء الاخلاقية الغربية المطلقة والمجردة التي تحل العدو من جرائمه والغرب من اخطائه والتي تعتبرني خارجة على القانون . انني اقول اننا موجودون وسنبقى في الوقت الذي يقول الغرب واسرائيل اننا غير موجودين ولن نوجد . ذلك بصورة جوهرية هو معنى العمل الثوري الذي نفذته في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ ، والذي كان انكارا لانكاري وتأكيـــدا عـــلى انســـانيتي المهانة واعـــلانا لانســـانية الفلسطيني . انني في المســـرحية التي تتكشـــف فصـــولها في المشـــرق العربي عبـــارة عن ردة الفعـــل لمخططـــات المنطقـــة ولســـت صاحبة تلك المخططـــات . اننـــا نواجـــه عدوا عنيـــدا حقـــودا تصل اطرافه الى كل محكمـــة غربيـــة وأحيانا الى محـــاكم بلدان كنت أظن ان مصيرها مرتبط بمصيرنـــا . لذلك أبـــدأ بالمســـألة الحقيقيـــة وهي ان الامبريالية الغربيـــة هي العدو . ليس ذلك تلفيقا من نسج خيالي او اختراعا تم في بكين أو موســـكو . ان لعالمنا تاريخا مستمرا من التفاعل مع الغرب منـــذ غزا نابليون مصر في العام ١٧٩٨ . لقد اتصل الفلسطينيون مباشرة بالصهيونية السياسيـــة منذ بدايتها في العام ١٨٩٧ ، وعاشوا تحت الاحتلال والانتداب البريطانيين من ١٩١٨ الى ١٩٤٨ . ومنذ العام ١٩٤٨ شرد شعبي وصرت لاجئة في لبنان والكويت . وبايجاز انني أعرف الغرب من خلال التاريخ ومن خلال الخبرة الشخصية ولست بحاجة الى ان ابالغ في عرض قضيتي كي تبدو مثل رواية علمية خيالية للذين يجهلونها ولا علم لهم بها . انها قصة لا تصدق لدرجة أنها تبدو خيالية . دعني اوجز أعمال الغرب وأبين لا اخلاقيته

ونفاقه وتشابكه المادي والعضوي مع اسرائيل ، تلك الاعمال التي تجعل من الغرب عدوي وصديق الصهيونية التي هي عبارة عن نفي انسانيتي .

اولا : لقد كفرت المانيه بالنسبة للصهيونية عن احراقها ستة ملايين يهودي بدفعها مبلغ تسعة ملايين بليون مارك على شكل تعويضات الى دولة اسرائيل ، ملجأ اليهود الصهيونيين . ومنذ العام ١٩٦٥ ايدت المانيه كليا تقريبا اسرائيل وخاصة قبل حرب حزيران واثناءها عندما قدم مستشار المانيه النازي السابق « اقنعة واقية من الغازات » الى الاسرائيليين لحمايتهم من « الحرب الجرثومية العربية » . وقامت اسرائيل من جهتها باستقبال جوزف شتراوس وباعت المانيه رشاشات اسرائيلية من نوع عوزي .

ثانيا : لم تكتف فرنسه بتزويد اسرائيل بطائرات المستير والسوبر مستير والميراج فقط بل ذهبت أبعد من ذلك فسمحت للاسرائيليين « بسرقة » الزوارق الحربية من شيربورغ ، الامر الذي يتعارض ورغبات الجنرال شارل ديغول الذي قام بدوره بمجرد « اعفاء » الجنرال الذي سلم الزوارق الى اسرائيل . وكان غاي موليه ، رئيس وزراء فرنسه الاشتراكي السابق ، قد تواطأ مع بن غوريون وانطوني ايدن في غزو مصر عسكريا في العام ١٩٥٦ . وقامت فرنسه بتزويد اسرائيل بالمعرفة والمواد العلمية لتقوم بصناعة القنبلة الذرية في ديمونة وأطلقت على مصنع أنتاج البلاتينيوم اسم «مصنع نسيج» .

ثالثا : اما سويسرة البلد المحايد منذ مؤتمر فيينه في العام ١٨١٥ فلم تقم فقط باعتقال الثوريين العرب واطلاق سراح المجرمين قتلة الفلسطينيين بل اغمضت عينيها أيضا عن الخاطفين الصهيونيين الذين قتلوا العلماء الذين كانوا يعملون مع شعبي . ولم تعاقب سويسره عمليا الصهيونيين الذين سرقوا اسرارها هي واخذوا تصاميم المستير .

رابعا : ان بريطانيه مدانة بكل جريمة يمكن تصورها ارتكبت بحق شعبي . ان جريمتها التاريخية البارزة هي قضاؤها على شخصيتي وسلبها ارضي ومحوها تاريخي .

خامسا: والولايات المتحدة الاميركية تابعت الجريمة التيارتكبتها بريطانيه ضدنا واكسبتها ديمومتها . فقد زودت الولايات المتحدة الاميركية اسرائيل بصواريخ هوك وبالطائرات القاذفة ــ المقاتلة من طراز سكاي هوك وفانتوم . ان اميركه هي المدافعة عن اسرائيل وحاملة قضيتها وداعيتها وممولتها على كل منابر العالم ، وفي كل مؤتمرات اصحاب البنوك . ان اميركه هي اسرائيل ، واسرائيل هي اميركه واوروبه مجتمعتين في فلسطين .

انني لا اريد ان اثقل القارىء بادانة الغرب بسبب جرائمه التي ارتكبها ضدي وضد شعبي لان ذلك وحده يحتاج مجلدا بحد ذاته . انني اريد فقط أن اقدم بعض الاشارات الى سياسات زعيمة الامبريالية الولايات المتحدة الاميركية كي اوضح توقيت عملي الثوري وابين الى جانب ذلك المرارة والعداوة اللتين نكنهما للامبريالية الاميركية .

كان من المقرر ان يلقي الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون خطابا امام المؤتمر الصهيوني السنوي الثاني والسبعين لمنظمة الصهيونية الاميركية في التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ . وكانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تعلم ما سيقوله ريتشارد نيكسون لانه كان قد قاله قبل ذلك بصورة قوية جدا اثناء قيامه بزيارة اسرائيل « الظافرة » في آب ١٩٦٧ بعد حرب حزيران . لقد قال للاسرائيليين آنئذ أنهم يكونون « اغبياء اذا تخلوا عن اي من المناطق التي احتلوها اثناء الحرب دون تلقي ضمانات من أجل سلام عادل » ، ذلك السلام الذي كان الزعماء الاسرائيليون يطالبون به . أضف الى ذلك ان ريتشارد نيكسون ظهر مع هيوبرت همفري مرشح الحزب الديمقراطي لرئاسة الجمهورية أمام جمعية بناي بريت اليهودية في الثامن من شهر ايلول في العام ١٩٦٨ ، عندما انتهز همفري الفرصة لالقاء أول خطاب رسمي في حملته الانتخابية أوضح فيه ولاءه وصداقته نحو

« صهيون المعاصر » . وبما أن همفري فشل في انتخابات الرئاسة في تشرين الثاني فان ما قاله أقل قيمة مما صرح به الفائز في تلك الانتخابات ريتشارد نيكسون . وفيما يلي ما قاله نيكسون المدافع « غير المتحيز » عن اسرائيل في العام ١٩٦٨ ومزود اسرائيل بطائرات الفانتوم المقاتلة — القاذفة في كانون الثاني ١٩٦٩ أمام جمعية بناي بريت ، المنظمة الصهيونية ذات « النزعة الانسانية » التي لها فروع في ثلاثة وخمسين بلدا : « يجب ان تمتلك اسرائيل قوة عسكرية كافية تمكنها من ردع أي هجوم . وطالما يبقى خطر الهجوم العربي مباشرا ومرتقبا تعني القوة الكافية ان يكون الميزان في صالح اسرائيل . من أجل ذلك — أي تزويد اسرائيل بالقدرة الدفاعية الذاتية — أؤيد السياسة التي تعطي اسرائيل درجة من القدرة العسكرية التكنولوجية ينقلب معها التفوق العددي لدى جيرانها . واذا تطلب الحفاظ على تلك الدرجة تزويد الولايات المتحدة اسرائيل بالطائرات النفاثة من طراز ف — ٤ فانه يتوجب علينا القيام بذلك » .

وبما أن ريتشارد نيكسون كان جادا في كلماته التي عبرت عن التزامه نحو اسرائيل ، وبما ان اعماله اللاحقة كانت تجسيدا ماديا لتلك الكلمات ، فانه يغدو حريا بنا أن نقدم مقتطفتين أخريين من الخطاب الشهير ذاته الذي ألقاه امام جمعية بناي بريت . قال نيكسون « ان خطر الحرب يزداد باطراد مباشر مع ازدياد ثقة بعض الزعماء العرب بقدرتهم على كسب الحرب » . ان ما يولد تلك الثقة ويحمل العرب على التفكير بالحرب هو طبعا الاتحاد السوفياتي الذي « صعد دعايته المعادية للسامية وقام بتلفيق «مؤامرة صهيونية » في براغ من أجل كسب التأييد في الشرق الاوسط » . ولقد أكد نيكسون لاسرائيل على كيفية التفاوض مع العرب والتحدث عن مكانة اسرائيل القريبة جدا من الكمال بحماسة مفرطة : « انني أرى أنه من الخطأ الخطير ان تقوم اسرائيل بتملك المناطق المحتلة بصورة رسمية ونهائية . الا انه ليس واقعيا ان نتوقع من اسرائيل ان تتنازل عن وسائل حيوية للمساومة دون سلام حقيقي وضمانات فعالة بالمقابل . ان اعداء اسرائيل يستطيعون القتال وخسارة القتال ثم العودة اليه ثانية ، اما اسرائيل فلا تستطيع ان تخسر مرة واحدة . ان اميركه تعرف ذلك وهي مصممة على ان اسرائيل قائمة بين الامم لتبقى . واميركه تؤيد اسرائيل لاننا نؤمن بحق الامم في تقرير مصيرها . واميركه تؤيد اسرائيل لاننا نعارض العدوان بكل أشكاله . انها تؤيد اسرائيل لان مثال هذه يعطي أملا بعيد المدى للشرق الاوسط » .

لقد وعد همفري وروبرت كنيدي ويوجين مكارثي باستمرار العون العسكري الى اسرائيل بما في ذلك الطائرات النفاثة الى ان يتحقق السلام في الشرق الاوسط . الا ان نيكسون كان أشد توكيدا بكثير عندما صرح في هوستون بتكساس في السادس من ايلول ١٩٦٨ : « انني آخذ بالمبدأ العام وهو أن الحفاظ على السلام المضطرب في الشرق الاوسط يجعل الحفاظ على تفوق اسرائيل على جيرانها أمرا حيويا . واذا تطلب ذلك طائرات نفاثة من نوع فانتوم فانهم سيحصلون عليها » .

وعلى الرغم من أننا كنا نتوقع ان يحضر نيكسون المؤتمر الصهيوني في لوس انجيليس بنفسه في الوقت الذي تقلع فيه طائرة الخطوط الجوية العالمية في رحلتها رقم ٨٤٠ من المدينة نفسها ، الا انه لم يفعل ذلك وأرسل رسالة الى رئيس المؤتمر جاك تورشنر الذي قرأ الرسالة على الصهيونيين بالنيابة عن ريتشارد نيكسون . وذكرت الرسالة ان اميركه ملزمة « بعلاقات الصداقة مع اسرائيل » وأوردت اسم المنظمة كوسيلة « لتعزيز اسس اسرائيل الاجتماعية والاقتصادية، والروابط الحضارية بين شعبها واصدقائه في اميركه». واعتبر نيكسون في رسالته « هذه الجهود » بأنها « في التقليد الاميركي الاسمى » وأكد للصهيونيين بأن حكومته تسعى لتحقيق « توازن تسلح في الشرق الاوسط » وتؤيد « تفوق [اسرائيل] العسكري المستمر » .

وعندما كان الصهيونيون يتجمعون في لوس انجيليس ويلتفون حول رونالد ريغان حاكم ولاية كاليفورنيه والممثل المعجب بغولدا مئير ، كنت اتحدث حديثا عذبا مع وكيل شركة سنجر في الشرق الاوسط وانا في طريقي الى رومه لتغيير وجهة طائرة الخطوط الجوية العالمية في رحلتها رقم ٨٤٠ من طراز بوينغ ٧٠٧ الى دمشق .

واثناء التخطيط للاختطاف تدربت على كل احتمال طارىء يمكن تصوره ، وتعلمت جيدا التفصيلات العملية المتعلقة بطائرة البوينغ . الا ان هناك شيئا بقي لم اتدرب عليه في رحلتي الاولى الى الغرب وهو الوضع الانساني مثل فضول المحدثين ، وكيف لا اثير شكوك الشخص الذي يجلس بقربي ولا اكون فظة معه . وفي وضع كهذا ترتب علي ان ارتجل واشعر بشيء من القلق . لقد انتابني شعور غريب نوعا ما بحيث تصورت أن جميع الغربيين الذين التقيتهم كانوا يعرفون بالامر . وعلى أي حال فقد كان الشخص الذي جلس بقربي في الطائرة من بيروت الى رومه اميركيا أنيسا حسن الهندام متوجها الى نيويورك . وكنت أعلم من قبل بأن السياح الاميركيين ، مثل غيرهم من السياح ، يتحدثون على اي شيء وبصورة سطحية جدا . ولم أكن أعرف أنهم يطرحون اسئلة شخصية بصورة مباشرة ودون مبالاة . الا انه لا بد أن السيد هولدن كان ضجرا واحب ان يتحدث الي . وجاء سؤاله الاول بالطبع : « الى اين انت ذاهبة ؟ » فأجبت : « الى رومه » . ثم سألني : « ولماذا انت ذاهبة الى رومه ؟ » توقفت قليلا لاحيك جوابا وقلت بخجل : « انني ذاهبة لالاقي خطيبي القادم من لندن الى رومه خلال ايام قلائل » . وهنا شعرت ان لساني زل لانني لم اعرف بعد بالضبط الى اين كان الاميركي متجها وخفت أن يدعوني الى الطعام او اي شيء آخر اثناء انتظاري « خطيبي » . واستدركت بسرعة قائلة له : « من الممكن جداً ان يفاجئني ويكون بانتظاري في المطار » . وسألته بعد ذلك : « الى أين انت ذاهب ؟ » قال : « الى نيويورك » . وخلصني من طيشي . وقال ايضا : « انني لا أفهم كيف تذهب فتاة عربية للقاء خطيبها بمفردها كي يتزوجا » . وهنا قلت وكلي شعور بالثقة في النفس : « لقد تعارفنا منذ طفولتنا وجرى عقد القران بيننا قبل بضع سنوات . اضف الى ذلك اننا عرب عصريون ولسنا من التقليديين المحافظين » . فأجاب : « جيد ! » واخذ يخبرني كيف فر وزوجته لان والديها لم يقبلوا به زوجا لابنتهما . وما أن قلت له انني لم اكن فارة حتى أعلنت المضيفة والبهجة تملأ وجهها ان على متن الطائرة زوجين جديدين يرغبان أن يشاركهما المسافرون في تناول طبق من الكاتو . « من يريد ان يشاركهما ؟ » وأعلن كل من في الطائرة بما فيما ذلك انا والسيد هولدن رغبته في ذلك . وفي هذا الجو البهيج سألني السيد هولدن : كيف تتزوجين في وقت لا يزال فيه خطيبك طالبا ولا عمل لديه ؟ » وهنا ابتسمت وقلت : « اننا لسنا ملوك نفط اغنياء ، ولكننا قادران على الزواج في سن مبكرة . » وقال هولدن : « هل لي اذن ان اقترح أن تقضيا شهر العسل على يخت بمفردكما في البحر المتوسط ؟ » فأجبته : « انني أفضل ان اكون بين الناس » . ورد هولدن معلقا : « وهل ستتزوجين الناس ؟ » قلت : « لا ، ولكنني أحب أن أكون بينهم . » واستمر الحديث عن الزواج والحب والبيت والاطفال الى أن حطت الطائرة في مطار رومه حيث افترقنا وودع أحدنا الآخر ، واخذت امتعتي بعد أن انتهيت من المعاملات الجمركية وركبت الباص الى مدينة رومه . وعلى الطريق التقيت رجلا آخر في الباص كان يجلس الى جانبي ويقترب مني ويحاول أن يمسكني بذراعيه ولم اكن قد تحدثت اليه قط ، فأوشكت أن افقد صبري وطلبت منه ان يبتعد عني : « انك تكاد تلقي بي خارج الباص وأنت تدفع بي وتقترب مني » . وهكذا لم يجرؤ ان يقوم بحركة اخرى حتى نهاية الطريق . وصلت الفندق اخيرا ، حيث قضيت يومين محاولة تجنب الذهاب في رحلات جماعية في رومه . وخلال هذين اليومين مشيت وحيدة في شوارع رومه وكنت أعرف مكاني في كل لحظة . ومن الغريب انني لم أكن أرغب

في شراء أي شيء أو حتى في الذهاب الى السينما أو في التفرج على أمجاد رومه القديمة. لقد مشيت ومشيت وحدي وكنت افكر تفكيرا عميقا بمهمتي واستعيد الى الذاكرة تفاصيلها .

غادرت الفندق في الصباح الباكر من التاسع والعشرين من شهر آب الى مطار فيوميسينو في ضواحي رومه . ومما يبعث على السرور أنه لم تحصل أي عقبات عدا تأجيل الرحلة نصف ساعة . أما رفيقي الذي لم أكن أعرفه الا بالاسم والصورة فقد ظهر حسب الخطة وقام بالاشارات المناسبة ليؤكد هويته ، انه سليم عيساوي ، فلسطيني من حيفا نشأ في سوريه . وجلس سليم بالقرب مني بهدوء وتصرف وكأن أحدنا لم يكن يعي وجود الآخر. وهنا برز الوضع الانساني مرة ثانية : هذه المرة ظهرت طفلة صغيرة وعلى صدرها اشارة تقول « اكسب الاصدقاء » ، الامر الذي ذكرني وأنا أرقب تلك الطفلة بفرح وسرور وهي تداعب اختها الصغرى ، ان هذه الطفلة لم ترتكب أي جريمة بحقي أو بحق شعبي وان من الحماقة أن أعرض حياتها للخطر باختطافي الطائرة وهي لا تفهم المعنى والقيمة الرمزية لعملي . وكان من الممكن أن تنفجر الطائرة أثناء محاولتنا السيطرة عليها أو تتحطم وتهوي بنيران اسرائيل المضادة للطائرات عندما ندخل « أجواءها » . وبينما كان وخز الضمير يعذبني ارتسم أمام ناظري تاريخ فلسطين وأطفالها بأسره : رأيت كل شيء منذ اليوم الاول لطردنا من أرضنا ومرورا بسنوات الحرمان والجوع وسوء التغذية والحفاء التي عانى منها شعبي وشهدت كل شيء آخر حتى اللحظة التي وقعت عيناي فيها على شارة الصداقة على صدر تلك الطفلة البريئة . وفجأة ارتسمت أمامي صورة شاملة لمئات مخيمات « اللاجئين » الفلسطينيين من أبناء شعبي وتذكرت كل صفحة من صفحات كتاب الرفيقة منى السعودي « شهادة الاطفال في زمن الحرب » . وبدا لي وكأن أطفال مخيم البقعة قرب عمان الذين شردوا مرتين يقفون أمامي مثل حشود ذليلة صارخين : « ونحن أيضا أطفال ونحن جزء من البشرية » . وعزز هذا المشهد عزيمتي بصورة هائلة ، قلت بعدها لنفسي : « أي جريمة ارتكبت انا وشعبي ضد أي انسان كي نستحق المصير الذي نعاني ؟ » وأجبت نفسي بنفسي : « لم نرتكب أية جريمة بحق أي انسان » . يجب ان تنفذ العملية ولن يكون هناك شك أو تراجع . لقد تكلم أطفالنا .

وفي الطريق الى الطائرة وقعت حادثة أخرى . لقد كنت في الباص الثاني عندما اقترب مني شاب وسيم في أوائل الثلاثينات من العمر وحياني بطريقة مضطربة جدا . فرددت التحية بهدوء وأنا أقرأ كتاب « صديقي تشي » الذي كتبه ريكاردو روجو . وبدا وكأن الشاب كان راغبا جدا في التحدث الي . سألني من انا والى أين ذاهبة . لكنني لم أستطع هذه المرة أن أكرر رواية الزواج كما لم أستطع أن أرتجل شيئا بسرعة . ثم قلت له « احزر » . فقال : « يونانية ، اسبانية ، ايطالية ؟ » وأجبته بالنفي وتابعت الكلام بالسؤال : « من أين أنت » . أجاب : « من شيكاجو » . واستأنف الشاب أسئلته : « لا أعتقد أنك من اميركه الجنوبية ؟ » وبعد أن عرفت من أين هو ارتأيت ان أقول له أنني من أميركه الجنوبية لان ذلك قد يجنبني أي اسئلة اضافية محرجة . فقلت انني من اميركه الجنوبية . وهنا سألني وهو يغمرني بنظرات الاعجاب والتطلعات الغرامية : « أأنت من البرازيل ؟ » قلت : « انك تقترب من المكان الحقيقي » . « بوليفيه ؟ » قلت : « نعم ، ولكن كيف عرفت ؟ » أجاب : « كتابك هو الذي دل عليك » . وسألته رأيه في تشي فأجاب : « انه رجل طيب » . ثم انتقلت الى موضوع آخر : « الى أين انت ذاهب؟» قال : « الى أثينا كي أرى أمي . لم أرها منذ خمس عشرة سنة . انني أراهن أنها هناك الان تنتظرني في المطار . انني سعيد جدا بالعودة الى أثينا » . لقد أدهشني ذلك وكدت أقول له : من الافضل لك أيها الغبي أن تغادر هذه الطائرة لانها ليست ذاهبة الى أثينا . وحاولت أن أتجاهله وأقفل أذني لأحول دون وصول صوته الى ضميري . وألقيت ببصري

بين دفتي الكتاب ورحت أقرأ بصورة عصبية دون أن أظهر أي ردة فعل عاطفية للمأزق الشخصي الذي وقع فيه وصدمني . وجعلتني هذه المواجهة اتوقف متأملة لانني أدرك معنى الحرمان والتوق الى الوطن . الا انني حاولت أن أنظر الى حالته بصورة عقلانية محاولة التمييز بين « منفاه » الارادي ومنفاي القسري . ولكن تلك الحوادث أجبرتني أن أكون حذرة فوق العادة كي لا أوقع ضررا بحياة الركاب بصورة غير ضرورية : لقد ذكرتني تلك الحوادث بالانسانية . الا ان رفاهية المسافرين لم تحل دون بل لم تقدر ان تحول دون تنفيذ العملية التي كان من الواجب تنفيذهـــا . وارتأيت ان الرد المقصود على ريتشارد نيكسون وضيوفه في لوس انجيليس لا يمكن أن يخرج عن خطه المرسوم بل يجب أن يأتي « ملائما ومطابقا » . وارتأيت أن يأتي ردي على « بيعه » طائرات الفانتوم الى اسرائيل « مدروسا ومحسوبا جيدا » حسب تعابير محللي الاستراتيجية الاميركية .

اقلعت الطائرة في رحلتها رقم ٨٤٠ بعد ساعة ونصف من الوقت المقرر أصلا لاقلاعها . وكان سليم عيساوي وأنا من مسافري الدرجة الاولى . واعلنا انسانيتنا الفلسطينية الى اميركه والعالم . وما ان انقضت العشرون دقيقة الاولى حتى حان وقت الغداء وانشغلت المضيفات محاولات بكل لطف وتهذيب خدمة المسافرين الخمسة في الدرجة الاولى . ولم تكن عند سليم وعندي رغبة في الطعام. الا أن المضيفات كن يرحن ويجئن من أجل خدمتنا متوسلات الينا كي نطلب شيئا . قدمن لنا المشروبات والفستق بل كل شيء نريد. واخيرا طلبت فنجانا من القهوة وطلب سليم كأسا مـــن الجعة . ولكنهـــن استمرين في المجيء والذهاب يسألننا ان كنا نريد أي شيء آخر . واخيرا زعمت انني شعرت بألم في المعدة وطلبت بطانية كي استطيع اخراج القنبلة اليدوية مـــن جيبي واستلال مسدسي دون ملاحظة الآخرين . ولكن سليم طلب حبة أسبرو . وهنا خفت أن تشك المضيفات بأمرنا : مسافران يجلسان الواحد مقابل الآخر في الصف الاول ويشعران بالمرض . وعلى أية حال خفت أن يكون زميلي يعاني من الصداع في اللحظة الحرجة ولكنني مـــا لبثت ان شعرت بالارتياح عندما رأيته يضع حبة الاسبرو في جيبه بعد أن ذهبت المضيفة . وفي هذه اللحظة الحت لسليم أن يتقدم الى غرفة القيادة بعد مضي ثوان على عودة الرجل الآخر والوحيد في قسم الدرجة الاولى من الطائرة من الاستراحة المقابلة . واثناء ذلك انفتح باب غرفة القيادة لتدخل احدى المضيفات ومعها طعام الغداء للملاحين ، فانتهز سليم الفرصة وقفز داخل غرفة القيادة قبل المضيفة التي تطايرت الصحون من يديها وهي تصرخ : « لا » ، مما أحدث ضجة كبيرة دون أن يصاب أحد بأذى . وكنت أقف خلف سليم . وأمرت المضيفة أن تهدأ وتخلي الطريق ، ففعلت وهي ترتجف وتنظر الينا خلفها. وكان سليم ضخم الجثة بحيث لم أتمكن من رؤية ردة فعل الملاحين. الا أنني سمعته يقول ان الطائرة أصبحت تحت سيطرة وحدة تشي غيفارا الفدائية التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . واعلن ان قائدة الطائرة الجديدة هي شادية ابو غزالة . وفي خضم ذلك سقط المسدس وانزلق داخل رجل البنطلون الذي كنت أرتديه فالتقطته والملاحون ينظرون الي مرتبكين منذهلين . واعتقد انهم لم يروا الا جزءا من قبعتي الكبيرة الانيقة . ولكنني شعرت بالسخف في تلك اللحظة وضحكت من عدم كفاءة القائد الجديد للطائرة ودخلت مكان القيادة بجدية وأنا الوح مهددة بالقنبلة اليدوية في قبضتي واعلن انني القائد الجديد . واصيب الملاحون بصدمة تامة لرؤيتي هناك . وعم جو من التوتر والاستهجان والاستغراب ولكن دون خوف . وفورا قدمت للقائد السابق كارتر صمام القنبلة اليدوية لاثبت صدقي وجديتي وكتذكار اعتذر عن قبوله باحترام . والقيت بالصمام بين قدميه لاظهر عزمي وتصميمي له وقلت : « اذا أطعت أوامري فسيكون كل شيء على ما يرام ، والا فانك سوف تكون مسؤولا عن سلامة الركاب والطائرة » . ثم قلت له : « اذهب الى اللد » . فرد مستفسرا : « الى اللد ؟ » مستخدما الاسم الاسرائيلي لتلك المدينة

الفلسطينية . واجبته : « أنت تفهم الانكليزية . اليس كذلك ؟ استمع فقط ولا تسأل أسئلة سخيفة » .

وبما أنني كنت أعلم ان الطائرة فيها من الوقود ما يكفي لمدة ثلاث ساعات وخمس واربعين دقيقة قررت أن أثبت صلاحيتي وطرحت على مهندس الرحلة سؤالا حول الوقود : « كم من الوقود لديك ؟ » أجاب فورا : « ما يكفي لمدة ساعتين » ، دون ان ينظر الى الجهاز الذي يدل على ذلك . وصرخت به : « كذاب ! » وقلت له انني اعرف عن البوينغ قدر ما يعرف هو وانه ان كذب مرة أخرى فسأضرب عنقه . وحاول الطيار تهدئتي اعتقادا منه ان ثائرتي ثارت في الوقت الذي كنت فيه سعيدة جدا ، وحذر الملاحين من التصلب والعناد في معاملة القائدة الجديدة . وهنا بدا لي ان الكابتن كارتر كان على استعداد للتعاون معنا ، فطلبت منه أن يتصل بروما كي أشرح مهمتي للشعب الايطالي . قال ان روما بعيدة جدا . ولكنني أكدت على ذلك ، فحاول دون جدوى . وطلبت بعد ذلك من أحد المضيفين ان يحضر حقائبنا وأمرته ومسافري الدرجة الاولى بالانتقال الى الدرجة السياحية وطلبت فتح جهاز الاتصال . وجرى تنفيذ كل ذلك . وعلى الفور قرأت الرسالة التالية على المسافرين :

« أيها السيدات والسادة ، أرجو الانتباه . لطفا شدوا أحزمتكم . ان قائد الطائرة الجديد يتحدث اليكم . ان وحدة تشي غيفارا الفدائية التابعة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي سيطرت على قيادة هذه الرحلة تطلب من كافة المسافرين على متن هذه الطائرة الالتزام بالتعليمات التالية : ابقوا جالسين وحافظوا على هدوئكم ، ضعوا أيديكم وراء رؤوسكم من أجل سلامتكم ، لا تأتوا بأية حركة قد تعرض حياة المسافرين الاخرين للخطر ، سننظر في كافة طلباتكم ضمن حدود الامان في خطتنا . ان بينكم مسافرا مسؤولا عن موت وبؤس عدد من الفلسطينيين رجالا ونساء وأطفالا والذين من أجلهم نقوم بتنفيذ هذه العملية لمحاكمة هذا القاتل أمام محكمة فلسطينية ثورية . أما الباقون منكم فسيكونون ضيوفا مكرمين لدى الشعب الفلسطيني في بلد كريم وصديق . ان حرية كل واحد منكم ، بغض النظر عن دينه أو جنسيته ، مضمونة من اجل الذهاب الى حيث يحب سرعان ما تحط الطائرة بسلام . ان وجهتنا بلد صديق وسيقوم باستقبالكم شعب صديق . »

وما أن انتهيت من قراءة الرسالة حتى لاحظت ان الطائرة انحرفت عن خطها المرسوم . وأمرت الكابتن بعدم الاحتيال اذا كان يريد الوصول بسلام ، فعاد الى الخط الصحيح . وهنا ذكرني سليم بأن خمس عشرة دقيقة انقضت وأيدي المسافرين فوق رؤوسهم ، فطلبت اليهم بسرعة ان يسترخوا ويشربوا الشمبانيا اذا رغبوا في ذلك ، واعتذرت على ازعاجهم . وبعد ذلك بقليل دخلت مضيفة وقالت ان معظم المسافرين لا يفهمون الانكليزية ولم يفهموا ما قلنا ويودون سماع الرسالة مرة اخرى . وقالت انها على استعداد لترجمتها الى الفرنسية . ولكنني أعدت قراءة الرسالة وأكدت لهم ان كل شيء طبيعي وان شخصا واحدا فقط على متن الطائرة هو هدفنا . وفسرت الصحافة ذلك بأننا كنا نقصد سفير اسرائيل لدى الولايات المتحدة الجنرال اسحق رابين الذي اشتهر في حرب حزيران ١٩٦٧ . لكن ذلك غير صحيح ، ولو كان كذلك لما صعدنا الى الطائرة في روما لانني رأيت كافة المسافرين ولم أر رابين بينهم . ولا بد ، على اية حال ، من ان يكون صالح المعلم ، وهو عربي من اسرائيل كان على متن الطائرة ، قد ظن انه الشخص المقصود وانتابه الخوف واصبح في حالة عصبية . وهكذا نجح تكتيك الارهاب الانتقائي وقل فزع المسافرين وتعاونوا معنا جميعا طوال الطريق . واثناء تفسيري الرسالة للمسافرين أخبرتهم اننا نكره ونمج أعمال الحكومة الاميركية بالنسبة للشرق الاوسط وأننا لا نكره ولا نحقد على اي فرد شخصيا . الا ان الخوف والفزع انتابهم عندما اعلنت اننا ننوي نسف الطائرة لدى وصولها الى بلد صديق . ولكنني لم أعلن ذلك الا قبل ساعة من وصولنا الى دمشق . وفي هذه الاثناء واصلت الاتصال مع الارض مرسلة رسائل تضامن الى الثوريين اليونانيين والى شعوب جنوبي اوروبا . وطالبت حكام اليونان

العسكريين باطلاق سراح ثوارنا المسجونين في اليونـان وقلت ان الشعب اليوناني سيسقط متآمري وكالة الاستخبارات المركزية . وسكت كل شيء وخيم جو من الوجوم الى ان اتصلنا ببرج المراقبة المصري وعرفت نفسي وطلبت منـه نقل تحيات الثـورة الفلسطينية الى الشعب المصري وقلت انني ذاهبة الى اللد . وجاء صوت متهدج : « الله ! عاللده ، تعملي ايه هناك ؟ » أجبت : « أزور ارض الاباء » . ثم قال : « أأنت متأكدة من ذلك ؟ » قلت : « بكل تأكيد » . وحاول ان يقول لي ان ذلك عمل تحف به المخاطر ، فقطعت الاتصال به . ثم عدت فسمعته يصرخ : « يا جبهة ! يا شعبية ! يا فلسطين العربية » ، أما بقية كلامه فلم أفهمها او بالاحرى لم تكن مسموعة . وبعد دقائق رأيت الساحل الفلسطيني من فوق السديم . وعندما اقتربنا من ارض ميلادي بدا لي انني وحبي نتسابق الى عناق ابدي . لقد رأيت فلسطين للمرة الاولى منذ ان نفيت منها بالقوة في العام ١٩٤٨ . انظر الى الارض ، انها أرضي ، ورحت غارقة في لحظة مـن العاطفة والتأمل في آن معا . وتذكرت المهمة وطلبت من الطيار ان يخفض ارتفاعـه ١٢،٠٠٠ قدم ، ثم وجهت رسالة باللغة العربية الى اخواني في فلسطين المحتلة قائلة لهم اننا سنعود وسنسترد فلسطين ، ونصحتهم ان يبقوا صامدين ويحافظوا على قدرتهم ووعدتهم بتحطيم معقل الغرور الصهيوني . وقلت لبرج المراقبة في مطار اللد بالعربية اننا آتون الى أرض الوطن لنحط عليها ولكنه لم يفهم ما قلت له وقال ان علينا ان نطلب اذنا للنزول وننتظر . فقلت له : « هذه بلادي ولست بحاجة الى اذن من الوحوش الصهيونيين كي أحط » . وقلت بالانكليزية : « اننا هنا مرة أخرى . لقد عادت شادية ابو غزالة الى الحياة . هناك ملايين الشاديات اللواتي سيأتين مرارا وتكرارا لاسترداد الارض . » وسيطرت الرهبة لحظة من الزمن على برج مطار اللد عندما أعلنت أننـا ننوي تفجير الطائرة في قلب المطار . وما هي الا ثوان حتى ظهرت في الافق ثلاث طائرات ميراج اسرائيلية وحاولت منعنا من الهبوط . وهنا فتحت جهاز الاتصال الداخلي كـي يسمع المسافرون ما يدور من حديث ويروا ما يريده الاسرائيليون . وأعلنت من جديد ان الطيار والاسرائيليين مسؤولون عن سلامة المسافرين والطائرة واننا لا ننوي ايذاء اي شخص اذا اطيعت أوامرنا. وطلب الطيار المساعد التحدث مع الاسرائيليين فسمحت له . قال : « الجبهة الشعبية ، فلسطين العربية الحرة ، أناس مسلحون هددوا بتفجير الطائرة بواسطة القنابل اليدوية اذا لم تغادر طائرات الميراج الاجواء » . وحتى هـذه اللحظة بقي برج المراقبة الاسرائيلي يخاطبنا باسم الخطوط الجوية العالميـة ٨٤٠ . ولكنني فقدت صبري وقلت للمتحدث من البرج « اخرس ! » وقطعت الاتصال قائلة انه لن تكون هناك اتصالات اخرى الا بعد مخاطبتنا باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وما هي الا ثوان حتى فعل ذلك اثناء طيراننا فوق حيفا الحبيبة . وسأل الطيار : « ماذا أفعل الان ؟ » قلت : « دعنا نطير فترة سبع دقائق فوق ارض الوطن » . وفي هـذه اللحظة برزت صورة والدي أمام عيني وكدت اسمعه يقول : « متى نعود الى الوطن ؟ » لم أدر ما أقول . سكت وهدأت ونظرت الى بساتين فلسطين وجبالها . ورأيت تل أبيب تحتي . وانفجرت بالبكاء عاطفة وشوقا وقلت : « يا والدي ، سنعود . سنسترد شرفك ونستعيد كرامتك . سنصبح أسياد الارض يوما ما ! » وتذكرت المهمة مرة أخرى . وقلت للطيار : « اذهب الى لبنان حيث يعيش شعبي لاجئا » . ولاحقتنـا الطائرات الاسرائيلية حتى الحدود اللبنانية ثم ارتدت عائدة الى الوراء . واتصلت بقبرص وبعثت بالتحيات الى ابطالها الذين يقاتلون ضد الامبريالية كما بعثت بالتحيات الى شعبي في جنوبي لبنان . وهنا قاطعني الطيار وقال انه يجب طلب السماح من لبنان فقلت له أننا لسنا بحاجة الى ذلك ، لبنان بلد عربي . حلقنا فوق بيروت بعض الوقت وأمرت الطيار بالتوجه الى دمشق . قال : « ان مطار دمشق لا يستطيع استقبال طائرات البوينغ ٧٠٧ » . وبعد مواجهة بالنظرات بيني وبينه قلت : « أتظن اننا متأخرون الى حد عدم

القدرة على ادارة وتشغيل طائرتك اللعينة ؟ » لم ينبس ببنت شفة . وتناولت مكبر الصوت وخاطبت المسافرين للمرة الاخيرة من على متن الطائرة : « اخلوا الطائرة بسرعة ، وتمتعوا بعطلة سعيدة في دمشق . انني واثقة من اننا سنهبط بسهولة » .

أوشك الوقود ان ينتهي . وطلب الطيار اذنا بالهبوط . وأمرته بالهبوط فورا والوقوف في أبعد نقطة عن مبنى المطار . وقلت : « ليكن هبوطنا سهلا وهادئا لانني اذا سقطت انفجرت القنبلة وانتهت الرحلة السعيدة بصورة رهيبة . » وحطت الطائرة بهدوء واخليت في اقل من ثلاث دقائق . حاولت وسليم ان نقول للركاب ان يأخذوا امتعتهم الشخصية معهم ويسيروا بهدوء . ولكن معظمهم لم يفعل ذلك وفر حافي القدمين . وحتى الملاحون تركوا جاكيتاتهم في الطائرة . وما أن خرج الكابتن كارتر من الطائرة حتى حييته وشكرته لتعاونه . فنظر الي مندهشا ومذهولا . الا ان الطيار المساعد قال : « أهلا وسهلا بك » . ثم فتشت الطائرة ورأيت ان جميع ركابها قد خرجوا . فمد سليم الاشرطة وثبتها في غرفة القيادة ثم اشعل الفتيل . وقفزت بعد ذلك مباشرة من مخرج الطوارىء وسقطت ارضا على مؤخرتي ، وتبعني سليم وحط على كتفي . وقلت في نفسي انه انقلاب غريب في الادوار . واعتقدت ان بنيتي تكسرت الا أنها كانت أقوى وأشد مما توقعت . ولم تنفجر الطائرة حسب المقرر . فعاد سليم ، يساعده في ذلك طوله وشجاعته الشخصية ، وصعد الى الطائرة من جديد ورتب كل شيء حسب الخطة . ووصل الجنود السوريون فحاولت تضليلهم قائلة ان الجنود الاسرائيليين ذهبوا في ذاك الاتجاه فاتبعوهم . وكان سليم لا يزال في الطائرة . وانتابني شعور بالخوف على سلامته ووقفت اعجابا ببطولته وتفانيه واخلاصه البعيدين عن الذات . وحاولت الصعود الى الطائرة دون جدوى . وبرز سليم فجأة ملوحا بيديه ثقة وقفز خارج الطائرة ، الا ان البوينغ لم تنفجر بعد ، فأطلق بعض الطلقات على جناح الطائرة . لم نستطع احراق الطائرة بسرعة لانه لم يبق فيها وقود . وانبعثت الشرارات منتشرة فابتعدنا مسافة عشرين مترا تقريبا عن الطائرة . اما المسافرون فكانوا في هذا الوقت في مبنى المطار الذي يبعد حوالي نصف ميل عن الطائرة . وظهرت النار وانفجرت الطائرة . ورجع الجنود السوريون ولم يدروا ما حدث على الارض . ولكنهم دهشوا عندما استسلمنا لهم وسلمناهم أسلحتنا . وكان مصور مجلة « الهدف » يصور فيلما عن عملية الهبوط والتفجير الا ان فرحته وابتهاجه جعلاه ينسى انتزاع غطاء عدسة الكاميرا السينمائية فجاء الفيلم فارغا . واخذنا مضيفونا السوريون الى مبنى المطار حيث ألقيت كلمة موجزة في المسافرين :

« ايها السيدات والسادة ، شكرا لحسن انتباهكم واصغائكم وتعاونكم اثناء الرحلة . انا الكابتن شادية ابو غزالة ، وهذا ليس اسمي . ان اسمي هو خالدة . أما شادية فهي الفتاة الخالدة التي قالت : الابطال ينسون عادة ولكن اساطيرهم وذكرياتهم تبقى ملك الشعب وميراثه ، وهذا شيء لا يفهمه المؤرخون والمحللون. ان الجبهة الشعبية لن تنسى شادية ابو غزالة كما لن ينساها جيل الثوريين الذي لقي مساعدتها في رسم طريق الثورة . انني أحب أن أحيطكم علما ان شادية امرأة عربية فلسطينية من نابلس وانها كانت مدرسة وعضوا في الجهاز السري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأنها ماتت اثر انفجار حصل في بيتها وهي في الحادية والعشرين في ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٨ عندما كانت تصنع قنابل يدوية للجبهة . كانت اول شهيدة في ثورتنا . وأنا اتخذت اسمها اثناء الرحلة ٨٤٠ لابين للعالم جرائم الاسرائيليين التي نزلت بشعبنا ولاظهر لكم انهم لا يميزون بين الرجال والنساء والاطفال وأنهم من اجل تحقيق اهداف دعاياتهم يكررون القول في صحافتكم اننا وحوش ونهاجم النساء والاطفال « الابرياء » . انني أريدكم ان تعلموا اننا نحب الاطفال ايضا واننا بكل تأكيد لا نوجه بنادقنا اليهم . لقد غيرنا وجهة الرحلة ٨٤٠ لان الخطوط الجوية العالمية هي احد اكبر الخطوط الجوية الاميركية التي تخدم الطرق الجوية الاسرائيلية وأهم من ذلك لانها طائرة اميركية . ان الحكومة الاميركية هي أشد مؤيدي اسرائيل ، فهي تزودها بالسلاح من اجل تدميرنا . وهي تعطي الصهيونيين دولارات اميركية بدون ضريبة . وهي تدعم اسرائيل في جميع منابر العالم وتساعدها بكل طريقة ممكنة . اننا ضد اميركا لانها بلد

امبريالي . ولقد اطلقنا اسم تشي غيفارا على وحدتنا الفدائية لاننا كرهنا اغتيال اميركه لتشي ولاننا جزء من العالم الثالث ومن الثورة العالمية . وكان تشي رسولا من رسل تلك الثورة . لقد اخذنا الطائرة الى حيفا لانها مدينتي ومدينة سليم ، وكلانا طرد منها في العام ١٩٤٨ . واخذناكم الى تل ابيب تحديا لاسرائيل واظهارا لعجزها عندما يلجأ العرب الى الاستراتيجية الهجومية لا الدفاعية . وجئنا بكم الى دمشق لان سوريه هي قلب الوطن العربي النابض ولان السوريين شعب طيب وكريم . اننا نأمل ان تتمتعوا باقامتكم في دمشق . ونأمل ان تعودوا الى بلادكم وتقولوا لاصدقائكم الا يذهبوا الى اسرائيل ، منطقة الحرب في الشرق الاوسط . نرجو ان تقولوا لجيرانكم اننا شعب مثلكم نرغب في العيش بسلام وأمان في بلادنا ونحكم انفسنا بأنفسنا . نرجو ان تقولوا للاميركيين اننا نكره الحرب والاستغلال وانه يجب عليهم ايقاف حكومتهم عن خوض الحرب ضدنا ومساعدة الاسرائيليين في حرماننا من ارضنا . قولوا لشعوبكم ان المجيء الى اسرائيل هو مساعدة لها على انكار حقوقنا علينا . ثورة وسلام . تحياتنا الى جميع محبي المضطهدين . »

وقاربت الساعة السابعة من مساء التاسع والعشرين من آب ١٩٦٩ . وما ان انتهيت من القاء خطابي حتى رأيت صديقي اليوناني يجهش بالبكاء وامرأة اميركية تحاول تهدئته. ولا اظن أنه عرف أنني أنا التي تحدثت معه في الباص قبيل صعود الطائرة . وسرت أنا وسليم ووزعنا الحلوى على الأطفال .

ومر المسافرون في الجمارك السورية ثم وزعتهم السلطات على فنادق دمشق ، وأطلقت سراحهم جميعا باستثناء ستة اسرائيليين . وقد نقلت احدى السيدات الى المستشفى لمعالجة كسر حدث في رسغها . وفي الثالث من أيلول أطلق سراح أربعة من الاسرائيليين. اما الشخصان الباقيان فقد جرى تبادلهما فيما بعد بطيارين سوريين وحفنة من المقاتلين كانوا في المعتقلات الاسرائيلية . اما انا وسليم فقد أخذونا الى مركز الشرطة واحتجزنا مدة خمسة وأربعين يوما .

عدوان حزيران وخرافة الابادة

الدكتور اسعد رزوق

قبل عدة شهور من مجيء الذكرى الخامسة لعدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ اخذت تلوح على الافق الاسرائيلي تباشير نظرة « مستهجنة » لحقيقة العدوان الذي درج البعض على تسميته بـ « حرب الايام الستة » أو معاركها التي توقفت عند توسيع رقعة الاحتلال الصهيوني للارض العربية . وتجلت طلائع تلك النظرة في مشادة داخلية نشبت بين لفيف من كبار الجنرالات و القادة البارزين في الدولة الصهيونية . أما المناسبة التي شهدت بداية المشادة فقد تصادفت مع انعقاد ندوة للتناقش حول كتاب أصدره عاموس ايلون تحت العنوان التالي : « الاسرائيليون : المؤسسون والابناء »*. كان ذلك حوالي منتصف شهر اذار (مارس) الفائت من هـذا العام . ولدى حلـول يوم الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، كانت وسائل الاعلام الاسرائيلية تخوض في نقاش مثير للغاية بين مختلف الاطراف التي شاركت في التخطيط للعدوان وقامت بدور رئيسي على صعيد التنفيذ العملي . فراح نفر من كبار الضباط العسكريين الذين شغلوا المناصب الحساسة ابان شن العدوان ، ثم تسرحوا من الخدمة في المدة الاخيرة لكي يتعاطوا العمل السياسي ويتابعوا نشاطهـم في ميدان الحياة المدنية ، يتسابقون عـلى الادلاء بالرأي وتوضيح الموقف . بينما سارعت الصحف وأجهزة الاعلام الى استصراح جميع القادة الذين قبعوا في مراكز المسؤولية وأسهموا بقسط فعال في التدبير للعدوان والاعداد له ، كما شاركوا في تنفيذ عملياته ومخططاته على المستويات كافة .

ولكي نحيط بالملابسات التي رافقت المشادة الاسرائيلية منذ بروزها الى ميدان النقاش العلني وعلى صفحات الجرائد الصادرة في اسرائيل ، ومن ثم انتقال اخبارها الى أعمدة الصحف العالمية ، يجدر بنا التوقف قليلاً عند الاراء والمعلومات التي أفضى بها العميد (احتياط) متتياهو بيليد(١) ابان المناقشة الدائرة حول كتاب ايلون المشار اليه أعلاه ، والاطلاع على وجهات النظر الاخرى من حيث مجاراتها لاراء بيليد أو محاولاتها في الرد عليه ودحض اقواله وتفسيراته .

الخدعة تتحول الى خرافة

انطلق بيليد في عرض آرائه حول الاسباب التي دفعت اسرائيل نحو شن عدوانها صبيحة الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من موقع القول ببطـلان الاعتقاد الذي اختلقته

* ــ صدر كتاب ايلون بالانجليزية ايضا ، وتحت العنوان التالي :
Amos Elon, *The Israelis: Founders and Sons*
وتضمن هذا الكتاب بعض الاراء والتحليلات التي تخالف الموقف الصهيوني ــ الاسرائيلي الرسمي وتفضح الكثير من الضلالات التي درجت اسرائيل على « تلقينها » لوسائل الاعلام واجهزة الدعاية ، في الداخل والخـارج على السواء . حتى ان هذا الصحافي الشاب آثر البوح بما يريد له الاسرائيليون البقاء طي الكتمان ، فلـم تنقصه الجرأة او يخنه الصدق عندما كتب يقول : « ان معاقبة العرب على الاخطاء التي اقترفتها أوروبـا ينبغي لها ان تثقل ضمير الاسرائيليين على امتداد فترة طويلة من الزمن الاتي » .

اسرائيل عن تعرضها لخطر الابادة عشية افتعال العدوان . فالادعاء القائل بأن وجود الدولة الصهيونية كان عرضة للخطر ، وان هذا الخطر المزعوم بات يتهدد سكان اسرائيل بالفناء ويستهدف ابادتهم والقضاء عليهم ، لا يعـدو كونه « خدعة » تفتقت عنها مخيلة الاوساط الحاكمة في اسرائيل قبل توقف القتال وبعده بقصد تبريرها لشن العدوان وتهيئة الجو الملائم للاحتفاظ بالمكـاسب وتحقيق الاطمـاع التوسعية . ومما قاله بيليد خلال المناقشة : « ان النظرية التي تعتبر ان اسرائيل كانت عرضة لخطر الابادة في حزيران ١٩٦٧ ، وانها حاربت في سبيل كيانها المادي آنذاك ، ليست سوى خدعة (bluff) ولدت ونمت بعد الحرب » (هآرتس ، ٧٢/٣/١٩)(٢) .

فالحكومة الاسرائيلية درجت على التمسك بوجهة النظر القائلة ان « خطر الابادة وحده يبرر شن الحرب » . بينما يرفض بيليد هذا الادعاء ويجرده من كـل أساس للصحة . والمعروف عن هذا العسكري في الاحتياط انه لا ينتمي الى الفئات الاسرائيلية التي تحسب نفسها على اليسار ، بل يشتهر عنه اتخاذ المواقف المتمادية في موالاة اميركا ومعـاداة الاتحاد السوفياتي(٣) . فـلا عجب ، اذن ، ان يـأتي تفسيره للعدوان الاسرائيلي على النحو الاتي : « كان سبب الحرب محاولة الاتحاد السوفياتي تغيـير الوضع الراهن في المنطقة ، بأن تحل تسوية سوفياتية محل التسوية الاميركية القائمة منذ ١٩٥٧ . والعرب كان لهم دور ثانوي بهذا الشأن »(٤) .

وفيما يتعلق بالسؤال « المحوري » عن تعرض اسرائيل للابادة سنة ١٩٦٧ نجد بيليد على استعداد تام للاعتراف ببطلان هذا الادعاء وفضح الدوافع الكامنة وراء التذرع بخرافة الافناء والابادة . فهو يتساءل خـلال المناقشة التي تطرقت الى موضوع يحتـل منزلة المحرمات التي تستنزل تهمة الخيانة على كل من تحدثه نفسه بالخوض فيها ، بقوله : « ما هي اخر مرة كانت اسرائيـل فيها مكشوفة لهجوم عـربي ؟ » . لكي يجيب على تساؤله مؤكدا : « كان ذلك سنة ١٩٤٨ ، كما اقرأ التاريخ »(٥) .

بيد ان العميد بيليد وجد من يشاركه هذه القراءة « الجديدة » للتاريـخ المعاصر . فقد أعرب زميله في الاحتياط ، عيزر وايزمان ، وشريكه في النقاش — « عن قدر من الموافقة على القول ان دولة اسرائيل لم تتعرض لخطر الدمار عشية حرب الايام الستة » (عال همشمار ، ٧٢/٣/٢٠)(٦) . ولا حاجة بنا الى تذكير القارىء بأن وايزمان شغل منصب رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فهو — كما بيليد — أحد الجنرالات الاثني عشر الذين كانت تتألف منهم هيئة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي في ذلك الحين . ومما أثار استغراب الكثيرين ان يبادر نفر من القادة الذين أحيطوا بهالة تعظيمية في أعقـاب الانتصار الاسرائيلي الى الاقدام على التشكيك في صدق الدوافع التي أعلنتها حكومتهم لتبرير عدوانها ، ثم رفعتها الى سدة العقيدة المنزهة عن كل نقاش أو تساؤل حول مضمونها ومقوماتها . فالاقوال التي وردت على لسان بيليد ووايزمان لم تذهب عبثا هـذه المرة . بل أدت بدورها الى اثارة اهتمام الصحافة ، فشجعتها على الخوض في موضوعـات تتناول عملية التضليل الاعـلامي والنفسي الذي تمارسه اسرائيـل منذ عدوانها ، في المجـالين : الداخلي والخارجي .

ومهما تكن البواعث الكامنة لدى العميد في الاحتياط بيليد حتى تجعله يمضي في محاولته الرامية الى تحطيم الاسطورة القائمة على الزعم بوجود خطـر يتهدد اسرائيل بالابادة — على الصعيدين : الفردي والجماعي — فان القضية تحولت بين عشية وضحاها الى موضوع الساعة ، وانتقلت من قاعة الندوة الى ميدان الصحافة والاعلام والرأي العام . ففي ٢٤ اذار (مارس) ١٩٧٢ نشر بيليد دراسة طويلة في صحيفة « معاريف » — وهي

أقوى الصحف الاسرائيلية توزيعا — حيث تابع شرح آرائه في معرض التصدي لخرافة الابادة المزعومة . ومما كتبه بالحرف الواحد : « ليس هناك من سبب يدعو الى اخفاء الحقيقة القائلة انه منذ سنة ١٩٤٩ لم يتجرأ أحد — والاصح هو القول انه لم يكن أحد في وضع يسمح له بذلك — على تهديد وجود اسرائيل بالــذات . وبرغم هذا فقد تابعنا تغذية الشعور بالنقص ، كما لو كنا شعبا ضعيفا ، وصغيرا ، يعيش على القلق لضمان وجوده ، وهو عرضة لخطر الابادة في كل لحظة »(٧) .

فالتهديــدات المنسوبة الى القادة والحكــام العرب ربمــا تركت بعض الاثر في نفوس المسؤولين الاسرائيليين . لكن بيليد يؤكد لنا ان مطلقي هذه التهديدات العربية انفسهم كانوا يدركون قصورهم تمام الادراك فلــم يحملوها على محمل الجدية ابدا . ومعظم التبريرات والمزاعم التي صدرت عن المعتدين الاسرائيليين وتلقفتها الصحافة العالمية لكي تبادر الى الاخذ بها وتبنيها — يقول بيليد — « جرى تقديمها بعد انتهاء الحرب ، ولم تؤخذ بعين الاعتبار في حساباتنا قبل نشوب القتال »(٨) .

لكن الجنرال بيليد يعترف علنا في الوقت ذاته بأنه كان من انصار بدء العمليات العسكرية ضد مصر في أيار (مايو) ١٩٦٧ . والتبرير الذي يقدمه ليس عــلى سبيل « الدفاع عن وجود » اسرائيل ، بل فقط لاجل « اقناع » الطرف العربي بقوة الردع الاسرائيلي . لذا نجده يعتبر اغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الاسرائيلية بمثابة ذريعة للحرب Casus belli - تستوجب القيام بعمل عسكري للحيلولة دون اقدام عبد الناصر والسوفيات على تغيير الوضع الراهن في المنطقة . فيعود الى اطلاق التأكيد التالي : « عندما مضينا الى تعبئة قوانا كلها ، لم يوجد أي شخص عاقل لكي يعتقد بأن هذه القدرة كلها كانت لا غنى عنها لاجل « الدفاع » ضد الخطر المصري الذي يتهددنا . هذه القدرة كانت ضرورية لسحق المصريين بشكل حاسم على الصعيد العسكري ولاحراج حماتهم السوفيات على المستوى السياسي . والادعاء بان القوات المصريـــة التي احتشدت على حدودنـــا كانت بمثابة التهديد لوجود اسرائيل لا يشكل اهانة لكل شخص ذكي يمتلك القدرة على تحليل هذا النوع من الاوضاع فحسب ، بل هو قبل أي شيء اهانة للجيش الاسرائيلي »(٩) .

ان هذه الاراء والاعترافــات الصادرة عن متتياهو بيليد تتعارض مــع الموقف الرسمي لحكومة اسرائيل وتدحضه بشكل صارخ . ففي الثاني عشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — وبعد مضي يومين على « الانتصار » الذي احرزته القوات الاسرائيلية المعتديــة — كان رئيس الوزراء ، ليفي اشكول ، يعلن أمام الكنيست ما يلي : « لقد تعلق وجود دولة اسرائيل بخيط رفيع، لكن آمال الزعماء العرب في ابادة اسرائيل منيت بخيبة مريرة »(١٠) . ولم يتجرأ أحد من المأخوذين بسحر هذه الحجة وزيف المنطق الاسرائيلي على التصدي لتلك المزاعم وتفنيدها ، سواء من داخل اسرائيل أم خارجها في المجال العالمي . بل عمد المسؤولون الاسرائيليون بدورهم الى ترسيخ هذا الاعتقاد في الاقوال والتصريحات التي صدرت عنهم كافة . وتابعتهم معظم الصحف العالمية في الترويج لهذه الخدعـــة طيلة السنوات الخمس التي انقضت على العدوان .

فالسؤال الذي طرحه بيليد عما اذا كانت اسرائيل بالفعل مهددة آنذاك بخطر الابــادة جر الى سلسلة من الاعترافات والتفسيرات التي أدت الى التشكيك في صحة الموقــف الاسرائيلي المعلــن بصورة رسمية* . ولا بــد لنا من الاطلاع على نمــاذج أخرى من

---

* حاول أحد الشبان الاسرائيليين ، جيعورا نويمان ، ان يدافع عن نفسه أمام محكمة عسكرية اسرائيلية يوم الحادي عشر من تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، بتهمة الامتناع عن تأدية الخدمة العسكرية ورفض اقسام يمين الولاء للجيش الاسرائيلي . فاستشهد بأقوال الجنرالات الذين اكدوا ان اسرائيل لم تكن معرضة لخطر الابادة ، مثلما

الاجتهادات التي طلع بها كبار القادة العسكريين في معرض الرد على آراء بيليد ونظرياته. كما ان الزعماء السياسيين لم يتخلفوا عن الاسهام بقسطهم في النقاش الذي تحول الى مشادة.

تنويعات وتبريرات

كان العميد احتياط عيزر وايزمان في طليعة الذين هبوا للرد على آراء بيليد دون ان يتمكنوا من دحض مقولتها الاساسية. فقد أجرى معه دوف غولدشتاين مقابلة نشرتها صحيفة معاريف (٧٢/٤/٤) وأعلن فيها وايزمان انه « لم يكن هناك خطر ابادة على الاطلاق » وان هذه « الفرضية » لم يعتنقها ابدا أي « اجتماع جدي ». وادعى الرئيس السابق لشعبة العمليات في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب حزيران ١٩٦٧ بأن الدول لا تحتاج الى خطر ابادة يتهددها أو حتى الى حجة عرضية لكي تأخذ زمام المبادرة في شن حرب(١١). ثم عاد الرئيس الحالي لادارة حزب « حيروت » (وايزمان) الى ابراز « جانب خفي » من حرب حزيران ١٩٦٧ في مقالة نشرتها صحيفة « يديعوت احرونوت » غداة الذكرى الخامسة لتلك الحرب (٧٢/٦/٦)، فاعترف بأن اسرائيل أعدت لشن الحرب منذ ١٩٥٦، ولم تنتظر حلول شهري أيار وحزيران من سنة ١٩٦٧. ومما جاء في مقالة وايزمان: « شغلتنا، حرب المستقبل، كثيرا — مثل كل رئاسة أركان تجد نفسها في وضعنا — خلال كل الفترة الممتدة من عملية ،قادش، (أي: حرب سيناء ١٩٥٦) الى حرب الايام الستة، وليس فقط خلال أيار — حزيران ١٩٦٧ ». (ن. م. د. ف. ١٩٧٢/٧/١، ص ٣٩٣).

غير ان صحيفة « يديعوت أحرونوت » استصرحت الجنرال دافيد اليعازر، رئيس الاركان العامة، ما يلي: « الحدود السابقة لم تكن آمنة. ومن الصعب القيام بالدفاع عن البلاد ضمن حدود من ذلك القبيل. فلو سمحنا للقوات المسلحة العربية بتنظيم حشودها والمباداة بالهجوم، لكنا قد عرضنا دولة اسرائيل للخطر »(١٢).

بينما أعلن الجنرال حاييم بارليف، وهو رئيس سابق للاركان يشغل حاليا منصب وزير التجارة والصناعة، في مقابلة نشرتها صحيفة « معاريف » (٧٢/٤/١٩) الرأي التالي: « نحن لم نكن مهددين بخطر الابادة عشية حرب الايام الستة، ولم نقل أبدا أو نفكر بوجود احتمال من هذا القبيل. ومن الصحيح ان هذه الفرضية جرى تصورها ابان حرب ١٩٤٨، لكنها تكشفت عن ضآلة في الجدية منذ ذلك الحين »(١٣).

وتعرض موردخاي بنتوف، الوزير السابق عن المابام خلال عدوان الخامس من حزيران، لهجوم عنيف على صفحات الجرائد الاسرائيلية في أعقاب ما كتبه ونشرته عال همشمار (٧٢/٤/١٤) من أن « هذه القصة كلها عن خطر الابادة جرى اختراعها بجميع فصولها وتضخيمها في وقت لاحق لتبرير مسألة ضم مناطق عربية جديدة »(١٤). فالقراء الذين هاجموه تحدثوا عن وجوب « الاستمرار في تربية الشعب وتثقيفه في ضوء خطر الابادة ». بينما رد عليهم بقوله: يجب تغليب الحقيقة على تربية « قوامها الاوهام الخادعة »(١٥). ومن المعروف ان الوزيرين عن المبام في حكومة اشكول التي قررت بدء

استند في دفاعه الى الاسباب الوجدانية التي تجعله يتمنع عن الخدمة في جيش يمارس الاحتلال والاضطهاد، والاقتلاع والتشريد والنفي.

ومما أثار غضب غولدا مئير هو ان الجنرال بيليد أعلن في حديث اذاعي بان محاكمة هذا الشاب، البالغ الثامنة عشر من العمر، هي غلطة — ويجب اعفاء المعترضين لاسباب ضميرية من تأدية الخدمة. فقد اغتنمت مئير مناسبة انعقاد مجلس الوزراء لتوجيه نقدها الشديد الى آراء الجنرال، وكذلك الى المسؤولين عن الاذاعة والتلفزيون متهمة اياهم باعطاء الكلمة لمعلقين « لا يعربون دائما عن وجهات نظر موزونة ». (لوموند ١٨ — ٧٢/٦/١٩).

العمليات العسكرية ــ وهما بنتوف واسرائيل بارزيلاي ، الذي توفي لاحقا ــ لم يصوتا الى جانب القرار الحكومي في مجلس الوزراء يوم ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ والداعي الى شن الهجوم ضد الدول العربية . أما السبب المعطى لامتناعهما عن التصويت فهو اقتناعهما بانه لم تستخدم جميع الوسائل الديبلوماسية والسياسية لتفريق الحشود المصرية على حدود اسرائيل والتوصل الى اعادة فتح خليج العقبة أمام الملاحة .

ان نظرية بيليد سرعان ما حظيت بتأييد نفر من كبار القادة العسكريين والزعماء السياسيين . وفي السابع من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ كان مناحيم بيغين يتناول الموضوع أمام حشد من الطلاب في الجامعة العبرية بالقدس ، مشيرا الى وجود أخطار أخرى كانت تتهدد اسرائيل . حتى أن صحيفة « أوت » الناطقة بلسان حزب العمل بادرت في الاسبوع الثاني من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ الى نشر حوار دار بين الجنرالات وايزمان وغافيش وبيليد وهرتزوغ يؤكدون فيه بلا استثناء ودون التباس ان اسرائيل لم تتعرض الى خطر الابادة عشية حرب الايام الستة(١٦) . ويقول مراسل صحيفة « لوموند » ان الجنرال بيليد لجأ الى تذكير الزملاء بالتقديرات التي توصلت اليها اجهزة المخابرات العسكرية الاسرائيلية ومؤداها ان مصر لم تكن مستعدة للحرب في أيار ــ حزيران (مايو ــ يونيو) ، ١٩٦٧ . بينما اعترف بيليد منذ البداية بطبيعة المناقشات التي كانت تدور داخل هيئة الاركان العامة ، على النحو الاتي : « عندما كنا نتحدث عن الحرب في الاركان العامة ، كان حديثنا يدور عن المضاعفات السياسية التي سوف تترتب عن عدم خوضنا الحرب ــ ماذا سيحل باسرائيل خلال خمس وعشرين السنة القادمة . ولم نتحدث أبدا عن البقاء على قيد الحياة اليوم »(١٧) .

فالنقاش الذي بدأ في اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٧٢ ، تحول الى مشادة داخلية مع اقتراب الذكرى الخامسة لعدوان الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . ومما تجدر ملاحظته ان الصحافة العالمية لم تأخذ علما بالامر الا عشية الخامس من حزيران ، ١٩٧٢ . فقد نشرت صحيفة « لوموند » يوم السبت الواقع في ٣ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ مقالا للكاتب الاسرائيلي المشرف على تحرير مجلة « نيو اوتلوك » ــ أمنون كابيلوك ــ وعنوانه : « عشية اندلاع النزاع ، هل كانت اسرائيل حقا مهددة بخطر الابادة ؟ » . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية استهدفت وضع حد للنقاش الذي وصفته افتتاحية لصحيفة « دافار » الرسمية بـــ « النقاش المزعج والعقيم » . لذا اغتنمت مناسبة الذكرى الخامسة للعدوان ، ونشرت نص القرار الذي تبناه مجلس الوزراء الاسرائيلي قبل خمس سنوات بالضبط ، وذلك يوم الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وصدرت الصحف الاسرائيلية صبيحة يوم الاثنين الواقع في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ حاملة نص القرار الرسمي في صدر صفحاتها الاولى . بينما كان وزير الدولة وأحد المقربين من غولدا مئير ــ اسرائيل غاليلي ــ قد بادر يوم السبت (٧٢/٦/٣) الى دحض التصريحات القائلة بأن اسرائيل لم تكن معرضة لخطر الابادة . فقال : « انه لمن السهل جدا بعد الحين اعادة التاريخ ، لكن الواقعة الحقيقية هي ان اسرائيل كانت مهددة بالافناء » . ثم أضاف غاليلي : « اسرائيل قادرة ، وسوف تبقى كذلك ، على الحاق الهزيمة بجميع الدول العربية مجتمعة »(١٨) .

قرار العدوان ومضاعفاته

اقدمت الحكومة الاسرائيلية على سابقة لا مثيل لها ، عندما أفرجت يوم الاحد الموافق للرابع من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، عن نص القرار الذي اتخذتـــه قبل خمس سنوات بالضبط وعشية البدء في عدوانها العسكري والقيام بشن العمليات الهجومية ضد الدول العربية. وجاء في النص الذي تناقلته وكالات الانباء والصحف العالمية ما يلي :« ان الحكومة ، بعد استماعها الى التقارير التي رفعها كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية

ووزير الدفاع ، ورئيس الاركان العامة ورئيس شعبة المخابرات العسكرية حول الوضع العسكري والسياسي، توصلت الى قناعة مفادها ان الجيوش المصرية والسورية والاردنية قد تحركت واحتشدت في مواقعها بغية شن هجوم مباشر على امتداد أربع جبهات ، بحيث صارت تتهدد وجود دولتنا . تقرر الحكومة اتخاذ الخطوات والاجراءات العسكرية اللازمة لتحرير اسرائيل من ربقة العدوان الذي يتابع احكام طوقه حولنا . وتفوض الحكومة الى كل من رئيسها ووزير الدفاع وهيئة الاركان العامة للقوات الاسرائيلية صلاحية تعيين موعد البدء في العمليات العسكرية . كما يجري اطلاع اعضاء الوزارة في اسرع وقت ممكن على سير العمليات العسكرية المنوي تنفيذها . وتعهد الحكومة الى وزير الخارجية باستنفاد جميع الامكانيات السياسية بغية توضيح موقف اسرائيل واكتساب تأييد الدول الكبرى »(١٩) .

مما لا ريب فيه ان الذين عمدوا الى نشر نص القرار كانوا يهدفون من ورائه الى تحقيق عدة أمور . هذا مع العلم بأن الصحافة الاجنبية رأت في بادرة الاقدام على نشر قرار العدوان دليلا رسميا على ان الاسرائيليين كانوا البادئين في اطلاق النار صبيحة الخامس من حزيران ١٩٦٧ . فالوثيقة الرسمية تؤكد على خرافة التهديد بالابادة ، وتنظر الى مسألة الحشود العربية من الزاوية الملائمة للابقاء على الهاجس المصطنع بوجود خطر يتهدد كيان الدولة ويجعل أهلها عرضة للابادة والافناء . كما أن القائلين بفائدة نشرها توسموا فيها افحاما للاصوات التي تعتبر خرافة الابادة جزءا من الخدعة التي يجري توسلها للاحتفاظ بالمناطق المحتلة . فالاشارة الى « الخطر العربي » الذي بات يتهدد وجود اسرائيل ترمي الى الرد على بيليد ومؤيدي نظريته في « الخدعة » التي جرى استنباطها لاحقا واحلالها في منزلة الاسطورة التي لا تقبل النقاش .

ان الجنرال بيليد ـــ كما يقول كابليوك ـــ أراد البرهان علىحقيقةقائمة ويصعب نكرانها . فالحكومة الاسرائيلية تتعمد استغلال مشاعر القلق لدى السكان بقصد الوصول الى غاياتها وبلوغ مآربها . وفي طليعة الغايات والمآرب تأتي مسألة « تكبير رقعة اسرائيل »، بضم المناطق العربية المحتلة . فالمسؤولون، بنظر الجنرال في الاحتياط، لجأوا عن سابق تصور وتصميم الى تشويه الهدف الذي من أجله قامت حرب الايام الستة بغية احداث التشويش والبلبلة في مسألة أمن الدولة وسلامتها . والنتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا التضليل المدروس تنطوي على امرين : **أولا** ـــ ان الحكومة الاسرائيلية ، في محاولتها الرامية الى تزييف الاسباب المؤدية للحرب والقاء دوافعها الحقيقية في غياهب التعتيم ، تسعى لحمل الشعب على القبول بمبدأ الضم الجزئي او الكلي ـــ متى أمكن ذلك ـــ للمناطق العربية المحتلة. **ثانيا** ـــ تقوم حكومة اسرائيل على اذكاء خوف لا اساس له في نفوس السكان ، بحيث تجعلهم في حالة من القلق او الفزع الدائم على وجودهم بالذات(٢٠) .

اي أن المؤسسة الحاكمة وسلطات الاحتلال الاسرائيلي تمضي في تمسكها بالخرافة التي اطلقتها عن تعرض كيان الدولة لخطر الابادة ، طمعا في استغلال مخاوف القلق التي تزرعها هي في النفوس لكي تعود فتحصدها لحاجاتها وأطماعها التوسعية .

ومما تجدر ملاحظته ان الخطوة الحكومية بنشر القرار لم تنجح في وضع حد للنقاش الذي بات يسبب لها الازعاج والاحراج . لقد بادر نفر من الصحافيين الاسرائيليين عند بداية النقاش الى مناشدة الجنرالات تغليب « حسهم الوطني » على المضي في التعرض لامور خطيرة . وطلب هؤلاء الى كبار العسكريين السابقين « الامتناع عن استخدام حقهم الاساسي في التعبير عن آرائهم » . أما الحجة التي أرفقوا بها دعوتهم الى عدم الخوض في مسائل حساسة من هذا القبيل فقد تذرعت بما يلي : لئلا يلحق الضرر باسرائيل في مجالين ـــ على صعيد الراي العام العالمي وبين يهود الشتات(٢١) .

لكن الجنرال وايزمان فاجأ دعاة التريث والاقلاع عن التصدي لمثل هذه التلفيقات بقوله: « يرغب يهود الشتات ان يروا فينا ، لاسباب خاصة بهم ، ابطالا ينتصبون بقدم ثابتة عند أسفل الحائط . لكن هذه الرغبة لا يسعها ابدا تغيير شيء من الحقائق الواقعة »(٢٢).

ومن الثابت ان لجوء الحكومة الى اذاعة نص القرار الذي اتخذته الوزارة الاسرائيلية عشية شن العدوان ينم عن محاولة ترمي الى اقفال باب المشادة العلنية حول موضوع « خطر الابادة » . فقد أصبح الموقف حرجا بالنسبة لوضعها أمام الرأي العام داخل اسرائيل ، وازدادت المخاوف من ردود الفعل في أوساط الرأي العالمي . بينما سارع أنصارها الى تكتيل جبهة تتصدى لحملة الجنرالات وتستصرخ مجموعة من القادة العسكريين الذين لا يشاطرونهم الرأي . فانضم كل من اسحق رابين واريك شارون (قائد القطاع الجنوبي في اسرائيل حاليا) ويغئال يادين ودافيد اليعازر الى غاليلي وموشيه كارميل وأبا ايبان في الدفاع عن وجهة النظر الرسمية . وأذاع راديو اسرائيل بمناسبة الذكرى الخامسة للعدوان حوارا جرى بين الجنرال متتياهو بيليد والجنرال حاييم هرتزوغ — المعلق العسكري الرسمي ، والرئيس السابق لشعبة المخابرات العسكرية . فذهب الاول الى حد القول صراحة بأنه لا توجد براهين للدلالة على كون المصريين كانوا بالفعل ينوون مهاجمة اسرائيل حينذاك . بينما اعترف هرتزوغ ، وهو العضو في حزب العمل الحاكم ، بأن « خطر الابادة » لم يكن قائما : « فلا هيئة الاركان الاسرائيلية ، ولا قيادة البنتاغون — كما تبرهن مذكرات الرئيس الاميركي ليندون جونسون — اعتقدت بوجود مثل هذا الخطر » . ثم عاد الجنرال هرتزوغ الى متابعة الحديث في الموضوع اياه من اذاعة اسرائيل يوم ٧ حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، فاقترح « وضع حد لهذا النقاش ، لانه يجدر بنا الا نثير الشكوك حول هذه القصة التي خلقناها نحن »(٢٣). وأتاحت الاذاعة الاسرائيلية (٧٢/٦/٦) امام الجنرال في الخدمة ، اريك شارون ، مجالا واسعا للرد على المشككين من خلال اعلانه في اجتماع عام بأن اسرائيل شنت الحرب سنة ١٩٦٧ بقصد ازالة خطر الابادة الذي كان يتهدد وجودها(٢٤).

حتى ان القائد السابق للاركان العامة ، حاييم بارليف ، الذي يشغل حاليا منصب وزير التجارة والصناعة ، وجد من المناسب توضيح موقفه مجددا في اجتماع الوزارة الاسرائيلية يوم الاحد الموافق ٢ تموز (يوليو) ، ١٩٧٢ . فقد أدلى بارليف ببيان امام الحكومة « لانه جيء على ذكر اسمي في معرض تصريحات واقوال ترمي الى التقليل من فداحة الخطر الذي تربص بدولة اسرائيل على عتبة حرب حزيران » . ومما تضمنه بيان بارليف « التصحيحي » هو « ان حرب حزيران كانت حربا لم ترغب فيها اسرائيل ولا هي بدأتها . فقد نشبت هذه الحرب بمبادرة من الدول العربية التي أقدمت على اتخاذ خطوات اجبرتنا فيها على خوض الحرب : اغلاق مضائق تيران وحشد الجيوش العربية على حدود اسرائيل ، وما رافق هذه الحشود العسكرية من اعلانات صريحة بالحرب »(٢٥). الى هنا يكون بارليف قد أرضى الموقف الرسمي بوضع نقاطه على الحروف . وفي الوقت نفسه جاء بيانه حاملا التأكيد التالي : « أنا من جهتي لا استعمل التعريف عن تدمير اسرائيل ، لان مغزى هذه الكلمات في معناها المألوف هو الافناء الجسدي لمليون من اليهود او الغزو الفعلي لاراضي دولة اسرائيل ، او الامران معا . ومثل هذا الخطر لم يكن قائما »(٢٦).

أصداء في صحف العالم ؟

اذا كانت المؤسسة الحاكمة في اسرائيل لم تقابل بادرة كبار الجنرالات السابقين بارتياح تام ، فانها اعترفت بدورها — وللمرة الاولى بهذه الصورة الرسمية — ان قواتها العسكرية كانت البادئة في شن الهجوم العدواني . وسرت شائعات مفادها ان الجنرال

بيليد ومؤيديه في الرأي يحاولون تحقيق بعض المكاسب السياسية على الصعيد الداخلي وطمعا بخوض الانتخابات العامة القادمة في اسرائيل . فهل تبقى هذه المشادة محصورة ضمن اطارها الداخلي ــ الاسرائيلي ؟ ان الآراء التي صدرت عن الجنرالات تدل على ظاهرة تتخوف منها الحكومة . اذ تعني هذه الظاهرة وجود عناصر مسؤولة وغير مترددة عن دحض التفسير الحكومي الرسمي لاحداث العدوان .

ولكن ، ما هو الصدى الذي أحدثته هذه المشادة والاعترافات التي أسفرت عنها ، بالنسبة للصحافة العالمية . فالمعروف ان الصحف الاجنبية دأبت منذ عدوان الخامس من حزيران ١٩٦٧ على ترديد الرواية الاسرائيلية والاخذ بها دون اي تمحيص او تدقيق . والسؤال الذي يقفز الى الذهن على الفور يشير الى موقف الصحف الغربية من الاعترافات الاسرائيلية ، الصريحة والرسمية ، بالبدء في شن العدوان .

فقد كتبت صحيفة « نوي زوريخر تزايتونغ » (١٩٧٢/٦/١٧) تحت عنوان « الخطر الذي تهدد اسرائيل قبل حرب الايام الستة » لكي تنوه بالمقاصد السياسية التي يرمي اليها الجنرال بيليد . وقالت بأن أصحاب النظرية التي تنفي تعرض اسرائيل لخطر الابادة، وهم من الجنرالات ورجال السياسة ، يقومون بمحاولة تهدف الى ازالة الشكوك وانعدام الثقة بين اسرائيل والدول العربية . وهؤلاء يريدون بالتالي افهام العرب بأن اسرائيل لا تنوي ضم جميع المناطق المحتلة ، بل هي مستعدة للالتقاء معهم في منتصف الطريق . فالمناطق المحتلة ــ كما تؤكد الصحيفة السويسرية ــ سوف تظل اداة للمساومة ، انما في اطار معنى متغير الان . والمشادة الدائرة في اسرائيل توحي بانطباع مفاده « تحذير مصر من مغبة الاقدام على بدء حرب جديدة »(٢٧).

ومما تجدر ملاحظته ان مراسل الصحيفة المذكورة في اسرائيل لم يشأ اخفاء دهشته من اقبال الاسرائيليين على التصدي لمسائل من هذا النوع بصورة علنية ودون أية تحفظات ــ علما بأن الحل السلمي للنزاع ما زال بعيد المنال. فهو ينتهي الى الاشادة « بسعيهم نحو بلوغ الحقيقة ــ هذا السعي الذي لا يقف عند أية حدود ». ويقترح ان الاسرائيليين يشعرون بالقوة الكافية والثقة بالنفس الى درجة تسمح لهم بتوضيح هذه المسائل ومناقشتها .

بينما تساءلت مجلة « تايم » الاميركية (٧٢/٦/١٩) عما اذا كانت حرب حزيران ضرورية . واعتبرت النقاش الدائر في اسرائيل بمثابة «علامة تشير الى كون الاسرائيليين باتوا يشعرون الان بقدر كاف من الأمان لكي يجازفوا باثارة مثل هذه القضية الحساسة في العلن » . فالسيدة غولدا مائير ــ على حد قول المجلة ــ تبدي اهتماما للتدليل على خطأ النقاد وللتشديد على ذريعة الحرب بصورة تجعل مسألة البقاء أكثر اتصالا بالحس الوطني والامتناع عن الخوض في قضايا من هذا النوع . والحكومة الاسرائيلية لم تبادر الى نشر القرار المتخذ عشية العدوان الا بعد ان تنبهت لامر النقاش وخطورة الاراء والاعترافات بالنسبة للرأي العالمي .

حتى أن سفارة اسرائيل في باريس قامت عند اواخر حزيران الفائت بتوزيع كراس اعدته وزارة الشؤون الخارجية بالقدس . وهذا الكراس يحمل العنوان التالي : « التهديد ، والاحداث التي ادت الى حرب الايام الستة » فهو يتضمن النصوص والرسوم البيانية ، الى جانب الرسوم الكاريكاتورية المأخوذة عن الصحف العربية . كل ذلك بقصد التدليل على « رغبة الزعماء العرب منذ ١٩٤٨ في تدمير اسرائيل » . ولقد اعترف ابا ايبان في معرض الرد على سؤال تلقاه خلال اجتماع مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم الثاني من تموز (يوليو) الحالي بأن سفارة اسرائيل في باريس هي التي قامت بنشر الكراس المذكور(٢٨).

اما « الامثولات » او « العبر » التي يستخلصها الكراس المعد لتدارك الموقف الاعلامي والحيلولة دون انهيار الخرافة المنسوجة حول « خطر الابادة » ، فهي على النحو التالي : « العداء والكراهية يشجعان على العدوان ، وضيق المسافات الاقليمية يضاعف من اغراء العدوان . وهيئة الامم المتحدة ، كما قوى الامن ، اظهرت عجزها في وضع حد للازمات . وفي ابان الازمات تفتقد الضمانات والتأكيدات المعطاة من جانب الدول الكبرى في الماضي الى التصديق »(٢٩).

بيد أن كراس وزارة الخارجية الاسرائيلية لا يكتفي بالقاء هذه الدروس على مسامع الرأي العام الاوروبي ، بل يجد من المناسب ابلاغ من يهمه الامر شيئا عن طبيعة الاطماع التوسعية لدولة اسرائيل . ففي خاتمة النص المرصود في الكراس نقرأ ما يلي : « ان ذلك الجزء من سيناء ، الذي سيعود الى مصر ضمن اطار اتفاقية سلام بينها وبين اسرائيل ، ينبغي جعله مجردا من السلاح . مثلما ينبغي بقاء شرم الشيخ في أيدي اسرائيل . ويجب ان تبقى اسرائيل في مرتفعات الجولان . واخيرا ، يجب أن تظل القدس موحدة وكجزء من اسرائيل وعاصمة لها »(٣٠).

ان الاصداء التي ترددت في بعض الصحف الاوروبية والعالمية عن انهيار الاسطورة التي نسجتها مخيلة القيادة السياسية الاسرائيلية حول خطر الابادة المزعوم ، لم تأت على المستوى ذاته من اسهام تلك الصحف في الترويج للاسطورة منذ خمس سنوات. ورغم هذا ، فان اسرائيل الرسمية بادرت على جناح السرعة الى الهاء الرأي العام بصيغة جديدة ــ قديمة لروايتها المعهودة عن عدوان حزيران وخرافة الخطر الذي ما فتىء يتهددها بالابادة والدمار . فهل تكون الذريعة التي تتوسلها الصحف الكبرى للتهرب من تهجئة الحقيقة حرفا حرفا كامنة في اكتفائها بالقول ان المشادة الجارية في اسرائيل لا تعدو كونها مسألة داخلية ؟ ومتى يتهيأ لها الادراك السليم بأن الرجوع عن الخطأ ــ حتى في مثل هذه الحالات المصيرية ــ هو أيضا فضيلة ، وعلى سبيل التكفير عن رذائلها الماضية ! .

---

١ ــ متتياهو بيليد (عميد احتياط) ، كان رئيسا لشعبة الامدادات والتموين في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ . وأصبح استاذا لتاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل ابيب ، بالاضافة الى انتسابه كباحث لمعهد شيلواح . دخل معترك السياسة بعد تسريحه من الخدمة العسكرية ، وأخذ يعد العدة لخوض الانتخابات العامة في اسرائيل . كما عكف على كتابة المقالات والتعليقات في الصحف الاسرائيلية ، وشارك في التوقيع على عريضة الاساتذة المرفوعة الى غولدا مئير بتاريخ ٢٦/ ٧١/١٢ . ينتمي الى تلك الفئة من ضباط الاحتياط الذين قالت عنهم صحيفة « يديعوت » (٧٢/٢/٢) بأن ميولهم « الحمائمية » لم تصبح معروفة علانية الا بعد دخولهم ميدان الحياة المدنية . والمعروف ان بيليد اختار موضوعا لاطروحة الدكتوراه التي أعدها في احدى الجامعات الاميركية عن الاديب والروائي المصري « نجيب محفوظ وآثاره » . وسعى عبثا في العام ١٩٦٩ الى حمل محفوظ على مراسلته ، بعد أن بعث اليه بنسخة من الاطروحة عن طريق عميد الجامعة (هذا ما أدلى به بيليد خلال محاضرة القاها باللغة العربية في مدينة الناصرة يوم الخامس من شباط (فبراير) ١٩٧٢ ــ نقلا عن صحيفة **عال همشمار** ٧٢/٢/٦) .

٢ ــ انظر صحيفة **لوموند** ، السبت ٧٢/٦/٣ ، حيث المقال التالي :

Amnon Kapeliouk : "Israël était-il réellement menacé d'extermination ?".

وسوف نشير الى هذا المقال باسم كاتبه « كابليوك » . ومما تجدر ملاحظته ان « نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية » دأبت منذ العدد السابع (السنة الثانية) في ٧٢/٤/١ على متابعة اخبار النقاش الدائر في اسرائيل حول موضوع «التعرض المزعوم لخطر الابادة». راجع الاعداد التالية من **ن. م. د. ف.** : العدد ٩ (٧٢/٥/١) ، ص ٢٤٤ ، العدد ١٢

(٧٢/٦/١٦) ، ص ٣٥٣ — ٣٥٧ ، والعدد ١٣ (٧٢/٧/١) ، ص ٣٩٣ — ٣٩٦ .

٣ — كابليوك ، **المصدر السابق** .

٤ — ن. م. د. ف. ، العدد ٧ (٧٢/٤/١) ، ص ١٧٨ .

٥ — **المصدر نفسه** .

٦ — **المصدر نفسه** ، العدد ٩ (٧٢/٥/١) ، ص ٢٤٤ .

٧ — كابليوك في « لوموند » ، **المصدر السابق** .

٨ — **المصدر نفسه** .

٩ — **المصدر نفسه** (نقلا عن « معاريف » ، ٧٢/٣/٢٩) .

١٠ — **المصدر نفسه** .

١١ — **المصدر نفسه** (نقلا عن « معاريف » ، ٧٢/٤/٤) . وانظر أيضا **ن. م. د. ف.** العدد ٩ (٧٢/٥/١) ، ص ٢٤٤ .

١٢ — كابليوك ، **المصدر السابق** .

١٣ — **المصدر نفسه** .

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — انظر **لوموند** ، ٧٢/٦/١٠ ، ص ٣ :

"Plusieurs généraux affirment qu'Israël n'était pas menacé d'éxtermination en 1967".

١٦ — **المصدر نفسه** .

١٧ — انظر مجلة **تايم** الاميركية .

"Was the War Necessary ?," June 19, 1972, pp. 18.19.

١٨ — راجع **لوموند** ، الثلاثاء ٧٢/٦/٦ :

"Jérusalem affirme que l'Etat hébreu était menacé d'anéantissement en 1967".

١٩ — **المصدر نفسه** . انظر كذلك ما يلي :

Suddeutsche Zeitung, 6/6/72 (Nr. 127): Israel Veröffentlicht Angriffsbeschlups (Amtliches Dokument beweist : Die Israelis schössen am 5 Juni 1967 zuerst).

New Zurcher Zeitung, Samstag, 17 Juni 1972 (Nr. 164): "Israels Bedrohung vor dem Sechstogekrieg: Eine innenpolitische Kontroverse".

٢٠ — كابليوك ، **المصدر السابق** .

٢١ — **المصدر نفسه** .

٢٢ — **المصدر نفسه** .

٢٣ — انظر **لوموند** ٧٢/٦/١٠ .

٢٤ — **المصدر نفسه** .

٢٥ — **الدايلي ستار** ، ٧٢/٧/٣ .

٢٦ — **المصدر نفسه** .

٢٧ — **نوي زوريخر تزايتونغ** (العدد ١٦٤) ، ٧٢/٦/١٧ .

٢٨ — **الدايلي ستار** ، **المصدر السابق** .

٢٩ — انظر **لوموند** ، الجمعة في ٣٠ حزيران (يونيو) ، ١٩٧٢ .

٣٠ — **المصدر نفسه** .

أبعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا

الدكتور غسان العطية

تتناول هذه الدراسة علاقة اسرائيل بأفريقيا بعيدا عن نطاق السببية الاحادية الجانب ، كما يحاول البعض ان يطرحها(١) . وهناك ارتباط عضوي بين افريقيا كما هي اليوم بقيادتها السياسية التي يرتبط معظمها بعواصم الدول الاستعمارية السابقة ، وافريقيا كما تصبو شعوبها ان تصير . ولا يتم الانتقال من افريقيا الحكام الى افريقيا الشعب في فراغ بل لا بد ان يرتبط من جهة بتحول البنية الاجتماعية والاقتصادية لافريقيا من بنية تحكمها علاقات اجتماعية استغلالية وخضوع اقتصادها للدول الغنية ، الى بنية اجتماعية واقتصادية متحررة من الاستغلال والعبودية للاقتصاد الاستعماري . يرتبط التحول الافريقي من جهة اخرى بحركة التحرر العالمية المعادية للاستعمار ، اذ ان أي انتصار لحركة التحرر العالمية هو انتصار للتحول التقدمي في افريقيا والعكس صحيح ، وتطور افريقيا لا يتم بمعزل عن الصراع العالمي الدائر في الساحة العالمية بين المعسكر الاشتراكي بزعامة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة .

ان علاقة اسرائيل بأفريقيا تحدد على ضوء التحول الافريقي الذي ستنشط اسرائيل في دعمه او عرقلته على ضوء اثره في الصراع العربي — الاسرائيلي الذي بات مرتبطا بحركة التحرر العالمية والصراع الامريكي — السوفييتي . من هنا ينبغي مراجعة الوضع العربي المعاصر لتحديد الامكانية العربية للرد على اسرائيل والكشف عن الامكانات الكامنة التي يمكن ان تجعل من اللقاء العربي الافريقي ضرورة مصلحية لكلا الطرفين . ان العلاقة الموضوعية والواقعية والجدلية بين الوجود السياسي الافريقي والاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ، والوضع العربي المعاصر تحدد ابعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا والرد العربي عليه .

معالم الوجود السياسي الافريقي

١ — تبلور الواقع السياسي الدولي المعاصر لافريقيا في فترة وجيزة في ستينات القرن الحالي بالتحديد . فاذا نظرنا اليوم الى خارطة افريقيا السياسية سنشاهد ٤٢ دولة مستقلة تغطي ما يزيد على ٨٠ ٪ من مساحة افريقيا ، منها ست دول عربية هي مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . وهناك الكيان العنصري في جنوب افريقيا ، اما حكومة ايان سمث في روديسيا فلا تزال المجموعة الدولية باستثناء البرتغال وجنوب افريقيا غير معترفة بها ، وعليه لا يمكننا ان نصنفها ضمن الدول الافريقية المستقلة . وتضم القارة الافريقية أقاليم لا تزال خاضعة للسيطرة الاستعمارية المباشرة كأنغولا وموزامبيق وناميبيا (جنوب غرب افريقيا) وغينيا البرتغالية . واذا ما قارنا هذه الصورة بواقع افريقيا السياسي في أواخر الخمسينات سوف نلاحظ ان الدول الافريقية المستقلة من غير الدول العربية هي اربع فقط : الحبشة وليبريا وغانا وغينيا . وفي عام ١٩٦٠ نالت ست عشرة دولة افريقية استقلالها(٢)، وارتفع في عام ١٩٦٨ عدد الدول

الافريقية المستقلة الى ٣٥ دولة . وعليه يمكننا القول ان معظم دول افريقيا هي حديثة الاستقلال وتجربتها في الحكم المستقل قصيرة العمر .

٢ ــ تركت الدول الاستعمارية افريقيا بعد سيطرة استمرت عشرات من السنين واحيانا قرونا ، دون ان تخلف وراءها اثرا ملموسا للتقدم الاجتماعي أو العلمي أو الاقتصادي(٣)، مما جعل صفة التخلف في الميادين المذكورة هي الصفة الغالبة لهذه الدول . واذا ما اضفنا مشكلة ندرة الكوادر الفنية والاستثمارات والرأسمال الوطني تتجسم أمامنا فداحة العبء المترتب على الانظمة الافريقية الحديثة الاستقلال ، واصبحت هذه الظاهرة بمثابة قدم اخيلوس بالنسبة لدول افريقيا الحديثة الاستقلال .

٣ ــ تكون المجموعة الافريقية اليوم ثقلا سياسيا مهما على الصعيد الدولي ، فالدول الافريقية تشكل الثلث من مجموع العضوية في الامم المتحدة . وتعتبر القارة الافريقية بمثابة خزان للطاقات الطبيعية التي لم تستغل بعد ، فكمية الحديد الموجودة في افريقيا هي ضعف ما هو موجود في امريكا وثلثا ما هو موجود في الاتحاد السوفياتي ، ويكفي الاحتياطي الافريقي من الفحم للاستغلال لفترة ثلاثمئة عام ، وتبلغ حصة افريقيا من قوى العالم المائية حوالي ٤٠ ٪ ولكن لم يستغل منها سوى ٥ ٪ ، وتملك القارة الافريقية ٥٣ معدنا من أهم المعادن التي تدخل في الصناعة الاساسية في العالم ، بالاضافة الى الارض الشاسعة التي لم تستغل زراعيا بعد(٤). وانطلاقا من الشعور بضرورة الوحدة والتعاون سعت دول افريقيا الى تنسيق سياستها فعملت على اقامة منظمة الوحدة الافريقية في عام ١٩٦٣ والتي انضمت اليها جميع الدول الافريقية باستثناء الكيان العنصري في جنوب افريقيا .

٤ ــ ان الاستقلال السياسي الذي حققته معظم الدول الافريقية يبقى استقلالا شكليا ما دام معظم هذه الدول خاضعا للنفوذ الاقتصادي والمالي للدول الاستعمارية التي حكمت البلاد سابقا .

تعتبر هذه الظاهرة بحق وجها من أوجه الاستعمار الجديد في افريقيا . فمن (٢٠،٠٠٠) مليون دولار التي تمثل مجموع الاستثمارات الاجنبية والمحلية في افريقيا ، تبلغ حصة بريطانيا وفرنسا وبلجيكا (١٦،٠٠٠) مليون دولار(٥). وان معدل المساعدات الامريكية لافريقيا خلال السنوات الاخيرة هو حوالي ٣٥٠ مليون دولار في السنة وتشكل هذه المساعدات حوالي ٢٠ ٪ من مجموع المساعدات الخارجية لافريقيا .

وبلغت الاستثمارات الخاصة الامريكية في عام ١٩٦٨ مبلغا قدره حوالي بليوني دولار وقد كان معدل ارتفاع الاستثمارات الخاصة الامريكية في افريقيا بين ١٩٦٣ ــ ١٩٦٨ حوالي ١٤ ٪ سنويا(٦). هذا وعملت بعض الدول الاستعمارية تحت وطأة اشتداد حركات التحرر الوطني على اجهاض المضمون الحقيقي للاستقلال من خلال اقامة كيانات سياسية مستقلة شكلا ومرتبطة فعلا بالدوائر الاستعمارية السابقة ، وساعدت هذه الخطوة الاستعمارية على قطع الطريق أمام نمو الحركات التحررية الوطنية المحلية . وقد قررت فرنسا في عام ١٩٦٠ تحت ضغط الثورة الجزائرية اعطاء الاستقلال الشكلي الى ١٣ دولة كان معظمها جزءا من اتحاد غرب افريقيا الفرنسي واتحاد افريقيا الاستوائية الفرنسي .

ان تجزئة هذه الاقاليم واقامة كيانات سياسية هزيلة لا تملك المقومات المادية للاستقلال الفعلي ومن ثم ربط اقتصاد هذه الدول بفرنسا ، اضافة الى مرابطة قوات عسكرية فرنسية في البلاد افرغ استقلال هذه الدول من أي محتوى حقيقي . وتنعكس تبعية هذه الدول الثلاث عشرة في مواقفها في الامم المتحدة تجاه قضايا التحرر ومعاداة الاستعمار ، فعندما طرح في الجمعية العمومية في عام ١٩٦١ مشروع باعطاء الجزائر

حق تقرير المصير والاستقلال صوت معظم الدول المذكورة سابقا ضد القرار وامتنع البعض الاخر ، ولنا في موقف هذه الدول السلبي من القضية الفلسطينية دليل آخر على تبعية هذه الدول واثر النفوذ الاجنبي فيها .

٥ ـــ تزايد نفوذ العسكريين في دول افريقيا في مرحلة ما بعد الاستقلال ، فقد كان مجموع القوات المسلحة للدول الافريقية غير العربية عام ١٩٦٤ ـــ حيث نالت معظم دول افريقيا استقلالها ـــ يقرب من ١٤٥،٠٠٠ رجل ونصف هذا العدد متكون من قوات اثيوبيا وكونغو ـــ كينشاسا فقط . وارتفع الرقم في ١٩٧٠ الى حوالي ٤٠٠،٠٠٠ (باستثناء قوات الدول الافريقية العربية التي تقدر بـــ ٣٠٠،٠٠٠ رجل)(٧). وفي الوقت الذي كان تأثير هذه الزيادة على الصعيد الدولي والخارجي محدودا فان لتصاعد القوات العسكرية الافريقية اثرا كبيرا على الصعيد الداخلي لدول افريقيا .

وينعكس ذلك في سلسلة الانقلابات العسكرية التي قامت في عدد متزايد من دول افريقيا، اذ ان اتجاه دول أفريقيا نحو فكرة الحزب الواحد ساعد في دفع المؤسسة العسكرية التي تملك عناصر القوة المسلحة والتنظيم أن تصبح أداة فعالة بيد المعارضة السياسية . وبمقدار فشل الانظمة السياسية التي قامت بعد الاستقلال في تحقيق أهدافها تمكن العسكريون من فرض ارادتهم . وفي افريقيا اليوم اثنتا عشرة حكومة عسكرية ، ثلاث منها عربية .

٦ ـــ ارتبطت اليقظة الافريقية بنمو الحركة الوطنية التحررية التي ظهرت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بشكل تنظيمات سياسية حزبية ومؤتمرات . ومن السمات البارزة لهذه التنظيمات السياسية خضوعهما لقيادة « الطبقة الوسطى » واقصد بذلك تلك العناصر التي نالت من الناحية الثقافية قسطا معينا من التعليم كالدراسة المتوسطة ، والتي تحتل من الناحية الوظيفية مناصب اجتماعية « محترمة » كالمحامين ، والاطباء والموظفين والمعلمين ، والتي تمارس من الناحية الاقتصادية دور التاجر المحلي ، والمالك، وصاحب المزرعة ، والتي تبرز من الناحية الاجتماعية بمظهر الطبقة التي تطبعت بمظاهر حضارية أوربية حديثة في الملبس والمأكل والمسكن . وقد حلت هذه الطبقة بعد الاستقلال محل القيادة القبلية التقليدية المتمثلة برؤساء القبائل الذين كانوا متعاونين مع السلطات الاستعمارية السابقة . وبالرغم من تبني قيادات الاحزاب الوطنية شعارات الاستقلال والحكم الذاتي ومعاداة الاستعمار تأثرت في الوقت نفسه فكريا وحضاريا بأوروبا والغرب عموما ، ويعود ذلك للعوامل الآتية : أ ـــ عودة الكثير من الافريقيين الذين خدموا في ادارات الدول الاستعمارية واجهزتها وجيوشها خلال الحرب العالمية الثانية الى بلادهم حاملين معهم تجاربهم الجديدة المتأثرة بالواقع والفكر الغربي(٨). ب ـــ هناك اعداد متزايدة من الطلبة الافارقة الذين أتموا دراستهم في أوربا والولايات المتحدة وعادوا الى بلادهم ليحتلوا مراكز سياسية وادارية واجتماعية أكثر مسؤولية بل أن البعض منهم توصل الى سدة الحكم أمثال دكتور نكروما والدكتور كاوندا . جـ ـــ وقد أقامت قيادات بعض التنظيمات السياسية الافريقية الوطنية ـــ خاصة في المستعمرات الفرنسية ـــ علاقات ودية مع احزاب المتربول اليسارية والحزب الشيوعي بالذات . وكان لـ Groupe d'Etude Communistes التي تأسست في أواخر ١٩٤٣ في داكار وابيجان وكوناكري وباماكو ، دور مهم في تهيئة وتنمية عدد لا بأس به من قياديي الاحزاب الافريقية التي قامت فيما بعد في المستعمرات الافرنسية ـــ الافريقية كحزب Rassemblement Démocratique African في منطقة افريقيا الاستوائية والغربية الفرنسية .

تحولت السلطة بعد استقلال المستعمرات الافريقية الى الاحزاب السياسية التي قادت حركة الاستقلال الوطني ولكن دور هذه الاحزاب واسلوبها في نيل الاستقلال اختلفا من

اقليم الى آخر ، عمدت بعض الاحزاب الى الاسلوب السياسي السلمي ولجأ البعض الاخر الى العنف والثورة المسلحة الامر الذي ترك أثره على طبيعة الانظمة الافريقية التي قامت بعد الاستقلال . وكان لظروف مقاومة الاستعمار دور مهم في تنظيم الحركة الوطنية في جبهة او حزب سياسي واحد واتجهت معظم الدول الافريقية بعد الاستقلال الى تبني نظام الحزب الواحد ، فمن مجموع ٤٢ دولة ، هناك ٢٦ دولة افريقية تطبق نظام الحزب الواحد .

الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية

أن المعيار الرئيسي في تقدير اهمية افريقيا بالنسبة لاسرائيل هو مقدار اثر افريقيا المباشر وغير المباشر بالفعل وبالامكان ، على الصراع العربي — الاسرائيلي . وكل ما من شأنه تدعيم الكيان الاسرائيلي بشكل مباشر او غير مباشر هو بدون شك هدف تسعى او ستسعى اليه السياسة الاسرائيلية ، ويصبح حرمان العرب من أي كسب معنوي ، سياسي او مادي ضمن هذه المقولة بمثابة هدف ضمني للسياسة الاسرائيلية . فلأفريقيا وانطلاقا من هذه القاعدة اهمية بارزة بالنسبة للسياسة الاسرائيلية، وما اصرار اسرائيل على فتح مضايق تيران وخليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية الا انعكاس لمدى الاهمية التي تعلقها اسرائيل على الاتصال السريع والمباشر مع القارة السوداء . وان مراجعة قصيرة لمعطيات الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ستساعدنا على تفهم التحرك الاسرائيلي في افريقيا .

ظهر الوجود الاسرائيلي في الشرق العربي بعد حرب ١٩٤٨ ، كوجود مفروض بالقوة ورغما عن ارادة ابناء المنطقة . وما دامت البلاد المحيطة بهذا الكيان ترفض التسليم والتعايش مع الوجود الاسرائيلي لا بل مصرة وساعية من اجل استعادة حقوق الشعب الفلسطيني ، فالسياسة الاسرائيلية ستنطلق من العمل على انهاء عزلة الكيان وتثبيت وجوده في المنطقة مستخدمة الاداة العسكرية والسياسية لقهر ارادة البلاد المحيطة بها والرافضة لوجودها . والترجمة العملية لهذه القاعدة هي :

أولا : بناء جيش قوي مسلح بأحدث الاسلحة كفيل بردع أي محاولة عربية مسلحة لاسترداد الحق الفلسطيني ثم دحرها . وقد حدد ايجال الون نائب رئيسة وزراء اسرائيل الحالي هذه السياسة بقوله : « الامل الوحيد لردع العرب ومنعهم من فرض حرب جديدة ، يرتبط بقوة جيش الدفاع وبطريقة استخدامها .. وطالما ان الجيش قادر على حسم المعركة والانتصار فيها ، فان ذلك يؤدي الى ردع العرب من الدخول في حرب جديدة . وارتداع العرب لفترة زمنية طويلة من شأنه ان يؤدي الى تسليم بالامر الواقع، والتسليم يؤدي الى السلام »(٩) .

وما دام الغرب هو المصدر الوحيد للسلاح فان اسرائيل مطمئنة على بقاء ميزان التسلح لصالحها ، ومن هنا تأتي اهمية صفقة الاسلحة الروسية المعروفة بالتشيكية عام ١٩٥٥ مع مصر كخطوة في انهاء احتكار الغرب للاسلحة اذ فتحت ابواب التسابق على التسلح بين اسرائيل وبعض الدول العربية . هذا وان المعدات الحربية وحدها لا تخلق جيشا قويا ولذا عملت اسرائيل على عسكرة الاقتصاد والمجتمع كشرط واجب لقيام جيش رادع .

ثانيا : العمل على كسب الدعم والاعتراف الدولي باسرائيل كدولة شرعية ، وتقوية علاقات اسرائيل بدول العالم. كان تأييد الدول الكبرى للوجود الاسرائيلي عاملا اساسيا في حماية اسرائيل خلال المرحلة الاولى من وجودها وهي مدينة في استقلالها — لحد بعيد — لهذه الدول التي تبنت قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وما دامت الدول الكبرى مجمعة على تأييد اسرائيل فلا مجال لخوف من تهديد عربي حقيقي ، ولذا بادرت اسرائيل عندما

أخذ هذا الاجماع يتبدد تحت وطأة الحرب الباردة لايجاد اتفاق بين الدول الكبرى حول الوجود الاسرائيلي وكرر بن غوريون رئيس الوزراء آنذاك بأن التفاهم المسبق بين هذه الدول شرط ضروري للسلام في الشرق الاوسط واقترح بأن يقدم الاتحاد السوفياتي والغرب تعهدا مشتركا بضمان الحدود القائمة في الشرق الاوسط(١٠). أطلقت اسرائيل هذه الدعوة عن قناعة بأن الاتفاق بين الدول الكبرى سيكون لمصلحتها ، ولكن تطورات ما بعد حرب ١٩٦٧ غيرت من موقف اسرائيل وباتت تخاف من اتفاق الدول الكبرى على تسوية تفرض عليها . وتطالب اسرائيل اليوم بتسوية لمشكلة الشرق الاوسط تتم باللقاء المباشر بين العرب واسرائيل الامر الذي يعني انفراد اسرائيل بالعرب وهم في مواقع ضعف مما يساعد اسرائيل على فرض الامر الواقع وبالتالي الاستسلام على العرب . اما بالنسبة لعلاقات اسرائيل بدول العالم فلا تزال تسعى الى تطويق العرب دوليا برأي عام عالمي يؤيد الوجود الاسرائيلي ، وعلى حد قول ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية بعد عودته من جولة في بعض الاقطار الافريقية : « نحن قلنا ان الوضع الطبيعي بالنسبة لاسرائيل هو الانسجام الاقليمي Regional Harmony ولكن اذا تعذر تحقيق ذلك فسنعمل على زرع العلم الاسرائيلي في مئات العواصم ونعمل على خلق وجود دولي لاسرائيل يمتد عبر جميع قارات العالم »(١١) .

وتسعى اسرائيل ، وبشكل أكثر تحديدا ، الى تطويق الدول العربية بحزام من الدول المتعاطفة مع اسرائيل يمتد من تركيا وايران في الشمال والشرق ، وتركيا في الغرب ، وافريقيا في الجنوب. وقد وصف احد الكتاب هذا الهدف قائلا انه « الحصار الكامل للعرب بواسطة حزام من الدول لا تجد اسرائيل بهم الشركاء فحسب بل الحلفاء والاصدقاء ايضا » (انظر مجلة World Today عدد ١٤ (في يناير ١٩٥٨) صفحات ٣٧ ـــ ٤٦ مقال بعنوان «اسرائيل تتجه نحو افريقيه وآسيه : تفسير للسياسة التجارية الجديدة» .)

ثالثا : للغرب والرأي العام العالمي دور مهم في دعم الكيان الاسرائيلي . ولكن التطورات العالمية والاقليمية عبر عشرين السنة الماضية دفعت اسرائيل ـــ من أجل تكريس وجودها ـــ الى العمل على بناء دولة قوية ليس عسكريا فحسب بل اقتصاديا وصناعيا واجتماعيا . ولم تبق منطقة الشرق الاوسط بعيدة عن رياح الحرب الباردة التي أنهت مرحلة اللقاء السوفياتي ـــ الغربي بشأن خلق اسرائيل كما تجلى في الاتفاق على قرار التقسيم عام ١٩٤٧ . وكان لقيام انظمة تقدمية في بعض الاقطار العربية دور مهم في تفهم الاتحاد السوفياتي للقضية الفلسطينية وبالتالي تأييده لقضايا التحرر الوطني في البلاد العربية ، وبمقدار تزايد التقارب العربي السوفياتي ازداد التصاق اسرائيل بالغرب وبأمريكا بالذات . ولكن اذا كانت اسرائيل تعول على دعم عسكري غربي مباشر في حالة نشوب حرب مع العرب فان دخول الاتحاد السوفياتي كحليف للعرب سيؤدي على الاقل الى منع التدخل العسكري المباشر للغرب لصالح اسرائيل وذلك انسجاما مع منطق الحرب الباردة الذي يرفض اي مجابهة مباشرة بين العملاقين . وعليه عملت اسرائيل على تنمية قدراتها العسكرية بالشكل الذي يمكنها من خوض حرب ناجحة مع العرب دون مساعدة مباشرة من الخارج .

نلمس هذا التغير النوعي في الاستراتيجية الاسرائيلية في الفرق بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ حيث توصلت اسرائيل في الحرب الثانية الى كسب الحرب دون تدخل عسكري امريكي او غربي مباشر .

من الخطأ تصور اسرائيل مجرد أداة لا حياة ولا ارادة لها بيد الاستعمار او الغرب . صحيح ان هناك ارتباطا عضويا بين الوجود الاسرائيلي والاستعمار ولكن كما نجد بين الدول الاستعمارية تناقضات يمكن وصفها بتناقضات ثانوية هي من قبيل التنافس الذي ينتهي عند الاصطدام بخطر خارجي فان علاقة اسرائيل بالغرب وامريكا تحمل ضمنا

امكانية مثل هذه التناقضات . وكانت تجربة الحركة الصهيونية مع بريطانيا في عام ١٩٣٩ ـــ عندما صدر الكتاب الابيض الداعي لتحديد الهجرة اليهودية لفلسطين ـــ درسا لاسرائيل في ضرورة الاعتماد على النفس . ومن الممكن ان تبرز التناقضات الثانوية بين اسرائيل والغرب وامريكا نتيجة ظروف الحرب الباردة او لضرورات المصلحة الاستعمارية الخاصة للدول الاستعمارية الكبرى ، ولنا من مقارنة علاقة اسرائيل بفرنسا في عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ خير مثال . ولذا عملت اسرائيل على توفير اكبر قدر من الاستقلال والتقليل من الاعتماد على الخارج . يقول آلون في هذا الصدد : « للاقتصاد السليم أهمية سياسية وعسكرية لان هناك علاقة وطيدة بين المصادر الاقتصادية وبين درجة الاستقلال القومي وبين هذين الاثنين معا وبين القدرة العسكرية للدولة وقدراتها على الاختبار النسبي للاستراتيجية المطلوب الدفاع عنها » . وان هناك « ضرورة لبناء الاقتصاد وتعميق الانتاج المحلي من المنتجات الحيوية ووسائل القتال .. وليس ذلك ضروريا لضمان مستوى معيشة مرتفع فحسب وانما هو ضروري ايضا لتخفيض ارتباط اسرائيل قدر الامكان بالدوائر الاجنبية كي لا تتأثر بالتغييرات المرتبطة بها وكي لا تقع تحت تهديد بالخطر مع تجاهل ضرورات تسليحها . ولهذا فان جهودا خطيرة تنتظرنا في المجال الاقتصادي ، اذ يجب ان لا نستبعد احتمال ظهور اختلاف في وجهات النظر وسوء تفاهم مع دول صديقة تريد استخدام نفوذها الاقتصادي في الجدل الدائر حول تخطيط حدود اسرائيل »(١٢).

وفي نجاح اسرائيل ـــ في تحويل البلاد الى دولة صناعية تعتمد في ميزانها التجاري على التصدير الصناعي قبل كل شيء ـــ دلالة على السعي نحو الاستقلال الاقتصادي . وتدل الخطوات التي انجزتها السلطات الاسرائيلية في بناء صناعة محلية للاسلحة بشكل واضح على رغبة اسرائيل في تحقيق اقصى درجة من الاكتفاء الذاتي في ميدان التسلح(١٣). والنقاش الذي دار في اواخر عام ١٩٧١ عن احتمال تنازل اسرائيلي مقابل اتمام صفقة شراء الفانتوم من الولايات المتحدة وما لحق ذلك من اصرار اسرائيلي على رفض اي تنازل مقابل الفانتوم(١٤) ما هو الا اشارة اخرى للاهمية المتزايدة لاحتمالات الاختلاف التكتيكي بين اسرائيل وحليفاتها .

ولكن يجب ألا يدفعنا هذا الى الاعتقاد بوجود تناقض استراتيجي بين الولايات المتحدة واسرائيل وحتى الحملة الاسرائيلية للضغط على امريكا لغرض عدم « بيع » مصالح اسرائيل من اجل تفاهم مع موسكو خاصة خلال زيارة نيكسون للاتحاد السوفياتي في أيار ١٩٧٢ ـــ هي من قبيل المناورة والتهويل ضمن التكتيك . فقد كتب أ. شفيستر في هآرتس بتاريخ ١٩٧٢/١/١٣ : « على الاسرائيلي القلق ان يثق بأن جميع الخطوات الاميركية ، حتى تلك التي أعدت للضغط على القدس ، ترتكز على اساس ان اسرائيل مصلحة وطنية للولايات المتحدة » واضاف « هذا لا يعني ان هناك وفاقا تاما بيننا وبينهم (الاميركيين) ، ولكن عدم الاتفاق ناتج عن الخلاف في الرأي بالنسبة الى السؤال : ماذا يقوي اسرائيل ، الاراضي أم التسويات ؟ امتيازات استراتيجية اساسها جغرافي ام اخرى يكون مصدرها افضليات تقنية واقتصادية وسياسية وثقافية ؟... »(١٥).

والوجه الاخر للنتائج المترتبة عن احتمال ظهور تناقض او اختلاف نسبي بين اسرائيل وحليفاتها من الدول الكبرى هو سعي اسرائيل لتصبح عنصرا ايجابيا ذا فائدة للغرب ، لا مجرد عالة انسانية تستدر الحنان والعطف . سيكون بيد اسرائيل في مثل هذه الحالة ورقة رابحة في معاملاتها مع حليفاتها في اي عملية مساومة سياسية كانت أم اقتصادية. ان العنصر الايجابي او الورقة الرابحة التي تلعبها اسرائيل هي في قيامها بدور الرديف او الوسيط للمصالح الاقتصادية والسياسية للغرب في العالم الثالث وتقدم اسرائيل نفسها في وجه ازدياد النفوذ السوفياتي كموقع متقدم في خدمة الغرب . قال ابا ايبان بتاريخ

١٩٧١/٤/١٨ في معرض حديثه عن العلاقة بين اسرائيل وامريكا : « لن تتخلى الولايات المتحدة عن اسرائيل ، لانها توصلت هذا العام الى استنتاج هو انها تدعم اسرائيل ليس لمجرد العطف عليها ، بل كما ذكر نيكسون للحيلولة دون خرق ميزان التسلح لان ذلك ضروري للمصالح الاميركية ، ولان أمن الولايات المتحدة قائم على الثقة بقدرتها على الردع في العالم فليست هناك دولة في اية قارة ، تثق بان الولايات المتحدة ستهب لمساعدتها ، اذا تخلت هذه عن أمن اسرائيل » . وقال : « ان اهمال اسرائيل معناه انهيار تام للثقة بالردع الاميركي في العالم . لذلك فان الولايات المتحدة ستعمل على مساعدة اسرائيل بناء على اعتبارات مصلحتها، وليس لاعتبارات العطف فقط، رغم الخلافات القائمة»(١٦). وقال ايجال ألون ومن المنطلق نفسه : « ان وجود دولة اسرائيل مستقلة قوية في قلب الشرق الاوسط وعلى شاطىء البحر المتوسط اصبح في صالح اميركة »(١٧).

وبازدياد الخدمات التي تقدمها او يمكن ان تقدمها اسرائيل لحليفاتها يزداد الدعم المقدم من هذه الدول لاسرائيل وتضيق شقة الخلافات المحتملة بالطبع .

رابعا : ضآلة نفوس سكان اسرائيل بالمقارنة مع عشرات الملايين العرب جعل اسرائيل بأمس الحاجة لمزيد من الهجرة لسد حاجة قواتها العسكرية من جهة وتوفير الايدي العاملة الاقتصادية من جهة اخرى . اضافة الى اعتبار تجميع يهود العالم في ارض اسرائيل هدفا ايديولوجيا(١٨). ولكن الدعوة لمزيد من الهجرة لاسرائيل ينطوي على تناقض يجسد الدوامة التي يعيشها الكيان الاسرائيلي . يقول المنطق الصهيوني ان ضرورات الامن تتطلب الهجرة ، ولكننا نلاحظ ان رقعة اسرائيل الجغرافية ومواردها الاقتصادية لا تسمح بهجرة واسعة ولاجل استيعابهم لا بد من مزيد من الارض وهذا يعني مزيدا من التوسع وبالتالي استمرار الحرب .

التحرك الاسرائيلي في افريقيا

يتم تحديد ابعاد التحرك الاسرائيلي في افريقيا على ضوء العلاقة الموضوعية بين الواقع الافريقي والاستراتيجية السياسية الاسرائيلية ، وكيف يمكن بعبارة اخرى لافريقيا ان تخدم أهداف الاستراتيجية الاسرائيلية ؟ وما هي الخطوات التي اتخذتها فعلا او يمكن ان تتخذها اسرائيل لتحقيق ذلك ؟

اولا : **اسرائيل في دور الدولة الصغيرة المتحررة** : توجهت اسرائيل في اواخر الخمسينات وبالتحديد عام ١٩٥٧ نحو افريقيا . ولهذا التوقيت علاقة بعاملين اساسيين ، فمن ناحية ، فتحت مضايق تيران وخليج العقبة بوجه الملاحة الاسرائيلية بعد حرب سيناء ١٩٥٦ ، الامر الذي يسر الاتصال البحري بين اسرائيل وشرق وجنوب افريقيا . وكانت هذه الفترة ــ من ناحية اخرى ــ تمهيدا لاستقلال معظم القارة الافريقية . وهكذا ــ ــ وبدون اضاعة الوقت ــ تحركت اسرائيل نحو افريقيا مستهدفة كسب صداقة القارة لها وبالتالي اعترافها ودعمها وقطع الطريق على اية محاولة عربية معاكسة . (راجع الجدول رقم (١)) .

استفادت اسرائيل في سعيها لكسب اعتراف الدول الافريقية وصداقتها من جملة عوامل ذاتية وخارجية : أ ــ سخر التأثير السياسي للدول الاستعمارية السابقة في بعض الدول الافريقية الفتية لمصلحة اسرائيل . فقد اعترفت مجموعة المستعمرات الفرنسية الثلاث عشرة المستقلة في ١٩٦٠ بدولة اسرائيل تحت تأثير فرنسا التي كانت تخوض انذاك حربا استعمارية ضد عرب الجزائر . وتعتبر ليسوتو وبوتسوانا الخاضعتان لنفوذ جنوب افريقيا والبرتغال من خيرة اصدقاء اسرائيل في افريقيا . ب ــ مبادرة اسرائيل السريعة لخطب ود الدول الافريقية حديثة الاستقلال وذلك بالاسراع في الاعتراف بهذه الدول بمجرد اعلان استقلالها مما ترك اطيب الاثر في نفوس ابناء هذه الدول المتعطشين للانتماء

الجدول رقم (١)

النمو والتوزيع الجغرافي للبعثات الدبلوماسية والقنصلية الاسرائيلية

المكان	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥٤	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٨
افريقيا	١	١	٢	٨	٢٧	٢٩	٢٩
امريكا الشمالية	٤	٣	٥	٧	١١	١٣	١٣
امريكا اللاتينية	٢	٨	١٣	٢٢	١٤	١٥	١٦
استراليا ونيوزيلانده	١	٢	٢	٢	٢	٢	٢
اوروبا الغربية	٩	١١	١٩	٢١	٢١	٢١	٢٣
اوروبا الشرقية	٦	٦	٧	٧	٧	٧	١
آسيا	—	١	٥	٧	٨	٩	٩
غيره	—	٥	٦	٦	—	—	—
المجموع	٢٣	٣٧	٥٩	٨٠	٩٠	٩٦	٩٣

المصدر: Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel, Setting, Images, Process*, London, Oxford University Press, 1972, p. 518.

لنادي الراشدين في عالم الدول المستقلة . ثم ان هذه الدول الفتية كانت بعيدة فكريا وعمليا عن ظروف نشأة اسرائيل وغالبا ما نظرت اليها كحقيقة واقعة وكعضو متساو في هيئة الامم . ان غياب مبادرة عربية سابقة له قد أثر بدون شك في تعزيز الموقف الاسرائيلي . ج ــ تعتبر اسرائيل اقامة تمثيل دبلوماسي بينها وبين افريقيا بمثابة بداية لعمل دؤوب ومستمر لكسب افريقيا ، وتسعى الحكومة الاسرائيلية الى تعيين عناصر كفوءة سياسيا واداريا في بعثاتها الدبلوماسية(١٩). وساعد ارتفاع المستوى الثقافي في اسرائيل وتوفر الكفاءات الثقافية المستوردة من الدياسبورا الى ملء البعثات الدبلوماسية بالعناصر المناسبة التي لا تنظر الى عملها بعقلية بيروقراطية استعلائية(٢٠). واعطيت البعثات الدبلوماسية الكثير من الصلاحيات التي تساعدها على التحرك السريع والمبادرة والبت بالقرارات دون ضياع الوقت في اجراءات روتينية تقلل ان لم تقتل مثل هذه الروحية في العمل(٢١).

وقد عملت اسرائيل على تهيئة مناخ نفسي مناسب في القارة السوداء يتقبل نشاطها السياسي والاقتصادي . فقد طرحت اسرائيل نفسها كبلد له ماض ومصالح متماثلة مع شعوب افريقيا السوداء ، فمعاناة الزنوج من الاضطهاد تتشابه ما قاساه اليهود من نزعة اللاسامية والاضطهاد . خاطب وزير خارجية اسرائيل وفدا من جمهورية افريقيا الوسطى يزور اسرائيل قائلا : « كل منا قطع شوطا طويلا في طريق التمييز والحزن والالم ــ البعض بسبب اللون والبعض الاخر بسبب الدين »(٢٢)، وبذات الوقت تصور الدعاية الاسرائيلية العرب كتجار عبيد ومضطهدين(٢٣)، وتشبه صراع افريقيا السوداء مع الاستعمار بصراع الصهيونية ضد الاستعمار البريطاني في فلسطين ، وكما انتصرت الاولى على بريطانيا انتصرت الصهيونية على الاستعمار البريطاني ، متناسية وجود الشعب الفلسطيني والعلاقة العضوية بين نشأة الكيان الصهيوني والدعم البريطاني ابتداء من وعد بلفور حتى التقسيم . وترغب اسرائيل في اعطاء الانطباع بأنها دولة صغيرة متقدمة محبة للسلام وليس لها أطماع استعمارية، وتقدم نفسها كنموذج جديد للتقدم في العالم الثالث ، وان التعاون معها لا ينطوي على سلبيات التعاون مع الدول الكبرى ، واقدمت اسرائيل في عام ١٩٧٠ على تقديم مساعدة رمزية بشكل تبرعات غذائية

وبطانيات وادوية الى منظمة الوحدة الافريقية ، الى جانب برامج التعاون والمساعدات الفنية والاقتصادية الاسرائيلية ــ الافريقية ، والتي سأتناولها بالبحث في فصل مستقل. وقد حققت السياسة الاعلامية الاسرائيلية نجاحا ملموسا في بعض الاوساط الحاكمة في افريقيا . فعندما انتقد مندوب احدى الدول العربية مندوب ساحل العاج في الامم المتحدة ببيع القضية الفلسطينية ، رد عليه مندوب ساحل العاج قائلا : « لعل مندوب العربية السعودية معتاد على شراء الزنوج ولكن لا يمكنه ابدا شراءنا »(٢٤). وصرح ليوبولد سنغور رئيس السنغال وعضو اللجنة الرباعية لتقصي الحقائق عند زيارته لاسرائيل في اواخر ١٩٧١ بأن الحركة الصهيونية تشابه نضال الزنوج وحركة القومية العربية وذلك باعتبارها حركة تحرر وطني(٢٥)، علما بأن ما يقرب من ٤٥٪ من سكان ساحل العاج و ٨٥٪ من سكان السنغال هم من المسلمين .

ثانيا : **اسرائيل في دور المساند للرجعية الافريقية** : وفي الوقت الذي تحاول اسرائيل استنفاد امكانية التحرك تحت ستار التقدمية والتحرر ، تعمل بشكل فعال ــ ولكن بهدوء ــ على ممارسة دور المساند والمدافع عن الانظمة الرجعية والعنصرية والخاضعة للنفوذ الغربي مثل اثيوبيا وجنوب افريقيا والكونغو (كينشاسا) ــ زئير ــ .

اسرائيل واثيوبيا : كرست اسرائيل الجزء الاكبر من تحركها السياسي والاقتصادي في افريقيا نحو اثيوبيا ، لا لقربها ولا لكونها الدولة الوحيدة المطلة على البحر الاحمر ولا لان لها علاقة ايجابية مع اسرائيل فحسب بل لوجود قاسم سياسي مشترك يتمثل في محاربة « الخطر السوفيتي » ومعاداة حركات التحرر الوطني في اريتريا والصومال .

تقول الدكتورة سوزان جتلسن استاذة الدراسات الافريقية في الجامعة العبرية : ان للبلدين هدفا استراتيجيا واحدا وهو ابعاد الاتحاد السوفياتي عن البحر الاحمر وكلا البلدين متعاطف ومتفهم لمشاكل البلد الاخر مع جيرانه ــ مشاكل اسرائيل مع الدول العربية ومشاكل اثيوبيا مع الصومال والسودان وجبهة التحرير الاريترية(٢٦). وفي هذه الاستراتيجية تلتقي كل من اسرائيل واثيوبيا بالمصالح الامريكية ، وتعتبر اثيوبيا على حد تعبير الياهو سلفطر مبعوث صحيفة هآرتس الى اديس ابابا ، ان التخريب السوفياتي يتم بواسطة العرب . لهذا السبب يهتم الاثيوبيون بالتغلغل الروسي في البحر الاحمر ويقلقهم ذلك ... وفي هذا المجال لا تلتقي المصالح الاثيوبية بالمصالح الاسرائيلية فقط ، بل تلتقي ايضا بمصالح الولايات المتحدة(٢٧). ولقد عبر عن اللقاء الاستراتيجي بين اسرائيل وحكام اثيوبيا عمليا بتغلغل اسرائيل عسكريا واقتصاديا في اثيوبيا . فصادرات اسرائيل الى اثيوبيا في ارتفاع مستمر والميزان التجاري بين البلدان هو لصالح اسرائيل.

الجدول رقم (٢)

صادرات وواردات اسرائيل الى اثيوبيا (آلاف الدولارات)(٢٨)و(٢٩)

السنة	الصادرات	الواردات
١٩٦٧	٣٦٣٧٤	١٦٤٥٦
١٩٦٨	٤٦٩٥٣	٢٦٠٧٥
١٩٧٠	٤٦٣٦٤	١٦٩٧٣
١٩٧١	٣٦٥٧٤	٢٦٠٩٠

ويغطي النشاط الاقتصادي لاسرائيل في اثيوبيا ميدان الزراعة والصناعة وارسال الخبراء . اذ ان شركتين اسرائيليتين متفرعتين عن شركة اميران الاسرائيلية تشاركان على اساس المناصفة بأضخم مشروعين اقتصاديين في اثيوبيا وهما في افارم ، مصنع الادوية في اديس ابابا ، ومزرعة القطن ومساحتها ٢٥٠٠٠ دونم . وقامت شركة

سوليل بونيه الاسرائيلية باعمال بناء مطار اديس ابابا ، والجامعة ، ووزارة الخارجية والملعب الوطني ، كما تقوم حاليا بانشاء طريق رئيسية بين اثيوبيا وكينيا . وتسهم اسرائيل في عدد من المصانع المحلية كمصنع للجلود ، ومصنع للمعاطف ، ومصنع لانتاج اطارات النوافذ والابواب من الالمنيوم . كما تهيمن شركة انكودا الاسرائيلية على تصنيع اللحوم في اريتريا .

ويمثل الدعم الاسرائيلي العسكري لاثيوبيا الوجه الاخر للعلاقة الاسرائيلية ـــ الاثيوبية . فالخبراء الاسرائيليون العسكريون يقومون بتدريب الجيش الاثيوبي علـى الحرب ضد العصابات وكذلك تدريب القوة البحرية الاثيوبية الحديثة النشأة ، ولعب المستشارون الاسرائيليون دورا بارزا في اعداد قوات الامن الاثيوبية . ويعلق ديـك رسل على دور المستشارين الاسرائيليين في الجيش الاثيوبي قائلا : « نادرا ما يدخل هؤلاء في اشتباك فعلي ... كان مثل هذا الاحتمال امرا بعيدا قبل خمس سنوات ولكنه اصبح الان [illegible]

نبيعها في أي حال من الاحوال » واستمروا في نضالهم من اجل شرح قضيتهم للرأي العام .. ومن خلال هذا الاصرار ، استطاع الفلاحون كسر طوق التكتم الذي فرضته سلطات الاحتلال وبايصال قضيتهم الى الرأي العام العالمي ، فقد ابلغوا حمدي كنعان رئيس بلدية نابلس السابق بقضيتهم وابلـغ هـذا بدوره الدكتور قان مراش احـد قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي عند اجتماعه به في اواخر شهر مايو بالقضية ، عند ذاك افلتت القضية من الطوق الذي فرضته سلطات الاحتلال ، الامر الذي احدث ضجة وانقسامات في الرأي بين الكتل السياسية الاسرائيلية المختلفة ، فقد قدمت القائمة الشيوعية الجديدة « راكاح » مؤيدة من قبل كتلة هعولام هزيه اقتراحا بحجب الثقة عن الحكومة بسبب العمل المشين في قرية عقربة ، الا ان الاقتراح فشل .

ومن الجدير بالذكر ان موشيه ديان قد اعترف بأن العمل الذي قامت به الطائرة الاسرائيلية باتلاف المزروعات يعتبر « عملا همجيا » خـلال الجلسـة التي عقدتها الحكومة الاسرائيليـة في ٧٢/٧/٩ ، الا ان اعترافه « بالهمجية » يجيء بعد فشل محاولات التكتم على ما جرى في قرية عقربة ، وبغرض اظهار ان السلطات العليـا تعارض هذه الاعمال ، واعتبر هذا العمـل « تجاوزا » قامت به بعض العناصر العسكرية ، وأنكر ان يكون الدافع من وراء ذلك بناء مستوطنة يهودية ، بالرغم من انـه على علم بالاجتماعين اللذين جريا في مدينة نابلس واللذين كشفا عـن الغرض من « العمل الهمجي » ، ومع ذلك فقد كذب وزير الزراعة حاييم جباتي ديان حين اعترف في ٧٢/٧/١٨ في الكنيست ردا على استفسار وجهه اليه عضو الكنيست اوري افنيري « انه يوجد في مكتبه اقتراح لاقامة مستوطنات يهودية على اراضي قرية عقربة » . يعلق الشيخ حسن سعيد على « العمل الهمجي » بقوله : اذا كان الجيش الاسرائيلي يريد ارضنا وابادة قمحنا فهل هذا يعني بأنهم يريدوننا بأن نصبح فقراء ؟ اننا مرتبطون بهذه الارض .. نعيش منها وهي لنا .. لم نشترها بل ورثناها عن آبائنا واجدادنا .. انني رجل ممن ناهز السبعين من عمري ، لقد عايشت عهد الاتراك والعهد البريطاني والعهد الاردني .. بيد ان أية حكومة لم تفعل ما فعلته الحكومة الاسرائيلية معنا . ماذا يريدون ؟ ان نموت ؟ » هذه قصة مشارف رفح ، وقصة قرية عقربة .. صورة مصغرة عن قصة فلسطين عام ١٩٤٨ ــ قصة فلاحين بسطاء يقفون في وجـه النازيين الجدد .

ع٠ م٠

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٧/١٢ — ١٩٧٢/٨/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق٠ت٠ش٠	٦/١٤	١٠٠٠	النقب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير سيارة بريد	—	—	—	م٠ع٠ف٠ العدد ٢ آب ٧٢	
٢	ق٠ت٠ش٠(١)	٦/٢٤	١١٠٠	النقب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير باص لنقل الجنود	—	—	—	م٠ع٠ف٠ العدد ٢ آب ٧٢	
٣	ج٠ش٠ت٠ف٠	٧/ ٩	١٩٠٠	حيفا	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة	تدمير ثلاث عربات في محطة القطارات المركزية	—	—	—	هـ٠ العدد ١٦١	٧/٢٢
٤	ج٠ش٠ت٠ف٠	٧/ ٩	٩٠٠	مكابيا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	هـ٠ العدد ١٦١	٧/٢٢
٥	ج٠ش٠ت٠ف٠	٧/ ٩	٨٠٠	اوريهودا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٢ اصابة	حرق سبع محلات تجارية	—	—	—	هـ٠ العدد ١٦١	٧/٢٢
٦	ج٠ش٠ت٠ف(٢)	٧/ ٩	٨٠٠	رامات غان	تفجير	عبوات ناسفة	٧ اصابات	احتراق معمل للنجارة	—	—	—	هـ٠ العدد ١٦١	٧/٢٢
٧	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٤	٢٤٠	القنيطرة/الجولان	قصف	قذائف صاروخية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف٠ث٠ العدد ٥	٧/٢٦
٨	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٤	٢٤٠	معسكر عين الواويات/الجولان	هجوم	اسلحة مختلفة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	ف٠ث٠ العدد ٥	٧/٢٦
٩	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٥		الفالوجا	اقتحام بنك محاليخا	رشاشات وقنابل يدوية	غير محدود	غير محدود	—	—	—	وفـا	٨/١٠
١٠	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٦		بني براق/تل ابيب	اشعال نيران	—	—	حرق مصنع للصوف	—	—	—	وفـا	٧/١٧
١١	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٧		هرسيليا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النيران في مصنع اسبر لصناعة المواد البلاستيكية	—	—	—	وفـا	٧/١٨
١٢	ج٠ش٠ت٠ف٠	٧/١٧		النصيرات/غزة	اشتباك	اسلحة مختلفة	غير محدود	—	١	—	—	هـ٠ العدد ١٦٣	٨/ ٥
١٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٧	١٢٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من مسرح قاعة « هيما »	—	—	—	وفـا	٨/١٠
١٤	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٨	١٦٣٠	بين طولكرم وناتانيا	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدود	اعطاب باص لشركة ايجد	—	—	—	ف٠ث٠ العدد ٥	٧/٢٦
١٥	ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/١٩		جبين/الجولان	هجوم	هاون وقذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محدود	غير محدود	—	—	—	وفـا	٧/٢٠

١٦ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/٢٢		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النيران في بناية في سوق بيشكيل	ــ	ــ	ــ	وفــا	٧/٢٢
١٧ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/٢٢	٢٢٠٠	شحونات بينيامينا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/١٠
١٨ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/٢٣	١٢٠٠	ريشيون لتصيون/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	حرق مصنع للنسيج	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/١٠
١٩ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٧/٢٧	٢١٠٠	رامات غان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من بناية في شارع يهودا	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/١٠
٢٠ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٨/ ١	٥٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	اشعال النيران في مبنى الصندوق القومي	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/ ٢
٢١ ــ م٠ا٠ا٠	٨/ ٤		تريستا/ايطاليا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير خزانات البترول واشعال النيران فيها	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/ ٥
٢٢ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠	٨/ ٥		قبلان/نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدود	تدمير جزء من مبنى دائرة العمل	ــ	ــ	ــ	وفــا	٨/ ٦

---

١ ــ كما أعلنت قوات التحرير الشعبية عن مسؤوليتها عن العمليات التالية كما ورد ذكرها في جدول الشهر الماضي :

أ ــ عملية رقم ٨ بتاريخ ٢ /٦

ب ــ عملية رقم ١٠ بتاريخ ٦/١٠

٢ ــ وردت هذه العمليات بعد صدور الجدول الماضي ولذلك راينا ادخالها في مطلع هذا الجدول .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ ــ ق٠ت٠ش٠ : قوات التحرير الشعبية .

٢ ــ ج٠ش٠ت٠ف٠ : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٣ ــ ق٠ع٠ق٠ث٠ : القيادة العامة لقوات الثورة .

٤ ــ م٠ا٠ا٠ : منظمة ايلول الاســود .

٥ ــ م٠ع٠ف٠ : المجلة العسكرية الفلسطينية وتصدر شهريا عن ادارة الشــؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني .

٦ ــ هـ٠ : الهدف مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

٧ ــ ف٠ث٠ : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٨ ــ وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليـــات

[١]

على هامش قضية كفربرعم :

« لا دولة يهودية ولا صهيونية بدون طرد العرب ومصادرة أراضيهم ! »

تأخرت اجراس الكنائس في اعلان موت العدالة في اسرائيل .. تأخرت كثيرا . ذلك ، لان الشكل الذي انشئت به اسرائيل والمضمون الذي تحمله ، منذ البداية ، يتناقض مع أصول العدالة . ان العدالة مغدور بها منذ حوالي خمسة وعشرين عاما على ارض فلسطين .

وقد تكون قضية قريتي كفر برعم واقرت دليلا طازجا ومستمرا على ان مطلب العدالة من الصهيونية ليس مطلبا عسير المنال فحسب ، ولكنه ايضا يحمل الصهيونية صفات أخلاقية غريبة عنها .

ان أهم شيء في هذه القضية هو ان طرح موضوع العدالة .. مجرد طرحه لا يتم الا بالنضال الدائب. وهذا النضال وحده هو الذي جعل أجراس الكنائس تقرع ، هذا الشهر ، احتجاجا على موت العدالة ، وان جاء متأخرا ولكنه صالح الى ان يشتد النضال ويتصاعد دفاعا عن اقدس انتماء وهو الانتماء الى الارض التي لا يكون وطن بدونها .

وليست هذه القضية — قضية كفربرعم واقرت — موضوعا طارئا . ليست قضية لاجئين في وطنهم . ليست قضية فلاحين تعرضوا للظلم . ولكنها قضية جوهرية تمس قلب الفكر والتطبيق الصهيونيين على أرض فلسطين ، وتهز هيكل الدعوى الصهيونية من اركانه الاساسية . انها قضية حق عربي لا يكون حله ممكنا الا بالغاء حق آخر يدعيه طرف آخر. ماذا حدث في كفربرعم ؟

وما هي كفربرعم اولا ؟.

تقول لافتة منصوبة في مكان ما من ارض كفر برعم — أصدرها مكتب رئيس الحكومة : « أيام الهيكل الثاني — كانت هنا مستوطنة يهودية — واحدة من مستوطنات كثيرة في الجليل الاعلى . ان بقايا الكنيس منذ القرن الثالث تشهد على مستوى الحياة العالي للمواطنين هنا حتى بعد خراب الهيكل » . وينقطع التاريخ فجأة . وتمر عدة قرون لا تعترف بها اللافتة الاسرائيلية . وكأن كفر برعم قفزت مرة واحدة من الهيكل الثاني الى دولة اسرائيل . وكأن التاريخ كان نائما طيلة قرون .

في نوفمبر ١٩٤٨، دخلت وحدة من الجيش الاسرائيلي قرية كفربرعم دون أن تتعرض لاية مقاومة من جانب السكان . بعد اسبوعين من الاحتلال الاسرائيلي صدر امر باخلاء القرية من سكانها العرب . وقيل لهم : ان الاخلاء مؤقت .

وفي الثالث عشر من عام ١٩٤٩ بعث مستشار رئيس الحكومة الاسرائيلية للشؤون العربية رسالة الى سكان كفر برعم جاء فيها : « بسبب الاعتبارات الامنية فليس من الممكن اليوم السماح لكم بالعودة الى القرية » . وفي الوقت ذاته كان ينشأ في القرية العربية جنين لاقامة كيبوتس يهودي .

ما هي هذه الاعتبارات الامنية ؟.

يقول يغال ألون ، فيما بعد ، ان الذي جرى جرى اثناء الحرب . وكان الون يكذب بلا حياء . فلم تجر في كفربرعم اية معركة . وسكان هذه القرية لم يهربوا من بيوتهم . لقد أخرجوا منها بالقوة ، وبعد

انتهاء معارك ٤٨ . ومن هنا ، لا تكون حجة الأمن الا ذريعة للاستيلاء على القرية واراضيها .

وفي عام ١٩٥١ قدم اهالي كفر برعم — الذين أصبحوا لاجئين في قرية اخرى — طلبا الى محكمة العدل العليا يطالبون فيها باصدار قرار بالعودة الى قريتهم . وأصدرت أعلى هيئة قضائية في اسرائيل قرارا يعترف بحق أهالي كفر برعم بالعودة الى قريتهم . ولكن هذا القرار غير قابل للتنفيذ بسبب صدور امر عسكري يعلن المنطقة « منطقة مغلقة ». وقد صدر هذا الامر العسكري على عجل لابطال مفعول قرار محكمة العدل العليا . وهذه طريقة متبعة في اسرائيل في كل القضايا التي لا تستطيع محكمة العدل العليا الا الاعتراف بعدالتها ، فتلجأ السلطات العسكرية الى التخلص من مسؤولية القرار باصدار امر عسكري ، لان مصطلح « الاعتبارات الامنية » شديد القدسية في اسرائيل . وقد نشرت مجلة « حوتام » (٧/٧) وثيقة غير منشورة من قبل عن قضية قرار محكمة العدل العليا في حينه « في ٥١/٨/٣٠ توجهنا الى محكمة العدل ، ويوم صدور القرار لم يكن هنالك أي منع قانوني لعودتنا الى القرية . وفي ٥١/١١/٧ ادعت الحكومة ان منطقة كفربرعم قد اعلنت منطقة امنية بناء على القانون الصادر في ٥١/١٠/٢٩ . وقد رفضت محكمة العدل العليا هذا الادعاء . فقدمت الحكومة ادعاء اخر وهو : ان منطقة كفر برعم منطقة مغلقة منذ ٥١/٨/٢ . قال السكان ان هذا القانون لم ينشر ، ولذلك لا قيمة له . وفي ٥١/١٢/٦ نشرت الحكومة هذا القانون في الوقت الذي تأجل فيه انعقاد المحكمة الى حين صدور القرار في ٥١/١٢/٣ . ولقد تأجلت المحكمة لمدة ثلاثة أيام بتدخل من الحكومة ، فسرى مفعول القانون » . وفي ١٦ ايلول ١٩٥٣ قامت وحدة من الجيش الاسرائيلي بنسف القرية ، لخلق احتمال بنسف القضية كلها من أساسها .

وفي تشرين الثاني جرى اجتماع في مدينة الناصرة بين وجهاء قرية كفر برعم وبين الحاكم العسكري ومساعد المستشار للشؤون العربية ومدير دائرة الاراضي في وزارة الزراعة . اقترحوا على الاهالي أن يأخذوا دونما مقابل دونم في اراضي قرية الجش، ولكنهم رفضوا . فاقترحوا عليهم أن يحصلوا على قروض بعيدة الامد ، فرفضوا . طالبوا باعادتهم الى قريتهم ، ولكن طلبهم رفض « الى ان يتحقق السلام » . وفي عام ١٩٦٢ بنت الحكومة ٥٠ وحدة سكنية في قرية الجش لسكان قرية كفر برعم . ولكنهم رفضوا اي حل عدا عودتهم الى قريتهم .

في كانون الاول ١٩٦٦ — أعلن ليفي اشكول رئيس الحكومة آنئذ عن الغاء الحكم العسكري . ولكن منطقة كفر برعم ظلت منطقة مغلقة للحيلولة دون خلق « قاعدة قانونية » لتنفيذ قرار محكمة العدل العليا .

وفي كانون الثاني ١٩٦٨ يقدم اهالي كفر برعم بعض التنازلات . يطلبون من رئيس الحكومة ومن وزراء اخرين طلبا بالسماح لهم ببناء بيوت قرب القرية المهدومة والحصول على جزء من اراضيهم السابقة، ذلك الجزء الذي لا يستثمره المستوطنون اليهود . وطلبوا تعويضا عن الجزء الاخر بشكل ارض بعيدة عن ارضهم . ولكن مستشار الشؤون العربية يبلغهم ، بناء على أمر من رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، بأنه لا امكانية للاستجابة لهذا الطلب .

بعد أكثر من عشرين سنة من حرمان اهالي كفر برعم من العودة الى أرضهم التي يستثمرها مستوطنون اسرائيليون ، نشأت قضية اخرى وهي ما يدعيه هؤلاء المستوطنون من حق على الارض ذاتها . وينطوي هذا الصدام على تلخيص كل قضية اغتصاب فلسطين . الجانب الاسرائيلي يقول الان انه اكتسب « حق » الامر الواقع ، فهل يكون الصراع ، اذن ، بين حقين ؟ . بالطبع ، لا ، فليس ثمة صراع بين حقين . ان الصراع يجري بين حق وباطل . فادعاء الحق الاسرائيلي قائم على الاغتصاب . واستخدام كل احابيل القوانين العسكرية والاحتيال بشتى الاساليب لتمكين عنصر الزمن من خلق امر واقع — كما حدث في كفر برعم وغيرها — ليس مبررا شرعيا ولا اخلاقيا لطرح قضية الحق الاسرائيلي الذي انتقل من ادعاء الحق التاريخي الى ادعاء حق الامر الواقع .

من هنا، يقول سكرتير كيبوتس « برعام » القائم على أرض كفر برعم : « عندما تقرر الحكومة العمل على حل المشكلة ، فان برعام طرف في الامر » . ويقول ملحق صحيفة « عل همشمار (٧/٧) : ان أهالي كيبوتس برعام ليسوا مسؤولين عن الظلم الذي لحق بأهل كفر برعم ، وليسوا مسؤولين عن الحل » .

فما هو الامر بالنسبة لسكان هذا الكيبوتس الذي

اقتطع جزءا كبيرا من أراضي كفر برعم ومساحتها ١١٫٥٠٠ دونم (حسب الاحصاء الاسرائيلي) واقتطع كيبوتسان اخران الجزء الباقي من الارض ؟ يقول ملحق « عل همشمار » بأن محصول الفواكه من أرض هذا الكيبوتس قد بلغ هذا العام ٢٠٠٠ طن . واقام في السنوات الاخيرة منشآت ضخمة للتبريد وصيانة الفواكه « ولا يتصور أبناء كيبوتس برعام امكانية العيش بدون الفواكه » ، وهم بعيدون عن التفكير بالتنازل عن هذه الزراعة مقابل زراعة اخرى في ارض بعيدة » ! وتضيف الصحيفة « اما فيما يتعلق بالمراعي فانهم يفكرون بامكانية التنازل » ! ان هذا الكلام ذو مغزى . فان الصحيفة الناطقة بلسان حزب الكيبوتسات تريد أن تواجه مأساة اهالي كفر برعم باحتمال وقوع « مأساة » جديدة لاولئك السكان الذين يستثمرون اراضي كفر برعم . والواقع ، ان موقف « هشومير هتسعير » أصبح شديد الحرج . وتقول مجلة « هعولام هزه » (٧/٥) ان وزراء الدفاع في اسرائيل كانوا دائما يصرون على ضرورة ابقاء مفعول انظمة الطوارىء التي تبقي كفر برعم وأقرت بموجبها مناطق مغلقة . والان ، بعدمسا انتقل موضوع هذه الانظمة الى لجنة الخارجية والامن لتجديدها أعلن موشه ديان فجأة انه انتهت الحاجة اليها ، ومن الممكن الغاؤها . وتقول المجلة ان السبب في ذلك يعود ، في الغالب ، الى أن ديان يريد الانتقام من « هشومير هتسعير » الذي اثار ضجة حول مداخل رفح ، في الوقت الذي يجلس فيه على أرض مغتصبة من كفر برعم . وتعلق المجلة على ذلك بقولها : « اذا كانت متطلبات الامن تتغير ، في ليلة ، وفقا لحسابات حزبية وشخصية — فما هي فائدتها .. وما هي قيمتها الاخلاقية ؟ ولكن ديان استطاع ان يضع « هشومير هتسعير » والمبام في امتحان اخلاقي صعب ، اذ لا فرق بين كفر برعم وبين مدخل رفح الا فارق الزمن فقط . فالحادثان متشابهان . فهنا وهناك تم طرد السكان بعد انتهاء المعارك وفي فترة الهدوء . وهنا وهناك تم استغلال شعارات امنية كاذبة لطرد عاملي الارض من أرضهم . وهنا وهناك ليس بوسع قوة التعويضات والاسكان في مكان اخر ان تمحو الظلم . وهنا وهناك لا طريق الا : اعادة المنفيين الى بيوتهم » .

لا يحتاج المرء الى كثير من الجهد للتدليل على مدى الكذب السافر في ادعاءات السلطات الاسرائيلية التي تبرر اغتصابها لاراضي القرية باعتبارات امنية . ولكن هذه السلطات لا تستطيع ان تخفي اعتبارات اخطر لاصرارها على المضي في عملية الاغتصاب ، وهي : ان قرية كفر برعم ليست حالة واحدة ، فهنالك أكثر من عشرين قرية تشبه حالتها حالة كفر برعم . وفي جوهر الامر ، ليست كفر برعم الا نموذجا ومثالا لكل عملية اغتصاب فلسطين . وقد صرح الجنرال حاييم بارليف (٨/٨) « قبل كل شيء هناك قضية امنية . توجد اهمية كبرى لعدد قرى الاقليات مع الحدود اللبنانية ، ويجب عدم زيادة هذا العدد . وبالاضافة الى الناحية الامنية — هناك قضية اخرى تتعلق بسكان ابعدوا هم ايضا عن قراهم مثل اهالي كفر برعم اثناء حرب ٤٨ . ان هذا الوضع يشكل مأساة بالنسبة لهؤلاء ، وقضية صعبة ومستعصية بالنسبة لدولة اسرائيل. فاذا ما قمنا باعادة أهالي كفر برعم الان فاننا نكون قد سجلنا سابقة .وهناك قرى اخرى لا اعرف بالضبط عددها ابعد اهاليها . فماذا نقول لهم ؟ هل نقول لهم اننا سمحنا لاهالي كفر برعم بالعودة لانهم موارنة ، ولن نسمح لكم لانكم مسلمون » .

وفي اجتماع حزب العمل (٨/١٠) قالت رئيسة الوزراء غولده مئير : « لم يكن سبب مجيئي الى هنا شعوري بتأنيب الضمير او الخزي للقرار الذي اتخذته الحكومة (ضد عودة اهالي كفر برعم) . لقد عاد شعب اسرائيل الى أرضه وأخذ يعيد بناءها ، وان اية ضجة تحدث لن تقدر على تشويه الاساس الاخلاقي للحركة الصهيونية » .

وقد عبرت صحيفة يديعوت احرونوت (٧/١٤) بصراحة تامة عن المفهوم الاخلاقي للصهيونية الذي تباهت به غولده مئير . في مقال ليشعياهو بن نورات كتب : « من واجب القادة الاسرائيليين ان يفهموا الجمهور ، بصراحة وشجاعة ، عددا من الحقائق التي طمست بمرور الزمن . وأولها — انه ليست هنالك صهيونية ، وليس هنالك استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة اراضي » !

واجمع كثير من المعلقين الاسرائيليين على «خطورة» الاستجابة لمطالب قريتي اقرت وكفر برعم ، اعتقادا منهم ان مثل هذه الاستجابة ستكون سابقة تقلب الوجود الاسرائيلي رأسا على عقب . فان مبادىء العدالة ، في مثل هذه الحالات ، تتنافى مع

مبادىء الصهيونية وطبيعة نشوء اسرائيل . كتبت « هآرتس » (٧/٢) : « قد تفسر عودة اهالي اقرت الى قريتهم بأنها رضوخ للضغوط من جانب الحكومة . وان رضوخا كهذا قد يشجع مزيدا من الضغوط . فماذا سيكون شأن عرب آخرين أجلوا عن قراهم سنة ١٩٤٨ ؟ ماذا سيكون شأن اولئك الذين اضطروا الى ترك أملاكهم ويريدون العودة اليها ؟ . ومن يستطيع ان يطلب تسييج المناطق في رفح سنة ١٩٧٢ اذا كانت العجلة تعود الى الوراء في اقرت ؟ » .

« ولنفرض ان الحكومة استجابت لهم ، فماذا سيحدث غدا لسكان قرى اخرى مهجورة ؟ ألن يتقدم دروز بيت جن غدا بطلب مماثل ؟ في اوائل الخمسينات صادرت الحكومة الاف الدونمات التي يملكها الدروز بالقرب من روش بينا لاسباب أمنية ، يستطيع أصحاب هذه الاراضي السابقون ان يطلبوا العودة اليها الان . وفي قرية الرامة يسكن لاجئون هجروا قراهم زمن الحرب . وليسوا بحاجة الى السفر عشرات الكيلومترات ليشاهدوا حقولهم . بوسعهم ان يشاهدوا كيف تزرع الكيبوتسات اليهودية حقولهم من الاكواخ التي يسكنونها » (دافار ٧/٤) .

وعبرت صحيفة « دافار » (٧/٥) عن المخاوف الصهيونية من مبدأ اعادة اهالي كفر برعم الى قريتهم بقولها : « ان التبرير الاكبر هو الاسبقية ، فاذا سمحنا لسكان كفر برعم واقرت بالعودة بعد ٢٥ سنة ، فسنخلق وضعا أساسيا ، قد تكون له انعكاسات على قضية اللاجئين بأكملها . ماذا سنقول عندئذ لعرب يافا ، الذين سيطالبون بالعودة الى اماكنهم أفمن الواضح كالشمس أنهم سيعتمدون ، في مطالبتهم ، على حالتي كفر برعم واقرت » .

هذا هو لب القضية كما يراه الفكر الاسرائيلي ــ الصهيوني ، فالقضية المطروحة تنطوي على مبدأ وليس على محاولة لاصلاح ظلم وقع بحق قريتين عربيتين ، وهذا المبدأ يتنافى مع الدعائم التي تقول عليها اسرائيل « لا صهيونية ، ولا استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة الاراضي » كما تقول «يديعوت احرونوت». واما موافقة يغال ألون نائب رئيس الحكومة على اعادة اهالي كفر برعم واقرت فليست ناجمة عن اعتراف بمبدأ . بل هي ناجمة عن حسابات حزبية. فقد صرح ألون في حديث تلفزيوني بأنه « اذا قدمت طلبات جديدة للحكومة ، بالاضافة الى الطلب الذي تقدم به اهالي كفر برعم واقرت ، فسأصوت ضد هذه الطلبات . وانا اعتبر قضية كفر برعم واقرت قضية خاصة ووحيدة في نوعها » .

قضية كفر برعم واقرت ليست قضية خاصة ووحيدة في نوعها . انها قضية شعب فلسطين .

[٢]

اسرائيل .. وخروج السوفييت من مصر

« الروس ذاهبون ، ونحن باقون » .

بهذه الصيغة الجارحة ، عبرت رئيسة حكومة اسرائيل غولده مئير عن فرحة رد الفعل الاسرائيلي الاول على قرار انهاء مهمة الخبراء السوفييت في مصر . وبدا لغولده مئير ان الفرصة أصبحت مواتية لدعوة الرئيس المصري الى الجلوس معها « لبذل جهد مشترك من أجل التوصل الى اتفاق » في خطاب القته في الكنيست في ٧/٢٦ . وبعد مناقشة استغرقت خمس ساعات قررت الكنيست ، باغلبية الاصوات ، الموافقة على دعوة غولده مئير الى الرئيس المصري « للدخول في مفاوضات مع اسرائيل ، بدون شروط » .

ولقد تراوحت ردود الفعل الاسرائيلية على خروج الخبراء السوفييت من مصر بين مدى الامال التي ينبغي لاسرائيل ان تعلقها على أبعاد هذا الحدث. بين المبالغة في الامال والاسراف في اليقين وبين التحذير من اغراء الامال دارت معظم تعليقات الصحف الاسرائيلية . فان صحيفة « هآرتس » تميزت في تعليقاتها بالحذر . كتبت في ٧/٢٠ : « ان الطريق لا تزال طويلة من الان حتى تصفية الوجود السوفييتي في مصر او ابتعاد مصر الكامل عن الاتحاد السوفييتي . علينا ان نتذكر ان الوجود السوفييتي في مصر مؤلف من قوس قزح واسع للغاية . ويشكل العنصر العسكري « احد مركباتها

فقط » . ولكن صحيفة « دافار » ٧/٢١ ترى « ان في خطوة السادات ايجابية مزدوجة من وجهة النظر الاسرائيلية . فحسن أن العلاقات بدأت تتأزم بين مصر والاتحاد السوفييتي . وحسن ان هذا التطور تدريجي ومنضبط . ان مجرد سوء العلاقات يقلل ضمنا خطر التدخل السوفييتي في حرب مباشرة ضد اسرائيل الى جانب مصر . وبالاضافة الى ذلك فان كون اتجاه السوء في العلاقات منضبطا يمنع انفجارا مصريا خطرا نحو حرب يائسة ضد اسرائيل ، او تحولا دراماتيكيا نحو الولايات المتحدة » .

وعبرت رئيسة تحرير « دافار » في العدد ذاته عن ارتياحها « لان النفوذ السوفييتي في العالم العربي عامة . وفي مصر خاصة ، هو عامل سلبي بالنسبة الى اسرائيل . فهو من ناحية عسكرية عنصر مقيد ، ومن ناحية الاقتصاد الوطني فرض علينا اعباء امنية باهظة . ومن ناحية سياسية كان مصدرا دائما لضغوط متوقعة على اسرائيل . وبالنسبة الى الولايات المتحدة ردعها من احتمال حصول اي مجابهة بين الدول الكبرى . ولقد ولد مشروع روجرز على خلفية هذا الروح ، اكثر من كونه ناشئا على خلفية أمل الولايات المتحدة في كسب نفوذ في مصر . وعلى هذا الاساس فان الخوف من ضغوط اميركية على إسرائيل نتيجة طرد السوفييت من المنطقة ليس له وزن يذكر . ولو كان له وزن ، لما أمكن مقارنته ابدا مع الفوائد المتوقعة من طرد السوفييت من المنطقة » . كيف تواجه اسرائيل نتائج خروج السوفييت من مصر ؟ .

لقد انتهزت غولده مئير هذه الفرصة لتعلن دعوة مصر الى مفاوضات مباشرة بدون شروط .. واعترض المعلق السياسي يوئيل ماركوس في صحيفة « هآرتس » ٧/٢٦ على هذه الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل على التطورات الخطيرة الاخيرة « ليست هذه هي الطريق التي ينبغي السير فيها . ليس المطلوب الان اطلاق البالونات ، بل المبادرة العملية من جانب اسرائيل للتسوية . لان خطوة السادات هو أمر ملموس ، تستدعي الرد بخطوة ملموسة وليس باطلاق البالونات فقط » . ويشرح المعلق السياسي ضرورة قيام اسرائيل بمبادرة سياسية للاقتراب من التسوية بقوله « ان خطوة السادات كانت مرحلة لا بد منها في السياق الذي بدأ منذ عام بصحوة القيادة المصرية من الامل في كسر الجمود بواسطة حرب يشترك فيها السوفييت او يساندونها على الاقل . ويقول الكاتب انه ليس مهما الان ان نعرف اذا كان السادات قد درس خطواته ، او اذا كان قراره نتيجة ضغط من قادة الجيش . المهم هو دراسة الوقائع وهي تشير الى أن السادات قد تحمل بقراره عدة مخاطر هي : أولا : بطرده المستشارين الروس من جبهة القناة قد حرر اسرائيل من كابوس المواجهة مع جنود سوفييت في حالة نشوب حرب .

ثانيا — أصبحت مصر مكشوفة أكثر أمام سلاح الطيران الاسرائيلي ، لانها أزاحت عنها الغطاء الجوي الذي ضمنه الاتحاد السوفييتي .

ثالثا — لقد بدأ ينتهك جزء من معاهدة الصداقة مع الاتحاد السوفييتي ، تلك المعاهدة التي تضمنت انشاء قواعد للاتحاد السوفييتي مكنته من الوجود في البحر الابيض المتوسط ضد الامريكيين . ولا يعرف رد فعل روسيا ، هل تترك هذه القواعد ؟ .. رابعا — بتنفيذ قرار الابتعاد فانه يخاطر في أن الاتحاد السوفييتي سيرد على خطواته بشدة ، بشكل تحديد تزويده بالسلاح .

فماذا يترتب على اسرائيل ان تفعل الان في هذه الظروف الجديدة ؟ .

يقول كاتب « هآرتس » : « من ناحية اسرائيل يجب ان تكون هذه اللحظة ملائمة لخطوة سياسية في اتجاه التسوية ، للاسباب التالية :
١ — لان السادات قام بعمل ملموس من شأنه أن يؤدي الى ابعاد الحرب .

٢ — لانه خاطر في أن يكون الرد السوفييتي عنيفا ، الامر الذي يترك فراغا في مصر من ناحية المساعدة العسكرية والسياسية .

٣ — لان هذا الفراغ قد يغري الولايات المتحدة . وقد يجر ضغطا امريكيا على اسرائيل .

٤ — لان هذه الاسباب الثلاثة تدل على أن السادات قد خطا خطوة الى الامام في اتجاه التسوية بطرق سياسية » .

واختتم الكاتب مقاله بقوله : « من الحماقة الا تستغل اسرائيل التطورات الجديدة في مصر من أجل تقريب التسوية . فعلينا أن نقدر خطوة السادات الشجاعة وأن نأخذ بعين الاعتبار وضعه

الحساس . ان دعوة العرب إلى الدخول في مفاوضات بدون شروط مسبقة تشبه دعوة العرب الى الزحف على ركبهم . ولكن السؤال لا يدور حول التكتيك الذي ينبغي علينا اتباعه . السؤال هو : ماذا تريد اسرائيل فعلا ؟ هل هي مستعدة حقا للتنازل عن جزء من المناطق ؟ أم أنها تفضل الحديث عن السلام والبقاء في المناطق ؟ لا توجد اجابة قاطعة على هذه الاسئلة . عندنا حكومة ممتازة للحظات الحرجة في ساحة القتال ، ولكن يبدو ان هذه الحكومة غير مؤلفة للتسوية وللمفاوضات المرنة . وافضل برهان على ذلك هو أنها لا تميل إلى استغلال ظروف جديدة من اجل التسوية » .

وتوقع المعلق بولس في « هآرتس » ٧/٢١ أن يؤدي قرار السادات الى تجدد المساعي الدبلوماسية في الشرق الاوسط للتوصل الى « تخفيف التوتر بين مصر واسرائيل » ويعرب عن اعتقاده في أن « الولايات المتحدة لن تضغط على السادات اكثر مما ينبغي وستفضل ان تتركه يعزز مركزه الداخلي قبل ان يتخذ خطوة اخرى ، الى ان يصبح سهلا لتأثير امريكي في اتجاه تسوية سلمية » . ويقول المعلق السياسي : « لن نفاجأ اذا زادت الاحداث الاخيرة العطف الذي تكنه واشنطن للسادات . ان بعض الشخصيات في وزارة الخارجية الامريكية الذين كانوا يقولون دائما ان بوسع الولايات المتحدة أن تعيد احتلال موقع النفوذ في القاهرة، يستطيعون القول الان انهم لم يخطئوا . وسترتفع أسهم السادات في البورصة السياسية الامريكية » . وحذر بولس من الاعتقاد القائل ان ضرب الجيش المصري الان يستطيع ان يدفع مصر للجلوس الى مائدة المفاوضات على معاهدة الصلح « لقد ابتعدت ساعة الحرب . ومبادرة عسكرية من جانب اسرائيل لاخضاع القاهرة تنقصها الظروف السياسية الملائمة » .

ويرى المعلق السياسي في « يديعوت احرونوت » ارئيل غينائي ان خطوة السادات تهدف الى تحقيق ثلاثة أهداف : « ١ — تقوية هيبة النظام ، بتحويل السادات الى الرجل الذي حرر مصر من الوصاية الروسية ، مقابل عبد الناصر الذي طرد الانجليز، ولكنه جاء بالروس . ٢ — كسب الوقت ، فالان يمكن تحميل موسكو المسؤولية عن تأجيل تحرير الارض العربية المحتلة ، وضرورة البحث عن مصدر جديد للسلاح . ٣ — شق طريق الى الغرب ، الى الولايات المتحدة والى اوروبا الغربية ، على أمل أن يأتي الخلاص من هناك ، المساعدة السياسية المطلوبة ، وربما المساعدة الاقتصادية والعسكرية ، الامر الذي يمكن مصر من عزل اسرائيل وتعريضها للضغط » . (٧/٢١) .

وعن الموقف الامريكي يقول معلق « يديعوت احرونوت » : « من الواضح ان للامريكيين أسبابا غير قليلة للرضا عن الوضع . فالضربة الكبيرة التي أنزلت بالسوفييت ترافقها نجاحات امريكية في أمكنة اخرى في الشرق الاوسط والعالم العربي ، ولكن ، لا يحتاج الامريكيون الى التظاهر برضاهم، فالعلاقات بين القاهرة وواشنطن لم تكن حسنة ابدا قبل حدوث التحول الكبير — اعلان السادات عن طرد الروس . ان الامريكيين ، بمحافظتهم على الصمت الحذر والتصريح بأن المسألة أمر مصري داخلي — يتيحون لمصر امكانية وفرصة السير نحوهم . ويبدو لنا ان مصر ستسير نحو الامريكيين ان عاجلا ام آجلا » .

ويضيف الكاتب : « يمكن التكهن بأن الرد الامريكي سيكون منضبطا اكثر بسبب الانتخابات ، فالبيت الابيض ليس مستعدا للقيام بأي شيء يؤدي الى عداء الصوت اليهودي لنيكسون . ولكن ماذا بعد نوفمبر ؟ من الممكن الاعتقاد ان الميل الطبيعي للامريكيين لاعادة مشروع روجرز الى مائدة المباحثات سيلجمه عاملان تحولا الى عوامل هامة في السياسة الامريكية : ١ — فكرة ان تسوية شاملة لا يمكن ان تتم دفعة واحدة ، بل يجب ان تسبقها تسوية جزئية يكون فتح قناة السويس جوهرها . ٢ — التفكير انه في الوضع الراهن للعلاقات الدولية لا يمكن تحقيق التسويات الا عن طريق المفاوضات بين أطراف النزاع » . ويستخلص الكاتب من ذلك: « ان المناورة المصرية الرامية الى تجنيد الولايات المتحدة واوروبا الغربية — وعلى رأسها فرنسا — للضغط على اسرائيل لقبول مشروع روجرز — محكومة بالفشل . ولكن اذا عرفت مصر كيف تتغلب على مخاوفها وتحفظاتها ، ووافقت على التفاوض مع اسرائيل — حول تسوية جزئية اولا وبعد ذلك حول تسوية شاملة — فعندئذ يمكن التكهن بأن واشنطن ستضغط بكل ما لها من نفوذ على اسرائيل لاظهار المرونة . ويبدو ان اسرائيل تخاطر بفقدان مكانتها كقلعة وحيدة للغرب في الشرق الاوسط » !

وكتب الجنرال عيزر وايزمن في «يديعوت احرونوت» (٧/٢١) : « ان السادات قد طرد جزءا من الروس ، وهو يتوقع تطورا امريكيا . السادات يريد تحقيق مشروع روجرز ، وسيطلب الان تسديد الشيك الامريكي . ولكن الوقت ليس مريحا للامريكيين للاستجابة الى هذا المطلب . فالانتخابات على الابواب ونيكسون يحتاج الى الصوت اليهودي . ومن هنا ، فمن المتوقع ان توحي واشنطن الى القاهرة بالانتظار بصبر حتى انتهاء انتخابات الرئاسة الامريكية » .

ويرى عيزر وايزمن ان « واجب اسرائيل هو الوقوف بالمرصاد واليقظة ، وألا يخدعها سحر خروج الروس من مصر ، وألا تغريها التلميحات الامريكية . ويجب أن نفترض بأن الامريكيين لن يشنوا حملة سياسية شاملة على اسرائيل . سيطلب الامريكيون في المرحلة الاولى التوصل الى تسوية جزئية في منطقة قناة السويس . سيقولون لنا : « من الضروري ان تمضوا نحو المصريين ، فالخطر الروسي زال ، والمصريون يبحثون عن طريقهم في عالمنا . اعطوهم فرصة » . والفرصة — من وجهة النظر الامريكية هي التسوية الجزئية على الاقل . وهنا يكمن الخطر . وعلينا ان نصمد وألا نتنازل ، لقد اثبتت التجربة ان الصبر والعناد عملا لمصلحتنا » . ويبني الجنرال وايزمن حسابه بالشكل التالي : « ان العناد الاسرائيلي قد يدفع السادات الى نفاد الصبر ، فيأمر قواته بفتح النار . وعندها يكون الفشل مضمونا اكثر من اية مرة اخرى في الماضي ، وخاصة ان المستشارين السوفييت ليسوا معه » . ويختتم مقاله : « هذه هي الفرصة التي لا تتكرر ، وعلى العالم ان يعطي اسرائيل ومصر فرصة التوصل الى مفاوضات ، بدون تأثير روسي ، وبدون وساطة امريكية » !.

م. د.

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل أسرع .

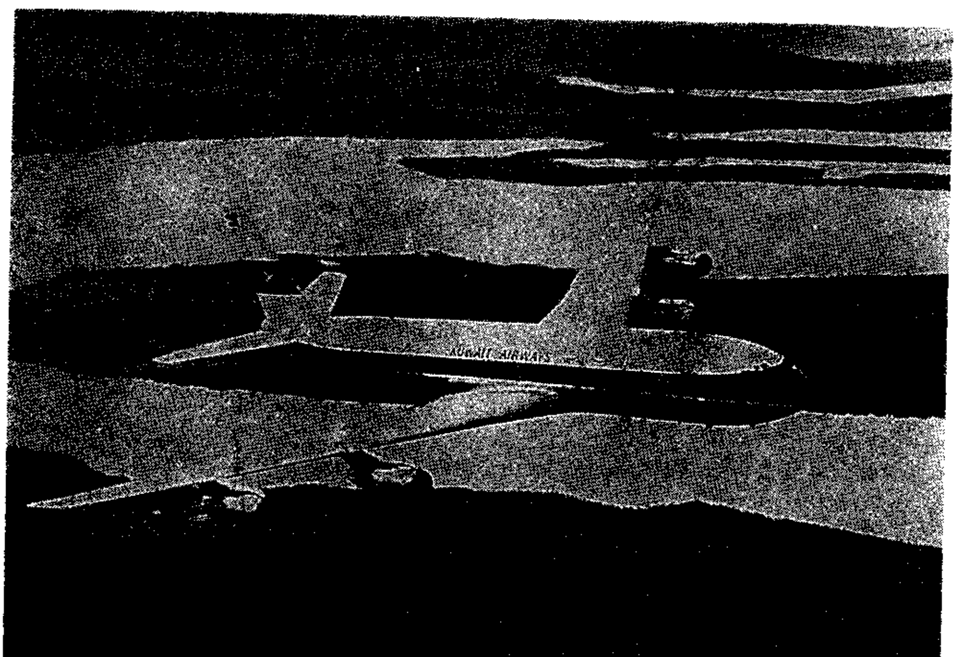
يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة أو أكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي أن نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليـــة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .



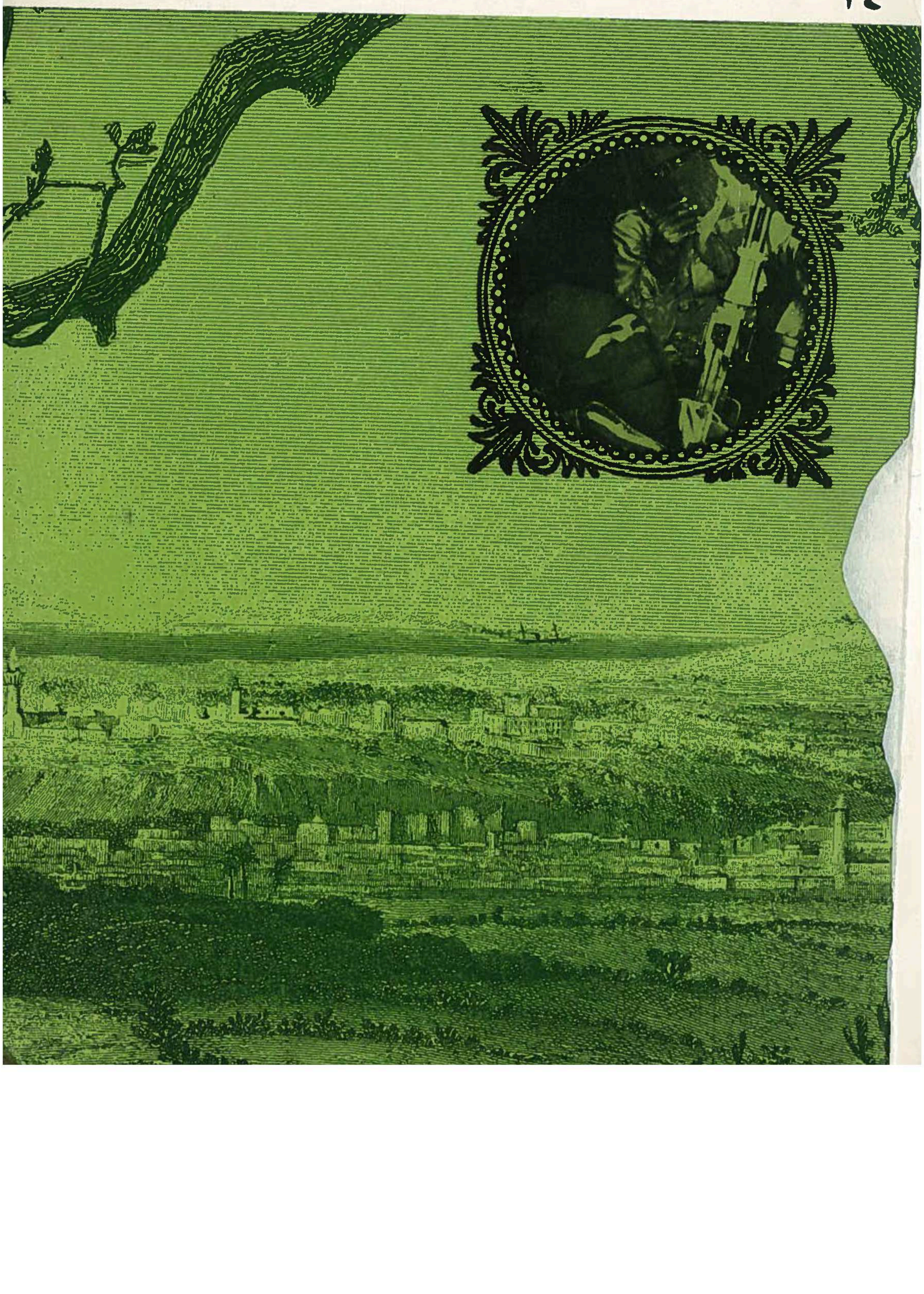
KUWAIT AIRWAYS

مطبعة الغريب
بيروت

شؤون فلسطينية

تشرين الاول (اوكتوبر) ٩٧٢

١٤



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٤ — تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة . تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص. ب ١٦٩١ ، تلفون ٣٥١٢٦٠ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوستراليا .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : غزة الصامدة .

المحتويات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ **ذاهب الى العالم غريب عن العالم** ، محمود درويش [الشاعر والكاتب الفلسطيني ، مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] .

٩ **حول مستقبل المقاومة الفلسطينية** ، الدكتور هشام شرابي [استاذ التاريخ والعلاقات الدولية في جامعة جورجتاون] .

٢٦ **يهود الولايات المتحدة والحزبان الديمقراطي والجمهوري** ، عودة ابو ردينة [الدارس في كلية القانون والدبلوماسية في جامعة هارفارد في الولايات المتحدة] .

٤٠ **خطر الابادة : أسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية** ، المقدم الهيثم الايوبي [المستشار العسكري في م. أ.] .

٤٩ **« الاتحاد الوطني » والشكل الراهن للسلطة في الاردن** ، هاني حوراني [كاتب أردني] .

٦٩ **سميرة عزام في ذكراها الخامسة : دراسة في فنها القصصي** ، الدكتورة نادرة جميل السراج [استاذة الادب العربي في جامعتي عمان والكويت سابقا] .

٨٣ **المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية** ، خليل ابو رجيلي [باحث في الشؤون الفلسطينية] .

٩١ **مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي** ، كين ميركورد [باحث في الاقتصاد الاسرائيلي] .

٩٧ **اليابان واسرائيل والعرب** ، ا. ق.

١١٣ **التعليم في قطاع غزة** ، شحادة موسى [باحث في م. أ.] .

١٤١ **مراجعات** : اليسار الجديد واليهود ، جوليانا سعد [كاتبة في الشؤون الاسرائيلية] . شجرة الصبير ، مصطفى كركوتي [كاتب عربي سوري] . من هو اليهودي ، الدكتور محمد المجذوب [استاذ الحقوق في الجامعة

اللبنانية] . لماذا هو غير ممكن اللقاء مع اليسار في اسرائيل ، ا. ن. سعد [باحث في م. أ.] . الطوفان واعادة التكوين ، فوزي كريم [شاعر وناقد عراقي] . تحت شجرة التوت ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٥٩ **ثلاثة تقارير عن الولايات المتحدة واسرائيل** : (١) نيكسون يغدق العون لاسرائيل دون أن يجني حصادا سياسيا من اليهود الاميركيين ، أندرو غلاس [كاتب أميركي] . (٢) دور اليهود الاميركيين في تمويل اسرائيل وتوجيه دفة السياسة الاميركية ، ستيفن كليدمان [كاتب أميركي] . (٣) ملاحظات على العلاقات الاميركية الاسرائيلية ، خالد القشطيني [باحث عربي ومراسل شؤون فلسطينية في لندن] .

٢٠٥ **تقرير خاص : خطة التنمية الثلاثية في الأردن ٧٣ — ١٩٧٥** .

٢١١ **ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحافيين الفلسطينيين** : (١) بلال الحسن [رئيس قسم الشعب الفلسطيني في م. أ.] . (٢) شفيق الحوت [مدير مكتب م. ت. ف. في لبنان وأمين في اتحاد الصحفيين العرب] . (٣) ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] .

٢٢١ **رد على مقال « مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط »** ، خالد محيي الدين [سكرتير عام المجلس المصري للسلام] .

٢٢٨ **تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و١٧ ايلول** ، هـ. أ.

٢٣٤ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، ب. ح. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ن. ع. (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب [باحث في م. أ.] . (٥) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ، وآخر بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٨/١٣ — ١٩٧٢/٩/١٢ ، غازي خورشيد [باحث في م. أ.] . مع ملحق عن المانيا واسرائيل والعرب ، ف. المنصور [باحث في م. أ.] .

٢٦٤ **اسرائيليات** : م. د.

شؤون فلسطينية

الدكتور أنيس صايغ

مر الكاتب الفلسطيني ، في الاسابيع الماضية ، في امتحان عسير . ومرت معه « شؤون فلسطينية » في امتحان عسير ايضا . فمن الجهة الواحدة ، وبحكم كون « شؤون فلسطينية » منبر الكاتب الفلسطيني ومجاله الاول للتعبير والمناقشة ، لم يكن من المعقول الا أن تهتم المجلة بالقضايا التي أثارت اهتمام الكتاب والصحافيين الفلسطينيين في اجتماعاتهم الاخيرة في بيروت . وزاد في ضرورة اطلالة المجلة على هذه القضايا ان عددا من أسرة تحريرها اشتركوا إشتراكا فعليا في تلك الاجتماعات ، ان في الاعداد لها ، او في تقديم البحوث ، او في الترشح (وبعضهم في النجاح) لانتخابات الامانة العامة لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين التي انبثقت عن تلك الاجتماعات . ولكن مقابل هذا كله أثار بعض الاصوات في أسرة التحرير تساؤلا وجيها : هل يصح لشؤون فلسطينية ، وهي احدى الادوات التي يستعملها الكتاب الفلسطينيون لتوحيد الصفوف ولتنقية الجو الفلسطيني ليصبح اوفر قدرة على مواجهة العدو ، أن تفتح صفحاتها لنقاش في الموضوع قد يغذي الخصومات ويلهب المشاعر الحساسة ؟ وكانت حجة رئاسة التحرير ، في الاصرار على تناول الموضوع ، هي ان مبرر وجود « شؤون فلسطينية » هو في الاساس ومنذ البدء ان تكون منبراً حرا للنقاش في القضايا المطروحة على صعيد البحث في وطننا العربي مما له علاقة بالقضية وبالشعب الفلسطينيين .

واذا كانت « شؤون فلسطينية » تحرص دائما على أن تغطي المؤتمرات والندوات التي تعقدها التجمعات المهنية الفلسطينية ، من طلاب ونساء وعمال ومعلمين ، حتى تلك الاجتماعات والندوات العادية ، فمن غير المعقول أن تغفل المجلة عن شؤون تجمع الكتاب والصحافيين . وعلى الاقل من ناحية وثائقية لا يجوز لشؤون فلسطينية ان تصدر في أكتوبر ولا تتطرق الى مسائل اهتم لها الكتاب الفلسطينيون (بل المجتمع الفلسطيني كله) في سبتمبر . والكتابة في موضوع كهذا ليست هي ، بحد ذاتها ، مدعاة لتأجيج الحساسيات واثارة المشاعر . المهم هو نوع الكتابة والغاية منها . وغاية « شؤون فلسطينية » حينما تتكلم ، في مراجعاتها للكتب او في تغطياتها للمؤتمرات او في مقابلاتها مع قادة المقاومة ، هو أن تتيح للافكار الفلسطينية ان تنشر في جو من الحرية ومن الهدوء ومن النقاش العلمي مما يسهم في سد الطريق على الانفعالات وعلى التشنجات وعلى المهاترات . والمهم في معالجة المجلة لموضوع كهذا الا تنحاز بشكل انفعالي أو عاطفي أو مغرض الى جانب فريق فلسطيني ضد فريق آخر ، ما دام الفريقان ينتميان الى ثورتنا التي نؤمن بها ونعمل لها . ولهذا لم نعهد بمعالجة مشكلة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين الى كاتب واحد يمثل وجهة نظر واحدة ، بل طلبنا الى ثلاثة من اخواننا وزملائنا (اثنان منهم من أسرة التحرير والثالث من كتاب المجلة) ، ممن رافقوا القضية المطروحة للنقاش مرافقة حميمة ، وممن مثلوا ويمثلون ثلاث وجهات نظر مختلفة عن بعضها بعضا ، طلبنا منهم أن يتناولوا الموضوع كل من زاويته . وذلك ليخرج القارىء بمحصلة صورة واضحة ومتكاملة من هذا الموضوع وليتخذ ، في آخر الامر ، الحكم أو القرار الذي يصل اليه بقناعته هو . وان رئاسة التحرير تعتقد انها ، بهذا الاسلوب ، تحقق غرض المجلة لا في توثيق الاحداث وتحليلها فحسب بل ايضا في تقريب وجهات النظر وفي تعبئة الجهود من أجل الوحدة الوطنية ، هذه الوحدة المنشودة في كل المجالات وعلى كل الاصعدة ، لتنطلق الثورة بالمزيد من الاندفاع والقدرة والحرارة والايمان . ومما يزيد في قناعتنا بهذا الاسلوب ان الكتاب والصحافيين المجتمعين في بيروت تحت شعار « بالدم نكتب لفلسطين » (وهو أقدس شعار يرفعه كاتب او صحافي) انما هم انفسهم يحترفون مهنة النقد كسبيل لتوجيه الشعب نحو الافضل ، ومن غير المعقول ان يرفضوا نقد انفسهم او أن يتجاهلوا المشاكل التي تعترض سبلهم .

ذاهب الى العالم
غريب عن العالم

محمود درويش

● في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب العالم الى غرفة النوم .

لقد كان يومه حافلا . وكان الصفاء يغمـــر الارض : ما زالت أدوات الحضارة الغربية تصارع الارادة البشرية في آسيا . التراب الاسيوي يموت والانسان الاسيوي يموت . ومياه الانهار تجرف من فاتهم أن يلتقوا بأدوات الحضارة . وقريبا من البحر الابيض ، مـــا زالت الاحذية العسكرية ، الغربية الصنـــع ، تدوس الحضارة القديمة والانسان الجديد . وفي نشرات الاخبار العادية ، العادية جدا ، يباد حقل من الاطفال ، لانهم عرب ولانهم قادرون على النمو .

وفي ساعة متأخرة من النهار ، ينهض العالم من غرفة النوم الى غرفة العمليات . لقـد كانت ليلته صافية ، واحلامه متواصلة السعادة .

هكذا ينام العالم . .

هكذا يستيقظ العالم . .

وهكذا ينساني .

لا يذكرني الا في حالتين : حين أجرب الموت ، وحين أجرب الحياة . ولقد مت لمدة ربـــع قرن وشبعت موتا .

واليوم ، اليوم لم يذهب العالم الى غرفة النوم . وقف على حافة الكرة الارضية ، وأمرني بالخروج من دائرة الانسانية ، لانني حاولت أن أخترق الدائرة ، حاولت الدخول .

ـــ ماذا يعنيك من تاريخي أيها العالم . . ماذا يعنيك ؟

ـــ التاريخ هو الماضي ، وأنا أدرسه في المعاهد .

ـــ واين رأيتني أول مرة ؟

ـــ كنت أراك دائما على تراب فلسطين حتى خرجت، وعاد الصفاء والسلام الى الارض . فلماذا تعود الان ؟ لماذا تكسر الصفاء ؟

هكذا يفهمني العالم ، وهكذا يريدني . لقـــد انتهى صراعنـــا ما دمت قـــد خرجت من فلسطين ، وما عاد للنار حارس . واكتملت معادلة سلام العالم ، وصار الأمن الدولي مشروطا بغيابي عن فلسطين وعن الانسانية .

لم أودع أحدا ، ولم أودع شيئا . دحرجني كعب بندقية من الكرمـــل الى الميناء ، وكنت

اتشبث بخاصرة الله واصرخ ، حتى ضاع صوتي ووعيي . ولكن العالم وعدني بصدقة مقابل التوقيع على هدنة مع النفس ، لان الهدنة مع القاتــل لا تتم الا بعد الهدنة مــع النفس . ولقد تصدق العالم علي : اعطاني طحينا وثيابا وخياما كثيرة لي ولاطفالي الذين لم يولدوا مقابل ان اعطيه الوطن والامن . وحين كنت اشعر بالبرد في المنافي ، كـانت صحف الراي العام العالمي تقيني من الامطار والارتجاف . وحين كنت اشعر بالجــوع ، كانت فقرة من ثلاثة سطور في خطاب رئيس دولة متحضرة تشبعني . وحين كنت اشعر بالحنين ، كانت الاغاني الاجنبية ، المنبثقة من راديــو الجيران ، تجعل الرحيل تجربــة جميلة .

وهكذا يذهب العالم الى غرفة النوم .. وينساني .

● لا توقظوا الضحية ، لئلا تصرخ .

ــ من أيقظها .. من المسؤول ؟

ــ ريح تهب فجأة ، فتنعش الموتى .

ــ من أين تهب ؟

ــ من كل الجهات .. من الوطن .

ــ ومن علمهم هذه اللفظة المهجورة ؟

ــ شعراء يغنون على ربابة .

ــ اقتلوهم .

ــ قتلناهم ، فابتكروا لفظة اخرى ــ الحرية .

ــ من علمهم هذه اللفظة العاصية ؟

ــ ثوار حماسيون .

ــ اقتلوهم .

ــ قتلناهم ، فتعلموا كلمة اخرى ــ العدالة .

ــ من علمهم هذه اللفظة ؟

ــ الظلم .. هل نقتل الظلم ؟

ــ اذا قضيتم على الظلم ، قضيتم على أنفسكم .

ما العمل ؟

نقتل الذاكرة .

وهكذا ينام العالم . وهكذا يصحو . هو مدجج بالسلاح ، وأنا مدجج بالقيود . القوي متحضر ، والضعيف بربري . وليس التاريخ قاضيا . التاريخ موظف . ماذا كان الهنود الحمر سيقولون لو هزموا غزاتهم . والذين يتباهون بالحضارة والتمدن هم غالبا مــا يكونون القتلة .. القتلة . انظروا هذا الثلاثي : الاول ــ اباد شعبا في الماضي ، ويبيد اليوم شعبا وتربة في جنوب شرق آسيا ، ويفجر علامة تحضره الكبرى ــ القنبلة الذرية ــ في شوارع العالم .. يطالبني بالخروج من حلبــة الانسانية ومن الكــرة الارضية لانني ارهابي . والثاني ــ ليس من الحكمة ان نذكره بماضيه . لقد أحرق عشرات الملايين من البشر باسم الحضارة والتمدن ، والان يتعانق القاتل والضحية وينجبان وليدا جديدا هو الثالث ــ فماذا ينتج عن زواج الارهــاب الا الارهاب ! وجــاء الثالث المدجج بالتوراة

والسلاح ، واقتلعني من جبالي وسهولي وبحرجني من الحضارة الى الحضيض . هذا الثلاثي يطالبني بالخروج من الكرة الارضية لانني ارهابي .

وماذا كان العالم يفعل ؟

في ساعة متأخرة من الليل ، يذهب الى غرفة النوم وينام .

القتل دائما جريمة . فلماذا يتحول القتل الى دعامة من دعائم الهيكل الحضاري اذا مارسه الاقوياء ؟. وهل نشأت اسرائيل على وسيلة أخرى غير القتل والارهاب . هكذا العالم دائما ــ شديد الاعجاب بالقتل الجماعي ، وشديد التنديد بالقتل الفردي . من حق الدول أن تقتل شعوبها والشعوب الاخرى ، وليس من حق فرد او شعب أن يقاتل من أجل حريته .

ومن هو هذا الرأي العام العالمي ؟

نحن نستخدم هذا المصطلح مجازا ، فنطلب العدالة من القتلة اذا كان معنى المصطلح هو تلك الاجهزة الاعلامية التي يديرها افراد متشابكون في المصالح والعقائد . فلماذا نعطيه مثل هذه القداسة ؟ ان الرأي العام الحقيقي ــ الضمير الانساني ــ لا نـراه ولا نسمع صوته ، لان مؤسسة « الرأي العام العالمي » الغربية الرسمية قد خنقته وزيفته . واذا كان سلوكنا خاضعا لمتطلبات كسب « الرأي العام العالمي » المعبر عنه بالاجهزة الاعلامية الرسمية ، فقد آن لنا ان نكتشف أننا نستمريء عبوديتنا وضياعنا ونبحث لها عن أسباب البقاء ، طالما أن هذا « الرأي العام » مـلـك افراد هم أعداؤنا . فهل يصلـح هؤلاء لأن يكونوا قضاة ! حين نتحاشى الانتحار يقولون اننا جبناء . وحين ننتحر يقولون برابرة . حين ندعو الى السلام يقولون اننا كذبة مراؤون . وحين ندعو الى المعركة يقولون اننا متوحشون . وهل نحن قتلة ؟. من قتل من ؟ هل سألوا هذا السؤال .

ليس صحيحا ان العالم قد فقد ذاكرته . وليس صحيحا أيضا اننا قادرون علـى اعادة الذاكرة الى العالم عن طريق ارضائه . العالم يرتاح . العالم يريد أن يلعب ويريد أن يشرب .

ــ لماذا توقظ العالم من النوم ؟

ــ هذا ليس صوتي . هذا صوت ارتطام جثتي على الارض .

ــ ولماذا لا تموت بهدوء ؟

ــ لان الموت الهادئ حياة ذليلة .

ــ والموت الصارخ ؟

ــ قضية .

ــ هل جئت تعلن حضورك ؟

ــ بل جئت أعلن غيابي .

ــ ولماذا تقتل ؟

ــ لا اقتل الا القتل . لا اقتل الا الجريمة .

ــ اذهب الى الجحيم .

ــ انا قادم من الجحيم .

للمرة الاولى ، سأل العالم نفسه : من اخبره انه قنبلة ؟

— من كثرة ما ضربوه بالرصاص ، تراكمت الشظايا على الشظايـا ، فولدت طاقة ، وصار قابلا للانفجار .

— اخرجوه من دائرة العالم .

— لقد اخرجناه . . وعاد .

— انصبوا له كمينا على حافة الارض ، وادفعوه الى الفراغ .

— لا يمكن الاقتراب منه ، لانه مدجج بربع قرن من المأساة والغضب والانفجار .

— ارهابي ؟

— نعم . ارهابي ويائس .

ماذا يفعلون باليأس . اليأس صنو الموت . لا اريد من العالم شيئا الا ان يرفع سكينه عن عنقي . لقد كنت رهينة . انا الرهينة منـذ خمس وعشرين سنة في أيديكم ، واطلق اليأس سراحي . من يعيدني الى الامل غير اعلان يأسي ! ومن يحررني من الاسر غـير قدرتي على الانتحار !. ليذهب العالم الى غرفة النوم . انا صمام أمان العالم — هذا هو الدور الذي حددتموه انتم لي . وليس بوسعكم ان تحددوا لي شكل اعتراضي على موتي المجاني . ليس بوسعكم ان تحددوا لي طريقة تخلصي من المجزرة المزمنة . ليس لي الا أن أموت . فلأمت كما أشاء . لا أرضى بهذا الدور لا أرضى — فليست عبوديتي معادلة للامن . سموني ما شئتم . جاء دوري الان لاسمي نفسي ما اشاء ، وافعل ما اشاء . اقف في قلب العالم . انتزع ذراعي . ألوح بها في الهواء . أحولها الى كرة والعب معكم . . اقذفها في شبكات عيونكم يا قضاة الحضارة . ليس من أجل الوطن . ليس من أجل الشـعب . وليس من اجل الانتقام . هكذا ، يطيب لي — كحيـوان آسـيوي — ان استخدم جسدي ، ان امرنه على الحركة بعد شلل دام ربع قرن . . أن اقطعه أربا اربا واسليكم . هذه هي حريتي الوحيدة ، فلماذا تعترضون على انتحـاري يا خبراء القتل الجماعي . ويا من تحولون الاطفال الى فحم ! انتم تقتلون . . اذن انتم تعيشون . وانا انتحر . . اذن انا أعيش . لـن أسمح لاحد ، بعـد الان ، أن يقتلني سواي . هـل تعرفونني ؟ لقد نجوت من قنابلكم . هل تعرفونني ؟. ان حليب وكالة الغوث لا يخلق دما في الشرايين . انه يخلق ديناميت . هذا غذاؤكم يعود اليكم . شكرا لكم . وحين رمتني أمي في شوارعكم طردتموني وقلتم : عـد الى أمك ، وحين عـدت الى أمي القيتم علي القبض وعذبتموني وقلتم : ارهابي . ومنذ تلك اللحظة ، وانا ابحث عن أمي . وهـل تعرفون أين وجدتها ؟ كان جسمي يمطر دما . وحين افقت من الغيبوبة وجدت نفسي في بركة دم . حدقت فرأيت ملامح سميتها وجه أمي . كان ذلك دمي ولم يكن دمكم يا قضاة العالم .

من حولني الى لاجيء ، حولني الى قنبلة . أعرف اني سأموت ، وأعـرف اني أخوض معركة خاسرة اليوم لانها معركة المستقبل . وأعرف أن فلسطين — على الخارطة — بعيدة عني . وأعرف أنكم نسيتم اسمها وتستخدمون ترجمتها الجديدة . أعرف هذا كله. ولهذا أحملها الى شوارعكم ، وبيوتكم ، وغرف نومكم . ليست فلسطين أرضا — أيها السادة القضاة — . لقد صارت فلسطين اجسادا تتحرك . . تتنقل في شوارع العالم ، وتغني أغنية الموت ، لان المسيح الجديد ترجل عن الصليب . امتشق عصا ، وخرج من فلسطين .

حول مستقبل المقاومة الفلسطينية

الدكتور هشام شرابي

مقدمة لكتاب سيصدر قريبا بالانكليزية عن مركز الابحاث تحت عنوان « فلسطين تعيش » ويضم مقابلات مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية سبق ونشرتها « شؤون فلسطينية ».

ان هذه المقابلات التي أجريت مع زعماء خمس من منظمات المقاومة الفلسطينية ــ فتح، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، والصاعقة ، وجبهة التحرير العربية ــ تشكل وثيقة سياسية وتاريخية فريدة من نوعها، أذ ربما كانت هذه هي المرة الاولى التي يضم فيها كتاب واحد تصريحات عن مواقف منظمات المقاومة وآرائها والتي هيمنت على المسرح السياسي والايديولوجي في العالم العربي منذ العام ١٩٦٧ .

وربما صح القول انه لم يسبق ان صدر اي تصريح عن أي من زعماء المقاومة الذين اجريت معهم هذه المقابلات فيه مثل هذه الصراحة والشمول . والحقيقة ان ما يسبغ على هذه المقابلات فرادتها هو بالضبط الانفتاح الذي ميز استجابة أولئك الزعماء الى الاسئلة السابرة التي طرحت عليهم . ويحتمل أن تكون هذه هي المرة الاولى التي يمارس فيها الزعماء علنا النقد الذاتي محللين أخطاءهم السابقة وخطط المستقبل .

واذا ما اخذنا كل مقابلة على حدة نجد انها تمثل وجهة نظر معينة وايديولوجية مختلفة . ولكن تلك المقابلات مجتمعة تؤلف كلا واحدا وتعبر عن موقف واحد مستمد من تجربة مشتركة وهدف مشترك ــ تجربة شعب يحمل السلاح ويضع التحرير هدفا أخيرا لكفاحه . وجدير بالملاحظة ان ايا من الزعماء لا يتحدث عما يسمى « بالتسوية السياسية » ، وان الجميع يتحدثون عن مبدأ **التحرير**. ومن الاهمية بمكان أن نشير الى أن الفلسطينيين المناضلين (مهما كان موقفهم الايديولوجي) يرون ان الحل النهائي للمسألة الفلسطينية لا يمكن أن يكون على حساب حقوق الفلسطينيين بل على اساس العدل فقط ، اي على اساس الاستعادة الكاملة لحقوق الفلسطينيين الانسانية والسياسية **في وطنهم هم** .

وكما سيتضح من خلال قراءة هذه المقابلات فانه ليس ثمة وهم حول كيف ومتى يمكن تحقيق هذا الهدف . فمن جهة ينظر الى اسرائيل كما هي ، قوة تدعمها اميركه ولكنها تعتمد في الوقت ذاته على نفسها وتتمتع بقدرة تدميرية مستقلة هائلة ، كما تشكل الحركة الصهيونية بالنسبة لها حصنا عالميا نجح في السيطرة على ارادة وثروة اليهودية العالمية . ومن جهة أخرى ، ينظر الى الدول العربية كما هي ، دول متخلفة ومجزأة وعاجزة عن تعبئة الحد الادنى من مواردها لمواجهة التهديد الذي يواجهها وغير قادرة على التعاون فيما بينها من اجل ان تصبح القوة التي بمقدورها أن تصبحها . اما الفلسطينيون من جهتهم فيجدون انفسهم ممزقين بالخلافات والنزاعات الداخلية ، ويعانون من نقاط

الضعف والعجز نفسها المسؤولة عن الضعف العربي الاكبر . ان هذه المقابلات تلقي الضوء بوضوح على العوامل التي ساهمت في الوصول الى هذا الوضع ، كما تحدد الشروط الضرورية للتغلب عليه . ومن هذه الناحية تشكل هذه المقابلات علامة بارزة على طريق تطور الوعي الفلسطيني الذي يشكل بدوره نقطة مهمة في تطور الوعي الثوري في العالم العربي ككل .

كان على هذه المقدمة ان تستتبع تحليلا تاريخيا لحركة المقاومة وربما مناقشة لتطورها الايديولوجي والسياسي . الا اني رأيت ان المدخل المنهجي وحده لا يكفي لفهم نمو حركة التحرير الفلسطينية وتطورها ومستقبلها اذ ان مثل هذا الفهم لا يتطلب معرفة المبادىء والاهداف التي تقول بها الحركة فحسب بل أيضا معرفة المنطلقات التي تنبع منها . ونادرا ما سنحت الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن سبب رفضهم حل التسوية السياسية واصرارهم على التحرير كمبدأ وهدف نهائيين . انني سأحاول في الصفحات التالية ان احدد الاطار الذي يمكن من خلاله فهم هذا الموقف مركزا على ما يعنيه الفلسطينيون عندما يقولون اننا لا نستطيع القبول عن التحرير بديلا .

ملاحظات شخصية

أولا وقبل كل شيء ، ان بعض التعليقات المبنية على اساس تجربتي الشخصية قد توضح بعض النقاط حول تطور خلفية المقاومة الفلسطينية .

عكست تحليلات المقاومة باستمرار ، في السنوات التي تلت حرب العام ١٩٦٧ مباشرة ، ذلك الشعور بالقوة والنشاط والعافية الذي ساد تلك الفترة بدل ان تعكس حقيقة الوضع . ولقد أوضحت كتاباتي وكتابات آخرين غيري الفرضيات والمفاهيم الخاطئة التي شجع ظهورها بروز الحركة السريع . ولقد لاحظت في دراسة عن حركة المقاومة الفلسطينية وضعتها في العام ١٩٦٩* تطورات كانت تتشكل بصورة مفاجئة وعنيفة في الوقت الذي كانت تسير فيه الثورة باسلوب الثورتين الكوبية والجزائرية . الا أنني لم استطع أن أرى مستقبلا المأزق والركود الذي تلاه نتيجة لهجمة الملك حسين على الفلسطينيين في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وكذلك لم استطع ان اقيم تقييما صحيحا عوامل الانشقاق داخل الحركة ، فقد كان تصوري الدائم هو ان الوحدة آتية بشكل طبيعي وحتمي . وقبلت الكثير من الشعارات المتداولة دون تساؤل او تفحص . اذ لم تكن تراودني شكوك حول صحة المواقف الثورية . وعندما انظر الان الى الوراء أجد ان ذلك لم يكن نتيجة للتفكير المزاجي فحسب ، وانما ايضا نتيجة لنقاط ضعف معينة تضمنها تحليلي . وكنت قد بدأت بعد هزيمة العام ١٩٦٧ ، مثل كثيرين غيري ، أقرأ ماركس بجدية فامتلأ رأسي بالنظريات التي لم أتمثلها تماما .
ان ابناء جيلي الذين وجدوا أنفسهم ، مثلما وجدت نفسي ، في أعمال مهنية (تقتضي ثقافة او علما) كانوا قد اعتادوا نكبة العام ١٩٦٧ على كبت مشاعرهم والانصراف الى مشاغلهم . وكان شعور هذه الطبقة المثقفة بعدم جدوى رفع الصوت ناتجا بالاكثر عن تخوفنا من الضرر الذي قد يلحق أعمالنا ومصادر رزقنا كفلسطينيين يعيشون خارج بلادهم . فعشنا ليومنا سواء في البلدان العربية أم خارجها . ولكننا حققنا نجاحا على وجه العموم ، وبدا ان النجاح الشخصي يسهل علينا نوعا ما تحمل النكبة الوطنية . ولكن لم يتمتع الفقراء والفاشلون منا ، وخاصة سكان المخيمات ، بالتعويضات النفسية ذاتها ، وكانت فلسطين بالنسبة لهم عذابا يوميا . كانوا يفكرون في شيء واحد فقط : في **العودة** .

* الفدائيون الفلسطينيون : فاعليتهم وصدقهم (مركز الدراسات الستراتيجية والدولية ، واشنطن العاصمة ، ١٩٧٠) . الترجمة العربية : مؤسسة الدراسات الفلسطينية (١٩٧٠) .

الا ان ١٩٦٧ جعلنا نجد انفسنا ووضعنا في ضوء جديد . ففي ذلك العام اصبح اكثر من نصف شعبنا يعيش تحت الحكم الاسرائيلي ، وصار الفلسطينيون « يهود اليهود » *. ولكننا على عكس اليهود لم نثر في نفس العالم العربي شيئا من الشفقة او الرحمة . ان يعود اليهود الى « وطنهم » فذلك مشهد مثير يدعو الى الاعجاب والدعم . بينما ان نفقد نحن وطننا فذلك امر لا اهمية تذكر له . وفجأة رأينا مكانتنا في أعين العالم « المتمدن » : اننا نوع ادنى من الانسانية يعيش خارج التاريخ ، اننا الهنود الحمر الجدد والزنوج لاسرائيل .

وكانت الحالة الاسوأ هي حالة فقرائنا ــ عمالنا وفلاحينا . اما الطبقة العليا ــ ملاكو الاراضي وكبار التجار والفئات المتوسطة والمتوسطة الدنيا ــ فقد تدبرت امورها بشكل او اخر . في ظل الحكم الاسرائيلي تواطأت هذه الطبقة مع الحكام اليهود وخلدت الى السكينة . اما في البلدان المحيطة بفلسطين فقد كانت هذه الطبقة من الفلسطينيين قد دبرت امورها المعيشية واندمجت في حياة بيئتها الجديدة . أما الشعور بفقدان الوطن فقد عبر عن نفسه عند هذه الطبقة في صورتين : صورة « مادية » تنعكس في روايات عن الغنى والاملاك التي خلفوها وراءهم ، وصورة « عاطفية » تنعكس في وطنية بلاغية مجردة عن الالتزام أو العمل السياسي الجاد .

ان الاوضاع الجديدة التي عاش في ظلها الفلسطينيون غيرت القليل من العلاقات الطبقية القديمة . لقد كانت البرجوازية والبرجوازية الصغيرة بالنسبة للفلاحين والعمال غير المهرة الذين اقتلعوا من وطنهم تمثل طبقات مالكة ومستغلة . ولم يتغير شيء في هذه العلاقة لا في ظل الاحتلال الاسرائيلي ولا في البلدان المحيطة باسرائيل . واعتبرت الطبقات العليا الظروف الرهيبة التي عاشتها الجماهير الان ، « طبيعية » مثلما كانت الظروف السابقة . ان عيش الجماهير الفلسطينية على الحسنات الدولية واستغلالها كيد عاملة رخيصة بواسطة مغتصبي أرضها لم تكن الا امتدادا فقط للاستغلال والبؤس السابقين على يد الطبقات البرجوازية والاقطاعية الوطنية . وبمعنى معين تطابق افق رؤيا الطبقات الفلسطينية المسيطرة وأفق رؤيا المحتل الاسرائيلي . لقد استغل الجانبان الجماهير الفلسطينية وعانت هذه الجماهير من استغلال الجانبين على حد سواء .

وكشفت هزيمة العام ١٩٦٧ أيضا افلاس النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وحطمت سيطرة الايديولوجية القديمة مفسحة المجال بذلك لبروز منظور راديكالي جديد . فقد أخذ الفلسطينيون المنضوون تحت لواء حزب البعث وحركة القوميين العرب والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي والاخوان المسلمين ينظرون الى الامور بطريقة مختلفة . وأخذت الشعارات القديمة التي ترعرعت في ظل معاناة اجيال ثلاثة من البورجوازية العربية وطموحاتها تفقد معناها . وخضع المجتمع الان ككل ، بقيمه ومؤسساته وتنظيمه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لنقد سريع وغاضب .

ومع انهيار تبريرات الهزيمة اصبح القول بالحاجة الى تحول جذري في المجتمع العربي يتخذ معنى عينيا معينا . وهذا الادراك مثل بداية أول تغير خطير في وعي هذا الجيل . ولكن نضوج الادراك الراديكالي يتطلب تجاوز مجرد اطلاق التعميمات . الا ان هذا الوعي الجديد افتقر الى الاسس النظرية الضرورية للتحليل الشامل ، كما افتقر ايضا الى القدرة على الخروج ببرنامج وستراتيجية واضحة تنتظم حولهما القوى الاجتماعية الجديدة . وهنا ظهر التشوش الموضوعي في البيئة الاجتماعية في شكل الوعي ذاته .

ان السعي منذ العام ١٩٦٧ وراء مفهوم ثوري أدى الى ظهور أدب ثوري واسع

* على حد تعبير راشد حسين في احدى قصائده .

— ترجمات الكتابات الثورية الرئيسية كافة من ماركس الى ماركوزه بالاضافة الى التعليقات والتأريخات والتحليلات الثورية . الا ان الممارسة في التجربة الفلسطينية سارت سيرا مستقلا عن النظرية المنظومة وتلكأت وراء الممارسة . وفي حين لم يكن من الممكن التمييز بين النظرية ومجرد الكلام اتخذت الممارسة صورة العمل العفوي غير المنظم .

ان حمل البندقية اعطى بالتأكيد دروسا لم تكن أي نظرية بمفردها قادرة على اعطائها . ولم تظهر الايام الاولى للمقاومة ما تستطيع الارادة ان تولده فقط بل أكدت ايضا ان العمل الثوري هو الطريق الوحيد الى التحول الذاتي . وأصبح واضحا ان لا شيء يستطيع تحرير المجتمع من قيوده غير القوة الكامنة في جماهير هذا المجتمع المقهورة والمستغلة . وهكذا رأينا الانسان العربي الجديد يبرز على صورة الفدائي الفلسطيني ، وتصورنا الثورة العربية تولد من تصاعد حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الآثار المباشرة لهزيمة ١٩٦٧ هي تلك الفترة البطولية التي برزت فيها المقاومة الفلسطينية ، ونفثت شجاعة رجالها وتصميمهم حياة جديدة في نفوس الفلسطينيين والجماهير العربية كافة . وقبل ذلك لم يشعر الفلسطينيون في تاريخهم بالارتباط الشديد فيما بينهم . لقد عبر الفدائيون النهر للمرة الاولى خلال عشرين عاما واستطاعوا ان يضربوا العدو ضربات موجعة .

وفي اللحظة ذاتها التي بدا فيها ان المقاومة اوشكت ان تدخل مرحلتها الحاسمة سيطرت عليها تناقضات داخلية وخارجية شلت فاعليتها . وأمام عجز حركة المقاومة عن الاتحاد والاتفاق حول برنامج مشترك وستراتيجية مشتركة اصبحت الحركة عرضة لضربات قوى الثورة المضادة . وهكذا بدأت الضربات الاليمة المتتالية تتساقط عليها من قبل انظمة الحكم « الصديقة » والمعادية في صورة مستترة تارة وفي صورة علنية طورا الى ان جاء الهجوم الساحق في ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠ . وأخذ الاصدقاء والمؤيدون ينصرفون عن الحركة ، وبذلك انتهت فترة الشعور بالقوة والنشاط والعافية . وفجأة وجد الفلسطينيون انفسهم في عزلة وفي غربة عن مضيفيهم العرب يواجهون العدو وحيدين .

وعند عودتي في اوائل العام ١٩٧١ الى عمان في زيارتي الاولى لها بعد ايلول (سبتمبر) الماضي لاحظت ان مشاهد الازدحام الحية التي كانت تتميز بها عمان قبل برهة قصيرة قد غابت . وعادت عمان ثانية البلدة التي عرفت في العام ١٩٤٩ عشية الهزيمة الاولى : بلا وجه ، ومهجورة ، ومقهورة . ان تواجد جنود البادية في كل مكان — في المطار وفي المباني الحكومية وعلى كل مفترق طرق — كان يعزز جوا بربريا يخيم على كل شيء .

لقد كان الجو جافا وباردا عندما حطت الطائرة التي أقلتنا الى مطار عمان حيث حضرنا لنناقش زعماء مختلف المنظمات حول مخططات الوحدة التي وضعها مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية كي تطرح في الاجتماع المقبل للمجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة . وجرى لنا استقبال حار في المكاتب التي اصبحت الان هادئة وشبه مهجورة . وكان الناس أشد رغبة في التحدث من الاستماع . وكان لدى كل جماعة وكل مسؤول صورة خاصة لما حدث وللخطأ الذي وقع وصورة لعلاج الوضع . ولم تعد هناك تلك الحماسة والثقة الفخورة بالنفس التي تركت في نفسي اثرا عميقا في زيارتي الاولى لمنظمات المقاومة في العام ١٩٦٩ . لقد أخذ الانهاك نصيبه وذهب الزهو وظهر في الجو ذلك الشعور بالضياع الذي ساد الساحة الفلسطينية قبل العام ١٩٦٧ . وبدا الناس في المخيمات والمكاتب قلقين ومرتابين : يلومون ويغتابون بعضهم بعضا ويتبادلون التهم ، انها عادات المهزومين والمنكوبين . انني لم اسمع من قبل بمثل هذا العدد الكبير من الاشخاص الذين يتهمون بجرائم رهيبة مثل الجاسوسية والتواطؤ مع

العدو والتعامل مع نظام الحكم هذا او ذاك . ان الفلسطينيين الذين توحدوا منذ فترة قريبة فقط بدوا الآن مجزأين ومنقسمين على انفسهم .

ركبنا احدى سيارات لجنة المتابعة العربية ، وكانت تحمل علما اخضر كبير يرفرف على جانبها ، وصعدنا الى تلال جرش الصخرية ذات اللون البني الفاتح ، وتوقفنا في المركز المحلي لقيادة جيش التحرير الفلسطيني قرب الآثار الرومانية الجميلـة . ونظرت من شرفة المركز الذي يشغل بناية صغيرة لأرى رجالا مسنين من مخيم غزة القريب يستدفئون في شمس الشتاء ورؤوسهم محنية ومنتشرين هنا وهناك في مجموعات صغيرة . ونادرا ما كانوا يظهرون أي اهتمام بما يدور حولهم . وبعضهم كان ينظر بصمت . ولدى خروجنا من المركز المحلي لقيادة جيش التحرير وجدت ان معظمهم ، وعلى الرغم من تجعد وجوههم وبياض ذقونهم ، لا يتجاوز الخمسين . انهم الشبان الذين تركوا بيوتهم وحقولهم قبل عشرين سنة ونيف .

توقفنا ثانية في مخيم غزة الواقع على الطريق الى منطقة الاحراج . وهنا احاط بنا عدد لا يحصى من الاولاد وكذلك قلة من الرجال المتجهمين السائرين سيرا بطيئا . وبدا الاولاد سعداء واصحاء . أما الشبان فبدا أن جوا مأساويا يلفهم . وهنا انتابني حس باليأس . وأدركت في لمح البصر ما المقصود بالتمييز الماركسي بين الوضع الثوري في حد ذاته والوضع الثوري **من أجل** ذاته ، أدركت الفرق بين العيش تحت عبء الظروف القاهرة وبين امتلاك الوعي الثوري لتغيير تلك الظروف .

وسرعان ما ادركنا ان مسألة الوحدة (بين مختلف المنظمات) لم تكن مسألة نظرية بحاجة الى حل بواسطة الاتفاق الشفوي . وعدنا الى بيروت مقتنعين انه قبل القيام بأي شيء يجب اولا ان يوجد الوضع حلوله بذاته اذ ان الحلول المتأتية عن التفكير تفكيرا ذاتيا اثبتت انها قليلة الفائدة على الرغم من صحتها النظرية .

منظور الوعي الثوري

بعد أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ أخذ الناس يتحدثون حديثا مختلفا . وفي هذه المجموعة من المقابلات يظهر ذلك جليا ، فنجد الناطقين الرسميين باسم المقاومة يوجهون كلامهم الى بعضهم بعضا والى شعبهم هم وليس الى « الرأي العام العالمي » ووسائل الاعلام . فهم لا يسعون وراء خلق صورة معينة لانفسهم وما عادوا يتنافسون الواحد مع الاخر من أجل الدعاية . وهذا يضفي على المقابلات ميزة نادرة من الصراحة . اضف الى ذلك ان هناك متطلبات ملحة جديدة نتيجة للظروف التي تغيرت . اننا نتحسس موقفا يتطلب اتصالا ولن يرضى بالطريقة الخطابية القديمة . وليس هذا مجرد تغير في التكتيك الاعلامي ، انه يشير الى تغيرات داخل الحركة وربما الى دخولها مرحلة متقدمة من النضوج .

ان الناطقين باسم المقاومة في موقفهم من مختلف المسائل التي يتناولها هذا الكتاب بالبحث يعبرون عن وعي مشترك يتجاوز وعي الافراد او المجموعات . انهم يتحدثون نيابة عن الفلسطينيين ككل ، ومن خلالهم ، عن الصامتين والمقهورين في العالم العربي بأسره . انهم يؤكدون العزم على تحمل الهجمات الصهيونية على حقوقهم القومية والانسانية ، ويعبرون عن رفض النظام السياسي والاقتصادي للامبريالية الغربية المعاصرة التي تحول دون ان تحقق المنطقة استقلالها السياسي والاقتصادي التام . وهم ينظرون الى اسرائيل ضمن هذا النظام على انها فرع للامبريالية تغذيه وتعززه الولايات المتحدة التي تلقى مصالحها في المنطقة دعم اسرائيل وتأييدها . ومهما اعتبرت اسرائيل نفسها مستقلة فانها تبقى خاضعة موضوعيا لحكم منطق الوضع الامبريالي الراهن ومتطلباته والذي تشكل هي جزءا منه . انها بالنتيجة تشكل تحديا للتطلعات

العربية النابعة من الوعي المتزايد للوضع السائد في المنطقة . واذا كان هذا الوعي سيقدر على ترجمة نفسه الى عمل اجتماعي وسياسي **منظم** يشمل العالم العربي ويصبح بذلك قوة مادية فان « الثورة » الفلسطينية هي من اجل ذلك بالتحديد . وعلى الرغم من ان الفلسطينيين لا يستطيعون القيام بالثورة في البلدان العربية ، عدا ثورتهم الفلسطينية ، فان ثورة فلسطينية اصيلة ومستمرة قد تلعب دور المساعد الذي يجعل العالم العربي راديكاليا ويعطي الثورة العربية دافعها الحاسم .

ان الوعي المرتبط بالمقاومة الفلسطينية هو ذات صفة تاريخية أي انه يشكل مرحلة محددة في التطور السياسي . وان محتوى هذا الوعي ووجهته يتغيران ويتطوران مع الخبرة والزمن . ولكن الشكل الثوري يبقى أثناء هذه العملية باسرها ثابتا . ولا يفقد الوعي صفته الثورية الا اذا تحطمت حركة المقاومة التي تجسده أو تحولت الى مجرد عمل سياسي .

وقد يبدو في هذه المرحلة الهدف الذي يقوم حوله هذا الوعي ، أي هدف التحرير ، غير واقعي ومجرد حلم نظري . ولكن هذا يرجع بالضبط الى كون الوعي وعيا ثوريا . ان التفكير الثوري يولد من معارضة الواقع القائم ، وهو لكونه ثوريا لا يقبل هذا الواقع مرجعا نهائيا لتفكيره . ان « حقيقة » هذا التفكير لا تستمد من هذا الواقع المباشر **المعين** ولكنها متأصلة في الكل التاريخي الاوسع الذي يشكل هذا الواقع جزءا مرحليا عابرا منه فقط . ان ديناميته هي في عدم ديمومة الحاضر .

ان هذا النوع من الوعي الذي تعبر عنه حركة المقاومة الفلسطينية والذي يرفض الامر الواقع الصهيوني وفق شروط هذا الواقع ومتطلباته يعلن ان التحرير الكامل ، وليس غير التحرير الكامل ، هو هدف الثورة الاخير . ونلاحظ ان لا احد من المتحدثين باسم المقاومة ينكر الواقع الحاضر المرير متمثلا في الفوضى العربية والشقاق الفلسطيني والتفوق العسكري الاسرائيلي والتزام الولايات المتحدة بالصهيونية ، الخ ، ولكنهم يرفضون الخضوع لهذا الواقع وحقائقه . ان الوعي الثوري الذي يعبرون عنه في هذه المقابلات يقدم البديل للتفكير والعمل بلغة الامر الواقع . وان البديل هو مشروع نضالي يستمد قوته وثقته من **الطاقة التاريخية المتاصلة في الحاضر** . وهذا البديل يطرح مطلبا للمستقبل ، وهو مطلب لا يمكن للوعي العملي المتمثل في قيادة الانظمة ان يطرحه لانه وعي غائب عن المصالح القومية الكبرى ومنهمك في المصالح الجزئية الصغيرة . ولا يطرح هذا البديل المستقبل كهدف طوباوي يمكن الوصول اليه بقفزة خيالية ولكن كهدف بعيد يمكن تحقيقه بالعمل الجاد وبلورته من خلال النضال اليومي المستمر . الا انه هدف لا يمكن تحقيقه الا على يد حركة قادرة على تعبئة الجماهير تعبئة ثورية صحيحة .

المقاومة واليهود الاسرائيليون

ان كل منظمة من منظمات المقاومة الفلسطينية تستهدف ، كجزء من استراتيجيتها ، الوصول الى اليسار الاسرائيلي الجديد ، وبالتالي الى الجماهير اليهودية . وهذا يعكس القدرة المتزايدة للحركة ، وهي تسير على طريق النضوج ، على الاعتراف بحقائق معينة والقبول بها . وعلى رأس هذه الحقائق **وجود شعب يهودي على الارض الفلسطينية** . وقد يكون مفهوم فلسطين الديمقراطية أول تعبير عن ذلك ولا بد ان يليه صيغ مادية اخرى اكثر دقة وتفصيلا . الا ان تفهم هذه الحقيقة لم يكن سهلا . وانه لمن المستحيل تحديد الاشكال المادية المحددة — السياسية والاقتصادية والحضارية — التي قد يتطلبها الاتفاق المشترك في هذه المرحلة . ولكنه بات من الواضح انه في سبيل معالجة هذه المسألة وضع الفلسطينيون برنامجهم على انه برنامج جديد بدعم القوى اليسارية والتقدمية ، وهو بذلك يشكل تقدما كبيرا على الموقف الصهيوني العنصري .

ولا بد من القول ان منظمات المقاومة الفلسطينية كافة تلتقي حول الاعتقاد بان التحرير يجب ان يقوم في النهاية على اساس الاتفاق الفلسطيني ـ اليهودي خارج اطار الصهيونية . ولكن مهمة تحطيم البنى الفوقية للصرح الصهيوني لا يمكن تنفيذهـا على ايدي الفلسطينيين وحدهم بصفتهم قوة خارجية . ويتطلب نجاحها منها ان تصبح ايضا مهمة يهودية يجري تنفيذها سياسيا من الداخل .

ان هذا اللقاء بين القوى الراديكالية الـذي يفترضه هذا الرأي يشكـل خطا سياسيا اساسيا واحدا في اية ستراتيجية ثورية في المستقبل . ولا بد هنا من الاعتراف انه حتى الان لم تنجح الا جماعات هامشية من المعسكرين في الاتصال فيما بينها محققة نتائـج سياسية ضئيلة . ومع ذلك فان هذا امر هام من حيث ارسائه سوابق للمستقبل . وفي هذه المرحلة تقع مهمة حمـل المقهورين من الشعبين ، عـلى ادراك القهر المشترك والحقوق المشتركة ، على الثورة الفلسطينية التي تمثل رفض العـدوان الصهيوني والارادة على قهره .

مسألة التصديق

ولكن قبل الوصول الى هذه الاهداف سيحتم على الفلسطينيين ان يناضلوا وحدهم مدة طويلة . وينتظر من القوى المؤهلة او التي قـد تكون حليفة للفلسطينيين في اسرائيل (العمال المقهورون واليهود الشرقيون واليسار غير الصهيوني) ان تبقى مدة طويلة من الزمن جزءا من المؤسسة الصهيونية رغم الصراعات الطبقية والعرقية والايديولوجية . وهكذا فان المسألة تطرح نفسها على الشكل التالي : وجوب اسقاط الصهيونية ، واقامة تحالف طبقي بين المضطهدين الاسرائيليين والفلسطينيين . ولكن من اجل اقامة مثل هذا التحالف يجب اولا تحطيم الهيمنة الصهيونية الايديولوجية والسياسية (على المضطهدين)، اي انه يجب اسقاط البنى القومية للصهيونية . ولا يبدو ان هناك مخرجا واضحـا او سهلا من هذا المأزق .

ولكن ربما كان بامكان الفلسطينيين التقدم تقدمـا كبيرا في هذه المسألـة اذا نجحوا في تحقيق امرين : (١) تحويل حركتهم الى حركة راديكالية حقيقية ، (٢) تنظيمها على شكل قوة سياسية وعسكرية فعالة . واذا اظهر الفلسطينيون بصورة مقنعة (وليس بتعابير ايديولوجية فقط) انهم متجهون نحو مجتمع اشتراكي يتمتع فيه اليهود بحقوق متساوية مع غيرهم ، وانهم عازمون حقا على خوض نضال طويـل الامد فانه من الممكن التفكير بالتحول الراديكالي . ولكن ربما كان اهم من ذلك قدرتهم عـلى توضيح استحالة حل المسألة اليهودية على حساب الفلسطينيين وعدم عدالة ذلك ، وذلـك من خلال عملية النضال الحقيقي وليس من خلال محاولات الاقناع الاعلامي فقط . ويجب اظهار الحركة الصهيونية على انها حركة تدفع بطبيعتها اولئك الذين يعانون منها الى مقاومتها والقتال ضدها .

وباختصار ، يجب اولا تحطيم الاجماع الصهيوني ايديولوجيا قبل ان يصبح من الممكن قيام اي بديل قابل للحياة وغير صهيوني للتعايش العربي الاسرائيلي . كما يجب بطريقة ما حمل الاسرائيليين على ادراك انهم لا يستطيعون العيش الى الابـد بالسلاح وحده وبتأجيل التفاهم مع الفلسطينيين وجيرانهم العرب الى امد غير محـدد . ومن الواضح ان هذا لا يمكن ان يأتي عن طريق الاقناع الفعلي او بواسطة هزيمة واحدة . ونذكر انه عندما كان نشاط المقاومـة في اوجه بين العامين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ بانت بعض الدلائل الاولية واضحة على تزايد وعي الاسرائيليين لمطالب الفلسطينيين . ان احـد اهداف حركة المقاومة هو دفع مثل هذه الافكار عند الرأي العام اليهودي وتوسيعها مرة اخرى . يجب ان تصبح حركة المقاومـة الفلسطينية اذا قوة عسكرية وسياسية وايديولوجيـة

حقيقية وموثوقة ومعترفا بها كذلك من جانب العدو وحلفائه المحتملين في معسكر العدو، قبل ان تستطيع الحركة ان تثير داخل اسرائيل الاستجابة التي بدونها سيبقى التحرير الحقيقي بعيد المنال . ان عملية التحويل الراديكالي التي جرت في حركة المقاومة الفلسطينية يجب ان تجري في صفوف اليهود . وفي ظروف كهذه قد تكون المعارضة من داخل اسرائيل أقل صلابة وأكثر ديالكتيكية مما يظهر لاول وهلة .

مبررات استمرار النضال

ويعي الفلسطينيون في اتخاذهم قرارهم السير في طريق النضال المعارضة التي سيلقونها على جميع المستويات . فهم يجدون أنفسهم على صعيد المنطقة في مواجهة الوضع الراهن محددا بنماذج وقوانين اجرائية تربط ضمن اطار مشترك اسرائيل والدول العربية من جهة ، والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة من جهة اخرى . ان التوازن السوفياتي — الاميركي والميزان العربي الاسرائيلي يستثنيان اي تغيير جذري في العلاقات القائمة بين القوى ومناطق النفوذ ، انهما يستثنيان بالضبط ذلك النوع من التغيير الذي تتطلبه استعادة الحقوق الاساسية للفلسطينيين . وهكذا فان حركة المقاومة الفلسطينية تمثل نفيا لهذا التوازن والميزان . وكونها كذلك يجعل الفلسطينيين يشكلون القوة المركزية الاولى التي من شأنها ان تهدد الوضع القائم واستقرار القوى القائم في الشرق الاوسط على جميع المستويات .

وربما يكون من الطبيعي ان نتوقع من اولئك الراضين عن الامور كما هي قائمة — اي من المستفيدين من التوزيع القائم للسيطرة والجاه — ان يتحدثوا بما يتمشى ووضع تلك الامور ، أي ان يتحدثوا عن القيم والمصالح والاهداف المستمدة من هذه الحالة وان يعملوا من أجل الحفاظ عليها . وهكذا فان اولئك الذين يقولون «بالاتزان» و «التعقل» و «الواقعية» في حديثهم عن الحفاظ على الوضع الراهن في المنطقة يلقون مشاركة الامبرياليين الرأسماليين والمستعمرين الاستيطانيين وكذلك الطغم البورجوازية والبورجوازية الصغيرة الحاكمة في المنطقة .

الا ان الفلسطينيين لا يرون خيارا غير الاستمرار في الكفاح . انهم يقاتلون في سبيل حقوقهم الانسانية الكاملة بما في ذلك حقهم البديهي في العيش في ظل الحرية الديمقراطية على أرض وطنهم . ان الفلسطينيين لا يطالبون بالتمتع بهذا الحق وحدهم وانما يقولون بحقوق اليهود الموجودين الان في اسرائيل بالتمتع بالحقوق نفسها في دولة ديمقراطية علمانية مشتركة . ومن ناحية حقوق الانسان فان اسرائيل اليوم تساوي بالضبط ما أخذت من الفلسطينيين . ان السعادة الاسرائيلية تتكون من دموع الفلسطينيين*. واذا كان الاسرائيليون اليوم شعبا له أرض فان ذلك لان الفلسطينيين شعب بلا ارض . ان انتصارات اسرائيل هي هزائم الفلسطينيين وان اعتداد الاسرائيليين انما هو ذل الفلسطينيين ، وقوة اسرائيل هي ضعفهم . وبينما تنمو اسرائيل على مر الزمن وتتقدم لتصبح دولة بين الدول يختفي الفلسطينيون شيئا فشيئا ليصبحوا شعبا بلا دولة اما مسيطرا عليه في أرض فلسطين او يعيش في المنفى . ان وجود اسرائيل انما يعني انعدام وجود الفلسطينيين بكل ما في الكلمة من معنى .

وبصورة موضوعية ، ليس امام الفلسطينيين خيار غير القتال ضد الاستعمار والسيطرة الاسرائيليين . ولا يمكن ، والحالة كذلك ، ان ينظر الى التحرير على انه مغامرة رومنطيقية بل على اساس انه مسألة بقاء او عدم بقاء . ولا يمكن ان يكون الفلسطينيون طرفا في اي حل « جزئي » في ظل الظروف السائدة لان كل حل « جزئي » هو في الحقيقة

* وفق تعبير محمود درويش .

حل شامل بقدر ما يرتبط ذلك الحل الجزئي بحقوق الفلسطينيين الاساسية الوطنية والانسانية كافة .

اما بالنسبة للاخلاق فان الفلسطينيين يعون جيدا فلسفة الاقوياء المنكفئة على ذاتها التي تجعلهم عاجزين عن رؤية الام شعوب العالم الثالث وتطلعاتها المشروعة في الحياة الحرة السعيدة . وفي فترة ما قبل التاريخ التي تشكل التاريخ الذي لا زلنا نحياه فان نظام الامبريالية الرأسمالية الليبرالية والمستغلة القاسية انتج منظومة من القيم التي تستطيع بكل سهولة ان تبرر اكثر جرائم الامبريالية وحشية وضراوة . وهكذا استطاعت البلدان القوية كأميركه ان تكتنف بالغموض الحقيقة الانسانية لاعمالهم عن طريق تقنيع تلك الاعمال بتعابير وعمليات فكرية لا علاقة لها بتلك الاعمال ذاتها ، مثل الحجج التي تبدو في ظاهرها قانونية او النصائح التي تدعو الى « العملية » تلك التعابير والعمليات الفكرية التي تعمل على ابقاء البنى المضطهدة القائمة في الدول العنصرية وعلى ابقاء التعابير العسكرية « المحايدة » المعقدة التي تستخدم في اخفاء الرعب الانساني من الدمار على يد القوة التكنولوجية المتفوقة في فيتنام . ولقد حاول الصهيونيون في فلسطين والاميركيون في فيتنام والروديسيون البيض والافريقيون الجنوبيون جميعا ان يضربوا ستارا على اعينهم واعين الاخرين واخفاء عدوانهم ووحشيتهم ولا انسانيتهم بطريقة أو اخرى . وقد يرتكب الصهيونيون أبشع الجرائم (كما فعلوا في دير ياسين وقبيه وكفر قاسم) ولكنهم يستطيعون التغلب على شعورهم بالذنب والحفاظ على استقامتهم في اعينهم هم وذلك بالاعتراف بارتكاب مثل هذه الجرائم ومعالجتها على اساس انها « غير مقصودة » وشاذة وعبارة عن انحرافات آنية .

وبسبب هذه الفلسفة الأخلاقية يدرك الفلسطينيون انهم لن يحققوا شيئا بمجرد دعوة القوي الى معالجة الظلم الذي ارتكب في حقهم لانه يكاد لا يعترف بهذا الظلم . لقد وجد الفلسطينيون من خلال الدروس المريرة التي تلقوها انه لا القوانين الدولية ولا الاعمال والمقررات الصادرة عن الهيئات الدولية تستطيع ان تحقق شروط الحق والعدالة . ان العدالة التي سيعترف بها العالم هي تلك التي يستطيع المضطهد ان يحققها من خلال نضاله وتضحياته . ان المضطهدين لا يستطيعون ابدا ان يتوقعوا الحصول على حقوقهم على طبق من الفضة في عالم السيادات الوطنية وسيطرة الامم الغنية ، عالم القوى الامبريالية والمواقع العاجزة عن الدفاع عن نفسها ، عالم الاستعمار الجديد .

ويعلم الفلسطينيون انه مع تصاعد النضال فلا بد له من ان يتخذ شكلا قاسيا . ان العنف الشامل لا ينفصل عن عملية التحرير من الاستعمار الاستيطاني . ان ضحايا العدوان الاستعماري يلجأون الى العنف المضاد للقضاء على العنف الذي وقع عليهم . والوحشية تزداد مع تزايد العنف والعنف المضاد . وهكذا فان الضحية ومضطهدها يقعان في شرك التصعيد القاتل . ونحن نعلم من التجربة الماضية ان التصعيد لا ينتهي قبل ان يصل درجات حادة من سفك الدماء والدمار الذي يدوم شهورا بل وسنوات كما حدث في الجزائر .

وهناك ثلاثة اسباب اساسية تفرض على الفلسطينيين اختيار هدف التحرير هدفا لا عودة عنه . السبب الاول هو غياب أي بديل آخر للكفاح : فاذا هم لم يقاتلوا هلكوا . وهم لم يبق لديهم الا القليل ليخسروه . « ان ما لا يقتلني يجعلني اقوى » على حد قول فريدريك نيتشه . السبب الثاني يكمن في حركة التحرير السائرة في جميع انحاء العالم : فالفلسطينيون اصبحوا يرون ، كما لم يفعلوا من قبل ، ان تحررهم جزء من حركة عالمية . انهم يرون تحررهم مرتبطا بتمزيق نظام الامبريالية الجديدة الاميركي ، هذا النظام المحكوم عليه بالزوال في الشرق الاوسط مثلما في جنوبي شرقي آسيه . وهناك اخيرا

القدرة على التحول في المجتمع العربي ، اي القدرة على تعبئة الطاقة العربية التي لا بد ان تصبح يوما ما حقيقة واقعة .

الوضع العربي

ان من الحماقة التقليل من قيمة المصاعب التي يواجهها الفلسطينيون في هذا الوقت في العالم العربي . فحركة التحرير تواجه بديلا ووجهة نظر بارزة تعتبر نفسهـا واقعية وبراجماتية وتدعو الى تسوية سياسية ، ويدعو هذا الموقف الواقعي (أو التشاؤمي) اساسا الى تسوية (في هذا الوضع السياسي والعسكري المحـدد) تنقذ « ما يمكن انقاذه » . ولا يستمد هذا الموقف ضرورته من مجرد الضغوط اليومية (والضعف العربي الناتج عن الاحتلال والشقاق العربي والفلسطيني) وانما ايضا ، وبالقدر نفسه ، من الاعتقاد ان القوة (العربية) **الممكنة** لا تستطيـع ان تأتي بأية نتيجة عملية في الوقـت الحاضر ، وان خدمة الاهداف النهائية على أفضل وجه قد تأتي عن طريق ضمان المصالح الآنية . ان اولئك الذين يدافعون عن هـذا الموقف يؤكدون انهـم في سعيهم للتسوية السلمية لا يتخلون عن هدف التحرير وانما « يؤجلونـه » فقط الى وقت اكثر ملاءمة في المستقبل . ويحاجج هؤلاء بقولهم ان الطريقة الوحيدة الان هي مواجهة العدو ، بسوء نيته ونزعته المزيفة للخير ، والحصول منه عـلى أكبر ما يمكن الحصول عليـه دون التعرض لمخاطر قوته (وقوة مؤيديه الاميركيين) التدميرية الساحقة .

ان رد المنادين بالتحرير على هـذا الموقف يتلخص بالقول ان ثمن السلم اغلى من ثمن الحرب . هم يرفضون التسوية السياسية على انها ليست اكثر من الاستسلام والغاء امكان التحرير الى الابد . انهم يحذرون تبني الاوهام حول المستقبل نظرا للمسافة التي لا يزال يترتب على حركة التحرير السير فيها ، كما يحذرون بالقدر نفسه رفض بديـل التحرير على انه في الظرف الحاضر غير عملي أو غـير واقعي . وعـلى الرغم من ان التسوية **السياسية** ، من وجهة نظر دعاة التحرير ، ربما ستبقى الشكل النهائي لسلم نهائي فان السلام تحت اية ظروف (مثل الظروف الحاضرة) لا يمكن ان يكون مقبولا لانه لا يمكن ان يكون سلاما حقيقيا .

ويرى الذين يرفضون التسوية ويدعون للنضال ان المصالح الآنية والاهداف النهائية لا ينفصلان : فاذا كان التحرير في الوضع الحالي يبدو بعيد المنال فان التسوية السياسية تتخلى ليس فقط عن الحقوق الاساسية ولكنها تقضي على ارادة القتال وتؤجل امكـان التحريـر الى اجـل غير مسمى . ومن الواضح أن الموقفين في مضامينهمـا العملية والسياسية يعبران بالضرورة عـن مواقف متناقضة حـول السؤال : « ما العمل ؟ » فالمسافة التي تفصل بين الموقفين هي تلك التي تفصل بين مصالحهما المادية . ويبدو هذا التعارض واضحا في الطريقة التي يقيم بها كل من الجانبين التجربة الفيتنامية . فبالنسبة الى الواقعيين نرى أن درس فيتنام هو ذلك الدرس الذي تريد الولايات المتحدة أن تلقنه الى شعوب العالم الثالث كافة أي الثمن الكبير الذي يتوجب على الشعوب التي تقول بحرب التحرير الشعبية . اما بالنسبة لدعاة الكفاح المسلح فان الدرس المستقى هو ان الشعب الفيتنامي علم العالم ان الشعب المسلح المصمم هو قوة لا تقهر . ان التنـاقض اذا بين موقف التحرير وموقف « الواقعية » ليس فقط بين المقاومة المستمرة والتسوية السياسية ولكنه يعبر عن تناقض داخلي عميق في قلب بنية المجتمع العربي بكليته .

ان دعاة التحرير ينظرون الى انفسهم بانهم الواقعيون الحقيقيون وذلك من خلال المنظور الذي ينظرون منه على المسألة دون ان توجههم مصالحهم الثابتة في البنية القائمة ، فهم يعتقدون أنه من المعقول تماما خلق وعي سياسي كاف في صفوف الجماهـير العربية وجعل الكفاح المسلح قضية واقعية . ان المدخل الآلي والسطحي وحده يفصل الكفاح

المسلح عن النضال السياسي . انهم يرون ان النضال السياسي والكفاح المسلح يشكلان وحدة . ان النضال السياسي ، متميزا عن الكفاح المسلح ، سيسود بناء على الاحوال والظروف التاريخية .

وهذه النظرة في التحرير تأخذ في الحسبان مصادر العالم العربي كافة ولا تسترشد بالمبادىء الجامدة ، فهي لا تتخلى عن دور الجيوش التقليدية والتدريب التكنولوجي والمعدات المتقدمة وغيرها في حرب العصابات . وتعتبر زيادة القدرة العسكرية للجيوش القائمة عاملا رئيسيا في خوض الحرب الشعبية ، فلا الجيوش النظامية ولا قوات الفدائيين وحدها تستطيع ان تتحمل حربا طويلة ضد عدو غني متقدم تكنولوجيا . وعندما يرتبط شكلا النضال عضويا فقط تستطيع ان تولد حركة تحرير شعبية حقيقية ، اي عندما تنضم الجيوش النظامية الى الميليشيا الشعبية وقوات الفدائيين يمكن التغلب على التجزئة والشقاق العربي ويمكن ان تصبح الجبهة العربية الموحدة حقيقة راهنة . وترتكز مقولة التحرير على المبدأ القائل انه عندما يشمل النضال الشعب بأسره فقط يمكن تحقيق حق الشعب في الحرية والاستقلال ، ولن يستطيع اي قول بالحق او العدالة ان يثبت وحده هذا الحق ابدا . وفي النضال ضد الاستعمار يستطيع عنف المضطهدين وحده ان يحطم عنف المضطهد . ومن خلال هذا المنظور لا يمكن رؤية طريق قصير الى التحرير او مهرب من سفك الدماء والدمار الذي تستتبعه حرب التحرير . وفي النضال ضد الاستعمار الاستيطاني ، مثلما هي الحال في النضال البروليتاري لا بديل للثورة من الاستيلاء على السلطة التي لا تستسلم بارادتها ابدا . اما التسوية السياسية القائمة على المساومة والحل الوسط فتؤدي ، مثل جميع الاصلاحات البرجوازية ، الى تعزيز السيطرة القائمة ونسف ارادة القتال عند الشعب المتحفز الى القتال . وبناء عليه فان المفهوم التحريري يرفض « العقلانية » المزعومة التي ينادي بها « الواقعيون » و « البرجمانيون » بأسلوبهم الكمي والحسابي والعملي . **وبالنسبة لهذا المفهوم فان الانسان ، لا التكنولوجيا ولا الآلة ، هو محور التغيير** . ان سر القوة الفيتنامية يكمن في التنظيم الاجتماعي والسياسي الفيتنامي وليس في تقدم فيتنام التكنولوجي (ولقد اظهرت التجربة الاميركية في فيتنام انه يمكن ان تصبح التكنولوجيا المتقدمة قوة سلبية بكونها قوة غير عقلانية وغير انسانية ، مدمرة لغيرها ولنفسها في آن واحد) . وفي المجتمعات النامية (مجتمعات العالم الثالث) فان البنى الاجتماعية والسياسية الموجهة الى هدف التحرير (لا الى التعايش مع الامبريالية) تستطيع وحدها ان تكرس التكنولوجيا لخدمة الانسان وتحريره . اما عندما تكون التكنولوجيا تحت سيطرة الوضع الراهن فانها توضع في خدمة هذا الوضع اي في خدمة السيطرة والقمع ، اي في خدمة الامبريالية .

ولا يتعامى الموقف التحريري عن حالة المجتمع العربي الموهنة ، بل على العكس من ذلك فهو منهمك بتحليل هذه الحالة باستمرار . ولهذه الحالة جوانب كثيرة . فمن الناحية السياسية لا يزال العرب بعد اكثر من خمس وعشرين سنة من المواجهة يجدون انفسهم بعيدين عن الوحدة بعدهم عنها عندما نالوا استقلالهم من الاستعمار . ويقضي الشقاق والارتياب المتبادل بين الدول العربية على اية امكانية في المستقبل المنظور للتعاون الجدي او العمل المنسق بين تلك الدول . ومن الناحية الاجتماعية فان المجتمع العربي ، بما فيه مجتمعاته القطرية (سوريه والعراق ومصر وغيرها) لا يزال يعاني من نقاط العجز والضعف القديمة الحضارية والسياسية والاقتصادية . ان المجتمع العربي لا يزال عاجزا عن تجنيد القوة الكافية لتحقيق اول اهدافه الاساسية الاجتماعية والسياسية .

ان الجانب الاهم في هذا الوضع هو ذلك المتعلق بعماد الطاقة الثورية في المجتمع العربي اي الجماهير البروليتارية والفئات البرجوازية الصغيرة وخاصة المثقفة منها .

ان الجماهير متأصلة في حضارة القرون الوسط الدينية والمثقفون هم اسرى تربية مثالية تجريدية . ومن الناحية الايديولوجية والتنظيمية فان المهمة التي يتطلبها التحرير تبدو مخيفة وبالضرورة طويلة الامد . وبذلك نفهم موقف « الواقعيين » ونفاد صبرهم وشكهم بالامكانات البشرية المتوافرة .

ولا يتمتع الوعي الثوري حتى الان (وهو شرط من شروط السلوك الثوري) بقاعدة جماهيرية في العالم العربي . وعلى الرغم من أن الجماهير قادرة على الممارسة الثورية عندما يستوعبها النضال الثوري (الجزائر ، عدن ، غزة) فانها تميل في حالات الاستقرار والانتقال الى البقاء خاضعة للايديولوجية السائدة (اي الايديولوجية الدينية والقومية الحضارية) وبالتالي للتلاعب السهل بها من جانب المسكين بمقاليد السلطة . وهكذا تطرح المسألة نفسها ، من وجهة نظر المنادين بالتحرير ، **ليس على انها غياب الجماهير الثورية موضوعيا وانما قبل كل شيء على أنها غياب الوعي الثوري داخل الجماهير الثورية .**

اما المثقفون البرجوازيون فيعانون من نوع آخر من العجز الذي يؤدي الى النتيجة ذاتها . وان التقديس الاعمى للتعليم خلق في العالم العربي ، كما في المجتمعات المتخلفة الاخرى ، طبقة همها السعي وراء المركز الاجتماعي « اللائق » والرفاهية في العيش . وتسيطر على هذه الطبقة ايديولوجية الحضارة المجردة التي تغفل الانسان وتتعامى عن الواقع الاجتماعي . وان القيم التي يشكل منها المثقفون البرجوازيون الصغار صورتهم الذاتية ونمط حياتهم تعود جذورها الى حضارة طبقية وشوفينية وعرقية ، هي الحضارة الاوروبية والاميركية . وانتقال هذه الطبقة الى الوعي الثوري هو تحول صعب ومعقد ويشكل عملية طويلة الامد .

واذا كان للموقف التحريري ان يقبل الواقع الاجتماعي والسياسي القائم في العالم العربي طبقا لشروطه فان معارضة هذا الموقف الواقعي تفقد حينئذ معناها ، وتجد المقاومة نفسها خاضعة لمتطلبات الواقعية كما يدركها الحس العام اي خاضعة للتسوية . ولكن من الضروري لمنظور التحرير ان يقدر بالضبط على تجاوز الواقع الحالي والنظر من خلاله وما وراءه الى الطاقة الثورية الكامنة في احشائه ، اي ان يقدر على رؤية الوضع القائم لا كمجموعة مجزأة وجامدة من الاحداث والوقائع المتجاورة عرضا ، بل ككل دينامي حي ، وكجزء من **عملية** تاريخية متطورة . وبهذا المنظور فان تحليل الواقع العربي لا يتوقف عند ما نراه امامنا من الانحلال والانحطاط الذي يقدمه هذا الواقع ولكنه يتجاوزه ليرى التناقضات المتأصلة فيه والقادرة على تهيئة الظروف والامكانات للتحول الراديكالي فيه .

ان المفهوم التحريري يفترض التغيير الراديكالي (سياسيا واجتماعيا) كما يفترض هذا التغيير المفهوم التحريري ذاته الذي يرى التحرير والتغيير الراديكالي عملية ديالكتيكية ويراهما يسيران يدا بيد في عملية **النضال** .

ومن خلال هذه النظرة لم يعد العالم العربي يبدو مجرد مجتمع متخلف **ينتظر** ان «يطور» بل مجتمعا على عتبة فترة اضطرابات وتغيرات عنيفة . ان الوضع الموضوعي بعيد عن الغائية ويمثل وضعا مفعما بالامكانات .

الا ان هذا المفهوم لا يضفي على صاحبه اي قدرة تنبؤية بمعزل عن تلك التي تحددها الارادة الجماعية المؤثرة في الواقع الموضوعي ، اذ ان الواقع المادي للصورة الاجتماعية والسياسية القائمة سيستمر في طرح نفسه في اشكال غير متوقعة . وليس هناك اية ضمانة في ان التناقضات المدركة في الوضع السائد لن تطمس او تظهر بواسطة القوى الخارجية ، او ان المستقبل يجب ان يأتي بظروف اكثر ملاءمة للتحرير . وصحيح ان

الطاقة الثورية الكامنة سوف تتحدد تحديدا رئيسيا بواسطة تناقضات معينة متاصلة في الوضع العربي الراهن ولكن هذا سيحدث فقط بالطريقة والى الحد الذي تستطيع معه الارادة الذاتية ان تسير بهذه التناقضات في اتجاه ثوري . وعلى اية حال فان من المستحيل التنبؤ بالشكل المعين للتطورات الممكنة . وما يجب التأكيد عليه هو ان التحرير لا يطرح نفسه على انه **مجرد** هدف يجب ان يتحقق ولكن بالحري **كعملية** تتكشف في مراحل عبر مدة زمنية . ولذلك نرى هذا الشعار الصائب : ان الذين يناضلون في سبيل التحرير يحررون انفسهم ايضا في عملية التحرير .

وهناك طبعا خطر ان يحمل هذا التحليل المدافعين عن نظرية التحرير على المجازفة في تصعيد التفكير المزاجي في وضع الصياغات النظرية . وبامكان التجاوز ان يصبح مضللا لان الواقع هو واقع رعب ويدعو المرء الى التهرب منه . ومن الواضح ان وجهة النظر المنادية بالتحرير (في اشكالها العملية في العالم العربي) لم تنتج حتى الآن تحليلا منظوما للوضع — لتركيب او بنية المجتمع العربي وللقوى التاريخية المحددة والمؤثرة فيه ولاتجاهاته ونظراته الايديولوجية وللمهام التنظيمية القادمة وما الى ذلك . انها لا تزال على المستوى الاولي لتمثل مفاهيم النقد والتحليل الكلاسيكيين ولتطوير الادوات المفاهيمية الاساسية لهذا التحليل . وأن تطوير النظرية الصحيحة يشكل مهمة خطيرة في هذه المرحلة من مراحل تطور الحركة الفلسطينية .

ومن الواضح ايضا ان المسافة التي تفصل بين وعي الفلسطينيين الثوري وبين الوعي الكامن لدى القاعدة الشعبية اي الجماهير العربية هي المسافة ذاتها التي تفصل بين ارادة التحرير وبين الوسيلة الحقيقية لتحقيقه . ولهذا السبب فاننا عندما نبدأ بالتفكير جديا بنضال يمتد عشرين وثلاثين وخمسين سنة يصبح البرنامج الثوري حينئذ برنامجا واقعيا . ولكني اكرر القول : ان الظروف الموضوعية للتطور الثوري موجودة في الواقع الحاضر الآن . وبما ان العوامل « الموضوعية » قد تكون ناضجة فان العوامل الذاتية تصبح مهمة تماما . وان الفلسطينيين بوعيهم واعمالهم يلعبون الدور « الذاتي » في الاسراع في العملية التي ربما تهيأت لها الظروف « الموضوعية » . لهذا لم تعد الازمات تدل على مجرد حالات عدم استقرار عرضية او مؤقتة وانما قد تدل على بداية مرحلة تاريخية جديدة من التغيير البنيوي في المجتمع .

وهكذا تبرز اهمية تمييز وتحديد الاتجاهات والميول الملازمة لوضع تاريخي معين . فعندما ينفذ ادراك طاقة الحاضر الكامنة الى الوعي (على شكل امكانات مستقبلية) يؤثر على الحاضر ويصبح قوة تحويلية تصعد وتسارع في الوضع الثوري . وقد يبدو على السطح ان الهدوء قد تمكن استعادته وان الوضع الراهن دائم ، ولكن هذا هو المظهر السطحي لكل نظام مسيطر يستمد وجوده من علاقات القوى الراهنة .

ان التناقضات تنضج ابدا تحت السطح . ويستطيع انتشار الوعي الراديكالي ، الذي اصبح يشكل عملية مستمرة في المجتمع العربي اليوم ، ان ينتهز ظروف الازمات وان يعزز الدفع الثوري . وعندما تحدث تطورات مفاجئة وغير متوقعة داخل البنية القائمة — وطنيا وعلى صعيد المنطقة وبين القوى الكبرى — فقد تنتج عن ذلك ازمات اعمق تتيح المجال امام تحقيق « قفزات » ثورية تسير بالعملية الثورية الى الامام .

مقدمات ومتطلبات أساسية

وهكذا فانه يتوجب على الفلسطينيين ان يقوموا بدور رئيسي في الثورة العربية الآتية . وان ارادة التحرير راسخة في وعي منبثق من تجربة تاريخية ويؤلف اداة تغيير للتاريخ . وبالنسبة لهذا الوعي فان الهزائم (والانتصارات) ليست نتائج نهائية ولا يمكن ان تحدد نتيجة النضال من يوم لآخر . فالنصر والهزيمة يؤلفان **العملية** التي من خلالها قد تؤدي

الهزائم ايضا الى انتصارات . ان ما يقرر النتيجة النهائية هو حصيلة القوى التي تكد وتناضل وتنظم على امتداد سنوات عديدة .

ويتجسد الوعي الثوري في العالم العربي موضوعيا في الفلسطينيين بغض النظر عن حالة « الثورة الفلسطينية » (ذاتية الفلسطينيين) . وطالما ان الفلسطينيين مقتلعون من ارضهم ومحرومون من حقوقهم الانسانية والوطنية (وشرط الا « يذابوا » كشعب) فان هذا الوعي الثوري سيبقى موجودا فيهم كامكانية تنتظر التحقيق لتخلق التناقضات التي تعمق الوعي وتزرع الثورة .

وتكمن فرادة الوضع الفلسطيني في انها قضية عربية شاملة تتخطى الحدود الوطنية الفلسطينية . وعلى العكس من الثورة الجزائرية التي كانت مع كل راديكاليتها ثورة **وطنية** جزائرية تهدف الى استقلال الجزائر وحسب ، فان المقاومة الفلسطينية تنطوي على حركة تتجاوز الحدود الفلسطينية المحضة وتشمل المجتمع العربي بأسره . وهكذا فان ما يبدو في تعبيرها المادي انه وعي فلسطيني بالتحديد يبرز على انه الوعي المشترك لكل الجماهير العربية . وهذه هي الحقيقة التي تجعل امتلاك الفلسطينيين وعيا ثوريا شرطا مسبقا لبروز وعي جماهيري صحيح على النطاق العربي العام . وتتمتع حركة المقاومة الفلسطينية بالطاقة الكامنة لتحويل السياسة العربية والايديولوجية العربية تحويلا راديكاليا لكونها تمثل عملية اجتماعية جذرية . وان دفع شرط هذه العملية الى الامام هو ما يصر عليه زعماء المقاومة : مواجهة عنفية مستمرة مع العدو ، رفض الاستسلام ، ونضال مستمر ومتصاعد .

ومن هذه الناحية فان هناك مقدمات ونقاط انطلاق معينة تحدد نضال الحركة واستراتيجيتها . والمقابلات لا تذكر هذه المقدمات والنقاط ذكرا واضحا ، ولذلك لا بد هنا من تحديدها تحديداً واضحا .

ان أول هذه المقدمات وربما أهمها هي التالية : **ان الدولة الاستعمارية الاستيطانية لا اساس لها في الشرعية** . فهي وليدة القوة وبقاؤها رهن ببقاء القوة . وان النظرية الصهيونية ومطالبها لا معنى لها خارج ذاتية الصهيونيين الدينية او النفسية وخارج صفوف مؤيديهم الدينيين والسياسيين . ان الدولة لها وجود تجريبي فقط وليس لها اكثر من الشرعية التجريبية . وفلسطين ارض مغتصبة مثلما كانت الجزائر في الماضي ، واسرائيل تشكل كيانيا استعمارا استيطانيا .

اما المقدمة الثانية فهي **ان الدولة الصهيونية ، مثل كل دولة استيطانية اخرى ، تخلق بذاتها حفاري قبرها . انها تخلقهم خلقا خارجيا على شكل مقاومة مسلحة ، وخلقا داخليا على شكل معارضة اخلاقية وسياسية** . وان حركتي المقاومة (الخارجية) والمعارضة (الداخلية) تبرزان منفصلتين ولكنهما قادرتان على التعاون والارتباط فيما بينهما اذا تيسرت الظروف المناسبة .

ويعتبر الزعماء الصهيونيون اليوم هذه الامكانية بعيدة ، فهم لا يستطيعون ان يروا اي شكل من اشكال التفاهم والارتباط الفلسطيني — اليهودي على مستوى التساوي بين الشعبين . ويرجع ذلك الى عجز الايديولوجية الصهيونية عن رؤية تناقضاتها وعجزها بالتالي عن التغلب على هذه التناقضات . وتجدر الاشارة الى ان الصفة السلطوية للصهيونية (وكل ايديولوجية عنصرية) تحد من رؤيتها (انظر أدناه) وتعيق جوانب حيوية من معرفة الذات — مثلا ، معرفة كيف جاءت اسرائيل الى الوجود ، ومعرفة من هم الفلسطينيون ، الخ . ولكن هذه الجوانب لا يمكن ان تخفى او تطمس الى الابد . ان الستار الذي يخفي الواقع الاستعماري عن ذاته يمزقه انبثاق حركة التحرير والانتقاد الداخلي . فعندما حمل الفلسطينيون السلاح في العام ١٩٦٧ ونظموا انفسهم

من اجل الكفاح المسلح بدات بوادر الشك بالذات تدخل عقول الاسرائيليين ، وظهرت الدولة اليهودية للكثيرين اقل طوباوية واكثر استعمارية في التركيب والاتجاه . وشعر كثيرون من اليهود داخل اسرائيل وخارجها — المستوطنون الصهيونيون ، واليهود الصابرا ، ومؤيدو اسرائيل من الصهيونيين وغير الصهيونيين — بالقلق والخوف ، فقد اضطر هؤلاء اليهود اما الى تجاهل الحقائق عن وعي او الى خنق المشاعر الاخلاقية او الى تفسير المعلومات الجديدة تفسيرا تبريريا . واصبح الشك بالذات وطمس المشاعر الاخلاقية والتبرير الذهني للشعور بالذنب من اول علامات نضوح التناقضات الداخلية .

والمقدمة الثالثة هي **ان الدولة الصهيونية عاجزة عن ادراك مجمل واقعها ، فهي تدرك فقط مظاهر سطحية ومفككة من مظاهر التناقضات الخارجية** . وربما كان هذا الفشل متأصلا في العقلية الاستيطانية ذاتها على الرغم من أساليبها « العلمية » . وهكذا فان الصهيونية لا تستطيع ان تتصور الامن بمعزل عن القوة . وهي من حيث المبدأ تزدري بيئتها الانسانية « المحلية » وتسعى دائما لقمعها — يقول الاسرائيليون : « لا يفهم العرب الا منطق القوة » . ان طبيعة « المعرفة » الصهيونية تجعل الاستنتاج التالي حتميا : لكي تحوز اسرائيل على الطمأنينة عليها ان تستعد للامن النووي .

وترتكز المقدمة الرابعة على الاعتقاد **بان البنية الصهيونية ليست ابدية وان تحطيمها ليس في حيز المعقول فقط بل هو أمر حتمي اذا أخذنا بالحسبان الطاقة الكامنة للتحول العربي وانحلال الاستعمار*** . ان التناقض بين الدولة الصهيونية وبيئتها العربية يمكن الابقاء عليه دون حل باستمرار الشلل العربي (استمرار الشقاق والتخلف الاجتماعي والسياسي) وبتعزيز السيطرة الصهيونية والامبريالية الجديدة . وانه من السخف التاريخي ان يستطيع ٢ ٪ من مجموع سكان المنطقة (وأرضها) ، وهي النسبة التي تحتلها اسرائيل في العالم العربي ، ان يمد سيطرته الى الـ ٩٨ ٪ الاخرى (كما لو سيطرت هونغ كونغ على الصين) حتى ولو بدعم اغنى قوة امبريالية في العالم . وعندما يظهر هذا السخف كواقع عملي محسوس لا يعود التحرير أمرا تجريديا بعيدا وانما مشروعا عمليا تحتمه البنية التي هو في موقع المعارض والمقاوم لها .

يمكن تحديد اهداف التحرير من خلال نضال الفلسطينيين فقط . انه عندما تكتسب الحركة معرفة عدوها تكتسب معرفة ذاتها ، وهي تكتسب معرفة ذاتها في نضالها ضد عدوها . وعملية التحول الراديكالي هي النتاج الحتمي للنضال ، اما اللامبالاة والانتهازية فهما النتاج الحتمي للتخلي عن النضال .

وتؤكد المقدمة الخامسة ما يلي : **بقدر ما تشكل الصهيونية نفيا للفلسطينيين فان التحرير يشكل نفيا للصهيونية** . ولا تستطيع التسوية السياسية ضمن الواقع القائم الا ان تعني تسوية قائمة على « لا واقع » الفلسطينيين اي على تقليصهم الى اقتلاع دائم ، الى لاجئين ، الى تجمع من الافراد لا دولة لهم ، وبكلمة ، الى لا شعب . وبناء على ذلك فان التناقض بين الصهيونية والمطالب الفلسطينية يطرح نفسه بشروط مطلقة . ولا يمكن تحقيق تسوية بين الصهيونية والحركة الفلسطينية الا بأحد طريقين : اما باذابة الشعب الفلسطيني او باذابة البنية الصهيونية . والمعادلة هنا هي بين **اذابة شعب واذابة بنية ، وبالتحديد اسقاط قيادة اسرائيل وسياستها الصهيونيتين وتعرية جهازها الاستعماري**

---

* ان تشويه هذه الجملة امر سهل بالطبع ، فهي قد تعطى معنى « ابادة الجنس » ولكن « القاء اليهود في البحر » الخ . ولكنه لا يوجد سبيل للحؤول دون مثل هذا التشويه . لقد اغتصب الصهيونيون بيوت الفلسطينيين واراضيهم والقوا بهم في الصحراء ، ولا يزال الامر يبدو وكأن الصهيونيين هم « الضحية » . وهذا النوع من التشويه غير ممكن في مناخ عادي سليم ، وربما لا يكون ذلك كله تزييفا واعيا بل نتيجة نوع من ارهاب الاضطهاد Paranoia الجماعي .

والغاء اطارها الثيوقراطي والعنصري ، واستبدال كل ذلك ببنية انسانية حرة ديمقراطية .

في العام ١٩٦٥ عرف ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، السياسة الصهيونية (تجاه العرب) بأنها تستهدف في النهاية تحقيق أهداف ثلاثة جميعها تشكل اهدافا نفسية اساسا وهي : « ... خلق (١) **شك** ــ وفي نهاية الامر (٢) **تسليم** و (٣) **يأس** ــ حول حلم ازالة اسرائيل من خارطة العالم » . وفي التحليل الاخير فان أهداف المضطهد تشكل أهداف المضطهد . وهكذا فان الهدف الاول لحركة التحرير هو بالضبط منع الصهيونية واسرائيل من تحويل التفوق (العسكري) القائم الى شرعية (سياسية) . ان اليأس من الحفاظ على التناقض بلا حل وبقوة السلاح ، ذلك التناقض الذي خلقته الصهيونية الاستعمارية ، يفتح المجال أمام البديل ، اي التصالح العربي ــ اليهودي ، الذي لا يمكن تحقيقه الا من خلال التحرير . وعليه فان تحرير فلسطين لا يمكنه الا ان يكون راديكاليا ، انه الشرط المسبق للتغير النوعي في النضال . ومن السهل التسليم بحتمية الحجة القائلة انه بناء على قوة العدو (ودعم الولايات المتحدة له) فان التحرير حلم لا جدوى منه . ولكن التسليم بالحجة المضادة القائلة انه اذا كان المستقبل ليس في صالح الاستعمار الصهيوني والامبريالية الاميركية فانه لا بد من ايجاد بديل للمساومة والتسوية اصعب من ذلك .

وربما لا يكون الوضع ناضجا لبروز حركة تحرير تامة ولكن الظروف ليست جاهزة « للتسوية » ايضا . ان اعطاء الوقت لقوات التحرير قد يقوم به العدو نفسه . وقد يكون الامر انه طالما استمرت الولايات المتحدة في دعمها ــ وقد تستمر في دعمها الى أجل غير مسمى ــ وطالما حافظت اسرائيل على تفوقها الذي لا نزاع حوله فمن المحتمل ان تستمر القيادة الصهيونية في تأجيل نوع التسوية الذي تسعى حكومات عربية كثيرة وراءه . وقد يؤدي هذا الى نضوج التناقضات وقد يقدم للفلسطينيين فرصة اخرى للامساك بالمبادرة التاريخية في العالم العربي .

ومع ذلك فان الوضع الحالي يفرض متطلباته الملحة والمباشرة وهذه المتطلبات ليست متغيرة ولا يتوقع ان تفقد اولويتها في المرحلة الحاضرة ولا لزمن قادم .

الامر الاول هو وقف التوسع الاقليمي الصهيوني ووقف استيطان الصهيونيين على اية أراض اضافية في فلسطين وفي الاراضي العربية . ففي العامين ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ سقطت مساحات شاسعة من الارض تحت السيطرة اليهودية بسبب نمط المستوطنات الصهيونية التي كانت قائمة في فلسطين في العقدين السابقين او العقود الثلاثة السابقة . ولم تكن هذه المستوطنات مجرد ادوات في تأمين مناطق ستراتيجية ولكنها خدمت ايضا كقواعد لاخراج السكان العرب من تلك المناطق . والان يتكرر النمط نفسه في المناطق المحتلة من مرتفعات الجولان الى البحر الميت ، ومن شرم الشيخ الى غزة . وفي حال نشوب حرب في المستقبل فان عملية ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ذاتها ستتكرر . وهذه المرة سيعبر اللاجئون نهر الاردن قادمين من غزة والضفة الغربية تاركين مناطقهم خالية وقابلة للضم **بالامر الواقع** . ان التمسك بالارض اذا هو الهدف الاسمى لكل عمل فلسطيني في الحاضر والمستقبل .

اما الامر الثاني فهو تجذير السكان الفلسطينيين في الارض الفلسطينية سواء في اسرائيل العام ١٩٤٨ أم في الضفة الغربية المحتلة ام في قطاع غزة . ولا بد من ايجاد الوسائل لوقف خروج الفلسطينيين من أرضهم بارادتهم او بالاغراء . وفي النهاية سيستطيع أصحاب الارض الشرعيين التمسك بحقوقهم الوطنية في فلسطين وذلك فقط برفضهم « مغادرة » أرضهم و« الاختفاء » عنها . ان اكثر من نصف الفلسطينيين يعيش الآن في

ظل الحكم الاسرائيلي ، وهؤلاء يشكلون القاعدة الرئيسية في النضال من اجل التحرير .

والامر الثالث هو اعاقة الهجرة اليهودية على نطاق واسع الى اسرائيل . وان التوسعية الصهيونية ليست مجرد عملية عسكرية ، انها بصورة رئيسية عملية استيطان . فبدون الهجرة اليهودية على نطاق واسع لا تستطيع الصهيونية تحقيق أهدافهـا السياسية والاقتصادية . وطالما ان الهجرة اليهودية الى اسرائيل على نطاق واسع لا تتم (من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على وجه الخصوص) ـ وطالما ان الهجرة المضادة الضئيلة من اسرائيل تستمر ــ فان الصهيونيين لن ينجحوا أبدا في ان يصبحوا قوة ذات شأن في الشرق الاوسط وسيفشلون في زرع أنفسهم في المنطقة بصورة دائمة . وهـذا الامر ضروري لستراتيجية النضال قصيرة وطويلة الأمد .

الامر الرابع هو الحفاظ على المقاومة الفلسطينية حيـة وناشطة . ان العنف المنظم للفلسطينيين المضطهدين هو القادر بصورة رئيسية على تحقيق الامور المذكورة اعـلاه وعلى خلق حركة تحرير ناجحة ونامية . وان الكفاح المسلح هو شرط تنظيم الشعب وللقيام بالنضال السياسي والحفاظ على نيران التحرير ملتهبة . وفي التحليل الاخير ، ان الكفاح المسلح وحده يستطيع ان يمنع الحقيقة **الثابتة** للعدوان الصهيوني من ان تصبح واقعا **مسلما به** . ان مصير الاجيال القادمة من الفلسطينيين (وغيرهم من العرب) ، سواء أكانوا سيعيشون أحرارا مستقلين أم خاضعين للاستعمار الجديد ، قد يعتمد على ما اذا كانت المقاومة الفلسطينية ستتطور بطريقة تجعل من الممكن بروز حركة تحرير قادرة على تعبئة الجماهير مادة الثورة وعلى تحقيق اهدافها الاجتماعية والسياسية .

يهود الولايات المتحدة
والحزبان الديمقراطي والجمهوري

عودة ابو ردينة

أعرب الحزبان الاميركيان الجمهوري والديمقراطي في حملــة هذه السنة لانتخابات الرئاسة الاميركية عن اهتمامهما باسرائيل ويهود الاتحاد السوفياتي . وسنحاول في هذه المقالة تحليل وتقييم تأثير اليهود الاميركيين على الحزبين المذكورين . ان قلق الحزبين الرئيسيين على اسرائيل ومصلحتها ليس وليد الصدفة كليا . فلقد قال الصحافي الاميركي وليم بكلي : « ان تعهد الولايات المتحدة بضمان استقلال اسرائيل ضروري في الوقت الحاضر لكل من يطمح الى ان يتبوأ سدة الرئاسة ، وذلك لسبب بسيط هو ان الجالية اليهودية بموقعها الستراتيجي سخية جدا في دعم القضايا السياسية ومصرة جدا على مسألة استقلال اسرائيل »(١) . ويشكل اليهود الاميركيون الان قرابة ٢،٩ بالمئة من مجموع سكان الولايات المتحدة الاميركية . ولذلك يجب ان تجعل هذه النسبة مجموع الاصوات اليهودية ثانويا وغير ذي اهمية بالنسبة الى مرشحي الرئاسة . الا ان خصوصيات النظام الانتخابي الاميركي تعطي الاصوات اليهودية تأثيرا اكثر من قدرتها العددية بكثير . ان نظام انتخاب الرئيس الاميركي بواسطة « الهيئة الانتخابية » (Electoral College) يعطي قيمة نسبية الى جميع الولايات وفقا لعدد سكان كل واحدة منها . وبما ان معظم اليهود الاميركيين يتمركزون في الولايات الصناعية والمدينية فان أصواتهم تستطيع ان تؤثر في الانتخابات في هذه الولايات حيث يسعى المرشحون للرئاســة بحماس شديد لكسب الاصوات . ويتمركز اليهود الاميركيون في احدى عشرة ولاية على الشكل التالي : نيويورك ٢،٥٠٠،٠٠٠ ، كاليفورنيه ١،٠٠٠،٠٠٠ ، بنسلفانيه ٤٤٣،٥٩٥ ، نيوجيرسي ٣٨٧،٢٢٠ ، الينوي ٢٨٣،٠٠٠ ، ماساتشوستس ٢٥٩،٠٠٠ ، فلوريده ١٨٩،٠٠٠ ، ماريلاند ١٧٧،٠٠٠ ، أوهايو ١٦٠،٠٠٠ ، كونكتيكت ١٠٣،٠٠٠ ، ميشيغن ٩٨،٠٠٠ ، تكساس ٦٥،٠٠٠ . ويبلغ مجموع مقاعد هذه الولايات مجتمعة في « الهيئة الانتخابية » ٢٧٧ مقعدا . والجدير بالذكر ان على المرشح للرئاسة الحصول على ٢٧٠ صوتا في هذه الهيئة كي ينجح .

والى جانب تمركز اليهود الاميركيين في الولايات المدينية الكبيــرة وفي المدن ، فانهم « يسجلون ويصوتون حتى آخر رجل وامرأة فيهم بينما لا يفعل الآخرون ذلك »(٢) . تبلغ اهمية الاصوات اليهودية ضعف ما يشير اليه عددها . فقد كتب جوزف السوب يقول : « في مدينة نيويورك مثلا يشكل اليهود ربع السكان فقط بينما ٤٠ في المئة من الاصوات هي أصوات يهودية »(٣) .

لقد خاض المرشحون الرئيسيون للرئاسة عن الحزب الديمقراطي ـــ مسكي وجاكسون وهمفري ومكغفرن ـــ حملتهم الانتخابية «وكأن طموحهم الحقيقي أن يجلسوا في الكنيست

في القدس »(٤) . فقد صدر اثناء الحملة الانتخابية الاولية في فلوريده بيان عن مركز الحملة الرئيسي للسناتور مسكي (عن ولاية مين) يحييه بقوله : « فائز يناضل من اجل قضيه فائزة هي أمن اسرائيل »(٥) . ونشر العاملون في حملة همفري الانتخابيــة إعلانا في صفحتين في صحيفة « جويش فلوريدين » الاسبوعية يتساءل : « اي مرشح ديمقراطي افضل صديق لإسرائيل ؟ »(٦) ثم يجيب ان السيناتور هيوبرت همفري هو المرشح الوحيد الذي يدعم مطالب اسرائيل بالجزء العربي من القدس . ورد العاملون مع جاكسون باعلان مؤلف من صفحتين وفي الصحيفة نفسها ايضا مؤكدين « ان احدا لم يعمل اكثر من السيناتور م. جاكسون في سبيل مساعدة اسرائيل »(٧) . وفي سبيل الحصول علــى الاصوات اليهودية الكثيرة في فيلادلفيه اثنــاء الانتخابات الاوليــة في بنسلفانيه قال السيناتور همفري « انني سأذهب الى اسرائيل » . وذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » انه بسبب عدد السكان اليهود الكبير قال الزعماء اليهود لهمفري انه يجب عليه « تجديد اوراق اعتماده » اذا كان يتوقع تأييد اليهود له في الانتخابات . وبناء على ذلك اصدر السيناتور همفري بيانا يقول ان الولايات المتحدة قد رفضت الاعتراف بالقدس يهودية وان الرئيس نيكسون « لم يجد الوقت ابدا لزيارة اكثر اصدقائنا ولاء في الشرق الاوسط . ومهما يكون دوري في الحياة الاميركية العامة في العام القادم فانني سأقوم برحلة الى القدس للمشاركة في احتفالات الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لقيام اسرائيل »(٨) .

وحتى السيناتور مكغفرن ، اكثر المرشحين اعتدالا ، تخلى عن اعتداله السابق حول الشرق الاوسط « لان الذي يدعم اسرائيل باندفاع شديد يجلب الاصوات اليهودية »(٩) . ولقد توج مكغفرن رأسه بقلنسوة الصلاة في كنيس وادي سان فرناندو حيث دعا ادارة نيكسون الى الاعتراف بالقدس عاصمة لاسرائيل « والى نقل سفارتنا الى هناك »(١٠) . وقال مكغفرن ايضا انه يجب على الولايات المتحدة ان « تزود اسرائيل بالطائرات المتقدمة وغيرها من المعدات التي تحول دون الهجوم عليها . وتسليم هذه الاسلحة ... يجب الا يشترط موافقة اسرائيل على المطالب الدبلوماسية الاميركية بل يجب ان يكون التزاما مستمرا يقوم على اساس المتطلبات العسكرية فقط »(١١) . اما جورج لاردنر الابن فقد قال بصراحة في صحيفة واشنطن بوست : « ولكن هنا في كاليفورنيه ... كان مكغفرن يلعب اللعبة القديمة ذاتها ، كان ينشد اناشيد المديح للجميع من النبي ابراهيم الى موشيه دايان »(١٢) . واثناء الانتخابات الاولية في نيويورك طبع رجال مكغفرن ثلاثة ملايين نشرة تصفه بأنه « مدافع قوي عن اسرائيل »(١٣) . ونقلت احدى النشرات عن مكغفرن قوله انه سيبيع طائرات الفانتوم النفاثة الى اسرائيل ويسلمها تلك الطائرات في غضون اسبوع بعد تسلمه مهامه رسميا . وقالت النشرة ايضا انه يدعم ضم اسرائيل مدينة القدس اليها(١٤) . وتم ذلك لمواجهة مزاعم رجال همفري ، ان مكغفرن « ضعيف » في موقفه من اسرائيل ولمواجهة ما قاله مانفرد اهرنشتاين ، عضــو مجلس الشيوخ الاميركي عن ولاية نيويورك ، ان « اصوات جزء من المؤسسة الصهيونية في هــذا البلد ... سيتحدد على ضوء ما يعتقدون ان نيكسون فعله من اجل اسرائيل ، ويعتقدون انه فعل الكثير في هذا السبيل . فهم متجهون نحو مسألة واحدة تشكل كل ما يستطيعون رؤيته . ولذلك فهم يشعرون انهم ملزمون وسيفون هذا الالتزام »(١٥) .

وهكذا لعب الزعماء السياسيون اليهود ادوارا بارزة شملت امورا واضحة جدا في حملة مكغفرن الانتخابية الناجحة للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي له ضد ريتشارد نيكسون لانتخابات الرئاسة في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ . ولقد رشح السيناتور ابراهام ريبيكوف ، حاكم ولاية كونكتيكت السابق ، صديقه القديم والطبيب ، مكغفرن في مؤتمر الحزب حيث القيت ثماني عشرة خطبة امام ٣٠١٦ مندوبا بينهم ٣٠٠ يهودي ترشح ستة اشخاص . ولم يشر اي من الخطباء عدا ريبيكوف وحده الى اسرائيل بقوله

ان « دور (مكغفرن) القيادي في انهاء مأساة فيتنام لم يقلل من عزمه على حماية المصالح الحقيقية للولايات المتحدة في اوروبه وعلى بقاء اسرائيل في الشرق الاوسط»(١٦). وبعد ان انتصر مكغفرن في الاقتراع الاول أعلن ريبيكوف وماندل عضوين في الوفد الرسمي للحزب الذي سيبلغ مكغفرن رسميا نبأ ترشيحه . وتجدر الاشارة هنا الى ان ماندل هو احد ثلاثة حكام من اليهود جميعهم في الحزب الديمقراطي ، أما الاخران فهما ملتون شاب ، حاكم ولاية بنسلفانيه ، وفرانك ليشت ، حاكم ولاية رود ايلاند . وكان ليشت رئيس وفد ولايته الذي اقترع اعضاؤه الاثنان والثلاثون الى جانب مكغفرن . ورئس ماندل ايضا شخصيا وفد ماريلاند الا ان هذا الوفد لم ينجح في الاقتراع بأغلبية اعضائه الى جانب مكغفرن الذي حصل على ١٣ صوتا فقط في حين صوت ثمانية وثلاثون الى جانب جورج ولاس ، حاكم ولاية الابامه .

وبرز نفوذ اليهود الاميركيين في الحزب الديمقراطي في ذلك البند من البرنامج السياسي المتعلق باسرائيل الذي نص على انه : « يجب على الولايات المتحدة ان تلتزم التزاما تاما بدعم اسرائيل في حقها في الوجود ضمن حدود آمنة يمكن الدفاع عنها . ويجب على الادارة الديمقراطية القادمة أن تعلن ,تنفذ التزاما ثابتا وعلنيا طويل الامد بتزويد اسرائيل بالطائرات وغيرها من المعدات العسكرية بكميات وانواع متقدمة حسب حاجتها من أجل الحفاظ على قوتها الرادعة في وجه تكديس الاسلحة السوفياتية والتهديدات العربية لتجديد الحرب ، وان تسعى الى جمع الطرفين في مفاوضات مباشرة في سبيل حل سياسي دائم ... وان تحافظ على التزام سياسي وقوة عسكرية كبيرة في اوروبه وفي البحر الابيض المتوسط بحيث تردع الاتحاد السوفياتي عن ممارسة ضغط لا يطاق على اسرائيل . وان تعترف بالقدس كعاصمة لاسرائيل وان تدعم الوضع القائم فيها بحيث تتاح حرية الوصول الى الاماكن المقدسة للاديان كافة »(١٧).

ان اليهود الاميركيين هم « من المولين الرئيسيين للاحزاب السياسية ، وخاصة للديمقراطيين ، تماما مثلما هم المولون الرئيسيون لاسرائيل نفسها » (١٨). ويعتمد رجال السياسة الاميركيون أكثر فأكثر على مبالغ كبيرة من المال في حملاتهم الانتخابية . وهذا ما عبر عنه السيناتور مسكي بايجاز عندما انسحب من الانتخابات الاولية : « ليس لدينا المال ... ببساطة لا يمكن خوضها (الانتخابات) بدون المال »(١٩). وهكذا فان المرشحين للرئاسة مدينون بازدياد لاولئك المتبرعين اليهود الذين يستطيعون تزويدهم بالمال . « فمع ازدياد تكاليف خوض الحملات يزداد نفوذ الدولار »(٢٠). ان قلب الحزب الديمقراطي المالي هو الاستثمار اليهودي الذي يقوم به اصحاب البنوك اليهود في « وول ستريت » . وتجدر الاشارة هنا الى مجموعتين اثنتين تسيطران على وول ستريت هما الـ WASPS (اميركيون من نيو انغلند) واليهود .

ومن المستثمرين اليهود اصحاب البنوك : لحمان اخوان ، وغولدمان ، وساكس وشركاه ، وكوهن ، ولواب وشركاه ، ولازارد اخوان ، وكارل م. لؤاب ورودس (Rhoades) . هذا وان الاشخاص الذين يديرون هذه المؤسسات تربطهم بصورة وثيقة صلات عائلية وتجارية تعود الى زمن وصول الافراد الاول من عائلاتهم الى الولايات المتحدة . وعلى سبيل المثال فان أقارب لحمان وحدهم يجمعون معظم البيوت اليهودية من اصحاب البنوك في عائلة واحدة كبيرة . وهكذا نجد ان جون ل. لؤاب (من كارل م. لؤاب ورودس) وبنيمين بطنفيزر (احد كبار الشركاء في كوهن ولؤاب) متزوجين امرأتين من عائلة لحمان . وآرثر التشوتل (من غولدمان وساكس) تربطه قرابة وثيقة بلحمان . وهناك أمثلة كثيرة أخرى . فكوهن متزوج من لؤاب وشيفس (من كوهن ولؤاب) متزوج من عائلة ووربورغ (من كوهن ولؤاب) .

ان شركاء كثيرين وموظفين عديدين في المصارف اليهودية يعملون مدراء في شركات كبيرة. وهذا يعني انهم يمثلون دورا بارزا على الرغم من انهم لا يسيطرون بالضرورة على المصالح المالية . وعلى سبيل المثال فان لازارد اخوان وشركاه وصفت بأنها من اقوى البيوت المالية في وول ستريت . ويسيطر على هذه الشركة اندريه ماير البالغ الثالثة والسبعين من العمر « واحد اقوى الرجال في وول ستريت والذي يشكل بذلك قوة رئيسية في الدوائر المالية الدولية »(٢١) . وجدير بالذكر أن السجلات الراهنة تشير الى أن شركاء لازارد يعملون حاليا كمدراء لاكثر من ستين شركة ، حوالي نصفها من الشركات العامة الكبيرة(٢٢) . ولا بد لنا ان نذكر ان صلة ماير بآل كنيدي وثيقة ، فهو يقدم لهم المشورة حول المسائل المالية وبالاضافة الى ذلك يعتبر ماير ان الرئيس الاميركي السابق ليندون جونسون ودافيد روكفلر (تشيز مانهاتن بنك) من اصدقائه . وهناك اصدقاء متنفذون اخرون لماير في الولايات المتحدة منهم يعقوب جافيتس وشارل بيرسي وادوارد كنيدي ، اعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وهنري فولر ودوغلاس ديلون ، وزيرا المالية السابقان في الولايات المتحدة .

« ومع ذلك فانه لا حاجة بنا الى القول أن رجال الاعمال اليهود وليس الاميون هم الذين يتزعمون الدعم المالي للحزب الديمقراطي في وول ستريت بالاضافة الى تقديمهم عددا من الخدمات واسباب الراحة الى المرشحين والمسؤولين في الحزب . وهناك عدة عائلات في هذه المجموعة تقدم للحزب بعض أكبر المتبرعين له والذين يجمعون الاموال في سبيله . وفي العام ١٩٦٤ ، على سبيل المثال ، قدم العديد من آل لحمان ما مجموعه ٣٧٠٠٠٠ دولار للمرشحين الديمقراطيين . وقدم اندريه ماير وحده ٣٥٠٠٠٠ دولار . وفي العام ١٩٦٨ قدم جون ل. لؤاب واقاربه وشركاؤه مبلغ ٩٠٥٠٠ دولار ، كما سلفهم لؤاب شخصيا مبلغ ١٠٠٠٠٠ دولار اخر »(٢٣) . ومن كبار المتبرعين للحزب الديمقراطي في منطقة نيويورك ، ماري لاسكر ، ارملة البرت لاسكر الذي اثرى ثراء فاحشا من جراء عمله في الاعلانات(٢٤) . ويقوم بجمع الاموال للحزب الديمقراطي بصورة رئيسية في نيويورك اشخاص اخرون مثل آرثر كريم ، وروبرت بنيمين ، وارنولد بيكر (عن الفنانين المتحدين) وهوارد شتاين (من شركات درايفوس) . ووردت معظم اموال الحزب الديمقراطي في نيوجيرسي في السنوات الاخيرة من ليون هس (اميرادا ـ هس بتروليوم) والراحل شارل انغلهارد (صناعات انغلهارد)(٢٥) .

وكان البرت م. غرينفيلد ، لعقود خلت ، ابرز الذين يجمعون المال في بنسلفانيه . أما الان فان غرينفيلد ميت . الا ان مهمة جمع الاموال قد تقع على كاهل غوستاف امستردام (Greenfield's Bankers Securities Corp.) . وسيقوم بمساعدة امستردام يهود بارزون آخرون مثل فريدريك مان (رئيس Industrial Container Corp.) وفيليب بيرمان (رئيس Hess Department Store) وآرون غولدمان (Macke Vending Company) (٢٦) . ونستطيع ان نتبين بجلاء دور رجال الاعمال اليهود في تمويل الحزب الديمقراطي في شيكاغو من خلال حقيقة ان « ٢٩ من أصل نحو الـ ١٢٠ رجلا الذين أعطوا ١٠٠٠ دولار او اكثر الى « نادي الرئيس جونسون » في العام ١٩٦٤ كانوا اعضاء في « ستاندرد كلب » الذي تقتصر عضويته على اليهود فقط الى حد بعيد . وأمكن التعرف على ١٠ اشخاص فقط كأعضاء في « نادي شيكاغو » الذي يعتبر معقل الاثرياء من غير اليهود في هذه المدينة »(٢٧) . وفي كاليفورنيه نجد ان ابرز جامعي الاموال والمتبرعين هم ، بشكل رئيسي ، من اثرياء رجال الاعمال اليهود بمن فيهم صاحبا العقارات بن سويغ و وولتر شورنشتاين وصديقهما وزميلهما في التجارة ادولف شومان الذي يرئس شركة لصناعة الالبسة . اما الذين يجمعون المال في لوس انجيليس فمعظمهم من اعضاء Hillcrest Country Club وهو اكثر الاندية

اليهودية في المدينة اقتصارا على اليهود . ويضم هذا النادي رجل المال مارك تيبر ، والمحامي يوجين وايمان ، وجو شاين ولورنس هارفي . ومن المتبرعين السياسيين البارزين الاخرين بولس زيغرن وجون فاكتر ومايلز روبين وماكسين بالفسكي . هذا ويقدر ان ٦٠ ــ ٩٠٪ من الاموال التي تجمع في كاليفورنيه تأتي من اليهود(٢٨) . ومدينة نيو اورلينز هي المدينة الجنوبية الكبيرة الوحيدة التي يسيطر فيها اليهود على الناحية المالية في الحزب الديمقراطي ، ومنهم عائلة شتيرن التي تملك جزءا كبيرا من شركة سيرز وروبك ، ورجل الاستثمار المصرفي هيرمان كوهلماير (كوهلماير وشركاه) والمحامي ستيفن ليمان وتاجر القهوة سام اسرائيل(٢٩) .

ولقد لعب اليهود الاميركيون دورا محوريا في تمويل حملة السيناتور همفري لانتخابات الرئاسة في العام ١٩٦٨ . ووفقا لما تقوله Citizens Research Foundation فقد تلقى همفري المبالغ التالية بالدولار :(٣٠)

جون فاكتور وزوجه ١٠٠،٠٠٠ ، السيدة البرت لاسكر ٦٠،٠٠٠ ، جاك درايفوس وزوجه ٦٣،٠٠٠ ، نورمان كزنز ٥٥،٠٠٠ ، ليو فاسرمان وزوجه ٥٤،٠٠٠ ، هاري برانت وزوجه ٤٥،٠٠٠ ، فريدريك ر. مان ٣٠،٠٠٠ . وقدم جون فاكتور ٢٤٠،٠٠٠ دولار اضافية على شكل قروض . وجدير بالذكر هنا ان جون فاكتور هذا ، وهو من رجال التأمين في ولاية كاليفورنيه أعفي في العام ١٩٦٢ بواسطة الرئيس جون كنيدي من تهم التحايل (عن طريق الرسائل) التي ادين بها في العام ١٩٤٣ . وسلف ليو فاسرمان، رئيس «شركة الموسيقى» في اميركه، لهمفري مبلغ ٢٤٠،٠٠٠ دولار في العام ١٩٦٨(٣١) .

اما الرجل الذي قام بجمع معظم الاموال من اجل حملة همفري في العامين ١٩٦٨ و ١٩٧٢ فهو يوجين وايمان الذي يدير مكتبا يضم ٦٠ موظفا في لوس انجيليس . واحد العوامل الاساسية في نجاح وايمان كرجل مال سياسي كونه يعمل في بفرلي هيلز بالغة الغنى والمأهولة باليهود بصورة كثيفة . وهناك عامل آخر هو اتصالاته مع اغنى أغنياء اليهود الاميركيين عبر « سندات اسرائيل » . ويضم مكتب وايمان صورة له مع غولدا مئير عندما اجتمعت به للاعراب عن امتنانها له بسبب الدور الذي لعبه في بيع ما قيمته ٢١ مليون دولارا من السندات الاسرائيلية(٣٢) . ويعود دعم اليهود الاميركيين المالي لهمفري الى دعمه الاعمى لاسرائيل . فقد قال وايمان « ان هيوبرت همفري هو افضل بائع سندات اسرائيلية في البلاد »(٣٣) .

وفي ما يلي قائمة بأسماء المتبرعين اليهود الرئيسيين لحملة همفري الانتخابية في العام ١٩٧٢ : (٣٤)

اسم المتبرع	الهبات	القروض
آرثر كوهين	١٠،٠٠٠ دولار	
جوزف كول	٤٥،٠٠٠ دولار	٣٢٥،٠٠٠ دولار
جون فاكتور	٦٠،٠٠٠ دولار	
ميلتون فلبرت	١٠،٠٠٠ دولار	
ستانلي غولدبلم	٢٥،٠٠٠ دولار	
ايرفنغ كاهن	٧٥،٠٠٠ دولار	
ايرفنغ كوسلوف	١٠،٠٠٠ دولار	
ماكس كامبلمان	٥،٠٠٠ دولار	
يوجين كلاين	٦،٠٠٠ دولار	٥٠،٠٠٠ دولار
فيليب كلاتسنيك	٥،٠٠٠ دولار	
جون لؤاب وزوجه	٥٠،٠٠٠ دولار	

آرثر ليفيان	٢٠٠،٠٠٠ دولار	
ا. ب. بوليسكي	٥،٠٠٠ دولار	
لورنس روزنتال	١١،٠٠٠ دولار	
مشلم ريكليس	١٢٥،٠٠٠ دولار	١٥٠،٠٠٠ دولار
مارفن روزنبيرغ	٥،٠٠٠ دولار	
صموئيل روثبيرغ	١٥،٠٠٠ دولار	
دانيال شوارتس	٣٨،٠٠٠ دولار	٥٠،٠٠٠ دولار
والتر شورينشتاين	٢٥،٠٠٠ دولار	
روبرت كوغود	٥،٠٠٠ دولار	
يوجين وايمان	٢٧،٠٠٠ دولار	
غلبرت لحمان	١٢،٥٠٠ دولار	٥٠،٠٠٠ دولار

نلاحظ ان القائمة تضم أسماء الذين يتبرعون بمبلغ ٥٠٠٠ دولار فما فوق فقط . وهناك عدد كبير من المتبرعين اليهود الذين قدموا اقل من خمسة آلاف دولار . ومن بين الذين تبرعوا لهمفري عدد من الناس الذين تربطهم صلات وثيقة باسرائيل ، وهؤلاء هم : لويس بويار ، زعيم منظمة السندات اليهودية « والرفيق الدائم لغولدا مئير رئيسة الوزراء الاسرائيلية »(٢٥) . ومشلم ريكليس ، الرئيس المساعد للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك . وجوزف كول مدير PEC Israel Corporation التي تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيل مثل كرمل واينز المحدودة ، وايحود للتأمين ، ودهانات تامبور . وهناك أيضا صموئيل روتبيرغ المدير العام لمنظمة السندات الاسرائيلية ، وروبرت كوغود عضو لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية التي تعمل في الكونغرس من أجل كسب التأييد لاسرائيل .

اما اللائحة التالية فتقدم جزءا من أسماء المتبرعين اليهود الذين قدموا لحملة مسكي خمسة آلاف دولار أو أكثر :

المتبرعون اليهود الرئيسيون لحملة مسكي

الاسم	المكان	المبلغ
اليكس ابراهام	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
جو البرسون	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٢،٥٠٠ دولار
اليكس جان بنيمين	نيويورك	١٨،٧٥٠ دولارا
سليمان بيكر	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	١٠،٠٠٠ دولار
ايرفنغ بلم	بلتمور ، ماريلاند	٦،٠٠٠ دولار
ب. جيرالد كانتور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
نورمان كزنز	نيويورك	١٥،٠٠٠ دولار
سيدني فاكتور	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٥٠٠ دولار
جوزف ملنر وأولاده	نيويورك	٣٢،٠٠٠ دولار
ادوار غنزبرغ	كليفلاند	٥،٠٠٠ دولار
بيلي غولدبيرغ	هوستن ، تكساس	١٠،٠٠٠ دولار
برام غولد سميث وزوجه	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٥٠٠ دولار
تشارلز غولدشتاين	ميامي ، فلوريده	٥،٠٠٠ دولار
ستانلي غولدشتاين	بروفيدنس ، رود ايلاند	٥،٠٠٠ دولار
سانفور غرينبيرغ وزوجه	واشنطن العاصمة	٥،٠٠٠ دولار
مالكوم هشت الابن	ووترتاون ، ماساتشوستس	٥،٠٠٠ دولار

جيرالد هوفبيرغر	بلتمور ، ماريلاند	٦،٠٠٠ دولار
دافيد كار	باريس	٥،٠٠٠ دولار
هوارد كوفين	شيكاغو ، الينوي	٥،٠٠٠ دولار
دافيد كريغر	واشنطن العاصمة	١٠،٠٠٠ دولار
فريدريك وبولا ديتس مورغان	نيويورك	١٦،٠٠٠ دولار
هارولد بيرلمان	شيكاغو ، الينوي	٣٢،٠٠٠ دولار
ارنولد بيكر وزوجه	غولدبيتش ، فلوريده	٣٩،٨٩٣ دولارا
ليونيل بينكس	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
السيدة رالف بومرنوس	كونكتيكت	١١،٢٥٠ دولارا
ادوار بيسزيك	فيلادلفيه	١٠،٠٠٠ دولار
سومنر ردستون	بوسطن	٥،٠٠٠ دولار
ارنولد سولتسمان	نيويورك	٥،٢٣٣ دولارا
وولتر شورينشتاين	سان فرانسيسكو ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
فيليب شايندلينغ	بقرلي هلز ، كاليفورنيه	٧،٥٠٠ دولار
تشارلز سميث	واشنطن العاصمة	٥،٠٠٠ دولار
أ. ستينبيرغ	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
سيدني شتاين الابن	شيكاغو ، الينوي	١٠،٠٠٠ دولار
السيدة ليونارد سبري	بفرلي هلز ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
جوزف سيناي	لوس انجيليس	١٢،٠٠٠ دولار
لورنس تيش	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
برستون تيش	نيويورك	٥،٠٠٠ دولار
بول زيفرن	ماليبو ، كاليفورنيه	٥،٠٠٠ دولار
جاي وسليغ زيسيس	نيويورك	١١،٠٠٠ دولار
الفين زيسيس	نيوتون ، ماساشوستس	٧،٩٧٨ دولارا

المصدر : **واشنطن بوست** ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص أ — ١٠ .
نيويورك تايمز ، ٢٨ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، ص ٢٦ .

يظهر أن أكثر المتبرعين سخاء هم من عائلة ارنولد بيكر الذي يشغـل منصب رئيس اللجنة التنفيذية لشركة الفنانين المتحدين ، ويلعب بيكر هذا دورا رئيسيا في جمع الاموال لمسكي . ولقد بلغ مجموع ما قدمته عائلة بيكر ٥٣،٨٩٣ دولارا(٣٦) . وأعلن مسكي أيضا عن تلقيه مبالغ اضافية هامة من اليهود الاميركيين فيشركـة الفنانين المتحدين وغيرها من الشركات العاملة في صناعة السينما . وتشمل التبرعات التي تقدمها شركة الفنانين المتحدين (بالاضافة الى مبلغ الـ ٥٣،٨٩٣ دولارا) ١٢٥٠ دولاراً من دافيد بيكر (رئيس الفنانين المتحدين) و ١٠٠٠ دولار من آرثر كريم (رئيس مجلس ادارة الشركة) و ٢٠٠٠ دولار من روبرت س. بنيمين (الرئيس المشارك للمجلس) و ١٨٧٥٠ دولارا من السيدة بنيمين و ٥٠٠ دولار من اريك ر. بلسكو و ١٠٠ دولار من فرد غولدبيرغ (وكلاهما نائب للرئيس) . ومجموع ما تقدمه الشركة هو ٧٧،٤٤٣ دولارا(٣٧) . اما الذين يجمعون المال لمسكي في كاليفورنيه فمنهم بول زيفرن الذي قدم مبلغ ٥٠٠٠ دولار وجو سيناي الذي تبرع بمبلغ ١٢،٠٠٠ دولار ، وكلاهما مؤيد قوي لاسرائيل . وهناك هبات أخرى تأتي من صناعة السينما اذ قدم في شركة (Loew) كل من لورنس تيش (المدير) وبرستون ر. تيش (الرئيس) مبلغ ٥٠٠٠ دولار . وقدم مايكل ردستون ، مـدير شركة مسرح نورث ايست ٥٠٠٠ دولار كما قدم ابنه سومنر (رئيس الشركة) مبلغا مماثلا، وبالاضافة

الى ذلك دفع ادوار ردستون، شقيق بيومر، مبلغ ١٥٠٠٠ دولار(٣٨). ولقد تبرع نورمان كزنز، المحرر السابق في مجلة « ساترداي ريفيو »، بمبلغ ١٥،٠٠٠ دولار لحملة مسكي. وتبرع فريدريك مورغان (المحرر في مجلة « هدسون ريفيو » وعضو هيئة التدريس في جامعة برنستون) وزوجه بمبلغ ١٦،٠٠٠ دولار. ومن المتبرعين اليهود الآخرين المعروفين ليونيل بنكس الذي تبرع بمبلغ ٥٠٠٠ دولار والسيدة رالف بومرونس التي قدمت مبلغ ١١،٢٥٠ دولارا. وقام هارولد بيرلمان (من رجال الاعمال اليهود في ويلمات في ولاية ايلينوي) بتقديم مبلغ ٣٢،٠٠٠ دولار. وقبل انسحاب مسكي من حملة الانتخابات الاولية قال بيرلمان لمسكي انه « مستعد لتخصيص ١٠٠،٠٠٠ دولار.. لهدف مساعدته في أن يترشح وينتخب »(٣٩). وجدير بالذكر ان بيرلمان من اكبر اصحاب الاسهم في شركة وستنغهاوس (اذ يملك ١٦٥،٠٠٠ سهم) التي تعمل في اسرائيل. وشملت لائحة المتبرعين لمسكي يهودا بارزين من العاملين بنشاط من أجل اسرائيل: لورنس تيش (المدير المشارك للنداء اليهودي المتحد الكبير في نيويورك) ودافيد كريغر (في لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية) وتشارلز سميث (من اللجنة نفسها) وايرفنغ بلم (الذي رئس اللجنة التي طورت معهد المعيشة اليهودية التابع لمجلس الاتحادات اليهودية) وادوار غينزبيرغ (رئيس لجنة التوزيع المشترك في كليفلاند) وجيرولد س. هوفبرغر (من لجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية) وكبار المسؤولين في وكالة البرق اليهودية. وهناك آخرون أيضا مثل السيدة ليونارد سبري (رئيس مجلس « أنظمة المعلومات العلمية » Scientific (XEROX) Data Systems التي لها فرع اضافي في اسرائيل) وروبرت بنيمين (رئيس اللجنة التنفيذية في المؤسسة الثقافية الاميركية الاسرائيلية وعضو مجلس امنائها). وهناك أخيرا جوزف فلنر واولاده الذين قدموا ٣٢،٠٠٠ دولار. وفلنر هو احد الذين يجمعون الاموال للنداء اليهودي الموحد.

هذا ويلعب اليهود الاميركيون دورا هاما في تمويل حملة السيناتور مكغفرن لانتخابات الرئاسة ضد ريتشارد نيكسون. وأحد اكبر ممولي مكغفرن هو ماكس بالفسكي الذي يقول انه أعطى الى مكغفرن ٣٥٠،٠٠٠ دولار على شكل منح وقروض قبل انعقاد المؤتمر الديمقراطي(٤٠). وبالفسكي هو أكبر اصحاب الاسهم في XEROX بالاضافة الى انه رئيس مجلس ادارة « أنظمة المعلومات العلمية المحدودة في اسرائيل ». اما ثاني اكبر الممولين لحملة مكغفرن فهو مايلز روبين، أحد رجال الصناعة في لوس انجيليس، الذي قدم حتى الان ٨٦،٠٠٠ دولار(٤١) على شكل هبات و٨٥،٠٠٠ دولار(٤٢) على شكل قروض. ويشكل المرتبة الثالثة هنري كيملمان الذي يتولى توزيع المستوردات الرئيسية في فيرجن آيلاندز وصاحب فندق هيلتون في المنطقة ذاتها بالاضافة الى انه يرئس اللجنة المالية القومية التابعة لمكغفرن. وقد قدم هو نفسه هبات بقيمة تفوق ٥٩،٠٠٠ دولار وقروضا بقيمة ١٠٠،٠٠٠ دولار(٤٣). وقد قام كيملمان بتنظيم جماعة من المتبرعين لجمع الاموال لمكغفرن وذلك تحت اسم Woonsocket Club تيمنا ببلدة صغيرة في ولاية داكوتة الجنوبية امضى فيها مكغفرن دراسته الثانوية. وفي سبيل الاشتراك في عضوية هذا النادي يجب ان يدفع المتبرع مبلغ ٢٥،٠٠٠ دولار على الاقل. وبين أعضاء هذه الجماعة يهود بارزون منهم ماكس بالفسكي وروبرت مغرهوف وابنر ليفاين وهارولد ويلنز والممثلة شيرلي مكلين. ويقول كيملمان انه سيجمع من خمسة الى عشرة ملايين دولار لحملة الخريف وثلاثين الى خمسة وثلاثين مليون دولار للحملة الانتخابية بأسرها(٤٤). ومن المتبرعين الآخرين ماكس فاكتور الثالث(٤٥) الذي قدم قرضا بمبلغ ٥٠،٠٠٠ دولار وتشارلز سيبل الذي قدم هبات بقيمة ١٢،٥٠٠ دولار وبرنارد فايسبورد قدم مبلغ ٧٠٠٠ دولار وفرانك توبين مبلغ ١٤،٩٩٥ دولارا وآبنر ليفاين ٦،٨٧٥ دولارا وادغار برونغمان ٥٠٠٠ دولار وبرنارد روبين وزوجه مبلغ ١٠،٠٠٠

دولار وجاك هولتزمان ٥٠٠٠ دولار وفرد ايشتاين ٦٠٠٠ دولار ولويس وولفسون ٥٠٠٠ دولار ونوربرت كريغل ١٠،٠٠٠ دولار(٤٦) . ولا بد لنا من ان نذكر ان كثيرين من اليهود قدموا اقل من ٥٠٠٠ دولار . اضف الى ان كثيرين من اليهود البارزين في العمل المسرحي والسينمائي يجمعون المال مثل برباره سترايسند . ويلقى مكغفرن دعم مليونيرين يهوديين بارزين هما هوارد ساميلز (الذي يطمح أن يصبح حاكم نيويورك في العام ١٩٧٤) وهوارد متسنباوم (المرشح الديمقراطي عن اوهايو في العام ١٩٧٠)(٤٧) . ويذكر ان جاك كابلان وزوجه جمعا في أول أيار (مايو) ١٩٧٢ مبلغ مليون دولار على شكل هبات وتعهدات لمكغفرن في جلسة في شقتهما في بارك افنيو(٤٨) . ومن بين الذين حضروا الجلسة أو الذين أعلنت تعهداتهم في غيابهم جوان بالفسكي (زوج ماكس بالفسكي السابقة) التي قدمت ٥٠،٠٠٠ دولار . ومن جهة اخرى فان كثيرين من أغنياء اليهود يتجهون الى تأييد ريتشارد نيكسون ودعمه لان مشاعر القلق تراودهم حول سياسات مكغفرن الخارجية والاقتصادية . وسنتناول تحول اغنياء اليهود الى تأييد نيكسون بالنقاش في هذه الدراسة . وفي ما يلي أسماء بعض المتبرعين اليهود من انصار مكغفرن المعروفين بتفانيهم لاسرائيل : تشارلز سميث (من لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية) الذي قدم ٢،١٠٠ دولار ، وماير فلدمان الذي أعطى ١٠،٠٠٠ دولار ، والذي خدم كمستشار لدى الرئيس جون كنيدي « والذي كان القوة الموجهة في القرار الذي نص على ارسال اول مساعدة عسكرية اميركية هامة الى اسرائيل — ارسال صواريخ هوك التي شحنت الى اسرائيل في العام ١٩٦٣ . ومارس فلدمان مرة ضغطا شديدا حول مسألة تتعلق بمقبرة في ذلك الجزء الذي كان تحت السيطرة الاردنية الى درجة انه هدد وزير الخارجية دين راسك بالاستقالة »(٤٩) . ونذكر فرانك لوتنبيرغ (أول نائب رئيس لمؤسسة اصدقاء الجامعة العبرية الاميركيين) الذي يلعب دورا رئيسيا في جمع الاموال للمؤسسات التربوية الاسرائيلية . ونذكر ايضا آبنر ليفاين كشخص يجمع الاموال لاسرائيل ومكغفرن .

وهناك ممولون ومؤيدون يهود وراء الحزب الجمهوري أيضا . الا « أن ما يجعل جامعي الاموال من اليهود يبرزون الى ذلك الحد من البروز في صفوف الديمقراطيين ليس الوجود اليهودي البارز بقدر ما هو غياب البروتستانت البارز »(٥٠) . وعلى سبيل المثال قدم اعضاء كثيرون في نادي هارموني في نيويورك (وهو أقدم ناد للذكور اليهود فقط) في العام ١٩٦٨ مبلغ ٥٠٠ دولار أو أكثر الى الجمهوريين ، كما فعلوا مثل ذلك بالنسبة للديمقراطيين . وفي ستاندرد كلوب (وهو نظير نادي هارموني) في شيكاغو قدم ثلاثة وعشرون عضوا مبلغ ٤٣،٠٠٠ دولار للديمقراطيين كما قدم احد عشر عضوا مبلغ ٣٥،٠٠٠ دولار للجمهوريين(٥١) . وعرف في العام ١٩٦٠ ستون متبرعا للجمهوريين قدم الواحد منهم ١٠،٠٠٠ دولار أو أكثر بينهم ١٠ بالمئة فقط من اليهود(٥٢) . وفي الانتخابات القادمة فان كثيرين من المتبرعين التقليديين للحزب الديمقراطي سيدعمون نيكسون ، وهذا نتيجة لقرار نيكسون تزويد اسرائيل بالفانتوم وانهاء محاولات يارنغ من اجل انسحاب اسرائيل من سيناء(٥٣) . وبدأ هذا التحول عندما دعي سبيرو أغنيو ، نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، كمتحدث في المأدبة السنوية الثانية والستين للصهيونيين الاميركيين المتدينين في أوائل حزيران (يونيو) حيث جرى رفض الديمقراطيين بازدراء . أضف الى ذلك ان السفير الاسرائيلي لدى الولايات المتحدة أشار الى انه يفضل اعادة انتخاب الرئيس نيكسون هذه السنة . وقال السفير الاسرائيلي اسحاق رابين « يجب علينا أن نفرق بين المساعدة الفعلية والمساعدة اللفظية »(٥٤) . وأضاف انه « في الوقت الذي نقدر فيه الدعم اللفظي الذي نتلقاه من جهة فاننا يجب ان نفضل الدعم الفعلي الذي نتلقاه من الجهة الاخرى »(٥٥) . وقال رابين ايضا انه لم يصرح اي رئيس

آخر بتصريح بعيد الاثر وملزم للولايات المتحدة بدعم وجود اسرائيل مثل التصريح الذي ادلى به الرئيس نيكسون في خطابه للكونغرس عند عودته من موسكو .

ان اسرائيل راضية جدا عن نيكسون : « فعند نهاية السنوات الاربع من حكم نيكسون تكون اسرائيل قد تلقت أكثر من ١١٧٨ مليون دولار كمجموع قيمة المساعدة بما في ذلك القروض والهبات . وذلك يفوق ما تلقته اسرائيل على شكل مساعدة خلال السنوات التسع عشرة الماضية »(٥٦) . اضف الى ذلك قول السيناتور جافيتس ان نيكسون سينقل قريبا السفارة الامريكية من تل أبيب الى القدس(٥٧) . وقد أرسل سام روثبيرغ ولويس بوير (من منظمة السندات الاسرائيلية) وهما من مؤيدي الحزب الديمقراطي التقليديين، رسائل دعم شخصية الى نيكسون . وصرح بوير الى صحيفة « جيروساليم بوست » قائلا « انني أعمل محاولا اعادة انتخاب الرئيس نيكسون . وانني لا اجعل من ذلك سرا »(٥٨) . وعلق الصحافيان ايفنز ونوفاك على ذلك بالقول انه « لا يمكن تصور حدوث هذا التحول دون مباركة الحكومة الاسرائيلية »(٥٩) . وعلى الرغم من ان الحكومة الاسرائيلية وسفيرها في واشنطن نفيا انهما يفضلان اعادة انتخاب نيكسون قال ستيوارت السوب « انه (التأييد الاسرائيلي لنيكسون) صحيح بالطبع »(٦٠) . ويعزو السوب تأييد اسرائيل لنيكسون الى انه اثناء القتال في الاردن بين الجيش الاردني والمقاومة الفلسطينية في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ تلقى رابين مكالمة هاتفية من البيت الابيض تتساءل عما تستطيع اسرائيل عمله لوقف الدبابات السورية التي كانت تزحف على الاردن لمساعدة الفدائيين ، ورد رابين على هذا التساؤل بقوله ان الاسرائيليين يثقون ثقة مطلقة بأن قواتهم تستطيع بالعمل من مرتفعات الجولان أن تأسر او تدمر القوة السورية برمتها . وكان الاسرائيليون يرغبون في ركوب تلك المخاطر التي ينطوي عليها تدخل قواتهم بشرط واحد فقط هو ان توضح الحكومة الامريكية للسوفيات ان الولايات المتحدة ستقاوم بشدة أي عمل مضاد على قناة السويس أو في أي مكان آخر . والتزم نيكسون بذلك دون تردد وأصدر أمرا شديدا أن لا اتصال اطلاقا بموسكو أو أي عاصمة أخرى . وقرر أن تكون هناك أفعال لا كلمات(٦١) . واستنفرت احدى الفرق الامريكية الخمس الموجودة في المانيه الغربية استنفارا كاملا وكذلك الفرقة الثانية والثمانون المجوقلة في الولايات المتحدة . وفي الوقت نفسه جرت ترتيبات سرية مع الحكومة اليونانية لتقديم مناطق تحط فيها القوات الامريكية في اليونان بالاضافة الى قاعدة لدعم تلك القوات في حال تحرك قوات الولايات المتحدة . وبالاضافة الى ذلك جرى تعزيز الاسطول السادس في المتوسط بصورة كثيفة بحاملات الطائرات والقوات التابعة لها . وزيدت قوة الاسطول السادس بسرعة عن حجمها في الحالات العادية بحيث أضبح يتألف مما لا يقل عن خمس حاملات تضم قوات من مختلف الاسلحة لمهمة معينة . وأخذت هذه القوة تتحرك باتجاه شرقي المتوسط . وتم هذا العمل من جانب نيكسون بسرية كاملة . وكان الشعب الامريكي ولا يزال في معظمه غير مدرك ان أزمة خطيرة جدا وقعت . أما الحكومة الاسرائيلية فكانت تعي الازمة كما كانت سعيدة للغاية بسبب تحرك نيكسون .

وابرزت ازمة ١٩٧٠ للاسرائيليين الحاجة الى وجود اسطول امريكي قوي في المتوسط . ووفقا لبرنامج مكغفرن فان الولايات المتحدة ستحتفظ بفرقتين عسكريتين فقط في أوروبه بدلا من خمس . أضف الى ذلك ان مكغفرن يريد تخفيض القوات الامريكية التابعة للحاملات من اربعة عشرة الى ستة . وأخيرا سيقطع مكغفرن كل مساعدة امريكية الى الحكومة اليونانية وسيقفل كل المنشآت الامريكية في اليونان(٦٢) . وتعليقا على هذا قال ستيوارت السوب : « في مثل هذه الظروف ــ التي يعيها الاسرائيليون جيدا ــ ستكون الولايات المتحدة قادرة على الكلام ولكن على القليل من الافعال الحقيقية »(٦٣) . وقال بيتر غروس في صحيفة « نيويورك تايمز » « ان الخيار الاسرائيلي يبرز من موقف الرئيس

المعادي للسوفيات في الشرق الاوسط ومن سياسته في متابعة الحرب في فيتنام . ولم يتردد الاسرائيليون الحساسون سياسيا في الاختلاف على مر السنين مع الاميركيين الليبراليين حول فيتنام .

« ان مزاج هذا البلد (اسرائيل) يتميز بالشعور بالقوة ، ويرى الاسرائيليون أنهم أمة قوية تقوم بدور الحليف الصغير ، وهي سياسة من الواضح أنها جذابة جدا بالنسبة للاسرائيليين »(٦٤) . الا ان اهتمام الجالية اليهودية يتجاوز سياسة مكغفرن الخارجية . وبالنسبة لليهود الاغنياء وغير الاغنياء فان برنامج نيكسون الضرائبي مهم لهما على حد سواء اذ يقضي بفرض الضرائب بصورة كبيرة على الاغنياء ، كما يدعم تقديم الباصات المدارس والمساكن الافضل من أجل الفقراء السود في المناطق المحيطة بالمدن مثل فورست هلز في نيويورك(٦٥) .

ويتوقع ان يشمل تنظيم حملة نيكسون تشكيل لجنة من الزعماء اليهود البارزين الذين يدعمون اعادة انتخاب نيكسون . وسيكون الرئيس المشارك لهذه اللجنة وليم أ. وكسلر رئيس بناي بريث السابق وكذلك صموئيل روثبرغ (من بيوريه في ولاية الينوي) وهو الشخص الرئيسي الذي يقوم بمختلف المهام في منظمة السندات الاسرائيلية ورئيس مجلس محافظي الجامعة العبرية . وسيكون بين أعضاء اللجنة « أسماء تجد آذانا صاغية في الجالية اليهودية الاميركية »(٦٦) . وذكر الصحافي توماس برادين أن الزعماء الديمقراطيين جعلوا لسفير اسرائيل في واشنطن اسحاق رابين صلة في جمع خمسة ملايين دولار من الجالية اليهودية الاميركية من اجل اعادة انتخاب نيكسون . وزعيم هذه الخطوة هو لويس بويار المعروف بدعمه لقضايا الحزب الديمقراطي(٦٧) . وقال ماكس فيشر ، وهو من الاشخاص البارزين في جمع المال من اجل اسرائيل ونيكسون ، أن « مبالغ كبيرة » من الاموال اليهودية التي كانت تذهب في السابق الى المرشحين الديمقراطيين تتدفق الان على حملة نيكسون . وقد امتنع فيشر عن اعطاء ارقام ولكنه قال انه جمع حتى الان من اليهود « ثلاثة اضعاف » ما جمعه في العام ١٩٦٨ كله . وقال أيضا : « ببساطة ليس هناك مقارنة . ولم يكن عملي أسهل ابدا »(٦٨) . ودعا لويس بويار الى منزله في بفرلي هلز ، فيشر وخمسة واربعين من اصدقائه اليهود الاغنياء الديمقراطيين في أيار (مايو) لجمع المال من اجل نيكسون ، وعند انتهاء الاجتماع قال فيشر ان « الجميع عدا حفنة » تعهدوا بالتبرع لنيكسون .

وعقدت اجتماعات مماثلة في طول البلاد وعرضها وكانت الاستجابة حتى الان ، على حد قول فيشر « ممتازة »(٦٩) . وتحدث هنري كيسنغر خلال شهر تموز (يوليو) الى رجال الاعمال اليهود في نيويورك وبفرلي هلز الذين يعتبرون تقليديا ديمقراطيين والمشمئزين في الوقت الحاضر اشمئزازا شديدا من موقف مكغفرن من اسرائيل وسياسته الاقتصادية . وفي السادس والعشرين من تموز (يوليو) ألقى كيسنغر خطابا في خمسة وستين من اليهود الديمقراطيين الاغنياء جدا في مدينة نيويورك . وكانت هذه هي المرحلة الاخيرة في عملية التجميع الناجحة لصالح نيكسون للمتبرعين السياسيين الذين يؤيدون همفري . والاشخاص البارزون في هذه العملية هم خمسة مليونيريين يهود: ماكس فيشر ، غوستاف ليفي (الممول في وول ستريت) ، تافت شرايبر (شركة الموسيقى الاميركية) ، تد كمنغز (صاحب شركة Giant Food Markets) ، برنارد لاسكر (وول ستريت) . وفي ما يلي أسماء بعض الذين تركوا همفري وأيدوا نيكسون نتيجة لعملية التجميع المذكورة : جون فاكتور ، جين كلاين ، ستانلي باير (شركة بنسلفانيه للتأمين على الحياة) ، ستانلي غولد بلم (Equity Funding) ، فكتور كارتر (مليونير يهودي من الساحل الغربي للولايات المتحدة وصهيوني أيد جاكسون في انتخابات الرئاسة)(٧٠) . والمليونيريون اليهود الآخرون الذين أيدوا حملة نيكسون مشلم ريكليس ، وتشارلز باسين ، وآرثر كوهين(٧١) . وفي

الثالث من تموز (يوليو) ١٩٧٢ تبنى ثلاثة رجال بارزون في المنظمات اليهودية تأييد ريتشارد نيكسون معتبرين ان سياسته تجاه اسرائيل هي السبب الرئيسي لموقفهم . والرجال الثلاثة الذين كانوا طوال حياتهم ديمقراطيين هم الدكتور وليم أ . وكسلر (رئيس المؤتمر العالمي للمنظمات اليهودية) ، والحاخام هيرشل شاكتر (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي الاميركي حول اليهود السوفيات ، وللصهيونيين المتدينين في اميركا) ، والحاخام سيمور سيغل (استاذ اللاهوت في معهد اللاهوت اليهودي الاميركي) . وجدير بالذكر ان الحاخام شاكتر قال انه يدعم نيكسون « بدافع اعتقاد ايجابي » . وانتقد شاكتر برنامج مكغفرن « لتهديده دور أميركه في حفظ الامن والسلام في كافة ارجاء العالم ، وتأكيدها على نظام الحصة (الكوتة) المحلي الذي سيثير التمييز في الجهة المعاكسة»(٧٢) . وذلك يشير الى اصلاحات الحزب الديمقراطي التي قدمها أصلا مكغفرن والتي دعت الى تمثيل أوسع لجماعات الاقليات الاثنية في المؤتمر الديمقراطي .

وبسبب الدعم القوي الذي قدمه نيكسون لاسرائيل يتوقع كثيرون من المحللين السياسيين ان يتحول اليهود الى تأييد نيكسون في التنافس بينه وبين مكغفرن ، كما يتوقعون ان تتراوح نسبة التحول بين ٣٠ و ٥٠ بالمئة معتبرين ان ٣٥٪ معدل جيد(٧٣) . وقد أعلن الحاخام الكناه شوارتس ، مدير العلاقات مع الجماعات في اتحاد الكنس اليهودية الارثوذكسية الاميركية ، ان أكثر من نصف يهود نيويورك سيؤيد نيكسون . واعرب شوارتس عن شعوره ان معظم اليهود الاورثوكس لا يؤيدون سياسات مكغفرن المعادية لفيتنام . وقال الحاخام هارولد هاهن ، حاخام Rochdale Temple في سينسناتي فيأوهايو، انه يعتقد ان المقترعين اليهود « يشعرون في مأمن أكثر مع نيكسون مما مع مكغفرن » . وهذان الحاخامان يتفقان على ان الناخبين اليهود يعتقدون « أننا نعرف ما لدينا عند نيكسون ، اما عند مكغفرن فاننا لا ندري ماذا سنكسب »(٧٤) . وهكذا فان تحول الناخبين اليهود في تشرين الثاني (نوفمبر) القادم الى نيكسون سيجعل انتخابه مضمونا .

ان حساب مردودات الاستثمارات السياسية أمر صعب . ومع ذلك فان من الواضح ان اليهود يلعبون دورا رئيسيا في تحديد المرشح الديمقراطي للرئاسة « ويشكلون أكبر فريق بين أكبر المتبرعين »(٧٥) . ووفقا لما قاله الكاتب والناقد اليهودي ت . ر . فايغل فان « من الواضح ان اسرائيل كما نعرفها لم تكن لتأتي الى الوجود لولا الدعم المالي الاميركي والدعم السياسي من اليهود الاميركيين كقوة ضاغطة فريدة على اي ادارة أميركية»(٧٦) . وكتب ستيفن كلايدمان في الواشنطن بوست قائلا ان المعلومات التي تصل الى الرئيس وأعضاء الكونغرس عن طريق أفراد يهود ومنظمات يهودية تحاول كسب التأييد لليهود « تشكل جزءا ، واحيانا جزءا هاما ، من المعلومات التي تدخل في عملية اتخاذ قرار الرئيس حول مسائل مثل المساعدة الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل »(٧٧) .

وأخيرا يجب التأكيد على ان عدم قدرة العرب على معاقبة الولايات المتحدة بسبب دعمها لاسرائيل يعزز النفوذ الصهيوني ويؤيد زعمهم أنه من الممكن للولايات المتحدة ان تبني علاقات مع العالم العربي في الوقت الذي تستمر في دعمها لاسرائيل . ولقد قال أبا ايبان: « ان اولئك الذين يقولون أن التوتر بين الولايات المتحدة والبلدان العربية ليس سببه دعم اميركه لاسرائيل هم على حق »(٧٨) .

---

١ ــ ايفننغ ستار اند دايلي نيوز، ١٩٧٢/٧/٢٥ ، ص أ ــ ١١ .

٢ ــ واشنطن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص أ ــ ١٥ .

٣ ــ المصدر نفسه .

٤ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٣/١٠ ، ص ٢٠ .

٥ ــ المصدر نفسه .

٦ ــ المصدر نفسه .

٧ — **المصدر نفسه** .
٨ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٤/١٩ ، ص ٢٨ .
٩ — **واشنطـن بوسـت** ، ١٩٧٢/٦/٥ ، ص أ — ٢١ .
١٠ — **وكالة البرق اليهوديـة** ، نشرة الانبـاء اليومية ، ١٩٧٢/٥/٣٠ ، ص ٤ .
١١ — **المصدر نفسه** .
١٢ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/١ ، ص ف — ١ .
١٣ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص ١٢ .
١٤ — **المصدر نفسه** .
١٥ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/١٠ ، ص أ — ٤ .
١٦ — **وكالـة البرق اليهودية** ، نشرة الانبـاء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ٤ .
١٧ — **جويش ويك** ، ١٩٧٢/٧/٢٠ ص ٢ .
١٨ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص أ — ٤ .
١٩ — **ناشنال جورنـال** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٥ .
٢٠ — **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/١١/١٤ ، ص ب — ١ .
٢١ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص ١ .
٢٢ — **المصدر نفسه** .
٢٣ — وليم دونهوف ، *Ramparts*, 'Fat Cats & Democrats', حزيران(يونيو) ١٩٧٢ ، ص ٢٨ .
٢٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٤٠ .
٢٥ — **المصدر نفسه** .
٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٤٢ .
٢٧ — **المصدر نفسه** .
٢٨ — **نيويورك تايمز** ، ١٣ أيار ١٩٧٢ ، ص ١٠ .
٢٩ — Ramparts ، ص ٤٣ .
٣٠ — **نيوزويك** ، ١٩٧١/١٢/١٣ ، ص ٢٩ .
٣١ — **وول ستريت جورنال** ١٩٧٢/٣/٨ ، ص ١ .
٣٢ — **ناشنال جورنـال** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٣ .
٣٣ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .
٣٤ — **جويش ويـك** ، ١٩٧٢/٣/٢٣ ، ص ٢ .
تقرير مكتب الولايات المتحدة العام للمحاسبة رقم C 062472051, DM 000001 ورقم C 04,207,2395, DM 000001 .
٣٥ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ١٠ .
٣٦ — **واشنطن بوست** ، ١٩٧٢/٣/٢٨ ، ص أ — ١٠ .
٣٧ — **المصدر نفسه** .
٣٨ — **المصدر نفسه** .
٣٩ — **ناشنال اوبزرفر** ، ١٩٧٢/٤/٨ ، ص ١ .
٤٠ — **نيويورك تايمز** ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ٣٢ .
٤١ — **ناشنال جورنال**، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ **جويش ويك** ، ١٩٧٢/٣/٢ ص ١ . **نيويورك تايمز**، ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
٤٢ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص أ — ٢ .
٤٣ — **واشنطونيان** ، آب (اغسطس) ١٩٧٢ ، ص ٤١ .
٤٤ — **لوس انجيليس تايمز** ١٩٧٢/٦/٦ ، ص ٣ .
٤٥ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٥/٢٨ ، ص أ — ٢ .
٤٦ — **جويش ويك** ، ١٩٧٢/٣/٢ ، ص ١ . **نيو يورك تايمز** ١٩٧٢/٣/٣٠ ، ص ٣٢ .
٤٧ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٧/٢٣ ، ص ب — ٧ .
٤٨ — **ناشنال جورنـال** ، ١٩٧٢/٥/١٣ ، ص ٨٠٠ .
٤٩ — **نيويورك تايمز ماغازين** ، ١٩٧١/١١/٧ ، ص ٨٨ — ٨٩ .
٥٠ — Ramparts ، حزيران (يونيو) ١٩٧٢ ، ص ٤٣ .
٥١ — **المصدر نفسه** .
٥٢ — **المصدر نفسه** .
٥٣ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ — ٢٣ .
٥٤ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/١١ ، ص أ — ١ .
٥٥ — **المصدر نفسه** .
٥٦ — **نير ايسـت ريبورت** ، ١٩٧٢/٦/٧ ، ص ٩٧ .
٥٧ — **وكالة البرق اليهوديـة** ، نشرة الانبـاء اليومية ، ١٩٧٢/٧/١١ ، ص ٢ .
٥٨ — **جروسالم بوست الاسبوعية**، ١٩٧٢/٦/٢٧، ص ٢ .
٥٩ — **واشنطـن بوست** ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ — ٢٣ .
٦٠ — **نيوزويك** ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
٦١ — **المصدر نفسه** .

٦٢ ــ نيوزويك ، ١٩٧٢/٧/١٠ ، ص ١٠٠ .
٦٣ ــ المصدر نفسه .
٦٤ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/١٤ ، ص ١٢ .
٦٥ ــ واشنطــن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢١ ، ص أ ــ ٢٣ .
٦٦ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٧/٧ ، ص ١١ .
٦٧ ــ واشنطــن بوست ، ١٩٧٢/٦/١٧ ، ص أ ــ ١٥ .
٦٨ ــ المصدر نفسه .
٦٩ ــ المصدر نفسه .
٧٠ ــ واشنطن بوست ، تموز (يوليو) ١٩٧٢ ، ص أ ــ ١٩ .
٧١ ــ المصدر نفسه .
٧٢ ــ نيويورك تايمز ، ١٩٧٢/٨/٤ ، ص ٣٥ .
٧٣ ــ واشنطــن بوست ، ١٩٧٢/٦/٢٨ ، ص أ ــ ١٥ .
٧٤ ــ جويش كرونيكل ، ١٩٧٢/٧/٢١ ، ص ٨ .
٧٥ ــ Ramparts ص ٤٣ .
٧٦ ــ ملحق جويش كرونيكل الادبي .
٧٧ ــ واشنطــن بوست ، ١٩٧٢/٢/٢٠ ، ص أ ــ ٤ .
٧٨ ــ وكالة البرق اليهوديــة ، نشرة الانبــاء اليومية ، ١٩٧٢/٧/٣١ ، ص ١ .

خطر الابادة :
اسطورة في قاعدة الاستراتيجية الاسرائيلية

المقدم الهيثم الايوبي

الاستراتيجية في دولة من الدول هي مجموعة التدابير والخطط والاساليب المستخدمة لتجميع **قوى** الدولة واعدادها لخلق **الاداة** اللازمة لتحقيق اهدافها رغم العقبات والصعوبات الناجمة عن ارادة الخصم واستراتيجيته . والاستراتيجية بنت الواقع الذي تعيشه الدولة ، وهي تحمل في صلبها انعكاسات هذا الواقع الاجتماعي والاقتصادي والديموغرافي والجغرافي والنفسي ، وتتحول مع تحولاته وتتطور بتطوره الدائم .

ولقد وعى مخططو اسرائيل قبل بنائها وقبل انتقالها من مرحلة الفكرة الى مرحلة الواقع، طبيعة هذه الدولة وحقيقتها كجسم غريب مغروس في قلب منطقة لا يمكن ان تقبله او تتعايش معه . كما وعوا ان وجود عرب فلسطين وحقهم الشرعي في البقاء على ارضهم، سيجبر بناة الدولة الجديدة على اقتلاع السكان ، واحتلال مكانهم بالقوة ، الامر الذي سيؤدي الى صراع عنيف تزداد حدته مع ارتفاع مستوى وعي العرب اصحاب الارض لطبيعة الخطر ، وتزايد حاجة المهاجرين الجدد لمجال حيوي اوسع . لذا كان من الطبيعي ان يرسموا لدولة اسرائيل استراتيجية تحقق لها **الامن والتوسع**، وتؤمن ترابط هذين الهدفين وتناوبهما حسب الوضع وحالة موازين القوى . وان يخلقوا **الاداة** السياسية ــ العسكرية القادرة على تنفيذ هذا الترابط والتناوب . ولكي تكون الاداة على مستوى المهمة ، ولكي يستطيع الجسم الغريب **مجابهة التحديات** المنتظرة ، رأى مؤسسو الدولة الاوائل ان عليهم اعداد قوة مسلحة متفوقة ماديا ، وقادرة على تحقيق « الردع النشيط » عن طريق التلويح بالقوة او استخدامها جزئيا عند الضرورة ، والانتقال من استخدام القوة الجزئي الى الحرب الشاملة مع نقل المعركة الى خارج اراضي الدولة عندما تتوفر الظروف الملائمة لذلك على الصعيدين الداخلي والخارجي .

والى جانب **الاعداد المادي** الذي اهتمت به كافة الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة ، وتوصلت اليه عن طريق التفوق النوعي ، وتكثيف التسليح الحديث ، وتفتيت قوى المعسكر العربي ، والترابط العضوي مع المعسكر الامبريالي الراغب بحماية مصالحه في المنطقة العربية ، فقد سارت هذه الحكومات اشواطا على طريق **الاعداد المعنوي** الذي يستمد عناصره من الجذور الدينية والتاريخية للعقيدة الاسرائيلية . وتوصلت الى استخدام التعصب الديني والعقد القديمة المتأصلة في نفوس يهود المنطقة العربية ويهود الشتات لرفع مستوى الحقد الجماعي ، وتمجيد العنف والقوة داخل المجتمع الاسرائيلي الجديد ، وخلق رباط معنوي يربط بين مختلف طبقات هذا المجتمع الذي يضم افرادا من جنسيات متعددة وثقافات متباينة ، وتسليح السكان الاسرائيليين وقواتهم المسلحة بقوة معنوية تتحول خلال الصراع الى قوة مادية .

ومهما تكن القوتان المادية والمعنوية كبيرتين ، ومهما كان الاعداد المادى والمعنوى دقيقا ، فان امكانية استخدام القوى على ارض المعركة ، واحتمالات النصر في الصدام المرتقب لا تصل الى ذروتها ــ في عالمنا المترابط المتشابك بكل تعقيداته وحساباته وتوازناته الدولية ــ الا اذا امتلكت القيادة السياسية ــ العسكرية العليا حرية عمل واسعة عن طريق اكتساب المناورة السياسية الداخلية والمناورة السياسية الخارجية بشكل حاسم يضمن تماسك المجتمع ودعم الرأي العام العالمي طوال مدة الصراع التي يسعى كل طرف من الطرفين المتنازعين الى تقصيرها او اطالتها حسب لجوئه ــ بناء على وضعه وتقديراته وتوقعاته الخاصة بتبديل موازين القوى ــ الى استراتيجية الحرب الخاطفة او استراتيجية الحرب طويلة الأمد .

وتكشف دراسة حركة المجتمع الاسرائيلي واتجاهات الراي العام العالمي خلال الحروب العربية ــ الاسرائيلية الثلاث (٤٨ ــ ٥٦ ــ ٦٧) وخلال معارك الاستنزاف او فترات الهدنة الطويلة بين هذه الحروب ، تماسك غالبية طبقات الشعب وشرائحه في اسرائيل ، وتأييدها ــ بنسب متباينة ــ لفكرة ضرورة اخضاع كافة التناقضات والصراعات لصالح الصراع ضد العرب . كما تكشف ان شرائح واسعة من الرأي العام العالمي ــ بما في ذلك مجموعات « اشتراكية » غربية وشعوب مقهورة في العالم الثالث ــ كانت تؤيد اسرائيل رغم عدوانها المكشوف . ولا يمكن تفسير هاتين الظاهرتين الا اذا وعينا نجاح العدو في المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية قبل المعارك العسكرية ، وخلالها ، وبعدها .

ولقد استخدم الاسرائيليون لتحقيق هذا النجاح اكثر من سلاح ، واستندوا الى عدة افكار ، كتدعيم ايديولوجية ديناميكية عنصرية في الداخل ، والعمل خارجيا بديبلوماسية نشطة ترافقها مساعدات اقتصادية وتقنية وعسكرية للدول الافريقية حديثة الاستقلال، مع الافادة من قوة الاعلام الاسرائيلي وسيطرة الصهيونية العالمية على الاعلام في عدد كبير من الدول بغية تشويه سمعة العرب ، وكشف تناقضاتهم الداخلية ، واقناع العالم بعدالة الحرب الدفاعية (الوقائية) الاسرائيلية ، واقناع العالم الغربي بالاسطورة المزيفة القائلة بأن مبادئه ومثله العليا (!) مرتبطة ببقاء اسرائيل « المخفر الامامي الذي يحرس المدنية ضد البربرية »(١)، وبأن مصالحه المادية تتفق ودعم هذه الدولة التي ستقف في وجه مد الحركات التحررية في المنطقة وتكون « قاعدة ضد روسيا »(٢) و « حصن الديمقراطية في هذا الشرق »(٣) . . . الخ . . بالاضافة الى التأكيد على اسطورة محورية هي : **خطر الابادة المحدق بالشعب الاسرائيلي** الذي يخوض معركته وهو بين شدقي الاسد . وتستند اسطورة خطر الابادة الى ان اسرائيل دولة صغيرة حضارية مسالمة [!] تعيش وسط منطقة معادية وحساسة ، وفي ظروف عسيرة تجعل **حضارتها المادية والروحية معرضة للخطر ومرتبطة بشكل لا يقبل الانفصام مع مقتضيات الامن** . والحقيقة ان التركيز على خطر الابادة الخارجي لا يستهدف سوى احتواء النزاعات الداخلية ، وبناء وحدة وطنية قوية باسم ضرورات الامن التي جعلتها الحكومة الاسرائيلية ، حسب تعبير المطران يوسف ريا « بقرة مقدسة »(٤). وفي الندوة التي نظمها معهد شيلواح وجمعية السلام وكلية ادارة الاعمال في جامعة تل ابيب تحت عنوان « تحديات السلام » تحدث الدكتور يوحنان بيرس ، الأستاذ في علم الاجتماع بجامعة تل ابيب عن العوامل الخفية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وذكر ان من هذه العوامل « الرغبة في ابراز المشاركة اليهودية ازاء الظاهرة الاجتماعية المعروفة ، وهي ازدياد النزاعات الداخلية عندما يتلاشى الخطر الخارجي »(٥). وتحدث عن تغذية العداء اليهودي للعرب ، واعادها الى عدة اسباب منها « المصلحة في تقوية بناء الوحدة الوطنية ضد عدو خارجي مشترك »(٦). بيد ان محاولة التركيز على الخطر الخارجي ،

ومقتضيات الامن الداخلي والخارجي في اسرائيل اخذت بعدا مبالغا به . ولم تعد آثارها لتقف عند حدود تحقيق الوحدة الداخلية ، بل اتسعت حتى خلقت مجتمعا عاش على القلق وتوقع الحرب ، وافرز جيلا فاشيا يقدس العدوان والعنف ، ويحتقر كل القيم والحضارات ويعيش داخل « غيتو مادي ومعنوي »(٧) يعزله عزلا مطلقا عما حوله .
ويلاحظ المدقق في خطابات الزعماء السياسيين والعسكريين الاسرائيليين وتصريحاتهم وتوجيهاتهم الى المواطنين واوامرهم اليومية الى الجنود نغمة التأكيد على ضرورة الدفاع عن الوطن و « احباط محاولات الجيوش العربية الراغبة باحتلال اسرائيل وتدميرها » ، و « فك الحلقة المطبقة على اسرائيل » ، و « صد العدوان الرامي الى تدمير البلاد » ... الخ .

ولكن ترى متى كانت أسرائيل معرضة لخطر الابادة والدمار ؟ ان ابادة دولة ما بالمعنى المادي للتصفية امر متعذر في عالمنا المعاصر . والخطر الاقصى الذي يمكن ان تتعرض له أية دولة هو تدمير قواتها المسلحة ، وتجريدها من درعها ، واجبارها على تقديم تنازلات سياسية واقليمية تختلف باختلاف حجم الهزيمة العسكرية وحجم الجهد والتضحيات الاضافية التي يعتقد الخصم المنتصر ان عليه ان يقدمها اذا ما شاء المطالبة بتنازلات اكبر ، واستعداده للاشتراك بمعارك جديدة لتحقيق ذلك . ولا يمكن تدمير القوات المسلحة للدولة الا اذا امتلك الخصم تفوقا ماديا ومعنويا ، واستغل ظرفا دوليا مناسبا لتسديد الضربة وتحقيق النصر العسكري الذي يترجم خلال مباحثات السلام الى نصر سياسي . فمتى اجتمعت كل هذه المعطيات منذ بدء الصراع العربي ـ الاسرائيلي حتى اليوم ؟

في عام ١٩٤٨ كان ميزان القوى المادية متوازنا . وهناك تقديرات تؤكد ميل الميزان آنذاك لصالح القوات الاسرائيلية . وتقديرات معاكسة تؤكد ميله لصالح الجيوش العربية . ولكن الميل حسب التقديرين لم يكن كافيا لتحقيق الحسم السريع قبل تدخل المجتمع الدولي ، وفرض الهدنتين ، ثم فرض مباحثات رودس . وفي حديث لبن غوريون مع صحيفة معاريف عن حرب ١٩٤٨ سئل بن غوريون : «هل خفت من ان نهزم ؟» فاجاب: « كنت واثقا من النصر . كانت لدي معلومات »(٨) . وفي عام ١٩٥٠ جاء التعهد الامريكي ـ البريطاني ـ الفرنسي ليضمن امن اسرائيل وحدودها . وفي الفترة ما بين ١٩٥٠ و ١٩٥٥ ، وعندما كانت مفاتيح التسليح العربي بيد الغرب اعلنت الدول الاستعمارية المتقدمة عن رغبتها بالحفاظ على الوضع الراهن في الشرق الاوسط عن طريق تزويد اسرائيل باسلحة تعادل اسلحة الدول العربية المتاخمة لفلسطين او تفوقها . وكانت كافة المحاولات العربية لشراء الاسلحة من الغرب في تلك الفترة ـ تماما كالمحاولات التي تجري اليوم ـ دليلا على نقص في وضوح الرؤيا ، وخلل في فهم طبيعة الاستراتيجية الامبريالية وارتباطاتها ، وسيطرة الوهم على امكانية الافادة من مساعدة الغرب الامبريالي دون تهديد مصالحه بجدية ـ هذا الوهم الذي لم يتبدد كليا حتى اليوم رغم جميع الدروس . وعندما حطم العرب حصار السلاح ، وفتحوا الباب لاسلحة دول الكتلة الشرقية ، فتحت الدول الاوروبية مخازنها لاسرائيل ، ومتنت التحالف معها ، واعادت التوازن .

وفي حرب ١٩٥٦ كانت القوات الاسرائيلية ، وقوات فيلق الغزو الانكلو ـ فرنسي ، وقوات فرنسا وبريطانيا البحرية ـ الجوية العاملة في شرق البحر الابيض المتوسط اكبر من القوى العربية (المصرية والسورية والاردنية) المستعدة للاشتباك في المعركة . ومن عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٧ استطاعت الامبريالية والرجعية اجهاض اول وحدة رأت النور ، وكان من المكن ان تلعب دور نواة تجمع عربي اكبر يشكل خطرا على اسرائيل . وبالرغم من السلاح السوفييتي الذي تدفق الى الجيشين السوري والمصري قبل الوحدة

وخلالها وبعد انفصالها ، فقد حرصت الولايات المتحدة على تسليح اسرائيل عن طريق فرنسا والمانيا الغربية وبريطانيا في البداية ، وبشكل مباشر فيما بعد ، بحيث تكون القوة الاسرائيلية العسكرية اكبر من تسليح دول المواجهة وهكذا تحولت هذه الدولة الصغيرة — مساحة وسكانا — الى قلعة مسلحة ، أخذ الاسطول الامريكي السادس مهمة حماية امنها كضمانة اضافية بلا مقابل .

وفي عام ١٩٦٧ كان حجم القوات الاسرائيلية المشتبكة في القتال أكبر من حجم القوات العربية التي دخلت المعركة (نظرا لانعدام الوحدة العربية — ولو بين دول الطوق على الاقل — وضعف أساليب التعبئة والحشد والقيادة والاتصال) . وبالرغم من تحسين الوضع الاستراتيجي الاسرائيلي بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، واستناد الجبهتين الاسرائيليتين الغربية والشرقية الى موانع طبيعية قوية (قناة السويس ونهر الاردن) وتسلق القوات الاسرائيلية لهضبة الجولان ، فقد عملت الولايات المتحدة ما في وسعها لتدعيم القوة العسكرية الاسرائيلية وتزويدها بأحدث الاسلحة حتى تستطيع الحفاظ على المناطق المحتلة والمساومة بها لتحقيق السلام (على الطريقة الاسرائيلية) أي لاجبار الامة العربية على الاستسلام .

وعندما بدأت معارك الاستنزاف على قناة السويس تابعت الولايات المتحدة عملها لتزويد اسرائيل بما يلزمها من طائرات ومعدات وأموال لتأمين التفوق على القوات العربية ، ولمجابهة التطورات التكنولوجية في الحرب الاليكترونية ، ولتعويض كل خسائر حرب الاستنزاف .

وفي فترة وقف اطلاق النار ، ومع تزايد الوجود العسكري السوفييتي في مصر بصورة خاصة ، صعدت الولايات المتحدة دعمها لاسرائيل ماديا وتقنيا . ووضعت اسلحتها المتطورة كلها في خدمة التفوق الاسرائيلي .

اذن ، في أية مرحلة من هذه المراحل كانت اسرائيل معرضة بالفعل لخطر الابادة او حتى لخطر الهزيمة ؟ وفي اية فترة من هذه الفترات اتحد عرب دول المواجهة، ووحدوا قواهم، وأعدوا للمعركة قوة تتفوق على قوة العدو بنسبة تسمح بسحقه ؟ وفي أية فترة خرجوا من حلقة السباق مع العدو في المجال الذي يمكنه ان يسابقهم فيه ، وفتحوا مجالا جديدا لا يستطيع مجاراتهم فيه ولا تستطيع الدول الكبرى المتقدمة ضبطه او التأثير عليه الا اذا تورطت على غرار التورط الامريكي في كوريا (١٩٥٠ — ١٩٥٣) وفي فيتنام (من ١٩٦٦ حتى اليوم) ، وهو مجال تثوير القوى البشرية الزاخرة كافة وتعبئتها وتسليحها بغية زجها في معركة تحرير طويلة ، يتناغم فيها قتال القوات الآلية المتطورة مع قتال الجماهير المسلحة ، وتمتزج فيها حرب الحركة (طيران — مدرعات — صواريخ محمولة) مع حرب المواقع (ميليشيا شعبية مسلحة بايديولوجية ثورية واسلحة خفيفة ومعدات مضادة للدروع والطائرات) بالاضافة الى حرب عصابات نشطة وراء خطوط العدو ؟ ومتى كان الوضع العربي والسياسة العربية قادرين على فصل اسرائيل عن حلفائها عن طريق تهديد مصالح هؤلاء الحلفاء الحيوية في المنطقة ؟

ان الوحدة العربية — ولو وحدة القتال على الاقل — لم تتحقق حتى الآن . والتحالف مع الصديق الوحيد (المعسكر الاشتراكي) يضعف يوما بعد يوم . وتعبئة الجماهير وتسليحها ايديولوجيا وماديا لقلب موازين القوى وشن حرب طويلة الامد لم يتحققا بعد . ولم يعد العرب بملايينهم المائة وثرواتهم الهائلة لمعركة المصير قوة تفوق قوة العدو . ولم تتقدم القوات العربية البعيدة حتى اليوم الى المدى الاستراتيجي او العملياتي الذي يسمح لها بأن تلعب دورا فعالا في المعركة . والامبريالية الامريكية سائرة على طريق دعم العدو الاسرائيلي وهي ضامنة — حتى الآن — لكل مصالحها واستثماراتها التي زادت

بعد عام ١٩٦٧ ! فكيف يمكن التحدث في اسرائيل والحالة هذه عن خطر الابادة سواء أكان المقصود ابادة الدولة ، أم ابادة القوات المسلحة وتدميرها بشكل يحقق الهدف السياسي ؟ وكيف يمكن ان يتحدث القادة العرب عن تحرير الاراضي المحتلة قبل ان تتغير المعطيات السابقة وتنقلب موازين القوى المادية والمعنوية ؟

ان هذه الحقائق مجتمعة تكشف زيف الاسطورة التي روجها الاسرائيليون واستفادوا منها داخليا وخارجيا ، وترفع القناع عن الدجل الكامن في قول العميد شارون قائد المنطقة الجنوبية ، واحد قادة الهجوم على سيناء « ان حرب الايام الستة كانت حربا تهدف الى منع ابادتنا . ان هدف العدو المعلن عنه كان ابادة دولة اسرائيل . كان هذا هو الشعور الذي رافقنا وبهذه الروح تحدثنا الى الجنود »(٩)، او في قول اسحاق رابين عند الحديث عن حرب ١٩٦٧ : « ساد الشعب بأسره في اسرائيل الشعور بأن الحرب هي من أجل استمرار بقائنا . هذا الشعور هو الذي أدى الى ان تحقق الحرب تلك الانجازات العظيمة . وليس السلاح والطائرات والاشياء الاخرى . ولولا هذا الشعور الصادق والصحيح لما حصلنا على ما حصلنا عليه »(١٠)، او في أقوال غيرهما من قادة العدو .

ولقد أدى انتصار الاسرائيليين في عام ١٩٦٧ الى خلق شعور من الاطمئنان بين صفوف الجيش والشعب في اسرائيل . وجاءت تصريحات القادة العسكريين والسياسيين وتبجحاتهم لتدعم هذا الشعور . فلقد صرح اللواء موشي دايان في خطاب أمام المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش بـ « ان دولة اسرائيل اليوم هي أقوى دول المنطقة ، وان قوتها العسكرية متمركزة ومتحركة وقادرة على حماية الدولة »(١١). وعندما سئل حاييم بارليف في آب ١٩٧٢ عن اقتصاد الحرب وضرورة تطبيقه في اسرائيل اجاب : « انا لا اعتقد بأن اسرائيل تواجه الان وضعا يحتم عليها اهمال جميع مجالات الحياة في سبيل المجهود الحربي . ولا أعتقد بأن اسرائيل من الممكن ان تسمح لنفسها بتوجه كهذا ، ولذلك لا اعتقد بوجود اساس لاتباع نظام اقتصاد الحرب »(١٢). الامر الذي يؤكد ان اسرائيل لا تعيش حالة خطر يهدد وجودها ، ولا تعيش حتى حالة حرب تستدعي اتباع اقتصاد حرب . اما زئيف شيف المعلق العسكري الاسرائيلي فقد كتب في هآرتس : « تخلصت اسرائيل بفضل الوضع الجغرافي الاستراتيجي الحالي من مخاوفها القديمة وهي : انها ان لم تكن البادئة باطلاق النار فمن المحتمل ان تهزم او ان تضطر لدفع ثمن فادح من الضحايا »(١٣). ولقد نشرت معاريف نص مقابلة اجرتها مع اللواء الاحتياطي يغآل يدين قال فيها : « في الخامس من حزيران ١٩٦٧ عندما وقفت الى جانب مردخاي هود في غرفة العمليات ، وأخذنا نسمع عن الانتصارات الرائعة لسلاح الجو قلت لمردخاي : ان اسرائيل قد ولدت اليوم من جديد . . . ان الاخطار التي كانت تحيق بها آنذاك لم تعد قائمة الان »(١٤). وفي مطلع نيسان ١٩٧١ تحدث ابا ايبان امام مؤتمر حزب العمل الاسرائيلي قائلا : « واجهنا الافناء زمنا طويلا . اما الآن فقد أصبحنا أسياد مصيرنا ، ولن نخاطر بهذا الوضع »(١٥).

وأثار هذا الشعور الجديد حالة جدل داخل المجتمع الاسرائيلي . وطرح العديد من التساؤلات حول أسطورة الابادة القديمة . ولقد انبرى عدد من كبار القادة العسكريين لتحليل هذه المسألة . وذكرت هآرتس ان العميد الاحتياطي متتياهو بيليد رئيس قسم الامداد والتموين في القيادة العامة للجيش الاسرائيلي خلال حرب ١٩٦٧ ، والباحث في معهد شيلواح ، واستاذ تاريخ الشرق الاوسط في جامعة تل أبيب قال بأن مقولة ان اسرائيل تعرضت في حزيران ١٩٦٧ لخطر الابادة وان دولة اسرائيل حاربت من أجل كيانها ، عبارة عن « خدعة ولدت ونمت بعد الحرب فقط » كما قال بأن الاسرائيليين لم يتعرضوا في أيار لخطر الابادة « كأفراد او كجماعات » . وعاد الى مسألة ميزان القوى

ــ وهي مسالة محورية في هذا المجال ــ عندما قال « ان المصريين حشدوا في سيناء ٨٠ الف جندي ، وجندنا نحن ضدهم مئات الالاف من الرجال » . ثم ربط خطــر الابادة بالهجوم وفق المبدأ العسكري الذي ينفي قدرة الدفاع على تحقيق النصر الحاسم ، وطرح السؤال التالي : « ما هي آخر مرة كانت اسرائيل فيها مكشوفة لهجوم عربي ؟ كان ذلك سنة ١٩٤٨ ، كما اقرأ التاريخ »(١٦).

وبالرغم من عدم موافقة يغال آلون على كافة تفاصيل فكرة بيليد ، فقد اشار الى صحة رأيه القائل بعدم تعرض الدولة في حرب حزيران ١٩٦٧ لخطر الابادة بقوله : « اننا لم نكن عرضة لخطر الابادة وقتها »(١٧). واشترك العميد الاحتياطي عيزر وايزمان (رئيس شعبة العمليات في القيادة العامة للجيش خلال حرب حزيران ١٩٦٧ ورئيس حــركة حيروت) في الجدل الدائر حول هذه المسألة اكثر من مرة ، فلقد قال في آذار ١٩٧٢ « انني مستعد للموافقة على ان وجود دولة اسرائيل لم يتعرض لخطر الدمار، ولكن هذا لا يعني اننا كنا نستطيع الامتناع عن ضرب المصريين والاردنيين والسوريين ، ولو فعلنا ذلك لما استمرت دولة اسرائيل قائمة بنفس المقياس والروح والجوهر »(١٨). ثم تحدث في مقابلة اجراها بعد شهر مع روف غولدشتاين فأكد « لم يكن هناك خطر ابادة ! كان لا بد من مهاجمة المصريين ولم يكن ثمة مفر من ذلك . ولو كانوا هم البادئين بالهجوم لما هددنا بخطر ابادة ، ولكن خسائرنا كانت ستكون أكبر كثيرا »(١٩).

ولما سأله غولدشتاين : هل قلت قبل الحرب لاشكول اننا غير مهددين بخطر ابادة ؟ اجاب : « لم يكن ثمة حاجة لذلك لانه لم يجر اي حديث في اي اجتماع جدي عن مثل هذا الخطر . لقد تحدثنا عن الحرب واهوالها . وتحدثنا عن قصف تل أبيب والخسائر . تحدثنا عن الخطر الناجم عن دخول قوات عدوة الى مناطق في اسرائيل . ولكن لم يتحدث اي شخص عن الابادة »(٢٠). ثم عاد العميد الاحتياطي عيزر وايزمان ليكرر افكاره في حزيران ١٩٧٢ على صفحات يديعوت احرونوت فقال : « لم تكن دولة اسرائيــل فعلاً معرضة للفناء لو لم نشن الحرب في الوضع الذي كنا عليه خلال أيار ــ حزيران ١٩٦٧ ، ولو لم نتغلب على المصريين والاردنيين والسوريين . ولكن وجودها لم يكن ليستمر بالصورة نفسها التي كانت قائمة يومذاك ، او كما هي اليوم »(٢١).

وبالرغم من هذه الحقائق والشهادات الصادرة عن أعلى مستويات القيادة الاسرائيلية ، وبالرغم من حجم الهزيمة التي لحقت بالجيوش العربية في عام ١٩٦٧ ، والذي ادى الى خفوت الاصوات المتحدثة عن خطر الابادة العربي ، فقد لجأت القيادة الاسرائيلية الى تغذية سكان اسرائيل ويهود الشتات والرأي العام الغربي بجرعات جديدة من الحديث عن الخطر . ولكن الحديث اتجه هذه المرة نحو « الخطر السوفييتي » و« الخوف من الدب الاحمر » الذي لا يهدد اسرائيل وحدها ، بل يهدد الوجود الغربي والمصالح الغربية في الشرق الاوسط . ففي أيار ١٩٧١ كتب عيزر وايزمان تحت عنوان : **ما الذي يجعل وزير الدفاع يتراجع** : « وما تزال هذه الحكومة (الاسرائيلية) تعمل في جو من المخاوف، ومن الحديث عن صعوبة محاربة المصريين اليوم لانه **ينبغي الخوف من الروس** »(٢٢). وأشار زئيف شيف الى **احتمال التدخل السوفييتي** في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، والخطر الذي يمثله هذا التدخل عندما قال « ان أكثر المسائل التي تتخبط فيها اسرائيل حيوية هي كيف سترد الولايات المتحدة في حالة **تدخل روسي** بصورة فعالة ومباشرة بالقتال في قناة السويس وسيناء ، وربما أكثر عمقا في أراضي اسرائيل »(٢٣). وذكر رئيس الأركان حاييم بارليف في حديثــه مع الاذاعة الاســرائيلية بتــاريخ ٧١/٩/١١ « ان اسرائيل لا تستطيع ــ بأي حال ــ أن تتجاهل الوجود السوفييتي في المنطقــة . ولا تستطيع ان تخرجه مــن حساباتها عند أي تقدير للموقف »(٢٤). . . « اننــــا لا نجهل انه في حالة عودة القتال فان بعض الاعمال ستؤدي بلا شــك الى رد فعــل

سوفييتي »(٢٥). وذهب اسحاق رابين سفير اسرائيل في الولايات المتحدة الى ابعد من ذلك في البيان الذي القاه امام اللجنة الامريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة وقال فيه :
« ليس ثمة دولة اشد رغبة من اسرائيل ان ترى اتفاقية بين القوتين الكبيرتين تقرر انهما لن تستدرجا الى الصراع المحلي مهما كانت الظروف . الا ان الروس قاموا لسوء الحظ بالخطوة الاولى ... فأشركوا قواتهم الذاتية في نزاعنا المحلي في آذار ١٩٧٠ . ومنذ ذلك الحين نعيش في وضع تشترك فيه **قوة كبرى بقواها الذاتية** الى جانب احد اطراف الصراع »(٢٦).

ولقد استغل الاسرائيليون هذا الموقف الجديد لاستثارة الولايات المتحدة وحلفائها داخل حلف الاطلسي ، ولابتزاز الاموال والاسلحة المتطورة من الولايات المتحدة التي لم تتردد في تقديم طائرات الفانتوم المزودة بأحدث الاجهزة للصراع ضد الدفاع الجوي المصري بما في ذلك بطاريات الصواريخ التي يديرها السوفييت وطائرات الاعتراض التي يقودها طيارون سوفييت . ولقد كتب زيف شئيف بهذا الصدد « اعتقد ان لاسرائيل الحق في المطالبة بهبات شبيهة بتلك التي تعطى للدول الغربية **الواقعة بالقرب من الحدود الروسية** . على الولايات المتحدة الاعتراف بحقيقة ان موسكو نجحت في توسيع حدودها منذ الحرب العالمية الثانية الى حد بعيد . ان اسرائيل هي احدى الدول الواقعة اليوم على الحدود الجديدة . ولذا يحق لها ان تتوقع مساعدة امريكية ملائمة »(٢٧). وعندما تحدث اسحاق رابين امام اللجنة الامريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة ، اشار الى مسألة المعدات والاسلحة وقال بأنه استلم اسلحة كافية لمحاربة العرب « لكن المشكلة لا تقتصر على القوات العربية . ففي الوقت الحاضر على اسرائيل الا تقدر فقط قوتها العسكرية مقابل قوة الدول العربية مجتمعة ، ومدعمة بكميات لا حد لها من السلاح والتقنيين والمدربين من الاتحاد السوفييتي ، بل انها تواجه ايضا **التورط العسكري المباشر لقوة كبرى** . ان الاتحاد السوفييتي موجود على ارض مصر ، واذا استؤنفت الاعتداءات ــ آمل الا يحدث هذا ــ قد نجد انفسنا مشتبكين مع قوات روسية محدودة متمركزة في مصر وملتزمة بعمليات عسكرية ذات ادوار معينة في الاجواء المصرية . هذه هي مشكلتنا » ... « ان باستطاعة اسرائيل ان تدافع عن نفسها بنفسها ضد قوى العالم العربي مجتمعة لاية فترة ممكنة ــ خمس او عشرين او خمسين سنة ــ ما دمنا لا نحرم من المعدات اللازمة لدفاعنا . واذا كان هناك تهديد لوجود اسرائيل فانه يأتي من **خطر مشاركة الاتحاد السوفييتي بقواته الذاتية** في الصراع ضدنا »(٢٨). ولم تقتصر مطالب اسرائيل من واشنطن على الاموال والاسلحة والمعدات بل تعدتها الى المطالبة بضمانات جديدة تتعهد الولايات المتحدة بها **بالتدخل الفعال** الى جانب القوات الاسرائيلية اذا ما تعرض أمن اسرائيل لخطر حقيقي من جانب السوفييت . ولقد نشرت هآرتس تعليقا لزيف شئيف قالت فيه : « ولعله يستحسن الابقاء في هذه اللحظة على الشك لدى الروس حيال استعداد الولايات المتحدة لمجابهتهم اذا تعرضوا لاسرائيل »(٢٩). وذكرت معاريف في تعليق على زيارة سيسكو لاسرائيل « ان الالتزامات الامريكية والردع في وجه التدخل السوفييتي ، وهما جوهر المشكلة في نظر مخططي السياسة الاسرائيلية ، سيحددان هذه المرة ايضا شروط اسرائيل »(٣٠). وعندما حدد اسحاق رابين امام مؤتمر اللجنة الامريكية ــ الاسرائيلية للشؤون العامة الاهداف الاربعة التي تسعى اسرائيل لتحقيقها في علاقتها مع امريكا قال عن الهدف الثالث : « والهدف الثالث اكثر تعقيدا نوعا ما . ذلك ان صراع الشرق الاوسط لم يقتصر على نزاع محلي ، فثمة قوة كبرى هي الاتحاد السوفييتي متورطة ايضا . لهذا فاننا **نحتاج لموقف امريكي معين** ، يؤثر في الاوضاع بطريقة تحول دون حرية الاتحاد السوفييتي بالقيام بأعمال عسكرية ضد اسرائيل »(٣١).

وهكذا نرى ان اسرائيل لم تتوقف طوال فترة وجودها عن التحدث باسهاب عن خطر الابادة رغم انها كانت غير معرضة لهذا الخطر . وعلى الجانب الاخر من الخندق تحدث العرب عن ابادة اسرائيل في وقت كان ميزان القوى **سلبيا** بالنسبة لهم . واذا كانت اسرائيل قد استفادت من حديثها عن هذا الخطر ، وابتزت ما هي بحاجة اليه من عطف وتأييد واموال واسلحة ومعدات ، وكسبت المناورتين السياسيتين الداخلية والخارجية، فان نتيجة حديث الساسة العرب عن ضرورة ابادة اسرائيل ــ دون امتلاك الاداة اللازمة لذلك ، وقبل ظهور الظروف التي تسمح حتى بقهر القوات المعادية المسلحة ــ أفقدهم الكثير على صعيد المناورة السياسية الخارجية ، وأضعف قدرتهم على المناورة السياسية الداخلية لانه خلق حالة رفض وعدم ثقة داخل الجماهير العربية التي كانت تفجع دائما بالتناقض بين طموحاتها والامكانات المتوفرة لها ، وبالبون الشاسع بين ما تطرحه الحكومات نتيجة لتصوراتها الذاتية او لاغراضها الداخلية وحقيقة الواقع الموضوعي على أرض الصراع السياسية ــ العسكرية .

ان هذا القول لا يعني مطلقا نقد فكرة ابادة العدو الاسرائيلي (لا بمعنى تدمير الناس والممتلكات بل بمعنى تدمير الهياكل السياسية ــ العسكرية الاساسية وقهر القوات المسلحة بشكل يحقق الهدف السياسي العربي) فهذه الفكرة كامنة في صلب كل صراع ، وتشكل هدف كل قوتين متجابهتين تحاول كل واحدة منهما استخدام العنف ــ بعد فشل الاساليب الاخرى ــ لتدمير قدرة الخصم القتالية أو لشلها عن الحركة بغية الوصول الى الاغراض العسكرية التي تتم المساومة عليها للوصول الى الاهداف السياسية . ولا يمكن لامة تجابه تحديا مصيريا يعرض وجودها كله للخطر الا أن تفكر بالحرب وتستعد لها ، وأن تستعد بالتالي لتبني فكرة كلاوزفيتز « ان الحل الدامي للازمة أي الجهد الرامي الى ابادة القوات المعادية هو الابن الشرعي للحرب »(٣٢) مع التأكيد على ان « تدمير قوات العدو هو أهم هدف رهان في الحرب قاطبة »(٣٣). ان نقدنا لا يلامس الفكرة بل يتجه بشكل اساسي الى التحدث عن الابادة قبل امتلاك القوة اللازمة للهجوم ، وقبل انتظار المناخ السياسي الدولي الملائم . والتحدث عن الهجوم مع النية باتخاذ موقف الدفاع ، وفي ذلك مخالفة لمبدأ حربي اساسي يؤكد ضرورة التحدث عن الدفاع عندما تكون الخطة الهجومية مكتملة والقوى الهجومية مستعدة للضرب .

ان الواقع العسكري العربي الحالي ، ومضي سنتين على وقف اطلاق النار دون وجود أية بادرة لمتابعة القتال ، والسعي الحثيث وراء الحل السلمي ، وانخفاض حجم الوجود العسكري السوفييتي في منطقتنا الى الحد الادنى سيسكت الابواق المتحدثة في اسرائيل عن خطر الابادة . ولكن الاستراتيجية الاسرائيلية لم تتبدل . وستبقى اسسها وأهدافها وأساليبها كما كانت من قبل . فمن أين ستستقي بعد اليوم مبررات حديثها عن الخطر ؟ وهل ستجد ضالتها في بعض التصريحات النارية الجديدة التي يطلقها الزعماء العرب عن الحرب ــ دون امتلاك أداتها ــ أم في تحليلات عسكرية أحادية الجانب كتحليلات الفريق صلاح الدين الحديدي في كتابه الذي نشرت مجلة الحوادث عددا من فصوله(٣٤)، أم في الاخبار الغامضة التي تتردد عن **سراب** شراء أسلحة غربية فرنسية أو ايطالية أو انكليزية ان لم نقل أمريكية لتبديل موازين القوى ؟

هذا هو ما سترد عليه الاحداث في وقت غير بعيد .

---

١ ــ تيودور هرتزل . ذكرها هيثم الكيلاني في **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت .

٢ ــ بن غوريون (١٩٤٦) ، **المرجع السابق** .

٣ ــ الدكتور التمان (١٩٥٣)، **المرجع السابق**.

٤ ــ في مطلع آب ١٩٧٢ قال المطران يوسف

ربا لغولدا مائير خلال اجتماعه بها : « لقد خلقت الحكومة بقرة مقدسة اسمها الامن» .

٥ ـ عرض الياهو سلفطر في هآرتس ، ٧١/١١/١٧ ، من نشرة م. د. ف. ، ٧١/١١/١٦ .

٦ ـ المرجع نفسه .

٧ ـ من حديث لهربرت ماركوز خلال زيارته لاسرائيل في نهاية عام ١٩٧١ : « انكم على طريق اقامة غيتو مادي ومعنوي آخر ، الا اذا حدث تغيير وستكونون معزولين عن العالم المادي لكم » ، نشرة م. د. ف. ، ٧٢/١/١ .

٨ ـ معاريف ، ٧١/٤/٢٨ ـ نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١ .

٩ ـ معاريف ٧٢/٦/٧ ـ نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٧/١ .

١٠ ـ معاريف ٧٢/٦/٢ ـ نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٦/١٦ .

١١ ـ دافار ، ٧٢/٣/٣١ .

١٢ ـ نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية ، ٧٢/٨/٥ .

١٣ ـ هآرتس ، ٧١/١٢/٢٢ .

١٤ ـ معاريف ، ٧١/١٢/١٠ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/١/١ .

١٥ ـ مركز الابحاث الفلسطينية ، اليوميات الفلسطينية ، مجلد ١٣ ، ص ٣٧٣ .

١٦ ـ هآرتس ، ٧٢/٣/١٩ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٤/١ .

١٧ ـ دافار ، ٧٢/٦/١٥ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٧/١ .

١٨ ـ عال همشمار ، ٧٢/٣/٢٠ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٤/١ .

١٩ ـ معاريف ، ٧٢/٤/٤ ، نشرة م. د.ف. ، ٧٢/٥/١ .

٢٠ ـ المرجع السابق .

٢١ ـ يديعوت احرونوت ، ٧٢/٦/٦ ، نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٧/١ .

٢٢ ـ معاريف ، ٧٢/٥/١٤ ، نشرة م. د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٣ ـ هآرتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الرابعة) » ، ٧١/٧/٢ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٢٤ ـ الاهرام ، ٧١/٩/١٢ .

٢٥ ـ وكالات الانباء : أ. ب ، ي. ب .

٢٦ ـ نيرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م. د. ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٧ ـ هآرتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٢٨ ـ نيرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٢٩ ـ هآرتس ، « كيف يفكرون في البنتاغون (الحلقة الخامسة) » ، ٧١/٧/٤ ، ملحق العدد ٨ من نشرة م. د. ف. ، ٧١/٧/١٦ .

٣٠ ـ معاريف ، ٧١/٧/٢٣ .

٣١ ـ نيرايست ريبورت ، ٧٢/٥/٧ ، نشرة م.د.ف. ، ٧٢/٦/١ .

٣٢ ـ كارل فون كلاوزفيتز « في الحرب » الجزء الاول ، الفصل الثاني ، الصفحة ١١٥ .

٣٣ ـ كارل فون كلاوزفيتز ، المرجع السابق .

٣٤ ـ تقول نشرة رصد اذاعة اسرائيل العبرية، الصادرة عن مركز الابحاث الفلسطينية (عدد ٢١ في ٧٢/٨/٢٤) ان اللواء الاحتياط حاييم هيرتسوغ علق في اذاعة اسرائيل على صدور كتاب الفريق صلاح الدين الحديدي ، وعلى حديث المؤلف عن خطة هجومية مصرية في عام ١٩٦٧ بما يلي : « لهذا التصريح اهمية كبيرة لانه قد لحقنا ضرر كبير حسب رأيي من جراء التصريحات الكثيرة غير المعتمدة ، واحيانا غير المسؤولة التي أدلى بها البعض في الفترة الاخيرة ، والتي مفادها ان اسرائيل لم يكن يتهددها الخطر في فترة الاستعداد لحرب الايام الستة . ومن المفيد ان يأتي مصري اخيرا ، ويعترف ان هدف مصر كان هجوميا وان المصريين أرادوا مهاجمة اسرائيل » . وعندما سأله مراسل الاذاعة بولماز براك : « هل يفهم من ذلك ان خطر الابادة يتهددنا ؟ » اجاب هيرتسوغ : « هل كنا مهددين بالابادة أم لا أمر خاضع للاعتبارات الموضوعية ، ولكن من ناحية ذاتية كان خطر الابادة بالنسبة للسكان في اسرائيل ماثلا حقا أمام اعينهم ... ومن الجهة الاخرى كان العرب ينوون ابادتنا . ان اعتراف المسؤول المصري في غاية الاهمية لانه يفيد وضع الاحداث في المنظور الصحيح » .

« الاتحاد الوطني »
والشكل الراهن للسلطة في الاردن

هاني حوراني

[١]

في ٧ ايلول ١٩٧١ ، اي بعيد قرابة الشهرين من خروج المقاومة من جبال عجلون والاحراج ، وبعد مرور عام على قتال ايلول ، اعلن الملك ، قيام تنظيم سياسي عام في البلاد « يضم جميع ابناء الشعب وبناته ، وينظم طاقات المجتمع وامكاناته ، ويوجهها نحو اهداف محددة واضحة »(١) . وبصيغة « الاتحاد الوطني » لم يعد النظام يتحدث باسم الشرائح الطبقية والفئات العليا من المجتمع ، بل أعطى نفسه حق الحديث باسم جميع الطبقات وباسم الشعب وعاد الملك ليؤكد أن الاتحاد الوطني « ليس هو تنظيما حزبيا بالمعنى السياسي او الاجتماعي المعروف ، ولكنه اطار عام ينتظم الانسان والحياة في بلدنا »(٢) . فما الذي حصل ؟ وماذا يعبر هذا التحول ، وبأي اتجاه يجري داخل النظام ؟

لحظة الاعلان عن الاتحاد الوطني ، كانت ذاكرة الجماهير ما زالت ندية . وتعود الى ما قبل عام ، حين كانت توطن نفسها للانعتاق ، واذ ذاك كانت الردة الرجعية قد استكملت ملامحها ، واستعادت كل تقاليدها بسرعة . وخلال عام اخذت كل ادوات القمع ورموزها التي لم تكن حتى الامس القريب ، غير أكسسوارات لمسرحية تاريخية بالية ، تستعيد اعتبارها ، و « عاد كذلك الى الظهور رجال الدرك القدامى الذين بدا انهم اندثروا منذ امد بعيد » . وفي ايام ايلول الدموية استنفر الملك اسلحة الماضي في الحرب الصليبية التي شنها ضد المقاومة والحركة الوطنية الديمقراطية . واتحدت الشرائح الطبقية العليا في الدولة والجيش ، حيثما رأت جحيمها في مرمى البصر ، وتسلحت بالعداء البدائي ، وبالأخطاء المقدمة من الجبهة المقابلة لها ، وأعطت فيالقها شرف القتال من اجل اقرار سلطة « القانون والنظام » واحباط « المؤامرة الجهنمية » ومشروع « الوطن البديل » . وهكذا اندفعت الفيالق الصليبية الجديدة للقتال بشراسة ، مسلحة بوعود غسل شرفها العسكري المهدور ، واعادة اعتبارها لذاتها ، والانتقام من العقائديين والملحدين ، والفدائيين غير الشرفاء ، وتطهير الفداء من مدعي الفداء » . ومع نتائج القتال الشرس الذي دار قرابة الايام العشرة ، كان حزب النظام ، غير العلني : البرجوازية البيروقراطية في الدولة والجيش ، بعض اجنحة البرجوازية الكبيرة ، والزعماء العشائريون ، يسجل انتصاره لمصلحته الخاصة تحت عنوان « مصلحة البلاد والمجتمع » وفي الوقت ذاته كانت نشوة الجنود بسقوط عدد من اجزاء « المدينة » بيدهم ، بعد أن استعصت عليهم في الايام الماضية ، قد بلغت ذروتها ، فلم ينسوا ان يحولوا نارهم ، ونهبهم الى الاحياء البرجوازية ، التي ابدت تساهلها وضعفها تجاه

المقاومة — وبالتالي استحقوا عقابهم . لقد كان كل ما هــو مديني ، كل ما هو معتدل ومتعقل يجد نفسه معرضا للعقاب ومستهدفــا بالعداء . ان المدينة بكاملهـــا ، عوقبت جماعيا وان تراوحت حصص احيائها ، لكونها متواطئة مع المقاومة .

ان الجنود المشحونين بايديولوجية النظام ، وبالشـــعارات التي وضعت بين ايديهم ، وبتعزيز العداء الشخصي بينهم لكل ما له صلة بالمقاومة وبالمدينة ، لــم يوفروا الحماة القدامى للنظام ، الذين كانوا قبل ايام حرس النظـــام ، والذين يضعون بشـــعاراتهم السلمية والتفاهمية ، واجهة متعقلة و « وطنية » للذين يعدون عمليا للتصفية وللمجزرة. وهكذا ، فان الجنود السكارى الذين قاتلوا تحت راية سيادة القانون والنظام وتحت راية الدين ضد الالحاد ، وراية حماية المجتمع ضد الفوضى ، طافوا في الاحياء البرجوازية ، وحطموا واجهات المحال ونهبوها ، ودخلوا المنازل الوجيهـــة عنوة ، وعبثوا ، واعتدوا عـــلى الاعراض ، وواجهوا بالضرب والشتم كل من يفســـد طقوس الغزو الاحتفالي . وأطلقوا النار على سبيل التسلية على مواطنين ، يعتبرون طيعين ، امتثاليين ، غاية في الطاعة والامتثال للنظام . وسددوا قذائفهم على المساجد والكنائس ، واهانوا رجـــال الدين ، ولم يوفروا رموز النظام حتى الامس من الاذلال . **اي انهم انتهكوا كل ما حارب النظام باسمه ، وقاتلوا من أجله** . واخيرا ، وعـــلى أكتاف هذه الفيالق ، وباسمها ، صعد وصفي التل ، الذي كان ضمن بضعة رجال من أبطال المجزرة في غرفـــة عمليات النظام ، الى سدة الحكم ، بعد ان كـــان يقف الى جانبه ، ومن خلفه ، او على هامشه لسنوات منذ عام ١٩٦٦ .

[٢]

ان وصفي التل ، لم يفهم كما يجب ، ولم تعامله المقاومـــة بما يستحق كخصم ، ومن ثم فان « تحليلهم » له ، لم يصبه سياسيا ، كما اصابته رصاصات مقاتلي ايلول الاسود فيزيقيا . انهم لم يتوصلوا الا الى اطلاق اللعنات وصرخـــات الثأر من الارادة الجهنمية الاستعمارية التي اعدته وهيئته لدوره المنتظر ، ولم يفهموه الا كوريث لاقليمية والـــده الشاعر ، ورجل الانجليز وصنيعتهم . وبالتالي فقد قاتلوا فيه شبحا لعينا لـــم يعرفوا كنهه، **في الوقت الذي اغفلوه كافراز وكنهج سياسي واجتماعي ينبثق عن بنيان اجتماعي له علاقاته الداخلية وقوانينه** .

[٣]

لم يسبق ان صعد سياسي اردني الى رئاسة الوزارة بمثل العنجهية والغطرسة التي احاطت بصعود وصفي التل بعيد المجزرة . انه لم يكتف باملاء **شروطه** على الملك لقبول الوزارة — متسلحا بحرارة مواسير البنادق التي لم تتوقف عن العمل بعـــد ، وبدخان البارود الذي يعبق في جو السلطة ويصبغ سياستها — وانما اعلنت هذه الشروط ، التي تمثل طبيعة نهج التل ، عبر وكالة الانباء الاردنية الرسمية ووزعت بما تستحق من عناية عبر اجهزة الاعلام الاردنية المختلفة . ومع التحول النوعي الكبير في موازين القوى بين المقاومة والنظام ، الراجح لصالح الاخيرة . كان التحول ذاته يطرأ على علاقات الاجنحة المختلفة المنضوية تحت لواء النظام الاردني . كما ان الملك ، الذي اعتاد ان يلعب دوره القديم « كوالد للاسرة الاردنية » ، وان يمسك عصا التوازن بين شتى اجنحة النظام من منتصفها ، كان واعيا بالثقل الذي يمثله وصفي التل الـــذي يحظى بثقـــة البيروقراطية الادارية والاطارات العليا من النظام وكبار الضباط . وبالتالي كان مضطرا الى الاتكاء على برنامج التل ونهجه المتصلب ، الذي يكفل له استعادة السيادة الكاملة للنظام واحكام سلطته على البلاد ، غير انه يخفف من سلطة الملك ويخضعها لتقنين سياسي كابح . وهكذا فان ظهور الاتحاد الوطني ، كتنظيم سياسي في البلاد ، كان تعبيرا تنظيميا ، عن نهج هذه الفئات والشرائح التي اعطت وصفي التل **ثقله الاجتماعي في البلاد** ، واعطته

فرصة اجراء تحولات معينة على بنية السلطة بما يكفل لها احتلال مراكز متقررة ضمن النظام . ان اطروحة انشاء تنظيم سياسي موحد في البلاد ، تمثل الطبعة الاكثر تنقيحا وتشذيبا لمفهوم وصفي التل في العمل السياسي . وهي طبعة مكيفة ومعدلة لاطروحات سابقة لم تعرف الحياة قط . ففي اوائل الستينات ، كان وصفي التل ينشط لطرح مشروع يسمح بانشاء احزاب سياسية في البلاد ، تتكون ضمن اطار النظام وشرعيته ، وتقتسم ادوار الحكم والمعارضة وفقا لمنظور ليبرالي يتيح فرص الصراع على السلطة على أسس برامجية ، يوفر للنظام قواعد استقرار سياسي نسبي ، ويقلل من الطابع العشوائي للصعود والهبوط للرموز السياسية في البلاد والتي تتم وفق « ارادة ملكية سامية » غير محكومة بنفوذ هذه القوة الاجتماعية او تلك ، هذا البرنامج السياسي او ذاك(٣) . ان وصفي التل ردد اطروحته هذه في فترة صعوده السياسي المفاجيء ، **وبدون اسناد اجتماعي من قاعدة النظام التقليدية** . وخرج من الظلال ، في فترة تنامي النفوذ الامبريالي في البلاد ، وخضوعها لنموذجه التنموي ، متسلحا بوزارة من **التكنوقراطيين والاداريين والمهنيين** ، الذين لم يسبق لهم ان شغلوا مناصب وزارية من قبل . وكان بينهم عدد من ذوي المسحة الوطنية والعصرية ، وعدد من الحزبيين الديمقراطيين المرتدين . لقد كانت حكومته تلك (١٩٦٢) اشارة ذات دلالة للتحولات التي جرت على عدد من الفئات الاجتماعية « البرجوازية الكبيرة والمتوسطة » والتي باتت جزءا من قاعدة النظام الاجتماعية ، وذلك بعد ان افسحت سياسة الاستعمار الجديد الاقتصادية في البلاد المجال لتنامي الاستثمارات في قطاعات التجارة والصناعة والزراعة ، مما عزز وضع هذه الفئات اقتصاديا واجتماعيا ، وأمكن حل تناقضها مع النظام بشكل ودي وضمن حصولها على نفوذ سياسي مواز ، يعبر عن نهجها وطموحها(٤) . وهكذا فان اطروحة تعدد الاحزاب جاءت متوافقة مع النموذج « الليبرالي » للتنمية والتطور الاقتصادي في الاردن ، والتي لعبت المساعدات والاستثمارات الامريكية دورا مهما فيها . كما قدمت الولايات المتحدة ومؤسساتها المتخصصة ، التوصيات المناسبة لنمط التنمية وشكل الاسهام الحكومي وحدوده . أي ان اطروحة تعدد الاحزاب كانت متوافقة مع موضوعات التنمية الليبرالية « المبادرة الحرة ، الحرية الاقتصادية .. الخ » ان برنامج السنوات السبع كان صدى مباشرا لهذه التوصيات ، فقد كانت السياسة الاقتصادية تتبنى تعاون القطاعين الحكومي والخاص ، وترك للدولة دور الاسهام في المشاريع العامة ، واحداث تسهيلات تحتية تعزز مبادرة القطاع الخاص (شق الطرق والمواصلات المختلفة ، مشاريع الري .. الخ) واسهام الدولة في تمويل المشاريع الانتاجية الكبيرة ، ثم طرح حصص الدولة فيما بعد للبيع للقطاع الخاص . بالاضافة الى احداث تسهيلات تشريعية مختلفة لحماية الانتاج المحلي واغراء القطاع الخاص بتوسيع مجال الاستثمار(٥) . اي ان وصفي التل ، قدم اطروحة الاحزاب المتعددة ، الى جانب اسهامه في احداث تطوير رأسمالي في البلاد (في شروط وآفاق كولونيالية) ، وتحديث قطاعات الانتاج واطارات الدولة . وجاءت بالتالي محاولته لبلورة اطاراته السياسية ، وتنمية قوته الاجتماعية . ان اطروحته هذه كانت **محاولة للبحث عن هذه الاطر** ، وهذه القاعدة الاجتماعية من الفئات **المتنورة والعصرية في قطاع الدولة والبرجوازية النامية ، المتصلة بالقطاع الحديث من الانتاج ، ومن التكنوقراط والمهنيين** ، ليواجه بهم الثقل السياسي لباقي الرموز التقليدية في النظام والمستندة الى قوى اجتماعية غير قادرة على طرح برنامج له جزالة برنامجه العصري وبريقه . ومن ثم فان هذه الاطروحة كانت كفيلة — ان تحققت — باهتدائه الى الاطر التي تبلور برنامجا يحظى بثقة القوى الاجتماعية النامية والتي تبحث لنفسها عن دور ارسخ في تقرير سياسة النظام ، وتضمن له ايضا البقاء في السلطة ، او الصعود اليها مجددا ، بهدف عقلنة اسلوب الصعود والهبوط من السلطة وتقنينه وفقا لقوانين واسس الصراع البرامجي بين الفئات والشرائح الطبقية المشكلة

لقاعدة النظام الاجتماعية . اي بهدف التقليل ، ما امكن ، من الطابع العشوائي الذي يفرضه الملك ، كموجه وموازن بين اجنحة السلطة ، في تحديد الوجهة السياسية للبلاد ، الامر الذي يجعل طموحات التل مهددة فعلا بالسقوط في الظلام ، بمجرد ان يطرأ اي تناقض مع الملك ، وتذهب « الارادة الملكية السامية » للبحث عن رجل منفذ ، اكثر طواعية ، ليصعد مجددا الى النور(٦).

وكما نعرف ، فان هذا المشروع لم ير النور قط، وبوسعنا ان نتصور ان ما طوى اطروحة الاحزاب ، هو بالذات الهاجس الذي كان يتخوف منه وصفي التل : « الارادة الملكية السامية » التي لا يمكن ان تتوافق دوما وابدا مع منظور وصفي التل السياسي وبرنامجه، نفوذ القوى والفئات الاخرى في قاعدة النظام ، خضوع النظام لضغوط التحولات الجماهيرية في المنطقة العربية وانعكاساتها على البلاد ، مما يتطلب الانحناء للعواصف السياسية ، لا مجابهتها . ان ما يمكن اضافته ، هو ان القوى والشرائح التي أطلق وصفي التل شهيتها بحكومته الاولى « حكومة الشباب » من اجل حصص اكبر في السلطة ، ومن اجل اقرار نهج مؤات لمصالحها ، كانت **جنينية سياسيا** ، ولم تجد الفرصة لتميز نفسها بشكل اكثر نضجا ، كما لم تجد الشجاعة لتقدم رموزا اخرى بقوة شكيمة رمزها الاول وصلافته . وبكلمة اخرى لم تع ، هذه الفئات والشرائح مصالحها كليا بصورة اكثر تجانسا وتمايزا بما يكفل لها طرح نفسها كقوة سياسية يحسب حسابها . ولعل أكثر محاولاتها هذه نموذجية ، نجده في السؤال الخجول الذي قدمته مجلة « الاثنين » في منتصف الستينات عن غياب السياسيين الشبان في الحكومات المتعاقبة على البلاد .

[٤]

ان التعديل والتنقيح الذي اجراه وصفي التل ، بطرحه مشروع التنظيم السياسي الموحد بدلا من اطروحة الاحزاب المتعددة ، لم يكن مجرد تكيف مع ظروف ما بعد معارك ايلول، وان كان الاتحاد الوطني قد حمل في بنيته التنظيمية والسياسية ملامح هذه الظروف . ولذلك يمكن ان نلاحظ ان الانقسام العمودي الذي شق المجتمع ، بصورة اقليمية ، وانعكاس هذا الانقسام على قاعدة النظام الاجتماعية ، كان يعبر بهذه الدرجة او تلك عن تناقضات طبقية ، وتناقضات في المصالح بين الشرائح التي تنتمي الى ذات الطبقة . والذي له صلة بتفاوت التطور بين سكان الضفتين ، وتوزع ادوارهما الانتاجية . ذلك ان قاعدة النظام الاجتماعية والمكونة من تحالف طبقي بين البرجوازية الكبيرة (ذات الصبغة التجارية الغالبة) والملاك العقاريين والبرجوازية الادارية (البيروقراطية) في الدولة والجيش والزعامات العشائرية ، قد انقسمت ، في فترة تنامي الصراع بين النظام والمقاومة ، على نفسها . واتخذ هذا الانقسام دلالته السياسية الواضحة في عدم اتفاق أطراف النظام على نمط المجابهة مع المقاومة . وكان ثمة خياران امام النظام ، مجابهة أردنية سياسية مع المقاومة ، تكون جزءا من المجابهة السياسية العربية من أجل الوصول الى تسوية بعيد مبادرة روجرز ، أم مجابهة مسلحة لا تنتظر التسوية ، بل تكون التصفية خطوة على طريقها . وهكذا فان قاعدة النظام انقسمت على ارضية التسوية بين هذين النمطين من المواجهة(٧). لقد اخذ هذا الانقسام طابعه العياني الملموس في الايام الاخيرة من حكومة عبدالمنعم الرفاعي ، التي شهدت تصعيدا منظما للتوتر في عمان ، وتحركات عسكرية شاملة حول محاور العاصمة . واخيرا اقالة حكومة الرفاعي وقيام الحكومة العسكرية ، التي عبرت عن تغلب الاطراف المتشددة في النظام باتجاه حسم الصراع مع المقاومة عسكريا .

[٥]

ان هذا الانقسام ، الذي اخذ شكلا اقليميا ، له مقدماته بظهور تناقضات ما بين جناحي

السلطة الاساسيين ، البرجوازية التجارية والملاك العقاريين من ناحية ، والبيروقراطية وكبار الضباط وبعض الرموز البرجوازية الصناعية والعشائرية من ناحية اخرى ، عبر عن نفسه في صراع زمر النظام في نهاية الستينات وتصاعد بعد الحرب . وكان موقف الرموز السياسية في السلطة والممثلة للقطاعات البرجوازية التجارية والملاك العقاريين بعد تنامي نفوذ المقاومة ، هو تحاشي الصدام معها ما أمكن ، بحكم وعيها بالاضرار التي ستخلفها مثل هذه الصدامات على مصالحها في البلاد ، وخاصة بعد ضياع الضفة الغربية . فهي بحاجة ماسة الى **جو وفاق عربي** يتيح لها التحرك اقتصاديا في مناخ سياسي ملائم .

وكانت مصالحها تعتمد أساسا على تسهيلات تسمح لها بالحركة عبر الحدود العربية ، وفي **اطار علاقات أردنية ــ عربية متوطدة** . اما البرجوازية البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش والزعامات التقليدية الشرق ــ أردنية ، فانها على الرغم من انتعاشها الاقتصادي بفعل المساعدات العربية بعد الحرب ، الا انها لم تكن تطمئن لبدء ارتهان المساعدات بموقف النظام من المقاومة، ولكون الاخيرة تتنامى جماهيريا وسياسيا الى حد انها تقف كسلطة اخرى موازية لها وبالتالي ترى فيها نقيضها المرشح لتهديدها ، ذلك ان المقاومة كانت تمارس نفوذها كسلطة **بفعل الضغط الجماهيري ، وبشكل عفوي** وبشيء من البلادة ، وان كانت تبدو وكأنها متنزهة عن اغراض الحكم والسلطة .

ان البرجوازية البيروقراطية في الدولة وكبار الضباط ، الذين باتت تحت ايديهم قاعدة مادية مؤثرة ، وجهاز لجب من الموظفين وجيش جرار يتنامى باستمرار ، كما يتنامى حجم انفاقها ، استشعرت باستقلالها عن باقي اطارات النظام الاجتماعية ، وبتعزز مطامحها بمباشرة اقرار نهجها في السياسة العليا للنظام ، بحكم ارتباط مصالح هذه الفئة الاجتماعية ببقاء الدولة ونموها . وواقع الامر ، ان هذه الفئة الاجتماعية ، نمت وتوطدت مصالحها بفضل **البحبوحة الامبريالية** ، التي قدمت الحصة الاعظم من مساعداتها وهباتها لدعم **الميزانية** ، ولدعم **الانفاق المتكرر** في الدولة والجيش ، ربطت مستقبلها عن وعي بالرهان على الامبريالية وعلى مشاريعها . وهي قد وجدت جوهر وفاقها او تناقضها مع عدد من الاقطار العربية، على اساس مدى رهان هذه الدولة او تلك على الامبريالية ومشاريعها بصدد مسألة احتلال الاراضي العربية في حرب ١٩٦٧ ، او هي وجدت جوهر هذا الوفاق بمدى تقبل البلاد العربية المعنية او سكوتها على هذا الرهان . وعلى الرغم من ان الجناح المتصلب من النظام ، كان بحاجة الى المساعدات العربية المقررة في مؤتمر قمة الخرطوم ، الا انها كانت على استعداد للتضحية بها ، لكون هذه الدولة او تلك تشترط بهذا القدر من الجدية او ذاك ، مسألة عدم صدامها مع المقاومة ، واشتراط نوع من التعايش معها .

وهكذا نجد ان **قاعدة النظام الاجتماعية لم تعد موحدة** ، كما كانت سابقا ، بل يسودها تناقض متوتر ومشحون بالعداء الذي رفع من حرارته جسامة احداث أيلول . وتعكس هذا الواقع تصريحات وصفي التل بعيد صعوده الى السلطة ، عندما تصدى في احاديثه وندواته الصحفية بمزيد من القسوة والتجريح لرؤساء الحكومات السابقين ، (ويعني التلهوني والرفاعي ، دون ان يحتاج الى تسميتهما) واعتبرهم مسؤولين عن الاوضاع التي سادت قبيل أيلول وآلت اليه ، جنبا الى جنب مع المقاومة . كما نجد ان عبد المنعم الرفاعي يتصدى في تصريح صحفي له ، الى النهج السائد في النظام والذي يطبعه بطابع الاقليمية البغيضة وخاصة في مؤسساته الاعلامية ، معبرا عن استيائه لصعوبة تصدي النظام الاردني للقضية الفلسطينية في المنابر الدولية بالجدارة نفسها التي كان يتمتع بها!.

[٦]

ومن هنا نلمس ان اوضاع ما بعد أيلول ، وانعكاساتها على قاعدة النظام ، ليست فقط لا تتيح المجال لترك الباب مفتوحا أمام اتجاهات أطراف النظام للتعبير عن نفسها ، بل اكثر من ذلك ، فان **البيروقراطية والاطارات العليا في الدولة والجيش فرضت نهجها على بقية اطراف النظام ولجمت أي صوت مناهض لها** . ان التعبيرات العملية للطابع التسلطي السافر الذي فرضه وصفي التل في تنفيذ نهجه ، يتمثل في احداث تغييرات واسعة في مواقع النظام ، استهدفت تطهير مؤسسات الدولة والجيش والسلك الدبلوماسي كافة من الرموز التي تعبر بهذه الدرجة او تلك عن نهج متعاكس او حتى متحفظ من برنامجه ومنظوره الخاص . ان احداث التنقلات ، والاحالة على التقاعد ، والعزل كفلت بتصفية المعاقل الرسمية لرموز الاطراف الاخرى من النظام . كما ان اعادة تشكيل مجلس الاعيان واستبعاد بهجت التلهوني ، وعبد المنعم الرفاعي وسليمان النابلسي منه ، واحلال عناصر جديدة تعزز النهج السائد كان العنوان البارز للتحول داخل النظام باتجاه **انفراد طرف واحد في السلطة** . ولكون الاتحاد الوطني الاردني ، الاطار التنظيمي والايديولوجي ، لفئة واحدة من قاعدة النظام الاجتماعية، وتعبيرا عن احتكارها للسلطة في جميع مواقعها ، فان اللجنة التحضيرية والاطارات القيادية للاتحاد قد خلت من اسماء الرموز السابقة ومن يمثلها . مما يعني عمليا ، عزلهم السياسي عن ممارسة أي دور . وهكذا نلاحظ ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت للاتحاد ، صرح بقوله « ان الحكومة ستكون جزءا من الاتحاد ، وكذلك المؤسسات الوطنية ، للقضاء على كل تعارض وخروج على مبادىء الميثاق » . وتابع دودين فقال : « ان الذين لا ينضمون للاتحاد لن يكون لهم نصيب في قيادة هذا الشعب »(٨).

ان جملة التشريعات والقوانين التي سنت بعيد أيلول ، تظهر رغبة السلطة في احداث تحولات جوهرية تمس اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنقابية كافة . وهذه التشريعات ، ليست فقط موجهة لمزيد من الكبح للحركة الجماهيرية ، والعمال والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة (المهنيين) وانما ايضا للبرجوازية الكبيرة ، والملاك العقاريين اذ ان التشريعات الجديدة رفعت بعض التسهيلات والامتيازات السابقة ، كما زادت من الالتزامات الضريبية على هذه الفئات لصالح ميزانية الدولة ، وحملتها جزءا هاما من اعباء الازمة الاقتصادية (مثل اجبارها على شراء السندات الحكومية ، تقديم قروض خاصة للدولة . . الخ)(٩) . ومن جهة اخرى فان عددا من المنابر والاطارات شبه السياسية مثل « التجمع الوطني الاردني» لجنة انقاذ القدس » تعرضت لمضايقات قاسية شلتها عن العمل . كما ان « المجمع المهني » تعرض للحل بهدف اخضاعه للاتحاد الوطني اما النقابات العمالية ، فقد آلت الى نقابات بيضاء ، ومنابر رجعية للسلطة .

[٧]

ان مراجعة سياسية لاسماء اعضاء اللجنة التحضيرية والكوادر القيادية النشطة في الاتحاد الوطني ، تشير بجلاء الى طبيعة انفراد فئة واحدة من قاعدة النظام في السلطة ، وبغض النظر عن بعض العناصر الهامشية في الاتحاد ، فان غالبية الاسماء تنتمي الى مواقع برجوازية في أجهزة الدولة او في قطاعات رديفة ، تعكس اقتصاديا وايديولوجيا ، مصالح هذه الفئة(١٠) . كما ترتبط بها اطارات وسيطة ودنيا من الموظفين والمحافظين ، ورؤساء البلديات والمخاتير والمعلمين ، وبعض المهنيين(١١) . كما ينشط عدد من النواب والاعيان (وغالبيتهم من الشمال) في النشاطات والندوات التي ينظمها الاتحاد ، وهم في الغالب يمثلون تيار وصفي التل في مواقعهم التشريعية(١٢) . وبحكم طبيعة الاتحاد هذه ، عبر أحد أعضاء اللجنة التحضيرية في حديث له أمام الموظفين ، عن طبيعة الاتحاد الاجتماعية فقال « ان جهاز الموظفين كان في الماضي قطاعا **مشلولا** ، والمطلوب الان هو ان

يكون جهازا قادرا على العمل والتحرك وأداة نشاط في جسم الاتحاد »(١٣) . وفي رسالة صحفية من عمان ، كتب أحد المراسلين يصف الجهود الرامية لضم الموظفين في جهاز الدولة الى الاتحاد الوطني فقال ملخصا الوضع **« أنت موظف ، اذن انت عضو في الاتحاد الوطني الاردني »**(١٤) .

[٨]

قبل أن يعلن الملك تبنيه الرسمي للاتحاد ، كانت أنباؤه قد تسربت من أوساط النظام الى الشارع ، ونقل مراسل « النهار » في عمان حديث « مسؤول كبير » في الاتحاد حول طبيعة التنظيم الجديد « يتولى الاتحاد الوطني الاردني تحديد الخط العام للحياة الاردنية ، وقد تعلمنا من الاخطاء التي وقعت في بلدان عربية ، وسنتلافى كل ما يؤخر تقدم هذا الاتحاد ونجاحه . هذا الحزب الاردني الوحيد سيتيح وجود معارضة داخلية تكون اختلافا في أساليب العمل ، من أجل الحفاظ على الخط العام الذي سيكوّن الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وكل ما له علاقة بالاردن داخلا وخارجا »(١٥) .

وخلافا لهذا التصريح ، فقد حرص النظام على أن يقدم الاتحاد الوطني ، لا على أساس انه حزب ، وانما على انه « اطار عام » كما قال الملك في كلمة الاعلان عن الاتحاد في ٧ أيلول ١٩٧١ . وكذلك في جميع تصريحات اركان الاتحاد الوطني واحاديثهم . ان مصطفى دودين الامين العام المؤقت يكرر « ان الاتحاد ليس حزبا ، بدليل ان التعريف العلمي للحزب هو انه يجمع طلائع طبقية اجتماعية معينة تعمل على خدمة هذه الطبقة، والسعي لايصالها الى كراسي الحكم على حساب الطبقات الاخرى من المجتمع ، الامر الذي يخلق صراعا طبقيا في المجتمع ، وبالتالي يؤدي الى ايقاعه فريسة للعدو وفق آرائه » .

ويضيف قائلا « اننا نعيش مرحلة تحرر وطني ، وجزء من وطننا محتل ، والجزء الآخر معرض للخطر ، فمن هنا لا بد من قيام اتحاد وطني من أجل أن يقاتل هذا الشعب تحت شعار الجبهة الوطنية التي تنصهر فيها كافة قوى الشعب »(١٦) . ويتحدث ابراهيم الحباشنة عضو اللجنة التنفيذية المؤقتة للاتحاد الوطني في الخط ذاته ، ويضيف « ان الاتحاد الوطني ليس تجمع أحزاب ، وانما هو اطار عام للمبادىء السياسية والوطنية والثقافية والتربوية والاقتصادية ضمن خط متواز لصالح جميع ابناء الشعب ، وليس لصالح طبقة واحدة »(١٧) . وعلى الرغم من هذه التأكيدات المتتالية ، فان جميع الفئات الاجتماعية الخارجة عن اطار الاتحاد الوطني تعتبره حزبا . وكذلك الحال الصحفيون والمراقبون ، الذين يقدمونه على انه « حزب حكومي ، حزب الملك المدني ... الخ » ولكن طريقة تكوينه ونهجه العام يقدمانه على حقيقته ، كحزب الفئة المهيمنة على السلطة الآن في الاردن .

لقد شكل الملك لجنة تحضيرية ضمت قرابة المئتين من الشخصيات الاردنية ـ الفلسطينية ، المعينين منه(١٨) . وقد تولت هذه اللجنة انتخاب لجان مكاتب عمل المحافظات في الضفتين ، وذلك لتولي الاعداد والتنظيم والدعوة للمؤتمر العام للاتحاد . وقد تشكلت هذه اللجان الفرعية على اساس التمثيل الجغرافي للضفتين ، كما تشكلت لجنتان أخريان ، احداهما للنساء والاخرى للبدو(١٩) . وقد تولت هيئة مكاتب العمل المنبثقة عن اللجنة التحضيرية تنظيم سلسلة من الاجتماعات الشعبية في المحافظات ، كما جندت وسائل الاعلام الحكومية ، وعقدت ندوات تلفزيونية، نقلت الصحف المحلية بدورها تفاصيل مناقشاتها . وكانت مهمة هذه الاجتماعات والندوات ، الدعوة للاتحاد وشرح أهداف الميثاق . ومن جهة ثانية شكلت هيئة مكاتب العمل ، لجانا قطاعية ، للتنسيق والاعلام ، ولجانا أخرى للصناعة والتجارة ، والموظفين والمعلمين والطلبة(٢٠) . وشهدت الشهور الاولى للاعلان عن الاتحاد حملة تعبوية كبيرة ، تمثلت في سلسلة الاجتماعات والندوات على امتداد المحافظات ، لعبت فيها مكاتب العمل واللجان القطاعية دور

التحضير ، وقدمت لها تسهيلات حكومية ، من المحافظين ورؤســاء المجالس البلدية والقروية ، والأمن العام ، واستخدمت المدارس والمرافق العامة لهذه الاحتشادات ، وغطيت اعلاميا على نطاق واسع . لقد كانت مهمة هذه الاجتماعات ، الدعوة للانتساب للاتحاد ، وشرح أهدافه والرد على تساؤلات المواطنين ، وكانت مثل هذه الاجتماعات تتوج بارسال برقيات الولاء للملك والنظام والاتحاد الوطني . وليس من المبالغة في شيء، أن نشير الى الطابع القسري والزجري الذي تتم فيه هذه الاحتشادات ، اذ عوضا عن أساليب القسر المادي في تجميع المواطنين وحشرها في هذه الاجتماعات ، فان الارهاب المعنوي والسياسي كان يلعب تأثيره الخطير ، كما ان اليأس وروح التملق للسلطة منعا لشرورها ، كانا يدفعان المواطنين الى ندوات الاتحاد الوطني التي لم يكن لهم فيها من دور سوى تلقي الركام اللفظي الرسمي ، والقمع الايديولوجي الجديد . وفي أحد هذه الاجتماعات يقول مصطفى دودين صراحة « ان الانتساب اختياري ، وليس اجباريا ، ولكن لا مجال للانعزال عن مسيرة هذا البلد ، والذين يبقون خارج تنظيمات الاتحــاد سيظلون بمعزل عن أبناء البلد »(٢١) .

ان نشاط الاتحاد الوطني التعبوي باتجاه دفع المواطنين للانتساب للاتحاد الوطني ، قد توج بالدعوة الى المؤتمر العام للاتحاد الوطني في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧١ . وقد دعي الى هذا الاجتماع ٢٤٠٠ شخص يمثلون المحافظات في الضفتين . وكان التمثيل موزعا بنسبة النواب عن كل محافظة مضروبا بأربعين ، وكانت كل محافظة تختار ممثليها الى المؤتمر العام(٢٢) . وكما ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد الوطني ، فانه ينبثق عن المؤتمر العام مجلس للاتحاد يتألف من ٣٦٠ عضوا ، بينهم ٢٤٠ عضوا يتم انتخابهم من أعضاء المؤتمر العام ، فيما يتم تعيين ١٢٠ عضوا من قبل الملك ، على أن يكونوا من أعضاء المؤتمر العام . ويظل مبدأ التعيين قائما « الى أن تزول آثار العدوان »(٢٣) . وكذلك الحال مع اللجنة التنفيذية العليا ، اذ ينص النظام الاساسي المؤقت للاتحاد على انتخاب ٢٤ عضوا من أعضاء مجلس الاتحاد للجنة التنفيذية العليا ، وعلى تعيين الملك للاعضاء الاثني عشر الآخرين في اللجنة(٢٤) . وفي المؤتمر العام الاول ، الذي عقد في الموعد المقرر ، جرى عرض الميثاق وتم اقراره ، كما اختير الملك رئيسا أعلى للاتحاد والامير حسن نائبا للرئيس . وخلافا لمواد النظام الاساسي السالفة ، فقد كلف المؤتمر العام الملك اختيار لجنة تنفيذية عليا مؤقتة للاتحاد ، الى حين انعقاد المؤتمر العام الثاني في شهر آب ١٩٧٢ ، وفي مطلع كانون الاول ١٩٧١ أصدر الملك قرارا بتشكيل اللجنـــة التنفيذية ، وكانت تتألف من ٣٦ عضوا ، بينهم ستة وزراء ، وعدد من الاعيان والنواب ، وثلاث سيدات(٢٥) .

مما مر يتبين دون اي لبس ، انه رغم التصفية الرجعية التي تطبع تكوين الاتحاد ، والتي تكفل وصول ممثلي البيروقراطية الاكثر امتثالا الى المؤتمر العام ، فان الاطارات العليا في الاتحاد ، تخضع لمبدأ التعيين ، الذي يكفل خضوع الاتحاد لكوادر قيــادية منتقاة ، ومضمونة الولاء . ان الاتحاد الوطني والحال كذلك، ليس اكثر من مؤسسة بيروقراطية، تفتقر الى الحد الادنى من الديمقراطية ، حتى عندما تتعامل الفئة المهيمنة على السلطة مع قاعدتها الاجتماعية .

[٩]

سبق أن أشرنا ، ان الاتحاد الوطني يطرح نفسه ، ليس على انه حزب طبقة أو فئة من هذه الطبقة ، وانما على اساس تنظيم عام لكل المجتمع ، فلماذا يصر على هذا ، في الوقت الذي تعامله الغالبية الساحقة من الجماهير على انه حزب الفئة المسيطرة على السلطة ، ويبدو ذلك جليا في استفسارات المواطنين التي تنصب على علاقة الاتحــاد بالحكومة القائمة (آنذاك : حكومة وصفي التل) وما هو مصير الاتحاد في حال مجيء

حكومة جديدة ، وما موقف الاتحاد منها .. الخ . ان الاتحاد الوطني ، شأنه شأن التنظيمات الطبقية كافة التي اقيمت بقرار رسمي من فوق ، وتشكلت بادعاء تمثيلها جميع فئات المجتمع وطبقاته ، بدون استشارة هذه الفئات والطبقات ، وبدون اعطائها حق ارسال ممثليها بالطرق ، التي قدمها التاريخ الانساني : أي احزابها الخاصة ، لتكون في النهاية اتحادا وطنيا او جبهة وطنية . ان الاتحاد الوطني ، يرفض ذلك ، انه يرفض ان يطرح نفسه كحزب ولا يريد نفسه تجمع احزاب ، انه يريد ان يكون اطارا وطنيا عريضا، انه ، كغيره من التنظيمات المشابهة في عدد من الاقطار المتخلفة ، يريد ان يضع نفسه فوق الطبقات وخارج الصراع الطبقي . وبحكم ملامح التنور الديماغوجي والانتقائية المبتذلة التي قدمتها العناصر المرتدة على ماضيها الحزبي ، الى الاتحاد الوطني ، فانه يعترف **بواقع انقسام المجتمع الى طبقات ويعترف بالاستغلال الطبقي** ، ولكنه، ولاغراض توطيد سلطة هذه الفئة على الحكم ، يريد أن يحل **هذا الانقسام وهذا الصراع وفاقيا وحبيا** . ويضع الاتحاد الوطني نفسه ـــ وفقا للفهم البونابرتي الذي يطرحونه ـــ **حكما** بين الطبقات ، ويقول **باذابة الفوارق الطبقية وفقا لمبادىء التضامن الاجتماعي ، التي تعني في شروط الاردن ، اشراف الدولة وتوجيهها لحدود الاستغلال الطبقي ، أي تهذيب هذا الاستغلال وتقنينه من أعلى** . ان الاتحاد الوطني ، بحكم ادعائه السياسي بأنه « اطار عام » للمجتمع ، وبكونه « جبهة وطنية تنصهر فيها كافة قوى الشعب » ، **لا يطرح مسألة العلاقات بين الاطراف المشكلة لهذه الجبهة او لهذا الاطار** ، كما تبني عادة الجبهات الوطنية في العالم . وانما يطرح مفهوما **طبقيا** ، يبرر فيهما **احتكاره للسلطة ((باسم المجتمع))** ، وهذا المفهوم يعبر عنه في ميثاق الاتحاد الوطني بتعبير « **الديموقراطية الهادفة** » الذي يهذب بصفات اخلاقية مثل « الديمقراطية يجب ان تكون متفتحة ، تقوي أواصر المحبة والاخاء ، تزيل آثار الهدم وتعزز أفكار البناء ، بعيدة عن الارهاب الفكري ، ايجابية ، هادئة ، موضوعية .. الخ » . بيد ان الهدف الحقيقي ، الكامن وراء مثل هذا التعبير الديماغوجي ، هو احكام سيطرة الاتحاد الوطني واركانه ضمن النظام ، على السلطة ، وقمع الافكار والتيارات الاخرى التي تتباين بهذه الدرجة او تلك عن افكار الاتحاد ونهجه . اذ يرى الميثاق ان حرية التعبير عن الافكار والمعتقدات في البلاد ، تتم « وفق **روح** الميثاق وفي النطاق المحدد للديمقراطية الهادفة » . ومن اجل هذا الغرض ينص الميثاق على ((**رعاية** الديمقراطية الهادفة و**خلق مدارسها ومؤسساتها** بصبر وعزم وايمان »(٢٦).

ان هذه الفئة الاجتماعية ، المعبر عنها تنظيميا وسياسيا في الاتحاد الوطني ، بحكم طرحها لنفسها كاطار للمجتمع ، ولكل الطبقات والفئات ، كانت مضطرة لان تطرح **نمطا** معينا من الدعاوة الايديولوجية ، وبرنامجا مختلفا ، **يمس جميع الفئات والشرائح الطبقية في المجتمع** ، أي انها اقامت تعديلا نوعيا على نمط علاقة النظام بالجماهير وبالطبقات كافة. فالنظام مارس تاريخيا ، سلطته استنادا **لحق مطلق أخلاقي وديني** ، وثبت هذه السلطة وعززها **بالقمع** ، وخاصة تجاه الطبقات الدنيا والمتوسطة من المجتمع . وكانت سلطته تستند غالبا الى تحالف الشرائح الطبقية العليا مدعومة ومسنودة من البرجوازية والقوى التقليدية . ولم تكن ثمة أرضية للتعايش مع الطبقات الادنى ، **التي لم يكن بوسع النظام بحكم نمط العلاقات السائدة والنظام الاجتماعي والاقتصادي السائد ان يلبي اي مطلب شعبي ديمقراطي** . لذلك فان **القمع المباشر والسلطة البوليسية** كانت الاداة الرئيسية لغل الجماهير والقضاء على مؤسساتها . أما اليوم ، فان البرجوازية البيروقراطية وشرائح عصرية أخرى حولها ، تريد ان **تقيم صلاتها مع الطبقات والفئات المختلفة في المجتمع ، على اساس ايديولوجي** ، عوضا عن ارتكازها الى السلطة القمعية . وتريد ان تنشر مناخا ايديولوجيا ، يعزز **دور الدولة** ، ليس بوصفها اداة قمع بيد طبقة ، وانما

بوصفها جهازا فوق الطبقات ، ومنزهة عن التناقضات الطبقية والاستغلال الطبقي ، وأداة اصلاح وحكما عادلا يسترشد « بمبادىء التضامن الاجتماعي » . كما انها تطرح الاتحاد الوطني ، على انه الاطار السياسي **لجميع الطبقات والفئات الاجتماعية** ، ومن خلال مشاركة الجماهير ، في الاتحاد ، فانها تشارك في السلطة في توجيه الحكم ومراقبته. ومن هنا ، فان البرجوازية البيروقراطية والشرائح المحيطة بها ، تريد ان تقيم حكما استبداديا مستنيرا ، يعقلن النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، عبر النخبة البيروقراطية العصرية المتنورة ، التي تضع نفسها خارج العراك ، وخارج حلبة الصراع الاجتماعي . وهي بصدد ذلك ، بمقدار الترميمات التي تجريها على النظام السياسي وعلى نظام الانتاج ، التي تعزز سلطة الدولة في الاشراف والتوجيه والتخطيط المركزي ، فانها تسعى الى **احداث تعديل على قاعدة النظام الاجتماعية ، يطمح الى ادخال فئات جديدة** ، وحصر الفئات المنافسة (البرجوازية التجارية والملاك العقاريين) . ان خرق الاتحاد لقاعدة النظام التقليدية والتوجه نحو فئات متوسطة ودنيا ، لا يمكن ان يتم دون تبني اصلاحات معينة تساعد على تحرير أوهام هذه الفئات حول امكان تحقيق النظام لمطالبها . بيد ان هذه الاصلاحات انما تتم وتجير لصالح تعزيز السلطة السياسية للبيروقراطية وحلفائها ولا تصاحبها حريات سياسية وديمقراطية وانما على العكس ، وبالتالي فانه ليست هناك ضمانات لتحقيق هذه الاصلاحات . ان قطاعات مهمة ، في **الريف الاردني ، وفئات اخرى من البرجوازية المتوسطة والصغيرة الشرق ــ اردنية في اجهزة الدولة والقطاعات المرتبطة بها** ، جرى تعزيز مخاوفها بعيد قتال أيلول انها كانت مستهدفة من المقاومة ، باستهدافها للدولة ، وقد جاء الاتحاد الوطني ورموزه القيادية في الحكم ، لتعزز هذه المخاوف ، **بدعوتها لان تلعب دورا سياسيا في دعم النظام الراهن** ، الذي هو حامي مصالحها . لذلك فان الاتحاد كان نشطا للغاية في مناطق **شمال الاردن** على نحو بارز ، كما منحته **الانتلجنسيا الاردنية** ، العصرية في المدن دماء جديدة ، واعطت الحكومة طابعها المتقدم عن الحكومات السابقة .

[١٠]

في الفترات التي يزداد الصراع الاجتماعي ، في بلد من البلدان ، وعندما تصبح الازمة الثورية ناضجة ، فان الرجعية لا تستطيع ، عشية انتصار الثورة ، ان تعيد تقديم نفسها ، كما عرفتها الجماهير سابقا . ذلك ان المد الثوري ، وتطور الوعي والنضج الموضوعي ، تخلق ثقافة وتقاليد متقدمة بين صفوف الجماهير ، وتقدم الشواهد التاريخية ، على ان عودة الرجعية للسلطة يتخذ طابعا جديدا ، اي انها تميل الى تغيير ثوبها ، وتسعى لمحو ذاكرة الجماهير واعادة اعتبارها لذاتها أمامهم . وفي مثل هذه الظروف يتقدم المرتدون ، الذين كانوا في يوم من الايام في صفوف الحركة الجماهيرية ، ثم تجاوزتهم الحقبة ، ليقدموا للرجعية أثمن الخدمات . فهم الذين يأخذون على عاتقهم تبرئة النظام وتحديثه ، ويمنحون النظام غطاء أيديولوجيا ، يستر عريه الرجعي البشع ، بانتقائية مبتذلة وديماغوجية ، مركبة من ثقافات ومنابع ايديولوجية مختلفة ، توطد للنظام استقرارا وتؤمن له الاستمرار . وبالطبع فان هؤلاء المرتدين(٢٧) لا يقدمون على ذلك تطوعا ، كما ان القوى التقليدية تقبل بهم بطوع ارادتها وبرضاها . ان ما يجعل مثل هذا اللقاء المقيت ممكنا ، هو الحقبة والظرف الموضوعي الحرج لكلا الطرفين . وهذا ما فعله الحزبيون المرتدون ، عبر الاتحاد الوطني ، حينما قدموا للنظام « نظريته الجديدة » عن **الطريق الثالث** . يقول ابراهيم الحباشنة « لقد تبنى ميثاق الاتحاد الوطني **نظرية جديدة** ، هي نظرية الطريق الثالث في البناء الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي ، وكان من الجراة حقا ان يتبنى الاردن **نظرية خاصة** به في هذا العالم الذي تتقاذفه نظريتان ، تتبناهما دول عظمى تؤثر في مصير الشعوب تأثيرا مباشرا . وما زالت دول عديدة في

بلدان آسيا وافريقيا ، التي تحررت حديثا ، تتلمس الطريق الثالث ، لكنها لم تستطع الوقوف على قدميها امام النظريات العالمية كالماركسية والرأسمالية . والطريق الثالث في مفهومنا يرتبط بتراثنا العربي المادي والروحي ويستند الى اعماق فلسفة هذا التراث، ويشتمل على نظرية التوازن الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الفردي والجماعي » . اما نظرية التوازن فيوضحها الحباشنة على النحو التالي : « مفهوم التوازن في تراثنا مفهوم أصيل وعميق (...) وتعتمد من الناحية الفيزيائية على الابعاد المتساوية في حركة الفرد ضد المجتمع ، وحركة المجتمع ضمن المجموعة الانسانية ، وتعتمد على محصلة القوى المتصارعة في مختلف المجالات ، وعلى نقيض النقيضين في الصراع الاجتماعي ، وهذا يرسم لها مسارا متوازيا بفضل تدخل الانسان الذي لا يقف متفرجا على حركة التطور الحتمية والعفوية (...) لذلك من هنا يبدو اختلاف الاتحاد بمفهومه عن الحزب السياسي ، لان موضوعه هو الشعب بأسره ، وليس فئة من فئاته او طبقة من طبقاته »(٢٨). ان ما مر ، يوضح طبيعة التحول في لغة النظام ونهجه وطبيعة الغطاء الايديولوجي الذي يقدمه المرتدون . وفي افتتاحية لصحيفة النظام الرسمية « الرأي » قالت : « ان الميثاق الاردني الذي استقى مباديء ونظراته ، من الواقع المرير الذي تعيشه شعوب العالم الثالث ، أوضح الطريق الثالث لهذه الشعوب في مواجهة **الطغيان الرأسمالي أو الديكتاتورية الشيوعية** » . وعادت ذات الصحيفة في عرضها لندوة خصصت لشرح مباديء الاتحاد الوطني لتكرر انه « يطرح نظرية جديدة للعمل الاجتماعي والاقتصادي والتنظيمي بصورة عامة ، **معتمداً على تجربة الدول النامية** ، وتطلع هذه الدول الى بناء **مجتمعات خالية من التناقضات الطبقية** » .

[١١]

ان اطروحة الطريق الثالث ، التي يقدمها منظرو الاتحاد الوطني ، على انها نظرية خاصة وجديدة ، وكتجربة رائدة وفريدة للتطور ، تعبر عن نفسها في الميثاق الوطني ، كبرنامج للنظام وكغطاء ايديولوجي على النحو التالي : **على الصعيد السياسي العربي** ، يحدد الميثاق التناقض الاساسي في المنطقة العربية ، على انه التناقض مع العدو (الصهيوني) ، ويراه **التناقض الاساسي الوحيد** . « ومن هنا فان جميع الاقطار العربية مدعوة للوقوف صفا واحدا ضد الخطر المشترك ، وهذا يستلزم بالضرورة حشد جميع الطاقات العربية وحل الخلافات بالحوار الهادىء ، والتزام المواقف المسؤولة والتعاون الاخوي الايجابي »(٢٩). ويستتبع هذا الفهم للتناقض في المنطقة الدعوة لحشد القوى العربية وتنسيقها وتوحيدها في خط المجابهة مع العدو ، منعا لانفراده بضرب كل منها على حدة . ويدعو الميثاق الى وحدة خط المجابهة السياسية ، ووضع سياسة خارجية موحدة للدول العربية و « نبذ المعارك الجانبية بين الدول العربية ، بسبب تباين انظمة الحكم ، او اية خلافات اخرى » . ووفقا للمنظور المار ذكره ، فأنه لا وجود لتناقض اساسي اخر في المنطقة ، كالتناقض مع الامبريالية واستنزافها للثروات العربية . واغفال العدو الامبريالي ، كعدو اساسي ، يضع كل دعاوات الاتحاد الوطني ، عن التقدم والتحرر الوطني ، في موضعها كديماغوجية سافرة . وبصدد وحدة القوى العربية ، فأنها في الميثاق تؤسس وتستند الى ارضية النظام الاردني ، ويضعها خاضعة لاستراطات الرجعية ، التي تتحدث عن الوحدة والتضامن ، وتمارس سياسة انقسامية واقليمية وانفرادية ، وتدعو الى نبذ المعارك الجانبية ، وهي تعني دعوة القوى العربية لغض النظر وتمرير التجاوزات الوطنية والتنازلات المقدمة للعدو مقابل مصالحها الذاتية الضيقة . ان الميثاق يذهب الى حد وضع نموذج سياسي جديد للوحدة العربية فيقول : « **ولما كان العديد من الاقطار العربية الشقيقة تمر في المرحلة نفسها التي يمر بها الاردن، وتجابه مشاكل داخلية وخارجية متماثلة ، ونظرا لأن المرحلة التي نجتازها تتطلب**

بالضرورة قيام اتحادات وطنية تنطلق من واقع يماثل واقعنا ، فان الاتحاد الوطني الاردني سيعمل على توثيق العلاقات مع تلك التنظيمات على اختلاف تسمياتها ، بمختلف الوسائل لاعتقادنا بان هذا هو المنطق السليم نحو اتحاد الدول العربية ووحدة الامة العربية » . ان المنظور الاردني للوحدة بين الدول العربية ينطلق من الدعوة لتعميم التجربة الاردنية ، والتجارب الاخرى المشابهة في عدد من الاقطار ، اي قيام اتحادات وطنية ، لا تستند الى تقاليد التحالفات الطبقية في جبهات وطنية ، تسودها علاقات ديمقراطية ، وقوانين التضامن مع النقد . وهو اذ يجد في التحولات الرجعية واليمينية في المنطقة العربية تغطية له ، فانه يجد الشجاعة الكافية لدعوة هذه الاتحادات على **اختلاف تسمياتها** لتوثيق صلاتها . باتجاه تعميم القمع الرجعي ، واخضاع جميع الطبقات لسلطة الطبقة السائدة ، اي طبقة برجوازية الدولة والبيروقراطية .

وعلى صعيد السياسة الخارجية ، فان الميثاق يروج لمفهوم برجماتي نفعي في الموقف السياسي ، يعبر في الشروط الموضوعية الراهنة ، عن تبرير لسياسة الارتماء في احضان الامبريالية ، تحت شعارات وتسميات مختلفة . فالميثاق يدعو الى « **تفهم السياسة الدولية والتناقضات الدولية الاقتصادية والسياسية** ، وفي ضوء ذلك اتخاذ المواقف المناسبة لمصلحة القضية ، والابتعاد ما امكن عن التشنجات العقائدية والجمود خلف الشعارات ومواقف المزايدة السياسية » . ويستتبع الميثاق ذلك بالقول « ان المصلحة الاقتصادية الوطنية تحدد الاولويات في تعاملنا مع الدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية » . وفي الفقرة الاخيرة نجد كمية مذهلة من الابتذال الديماغوجي ، فمن الواضح ، وخاصة في شروط الاردن العيانية ، ان ما يحدد اولويات التعامل مع الدول الاجنبية ، ليس المصلحة الاقتصادية الوطنية فقط ، وانما بالتحديد ، مدى استقلال هذا القطر او ذاك او تبعته الاقتصادية (ومن ثم السياسة) الامبريالية ، ومن هنا ففي حالة الاردن ، فان الامبريالية هي تقرر ، ذلك ان اعتماد ميزانية الدولة ، في قسمها الاعظم ، على المساعدات الاميركية والامبريالية عموما، لا يترك لايديولوجي الاتحاد الوطني فرصة تمرير هذه الترهات . ومـا من شك ، في ان مرتدي الاتحاد الوطني ، لو رجعوا الى محفوظاتهم بامانة ، لاعادوا صياغة الفقرة السابقة على النحو التالي « **ان المصلحة الاقتصادية للشرائح والفئات الطبقية السائدة تحدد الاولويات في التعامل مع الدول الاجنبية بغض النظر عن انظمتها الاجتماعية** » ، ذلك ان مصالحها ، وليس المصلحة الاقتصادية الوطنية هي التي تبرر ارتماءها في احضان الولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا » . بالاضافة الى ما مر ، هنـاك بنود حول الموقف من القضايا الدولية ، تتحدث عن احترام السيادة الوطنية لسائر الشعوب وحقها في تقرير مصيرها واختيار انظمتها بحرية ، وشجب التدخل الخارجي لغرض نظام معين بالقوة . ودعم تحرر الشعوب في صراعها ضد الاستعمار ، رفض سياسة التبعية والاشتراك في احلاف وتكتلات ومحاور سياسية عدوانية .. الخ . ان البنود السابقة لا تحتاج الى تعليق ، فكل بند منها قد اسهم النظام بخرقه عمليا ، وبطرق مختلفة . ان خدمات النظام ، وعلى رأسه رموز الاتحاد الوطني ، للثورة المضادة في الخليج وعمان ، من تسليح وتدريب وخبراء ، نموذج راهن للموقف الاردني الواقعي .

وعلى صعيد السياسة الداخلية ، سبق ان اشرنا الى موقف الاتحاد الوطني من الحكم ونموذجه للديموقراطية . ونضيف فقرة من الميثاق : « **علاقة الاتحاد بالحكم تنطلق من الايجابية ، يتعاون مع الحكم بقدر ما يتحرك الى الامام ، وفق مبادىء الاتحاد ، دون التأثر بتبدل الاشخاص والاسماء** » . ويدعو الميثاق الى تنسيق جهود جميع قوى الشعب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وفق مبادىء الميثاق للعمل والكفاح في سبيل تحرير الوطن المحتل ومجابهة تحديات التنمية والتقدم ..

اما على **الصعيد الاقتصادي** ، فان الميثاق يتحدث في برنامجه الاقتصادي عن الهدف التالي « العمل على اقامة **بنيان اقتصادي** في ميادين الصناعة والزراعة والتجارة والقطاعات المصرفية ، والاجتماعية والخدمات العامة **ضمن اطار الاقتصاد الموجه** . **ووفق برامج انماء** زمنية محكمة في سبيل اقامة مجتمع اقتصادي متوازن ومستقل مزدهر يستهدف : **تحقيق حد أدنى من الدخل** للمواطن يكفل له الحياة الحرة الكريمة ، **وحد اعلى من الدخل للمواطن يعالجه مسار الاقتصاد الموجه وقوانينه** » . ويقسم اشكال الملكية والاطار القانوني للمؤسسات في جميع القطاعات السالفة الى اربعة اشكال : القطاع الحكومي ، المختلط ، الخاص ، التعاوني . ويرى الميثاق انه من اجل توازن الاقتصاد الوطني ووحدته وانفتاحه ومرونته ، فانه يتطلب ايجاد اقنية دائمة تتصل بين مختلف قطاعاته كوسيلة لتحريك **وحدات اقتصادية من قطاع الى آخر** في ضوء التجربة العملية ، وهذه المهمة تمارسها الدولة » . وينص من جهة اخرى على المركزية في التخطيط والبرمجة من اجل وحدة الاقتصاد الوطني ، وعلى اللامركزية في الادارة والتشغيل .

وبصدد القضية الزراعية ، فان الميثاق يضع ضمن اهدافه العمل على تحقيق اصلاح زراعي مرحلي ، تلعب **الدولة** فيه دورا رئيسيا في التخطيط والتوجيه لاستصلاح الاراضي وحماية الاراضي المستصلحة ، على اسس عادلة ومراقبة استغلالها . واعتماد **التعاونيات الفلاحية في الانتاج والتسويق** ، والتوسع في اقامة **المزارع الحكومية النموذجية** ، واعتماد احدث اساليب الاستثمار الزراعي لتخفيض كلفة الانتاج وزيادة انتاجية الارض . من الاهداف الاخرى ، **توجيه** الانتاج الزراعي **وتنويعه وفقا لحاجات الاستهلاك الداخلي والتصدير ، وبرمجة** هذا الانتاج **وفقا لخطة التنمية العامة** . كما يدعو الميثاق الى تطوير الثروة الحيوانية والانتاج الحيواني ، والتصنيع الزراعي ، واقامة الصناعات الريفية . ويحرص الميثاق على تأكيد **تشجيعه للجهد الفردي والمبادرات الفردية في ميدان** الاستثمار الزراعي ، كما يعمل على **تفويض** اراضي الدولة الزراعية لمن يعملون في الارض .

وكما يلاحظ ، فان حدود البرنامج الزراعي في الميثاق ، ودلالاته العملية ، ليست في مستوى شعار الاصلاح الزراعي ، الذي يعني في شروط الريف الاردني ، تحويلا في علاقات الانتاج ، بالاضافة الى تطوير الانتاجية تقنيا . ان ما يسمى الاصلاح الزراعي ، يعبر في الحقيقة عن الرغبة في ان تلعب الدولة دورا في التخطيط والتوجيه ، لقيام زراعة راسمالية قائمة على الجهد والمبادرة الفردية ، وعلى دور للقطاع الخاص بمفرده او بالمشاركة مع الدولة .. كما ان التعاونيات في ميادين الانتاج والتسويق ، هي خطة لتجميع الملكيات الزراعية في وحدات اكبر ، والتجربة تعلمنا ان هذه التعاونيات ، بدون وجود تشريع يحمي الفلاحين الصغار ، تعني هيمنة الملاك الزراعيين الكبار على التعاونية . ومن جهة ثانية ، فان توجيه الانتاج الزراعي وبرمجته على الرغم من انهما شعاران متقدمان على الصعيد الاقتصادي ، من حيث انهما يؤديان الى زيادة الانتاجية ، وتحسين التربة واستصلاحها ، واخضاعها لضرورات التسويق المحلي والخارجي ، الا انهما يعنيان عمليا ، الحاق الدمار الاقتصادي في الفلاحين الصغار الذين سوف يواجهون اختيارا صعبا ومؤلما بين ان يخضعوا زراعاتهم لتوجيه الدولة ولحظة التنمية ، واما ان يعمدوا الى بيع الارض ، ويتحولوا الى بروليتاريا ريفية وعمال زراعيين بدون ضمانات وتسهيلات .

ان الاطار العام للبرنامج الزراعي في الميثاق ، هو **اطار تقني محض ، لا يستهدف تحسين اوضاع الفلاحين بقدر ما يستهدف تحسين الانتاجية الزراعية** ، ومن ثم لا حديث عن تحديد السقف الاعلى للملكية ، فيما يعنى البرنامج بتجميع الملكيات الصغيرة ، اما في تعاونيات تؤول حتما ، الى سلطة الملاك الزراعيين الاكبار ، او بدفع الفلاحين الصغار

والمتوسطين الى بيع اراضيهم ، لانهم ، وبحكم اعتماد غالبيتهم على الزراعات التقليدية او زراعات الاكتفاء الذاتي ، غير مؤهلين لاخضاع نمط زراعاتهم للخطة او تمويل هذه الزراعات . ومن ثم فان المحصلة الرئيسية للبرنامج هو خلق استثمارات رأسمالية في الريف ، وتطوير الزراعات التصديرية ، واقامة المزارع الحديثة ، وصناعات زراعية وريفية بالمبادرات الخاصة . ومن جهة ثانية ، فان الدولة تتحدث عن « تفويض » اراضيها للمزارعين . وفي حديث لابراهيم الحباشنة يقول « **ان هناك بعض الملكيات الكبيرة ، التي سيعمل الاتحاد على توزيعها على المزارعين ، والذين يتوجب عليهم استغلال الارض على الوجه المطلوب ، والا فستنزع ملكيتها منهم ويعاقبون . .** » . ان مبدأ التفويض هو مبدأ تقني واقتصادي محض ، وله طابع المشروع الاقتصادي الخاص، وان كان في اطار الخطة والتوجيه ، وفي مثل هذه الحالات ، فان التفويض يكون موجها لاشخاص تثق الدولة بقدرتهم الاستثمارية ، اي انه سينتهي الى صالح الملاك الزراعيين الكبار .

وفي القطاع الصناعي ، كما في القطاع المصرفي والبنكي ، فان الدولة تمارس مبدأ التوجيه ، وتحدد شكل الملكية للمؤسسات في هذين القطاعين على النحو التالي : مؤسسات حكومية ومؤممة(٣٠) ، ومختلطة وخاصة وتعاونية . ويخضع الميثاق المؤسسات الصناعية لضرورة مراعاتها الامور التالية : الخطة السياسية الاقتصادية للدولة ، المنفعة العامة ، الكفاءة والجدوى الاقتصادية تحقيق الحد الاعلى من الانتاجية، مراعاة تقسيم العمل في مختلف اجزاء الاردن . . . الخ . وبكلمة اخرى فان الميثاق يخضع الانتاج الصناعي لمواصفات الترشيد الاقتصادي من حيث الكفاءة الانتاجية بمراقبة الدولة واشرافها ، لكن الميثاق لا يتحدث عن **استثمارات الخامات والمعادن في البلاد ، ولا عن تحويل نوعي للصناعة من صناعة استهلاكية ، يغلب عليها حصة ضئيلة من التصنيع المحلي وتعتمد على مواد وسيطة ونصف مصنعة .**

وبصدد **حقوق العاملين** في المؤسسات الصناعية ، فان الميثاق يتحدث عن **تحديد اجور العاملين** وفقا لحد ادنى معاشي ولمدى انتاجية العامل . وينص على **تعديل الاجور** حسب مؤشرات غلاء المعيشة وارتفاع مداخيل المؤسسات الصناعية . كما يشير الميثاق الى اعطاء العمال في المؤسسات الصناعية **فرص ملكية الاسهم في** المؤسسات من مقتطعات ادخارهم ، **وفرص المشاركة في الادارة والتوجيه** . ويلاحظ ان الميثاق ، يقدم تعديلات اساسية لصالح العمال معيشيا واقتصاديا ، كتحديد الحد الادنى للاجور ، وتعديلها مع ارتفاع تكاليف المعيشة او ارباح المؤسسات . وهذا ينسجم مع خطة النظام لاحداث تحسينات معيشية ومادية ، بهدف امتصاص مطاليب العمال وتدجينهم وتحويل جوهر علاقتهم بالسلطة لتقوم على اساس مطاليب مادية ومعيشية محضة ، وبذات الوقت يجري سحب المزيد من الحقوق السياسية وتقييد الحقوق السابقة للعمال ونقاباتهم ، مثل حق الاضراب ، وطمس اية مكاسب اتاحتها المرحلة الماضية لهم ، وخاصة على الصعيد السياسي(٣١) . اما عن فرص تملك الاسهم في المؤسسات ، فان هذا الشعار الديماغوجي ، يذهب الى انعاش اوهام مغلوطة حول امكان امتلاك العمال حصصا من ملكية المؤسسة الصناعية ، وتهدف الى تمييع التناقض الطبقي ، وجعل العمال ينظرون الى المؤسسة الصناعية كمؤسسة « لهم » ، والضرب على وتر التقاليد والثقافة الحرفية التي ما زالت منتشرة بين العمال ، واشعارهم ان تحولهم الى ارباب عمل ، ممكن . وبديهي انه ، حتى في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، لم يحدث ان تمكن العمال من الحصول على حصص مهمة من اسهم المؤسسات الصناعية ، من اجورهم . اما عن فرص المشاركة في الادارة والتوجيه في المؤسسات الصناعية ، فقد حسم المسألة رئيس غرفة الصناعة الاردنية بقوله ، ان الادارة والتوجيه هي من حق مالكي اسهم

المتركة ، وترك للعمال ، هامش مشاركة في توجيه العمليات الانتاجية داخل المصانع(٣٢). واعلن الميثاق عن سعيه لوضع تشريعات خاصة تعالج مسائل الخدمات الاجتماعية للعمال ، بتمويل مشترك بين الدولة والمؤسسة الصناعية والعمال انفسهم . كما دعا الميثاق الى تشجيع الرساميل الاجنبية والعربية للإسهام في الاستثمار الصناعي ضمن مبدأ السيادة الاقتصادية للدولة . وتشجيع الصناعات الوطنية لا على اساس **الحماية** فحسب ، وانما على اساس **مقاييس الجودة والدقة** .

وبصدد القطاع المصرفي ، فان الميثاق يدعو الدولة الى الاشراف على عدد من البنوك القائمة — وهي عمليا تحت اشراف الدولة — والى اقامة عدد من البنوك مثل **مصرف للتنمية المهنية ، مصرف الادخار والتسليف الشعبي** بالاضافة الى المصارف الاخرى مثل البنك المركزي ، مصرف زراعي حكومي ، مصرف صناعي حكومي ، مصرف عقاري . ويردد الميثاق دعوة الحكومة الى الاشراف على اي بنك تقتضي مصلحة الاقتصاد الوطني الاشراف عليه . وانشاء **بنوك مختلطة** ، تسهم فيها الحكومة والقطاع الخاص .

يضع ميثاق الاتحاد الوطني عددا من المبادىء في اشراف الدولة وتوجيهها **للتجارة الخارجية** ، مثل منع التبذير في الاستيراد والاستهلاك ، تشجيع تصدير المنتجات المحلية وايجاد اسواق مستقرة لها ، **كذلك توجيه التجارة الخارجية وفق خطط الانماء الاقتصادي** ، مراعاة سياسة الدولة الخارجية ، **والتبادل التجاري وفقا لمبدأ تبادل المنافع بين الدول وعلى اسس المساواة في التعامل** . ان البند الاخير وبنودا اخرى سالفة ، ليس فيه من الواقعية شيء ، ان التبادل التجاري بين الاردن والبلدان الغربية وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية راجح لصالح هذه الاخيرة ، واسس المساواة في التعامل مجرد شعار للتعمية لطابع الخضوع والتبعية التي يعبر عنها بوضوح الميزان التجاري الراجح بصورة مستديمة للبلدان المصدرة للاردن . وبصدد التجارة الداخلية ، فان الميثاق يضع عددا من الاسس لها ، بهدف تطويرها وعصرنة اساليبها وتقاليدها ، كما تكفل تطور التجارة في الريف .

يحدد الميثاق **واجبات الدولة في ميدان الخدمات والضمانات الاجتماعية** ، فهو يرى ان تؤمن الدولة الخدمات العامة (ماء ، كهرباء ، مواصلات ، ووسائط النقل والسدود وشبكات الري) دون استهداف الربح ، ولقاء بدل مالي مناسب . والعمل على تحقيق مبدأ التأمين الصحي العام ، والتأمين على جميع المواطنين في حالات العجز والشيخوخة والمرض والبطالة بموارد من المال وبقدر من الخدمات ، ويتم ذلك من خلال تنظيم العمل للجميع ، وتنظيم الاقتطاعات من المواطنين لتحقيق ذلك . كما يدعو الميثاق الى تأمين السكن للمواطنين ورعاية الطفولة والامومة .

يفرد الميثاق فصلاً خاصا **للبنيان الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية** . يتحدث عن « **الثورة الاجتماعية الهادئة** » ، **التي هي — بنظر الميثاق — تطور دائم وتراكم للايجابيات واقتلاع للسلبيات** . وبصدد التنظيم النقابي كحق عمالي يضع الاهداف التالية : رفع المستوى المعيشي والثقافي والمهني للعمال ، وضع القواعد السليمة لاخلاقية العمل والعمال ، **التعاون البناء بين فئات العمال والمسؤولين في الادارات** والمؤسسات الانتاجية ، الاسهام في معركة التحرير تحت شعار (يد تبنى ويد تقاتل !) ، خلق المناخ المناسب لممارسة النشاطات وتنمية العمال ذهنيا وجسديا . ويشير الميثاق الى ان العمال الزراعيين **جزء من القطاع العمالي** تجب رعايته ، ويدعو الى ضرورة تطوير الريف ، لمنع هجرة الايدي العاملة الفلاحية ، ودعم الانتاج الزراعي بتعميم الصناعات اليدوية والريفية . كما يدعو الى **تطوير قطاع البدو الرحل وتوطينهم وتامين الخدمات لهم وتأمين العمل لابنائهم وفق الخطة العامة للدولة** . ولعل ابرز بنود هذا الفصل ، هو البند المتعلق بالفوارق بين فئات المجتمع ، حيث يحدد الميثاق عددا من المواقف . فيقول : « ١ — **لا ينكر وجود تناقض**

بين فئات المجتمع وفي جميع مراحل التطور الاجتماعي . ٢ ـ لا ينكر وجود اشكال من الاستغلال الطبقي في مختلف المجتمعات . ٣ ـ استغلال المواطن لاخيه غير مقبول ولا يجوز تبريره . الا ان هذا التناقض لا يبرر بأية حال الدعوة الى اباحة الدم ، والقتل الفردي او الجماعي . ٤ ـ ازالة الفوارق بين فئات المجتمع يتحقق بالتعاون وفق مبادىء التضامن الاجتماعي ، والقواعد السليمة في تقييم انتاجية العمل ، وتكافؤ الفرص ٥ ـ التمادي في تقسيم مجتمعنا يقودنا الى المزيد من التجزئة والتمزيق » . ان فهم الميثاق للفوارق الطبقية في المجتمع وطرق معالجتها ، يشير الى اعتراف ضمني ، بتأثير الثقافة المتقدمة بين صفوف الجماهير خلال سنوات ما بعد الحرب ، وبالتالي فانه يقر بواقع وجود تناقضات اجتماعية واستغلال طبقي ، بيد ان الميثاق يحل هذه المسألة على طريقته ، اي حلا برجوازيا ، « مبادىء التضامن الاجتماعي » ، ونجد في الفقرة التالية المتصلة بالسياسة الضريبية استكمالا لحلول الميثاق للفوارق الاجتماعية ، اذ يرى أن الضريبة موجهة **لمعالجة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية بصورة هادئة ، ولمنع التمركز الاستغلالي لرأس المال ، واتباع سياسة تطورية لتوزيع الثروات توزيعا عادلا ومثمرا ، يحمي المبادرة الفردية وحق التملك الفردي من جهة ، ويراعي مصلحة الدولة والجماعة من جهة ثانية ، كما تمد الدولة وميزانيتها بالايرادات التي تساعدها على مجابهة خدماتها التضامنية وحاجاتها المتزايدة .**

تحظى **الادارة والاصلاح الاداري** باهتمام من الميثاق ، فيفرد لها فصلا خاصا ، وينصرف القسم الاول منه في الحديث عن امراض الادارة في الاردن ويبسطها على النحو التالي : نقص الانتاج وضعف الشعور بالمسؤولية ، الرشوة والفساد ، انعدام المبادرات ، والروتين ، تضخم الاجهزة باستمرار ودون حدود ، عدم وضوح الصلاحيات والاختصاصات ، فوضى توزيع الدوائر الحكومية ، تخلف ادوات الادارة ، وخلل القواعد المطبقة في تقييم الموظف وعرقيته ، وانعدام التأهيل والتثقيف لدى اغلبية الموظفين . اما القسم الثاني فهو يتضمن عددا من الاسس التي يراها الميثاق كفيلة بمعالجة هذه الامراض منها : وضوح برامج التطور الاقتصادي والاجتماعي ، توجيه التعليم وفقا لحاجات التطور في مختلف مجالات العمل ، الاستخدام في دوائر الدولة ومؤسساتها وفقا لحاجاتها ، وليس للاعاشة او لحل مشكلة بطالة ، توزيع الابنية الحكومية تسهيلا لسير المعاملات ، تطعيم ادوات الادارة بالالات لتوفير السرعة والدقة والرقابة .

بالاضافة الى ما مر ، هناك بنود اخرى في الميثاق ، تعالج مسائل تفصيلية مثل التعليم واللغة ، الالتزام بالنهج العلمي ، المرأة في المجتمع ، الجريمة ، الخ لا يمكن تغطيتها هنا. كما ان هناك فصولا في الميثاق ، لا تتضمن اية اهمية ، مثل الفصلين الاول والثاني ، المغرقين في الرجعية ، انهما بمثابة خلفية تاريخية ومقدمة تتناول التاريخ الحديث للمشرق العربي ومن ضمنه الاردن ، يلخصان تاريخ حركة التحرر الوطني على انها سلسلة من الاخطاء والانحرافات عن الخط القومي القديم الذي مثله الشريف حسين وحركته ، لاتجاهها لتبنى **فلسفات ونظريات سياسية واجتماعية غريبة ومستوردة .**

ان هذين الفصلين ، وفصولا اخرى ذات صبغة ايديولوجية وتحليلية ، تنطلق من مواقع النقد اليميني والرجعي الصرف ، يتجه لادانة ما هو متقدم في حركة التحرر العربية ، ومتجدد في بنيتها وايديولوجيتها . ان استخدام المقولات الرجعية (الافكار المستوردة ، الابتعاد عن التراث القومي والروحي .. الخ) واستخدام التراجعات والهزائم وكل ما هو سلبي حقا في النضال التحرري العربي ، لصالح النقد الرجعي ولصالح منطق القوى « الواعية المجربة » ، اي اركان النظام والاتحاد الوطني واضرابهم . ان الفصول ذات الصبغة الايديولوجية والنظرية تقدم دون اية مواربة الطبيعة الرجعية للاتحاد الوطني وموقفه المعادي من الحركة الجماهيرية العربية .

ان الاستعراض المسهب لميثاق الاتحـاد الوطني ، كبرنامج وكتعبير ايديولوجي عن نهج البرجوازية البيروقراطية في النظام ، قد قدم تفصيليا ، ماذا يعني منظرو الاتحاد الوطني باطروحة « الطريق الثالث » وما هي دلالته السياسية والاقتصادية والاجتماعية في شروط الاردن الراهنة . وما من شك ان مقارنة الميثاق الاردني بالنماذج العربية والعالمية التي تقدم نفسها « كطريق ثالث » ، سوف تظهـر الحدود المتواضعة للنموذج الاردني ، انه كاريكاتور بال ، للنماذج الاخرى التي تبحث لنفسها عن مكان وسط ما بين الاشتراكية والرأسمالية . وما يقدمه الاتحاد الوطني ، عـلى انه نظرية خاصة ، وطريق خاص ، ليس الا ابتذالا لمحاولات انجح تمويها ، وان كـانت جميعها تعبر عن طبيعة واحـدة . ولذلك فان بؤس النموذج الاردني للطريق الثالث ، هو ان تجارب اخرى متقدمة بدرجات لم تفلح في ان تصمد امام معطيات التاريخ الواقعي الذي لم يقدم مثل هذا الطريق الثالث ، وهذه التجارب ، على الرغم من انها تسلحت بسلاح التأميم ، وتملك وسائل الانتاج بهذا القدر او ذاك ، وعلى الرغم من انها اقامت الاقتصاد الوطني على التخطيط المركزي ، فانها لم تقدم سوى نموذج لرأسمالية الدولة . ومـا يعبر عنه الميثاق الاردني ، ليس **الا محاولة لاخفاء مزيد من العقلنة والتحديث على اساليب الانتاج ، ولا يغير من جوهر علاقات الانتاج الرأسمالية ، بل يعززها وينميها برقابة الدولة واشرافها** ، وبالتالي فان مثل هذا الدور للدولة ، يقوي نفوذ البرجوازية البيروقراطية ، بحكم ان تطور القطاعات كافة ، لم يعد متروكا وفقا للنموذج الليبرالي القديم ، الذي اثبت انه لا يرجى منه شيء (برنامج السنوات السبع) ، والذي عزز قناعة البرجوازية البيروقراطية ان البرجوازية الوطنية ، بفئاتها كافة ، ليست مؤهلة لان تلعب دورا فعالا في تنمية الاقتصاد الوطني وتطوره . ومن ثم فان جوهر التحول يكمن في ان البرجوازية الوطنية ، باتت تحت رقابة البيروقراطية في استثماراتها وهي خـاضعة بهذه الدرجة من الصرامة او تلـك للخطة العامة ، كما أن البيروقراطية طورت نمط علاقتها بالانتـاج ، بأن لم تكتف بالدخول مع القطـاع الخاص في مشاريـع مشتركة فقط ، وانمـا باتت تتطلب دخـولا مباشرا ، وبمؤسسات حكومية صرفة في عدد من القطاعات، كما اخذت الدولة تشجع انماطا اخرى من الاستثمار (التعاونيات الزراعية والاستهلاكية والتسويقية ، مصرف التنمية المهنية ، مصرف للادخار والتسليف . . . الخ) ، كل هذا مع استمرار قدسية المبادرة الفـردية والمشروع الحر ، وعـدم الاعتداء عليها . ان البرنامج الـذي يقدمه الميثاق ، رغم كل الديماغوجية الانبهارية ، لا يغير من جوهر علاقات الانتاج ، وانما يتوجه نحو استدامتها على أسس اكثر عقلانية ، **انه يبحث عن انتاجية نامية ، وعن ادارة حديثة ، وزيـادة في المردود الحكومي** . وبتعبير اخر انه يقدم **حلا فنيا وتنظيميا جديدا** لبث الروح في نظام الانتاج السائد . ويمكن اختصار عناصر هذا التحول فيما يلي :

١ ــ تطوير الريف رأسماليا وتخليصه من الطابع الانتاجي السابق ، الذي يتميز بتفتيت الملكيات الزراعية ، وفوضى انماط الزراعات ، وتوجه حصة كبيرة منها للاكتفاء الذاتي ، قلة الكفاية الانتاجية للارض والمزارعين . ويتم ذلـك من خلال : أ ــ اصـلاح زراعي يتمثل في توفير تسهيلات تقنية وشبكات ري وسدود وحماية التربة ، ومسح لـلارض الزراعية . ب ــ تجميع الملكيات الزراعية الصغيرة عـلى شكل تعاونيات فلاحية ، واغراء الفلاحين بالتجميع عن طريق اقامة مزارع نموذجية حكومية ، وهـذا يعني ان الفلاحين سيواجهون اختيارات محددة مثل التجميع او بيع الارض ، وهذه تعني تحويل الفلاحين الصغار الى عمال زراعيين واقامة مزارع رأسمالية كبيرة . جـ ــ التعاونيات على مستوى التسويق تتطلب التجميع على مستوى الانتـاج (في الملكيات الزراعية) ، وهذا الاتجاه يدفع لازدياد سيطرة التسويق الرأسمالي . د ــ برمجة الانتاج الزراعي

وفق خطة التنمية العامة ، تعني ان الملاك الصغير لا يعود بوسعه ان يختار الزراعة التي يريدها ، وهو مبرر لسياسة التجميع، بالرضى او الاكراه او بحكم قوانين السوق. هـ ـ التوسع في الصناعات الزراعية وتوجيه الانتاج الزراعي والصناعات الريفية وتشجيع المبادرات الفردية في ميدان الاستثمار الزراعي،هي عناوين لاغراء الاستثمارات الراسمالية للعمل في الزراعة ، ولزيادة تدخل الدولة معا . ٢ ـ تدخل الدولة في الصناعة ، يتجاوز مجرد الاسهام الحكومي في راسمال المؤسسات الصناعية ، لاغراء القطاع الخاص ولطمئنته على نجاح المشروع الصناعي . ان الميثاق ينص على اقامة مؤسسات صناعية حكومية صرفة ، واخرى تعاونية . وفي الوقت نفسه يتيح المجال للاستثمارات الاجنبية والعربية ويضع التشريعات التي تكفل باغراءها . ٣ ـ تنظيم التجارة الداخلية على اسس السوق الراسمالي وقوانينها ، وازاحة قيم التبادل السائدة والتي يحكمها الكثير من القوانين والاعراف القديمة ، وزيادة صلة الريف بالمدن عن طريق التجارة والتقليل من طابع الاكتفاء الذاتي الذي يسود في اجزاء من البلاد . ٤ ـ توطين البدو ، وتقديم الخدمات الكفيلة باستقرارهم ، وربطهم بوسائل انتاج جديدة وخاصة الزراعة . ٥ ـ اقامة نظام خدمات عامة واجتماعية وصحية وضمانات ضد المرض والعجز والبطالة ، وتحسين الاجور وضبطها بالنسبة للعمال ، بمشاريع الدولة والقطاع الخاص والعمال . ٦ ـ زيادة التحصيلات الضريبية ، وتعزيز واردات الدولة من هذه التحصيلات . ٧ ـ زيادة فعالية اجهزة الدولة وتطوير انتاجية الكادر الحكومي .

ان هذه الترميمات والاصلاحات ، التي تعبر عن ازدياد سلطة الدولة في التخطيط والتوجيه والاشراف ، والدخول المتزايد في العمليات الانتاجية بصورة مختلطة مع القطاع الخاص ، وبصورة تدخل حكومي صرف في الانتاج ، ترافقها سياسة داخلية متشددة ، تعبر عن رغبة اركان الاتحاد الوطني في النظام باحكام القبضة على الجماهير ، من خلال التنظيم الموحد ، وتقنين الحقوق السياسية في اطار الاتحاد الوطني ، وعزل القوى الاخرى ، كما يترافق مع هذا الاتجاه ، سحب كلي لجميع التشريعات التي كانت تتضمن لمسات ليبرالية ، وذلك على الصعيد النقابي العمالي ، وعلى الصعيد النقابي المهني ، وفي الصحافة ، وبين الطلبة وفي السياسة العربية للاتحاد الوطني ، فان الميثاق ازاء حالة الحصار العربية ، يقرر مبادىء مثل نبذ المعارك الجانبية ، وحصر التناقض في المنطقة مع العدو الصهيوني ، وهي بنود ، تعبر عن مصلحة النظام في اطلاق يده داخليا وعربيا، بدون كوابح تحد من حركته . كما تؤسس السياسة الخارجية في الميثاق ، على قاعدة براجماتية نفعية ، تؤدي الى تعزيز الصلات مع الامبريالية واستمرار الاعتماد عليها .

[١٣]

ان النموذج ، الذي يقدمه الاتحاد الوطني عبر ميثاقه ، للطريق الثالث ، يقارب الى درجة كبيرة النموذج التونسي الذي عبر عنه احمد بن صالح بوجه خاص ، في وضعه برنامج يكفل تدخل الدولة ، والحزب الدستوري المكيف « اشتراكيا » . ان ملامح كثيرة مشتركة بين البرنامجين الاردني والتونسي ، وخاصة في البرنامج الزراعي وسياسة التجميع واقامة التعاونيات الزراعية ، التي كان عمادها البيروقراطية . ان الفارق الوحيد ، هو ان البيروقراطية الاردنية ما زالت في طور الشروع في برنامجها ، فيما اعطت التجربة التاريخية حكمها الحاسم بحق النموذج التونسي . والذي عبر عنه السقوط المريع لسياسة التعاونيات ورمزها احمد بن صالح . اما وصفي التل ، فانه لم يعط قط فرصة انتظار فشله المحتوم ، كما اخذها احمد بن صالح ، فقد سقط صريعا مع التأسيس الرسمي للاتحاد الوطني في مؤتمره الاول . وترك لورثة برنامجه مثل هذا المصير . ذلك ان رهان اركان الاتحاد الوطني ، على البيروقراطية الادارية والجهاز اللجب من الموظفين ، لمزيد من التحديث في الانتاج ، ولمزيد من المردود في جميع

القطاعات ، امر مشكوك فيه . ان خيبة امل البيروقراطية في البرجوازية الوطنية وفي الليبرالية الاقتصادية ، **يماثل خيبة املنا في البيروقراطية نفسها** . ان التجربة التونسية والمعرفة العيانية بطبيعة البيروقراطية جهاز الموظفين الحكوميين في الاردن ، تقدم لنا صورة المستقبل . فالميثاق عندما يعترف بامراض الجهاز الاداري ، فانه انما يتحدث عن **امراض بنيوية** ، وليس عن عيوب فنية ، ومثل هذا الجهاز ، الذي يتعرض موضوعيا وبشكل مفتوح الى مزيد من التعفن والفساد والرشاوي ، لن يكون قادرا على زيادة الانتاجية وتطويرها ، ما دام هو نفسه — اي الجهاز الاداري — محكوما بذات الداء (ضعف الشعور بالمسؤولية وضعف الانتاجية ، باعتراف الميثاق) . ان مثل هذا الجهاز، مع اطلاق يده ، واعطائه مزيدا من الصلاحيات ، لن يفعل اكثر مما ينتظر منه ، فسوف تنمو امتيازاته ، وستنتفخ اكثر فأكثر ، وستضاف الى هذه الامتيازات المرتبطة بالوظيفة الادارية امكانات النهب المفتوحة امام كل بيروقراطي بعيد عن الرقابة الفعالة .

[١٤]

ان مقتل وصفي التل ، قبل ان تقطع البرجوازية البيروقراطية الشوط الضروري لتثبيت سلطتها ، يفتح الباب امام رياح الفئات والشرائح الاخرى ، التي كانت مكبوحة وصامتة على مضض ، كما ان رهبة البيروقراطية والعسكر الذين ، اخذوا على عاتقهم مهمة تثبيت السلطة للنظام ، في مواجهة المقاومة ، لم تعد كافية لالجام الفئات الاخرى من قاعدة النظام ، ذلك ان مقتل وصفي التل ، الذي له تأثيره الذاتي الهام ، وازدياد الازمة الاقتصادية تفاقما ، والقطيعة العربية ، ومسألة استعادة الضفة الغربية ، وكسب ثقة الفلسطينيين ، ما هي الا منافذ تطل منها الاطراف الاخرى في النظام بحثا عن دور تضطلع فيه ، رغبة في استعادة نفوذها السياسي ، خطوة بعد اخرى . ان خطة التنمية للسنوات الثلاث ، هي الرهان الاقتصادي للبرجوازية البيروقراطية من اجل تثبيت دعائمها في السلطة ، وهي وان كانت مهددة باعادة اقتسام السلطة مع رموز البرجوازية التجارية، الا انها تبقى قوة اساسية من قوى النظام لم يعد ممكنا تجاهلها . وستبقى هاجسا مزعجا لبقية فئات النظام ، اذا ما عادت مجددا « بارادة ملكية سامية » الى السلطة .

---

١ — جريدة « **الرأي** » الاردنية ١٩٧١/٩/٨ .

٢ — **المصدر نفسه** .

٣ — اشار الملك في احدى خطبه في تلك الفترة الى اهتمام النظام بفكرة السماح بتكوين الاحزاب . ونجد اشارة مقتضبة عن توجه وصفي التل لبناء حزبه ، في رسالة مراسل « **النهار** » في عمان ، تحت عنوان « حزب حكومي في الاردن : اوصى بفكرته وصفي التل » العدد الصادر في ١٩٧١/٩/١ .

٤ — اوحت تسمية وصفي التل لحكومته الاولى بـ « حكومة الشباب » بوجود صلة ما مع حركة القوميين العرب ، وخاصة مع وجود اسماء ارتبطت بالحركة في وقت من الاوقات « عبد الوهاب المجالي مثلا » ومن اسماء الوزراء « الشباب » الذين جذبهم وصفي التل : الشيخ ابراهيم القطان ، د. حازم نسيبة ، د. قاسم الريماوي .

٥ — جاء البرنامج المذكور « للسنوات السبع » وجملة من التشريعات الاقتصادية ، مثل قانون تشجيع الاستثمار ، وقانون الشركات بمثابة اقرار لتوصيات خبراء البنك الدولي .

٦ — راجع رسالة وفيق رمضان عن قيام الاتحاد الوطني في الاردن في **النهار**، عدد ١٩٧١/٩/١٥ .

٧ — يعبر عن كل من النهجين الرموز التالية ، بهجت التلهوني ، عبد المنعم الرفاعي ، (ورشح حكمت المصري ليلعب دورا رئيسيا لفترة من الفترات) وسليمان النابلسي عن الجناح الداعي للاستناد الى الموقف العربي (وبالذات القاهرة) في اي موقف من المقاومة ، بينما مثل الجناح الثاني وصفي التل ، والزمر العسكرية البارزة، وفيما بعد برز رياض المفلح ، احمد الطراونة ، من « المتشددين » .

٨ — راجع **الرأي** في ١٩٧١/١٠/٣١ .

٩ — في العدد ٢٣٥٧ من الجريدة الرسمية

الاردنية (٦/٥/١٩٧٢) نشر ٢٣ قانونا جديدا، وابرزها شمل العمل والعمال ، نقابة المحامين، نقابة الاطباء ، نقابة المهندسين ، الأطباء البيطريين ، اطباء الاسنان ، المرضين والمرضات ، اي شمل عددا من النقابات العمالية والمهنية .

١٠ — من ابرز هذه الاسماء واكثرها تحركا وتنظيرا للاتحاد الوطني : مصطفى دودين (وزير الشؤون الاجتماعية انذاك) ، ابراهيم الحباشنة (وزير الداخلية انذاك) ، عدنان ابو عودة (وزير الثقافة والاعلام) ، محمد الدباس (موظف حكومي كبير) ، سليمان رتيمة (عضو مجلس الاعيان) ، د. سعيد التل (استاذ جامعة) ، نجاح الخياط (تربوية) ، وعدد من الوزراء الاخرين : اميل الغوري (ويتجه عادة الى المخيمات وتجمعات الفلسطينيين) اسحق الفرحان (للمعلمين والتربويين) ، محمد البشير (للصحة) د. خليل السالم (مدير البنك المركزي) ، وهناك عدد من التقنيين والاكاديميين مثل : د. سفيان التل، د. وديع شرايحة ، د. كامل ابو جابر ونواب واعيان اخرون مثل محي الدين الحسيني ، جمعة حماد .

١١ — من ابرز هؤلاء : جمال عبيدات (مدير مكتب الاتحاد في محافظة اربد انذاك) ، عبد الله العابد مياس (الرمثا) منى الربض (تربوية) ، فايز جابر (ضابط متقاعد) عصام عريضة ، فايز محمود ، (موظفون حكوميون منتدبون للاتحاد الوطني) .

١٢ — ومن نواب الشمال الناشطين انذاك : عبد الله الشريدة ، رزق البطاينة ، فضل الدلقموني ، سليمان القضاة ، (والوزير السابق حسن الكايد) .

١٣ — راجع « الرأي » ١٩٧١/١١/١١ .

١٤ — راجع **الاسبوع العربي** عدد ١٩٧١/١٠/٢٩

١٥ — « **النهار** » ، ١٩٧١/٩/١ .

١٦ — « **الدستور** » الاردنية ، ١٩٧٢/٣/١٠ .

١٧ — راجع كلمة الحباشنة في احدى الندوات المنشورة في «الرأي» الاردنية عدد ١٩٧٢/١١/٣

١٨ — « **النهار** » ١٩٧١/٩/١ .

١٩ — « **الانوار** » ، ١٩٧١/٩/١٥ .

٢٠ — « **الحياة** » ١٩٧١/١٠/٥ .

٢١ — « **الدستور** » الاردنية ، ١٩٧٢/٣/١٠ .

٢٢ — « **الدستور** » ١٩٧١/١١/١٥ .

٢٣ — « **الدستور** » ١٩٧١/٩/٩ .

٢٤ — **المصدر نفسه ، العدد نفسه** .

٢٥ — « **الحياة** » اللبنانية ، ١٩٧٢/١/٣ .

٢٦ — راجع الفصل الثالث من الميثاق المقترح . « **الدستور** » ١٩٧١/٩/٩ .

٢٧ — كان مصطفى دودين وابراهيم الحباشنة في صفوف الحركة الوطنية في الخمسينات ، والاخير كان على صلة وطيدة بالحزب الشيوعي الاردني.

٢٨ — راجع حديثا مع ابراهيم الحباشنة في جريدة « **الرأي** » الاردنية ، ١٩٧٢/٦/٢١ .

٢٩ — الاقتباس المذكور ، وكافة الاقتباسات الاخرى من نصوص الميثاق معتمدة على النص الكامل للميثاق المقترح المنشور في جريدة « **الدستور** » الاردنية عدد ١٩٧١/٩/٩ ، لذلك لا داعي لتكرار الاشارة الى المصدر .

٣٠ — ورد تعبير مؤسسات حكومية ومؤممة في القطاع الصناعي في الميثاق . وبغض النظر عن مدى جدية النظام بصدد التأميم ، فلم ترد اشارات واضحة حول ذلك . وان كان قد ورد تعبير « تحريك وحدات اقتصادية من قطاع الى اخر في ضوء التجربة العملية ، وهذه المهمة تمارسها الدولة » .

٣١ — يراجع في هذا العدد قانون رقم (٢٥) لسنة ١٩٧٢ ، قانون معدل لقانون العمل ، الجريدة الرسمية (العدد ٢٣٥٧ ، ١٩٧٢/٥/٦) ص ٨٦٨ — ٨٧٣ .

٣٢ — راجع حديث رئيس الغرفة الصناعية في عمان الى جريدة **الدستور** الاردنية ١٩٧٢/٦/٣٠

سميرة عزام في ذكراها الخامسة
دراسة في فنها القصصي *

الدكتورة نادرة جميل السراج

ما بين الثالث عشر من ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ والثامن من آب (اغسطس) سنة ١٩٦٧ أقل قليلا من اربعة عقود، هي عمر المرحومة القاصة الفلسطينية السيدة سميرة عزام . لكن الاديب والفنان الحق لا يقاس عمره بعدد السنوات التي عاشها يأكل ويشرب وينام كغيره من بني البشر ، وانما الذي يمنحه الخلود ويثري عمره ويستديم ذكراه هو الانتاج الذي خطه قلمه والاراء التي سجلت عليه ومنحت حياته قيمة وغنى وذكراه طيبا وشذى ، وبالاخص ما كان مطبوعا او منشورا من ذلك الانتاج وتلك الاعمال . وسميرة عزام خلفت بعد رحيلها خمس مجموعات قصصية واكثر من اثني عشر كتابا مترجما من الانجليزية الى العربية ، عدا ما أشرفت على ترجمته أو راجعته من أعمال غيرها من الادباء والمترجمين..

انها لحياة خصبة خيرة معطاء ، لا نستغربها على فتاة خالدة طموحة بدأت كفاحها العملي وهي في السادسة عشرة من عمرها ، عندما مارست مهنة التدريس في بلدتها التي ولدت فيها ، مدينة « عكا » في شمال فلسطين . ورغم انها لم تكن مهيئة تهيئة تربوية كاملة ـــ من حيث الشهادات العلمية والخبرة العملية ـــ الا انها اثبتت جدارة ومقدرة كاملتين ، ودرست بالمراسلة وطالعت بنهم فرقيت بعد عامين الى وظيفة ناظرة للمدرسة التي بدأت بالتدريس فيها . واستمرت تعمل في مهنتها تلك الى عام الهجرة الفلسطينية أو عام النكبة ١٩٤٨ حين اضطرت الى النزوح مع عائلتها وأهل بلدتها وبقية مدن فلسطين .

لا شك ان الفترة التي ترعرعت فيها الفتاة الصغيرة البريئة « سميرة عزام » كانت متميزة بالحركة والغليان والقلق القومي والوطني على مصير البلاد الذي أصبح في خطر منذ أعطي ذلك الوعد المشئوم في الثاني من نوفمبر عام ١٩١٧ ، واجتاحت فلسطين الثورات المشهورة في الثلاثينات خاصة ، ثم الاربعينات على المستعمر البريطاني والطامع اليهودي ، وانتشرت أعمال العنف في ارجاء البلاد . أحست سميرة بما كان يدور حولها وما تنشره الصحف وتذيعه الانباء ، وتفكرت في كل ذلك بما لها من ذكاء وحدة ذهن وقوة ملاحظة تفوق سنوات عمرها ، فأخذت تعبر عما تحس به وما تفكر فيه وبدأت تعالج كتابة القطع الوجدانية والشعرية والقصص القصيرة ، وسرعان ما ظهرت في جريدة « فلسطين » بعض تلك القصص بتوقيع « فتاة الساحل » التي لم يكن الكثيرون يعرفون

---

* تود كاتبة البحث ان تشكر الاستاذ اديب يوسف حسن ـــ زوج الفقيدة ـــ على المعلومات القيمة التي بعث بها من بيروت ، وكذلك السيدة عبلا عزام ـــ شقيقتها في القاهرة ـــ على حديثها عن طفولة الفقيدة وبعض الذكريات .

انها بنت عكا « سميرة عزام » . ولست في موقف الحكم على تلك القصص المبكرة من انتاج سميرة لاني لم اقرأها ، ولكنها دون شك بادرة تنبىء عما جاء بعدها ، وتبشر بمولد قصاصة وفنانة من نوع رفيع ظهرت في سماء الادب الفلسطيني ، ويا ليتها عمرت طويلا .

تفرق الفلسطينيون أيدي سبأ ، واتجهت الهجرة شمالا وجنوبا وشرقا ، وربما الى الغرب ايضا .. ولم تكن هجرة مؤقتة كما خيل للفلسطينيين وقتها ، أو كما أوحى لهم أولو الامر حينئذ ، بل كان واقع الحال ان مرحلة جديدة من حياتهم قد بدأت ، ولا يعلم أحد متى تنتهي أو متى تكون العودة الى الديار . انها مرحلة اتسمت من اولها بالعمل والكفاح والصبر على المشاق ، والتنقل والترحال ، وما يصحب كل ذلك من قلق واضطراب ، وشعور بالغربة والحنين . واتيح لسميرة ان تعمل في مجال التدريس في مدرسة الاناث بمدينة « الحلة » في العراق ، حيث مكثت عامين عادت بعدها الى لبنان. وهناك باشرت الكتابة لبعض المجلات والترجمة لبعض دور النشر الى أن التحقت عام ١٩٥٢ باذاعة الشرق الادنى مذيعة وكاتبة لبرامج ركن المرأة واقامت في قبرص مقر الاذاعة في ذلك الوقت ، وبعد عامين انتقلت الاذاعة الى بيروت وأصبحت سميرة مسئولة عن ركن المرأة ، واتيح لها وقت أكثر للتفرغ الى هوايتها المفضلة وهي كتابة القصص والترجمة من الانجليزية الى العربية . والى جانب شهرتها كاذاعية معروفة ، ازداد الناس والقراء معرفة بها وبنشاطها حين اصدرت لها مطابع « دار العلم للملايين » مجموعتها القصصية الاولى « أشياء صغيرة » سنة ١٩٥٤ ، ثم تبعتها المجموعة الثانية التي أعطتها عنوان « الظل الكبير » سنة ١٩٥٦ .

وكما هو مقدر للافراد الفلسطينيين الرحل في هذا العصر الحديث ، قدر لسميرة عزام أن تعود الى البلد الذي عرفته أول هجرتها وعملت فيه ، فقبل الثورة العراقية بعام واحد حصلت على عقد للعمل في الإذاعة العراقية ومعها فريق من زملائها في اذاعة الشرق الادنى . لكن الفريق كله وجد نفسه مضطرا الى الاستقالة والعودة الى بيروت قبل مضي ثمانية أشهر من بدء العمل . أما سميرة ففي هذه الفترة تعرفت على شريك حياتها وارتبطت به وتم الزواج في بيروت ثم عادت معه الى بغداد للاقامة والاستقرار . ورحبت سميرة بالعمل مع اذاعة الثورة ، وكان صوتها يحيي المستمعين كل صباح في برنامج يومي ، بالاضافة الى ادارة برامج ركن المرأة . وقبل الثورة بقليل كانت قد شاركت في تحرير صحيفة « الشعب » العراقية حيث كان من زملائها الشاعر الكبير المرحوم بدر شاكر السياب . لكن الاحداث التي تلت عام ١٩٥٩ في العراق أدت الى ابعاد سميرة وزوجها من بغداد وتم السفر في وقت قصير ، وكانت الوجهة الى لبنان من جديد . في تلك الاثناء اتمت سميرة كتابة مجموعتها القصصية التي اعتبرها زوجها تتمة لمجموعة « الظل الكبير » السابقة ، فاقترح عليها أن تسميها « .. وقصص اخرى». وفي بيروت صدرت المجموعة بالعنوان المقترح . ومنذ ذلك الوقت أخذت تضاعف نشاطها ، خاصة بعد التحاقها بالعمل في مؤسسة فرانكلين للترجمة والنشر ، فقامت بترجمة عدد من الكتب القيمة لمؤلفين امريكيين ، نذكر منها كتابي المؤلفة الامريكية المشهورة « بيرل باك » وهما : « جناح النساء » و« ريح الشرق وريح الغرب » ، ثم كتاب « اميركي في اوربا » لدودزورث ، و« القصة القصيرة » لراي وست و« حين فقدنا الرضا » لجون شتاينبك ، و« حكايات الابطال » جمع اليس هزلتون ، وكتاب « فن التليفزيون — كيف تكتب وكيف تخرج » لوليم كوفمان .

أما في مجال القصة ، فقد أخرجت المطبعة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » في نهاية صيف ١٩٦٣ ، وهي المجموعة التي نالت على أساسها جائزة أصدقاء الكتاب للقصة القصيرة . وقد أحسنت « دار العودة » صنعا اذ أصدرت بعد وفاة سميرة

مجموعة خامسة من قصصها خلال صيف ١٩٧١ وصدرتها بعنوان « الصيد من النافذة الغربية » وهو عنوان احدى قصص المجموعة ، التي تحوي بعض الخواطر الفلسطينية والصور العائلية والانثوية الحية الى جانبها ما تحويه من قصص قصيرة بالمعنى المعروف . وفي النية اصدار مجموعة وافية من خواطرها الفلسطينية واحاديثها الاذاعية التي كانت تسجل وتذاع بصوتها من اذاعة صوت فلسطين في القاهرة .

اما عن ظروف وفاة الكاتبة « سميرة عزام » فقد كانت مفاجأة لجميع أصدقائها وعارفيها وقرائها والمعجبين بكتابتها ، ومع ذلك لم يستغرب منهم أحد أن تموت سميرة في تلك الظروف بالذات وقبل انقضاء اكثر من ستين يوما على نكسة حزيران « يونيه » ١٩٦٧ ، لم يستغرب ذلك خاصة الذين رأوها تحرق طاقتها وتشغل كل دقيقة من وقتها بالعمل مع لجان السيدات التي تشكلت في بيروت لتلقي التبرعات الواردة للاجئين « الجدد » من ملابس واحذية واغطية وخيام واغذية . حتى لكأنها تكفر عما حدث وما تعتبر نفسها وكل فلسطيني وفلسطينية مسئولين عنه وعما جر من ويلات بعده ، وكانت بنظرتها المتشائمة وفكرها القلق تقابل الوضع مع وضع الامارات العربية في الاندلس في اواخر عهودها ، اذ كان الاسبان يصبرون بضع سنوات ثم يغزون احدى تلك الدول المتناحرة فيحتلونها ويطردون او يقتلون اصحابها العرب او يضطرونهم الى التنصر ، وهكذا الى أن قضوا على غرناطة آخر تلك الدول . وكانت تتساءل عما اذا كان التاريخ الآن يعيد نفسه على أيدي اليهود هذه المرة .

هذه كانت حالها وهذا كان فكرها عندما عزمت على السفر من بيروت الى عمان صبيحة اليوم الثامن من آب « اغسطس » ١٩٦٧ ، بقصد مقابلة بعض اللاجئين الجدد ومحاولة التسلل الى فلسطين (ولم يكن اليهود قد استطاعوا ايقاف تيار التسلل الذي تلا النكسة حتى ذلك الوقت) علها تبلغ مسقط رأسها عكا وتزور حيفا وتشبع حنينها الى الربوع . وسارت بها السيارة برفقة صديقيها ، طبيب وزوجته ، وعند مشارف جرش في شرق الاردن ، ولدى سماعها اول اخبار الظهيرة من المذياع بناء على طلبها ، التفت اليها الطبيب وزوجته فوجداها قد فارقت الحياة ، لم تفلح الاسعافات الاولية في ايقاظ القلب الذي غفا ، أو بعث الروح الى الجسد الذي تهاوى من وطأة العذاب والارهاق واعياء الغربة والحنين . أحضر جثمان الفقيدة من عمان ودفنت في بيروت في التاسع من آب « اغسطس » ١٩٦٧ . الى جانب نشاطها في العمل والكتابة والاذاعة كانت سميرة تهوى السفر والرحلات فزارت من بلدان المغرب العربي كلا من تونس وليبيا والمغرب ، بالاضافة الى زياراتها لمصر والاردن وسوريا والعراق حتى بعد تركها . وفي اوروبا قامت برحلة او اثنتين الى كل من : ايطاليا واسبانيا وانجلترا وفرنسا والمانيا . وأكثر ما يؤسف عليه ان روايتها التي وصفت فيها التيه الفلسطيني وسنوات النفي والتشرد وسمتها « سيناء بلا حدود » لن تكون بين ايدي القراء ، اذ أنها مزقتها بانفعال شديد اثر حوادث نكسة ١٩٦٧ ، بعد أن قطعت في كتابتها شوطا بعيدا ، قائلة : « ان كل ما كتبته قد فقد معناه » .

ارجو أن يجد القارىء في الصفحات القليلة السابقة عن نشأة الكاتبة سميرة عزام وظروف حياتها وتنقلاتها مدخلا طيبا ومناسبا للحديث عن مجموعات قصصها الخمسة التي نريد عرضها وتحليلها في الصفحات التالية ، اذ من المعروف ان شخصية الكاتب وانفعالاته مؤثرة في فنه ومنطبعة في انتاجه بصورة عامة . كما أن مشاهداته ولقاءاته وتجارب حياته المختلفة لا بد ان تسهم في اخصاب فنه بالقدر اللازم ، واعطائه القيمة التي يحسها المتلقي ويقدرها بقدر ما تؤثر فيه تلك المشاهد والتجارب والانفعالات . ولقد اتفق النقاد والدارسون على أن مجال المعرفة لدى القاص هي كما يلي :

(١) التجربة المباشرة التي تعطي أبعادا متنوعة وتوسع أفق الكاتب . (٢) القراءة

والاطلاع ، ففي الكتب انواع مختلفة من الخبرة ، (٣) الاتصال بالناس والتحدث اليهم وسماع مشاكلهم .

وقد اجتمعت لكاتبتنا المجالات الثلاثة المذكورة وتوفرت لها اسباب كتابة القصة الجيدة منذ البداية ، بالاضافة الى ما اخذت به نفسها من تنمية موهبتها وصقل معارفها والاستفادة من كل الظروف التي يمكن ان ترتقي بفنها وتمنحه القيمة الحقيقية . وقصص سميرة عزام بصورة علمية تميزت بالواقعية ووصف المشاهد الحية والبعد عن الرمزية ما أمكن ، وعدم الاستغراق في الخيال ، مع شيء من الرومانسية المحببة والاناقة اللفظية والبراعة في الوصف والتحليل ، ولنبدأ بمجموعتها الاولى « أشياء صغيرة » التي صدرت عام ١٩٥٤ .

تحتوي المجموعة على ثلاث عشرة قصة قصيرة او « اقصوصة » كما يحلو لبعض النقاد أن يسميها . تحمل القصة الاولى عنوان « الاشياء الصغيرة » وتحكي قصة فتاة رصينة متزنة ، تعتقد أنها من نسيج خاص ، لها مبادئها واخلاقها ومثالياتها ، بالاضافة الى نشأتها المحافظة وتربيتها البيتية التي يغلفها الكبت الشديد والانضباط التام . ويميزها هذا السلوك الجاد بين رفيقاتها واترابها ، اللاتي كثيرا ما يتحدثن عنها في مزاح قائلات: « انها تعيش بعقلية ابيها وامها وعمتها العانس ! » ، هؤلاء الثلاثة الذين ما يزالون يرددون على مسامعها عبارة : « لا تكوني كالاخريات الرعناوات فأنت غير اولئك أصلا ونبتا ، أنت ، وأنت . . » . ولكنها الان انسانة متجددة الاحساس ، وستبني وجودها بعد اليوم بحسها وارادتها . . فقد بدأ عنادها يتزحزح « منذ طالعها وجهه الاسمر للمرة الاولى في السيارة العامة » . وتمضي الكاتبة في قص الاحداث وترتيب اللقاءات بين البطل والبطلة بصورة عفوية وطبيعية لا مبالغة فيها ولا تهويل ، ولا يفوتها ان تحلل عواطف الفتاة المراهقة وتشرح نفسيتها بعد ما استسلمت لهذه العاطفة الجديدة الغامضة والمشاعر الغضة الناشئة ، وكل ما يعتري الفتاة الرصينة ازاء تلك العواطف والمشاعر من قلق وصراع ، وهواجس ومخاوف حتى لتكاد ان تحتقر نفسها وتثور على ضعفها ، ولكنها في الوقت نفسه تشعر أن هذه العاطفة الجديدة المتبادلة قد منحتها ثقة كبيرة بنفسها واحساسا جديدا بالحياة . . أما اسلوب القصة فقد سارت فيه الكاتبة على طريقة السرد المباشر ، وهو أول وسائل الكاتبة القصصية ، ولكنها نثرت بين الفقرات بعض العبارات والتساؤلات الموحية والتي وجهتها ببراعة ، بحيث بدت وكأنها حديث مع النفس أو نوع من المونولوج الداخلي الذي أوحت به هذه المشاعر الدقيقة التي تطغى وتفور مع الاشياء الصغيرة .

لم يكن اسلوب السرد المباشر هو الاسلوب الوحيد الذي اتخذته سميرة عزام في كتابة قصصها فالقصة الثانية في هذه المجموعة يمكن ان نطلق عليها « قصة في رسالة » تروي فيها حكاية فتاة مظلومة مهيضة الجناح تبرر لشقيقها اسباب سقوطها حين رأته قادما وبيده المسدس ، يذرع الحي بخطوات مضطربة ، يريد أن ينتقم لشرفه من اخته التي كانت في الرابعة عشرة وكان هو في الخامسة حين مات ابواهما ، واضطرت الاخت للعمل في مصنع حياكة ، ولكن صاحب المصنع النذل استغل سذاجتها وجمالها البريء واغراها بالهدايا والعطور حتى وقعت الفريسة ، ثم خرجت مذللة بالخزي والعار ، فلم تتمكن من العودة الى اخيها ولا الى الحي خشية افتضاح أمرها ، وقادتها الحياة الى سلوك الساقطات ، وتطوع من الوشاة من اوصل خبرها الى شقيقها فجاءها يطلب الثأر بعد أن كبر واصبح رجلا . أما هي فقد ظلت تحن الى اخيها رغم خشية اللقاء : « . . وعذبني شوقي مرة فعزمت على أن اراك وحملت بعض الهدايا ، وما أن بلغت المكان حتى وقفت حائرة امام الباب المغلق ، ولم أدر كيف ادخل ، وماذا أقول ، وممن أطلب . فألقيت باللفافة التي أحملها من النافذة ثم عدت لا الوي على شيء . . » . ان

الكاتبة تفرق هنا بين رقة قلب المرأة وعطفها واحسانها وبين قسوة الرجل وانانيته وسيطرته . ولكنها تبالغ قليلا في هذا التفريق بحيث تعطي العذر للفتاة في العودة الى طريق المصنع الذي جر عليها الويلات ، بدل العودة الى الخدمة في البيوت رغم ما فيها من تعنت ربة الدار وصفعاتها أحيانا . واسلوب الرسالة خطابي وعظي كأنما قصدت به البطلة تبرير سقوطها في سبيل لقمة العيش .

بقية قصص المجموعة يتراوح اسلوبها بين السرد والحوار ، والخواطر والسيرة الذاتية احيانا . أما موضوعاتها فكثير منها يؤكد ما صورته في القصة السابقة من قسوة الظروف التي تضطر الفرد او الافراد الى تصرف معين قد يضر فاعله والاخرين حوله. فعلت ذلك في قصتها « نافخ الدواليب » حين ضاقت الحياة ببطل القصة ، وسدت امامه سبل العيش النظيف ، فاضطر الى الغش في عمله والعبث بدواليب الدراجات المصفوفة خارج دار السينما ، حتى اذا خرج أصحابها كان لا بد لهم من أن يقصدوا المحل لاصلاحها ، فينال قروشا من اقرب طريق. وهو يحاول تبرير عمله بأن وراءه أما وأخا واختا يعيشون من ابرة امهم . وهنا يغلب على الكاتبة تشاؤمها وتجنح الى السخرية حين تقرر ان بطل القصة يتردد على المدرسة الليلية ويسمع دروسا تحث على الامانة ، ثم يشعر بالخجل لعدم استطاعته تطبيقها في سلوكه .

وتعاود سميرة سوداويتها مرة اخرى حين تصور احلام فتاة فقيرة عاملة في مصنع لتعبئة الزجاجات ، مخطوبة لسائق سيارة المصنع الذي يوصلها الى بيتها بالسيارة كل يوم ، ولكن بدل أن يتما سيرهما معا « على الدرب » وهو عنوان القصة ، فجأة يتخلى خطيبها عنها ويترك عمله على سيارة المصنع الكبيرة ، ويصبح سائقا خاصا لمدير المصنع نفسه، ومن يومها فهو لا يقف لها على الدرب ولا يوصلها ولا يعترف بها ! كذلك يبدو التشاؤم واضحا في قصتي « عقب سيجارة » و« بائع الصحف » ففي الاولى تصوير لمظاهر الفقر والحاجة مع كثرة الاولاد ، واضطرار احد الابناء الى تجميع اعقاب السجائر بدل أن يحاول أي عمل نافع ، ودخوله السجن من اجل هذه الهواية غير المشروعة ، ولكن الدنيا ما زالت بخير فيما يبدو ، فالضابط المسئول « صفوان » جار قديم لمحمود ، والد الابن السجين ، يتعرف عليه ويخدمه باخراج ابنه من السجن . أما الصورة الاخيرة في القصة فساخرة مرة ، اذ يدخل الاب والابن البيت على صوت وافد جديد وضعته الام في تلك اللحظة « ونظر الولد الى أبيه وقد امسك بيده علبة ثقاب وراحت يده الثانية تبحث بعصبية في جيوب سرواله وسترته عن شيء .. هنا دس حسين يده في جيبه واخرج عقبا من بين الاعقاب القابعة فيها ، ودفعه الى ابيه ليستقر في لحظة بين شفتي والده اليابستين المرتعشتين .. » !

و« بائع الصحف » صورة رومانسية مؤثرة رغم واقعية احداثها وصورها اليومية المتكررة ، فعبود صبي صغير بريء ، تعلم سر المهنة من والده واخذ يقفز ما بين الحافلة والرصيف مناديا على ما في رزمته من صحف وما في الصحف من أخبار تهم مختلف الفئات ، فصحيفته « للموظفين تبشر بالكادر والعلاوات... وللتجار بالتسوية للمشكلة الاقتصادية القائمة بين سوريا ولبنان .. الخ » عدا الطبقة التي يتفنن « عبود » في ابتداع العناوين الخيالية من أجلها : « الرجل الذي ذبح ابنه، المجرم الذي دوخ القوات، الفلاح الذي وجد كنزا مطمورا ، وهكذا » . ولكن هذه الحركة السريعة في القصة سرعان ما تنتهي الى سكون ، والكائن النابض بالحياة يلاقي مصيره القاسي تحت عجلات الحافلة ، ويتناثر رشاش من دمه على الصحف الملقاة بجانب الجثة . ويسخر القدر من الناس وحركتهم واعمالهم ، فبائع الصحف النشيط « عبود » أصبح خبرا صغيرا في صحيفة ينادي عليها بائع آخر « رقيع » تجرأ بالتدليل على صحيفته في اليوم التالي بذكر تفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة .

الموضوع الثاني الذي شغل بال الكاتبة في هذه المجموعة هو موضوع الزواج والامومة والبنوة وما تستوجبه هذه العلاقات الاسرية والانسانية من تضحيات في كثير من الاحيان. وليس غريبا أن نجدها تعطي الفكرة وعكسها والصورة ونقيضها ، فالحياة مليئة بالصور المتناقضة والمواقف المتباينة والمتنافرة . هناك قصتان ، عنونت احداهما بكلمتي « امومة خيرة » والثانية بكلمتي « مات أبوه » سردت في اولاهما حكاية زوجة خيرة وفية، توفي زوجها تاركا لها طفلين يؤنسان وحدتها ويخففان من أحزانها ، ولكنها ما تزال شابة جميلة رغم قسوة الحزن، ومع هذا فهي ترفض الخاطبين وترد برفق جميع المتقربين . أما هذا الرجل الذي جاءها بعد ثمانية أعوام من الجفاف والوحدة والمعاناة ، فلم تدر كيف ترده وهو لا يأتي الا « وفي يمينه باقة زهر وفي يساره حلوى وغيره للصغيرين وقد لمست فيه حنانا وتفهما ومشاركة . ولكن بماذا تجيب على الاستفهام الذي يطل من عيون الصغيرتين وكأنهما يتساءلان : أماه من يكون هذا الرجل ؟ . وتذكرت طفولتها وما ذاقت هي نفسها من مرارة اليتم ، وكيف تضاعفت هذه المرارة حين تزوجت أمها ، وتفنن الزوج الكريه بالقسوة عليها وعلى أخويها الصغيرين». تقول القاصة: «وتطلق صاحبتنا آهة .. وتعود تمسح على شعر صغيريها في حنان وتقول : يا لي من انانية ! كيف سمحت لشبابي ان يطالب ولوجودي ان يحاسب وانا لست لنفسي بقدر ما أنا لهذين الصغيرين ؟ انني امهما وابوهما » . هكذا قررت وانتهى الامر .. فما لها وللتفكير الان. انها أم .. وستبقى .

أما في القصة الثانية ، فتبدأ الاحداث من أول يوم في المأساة ، عندما نظر الصغير الى جدته بعينين قلقتين وهي تلوك كلماتها مولولة منتحبة « مات ابوك يا ممدوح .. مات أبوك » . وتمضي الكاتبة في تحليل نفسية الصغير حين رأى والده مسجى على الفراش بلا حراك وحوله النسوة في ندب وعويل : « انسل فزعا مرتجف الاوصال . وجلس في العراء على حجر خشن .. لذعته الشمس فلم يشعر ، وعضه الجوع فلم يبال .. وظل يتلفت يمنة ويسرة خشية ان يرى أحدا جاء يطلبه .. فهو يخشى العودة ولا يريد ان يموت كأبيه .. وظل هكذا الى المساء حتى لم يعد بوسعه ان يحتمل جوعه وقلقه وصبره وفزعه من أشباح المساء التي خالها مختبئة وراء الاحجار .. » . وعند عودته الى البيت لاقته امه باكية منتحبة وشدته الى صدرها ولذعت وجهه دموعها وهي تقول : « مات .. مات أبوك .. يا ممدوح » . ويختلف موقف الام هنا عن موقف الام الوفية المضحية في القصة السابقة ، فما يكاد يمر عام حتى تسعى امها في تزويجها من جديد . وتم الامر وانتقلت الام الى بيت الزوج الجديد تاركة ممدوح في بيت جدته . ولم يكن الامر هينا على الصغير ، لقد تعلم البغض ، وكان كلما كبر يكبر معه نفوره من امه ، حتى اذا شب عن الطوق وأصبح يعول نفسه من عمله كنجار بعد وفاة جدته وانتقلت امه وزوجها الى بلدة اخرى ، لم يعد لها في قلبه مكان ، واصبح لا يرد على رسائلها ويسخر من دعوته لزيارتها . وهنا تحلل الكاتبة نفسيته وهو كبير كما سبق أن حللت نفسيته وهو صغير : « لقد نظر الى الامر من ناحية انانية صرفة . لقد دعته يجر حياة جافة لا تدفئها انفاس انثى ، وخلاه رحيلها يحيا في جو «مات ابوك» اعواما من الجدب العاطفي، اذن فهي ليست مستحقة أن تكون له اما . ولكنها كانت امه .. وكلمة غضب تلفظها شفتان في سورة حنق لا تخنق نداء الدم . ولذا كان عطوفا حانيا عندما فوجئ بوالدته ذات مساء تصحب صغيرا جديدا .. هو أخوه .. ابن الرجل الاخر .. الذي مات » .

وفي قصتي « الى حين » و« زواج العمة » حاولت الكاتبة ان تصور صورتين من صور سلوك الانتهازيين من الاقارب ، فالعمتان في القصة الاولى تريدان اقتناص زوج شاب غني لابنة اخيهما « سعاد » ويقع اختيارهما على « فهمي » ابن الجيران ، وتتصرفان بطريقة تحرج الفتي والفتاة وتحرجهما معا ، وتبالغان في تدليل « سعاد » والاهتمام

بمظهرها وهندامها وزينتها . وتلعب الصدف دورا في احلام العمتين ، والفتاة حيادية الشعور ، ولكنها ايضا تحلم وتبني القصور في الاحلام . اما في ذلك الصباح ، فقد استيقظت من حلمها على صوت عمتها القديم يصيح : « الم تستيقظ بنت الباشا ؟ تراها ستظل نائمة الى الظهيرة ؟ ومن يكنس الشرفة ويسقي اصص الزرع ؟ انا ؟ ذلك لان العمتين استيقظتا على صوت الجيران يودعون فتاهم « فهمي » المسافر الى امريكا للدراسة » .

والقصة الثانية تصور طمع الاخ وزوجته في مال شقيقته الارملة الحزينة ، واستغلال هذا المال بالمعيشة عندها والصرف منه على اولادهما ، ولضمان نجاح اهدافهما لا يفتئان يترحمان على زوجها الراحل ويملآن البيت بصوره ويصورانه لها سيد الرجال ، حتى لا تفكر في الزواج من احد بعده : اما العمة فتصغي اليهما وتسمع كلامهما ، حتى يجيء يوم زواج ابنة اخيها الشابة ، فتستفيق لحالها وتصغي الى نصائح أم يوسف الخاطبة التي تبدأ السعي في سبيل « زواج العمة » رغم انف زوجة اخيها «أم شوقي» . والقصتان لا تخلوان من فكاهة وخفة في السرد والحوار .

يقول الدكتور محمد يوسف نجم في كلمته التأبينية المنشورة في عدد يناير من مجلة الاداب عام ١٩٦٨ : « كانت اقاصيص الاشياء الصغيرة صراعا بين الروح العذب والنفس البريئة الطاهرة من ناحية، والمحيط الجديد الذي لم تستطع ان تهضمه وتتمثله وتمتصه في كيانها لتتلبس به كيانا آخر . ومن خلال الملاحظة والوعي الاخلاقي الذي لا ترتخي قبضته ، أخذت شخصيتها تتحرك وتنمو ، ومواقفها تتطور وتتبلور ، كان همها آنذاك ان تتذكر وان تلاحظ وان تحس . أما التأمل والتفكر ، والشك والايمان ، والنقد والمحاسبة ، فطورها لم يحن بعد » .

وبالفعل بدأت مرحلة التأمل والتفكر مع مجموعتها الجديدة « الظل الكبير » وأخذت الكاتبة نفسها في هذه الفترة بشيء من الاطلاع والثقافة العامة ، وغدت أكثر انفتاحا على العالم حولها وأكثر اختلاطا ومجالسة ومراقبة ، خاصة عندما لاحظت ان هذا الاختلاط والانفتاح يثري فنها القصصي ويمنحه معينا لا ينضب من الموضوعات والاحداث والاشخاص . ولكنها ما زالت ، من ناحية اخرى ، تطل على الاخرين من مكان عال لا يستطيعون أن يرقوا اليها فيه ، فكما بدت في « الاشياء الصغيرة » فتاة مترفعة متميزة، ومن نسيج خاص، بدت كذلك في أول مجموعتها الجديدة شابة متحمسة متفتحة طموحة، ولكنها ما زالت تحبس نفسها في قوقعة لا يريد عقلها ولا حسها ان يخرجاها منها ، انها ما فتئت مختلفة عن الاخريات: «وفي هذه المرة يجدر بها الا تكون عادية، أن تمسك قلبها باليمين وبمعادلة رياضية باليسار . انها لا تريد أن تبسخو فتمنح انسانا جد عادي حبا كبيرا ، بل ولا حاجة بها لان تحب ، يكفيها أن تملأ عقلها ونفسها اعجابا ببطل » . كانت في أعماق نفسها تتوق الى شيء من الانطلاق ، وتتطلع الى مستقبل مشرق مضيء، ينسيها بضخامته ضآلة ماضيها باحداثه الصغيرة التافهة : « وكانت في رأسها خطوط مختلفة لمشروع ، كانت تعاني فيه فراغا لا يملؤه الا جبار، جبار يبدو معه ماضيها شيئا ممسوخا ، شيئا لا يجرؤ حتى ان يهز في نفسها مكامن الحنين ، او أن يقول انه منها » . ولكنها عندما وجدت فارس الاحلام هذا ، صدمت حين وجدته ينظر اليها كأنثى قبل أي شيء آخر . انه لم يلحظ تميزها ولا تفردها ولا أخذ بما حشدت به رأسها الصغير من فلسفة وتفكير . اذن هو كالاخرين ، واذن هي كالاخريات ! وعصفت بها حيرة ، جعلت تسأل نفسها أكانت مغرورة حين أصرت على جبار ؟ قد يكون ! لقد علمها رد الفعل القديم أن ترى لنفسها ظلا كبيرا ، حيث تضيع نسبة الاشياء ، أتكون هذه نقطة ضعفها ؟ » .

يبدو أن تلك كانت نقطة ضعف بطلة القصة ، كما كانت نقطة ضعف الكاتبة نفسها ، بل

لعلها كانت نقطة الضعف لدى فئة من بنات فلسطين اللاتي نشأن في نفس الفترة ونفس الظروف التي عاشتها الكاتبة ، فتاة غضة يانعة في ارضها الحبيبة ، ثم مهاجرة غريبة — غربة الروح والنفس — تكد وتعمل في سبيل العيش الكريم ، وتسعى وتناضل من اجل العودة الظافرة مع جموع اللاجئين ، حيث تأمل ان تنعم بحياة طبيعية سعيدة في مستقبل الايام . ولكن الأيام طالت والسنوات أخذت تكر ، واضطرتها الحياة الى التنازل على المستوى الشخصي ، والرضا والاقتناع بما هو موجود وما هو كائن ، وعاشت حياتها كغيرها من بنات حواء .

وفي الفترة التي شهدت تجربة الوحدة العربية وثورة العراق ثم انتكاسة هذه الثورة ، خرجت الى النور مجموعتها القصصية الثالثة التي اعتبرت تتمة للمجموعة الثانية ، سواء في موضوعاتها التي استقتها من الواقع المحيط بها والذكريات المخزونة في عقلها الباطن من أيام الطفولة ، او في اسلوب السرد والحوار المحكمين والبناء الغني المتقن . وحملت السنوات الثلاث التالية مزيدا من التجارب والاحداث في حياة الكاتبة ومن حولها في بيروت ، وعاشت سميرة حياة ثقافية خصبة كان لثرائها أثر في تطور فنها القصصي خاصة انها عكفت على دراسة اسس هذا الفن ، وترجمت كتابين هامين في القصة القصيرة والقصة القصيرة الامريكية، بالاضافة الى عدد من القصص القصيرة والروايات الامريكية المعروفة والهامة . وكان نتاج هذه الفترة مجموعتها الرابعة « الساعة والانسان » ثم الخامسة التي طبعت بعد وفاتها « العيد من النافذة الغربية » .

يطول بنا الحديث لو اخذنا بتحليل قصص المجموعات الاربع الباقية قصة قصة كما حاولنا في المجموعة الاولى اعلاه . ولذلك يحسن بنا ان نحدد الموضوعات التي طرقتها الكاتبة والاحداث والشخوص التي صورتها ، وكيف استطاعت التعبير عن تلك الاحداث والشخوص والموضوعات في مختلف القصص المتناثرة بين مجموعاتها الاربع ، خاصة ان هناك دائما خيطا رفيعا يجمع بين القصص ، ويعطيها — بصورة عامة — ميزة في سميرة عزام .

سميرة عزام فتاة فلسطينية ، حملت قضية بلدها وعاشت بها متنقلة بين الاقطار . فلسطين كانت حياتها ، وفلسطين كانت مقتلها ومماتها — اذا صح التعبير — وبالرغم من ان القصص الفلسطينية في مجموعتها ليست غزيرة الكم والعدد ، الا انها من حيث الكيف تعتبر قمة في التعبير عن المأساة منذ أول وقوعها ، واحداث التشرد واللجوء ونفسية الفلسطيني وما تعرض له من ضغوط وظروف قاسية ومريرة ، قابلها جميعا بالصبر والعمل والصمود تارة ، والحقد والثورة والتمرد تارة اخرى . هناك قصتان تصوران كفاح ابناء فلسطين ونضالهم ضد قوى الشر والطغيان ، الاولى منهما تحكي قصة معلم شاب من ابناء قرية « بتير » في ضواحي القدس ، كان يحمل البندقية في الليل ، يحرس القرية مع رفاقه ويدافع عنها امام خطر الاعتداءات الصهيونية عام ١٩٤٨ . وفجأة نفدت ذخيرته ، ولم يكن امامه الا ان يموت مكانه هو وزوجه وطفله البريء ، او يرحل مع فلول النازحين « في الطريق الى برك سليمان » ، وانتصرت ارادة الحياة ، وفي رقة متناهية تصف القاصة مشاعره ومشاعر زوجه ساعة الرحيل ، مودعين بيتا صغيرا عرف حبهما وكفاحهما المبكر معا ، وحديقة غرساها شجرة شجرة .. ولعل رصاص الاعداء ، وأصاب صغيره الذي يحمله بين يديه ، وركض بالجسد الميت خشية ان تراه زوجه فتصعق . وتحت شجرة لوز سخية حفر حفرة صغيرة اراحه فيها ثم أهال عليها التراب برفق ، حفنة حفنة « ولم يقرأ صلاة ما ، فقد أخرسه الحقد » .

صورة مؤلمة من صور الهجرة الفلسطينية تكررت كثيرا في تلك الايام . اما قصتها « خبز

الفداء » فتصور جانبا آخر من جوانب النضال الفلسطيني . وقد بدت فيها الكاتبة اكثر حنكة ، ودراية بالفن القصصي، واعتمدت في تسلسل الحوادث على الواقع الذي عاشته ورفيقاتها في آخر ايام النضال قبل سقوط عكا وحيفا في أيدي الاعداء . كانت سميرة نفسهاقد ساهمت مع سيدات عكا فيحياكة القمصان الصوفية لاهدائها إلى افراد الحرس القومي وكتابة عبارات مشجعة على بطاقات يضعنها في جيوب القمصان ، وهكذا كانت بطلة القصة الممرضة « سعاد » التي التقت صدفة بحارس المستشفى الليلي الذي كان قميصها من نصيبه وفي جيبه عبارتها التي تقول : « أرجو ان تكون من نصيب بطل » . (وسميرة معروفة بخلق الصدف الحلوة وتدبير المناسبات الموحية في قصصها بصورة عامة) . ويتكرر لقاؤهما ، في طابور التدريب والتأهب وفي اوقات الراحة القليلة ، ونما الحب بينهما . وهنا تعاود الكاتبة ذكرياتها عن طبيعة بلادها الجميلة فتكتب : « كان الوقت ربيعا ، وربيع فلسطين بحر أزرق تتهادى عليه أشرعة المراكب البيضاء نهارا ، وترصعه فوانيس قوارب الصيد ليلا ، وبساتين برتقال يكثف عبقها الهواء . . وفي ربيعه ذاك عرف شيئين . . الحب والحرب » . الحب هو الذي يعطي المعنى للحرب ، وما الحرب في نظره الا حق حياة للارض التي يحب ، والفتاة التي يحب : « ومع كل اطلالة صباح . . كان يستقبل خيالها . . جنبا الى جنب مع أنباء المعارك في صحف الصباح . . معركة القسطل ، هجوم قومه من مثلث الرعب على قرى الاعداء . . غاراته واخوانه على المصفحات اليهودية المتسللة على طريق حيفا ـــ عكا نهاريا ، بطولة قومه في سلمة وفي كل مكان » . وكانت الحرب أقوى من الحب ! فوقعت كارثة حيفا وخرج النازحون يتلمسون طريقهم الى الميناء وأخذ الاعداء يمطرون الطرقات والشعاب بالرصاص . أما هي فقد رفضت النزوح مع اهلها ، وأما هو فقد بقي ليؤدي ما وكل اليه من جمع الذخيرة من القرى نهارا والقيام بالحراسة مع رفاقه ليلا . وعرفت « سعاد » طريقهم وأخذت تحضر لهم كل يوم صرة ملأى بالخبز والسجائر والحلوى . وتبلغ المأساة ذروتها على يدي الكاتبة عندما تلاقي « سعاد » البطلة مصيرها المحتوم وتصيبها رصاصة وهي تمرق من باب الحديقة الى حيث قبع ورفاقه وراء المتاريس . وبشيء كثير من رقة الشعور ورهافة الحس تصف الصراع العنيف في نفسه ونفس رفاقه بين أن يطووا ضلوعهم على الجوع او يمدوا أيديهم الى الصرة المزقة والارغفة الملوثة بدمها الزكي ، ومرة اخرى تنتصر ارادة الحياة ، فما زال امامهم شوط طويل ، وعيونهم لن تنام عن الثأر ، فليكن الخبز هو « خبز الفداء » .

في مجموعة « الظل الكبير » صورتان فلسطينيتان غاية في الروعة والانسانية ، اوحت بأولاهما اليها عبارة وردت على لسان مذيع اذاعة الشرق الادنى ، ضمن « رسائل اللاجئين الى ذويهم » تقول كلمات الرسالة: « من جميل عبدالله في بيروت الى والده كريم عبدالله ووالدته سلمى واخته وداد في يافا : انا بخير كذلك خطيبتي ناديا . سنتزوج في الساعة الثالثة من بعد ظهر الثامن من ايار في كنيسة « السيدة » ، ثم نسافر لاعمل في الكويت . مشتاقون ، طمنونا بواسطة الاذاعة » . ولكن ، ماذا بيد « سلمى الصواف » وزوجها أن يفعلا في يوم فرحة ولدهما «جميل» سوى ان يذيع المذيع ردهما على الرسالة فيقول : « من كريم عبدالله وزوجته سلمى وابنته وداد وزوجها . . نبارك زواجك وندعو لك بالخير » . تصور سميرة قمة الفاجعة حين تقول : « وبيروت ليست في السند او الهند. بيروت لا تحتمل اكثر من ساعات ست في مشوار سيارة. . ولا تحتمل اكثر من نصف ساعة في طائرة . . ومع ذلك فمستحيل المستحيلات لديها (سلمى) ان تذوق فرحة العمر وتكحل عينيها بمرأى جميل عريسا . . » وتتساءل سميرة : « أية قسوة في الحياة تشتط فلا تشفق على قلب أم ولا تفرح قلب أب . . » وتتحدث عن مشاعر الام حين بلغت الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، وتستعرض الشريط الجميل الذي مر بخيالها لولدها الصغير

الذي كبر وتعلم ، وهـا هو يتزوج بعيـدا عنهـا ، وتتخيـل حفل الزفاف والكنيسة وطلعة العروس ، يا ليت كل ذلك كان امامها ! « ما أعظم شوق يافا لان ترى عرسا لاحد أبنائها » ! ولكن الكابوس ما زال ثقيلا وقد مات طعم الفرح في أفواه الناس . ثم مـن يزغرد للعريس ؟ أم العروس ؟ ولم لا وقد خلا لها الجو ! وتختلط الافكار في راس سلمى، وتشعل الشموع في أيدي ابناء بنتها الذاهلين ، وتمسح دموعها وتطلق زغـاريدها المخنوقـة .

الصورة الفلسطينية الثانية طالما وصفتها اقلام الصحفيين العرب وطالما صورتها كاميرات مصوري وكالات الانباء العربية والاجنبية ، اذ لم يعرف العالم صورة في طرافتها ولا في غرابتها ولا في شذوذها ، صورة بوابة « مندلبوم » عشية عيد الميلاد من كل عام بعـد عام ١٩٤٨ ، حيث يحتشـد ابناء فلسطين الذين يعيشون في الداخل ، ليلتقوا خـارج البوابة المشئومة بالوافدين للقائهم من الاهل والاقارب والابناء والازواج ، وربما الاحفاد ايضا . وفي ذلك العام بالذات حملت احدى السيارات القادمة عن طريق درعا والرمثا عجوزا مشوقة للقاء ابنتها التي ستحضر من « الناصرة » وقد حملت لها ولاولادها بعض المأكولات والملابس . وعبر الطريق تسلي نفسها والسائق بالثرثرة عن « ماري » واولاد ماري ، وتروي بعض احداث الهجرة ومآسي الفراق : « سبع سنوات مرت على فرقتنا، تركتها عروسا فصار لديها كريم والياس وعبد النور ، سبع سنوات ، عمر يا بني عمر ، وما استطاعت ان تترك الناصرة الى القدس لترانا فهي اما حامل او نفساء » . ورغم تعب الطريق ووعثاء السفر الا ان العجوز متماسكة قوية ، تصبر وتتحمل وسـتأتي ماشية على قدميها لو اقتضى الامر ، حتى تحظى برؤية ماري : « سأقبل ماري فلا أشبع واشمها فلا اكتفي واسألها حتى يجف ريقي .. » ستسألها عن يافا ، فربما تكون زارتها، عن البيت والجيران ، عن البيارة والكنيسة .. وتحمل نهاية القصة مفاجأة قاسية ، لقد مرض زوج ماري فلم تتمكن من الحضور .. والى العام القادم ! أية عبارة درامية تختم بها سميرة قصتها حين تفيق العجوز من غشيتها وتعطي السل لناقل الخبز وتقول له : « خذه وقبل رأسها عني ، وقل لها على لساني . بعد السلام انني اذا عشت عاما آخـر فسآتي اليها زاحفة على قدمي .. واذا عاجلتني رحمة الله ، فلن أموت الا بحسرتين حسرة بلدي ، وحسرة ماري ، وقبلة على خدها ! » . وقد عبرت الكاتبة نفسهـا عن اهتمامها بالمطالع والخواتيم حين قالت : « المطالع والخواتيم عندي اوليها عناية خاصة، فقد تقتل العبارة الاخيرة ان لم تكن زخمة وموفقة كل الموحيات والتأثيرات التي أحب أن أتركها مع القارىء »(١).

وتجيء مجموعة « الساعة والانسان » بقصصها المتقنة الحبك ، باحداثهـا الدرامية ، ومواقفها الساخرة ، ونهاياتها المأساوية اليائسة ، ويحظى الفلسطينيون من كل ذلـك بنصيب ، فالقصة الاولى من قصص المجموعة قمة في السخرية والمرارة والالم القومـي الممض. ولذلك لم يكن غريبا أن صدرتها مجلة الاداب حين نشرت فيها عام ١٩٦١ بالابيات التالية للشاعر العراقي المرحوم بدر شاكر السياب من قصيدته « قافلة الضياع » :

« قابيل أين اخوك ؟ »
— « يرقد في خيام اللاجئين
السل يوهن ساعديه ، وجئته انا بالدواء
والجوع لعنة آدم الاول وارث الهالكين
ساواه والحيوان ثم رماه أسفل سافلين

---

١ — ملحق صحيفة « الانوار » اغسطس ١٩٦٧ ، لقاء صحفي قبيل وفاتها .

ورفعته انا بالرغيف ، من الحضيض الى العلاء »(٢).

حادث اختلاس في مركز توزيع وكالة غوث اللاجئين يدان فيه « وصفي » ويطلب من صديقه وزميله المثول امام المحقق ، ولكنه لا يستطيع ان يدلي بأية معلومات عن زميله رغم علمه بها « فصداقتهما صداقة رصاص ودم . . جوع وتشرد . انه ليس نذلا . . وليس لصا . . ولكن » . والاجابة الوحيدة التي تفوه بها امام المحقق هي : « انني اعرف وصفي مذ كان طفلا ، زاملته تلميذا وموظفا ، وليس سهلا علي أن اتصور أن ينحط الى هذا الدرك » . ويجيء التعليق القاسي على لسان الرجل الاجنبي : « في مثل ظروفكم يا صاحبي لا يدري المرء في أية لحظة يمكن أن يصبح لصا . . » وتكون هذه المقولة بداية للقصة كلها ، يقوم الصديق الى قوائم التوزيع المنتظرة على مكتبه فيمزقها ويلقي بها في سلة المهملات . . ويمسك قلما وورقة بيضاء ، يسطر عليها ثلاث حكايات : « فياض الحاج علي » المزارع الطيب الذي كانت مواسم بلاده خضراء دائما « فسماؤنا سخية ، وتربتنا سمحاء ، ولم تكن سواعدنا بالمتخاذلة الرخوة » . ولكن ظروف اللجوء الذليل ، وأفواه الزوجة والاطفال الخمسة المطالبة قلبت حياته راسا على عقب ، ولما جاءت زوجته الى مكتب التوزيع تطالب بتسليم الاعاشة لها ، لا له ، لانه يبيعها ويسكر بثمنها ، أخذ يكيل لها الكلمات والركلات دون وعي حتى فارقت الحياة في الطريق الى المستشفى . وغدا فياض مجرما وقضي عليه بالاشغال الشاقة خمسة عشر عاما ! وأخت الشهيد أحمد ، مدربهم في الحرس ، تصبح بغيا بعد موت امها « اذ لم يبق أمامها الا هذا الطريق » ! . وأبو سليم جاسوس المخيم الذي يسجل على اللاجئين تحركاتهم ويقف في طريق بناء مدرسة جديدة في المخيم ، في حين يشتري هو جهاز تلفزيون ويفرض رسم دخول على من يريد الفرجة من اخوانه اللاجئين « كل هذه صور من آثار النكبة على الفرد الفلسطيني ، شوهته وأذلته وغلفت حياته بالخزي والعار » . ولذلك لم يكن غريبا ان يذهب الراوي فور انتهائه من كتابة هذه الحكايات وقد بيت في نفسه امرا « القضاء على مصدر الذل نفسه — مكتب التوزيع — وعندما تلتهم النار اكياس الفول والدقيق وكتل الدهن واكوام التمر والزبيب ، يشعر بزهو غريب ، فكل الناس سيعرفون » كل اللاجئين ، كل من في الوكالة ، وسيعرف المحقق بالذات ، انه شيء اكبر من لص ، وارفع من وغد ، وان قومه لن يلعنوه اذا جاءوا . . فما حرق قوتهم ، وما سلك ناره على غنائم اللصوص والفئران الا لانه . . « لانه يحبهم » ! .

صورة اخرى من صور الذل والهوان اللذين مر بهما « الفلسطيني » خاصة اول الهجرة ، تسجلها الكاتبة في القصة التي تحمل ذلك الاسم ، فقد أصبح « الفلسطيني » البقال كالارمني الاسكافي الذي لم يعرف له اسم على مدى ثلاثين عاما في الحي ، هذا مع ان مصائب الفلسطينيين اصبحت فوائد لدى بعض الانتهازيين من أهل البلاد الذين تعاملوا بتزوير بطاقات الجنسية وابتزاز اموال الفلسطينيين الكادحين .

لا شك ان سميرة كانت متعاطفة مع أبطال قصصها من الفلسطينيين ، الذين عرفت حياتهم عن قرب ، وزارتهم كثيرا في المخيمات وفي المدارس وفي معسكرات التدريب . وكانت هي نفسها تأخذ على الكتاب والشعراء العرب الذين تحدثوا عن اللاجئين عدم زيارتهم لخيماتهم ومعرفتهم كيفية معيشتهم وما يتعرضون له ، وتطلب من الاديب ان ينظر الى القضية الفلسطينية كقضية معايشة يومية ، وتضيف : « ان تجاوبه يجب أن يتم أبدا على نطاق الاحساس الشامل لا بمشكلة فلسطين فحسب — وان قدمت في نظرنا على غيرها من المشكلات — وانما بجميع قضايا التحرر في العالم »(٣).

---

٢ — مجلة **الاداب** ، عدد فبراير ١٩٦١ ، ص ١٨ .

٣ — مجلة **الآداب** ، عدد مارس ١٩٦٥ ، مقالة لسميرة عزام بعنوان : « دور الادب في معركة فلسطين » .

وهذه النظرة الانسانية الشاملة ليست غريبة على سميرة عزام ، فالى جانب النماذج الفلسطينية البائسة والمهيضة الجناح ، تمتلىء قصصها بالشخصيات الضعيفة والبسيطة والمظلومة ، وهي دائما تتعاطف مع تلك الشخصيات وتحنو عليها وتبرر لهـا المواقف وتوجد لها الاعذار . كما ان ابطال قصصها في الغالب من الطبقة العاملة والبسيطة : صبي الكواء ، بائع الصحف ، عاملة الكوافير ، سكرتيرة المدير ، عاملة في مصنع ، بائعة .. الخ . وهي في تصويرها لتلك الشخصيات ، تحللها ، كلا على حدة ، وترسم ملامحها ببساطة وعمق وبصدق بالغ ، وكأني بها تعتنق مذهب تشيكوف حين قال : « ان على المؤلف ان يكون انسانيا الى اطراف اصابعه » . ونجدها من الناحية الوصفية تعتني بالتفاصيل وتصف لنا الجزئيات لكي تعطينا صورة متكاملة واضحة عن المنظر او الحالة التي تريد شرحها . وهي في هذا ايضا من مذهب تشيكوف الذي يقول : « ان اقدس القداسات عندي هو الانسان ، صحته ، ذكاؤه ، موهبته ، وحيه ، حبه ، وحريته المطلقة » . وليس هذا غريبا على كاتب كان اصله طبيبا بشريا .

ومن أعذب الصور الانسانية في قصصها صورة الوداع في المطار عندما نودي على ركاب طائرة البرازيل ، وهب «-فرحات » وهب مودعوه من نساء العائلة ورجالها يلتقطون معه الصور التذكارية ويزودنه بكلمات الوداع ووصاياه . وتحلل الكاتبة مشاعر المودعين وخاصة امه التي « يبدأ التاريخ عندها وينتهي بشيء من فرحات ولفرحات » . كما تحلل مشاعر المهاجرين في ديار غربتهم وآلام الوحدة وقسوة الحياة في البداية ، ولا تبخل القاصة على فرحات ، الذي انساها وداعه انها في انتظار حضور شقيقتها من القاهرة ، بأجمل التعبيرات التي اعتادت ان تختم بها قصصها او تنثرها بين الفقرات : « ولما ركب الطائرة ووقف على سلمها ، فرشت القرية عواطفها على المدرج ، والقت أم بقلبها على الطائرة .. » .

وفي قصتها « هل كان رمزي » صورة انسانية مؤلمة للام التي ضاع طفلها وهو في الرابعة من عمره ، واعادوه لها بعد اربع سنوات ، وقد كبر واستطالت قامته وتغير شكله الى حد ما ، فأنكرته ، من فرط وجومها وشرود عقلها . وأحس هو بذلك ففر من البيت ، واستمرت الأم في وقوفها بمداخل المدينة تتشبث بسترات المارة وتسأل : « هل فيكم من رأى ولدا في الرابعة يلبس بنطالا أزرق ؟ » .

أما قصة « فردة حذاء » فتفاجئنا بالنهاية المأساوية المؤثرة عندما عثر اهل البيت على مجموعة من فردات الاحذية « الشمال » في غرفة التخزين على السطح ، وزال عجبهم عندما رأوا ابنة الخادمة تتأبط عكازا خشبيا اذ كانت برجل واحدة .

وتعاطف سميرة ليس فقط مع الآدميين وبني الانسان ، بل ان رقة قلبها واحساساتها المشاركة دائما تمتد الى كل أليف وأنيس وضعيف من الحيوان ، وقصتها العراقية المحلية « سعد والديك » مثل على ذلك . كما ان الفة المكان والتعود عليه عند الكلاب واضحة في قصتها « الحب والمكان » .

أما أكثر الموضوعات التي طرقتها سميرة عزام في قصصها ، فهي الموضوعات النسائية والانثوية ومشاعر الامومة وروابط الزواج والخطبة وأحداث الميلاد احيانا . وقد عرضنا لمجموعة من تلك القصص في الصفحات السابقة ، ونضيف هنا أن مجموعة من قصص « الظل الكبير » تدور حول هذه المعاني ، مثل قصة « نصيب » التي تسلط فيها الكاتبة الضوء على الطريقة التقليدية في الخطبة والزواج عند العرب ، وأن « السكوت علامة الرضا » بالرغم مما يدور في رأس العروس من صراع وتردد احيانا ، اذ ان الاحلام لا تتحقق كلها في واقع الحياة . وقصة « ستائر وردية » من النوع الشعبي المحلي ، تحمل من روح التهكم الشيء الكثير ، تاجر عطارة مزواج مطلاق ، وزوجات له متعاقبات ،

وجارات يتلقفن الاخبار في فضول وهمس . وصف ساخر لهذا الجو الحريمي العتيق . وسميرة موهوبة في السخرية والتهكم ، مما يوحي بأنها متأثرة بأسلوب برنارد شو الذي قرأت له كثيرا دون ريب .

وفي حوار ذكي طريف بين فتاة شابة وخطيبها ، أعطته عنوان « القارة البكر » تحلل الكاتبة نفسية الرجل الشرقي وتحصي متطلباته في الفتاة التي يريد ان يتزوجها ، واول هذه المتطلبات الا تكون قد عرفت رجلا قبله « لئلا تحرمه من شعـور كولومبس » . ويصف الفتاة بالجرأة المتناهية لانها حكت له عن مشاعر سابقة حملتها لشاب قبـل سبع سنوات . وعندما يثور ويسألها عما دفع بها الى هذا الاعلان تجيبه بقولها : « لا أدري ، كان يتآكلني الغيظ احيانا حين أسمعك تتحدث الي عن تجارب الحياة وقد أخذك الزهو وكأنما أنت تحادث انسانة لا حق لها في ان تمارس تجربة ، وان تذوق انتصارات الحياة وانكساراتها ، انسانة لم تولد الا منذ عرفتها » . وتجري الكاتبة علـى لسان الفتاة الاسباب التي تجعلها تبحث عن اي زوج او تقبل خطبة غير مقنعة : « امي ، أبي ، اخوتي ، شعوري بالضعف ، اسئلة الناس لي لماذا لم تتزوجي بعد .. الحـاح اهلي علي في أن افعل .. لقد بت أشعر بأنهم يضيقون بي .. » .

وقصة « أطفال الاخرين » تروي ظروفا دقيقة حساسة في حياة زوجين شابين لا ينجبان ، يطل بيتهما على روضة أطفال ، وهي مليئة بالعواطف الغزيرة التي تغدقها الزوجة على أطفال المدرسة حين تطل عليهم من نافذتها اكثر من مرة في اليوم ، تلك النافذة التـي بدأت تضايق الزوج حين صارحه طبيبه بأنه هو الذي لا ينجب ، ولكن « شهادة الطبيب فيه لا يمكن ان تبدل حقيقة احساسه فيما بينه وبين نفسه على الاقل .. ان هـؤلاء الصغار يعطونه الفرصة لان يحب .. » والاطباء يتركون شيئا للعلاج وشيئا للامل ، ليظل للحياة ما تستحق ان تعاش من أجله ، فلتظل النافذة مفتوحة للصغار ، وليظل الامل نبراسا ينير الظلمة الحالكة . وتتميز القصة بالتحليل النفسي الدقيق لكل مـن الزوجة المرحة المتفائلة والزوج الحساس المتشائم ، والكبرياء الخاص بكل منهما .

لكن نهايات قصص سميرة عزام ليست كلها مشرقة متفائلة كالقصة السابقة ، وقد لمسنا بعض الخواتيم الدرامية في قصص فائتة ، ونلمس ذلك أكثر فأكثر في قصة من مثـل « الساعة والانسان » التي توحي بأنها قصة واقعية من ذكريات بعض اهلها او معارفها في الوطن . وعقدة القصة تدور حول « فؤاد » موظف السكة الحديد الذي بلغ المحطـة متأخرا ، وكان القطار قد أخذ بالتحرك ، فتعلق بباب العربة محاولا الصعود ، ولكـن يده خذلته فأفلت الحاجز وسقط تحت العجلات ، ومن يومها ووالده الكهل يدور علـى بيوت القرية يوقظ الموظفين قبل الفجر حتى لا يلاقوا المصير نفسه . ولكن الولد نفسه يموت نتيجة برد اصابه وهو يلهث راكضا في الصباح الباكر تحت المطر المنهمـر . إن عنوان القصة نفسه يحمل من السخرية المرة ما يفجع ، هذه الالة الدقيقة التي اخترعها الانسان لتضبط له أوقاته وتنظم حياته تكون هي السبب في مماته ! ولكن الشاعر العربي قديما قال : « تعددت الاسباب والموت واحد » . وهذا القول المشهور اوحى للكاتبة بأن تزودنا ببعض الاسباب الجديدة للموت في القصة التالية لسابقتها ، فأحمـد ، شاب طموح كان يعمل صبيا عند البقال ، وانتقل الى ورشة اصلاحات ميكانيكية ، ثم ساقه طموحه الى المانيا حيث تعلم هندسة التليفزيون وتركيب الهوائي واصـلاح الاجهزة ، وتزوج وأنجب ، ولكن القدر كان له بالمرصاد ، ونقلت الشاشة الصغيرة صورته وهو يسقط من فوق سطح احدى العمارات الشاهقة .. « كومة رابضة تمثل قصة الطموح في فصلها الختامي » .

ليست القصتان السابقتان الوحيدتين اللتين تحدثنا عن الموت في مجموعات سميـرة

عزام . فمن الواضح ان هذا المصير لبني البشر قد اخذ من تفكيرها الشيء الكثير ، فهناك قصتاها « هواجس » و« لا ليس لشكور » والاخيرة منهما غاية في الرقة ودقة الاحساس، تصور والد « شكور » الذي عمل طيلة حياته بصناعة التوابيت وبيعها يتشاءم اليوم من عمله ويرغب في تغييره حين مرض ولده الصغير وخشي أن يصبح ذلك التابوت القصير من نصيبه . وعاف تجارة الموت « وراح يهوي بالفأس على النعش الصغير في ضربات عصبية مجنونة متلاحقة ، فما خلاه الا حطاما وراح يبعثرها بقدميه » .

الواقع ان فكرة الموت كثيراً ما كانت تسيطر على الكاتبة ، وتوحي لها بتأملات وخواطر عديدة ، وتتردد اوصاف الميتين اكثر من مرة في قصصها « فالوجه شمعي شاحب ، والفم محشو قطنا ، والعينان زجاجيتان نصف مفتوحتين » . ومع هذا فلم تخفها فكـرة الموت ولم تفزعها النهاية المحتومة . انها هنا تذكرنا بالكاتب الساخر الواقعي ارنست همنجواي الذي ترجمت له هي نفسها مقالة نشرتها في مجلة الاداب عام ١٩٦١ بعنوان « أرنست همنجواي ، حي وسط الموت » تقول احدى فقراتها :

« كانت الحياة بالنسبة لهمنغواي شيئا لا ينفصل عن الموت ، بل هي صراع متقـابل يتغلب فيه ابطاله لا على الخوف من الموت فحسب ، بل على الخوف من تعقدات الحياة والتفكك الذي يهدد الفرد . ان الحياة هي الحياة الحقة ، وهي العمل والقوة الخلاقـة التي تمد البطل بالقوة للصراع » .

كانت المرة الوحيدة التي ذكرت فيها سميرة الموت صراحة وباحساس شامل غامض يوم فاجأت صديقتها وزميلتها الاديبة السورية السيدة الفة ادلبي بقولها : « ذات ليلـة ستفاجأين بنعيي » ولم يكن ذلك قبل وقت طويل من حادث وفاتها رحمها الله »(٤).

وبعد ، فقد كانت سميرة عزام كاتبة ملتزمة ، لم تخرج عن نطاق مجتمعها وبيئتها بمـا فيهما من آفات وأمراض اجتماعية ، ولم تكف عن النقد والتحليـل لمختلف الاوضـاع والاوساط ، موحية بالحل والاصلاح احيانا ، كما تميز اسلوبها وتناولها للقصص بالقيم الثلاث التي تميز القصة الناجحة وهي : الصدق والاخلاص والانسانية . اما تعبيراتها الجميلة الموحية ، والكلمات التي كثيراً ما تتحول في قلمها الى انغام ، فيكفينا دليلا عليها، الى جانب ما مر من نصوص ، الجمل والعبارات القصيرة التالية :

« وفي تلك الليلة انكرت مخدتها رأسها القلق » .
« وأجتمع الرجال على واجب الاموات ، ثم انفضوا عن رحمة الاحياء » .
« والتفت حسن الى بيته ، كان ما يزال مشدودا بكرامة ، جدرانه البيضاء تشرب فضة القمر ، ويغسله عطر زهر اللوز بسخاء ربيعي .. » .
« ولم يكن ثمة صوت يخدش صمت الليل الا صوت ديك ارعن لا يبالي ان يصيح حتى في ليل مات قمره » .

لم يكن كثيرا على سميرة عزام ان ينعتها الناقد العربي الاستاذ رجاء النقاش بأفضـل كاتبات القصة القصيرة في أدبنا المعاصر(٥) . اما فلسطين فقد خسرتها كاتبة أدبية ناجحة، وخسرتها مناضلة حرة مجاهدة ، ولا يعوض عن فقدها سوى عنايتنا بما خلفت مـن قصص ، وما أبقت من آثار جميلة تحمل المثل والمبادىء التي عاشت لها وماتت مـن اجلها ، وأولها : حب الوطن والتضحية في سبيله بالروح والنفس والمال .

---

٤ ـ **الآداب** ، يناير ١٩٦٨ .
٥ ـ **المصدر نفسه** .

المطامع الاسرائيلية في الاراضي اللبنانية

خليل أبو رجيلي

أجمل الجنرال دافيد اليعازر ، رئيس الاركان الاسرائيلي ، أهداف الحملة الاسرائيلية على الجنوب اللبناني في يومي ١٦ و١٧ أيلول ١٩٧٢ بقوله « لقد حددنا لانفسنا مهمتين : تدمير قواعد المخربين ، وتصفية رجالهم الموجودين في المنطقة ، وقد تم تحقيق هاتين المهمتين في شكل كامل »(١). واذا كان هذا هو الهدف **المعلن** من الحملة ، فالى أي مدى يتطابق هو مع هدفها **الحقيقي** ؟ وهل حقا ان المهمتين اللتين حددهما اليعازر هما المهمتان **المباشرتان** للغزو الاسرائيلي الاخير ، وبالتالي لكل اعتداء سبقه ، ولكل اعتداء قادم متوقع ؟ في اليوم الاول من الحملة الاخيرة ، اي قبل ان يعلن اليعازر هدف الحملة ، أكد العميد أول احتياط يهوشفاط هركابي ان « القصف الجوي ضد المخربين ما هو الا اجراء مؤقت ، والشيء نفسه ينطبق على العمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات »(٢). اذن فان العسكرية الاسرائيلية تدرك ان تحقيق مثل هذه الاهداف **المباشرة المعلنة** غير قابلة للانجاز عن طريق الاعمال العسكرية التي تقوم بهـا القوات الاسرائيلية في الجنوب اللبناني . ومن هنا فان هركابي نفسه في حديثه المشار اليه يضع تصورا آخر للحرب من « خلال جبهة واسعة جدا ، ومن خلال عمليات متعددة الاتجاهات ومتنوعة الاساليب » تهدف ، بقدر ما يتعلق الامر بموضوعنا ، الى « العمل على تحويل النزاع الى عبء على تلك الدول التي لم تتحمل اعباءه مما جعلها تمنع تأييدها لاستمراره ، وهدفنا سيكون **اجبار** هذه الدول على تقليص حجم تأييدها للحرب التي يقوم بهـا الفدائيون » . بعد هذا الخط الاستراتيجي العريض الذي يحدده هركابي تكشف وسائط الاعلام الاسرائيلي عن تفصيلاته فتكتب صحيفة « دافار » (٧٢/٩/١٧) ان « امـام الحكومة اللبنانية الخيار بين طرد المخربين من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(٣) . كما تكتب صحيفة « عل همشمار » في اليوم نفسه « ان المحافظة على الهدوء يتعلق بالحكومة اللبنانية وحدها وعليها ان تتخلص من أعمال المخربين »(٤). وهكذا ، تكشف هذه « الدعوة » للحكومة اللبنانيـة الهدف **الحقيقي والمباشر** للاعتداء الاسرائيلي على الجنوب اللبناني ، هي « دعوة » لان تتولى الحكومة اللبنانية نفسها المهمتين اللتين حددهما اليعازر هدفا للحملة بعد ان ادركت العسكرية الاسرائيلية عقم « القصف الجوي ضد المخربين والعمليات العسكرية المنفذة بواسطة المشاة والمدرعات » . وهذه « الدعوة » الاسرائيلية ليست حديثة ، ولا هي موجهة فقط للحكومة اللبنانية وانما شعب لبنان ، في قراه ومناطقه الجنوبية ، مقصود بها أيضا . فمنذ ان ابتدأت اسرائيل بتكرار اعتداءاتها على الارض اللبنانية ، كان كل اعتداء يحمل في طياته مثل هذه « الدعوة » التي كانت اسرائيل تؤكدها علانية في تصريحات قادتها او من خلال وسائطها الاعلامية . فعشية الاعتداء على بلدة حاصبيا وقرية دير العشائر في حزيران ١٩٧٢ حرص ابا ايبان ، وزير خارجية اسرائيل ، على « افهام » اللبنانيين في الجنوب الهدف من هذا الاعتداء بأنه « القضاء على المخربين والمتعاونين معهم فمتى **خرج المخربون من القرية وكف الاهالي عن التعاون معهم** تركهم جيش الدفاع الاسرائيلـي

يعيشون في أمان »(٥). والدعاوة الاسرائيلية توجه « الدعوة » الى اللبنانيين « للسخط » على الفدائيين حرصا منها على استقرار الشعب اللبناني فيذيع راديو اسرائيل (٢٣/٦/٧٢) ان « وكالات الانباء تتحدث عن التوتر المتزايد في أوساط الشعب اللبناني تجاه منظمات التخريب ، فالسخط الذي ساد سكان قرى الحدود موجه الى المخربين والسلطات اللبنانية التي لا تتخذ الاجراءات اللازمة لوقف نشاطات المخربين التي لا تقتصر على القيام بعمليات ضد اسرائيل بل **تسيء ايضا الى الامن الداخلي في لبنان والى راحة واستقرار الشعب اللبناني** . فمنظمات التخريب تعتبر نفسها دولة داخل دولة **ولا تحترم الحقوق الاساسية للشعب اللبناني** ». هذا الحرص المزعوم على استقرار الشعب اللبناني ، يكشف الاهداف ويعريها : استعداء السلطة في لبنان على المقاومة ، خلق التناقض بين الشعب في لبنان والمقاومة ، وتصعيد هذين الهدفين الى مرحلة الصدام المسلح الذي يكون فيه طرفا الصدام خاسرين لا محالة . وازاء هذا الخسران الذي يحيق بالطرفين ، المقاومة ولبنان ، تستطيع اسرائيل من ثم ان تخطو خطوات اخرى في تحقيق أهدافها الحقيقية في لبنان والتي هي ، هذه المرة ، غير معلنة ، اعلانا صريحا . ونعني بذلك* :

تقويض الاقتصاد اللبناني

لا يزال الاقتصاد اللبناني يرتكز بصورة رئيسية على قطاع الخدمات الذي يشكل حاليا ٦٧ ٪ من الناتج الوطني بينما تساهم الصناعة بنسبة ١٧ ٪ والزراعة ١١ ٪ والبناء ٥ ٪(٦) وتطور اقتصاد الخدمات هذا يتطلب استقرارا سياسيا حتى ينمو ويزدهر ، ففترات الاضطراب بالنسبة له هي فترات انكماش وتراجع بينما فترات الاستقرار هي فترات نمو كبير وازدهار .

ومن مقومات قطاع الخدمات في لبنان التجارة والسياحة وهذه الاخيرة تشكل دعامة قوية من دعائم الاقتصاد اللبناني وتبلغ نسبة مساهمتها في الناتج الوطني ١٥ ٪ وقد ارتفعت قيمة المقبوضات من السياحة من ٦٧٫٣ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٦٠(٧) الى ٥٨٠ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧١ وكان متوقعا ان تصل الى ٦٤٥ مليون ليرة لبنانية سنة ١٩٧٢ اي بمعدل زيادة قدره ١١ ٪(٨). لكن حالة عدم الاستقرار التي ولدتها الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان وموجة الانفجارات والاغتيالات السياسية التي تقف وراءها الاستخبارات الاسرائيلية قد اثرت على هذا القطاع تأثيرا مباشرا ولن يتوقع له هذه السنة نمو كبير كما كان منتظرا ودليل ذلك انخفاض عدد المصطافين العرب في المصايف اللبنانية هذه السنة(٩) والغاء الرحلات المقررة لبعض السياح الاوروبيين والامريكيين الى لبنان وبالتالي الغاء الحجوزات في فنادق بيروت والجبل التي تنتظر موسم الصيف حتى تعوض عن خسارتها في بقية فصول السنة .

ولا تكتفي اسرائيل بالاعتداءات على لبنان حتى تقوض اقتصاده بل تستغل وسائل اعلامها في الخارج ، ودالتها على بعض وسائل الاعلام في العالم الغربي ، لتشوش على لبنان وتمنع السياح من زيارته . وانشأت لهذا الغرض مكتبا خاصا في اوروبا الغربية لقراءة الصحف اللبنانية يوميا وجمع المعلومات عن حوادث السير والسرقة والقتل وانباء غلاء المعيشة ومن ثم ترجمة هذه المعلومات الى عدة لغات اجنبية وتوزيعها على مكاتب ووكالات السفر في مختلف انحاء العالم تحت عنوان: لبنان كما يراه أهله. . . فتأملوه(١٠). هذا نموذج عن رغبة اسرائيل في تقويض اقتصاد لبنان لتركيعه حتى يرضخ لجميع شروطها فيقيد تحركات المقاومة الفلسطينية على اراضيه تمهيدا لتصفيتها معنويا

---

* أعدت هذه المقدمة من قبل هيئة التحرير حيث ان المقال كتب أصلا قبل شهرين من تاريخ النشر .

وجسديا لكن يقظة الشعب اللبناني حالت حتى الآن دون الرضوخ للشروط الاسرائيلية المهينة للكرامة الوطنية .

الاهداف البعيدة

ان الهدف البعيد للاعتداءات الاسرائيلية على لبنان هو الاستيلاء على جنوبي لبنان وجزء من منطقة البقاع الواقع على السفح الشرقي لجبل الشيخ وذلك لعدة اسباب اهمها :

ــ وجود كميات وافرة من المياه (منابع الاردن ، نهر الليطاني ، نهر الزهراني وينابيع أخرى) تقدر بــ ٥٠٠ مليون متر مكعب في السنة تحتاج اليها اسرائيل لتحقيق مشاريع الاستيطان في جنوبي فلسطين .

ــ وجود اراض زراعية خصبة (سهل مرجعيون ، السهل الساحلي ...) تحتاج اليها اسرائيل لتوسيع الرقعة الزراعية لاراضيها .

ــ وجود أماكن أثرية غنية تمثل عدة حضارات تبغي اسرائيل الاستيلاء عليها لتنشيط السياحة الى اراضيها .

ــ أهمية هذه المناطق من الناحية العسكرية والاستراتيجية لامن الدولة الصهيونية .

وقضية مطامع اسرائيل هذه بالاستيلاء على بعض المناطق اللبنانية ، هي قضية طويلة يرتبط تاريخها مباشرة بتاريخ الحركة الصهيونية . وقد اتخذت هذه المطامع منذ ولادتها اتجاهين مختلفين ، سياسي واستيطاني . وسنعرض فيما يلي لخطة العمل التي اتبعها قادة الحركة الصهيونية في كل اتجاه كي يصلوا الى غايتهم .

الاتجاه السياسي

تؤكد جميع المقالات والبيانات والمذكرات الصادرة عن قادة الحركة الصهيونية في الفترة التي سبقت مباشرة الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان والانتداب البريطاني على فلسطين وشرق الاردن ، تؤكد جميعها رغبة الحركة الصهيونية في الاستيلاء على جنوبي لبنان وجبل الشيخ وسفوحه الشرقية الواقعة في لبنان وذلك استنــادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية والاستراتيجية . وسارت مطالبة الصهاينة وفق الخطة التالية :

أ ــ بتاريخ ٥ أيار سنة ١٩١٧ احتجت الحركة الصهيونية في نشرة فلسطين ، الناطقة باسمها ، على معاهدة سايكس ــ بيكو السرية التي اتفقت بموجبها بريطانيا وفرنسا على تقسيم المشرق العربي فكتبت تقول :

« ما من اتفاق ينص على تقسيم ارض فلسطين « القديمة » يمكنه ان يحوز على موافقة اليهود أو أن ينسجم مع أمانيهم القومية » .

وشددت النشرة على ضرورة توفر العوامل التالية في الارض التي ستمنح لليهود :

ــ سهولة الدفاع

ــ مساحة كافية للتوسع الاقتصادي

ــ شمول جميع المناطق التي قد تشكل مصدرا للمتاعب في المستقبل(١١) .

ب ــ بعد حصول اليهود على وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بدأت اللجنة الاستشارية لفلسطين ، (لجنة بريطانية تضم معظم الشخصيات الصهيونية) ، عملها لوضع مقترحات لحدود فلسطين في ٦ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وقدمت هذه اللجنة مقترحاتها استنادا الى العوامل التاريخية والاقتصادية والجغرافية وأصرت على أن تشمل الحدود الشمالية ، نهر الليطاني وجبل الشيخ(١٢) .

ج — في المذكرة الرسمية التي قدمتها الحركة الصهيونية الى مؤتمر السلام أصرت على شمول الحدود الشمالية على جنوبي لبنان وجبل الشيخ . تقول المذكرة :

ان حدود فلسطين سوف تتبع الخطوط العامة الموضوعة كما يلي : تبدأ من الشمال عند نقطة على البحر الابيض المتوسط بالقرب من صيدا وتتبع منابع المياه التي تنبع من سفوح سلسلة جبال لبنان حتى جسر القرعون ثم الى البير وتتبع الخط الفاصل بين حوض وادي القرن ووادي التيم ثم الى اتجاه جنوبي يتبع الخط الفاصل بين المنحدرات الغربية والشرقية لجبل الشيخ . . . (١٣) .

تعيد المذكرة الى الاذهان ما صرح به مرارا قادة الحركة الصهيونية في تلك الفترة وتوضح اصرارهم على شمول جنوبي لبنان وجبل الشيخ ضمن الحدود القومية للوطن اليهودي في فلسطين . وأعقبت المذكرة عدة ايضاحات من قادة الحركة الصهيونية تثبت جميعها اطماع الحركة بجنوبي لبنان وجبل الشيخ :

— في ٦ كانون الاول سنة ١٩١٩ حددت الحركة الصهيونية رغبتها في الاستيلاء على جنوبي لبنان وجبل الشيخ بقولها : « ان الحقيقة الاساسية فيما يتعلق بحدود فلسطين هي انه لا بد من ادخال المياه الضرورية للري والقوة الكهربائية ضمن هذه الحدود ، وذلك يشمل مجرى نهر الليطاني ومنابع مياه الاردن وثلوج جبل الشيخ »(١٤) .

وأرسل هيربرت صموئيل(١٥) رسالة الى احد اعضاء الوفد البريطاني في محادثات السلام في باريس يشرح فيها اهمية مستقبل فلسطين ويحدد عوامل النجاح لها فيقول : « ان نجاح مخطط مستقبل فلسطين بأسره يعتمد على مدى قدرة البلاد على استيعاب المهاجرين اليهود وهذا بدوره يعتمد على تطوير الصناعة والزراعة ، ويعتمد تحقيق ذلك على توفر المياه والقوة المائية ومن هنا كانت الحدود الشمالية المقترحة (من قبل مذكرة الحركة الصهيونية) حيوية للغاية »(١٦) .

وفي اجتماع ضم القاضي برنديس واللورد بلفور واللورد برسي والقاضي فرانكفورتر ، صديق الرئيس الاميركي نلسون ، المعروف بميوله الصهيونية ، اتفق المجتمعون على ان تحقيق الوطن القومي لليهود لا يتم الا بتوفير مساحة كافية لاستيعاب المهاجرين ، وتأمين مصادر المياه الواقعة في شمال البلاد(١٧) .

وفي اثناء انعقاد مؤتمر الصلح اتصل دافيد بن غوريون ووايزمن ، اول رئيس دولة لاسرائيل ، اللذان كانا في باريس لملاحقة مطالب الحركة الصهيونية ، بالبطريرك الماروني والذي كان بدوره في باريس للمطالبة بضم الجليل الاعلى ووادي النصارى الى دولة لبنان ، اتصلا به لاقناعه بالتخلي عن الجليل الاعلى وجنوبي لبنان لقاء وعد بمده بالمساعدات المالية والفنية كافة لتطوير لبنان الذي سيصبح دولة ذات اكثرية مسيحية فرفض البطريرك طلبهم وأصر على مطالبه(١٨) . فهذه الحادثة تثبت وسائل الترغيب التي اعتمدتها الحركة الصهيونية لسلخ جزء من لبنان من سيطرة الانتداب الفرنسي وضمه لسلطة الانتداب البريطاني حتى يسهل عليها انشاء المستوطنات الصهيونية فيه والاستيلاء عليه عند قيام الدولة الصهيونية في الاراضي العربية المغتصبة .

الا ان فرنسا أصرت على ان تكون الحدود الجنوبية والجنوبية الشرقية الفاصلة بين النفوذ الفرنسي والبريطاني خطا يمتد من رأس الناقورة على البحر الابيض المتوسط مرورا ببانياس حتى مدينة درعا السورية . وهكذا قطعت الطريق على مطامع الحركة الصهيونية في الاراضي اللبنانية والسورية معا . فأعلن قادة الحركة الصهيونية سخطهم على رضوخ الحكومة البريطانية الى المطالب الفرنسية ونددوا بهذا الاتفاق الذي افقدهم نهر الاردن ونهر الليطاني وجبل الشيخ وسهل حوران .

لكن قادة الحركة لم ييأسوا من امكانية تغيير الحدود بطريقة سلمية فحاولوا خلال الحربين العالميتين اقامة جاليات يهودية في الاراضي اللبنانية والسورية ، الا ان محاولتهم لاقت معارضة شديدة من السلطات الفرنسية التي رفضت رفضا باتا السماح للجاليات اليهودية بالاستيطان في الاماكن المحيطة بالحدود الفلسطينية تخوفا من المطامع التوسعية الصهيونية(١٩) .

رغم هذه النكسات لم تتخل اسرائيل عن محاولاتها للاستيلاء على منابع المياه ، فقد حاولت قبيل قيام دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨ شراء الاراضي المحيطة بمنابع الاردن ونهر الليطاني وذلك عن طريق سماسرة ماهرين الا ان محاولتها هذه باءت بالفشل(٢٠)، وفي سنة ١٩٤٨ احتلت اسرائيل جزءا من قضاء مرجعيون وبنت جبيل واصبحت على مشارف الليطاني لكنها تراجعت عنها بعد ان قامت الحكومة الفرنسية بالضغط عليها . وفي اتفاق الهدنة المعقود سنة ١٩٤٩ بين لبنان واسرائيل احتفظت اسرائيل بأجود الاراضي الزراعية التابعة للعديد من القرى الواقعة على الحدود اللبنانية الاسرائيلية منها اراضي قرى يارون ورميش وعيترون وبليدا وحولا والعديسه وكفركلا وميس الجبل ...

ومنذ ذلك الحين لا ينفك المسؤولون الاسرائيليون عن كشف نواياهم التوسعية بالاستيلاء على جزء من أراضي لبنان . ففي مطلع ايار سنة ١٩٥١ يصرح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل الان بما يلي : « لسنا من المهتمين بالنيل او بالفرات ولكننا نولي الاردن ومنابعه كل اهتمام »(٢١) وهذا يعني الاستيلاء على قضاء حاصبيا وراشيا ومرجعيون وجزء من البقاع الغربي . وفي مطلع سنة ١٩٥٥ نشرت مجلة ميدل ايسترن افيرز الاميركية الصهيونية مقالا جاء فيه : « كان من الواضح للاسرائيليين ان احلام تطوير النقب لا يمكن أن تتحقق بدون مياه الليطاني »(٢٢). وفي ٧ تموز سنة ١٩٦٧ بعد حرب الخامس من حزيران مباشرة صرح ليفي اشكول ، رئيس الوزراء آنذاك ، لمندوب جريدة الموند الفرنسية معلنا نواياه بالاستيلاء على مياه لبنان فيقول : « لا يمكننا ونحن بأمس الحاجة الى المياه ان نرى مياه نهر الليطاني تذهب هدرا الى البحر ، لقد اصبحت القنوات جاهزة في اسرائيل لاستقبال هذه المياه واستعمالها »(٢٣). ويجيب بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل الاسبق على رسالة الجنرال ديغول الذي بعث يسأله عن نوايا اسرائيل بالنسبة للبنان فيقول : « ان امنيتي في المستقبل جعل الليطاني حدود اسرائيل الشمالية » . واثر حرب الخامس من حزيران يصرح وزير الدفاع موشي دايان : « ان حدود اسرائيل اصبحت طبيعية على جميع الجبهات باستثناء لبنان » . ويضيف في تصريح آخر امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان السورية المحتلة فيقول : « ان الضفة الشرقية للاردن ولبنان وسوريا ستكون الفريسة التالية لاسرائيل » .

تصريحات المسؤولين الاسرائيليين في هذا الصدد عديدة وكلها تثبت نوايا اسرائيل بالاستيلاء على جنوبي لبنان لتأمين كميات المياه التي تحتاج اليها لتحقيق سياسة الاستيطان في النقب واستيعاب موجات الهجرة التي ترد اليها في السبعينات . وستشتد أزمة المياه في اسرائيل ابتداء من سنة ١٩٧٥ لان الطلب على المياه سيزيد على الكميات المتوفرة في البلاد(٢٤) . فلا بد اذن لاسرائيل ان تحسم الموقف قبل ذلك التاريخ . وتشير تطورات الاحداث على الجبهة اللبنانية بعد حرب الخامس من حزيران الى رغبة اسرائيل الملحة في الاستيلاء على جنوبي لبنان . لانها منذ ذلك التاريخ قامت باحتلال مزارع شبعا وشردت نحو ٥٠٠ شخص وأقفلت ابواب الرزق امام اهالي شبعا كما احتلت مشارف جبل الشيخ المطلة على شبعا ، ومشارف كفرشوبا وأنشأت مراكز مراقبة لها في الاراضي اللبنانية على طول الحدود وشقت اليها الطرقات .

لكن المسؤولين الاسرائيليين لا يفصحون عن كل الاسباب التي تدفعهم الى احتلال الاراضي اللبنانية فبالاضافة الى المياه التي تحتاج اليها اسرائيل هناك أهداف اخرى تدفع

باسرائيل الى الاسراع بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية منها :

ـــ الاستيلاء على الاراضي الزراعية الخصبة لا سيما السهل الساحلي حيث تزدهر بساتين الحمضيات التي تشتهيها اسرائيل لتقضي من جهة على دعامة قوية من دعائم الزراعة وتزيل من جهة اخرى منافسا قويا لها في اسواق أوروبا الشرقية والاسواق العربية ايضا حيث تطمع اسرائيل بتسريب حمضياتها اليها عن طريق سياسة « الجسور المفتوحة » بينها وبين الاردن وذلك تحت ستار « منتجات الاراضي العربية المحتلة »(٢٥).

ـــ التمركز في الجنوب لاهميته العسكرية والاستراتيجية لحماية أمن الدولة الاسرائيلية كي تمنع المقاومة والجيوش العربية من التمركز فيه وتهديدها تهديدا مباشرا .

ـــ تفتيت كيان لبنان تمهيدا لانشاء اول دولة من سلسلة الدول الطائفية التي فضحها كتاب « خنجر اسرائيل » حين نشر مضمون الوثيقة السرية التي كانت تنوي اسرائيل تحقيقه في المشرق العربي بالتعاون مع حلف بغداد سابقا كي تخلق حولها حزام أمن مركبا من دويلات طائفية صغيرة تدور في فلكها. يشكل هذا الهدف اخطر تجد تقوم بتنفيذه اسرائيل لضرب أماني الشعوب العربية في تحقيق الوحدة وذلك عن طريق اثارة النعرات الطائفية لدى الاقليات حتى تسلخها عن وحدة المصير مع الشعوب العربية . وقد يتجاوب معها بعض غلاة الطائفية الانعزاليين الذين يطمحون منذ زمن الى انشاء مثل هذه الدويلات .

٢ ـــ الاتجاه الاستيطاني

هذا الاتجاه ملازم للاتجاه السياسي ويرمي الى انشاء مستوطنات صهيونية في الاراضي التي يطمع قادة الحركة الصهيونية بالاستيلاء عليها لفرض سياسة الامر الواقع ، وتجلت هذه السياسة بالاحداث التالية :

أ ـــ اقام المستوطنون الصهيونيون بين سنتي ١٨٨٢ و١٨٩٦ خمس مستوطنات في الجليل الاعلى المتاخم للحدود اللبنانية قرب حوض نهر الحاصباني والليطاني . بلغت مساحة هذه المستوطنات في عام ١٩١٥ ٨٤٥٣٠ دونما(٢٦) منها ما يقارب الثلث كان واقعا ضمن الاراضي اللبنانية في سهل مرجعيون وخراج قرية دير ميماس اللبنانية المشرفة على حوض الليطاني قرب قلعة الشقيف .

ب ـــ اشترى السماسرة اليهود بين سنتي ١٩١٦ و١٩٢١ القرى اللبنانية التالية : ضلحا ، هونين ، طبريخا ، الصالحة ، واستطاعت المنظمات الصهيونية بما لديها من نفوذ ان تضم هذه القرى الى فلسطين بعد تعديل للحدود جرى بين بريطانيا وفرنسا في سنة ١٩٢٣ . وقد شمل هذا التعديل طول الحدود اللبنانية وتم بموجبه سلخ بعض الاراضي الزراعية الخصبة التي كانت تابعة للبنان(٢٧).

ج ـــ نجح اليهود بين الحربين العالميتين في ان يبتاعوا قرية المنارة التي تقع على مرتفع يشرف على الجزء الجنوبي من جبل عامل والتي كان يملكها اقطاعي لبناني ، وامتياز تجفيف بحيرة الحولة والمستنقعات المجاورة لها والذي كان يملكه اثنان من تجار بيروت حصلا عليه في حزيران سنة ١٩١٤ من الدولة العثمانية وقبضا ثمنه ١٩٢٠٠٠ ليرة فلسطينية من شركة ترقية الاراضي في فلسطين(٢٨)، وهي شركة يهودية لعبت دورا بارزا في الاستيلاء على الاراضي العربية في فلسطين التي كان يملكها اقطاعيون كبار وذلك باغرائهم بمبالغ ضخمة من المال . وكان الغرض من شراء قرية المنارة وامتياز الحولة السيطرة على حوض الاردن والليطاني معا .

د ـــ عام ١٩٤١ تقدمت احدى الشركات الصهيونية بطلب الى الحكومة اللبنانية لاعطائها امتيازا لاستغلال مياه لبنان وتزويد القرى اللبنانية بالماء والكهرباء(٢٩) على غرار

الامتيازات التي حصلت عليها بعض الشركات الصهيونية من الحكومة البريطانية المنتدبة على فلسطين . الا ان الحكومة اللبنانية تنبهت الى نوايا الصهيونيين ورفضت اعطاء الامتياز حفاظا على الثروة المائية اللبنانية .

لكن الحركة الصهيونية لم تيأس من فشلها في الحصول على امتيازات لاستغلال مياه لبنان وقد مارست ضغوطا غير مباشرة منذ ذلك الحين على الحكومة اللبنانية لمنعها من تنفيذ مشاريع الري المقررة في حوض الحاصباني والليطاني . ويلمس هذه الحقائق كل من رافق قضايا الري في الجنوب ويدرك مدى الضغوط التي مارسها البنك الدولي ولا يزال لعرقلة تنفيذ مشاريع الري في الجنوب من الليطاني والحاصباني وذلك عن طريق المماطلة بطلب دروس جانبية عن المشروع قبل المباشرة به . ومنذ ذلك التاريخ اشبع المشروع درسا وما يزال البنك الدولي متمنعا عن اعطاء القروض لتمويل تنفيذ اشغال الري لكنه كان سخيا باعطاء القروض لتمويل محطات توليد الكهرباء من الليطاني . ما هي الغاية اذن من تأخير ري الجنوب من الليطاني لولا الضغوط الاسرائيلية لمنع لبنان من الاستفادة من مياه هذا النهر كي تستولي عليه وتجر مياهه الى النقب ؟

تدل هذه الاحداث وغيرها من الاحداث المشابهة التي جرت قبيل انشاء دولة اسرائيل على مطامع الحركة الصهيونية الجدية بالاستيلاء على الاراضي اللبنانية بواسطة فرض سياسة الأمر الواقع التي لا يزال يتبعها المسؤولون الاسرائيليون في الاراضي العربية التي احتلوها في حرب الخامس من حزيران عن طريق انشاء المستوطنات الصهيونية فيهـا .

خاتمة

من الواجب اذن ان يدرك اللبنانيون جميعا ان الاطماع الاسرائيلية بالاستيلاء على جنوبي لبنان والجزء الجنوبي الشرقي من البقاع ليست وهما بل حقيقة واقعة تاتي في طليعة اهتماماتها في المستقبل القريب كما صرح بذلك وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان ، امام اتحاد شباب الكيبوتز في هضبة الجولان المحتلة : « ... سيكون لبنان الفريسة التالية لاسرائيل » . ومن المهازل ان اسرائيل تجهر بنيتها هذه أمام الملأ دون خوف أو حياء بينما لا تزال فئة من الشعب اللبناني ، أعماها التعصب ، تصر بأن اسرائيل لا تطمع بأي شبر من الاراضي اللبنانية ولا تريد للبنان الا الخير والازدهار الاقتصادي شرط ان يطرد الفدائيون من اراضيه . وتصر هذه الفئة ايضا على الاعتقاد بأن الخطر الحقيقي الذي يهدد كيان لبنان واستقراره كامن في الدول العربية « ذات الانظمة التقدمية » وي الفدائيين الفلسطينيين الذين جلبوا الويل والدمار الى لبنان منذ ان وطئت اقدامهم اراضيه . لقد وقعت هذه الفئة في فخاخ الدعاية الصهيونية لكن قد آن لهذه الفئة ان تفيق من غفلتها على صدى تصريحات المسؤولين الاسرائيليين بالاستيلاء على جنوبي لبنان . آن لها ان تعي ان الخطر الحقيقي والوحيد على لبنان هو التهديد الاسرائيلي لانها تطمع بأرضنا ومياهنا وخيراتنا ، وان الدول العربيـة والفدائيين هم حلفاؤنـا الطبيعيون لاننا مرتبطون معهم بوحدة الحياة والمصير وتقضي الظروف التي نعيشها بأن نتعاون معا لردع العدو المشترك قبل ان يشردنا من ارضنا ونصبح لاجئين في الخيام .

---

١ ــ حديث الى الاذاعة الاسرائيلية يـوم ٧٢/٩/١٧ ، نشرة رصد اذاعة اسرائيـل الصادرة عن مركز الابحاث ، العدد ٤٢ .

٢ ــ المصدر نفسه .

٣ ــ المصدر نفسه .

٤ ــ المصدر نفسه .

٥ ــ تصريح نقلته الاذاعة الاسرائيليـة في ٧٢/٦/٢٧ .

٦ ــ Henri Durane, *Options pour une polotique de développement au Liban*, 1971, p. 4.

٧ ــ ميزان المدفوعات اللبناني ١٩٦٠ــ١٩٦٩ ،

منشورات مديرية الاحصاء المركـزي في وزارة التصميم العام ١٩٧١ ، ص ٨٦ .

٨ — *Le Commerce du Levant,* Edition Mensuelle,, Juillet 1972.

٩ — جريدة **النهـار** عدد ٧/٨ و١٥/٧/١٩٧٢ .

١٠ — جريدة **الجريدة** في ٢٤/٦/١٩٧٢ .

١١ — مجلة **فلسطين** ، الجزء الاول ، العدد ١٥، ٥ ايار ١٩١٧ .

١٢ — فريسكو سر رعنان ، **حدود وطن** ، لندن ١٩٥٥ ، ص ١٠١ .

١٣ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٥ .

١٤ — **فلسطين** ، الجزء السادس ، عدد ١٧ .

١٥ — هيربرت صموئيل ، أحد أقطاب السياسة البريطانيين ، يهودي صهيوني عين اول مندوب سام بريطاني على فلسطين .

١٦ — **وثائق الحكومة البريطانية عام ١٩١٩** ، الجزء الرابع عدد ١٩٧ ، المادة الثالثة ، ص ٢٨٥ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٢٧٦ .

١٨ — ذكر الحادثة النائب ريمون اده في بيانـه سنة ١٩٦٨ ، وقال انه اطلع عليها في وثائق البطريركية المارونية في بكركي .

١٩ — رعنان ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٩ .

٢٠ — جريدة **النهار** ، ١٣ ايلول ١٩٤٥ .

٢١ — **جيروزاليم بوست** ، ٢ ايار ١٩٥١ .

٢٢ — **ميدل ايستزن افيرز** ، المجلد السادس ، العدد الاول ، كانون الثاني ١٩٥٥ .

٢٣ — **الموند** ، ٧ تمز ١٩٦٧ .

٢٤ — *Quaterly Economic Reviews,* Israel 1969, No. 1 , p. 13.

٢٥ — لمعرفة المزيد عن هذا الموضوع راجـع الدراسة التي صدرت لنا عن مركز الابحاث الفلسطينية في سلسلة دراسات فلسطينية عن الحمضيات في الاراضي المحتلة .

٢٦ — Dr. A. Rupin, *Syrien Als Wirschafsgebiet,* traduit en Français par Georges Shaïb, Beyrouth, p. 108.

٢٧ — عبدالله عاصي ، **صراعنـا مع اسرائيل** ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشـر والتوزيع ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٤ .

٢٨ — سعيد حماده ، **النظام الاقتصـــادي في فلسطين** ، جامعة بيروت الامريكية ، بيروت ١٩٣٩ ، ص ١٤٥ .

٢٩ — عبدالله عاصي ، **المصدر السابق**، ص ٩٧.

مرحلة الركود القادمة في الاقتصاد الاسرائيلي

كين ميركورد

ما زالت اسرائيل تتلقى ، منذ قيامها ، سيلا من رؤوس الاموال . فقد حصلت على ما يزيد عن احد عشر بليون دولار مكنتها من تغطية فائض الاستيراد الدائم لديها ، ذلك ان فائض الاستيراد على التصدير يعطي الاسرائيليين مستوى معيشة مرتفعا بصورة « اصطناعية » فمن غير الطبيعي ان تستهلك اي دولة اكثر مما تنتج ، وحين يتوقف هذا السيل من التمويل الخارجي ، عاجلا او آجلا ، ستضطر اسرائيل الى تخفيض مشترياتها من البضائع الاجنبية بحيث يتساوى الاستيراد مع التصدير وهذا يؤدي الى تقلص في الاستهلاك المحلي ، اي الى هبوط في مستوى المعيشة . وعلى حد تعبير احد كبار الاقتصاديين الاسرائيليين بانه اذا كان استيراد رأس المال بمثابة « القوة الدافعة في الاقتصاد الاسرائيلي »(١)، فان الحصيلة النهائية للتوقف التام لهذا الاستيراد قد تكون اشد اثارة من مجرد تدني مستوى المعيشة . فبما ان الصناعة الاسرائيلية تتوجه ، بالدرجة الاولى لتلبية احتياجات السوق المحلية خاصة في مجالات السكن والنقل والملابس معتمدة على سيل رؤوس الاموال المتدفق نحوها من الخارج ، فان الركود الذي سيسببه توقف اجتذاب رؤوس الاموال ، سيؤدي الى البطالة وبالتالي الى تخفيض القوة الشرائية للمستهلك ، الامر الذي سيزيد من ضغط الركود . وهذا بدوره سيؤدي الى مزيد من البطالة والى تدن اكبر في مستوى البحبوحة العامة ، والى تغليب الهجرة من اسرائيل على الهجرة اليها .

لقد تنبه الاقتصاديون الصهيونيون لهذا الخطر منذ ان بدأ الصندوق القومي اليهودي في تمويل الكيبوتزات في الايام الاولى للانتداب . وما برح الاقتصاديون يحذرون من انه « لا توجد ضمانة لاستمرار تدفق رأس المال الخارجي الوحيد الجانب الى ما لا نهاية . وبالتالي فان على اسرائيل ان تكيف نفسها بالتدريج ، والشروط الضرورية لتحقيق الاستقلال الاقتصادي حتى لا تجد نفسها في مواجهة هذا الوضع الصعب »(٢). وقد جرت اول محاولة اسرائيلية في اتجاه الوصول الى الاستقلال الاقتصادي عام ١٩٦٥ . احست الحكومة الاسرائيلية حينئذ بالقلق بسبب حدوث زيادة بلغت ١٣٥ مليون دولار على فائض الاستيراد، فقررت ان لا مفر من احداث تحول جذري في سياستها الاقتصادية « لتفادي انهيار اكبر ، وخطر اشد بعد سنوات قليلة »(٣). واصبحت الحالة حادة ، بصورة خاصة ، عندما كانت الزيادة في الواردات تؤدي الى ارتفاع حاد في ديون اسرائيل الخارجية لان فائض الاستيراد كان يغطى كليا ، الى حد ما ، من خلال زيادة القروض الخارجية والاستثمارات . ولهذا ، وبقصد تخفيض العجز في ميزان المدفوعات ، أقرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٥ قيودا على سياستها المالية والنقدية فوضعت حدا لنمو الاعتمادات المالية والمشاريع الانشائية العامة الجديدة . كان لهذا التحول اثر ايجابي فوري على العجز في الميزان التجاري اذ انخفض فائض الواردات من ٥٧٠ مليون دولار عام ١٩٦٤ الى ٤٥٢ مليون دولار عام ١٩٦٦ . لكنه ادى ، من ناحية اخرى ، الى اول

ركود في الاقتصاد الاسرائيلي . ومع ان الناتج القومي الاجمالي لاسرائيل استمر في النمو ، الا ان نموه كان اقل بكثير منه في السابق . ففي عام ١٩٦٦ ازداد باقل من ١ ٪ . وبسبب النمو في السكان فقد كان هذا يمثل انخفاضا يبلغ ١،٩ ٪ اذا قيس على اساس الدخل الفردي . اما الانتاج الصناعي فلم يشعر بوقع السياسة الجديدة فورا فبلغ ذروته في شباط ١٩٦٦ . لكنه انخفض باستمرار بعدئذ الى ان بلغ انخفاضه اكثر من ١١ ٪ في نهاية السنة . غير ان عماد الصناعة الاسرائيلية ، وهي صناعة البناء ، التي تتأثر خاصة بتدفق الرساميل الخارجية ، فقد عانت من نكسة اشد اذ انخفضت نشاطات البناء بنسبة ٢٣ ٪ عام ١٩٦٦(٤) . ومنذ ذلك الوقت وبعض الاقتصاديين الاسرائيليين يعزون هذا البطء الاقتصادي الى انخفاض الهجرة التي تطابقت واياه . الا ان السبب الحقيقي كان قرار الحكومة في الاقلال من اعتماد البلاد على استيراد الرساميل . اما الانخفاض في الهجرة من ٥٢،٠٠٠ عام ١٩٦٤ الى ١٤،٠٠٠ عام ١٩٦٦ فقد كان نتيجة الفتور الاقتصادي بقدر ما كان سببه . ففي عام ١٩٥٨ عندما انخفض عدد المهاجرين بشكل اشد دون ان يرافق ذلك فتور اقتصادي يثبت ان تدفق الرساميل وليس المهاجرين هو عماد البحبوحة الاسرائيلية . ومع نهاية ١٩٦٦ خشي زعماء الحكومة نتائج سياسة القيود اكثر من خشيتهم الاغراق في المعضلات المالية واعادوا اقرار سياسة توسعية . ورغم ذلك فقد ازداد الركود ، فانخفضت نشاطات البناء الى نصف ما كانت عليه قبل الركود . وفي ربيع ١٩٦٧ بلغت نسبة البطالة ١٠ ٪ من القوى العاملة واضطرت الحكومة الى استئناف اعالة العاطلين عن العمل(٥) رغم كدر الاسرائيليين الواعين لاهمية الدعاية ولأثر مثل هذه الخطوة على الصورة التي تحاول اسرائيل ان تنسجها لنفسها في الخارج .

واثر حرب حزيران ، انصبت اعانات يهود العالم بشكل لم يسبق له مثيل . فقفزت التحويلات الصافية ، وهو حساب ميزان المدفوعات الذي تدخل في عداده الهبات التي تتلقاها اسرائيل من مصادر مختلفة ، الى ٥١١ مليون دولار عام ١٩٦٧ ، اي ما يقرب من ضعف ما تلقته اسرائيل عام ١٩٦٦ . وقد حفز هذا الدفق من الرساميل الصناعة الاسرائيلية الى استرداد نشاطها فورا . وفي نهاية ١٩٦٧ انخفضت البطالة الى نسبة مقبولة . وفي منتصف ١٩٦٨ ارتفعت نسبة الهجرة الى اسرائيل للمرة الاولى في ثلاث سنوات . وسرعان ما نسي الاسرائيليون الايام السوداء لما قبل الحرب وعمت موجة من التفاؤل الجديد توقعات الاقتصاديين الاسرائيليين بشأن المستقبل . وكانعكاس للنشاط الذي ولده انتصار اسرائيل في ساحة المعركة ، وضعت هيئة التخطيط الاقتصادي برنامج انماء رباعي في عام ١٩٦٨ يدعو الى تخفيض مستمر في العجز التجاري الى ٣٩٥ مليون دولار بحلول عام ١٩٧١(٦) . اما النتيجة فقد كانت ارتفاعا حادا في العجز التجاري بدلا من انخفاضه منذ حرب حزيران . وفي عام ١٩٧١ بلغ العجز ١٢٠٤ مليون دولار وينتظر ان يزداد ١٣٠ مليون دولار هذه السنة(٧) . ان التباعد ما بين التوقعات في خطة ١٩٦٨ وواقع التجربة الاسرائيلية ، يظهر ان حرب حزيران ، بدلا من ان تكون خلاص اسرائيل الاقتصادي فانها اغرقتها في مشكلات اقتصادية أعمق . وتحت الحاح الضغط لتلبية مدفوعات دفاعية أكبر وتحقيق مستوى معيشة أعلى من أي وقت مضى ، ازداد ارتباط اسرائيل ، بدلا من ان يقل ، باستيراد الرساميل منذ ١٩٦٧ . اما ازدهار اسرائيل الظاهري فما هو الا واجهة تخفي وراءها نفس المشكلات التي سببت ركود الـ ٦٥ — ٦٧ واعتمادها على استيراد الرساميل . والى ان تصحح اسرائيل ما دعاه أحد الاقتصاديين بـ « الفشل الرئيسي في سياسة اسرائيل الاقتصادية »(٨) اي العجز التجاري الدائم ، فسوف تبقى مدعومة اقتصاديا .

ان الوسيلة التي تفضل اسرائيل ، بواسطتها ، تخفيض فائض الاستيراد وبالتالي تبعيتها

للدعم الخارجي ، هي زيادة صادراتها . وبسبب الامكانيات المحدودة لزيادة صادراتها الزراعية ، ركزت على تطوير صناعتها . وبالنظر الى امتلاكها موارد طبيعية قليلة ، اتجهت الى الامعان في تكثيف استغلال اسرائيل لتفوقها النسبي خاصة في ميدان الصناعات ذات القاعدة العلمية وتلك التي تتطلب مستوى عاليا في مهارة الاختصاص والدراية »(٩). ووضع نظام حوافز لصناعات مثل الصناعات الكيمائية والكهربائية وصناعة الطائرات يقصد زيادة صادراتها . ويدخل في عداد الحوافز معونات مالية ضخمة من قبل الحكومة الاسرائيلية . وبالرغم من المقالات البراقة في الصحافة الاسرائيلية والغربية لمنجزات معهد التخنيون وصناعات الطائرات الاسرائيلية ، وشركة سور فان للطاقة الاشعاعية ومؤسسات مماثلة ، فان تكنولوجيا اسرائيل المتقدمة وصناعاتها المتوجهة للتصدير ، ما عدا استثناء واحدا ، لم تستطع ان تحقق مساهمة كبيرة في دخل اسرائيل من المدفوعات الخارجية . فصناعات الطائرات الاسرائيلية تقدم نموذجا عن مثل هذه الصناعات . فبعد انفاق مبلغ ٦٥ مليون ليرة اسرائيلية لتطوير الـ عرفا Arava ، وهي طائرة تجارية معدة للتصدير ، لم تستطع صناعات الطائرات الاسرائيلية ان تحرز طلبا واحدا من الخارج لهذه الطائرة وطلبت لجنة الكنيست المالية من هذه الشركة التوقف عن انتاجها(١٠). ويبدو من الطبيعي ان تلاقي اسرائيل صعوبة في منافسة غيرها في السوق العالمية في ميدان المنتجات المعقدة عندما تكون دولة كالولايات المتحدة التي تملك اضعاف ما لاسرائيل من طاقات بشرية وثروات طبيعية وتخصص بلايين الدولارات للابحاث العلمية ، تواجه صعوبات في منافسة دول متقدمة تكنولوجيا .

اما النجاح الوحيد في صناعات اسرائيل التصديرية فقد تمثل في صناعة صقل الالماس التي نمت من حجم متواضع قبل الحرب العالمية الثانية لتحتل المركز الاول في قائمة صادرات اسرائيل . الا ان مساهمة صناعة صقل الالماس في الدخل القومي الاسرائيلي ليست بقدر قيمة تصدير الالماس . فالقيمة المضافة بفضل الصقل في اسرائيل هي فقط ١٦ ٪ من قيمة التصدير . فقد تم في عام ١٩٧٠ تصدير الماس بمبلغ ٢٠٢ مليون دولار ، لكن القيمة المضافة بسبب الصقل في اسرائيل كانت ٣٩ مليون دولار فقط(١١). ولما كان متوسط القيمة المضافة في صناعات اسرائيل التصديرية الاخرى يبلغ ٥٦٪ فقد الح الاقتصاديون مرارا ، لكن دون جدوى ، على ضرورة التنويع في الصناعة الاسرائيلية . فصناعات اسرائيل التصديرية ما زالت تحتفظ بطبيعة « الغلة الواحدة » اذ يشكل الالماس ما يزيد على ٥٠٪ من مجموع صادراتها الصناعية(١٢). فالنسبة العالية المستمرة للالماس من مجموع الصادرات دليل فشل الصناعات التصديرية الاخرى اكثر منه اشارة الى نجاح صناعة صقل الالماس . اذا بقيت اسرائيل عاجزة عن تخفيض فائض وارداتها عن طريق زيادة صادراتها فان البديل الوحيد هو تخفيض وارداتها ويمكن تحقيق هذا بدون نسف مستوى معيشة الاسرائيليين اذا امكن تخفيض استيراد المعدات الحربية . ولكن طالما ان اسرائيل عاجزة عن انتاج الاسلحة المعقدة التي تحتاجها فان تخفيض الواردات العسكرية لا يمكن الا ان يتبع تخفيضا في مجمل المصروفات الدفاعية . الا انه لا يحتمل حدوث تغيير في ميزانية الدفاع حتى في ظروف وقف اطلاق النار الراهنة اذ حذر الاسرائيليون زعماءهم من ذلك مرارا . وهناك تقدير يتميز بالتفاؤل اذ تتوقع خطة التنمية للفترة ١٩٧٢ ـــ ١٩٧٦ ، الصادرة عن سلطة التخطيط الاقتصادي ، حدا ادنى من الهبوط السنوي بنسبة ١٠ بالمئة في نفقات الدفاع في فترة خمس السنوات القادمة . وهكذا فان تخفيض اسرائيل لوارداتها يتضمن تخفيض أو على الاقل «تسوية» مستوى معيشة الاسرائيليين لان الواردات الوحيدة التي يمكن تخفيضها هي الاستثمار والبضائع الاستهلاكية . الا ان هذه طريقة مؤلمة كما تبين من المحاولة التي جرت في

العام ١٩٦٥ لتخفيض اعتماد اسرائيل على استيراد رؤوس الاموال بهذه الطريقة .
وعلى حد قول محافظ بنك اسرائيل السابق فانه « على اساس الايصالات غير المدفوعة يتشكل مستوى معين من المعيشة (والعمالة) والاستثمار ويبرز شكل جامد من اشكال الاستثمار . هذا وان اصعب مهمة اليوم أمام أي بلد هي تعديل هذا الشكل الجامد علما ان اية محاولة للقيام بذلك تثير حتما مضاعفات اجتماعية واقتصادية خطيرة على مستوى الانتاج واليد العاملة المستخدمة »(١٢) .

فقد ابتدأت الحكومة الاسرائيلية مؤخرا سياسة نقدية ومالية تعاقدية مماثلة لتلك لسنة ١٩٦٥ بالرغم من مخاطرها على الاستقرار الداخلي . وبعد نقاش لاذع حول مخصصات الدفاع اقرت الحكومة الاسرائيلية للمرة الاولى في تاريخ اسرائيل ، ميزانية في شباط ، تقل في قيمتها الحقيقية عن سابقتها ، « الامر الذي لم يكن قبلا جوهريا »(١٤) على حد تعبير الوزير سابير . فقد خفضت مخصصات الدفاع من ٦٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية الى ٥٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية . اما مخصصات وزارة الاسكان فقد خفضت بمقدار الثلث كما اعلن عن تجميد قطاع المواصلات . ولدفع سياسة مقاومة التضخم ، اقرت اللجنة الوزارية الاقتصادية مؤخرا تجميد جميع المشاريع العامة للانشاء والانماء وزيادة ٣ ٪ في السلفيات الموجهة(١٥) .

لقد اظهر الاقتصاديون الاسرائيليون من جديد تكتمهم حيال السبب الحقيقي لمشاكل اسرائيل الاقتصادية عندما عزوا ضرورة سياسة الانكماش الحالية الى الزيادة السريعة في الاجور والاسعار . لكن التضخم الحالي ، شأن الانخفاض في عدد المهاجرين الى اسرائيل عام ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ ، هو مظهر لمشكلات اسرائيل الاقتصادية اكثر منه سببا لها . انه نتيجة طبيعة لجهود الاسرائيليين للحفاظ على مستوى معيشتهم في وجه جهود الحكومة الرامية الى تقليص الاستهلاك الداخلي وخفض كلفة الانتاج الاسرائيلي بقصد انقاص فائض الاستيراد . اما المسؤول الحقيقي فهو تدفق الرساميل الذي مكن الاسرائيليين من بلوغ هذا المستوى المتضخم للمعيشة الذي يترددون كثيرا في تركه .

ان التغير في تركيب الرساميل المستوردة الى اسرائيل بالاضافة الى ٢٥٠ ٪ من الزيادة في الاستيراد منذ ١٩٦٧ هو الذي حتم التحول في سياسة اسرائيل . فقبل حرب حزيران كان ٧٠٪ من المبالغ التي وصلت اسرائيل مدفوعات محولة دون اي عبء على الاقتصاد بما انها لا تتضمن موجبات ايفاء . اما اليوم فان حساب القروض يبلغ ٥٠٪ من استيراد الرساميل(١٦) . اذ ان قدرة يهود العالم قد استنزفت فاضطرت اسرائيل الى التوجه الى حكومة الولايات المتحدة لتغطية نسبة متزايدة باستمرار من اعباء ديونها .
لقد ابتدأ التحول نحو المساندة المباشرة من الحكومة الاميركية عام ١٩٧٠ عندما قفزت قروض الولايات المتحدة الى اسرائيل من ٩٢ مليون دولار عام ١٩٦٩ الى اكثر من ٣٠٠ مليون . فالقرض الضخم الاول ، ٥٠٠ مليون دولار الذي اقر في خريف ١٩٧٠ أتى في وقت صعب جدا عندما انخفض احتياطي العملات الاجنبية اكثر من ٥٠ ٪ عن رقم ١٩٦٧ ولم يكن كافيا حتى لتغطية واردات شهرين . اما وزير المالية الاسرائيلي بنحاس سابير فاشار فيما بعد الى انه لم يستطع ان يرى كيف « يمكن لاسرائيل ان تواجه المصاريف الخارجية الضخمة من دون قرض الـ ٥٠٠ مليون دولار »(١٧) . وهذا يؤكد ان الاعتماد على المساعدة الاميركية ما زال من المتطلبات المستمرة . فقد تلقت اسرائيل ١١٠٠ مليون دولار من حكومة الولايات المتحدة في السنتين الاخيرتين(١٨) . والمساعدة الاميركية المستمرة لاسرائيل تقدر بنحو نصف بليون دولار في السنة .

ادت تغطية القروض الاميركية لفائض الاستيراد المتزايد الى ارتفاع ديون اسرائيل الخارجية الى ما يزيد على ٣،٥ بليون دولار ، اي اكثر من ضعف رقم ١٩٦٧ . ومعظم هذه الزيادة تمت في السنتين الاخيرتين عندما ارتفعت الديون بمقدار ٧٠٠ مليون دولار

في العام . وهي ترتفع بالقدر نفسه،وينتظر ان تبلغ ٤،٢ بليون دولار في نهاية هذا العام. وبازدياد الديون ، يتوجب على اسرائيل ان تحول المزيد من مواردها من الاستثمارات والاستهلاك الى ابقاء ما استحق من ديونها . فقد خصص ٢٢٪ من الميزانية المقرة في شباط الماضي لتسديد القروض ، اي انها حلت في المرتبة الثانية بعد مخصصات الدفاع واكثر مما رصد للاسكان والتعليم والخدمات الاجتماعية مجتمعة(١٩). واذا توخت اسرائيل تجنب ايفاءات أكبر في المستقبل فما عليها الا ان تقلل من اعتمادها على القروض الخارجية بتخفيض فائض استيرادها .

وقد تنبه الزعماء الاسرائيليون الى هذا الواقع منذ زمن طويل . اما الذي حدا بهم الى اعتماد سياسة شد الحزام في هذا الوقت بالذات فربما كان الضغط من الولايات المتحدة. وبازدياد ديون اسرائيل تجاه الولايات المتحدة ، اشتد قلق الاخيرة على قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على البقاء .

الا انهم يحبون ان يروا الاتجاه مقلوبا . ومن جهة أخرى ، فان الذافع قد يأتي من الاسرائيليين انفسهم الذين يدركون ان الاتكالية الاقتصادية تستتبع فقدان الاستقلال السياسي . ان اسرائيل ليست راغبة في أن ترى ارادتها مكبلة باتكالها على الدعم المالي الاميركي مهما كانت ثقتها في خليفتها المخلصة . ومهما كان سبب سياسة التحفظ الجديدة فان الشهور الستة القادمة لا بد ان تكشف ما اذا كانت هذه المحاولة للتقليل من اعتماد اسرائيل على رؤوس الاموال المستوردة ستؤدي ، مثلما حدث من جراء المحاولة الاولى في العام ١٩٦٥ ، الى الركود . وهناك الان بعض الدلائل على هذا الاتجاه . ففي النصف الاول من هذا العام انخفض نمو الانتاج الصناعي الاسرائيلي قليلا(٢٠)، ولقد انخفضت عمليات انشاء الابنية انخفاضا حادا مثلما حصل لعدد من عرب المناطق المحتلة العاملين في اسرائيل(٢١) . وقد ارتفع هذه السنة مجمل عدد المهاجرين . الا ان الهجرة من البلدان غير الشيوعية ، وهي الاهم من وجهة النظر الاقتصادية لان المهاجرين من هذه البلدان يحملون معهم رؤوس اموال ، انخفضت بمعدل ١٠ بالمئة(٢٢). وقد حذر بنحاس سابير ، وزير المالية الاسرائيلي ، من انه كلما بقيت الضغوطات التضخيمية قوية فان « اجراءات مؤلمة » اضافية قد تدعو الحاجة لاتخاذها .

من الممكن ان تنقذ اسرائيل من حالة الركود الماثلة في الافق اما بحرب أخرى او معونة اميركية جديدة او اكتشاف نفط في النقب . لكن من شأن كل هذا ان يؤجل اليوم الذي يتوجب على اسرائيل فيه ان تصبح مستقلة اقتصاديا . فكلما سمحت اسرائيل لنفسها بتحويل فائض استيرادها باستيراد الرساميل ، كلما ازدادت مشقة تكيف الاسرائيليين مع الوضع عندما يتوقف استيراد الرساميل . ففي ذلك اليوم المصيري قد يظهر ان هذا الدفق من الرساميل ليس فقط سبب بحبوحة اسرائيل ولكنه مسؤول عن وجودها ايضا.

---

١ ــ دافيد هوروفيتز، **ملحق جيروساليم بوست**، ١٩٦٧/١/٢٠ ص ٤ .

٢ ــ دافيد هوروفيتز ، **اقتصاد اسرائيل** ، اوكسفورد بيركامون برس ، ١٩٦٧ ص ٤ .

٣ ــ **ملحق جيروساليم بوست** ، ١٩٦٧/١/٢٠ ص ٤ .

٤ ــ **التقرير السنوي ١٩٦٦** ، بنك اسرائيل ، القدس ١٩٧١ ، ص ١٣ .

٥ ــ **يو اس نيوز اندورلد ريبورت**١٩٦٧/٤/١٧، ص ٧٣ .

٦ ــ **انماء اسرائيل الاقتصادي** ، وزارة التصميم ، القدس ١٩٦٨ ، ص ٥ .

٧ ــ **جيروسالم بوست الاسبوعية** ، ١٩٧٢/٢/٢٩ ، ص ٧ .

٨ ــ دون باتنكين ، **اقتصاد اسرائيل : العقد الاول** ، القدس ، مشروع فولك للابحاث الاقتصادية في اسرائيل ، ١٩٦٠ ، ص ١٠٦ .

٩ ــ **الانماء الاقتصادي الاسرائيلي** ، ص ١٥٢.

١٠ ــ **جيروسالم بوست الاسبوعية** ، ١٩٧٢/٣/٢١ ص ٤ ، و ١٩٧٢/٣/٢٨ ص ٥ .

١١ ـ التقرير السنوي ، ١٩٧٠ ، بنك اسرائيل ، ص ٢٣٧ .
١٢ ـ انظر ذي اسرايل ايكونومست ، كانون الثاني ١٩٧٢ ص ١٤ .
١٣ ـ موروفيتز اقتصاد اسرائيل ، ص ١٠٦ .
١٤ ـ جيروساليم بوست الاسبوعية ، ٢٩/٢/١٩٧٢ ص ٦ .
١٥ ـ المصدر نفسه ، ٩/٥/١٩٧٢ ، ص ٥ .
١٦ ـ المصدر نفسه ، ٢/٢/١٩٧١ ، ص ١٣ .
١٧ ـ المصدر نفسه ، ١١/١/١٩٧١ ، ص ١٢ .
١٨ ـ المصدر نفسه ، ٢٩/٢/١٩٧٢ ، ص ٧ .
١٩ ـ المصدر نفسه ، ص ٦ .
٢٠ ـ ذي اسرائيل ايكونومست ، كانون الثاني ١٩٧٢ ، ص ١٣ .
٢١ ـ الدايلي ستار (بيروت) ٩/٧/١٩٧٢ ص ٣ .
٢٢ ـ جيروساليم بوست ويكلي ، ٤/٧/١٩٧٢ ، ص ٥ .
٢٣ ـ المصدر نفسه ، ١٣/٦/١٩٧٢ ، ص ٢ .

اليابان ... و « اسرائيل » ... والعرب

أ. ق.

« اليابان اليوم ، وبعد ربع قرن من الحرب العالمية الثانية ، اصبحت تحتل المركز الثالث في العالم على سلم الاقتصاد »(1)، وبذلك تأتي بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مباشرة . واليابان ، وهذا وضعها ، تتميز عن باقي دول آسيا ، ولا شك افريقيا التي لا تزال من الدول النامية .. لذا كانت تطلعات ونظرة اسرائيل اليها تختلف عن تطلعاتها ونظرتها الى باقي دول هاتين القارتين ، « خصوصا وان اليابان وحدها تصدر خمسة اضعاف ما تصدره الدول الاسيوية مجتمعة ، كما تزيد قدرتها عن قدرة الكثير من دول اوروبا الغربية التي تعتمد عليها اسرائيل في مشاريعها »(2).

اسرائيل تتطلع الى آسيا وافريقيا باستثناء اليابان على انهما « المجال الطبيعي » لتصريف منتجاتها الصناعية ، واستثمار خبرات مواطنيها التقنية الفائضة ، وحتى ولو لم تفض عن الحاجة المحلية في بعض المجالات ، يستغنى عنها لاعادتها الى حيث تمس الحاجة لها للاستثمار الدعائي ذي الاهداف السياسية والاقتصادية البعيدة المدى . اما تطلعات اسرائيل الى اليابان ، وكما قلنا هي الدولة الثالثة اقتصاديا في العالم ، هي عكس مجرى تطلعاتها الى باقي آسيا وافريقيا اي عكس تطلعات ومطامع اسرائيل في الدول النامية . وقد ورد في مذكرة سرية سلمت الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية عن مطامع اسرائيل الافرو — آسيوية كما ظهرت في مؤتمر (اليونيدو) منظمة الامم المتحدة للتطوير الصناعي الذي انعقد في طوكيو في اواخر ١٩٧٠ ، « اتضح خلال انعقاد المؤتمر اهتمام اليابان بزيادة استثماراتها في الدول النامية ولهذا فان اسرائيل تسعى الان الى الحصول على قروض واستثمارات يابانية لتمويل مشاريع التنمية الاسرائيلية »(3). فاسرائيل اذن تأخذ من اليابان «لتساعد» دول آسيه النامية. وقد توسلت اسرائيل مختلف السبل والاساليب لبلوغ غايتها للافادة من التقدم الاقتصادي الياباني شأنها في ذلك توسل مختلف السبل للافادة من تخلف دول العالم الثالث، فأوفدت الوفود على مختلف المستويات ومن كافة الاختصاصات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية لزيارة اليابان محاولة الوصول الى مآربها السياسية والاقتصادية ، وكالعادة قام افراد الطائفة اليهودية في اليابان بدورهم لخدمة الحركة الصهيونية ومن ثم اسرائيل ، ولا ننسى الضغوط الامركية على اليابان لمصلحة اسرائيل وقد كان لها الدور الاكثر فعالية على توسيع نطاق التعاون الياباني الاسرائيلي بالرغم من المصالح اليابانية الواسعة وذات الاهمية القصوى على الصعيد الاقتصادي في الوطن العربي .

خرجت اليابان من الحرب العالمية الثانية مدحورة وقد وقعت وثيقة استسلام مع قيادة قوات الولايات المتحدة في الشرق الاقصى ، وبذا « فقدت اليابان كل ما كانت تملكه في الخارج ، وكان عدد سكانها يفوق الثمانين مليون نسمة فضلا عن ستة ملايين عادوا من الخارج . وكانت امكاناتها الغذائية في الدرجة الادنى ، وفي بعض الحالات اقل من الحاجات الضرورية . أما الصناعة فكانت متوقفة تقريبا كما ان المخزون الاقتصادي الذي كان قد تحقق منذ الانبعاث في الربع الاخير من القرن الماضي فقد أكثر من ثلثه .

« لذلك بات على اليابان أن تغطي عجزها ذلك بأي ثمن ومع اية مساعدة قد تأتيها لتنقذ شعبها من المجاعة التي باتت تهددها ، ولتمهد السبيل امام الاستثمارات الاجنبية — **وخاصة الاميركية** — علها بذلك تعيد النشاط الى الصناعة »(4). وكان من جملة الثمن الذي كان على اليابان ان تدفعه مقابل المساعدات الاميركية الى جانب مصلحة الولايات

المتحدة الاقتصادية في هذا الاستثمار وخدمة المصالح الاميركية المباشرة ، فتح مجال التعاون بينها وبين اسرائيل ، وهذا معروف وطبيعي بالنسبة الى متطلبات الولايات المتحدة من الدول التي تقدم لها المعونة الاقتصادية والاستثمارات المالية . فقد نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في ٢٨ تموز ١٩٧٢ ما يلي : « صرح الرئيس نيكسون في مؤتمر صحافي بأن المساعدة التي تقدمها الولايات المتحدة لكل من تركيا واليونان ضرورية لحماية اسرائيل » . واضاف « ومن دون تقديم المساعدة لليونان وتركيا لا توجد سياسة متماسكة لحماية اسرائيل »(٥). ولم لا تكون اكثر تماسكا اذا ادخلت اليابان في برنامج المساعدة منذ ٢٥ سنة ؟

وسنحاول عن طريق المقارنة بين المصالح اليابانية مع العرب والمصالح اليابانية مع اسرائيل ان نبين مدى تأثير الولايات المتحدة على اليابان لتوسيع علاقاتها الاقتصادية مع اسرائيل واتخاذ موقف سياسي أقرب الى صفها .

المعروف ان اليابان تتبع نظام الاقتصاد الحر اي غير الموجه من قبل السلطات الحكومية الرسمية . فاكثر المؤسسات الاقتصادية والتجارية مؤسسات تتبع في ملكيتها للقطاع الخاص ، ولكن مع ذلك فقد خططت علاقات الشركات اليابانية مع العرب واسرائيل بحيث خصصت شركات لتتعامل مع العرب واخرى لتتعامل مع اسرائيل . وفيما لو قارنا عدد الشركات اليابانية الموضوعة على اللائحة السوداء لمكاتب المقاطعة العربية مع عدد الشركات من الدول الصناعية الكبرى حتى تلك التي تأتي بعد اليابان في حجم الصادرات كبريطانيا والمانيا وايطاليا ولا نتكلم عن عدد الشركات الاميركية الموضوعة على اللائحة السوداء ، لتبين لنا ضآلة عدد الشركات اليابانية المحظور التعامل معها . هذا مع العلم بأن اكثر هذه الشركات يمكن تصنيفها على الشكل التالي :

١ — فروع لشركات اجنبية وبشكل خاص اميركية محظور التعامل معها مثل شركة آر.سي.آي وشركة زنيث الاميركيتين ، او شركات يملك اكثر من ٥٠ ٪ من اسهمها شركات اجنبية موضوعة على اللائحة السوداء للمقاطعة . ٢ — شركات يملكها او يساهم فيها اشخاص او شركات اسرائيلية الجنسية . ٣ — فروع الشركة اليابانية « شركة متسوبيشي للصناعات الكيماوية» اذ ان المستوردات الاسرائيلية من المواد الكيماوية ذات حجم لا بأس به وقد خصصت هذه الشركة للتعامل مع اسرائيل بشكل يسري عليه قانون المقاطعة . ٤ — شركات يابانية تتعامل بصناعة وتجارة الالماس مع اسرائيل. والالماس يشكل ٨٢ ٪ من مستوردات اليابان من اسرائيل . ٥ — شركات مصنفة على انهما ذات ميول صهيونية . ٦ — فروع الشركة اليابانية المحظور التعامل معها « شركة ميزورير للصناعات الثقيلة » لصنع وصيانة السفن ، ولليابان هنا مصالح كبيرة اذ ان الاسطول البحري التجاري الاسرائيلي كبير وطلبات اسرائيل من هذه الشركة وفروعها كبيرة . وهناك غيرها شركتان لصناعة السفن في اليابان لهما الوضع نفسه .

٧ — نسبة كبيرة من الشركات اليابانية المحظور التعامل معها تتعامل في الاستيراد والتصدير من والى اسرائيل ولها مكاتب فيها . هذا وقد بلغ عدد الشركات اليابانية الموضوعة ولا تزال على اللائحة السوداء في لبنان حتى تموز ١٩٧٢ ، ٩٤ شركة وقد رفع الحظر عن ثماني شركات فقط هي :

١ — « شركة أ.و.ي. المحدودة » عام ١٩٧٠ .
٢ — بنك اليابان للاستيراد والتصدير عام ١٩٧٠ .
٣ — « شركة نيبونيكور كبوشيكي رايشا » عام ١٩٧٠ . ٤ — « الشركة الدولية للنسيج » عام ١٩٦٧ . ٥ — « لوسيانو برافيلي — سانيشين » مصنع العاب عام ١٩٦٧ . ٦ — « شركة بلاتو المحدودة » عام ١٩٦٤ . ٧ — « شركة اولافاو للصناعات الثقيلة » قامت ببناء خمس سفن لشركتي زيم وسومر فين الاسرائيليتين عام ١٩٧٠ . ٨ — « هينو موتورز المحدودة » عام ١٩٦٨ التي كانت تنتج في اسرائيل بالتعاون مع شركة « الين » سيارة « كونتسا » فهذه الشركة كانت قبل الامتثال الى اوامر مكاتب المقاطعة العربية « قررت استثمار ثلاثة ملايين ليرة اسرائيلية في صناعات « الين » الاسرائيلية لعام ١٩٦٥ وكذلك استثمار مبلغ مماثل قبل نهاية عام ١٩٦٦ ، وذلك من اجل زيادة المقدرة الانتاجية لسيارة « كونتسا » الى ١٥٠٠٠ سيارة في السنة . وتبلغ قيمة برنامج الاستثمار الذي خططت له شركة « الين » ١٦ مليون ليرة اسرائيلية ، وشارك مساهمو الشركة في بريطانيا والولايات المتحدة بالملايين العشرة الاخرى . وكان من المفروض ان

تنتج الشركة في اواخر تموز سيارة جديدة هي (كونتسا ٠٠١٣٠٠)(٦).

ولا بد من الاشارة هنا الى ان هذه الشركات والمؤسسات اليابانية الاربع والتسعين ، ليست جميع المؤسسات اليابانية التي لها علاقات مع اسرائيل وتنطبق عليها قوانين المقاطعة العربية ، ذلك انه لا توضع مؤسسة اجنبية ما على اللائحة السوداء الا اذا كانت منتجاتها تسوق في بلد عربي او خدماتها تؤدى لبلد عربي ، ومن ثم قامت بنشاطات في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة العربية . او من ناحية اخرى كانت تقوم بنشاطات في اسرائيل تحظرها قوانين المقاطعة ، وطلبت جهة عربية ما التعامل معها ، فعندئذ فقط تقوم الاجهزة المختصة بالاستفسار عنها ودراسة وضعها وتوضع على اللائحة السوداء اذا ثبت خرقها لقوانين المقاطعة . وهناك عدد من المؤسسات اليابانية التي تساهم في تنمية الاقتصاد الاسرائيلي عن طريق اقامة صناعات فيها ولم توضع اسماء هذه المؤسسات على اللائحة السوداء . فكما قلنا ان السلطات اليابانية تحاول جهدها لتوزيع نشاطاتها الاقتصادية بين العرب واسرائيل وهي في سبيل ذلك تتبع جميع وسائل التعمية تساعدها في ذلك السلطات الاسرائيلية . هذا ، ومن ناحية اخرى تمتنع الشركات اليابانية ذات المصالح الكبرى في الوطن العربي عن ادنى مجالات التعامل الاقتصادي والتجاري مع اسرائيل حتى تلك التي لا تنطبق عليها قوانين المقاطعة العربية . مثال على ذلك رفض الشركة اليابانية التي تنتج سيارات « تويوتا » ذات السوق الكبير في الوطن العربي بيع اي عدد من هذه السيارات الى اسرائيل ، وذلك كما قلنا لحماية مصالحها الاقتصادية في الوطن العربي وخوفا على سوقها الكبير فيه .

وكان من نتائج التزام معظم المؤسسات اليابانية بقوانين المقاطعة العربية ، ان نشطت الاجهزة الصهيونية في اليابان في مجال التجارة والاعلام ، وقامت هذه الاجهزة في الولايات المتحدة بحملة محاصرة ضد الشركات اليابانية الملتزمة بقوانين المقاطعة لضربها وزحزحتها عن التزامها كي تخسر سوقها الاميركية *.

وللمقارنة بين مصالح اليابان الاقتصادية مع اسرائيل والوطن العربي نبين بانه علاوة على ان اليابان تصدر الى الوطن العربي اضعافا مضاعفة لما تصدره الى اسرائيل ، واكثر ما تصدره الى العرب بضائع كاملة التصنيع (اي استهلاكية) وما تصدره الى اسرائيل بضائع للاستثمار ومواد خام (انظر جدول واردات اسرائيل وفق نوعية السلعة واستعمالها) ، علاوة على هذا فان واردات اليابان من اسرائيل في اكثرها بضائع نصف مصنعة ، بينما وارداتها من الوطن العربي مواد خام مثل البترول والقطن وغيره من المنتوجات الزراعية المستعملة كمواد اولية في الصناعة اليابانية (انظر جدول صادرات اسرائيل من مجموعات منتقاة من البضائع) . علاوة على كل ذلك لليابان مصالح نفطية (امتيازات تنقيب واستثمار) في الوطن العربي سنأتي على ذكرها بالتفصيل فيما بعد .

واهم واردات اسرائيل من اليابان ما يلي :

— المطاط الصناعي ، لا يشتمل على اطارات وسائل النقل التي تصنع اسرائيل منها كل حاجتها — الغزل من الصوف الطبيعي والغزل الاصطناعي — المواد الكيماوية المركبة والعضوية والبلاستيكية — المعادن الخام والمصنعة ومنها الحديد والصلب — الادوات — الالات الكهربائية وبشكل خاص اللازمة للصناعة وآلات الاتصالات السلكية واللاسلكية — بعض وسائل المواصلات الارضية والبحرية (السفن وناقلات النفط) — الساعات الصغيرة والكبيرة — آلات القياس والضبط — الالات والمعدات السمعية والبصرية المتنوعة كالعدسات وآلات التصوير والتصوير السينمائي ومعداتها وآلات التسجيل والفونوغرافات والراديوات وقطعها(٧).

اما صادرات اليابان الى الوطن العربي فتشمل تشكيلة اوسع بكثير من تلك التي تصدر الى اسرائيل ومنها المواد الغذائية ، والمشروبات واطارات السيارات والملبوسات ، اي بشكل خاص المواد الاستهلاكية بينما سبق وقلنا ان اسرائيل قلما تستورد من اليابان وبقية العالم بضائع استهلاكية ، بل تستورد بضائع تساعد على زيادة انتاجها هي . وعلاوة على ذلك فان مستوردات الدول العربية الشرق اوسطية من بعض البضائع التي تستوردها اسرائيل من اليابان تزيد عنها اضعافا عديدة وعلى سبيل المثال هذا الجدول من المستوردات من اليابان :

---

* الاسبوع العربي ١٩٧٢/٦/٥ .

	الدول العربية الشرق اوسطية	اسرائيل
مصنوعـات اساسـية	٦٣،٣٨٣ مليون	٢،٢٢٤ مليون دولار
كيماويـات	٣،٨١٢ مليون	٠،٧٢٠ مليون دولار
معـدات نقـل	١٨،٦٢٥ مليون	١،٨٧٦ مليون دولار

وذلك خلال النصف الاول من عام ١٩٦٩(٨).

صادرات اسرائيل من مجموعات منتقاة من البضائع الى اليابان وبقية العالم بالمليون دولار

	الى اليابـان		الى العـالم	
	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠
صادرات زراعية				
حمضيـات	—	—	٩٠،٦٩	٨٢،٨
المجموع	—	—	١١٧،٨	١٢٦،٤
صادرات صناعية				
كيماويات ، ادوية ودهانات	٠،١	٠،٤	٤٤،٤	٥٢،٩
منتجات زراعية ومأكولات	٠،١	٠،٤	٥٥،٢	٦٢،٨
منسوجات ، ألبسة وجلود	٠،٢	٢،٨	٨٤،٥	٩٩،٧
مـاس	٢٤،٥	٢٥،٢	٢٥٣،٥	٢٤٤،٦
المجموع — منتجات صناعية	٣٠،٤	٣٢،٣	٦١١،٥	٦٤٩،٢
المجموع العام لصادرات اسرائيل	٣٠،٤	٣٢،٣	٧٢٩،٣	٧٧٥،٦

واردات اسرائيل وفق نوعية السلعة واستعمالها من اليابان وبقية العالم — بالمليون دولار

	من اليابان		من العالم		تأتي اليابان الدولة ... من أصل ٢٣ دولة	
	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٦٩	١٩٧٠
بضائع للاستثمار	٣،٢	٣٩،١	٢٨٦،٧	٣٥٠،٣	التاسعة	الرابعة
بضائع انتاجية/مواد خام	١١،٨	١٨،٤	٩٠٢،٥	٩٦١،٤	العاشرة	التاسعة
بضائع استهلاكية						
للاستعمال الطويل الامد	٢،٧	٢،٥	٦١،٦	٥٠،٥	السابعة	الخامسة
سريعة الاستهلاك	١،٤	٢،٤	٧٩،٨	٨٩،٥	الحادية عشر	السادسة
مجموع الواردات	١٩،٢	٦٢،١	١،٣٣٠،٦	١،٤٥١،٢	العاشرة	السادسة

اما فيما يتعلق بسياسة اليابان الاقتصادية ومتطلباتها التي تغطيها الواردات فتقول المصادر الرسمية اليابانية : « **وفي الواردات اهم ما يطالعنا نوع الاصناف التي تزايدت والتي انخفضت فالمأكولات والاليات مثلا عرفت انخفاضا عظيما في الاستيراد فيما تركزت الواردات اليابانية على المواد الاولية للتصنيع التي تقدر حاليا بـ ٧٠ ٪ من مجموع الواردات . فاليابان اليوم تعتبر احدى الدول الاولى في العالم في مجال استيراد المواد الاولية** »(٩). ولا شك ان هذا التطور في متطلبات الاستيراد الياباني اكثر ما انعكست نتائجه على الوطن العربي بشكل خاص والشرق الاوسط (باستثناء اسرائيل) بشكل عام . فقد وجدت اليابان في الوطن العربي المكان الذي تتسوق فيه المواد الخام والمحروقات اللازمة لتنمية واستمرارية صناعاتها . واصبحت الخامات العربية تشكل نسبة كبيرة من مجمل واردات اليابان التي استوردتها ففي النصف الاول من عام ١٩٦٩ بلغت ٨،٢ ٪ من مجمل وارداتها . وبلغ مجمل واردات اليابان في النصف الاول من ١٩٦٩ سبعة بلايين واثنين وعشرين مليون دولار (٧،٠٢٢،١٣٨،٠٠٠) كان نصيب الوطن العربي باستثناء تونس والجزائر

والمغرب منها ٥٧٢،٨٦٠ مليون دولار اما حصة اسرائيل فكانت ٩،٥٠٧ ملايين دولار أي اقل من ١ ٪ من مجمل صادرات الشرق الاوسط إلى اليابان او ١،٣٥ بالالف من مجمل واردات اليابان من العالم(١٠).

اما حجر الاساس في صادرات اسرائيل الى العالم وكذلك الى اليابان فهو الماس المصقول الذي تستورده اسرائيل خاما من جنوب افريقيا ، بشكل خاص ، وتصقله وتعيد تصدير اكثره . وشكل الماس المصقول ٨٢،٣ ٪ من مجمل صادرات اسرائيل الى اليابان في النصف الاول من عام ١٩٦٩ . وفي عام ١٩٧٠ صدرت اسرائيل الى اليابان ماسا مصقولا قيمته ٢٥،٢ مليون دولار وفي عام ١٩٦٩ بما قيمته ٢٤،٥ مليون دولار ، اي ان اليابان تستوعب اكثر من ١٠ ٪ من صادرات اسرائيل من هذه السلعة التي صدرت منها عام ١٩٧٠ ما قيمته ٢٤٤،٦ مليون دولار . واليابان هي بذلك الدولة الرابعة بعد الولايات المتحدة وهونج كونج وبلجيكا/لوكسمبورغ في سلم استيراد الماس المصقول من اسرائيل(١١).

والى جانب الماس المصقول صدرت اسرائيل الى اليابان خلال النصف الاول من ١٩٦٩ مواد كيماوية بقيمة ١،١٩١،٠٠٠ دولار ومنتجات صناعية بـ ١٢٠،٠٠٠ دولار واسمدة بـ ٢٧٦،٠٠٠ دولار ومعادن خام بـ ٣٩٧،٠٠٠ دولار (بوتاس وفوسفات ونحاس) .

وفي مقابل ذلك صدرت الدول العربية الشرق اوسطية خلال هذه الفترة :

نفط ومنتجاته ٥١٣،٢٣١،٠٠٠ دولار ، منتجات زراعية ٨٩٩،٠٠٠ دولار ، معادن خام للسماد ٢،٧٠٠،٠٠٠ دولار ، قطن ومنتجات زراعية اخرى للصناعة ٣٠،٩١٩،٠٠٠ دولار ، معادن خام ٢٩،٩١٧،٠٠٠ دولار ، مواد غذائية وحيوانات حية ٣،٧٠٥،٠٠٠ دولار(١٢). ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى ان اليابان تستورد ٤٧ ٪ من النفط ومنتجاته و٥٪ من المنتجات الزراعية الصالحة للاكل من دول الشرق الاوسط العربية .

وقد ورد في الموسوعة النفطية العالمية لعام ١٩٧٠ بعد تعدادها للامتيازات النفطية اليابانية في الوطن العربي قولها : « وفي هذا الوقت تخطط مؤسستان يابانيتان هما « بريدجستون » و« ماتسووي » لشراء كميات كبيرة من الغاز الطبيعي السائل من ابو ظبي وذلك في اوائل عام ١٩٧٢ » .

لا تقتصر المصالح اليابانية في الوطن العربي على تصدير منتجاتها الصناعية اليه واستيراد نسبة عالية من المواد الخام اللازم لصناعاتها منه ، بل كما سبق وذكرنا اعلاه فانه اصبح لليابان منذ حوالي عقد ونصف مصالح استثمارية في الوطن العربي . وهي بذلك حديثة نسبيا فيما لو قورنت بالمصالح النفطية الغربية في الوطن العربي ، هذا وان كانت لا تزال محدودة من الناحية الانتاجية نسبيا نظرا لحداثة عهدها فان الامكانات قد تأتي في المستقبل بنتائج ممتازة . هذا كما ان لليابان بعض الاستثمارات في المجالات الصناعية في بعض انحاء الوطن العربي ، مثال على ذلك مصنع شركة متسوبيشي جنوب بيروت . ويلاحظ اتساع القاعدة الشعبية وكثرة عدد المؤسسات اليابانية ذات المصلحة المباشرة في الاستثمارات في الشركات اليابانية صاحبة الامتيازات النفطية في الارض العربية . فكل من الشركات الخمس اليابانية اللواتي تملك امتيازات نفطية في الارض العربية يساهم فيها عدد من المؤسسات اليابانية وفي بعض الحالات افراد يتوزعون قسما من اسهمها . ولا بد كما سنبين في ختام هذه الدراسة من الافادة من هذه القاعدة ذات المصلحة الاقتصادية المباشرة في زحزحة اليابان عن حيادها السياسي المزعوم في اطار القضية الفلسطينية . تتوزع الامتيازات النفطية اليابانية حاليا في الارض العربية في المنطقة المحايدة الكويتية/السعودية وهي الان الاهم ، وفي ابو ظبي وقطر وجمهورية مصر العربية وجميع الشركات الاربع الاخيرة لم تباشر نشاطها الا فيما بين اواخر الستينات واوائل السبعينات ، واكثرها لا يزال في طور الدرس والاستكشاف والتنقيب .

المنطقة المحايدة : وصاحبة الامتياز شركة الزيت العربية المحدودة التي تملك شركة تجارة البترول اليابانية المحدودة ٨٠ ٪ من اسهمها و١٠ ٪ لكل من الكويت والسعودية . وقد بدأت هذه الشركة بالانتاج في كانون الثاني ١٩٦٠ وصدرت اول دفعة من انتاجها في آذار ١٩٦١ .

ومن الارقام التالية يتبين لنا سرعة تطور انتاج هذه الشركة والامكانيات التي يتمتع بها امتيازها ، فمعدل الانتاج بآلاف البراميل كان كما يلي :

٩٢،٢١٠ و ١٠١،٢٠٠ و ١٠٩،٢٠٠ و١١٧،٦٨٦ و

١٢٥،٢٧٥ في السنوات ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ تماما(١٣).

اي ان الزيادة السنوية في الانتاج هي نحو ثمانية ملايين برميل . وقد وزعت الشركة عام ١٩٦٦ ١٤٪ من قيمة رأسمالها ارباحا على مساهميها و١٦ ٪ سنويا في الاعوام ١٩٦٧ الى ١٩٧٠(١٤)، اي ان المساهم الياباني يسترجع قيمة الاسهم التي دفعها خلال ست سنوات تقريبا هذا علاوة عن المبالغ التي تقتطعها الشركة من الارباح لاعادة الاستثمار.

ابو ظبي : تعمل في ابو ظبي شركتان يابانيتان للتنقيب عن النفط :

١ — شركة زيت ابو ظبي ، وتعمل في المناطق المغمورة ، كما تم الاتفاق على ان تساهم في تنمية حقل البندق في الجرف القاري بين ابو ظبي وقطر .

وتملك هذه الشركة خمس شركات يابانية يساهم في بعض منها رأسمال امريكي وهي : ١ — شركة زيت دايكو المحدودة ٣/١ ٢٣ ٪ ، ٢ — شركة زيت ماروزين المحدودة ٣/١ ٢٣ ٪ (وتملك ٢٠ ٪ من اسهمها شركة كاليفورنيا للزيت) ، ٣ — شركة التعدين اليابانية ٣/١ ٢٣ ٪ ، ٤ — مؤسسة اليابان لتنمية النفط ٢٠ ٪ ، ٥ — شركة زيت قطر ١٠ ٪ (شركة تساهم فيها ست شركات يابانية) .

« وينتظر ان تباشر هذه الشركة بالانتاج في اواخر عام ١٩٧٢ »(١٦) ، فقد اتمت في اوائل ١٩٧١ حفر بئرين منتجتين واكتشفت النفط في تسيمة (أ) في المناطق المغمورة(١٧) كذلك « تم الحفر بنجاح لبئرين استكشافيتين في التسيمة (ب) »(١٨).

٢ — « شركة زيت الشرق الاوسط » وتعمل على اليابسة وتتوزع اسهمها اربع شركات يابانية اكبرها مجموعة متسوبيشي التي تملك ٥٤،٣ ٪ من الاسهم وتليها « جابان بتروليوم ديفالوبمانت كوربوريشن ٤٢،١ ٪ وتملك شركتين اولاهما للشحن البحري ٢،٢ ٪ والاخرى للتامين ١،٤(١٩) وتشمل منطقة امتيازها ٩٠٦٦ كم٢ على البر وقد باشرت عمليات التنقيب في اوائل عام ١٩٧٠ واستمرت في البحث طوال العام ولكن لم تكن قد عثرت على نفط حتى ذلك التاريخ(٢٠).

قطر : شركة زيت قطر ، وتعمل في المناطق المغمورة ، وتملكها خمس مجموعات يابانية :

١ — مجموعة شركات النفط ، وتساهم فيها ست شركات نفط ٣٥،٣ ٪ ، ٢ — مجموعة شركات الكهرباء ، وتساهم فيها ثلاث شركات كهرباء ٢٦،٥ ٪ ، ٣ — مجموعة شركات سامينومو الثلاثية ١٥،٩ ٪ ، ٤ — مجموعات شركات الحديد والصلب الثنائية ٥،٩ ٪ ، ٥ — ثلاث شركات هي : شركة هيتاشي لبناء السفن ، نيسشو — ابواي ، صناعات اوهي ١٦،٤ ٪(٢١) ، وقد حصلت هذه الشركة على حق التنقيب عن النفط في المنطقة الجنوبية الشرقية المغمورة عام ١٩٦٩ وباشرت التنقيب عن النفط عام ١٩٧٠(٢٢) وكان من المنتظر ان تبدأ بالحفر للمرة الاولى عام ١٩٧١(٢٣).

جمهورية مصر العربية : حصلت « مؤسسة شمال سومطرة لتنمية مصادر النفط » اليابانية على حق التنقيب عن النفط في جمهورية مصر العربية وقامت بحفر ثلاث آبار ولكنها كانت جميعها جافة .

ان اسرائيل وهي ترى نمو المصالح اليابانية في الوطن العربي وتضخمها بهذا الشكل تنبؤها حاستها بانه لا بد ان يأتي يوم يعمل فيه العرب وترضخ فيه اليابان لمصلحتها الاقتصادية في الوطن العربي وتتقيد على الاقل بحيادها السياسي المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية ، هذا اذا لم تع موطن مصلحتها الاقتصادية . ان اسرائيل وهي ترى ذلك تحاول وقف انطلاق وزحف هذا الوعي المصلحي الاقتصادي في اليابان كما حدث في سيلان مثلا عندما وعت مصلحتها الاقتصادية واهمية السوق العربية بالنسبة لصادراتها الرئيسية — الشاي — فبعد ان كانت سيلان تقيم علاقات وثيقة مع اسرائيل انقلبت لتماشي مصلحتها الاقتصادية هذا اذا لم يأت دعمها لقضية الحق العربي في فلسطين . وقد نقلت وكالة الاسوشيتدبرس بانه « طالب احد المسؤولين الاسرائيليين تدعيم العلاقات الاقتصادية مع اليابان لمواجهة النفوذ العربي في طوكيو » . واضافت « وقال بهوشبوا فيشري المستشار الاقتصادي السابق في سفارة اسرائيل في طوكيو في حديث الى جمعية الصداقة الاسرائيلية اليابانية ان اسرائيل يجب ان تتولى انشاء خط ملاحي لنقل المعادن من اسرائيل الى اليابان عن طريق البحر الاحمر »(٢٤). وتقوم السلطات في فلسطين المحتلة باستمرار بارسال البعثات الاقتصادية الى اليابان وبقية دول آسيا التي تقبل استقبال وفودها ، ويخطط لهذه البعثات قبل شهور

من انطلاقتها في جولاتها فقد نقلت رويتر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ « اعلنت وزارة التجارة والصناعة الاسرائيلية بأن بعثة اسرائيلية ستقوم بزيارة الشرق الاقصى في شباط المقبل لدراسة امكانات زيادة صادراتها الى هذه المنطقة . وستزور هذه البعثة كلا من اليابان وتايلاند وسنغافوره وهونج كونج وكوريا الجنوبية . وستتكون البعثة من (١٥) مندوبا لمؤسسات تنتج بضائع معدنية وكهربائية وغذائية ومعدات الري ومواد تجميل ومؤسسات متخصصة بالتخطيط لتنمية وتوسيع المرافىء . وستقابل البعثة رجال اعمال ورسميين حكوميين خلال جولتها التي ستستمر شهرا كاملا . وهذه الرحلة ستكون اول حلقة من سلسلة خططت لها وزارة التجارة والصناعة لتنمية الصادرات الاسرائيلية الى هذه المنطقة »(٢٥). والى جانب البعثات الاقتصادية تحاول سلطات الاحتلال في فلسطين مد الجسور في مختلف مجالات الحياة مع اليابان ودول الشرق الاقصى الاخرى وذلك بتبادل البعثات والزيارات الثقافية والرياضية والعسكرية والسياسية على الصعيد الرسمي والحزبي وعلى مختلف المستويات والانتماءات .

واسرائيل مع انها دعامة الامبريالية الغربية وقلعتها في الوطن العربي حاولت وبشكل خاص في الخمسينات استقطاب اليسار العالمي ، معتمدة على تجربتها في الحياة الجماعية في الكيبوتزات على انها التطبيق الاشتراكي . وقد قبل هذا الادعاء في اكثر من بلد اسيوي كبورما وسيلان واليابان . وقد ذكر في الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل « ... ان فريقا من الشبان اليابانيين قدموا الى اسرائيل لدراسة نظام الحياة في الكيبوتزات ... »(٢٦). وعن طريق الادعاء الاشتراكي تمكنت اسرائيل ان تلعب دورا كبيرا في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي الاول الذي عقد في رانجون في كانون الثاني ١٩٥٣ وحضره ١٧٧ مندوبا ومراقبا . وقد كانت الدعوات قد وجهت الى احزاب في الهند واندونيسيا وبورما والملايو والباكستان ولبنان وسوريا والعراق ومصر والى كل من الجناحين اليميني واليساري من الاشتراكيين اليابانيين وحزب المباي الاسرائيلي الحاكم المصنف كاحد احزاب الوسط ، ولم توجه الدعوة لحزب المابام المصنف مع « اليسار » . وخلال المؤتمر تآزرت جهود اسرائيل ، كعضو في المؤتمر مع الجناح اليميني الياباني وممثلي الملايو على ان يصبح المؤتمر الاشتراكي الاسيوي كعضو اقليمي في الاتحاد الدولي للاحزاب الاشتراكية الذي تسيطر عليه الاحزاب الاوروبية الغربية التي تحمل اسماء اشتراكية وبعضها كان في الحكم او لا يزال . وقد عارض ذلك بقوة اشتراكيو الهند ولبنان ومصر وبشكل اقل قوة من قبل الممثلون الباكستانيون والاندونيسيون والبورميون ، ودافعهم كان شعورا اسيويا مقترنا بالرأي القائل بأن الاتحاد الدولي لم يتخذ موقفا حازما بما فيه الكفاية في الخط المناوىء للاستعمار والحياد(٢٧). وقد حاول المعسكر الذي يمكن تصنيفه بالامريكي في المؤتمر اي الاسرائيليون واليابانيون والملايون معارضة الحياد واخذوا في المساومة بواسطة اقتراح يدعو الدول الاسيوية « الى عدم الارتباط بحركة السلم » لكون هذه الاخيرة مدعومة من قبل المعسكر الاشتراكي ، ولكن يجب ان تقوي الدول الاسيوية نفسها وتحدد موقفها بشأن قضايا السلم العالمي(٢٨). ومن المفيد ان نذكر بأن موقف المعسكر الامريكي (الاسرائيلي/الياباني) في المؤتمر الاشتراكي الاسيوي هو الذي أطلق رصاصة الرحمة على هذا المختضر .

« لقد كان من الطبيعي ان يسيطر موضوع العدوان الثلاثي (١٩٥٦) على جو الدورة الرابعة من المؤتمر . ولكن بينما كانت الحكومات الاسيوية الافريقية في هيئة الامم المتحدة ، والشعوب تتظاهر في الشوارع منددة بالعدوان، لم يتمكن الاشتراكيون الاسيويون من مجاراة هذه الرغبة الشعبية. اذ انه لما جرت المحاولة لاقرار مشروع قرار يندد بالعدوان لم توافق عليه اسرائيل ، لذا خفف من لهجة التنديد واقنعت اسرائيل بان تتغيب عن الجلسة . والسبب بان هذه « المنظمة الاشتراكية » اصبحت تعتمد كليا على اسرائيل ماديا ... فقد ابرزت اسرائيل مخططا تنظيميا وقدمت ميزانية لتنمية العلاقات بين الاحزاب « الاشتراكية » . وقد اكد الوفد الاسرائيلي ، الذي كان يرأسه رئيس وزراء سابق ، بان هذه المخصصات ستصل ولكنه رفض ان يبين مصدرها ، ولكن بعض الاحزاب الاشتراكية التقدمية رفضت ان تسيرها اسرائيل وفضلت ان ينفرط عقد الاتحاد على ذلك »(٢٩).

وتغتنم اسرائيل كل فرصة مناسبة لارسال البعثات الى الشرق الاقصى ومنها اليابان ، « ففي عام ١٩٦٦ اوفد الجنرال اسحق رابين ، رئيس اركان الجيش حينئذ لزيارة اليابان وبعض دول الشرق الاقصى ، وقد رافقه رئيس دائرة العلاقات

والمساعدات الخارجية وقد قام خلال زيارته هذه بزيارة المعاهد والمنشآت العسكرية ، كما القى سلسلة محاضرات في الكليات الحربية . كما وانه عقد محادثات مع القادة العسكريين والسياسيين . وحل رابين ضيفا على حكومات الدول التي قام بزيارتها ، باستثناء اليابان حيث حل ضيفا على رئيس الاركان الياباني »(٣٠). وفي عام ١٩٦٧ « قام وزير خارجية اسرائيل برحلة شملت خمس دول شرق آسيوية هي تايلند وكمبوديه وبورمه والفلبين واليابان . وكانت هذه الجولة واحدة من سلسلة جولات قام بها زعماء اسرائيليون مختلفون للشرق الاقصى . واثناء اقامته في اليابان في الفترة بين ١٤ و ١٨ اذار قابل ايبان الامبراطور والامبراطورة. كما اجتمع الى الزعماء السياسيين الاخرين الذين شدد امامهم على اهمية الدور الذي تلعبه اليابان في العالم النامي ، واشار الى الاهتمام الذي أظهره الشباب الياباني في حركة « كيشكيو بسورج » الاسرائيلية . وقد ركز ايبان في تصريحاته على موضوع اخر له معنى خاص بالنسبة لليابان . ألا وهو استخدام الطاقة النووية والشائعات القائلة ان اسرائيل تقوم بصنع قنبلة ذرية . « وفي اجتماعين منفصلين مع الصحافة في غضون ثلاثة ايام ، بذل مجهودا ضخما لكي يشير الى ان اسرائيل مهتمة بالاستخدام السلمي للطاقة النووية وبصورة خاصة في تحلية مياه البحر . وقال ان اسرائيل ابدت مبدئيا فكرة عقد معاهدة حظر انتشار الاسلحة النووية ، لكننا لم نتخذ المبادرة لاقامة مناطق مجردة من الاسلحة النووية في الشرق الاوسط ، لان الدول العربية ترفض التفاوض معنا حول اي شيء .. وابدى ايبان بملاحظة جانبية لا تخلو من الاهمية عندما قال ، اننا لا نستطيع العيش تحت تهديد حرب عصابات مستمرة »(٣١).

واسرائيل بعلاقاتها مع اليابان تضرب على اوتار حساسة معينة ، كما تصنع مع غيرها ، فهي حسب القول الشائع تلبس لكل حالة لباسها . اسرائيل عندما تخاطب اليابان تعرف حساسيتها ضد استعمال الطاقة النووية في المجال العربي ، لذا فهي تداور وتتحايل بحيث تظهر انها توجه جهودها الى الاستعمال السلمي البناء للطاقة النووية واذا ما اضطرت للاقرار باستعمالها في المجهود الحربي لتضع بذلك اللوم على العرب . وهي هنا تدعي الدفاع عن النفس وان العرب يضطرونها للانحراف عن جهودها السلمية الانسانية ...

وبذلك تحاول جر اليابان الى أبعد مما هي عن حيادها المزعوم بالنسبة للقضية الفلسطينية . وهي بذلك تحاول وضع اللوم على الدول العربية وبشكل خاص على المقاومة العربية . هذا بينما لا يزال النشاط الاسرائيلي الذري محاطا بالسرية التامة ولم يعلن عنه شيء . ولكن صحيفة الجروزالم بوست الناطقة باسم الخارجية الاسرائيلية اوردت في عددها الصادر في ١٤ شباط ١٩٦٧ قولها : « ان رئيس الوزراء ليفي اشكول (وهو في الوقت نفسه رئيس لجنة الطاقة الذرية الاسرائيلية) اعلن في الكنيست في ١٣ شباط ان نزع السلاح التقليدي يجب ان يسبق اي ارتباط متبادل بعدم ادخال الاسلحة الذرية الى منطقة الشرق الاوسط . وكان يرد في ذلك على سؤال وجهه اليه عضو الكنيست شموئيل ميكونس (شيوعي) ، عما اذا كان مستعدا لاخذ اي مبادرة في نزع السلاح الذري»(٣٢).

ومن ناحية اخرى تحاول اسرائيل ان تقارن امام اليابانيين بان وضعها مشابه لوضع اليابان جغرافيا وتقنيا ، فكل منهما تقع على طرف من طرفي القارة الاسيوية وفي معزل ، فاليابان جزر على طرف القارة الشرقي تحيط بها البحار اما اسرائيل فجزيرة يحيط بها بحر العداء العربي . وكل منهما متقدم تقنيا عن جيرانه . وكتب يهودي عاش حياته كلها في اليابان ويحمل الجنسية اليابانية في كتابه « اليابانيون واليهود » قائلا : « ان الياباني واليهودي يلتقيان في انهما تفوقا على العنصر القوقازي وبعد ان كان الياباني يعمل في خدمة القوقازي فقد تفوق عليه ، وقد كان الياباني أشبه برئيس نقابة العمال ، اي انه الاول بين اقرانه الملونين في العالم الثالث . ولكنهم حققوا تقدمهم الاقتصادي واصبحوا — هم واليهود — محلا للشك والكراهية والحقد»(٣٢). ولا شك ان اسرائيل لا تود ان تذكر اليابان بانها بنهجها منذ كانت فكرة الى ان توصلت الى مرحلة التكوين الى ان اصبحت كما هي الان ، تقتفي اساليب ومبادىء العسكريتاريا الاستعمارية اليابانية قبل انكسارها في الحرب العالمية الثانية وذلك لمعرفتهم بان الياباني اليوم حتى الذي لا يزال يحن الى التوسع العسكري لا يريد ان يذكر بتلك الايام وبالاندحار العسكري الذي ادت اليه . اليابان اليوم تحاول ان تقنع العالم بانها تكتفي بالتوسع الصناعي والتجاري ، واثارة تلك الذكريات القديمة قد تعوق هذا التوسع ،

نظرا لحساسية الدول النامية ضدها وهي التي كانت ضحيتها . هذا بينما اسرائيل لا تزال عاجزة عن تحقيق التوسع الصناعي والتجاري لعجزها عن مضاربة القوى الدولية الكبرى في هذا المجال ولا تزال مطامعها الاقليمية لا تعرف حدودا .

وتحاول اسرائيل كذلك ان تقيم علاقات صداقة مع اليابان ذات ركائز ثقافية ، لذا اوجدت اكثر من جمعية او اتحاد لتسهيل التغلغل الاسرائيلي في الشرق الاقصى ومنه اليابان . وقد اوجدت مجموعة من جمعيات الصداقة الاسرائيلية طرفها الآخر كان مع من تمكنت من دول آسيا وأوجدت مجلسا جديدا للصداقة الاسرائيلية الإسيوية هدفه تنسيق التعاون بين جمعيات الصداقة مع الدول الإسيوية المنفردة . في الاجتماع التأسيسي لمجلس الصداقة الاسيوية/الافريقية قال وزير خارجية اسرائيل ، « ان على المجلس ان يقوم بمهمة مزدوجة الهدف : اولا ان يسعى الى تخليص الدول الاسيوية من غربتها عن الثقافة اليهودية ـ العبرية، وثانيا ان يزرع معرفة الحضارة الآسيوية بين جماهير الاسرائيليين على نطاق جماعي ، وخاصة باعطاء مناهج التربية الاسرائيلية بعدا اسيويا»(٣٣). هذا علما بان اسرائيل من ناحية عملية تتبرأ من اسيويتها وتعلن انها امتداد لاوروبا في الشرق الاوسط، ولكن دافعها في انشاء جمعيات الصداقة واعطاء مناهج التربية الاسرائيلية « بعدا اسيويا » هو خدمة مصالح اسرائيل التوسعية والتغلغلية في اسيا وهي بذلك تشكل اجهزة مساعدة لوزارة الخارجية والوكالة اليهودية . كذلك ان اعطاء مناهج التعليم ذلك « البعد الاسيوي » يعد الناشئين ويدربهم منذ الصغر لاكتساب العقلية التوسعية .

ولهذا الهدف قامت الطوائف اليهودية في الشرق الاقصى واوقيانوسيا في مطلع ١٩٧٢ بتشكيل «اتحاد الطوائف اليهودية » وقد وصفت مهمة هذا الاتحاد بانها « لحماية الطوائف اليهودية من التفتت » وتضم الطوائف اليهودية الموجودة في هونج كونج والهند واستراليا ونيوزيلندا وسنغافورة وتايلاند واليابان . وتتمتع بعض الاسر اليهودية في اليابان وبقية المنطقة وخصوصا استراليا بنفوذ كبير ومصالح واسعة .

« وقد اصدر الاتحاد الجديد بيانا اعلن فيه أن الهدف هو دعم واحياء اليهودية في منطقة جنوب شرق اسيا والشرق الاقصى بصفة خاصة . واضاف البيان الذي صدر عقب اول اجتماع عقده الاتحاد الجديد في الشهر الماضي ان الاتحاد سيسعى للانضمام الى المؤتمر اليهودي العالمي وهو اكبر منظمة صهيونية»(٣٤). ولا شك ان هذا الاتحاد كغيره من المنظمات الصهيونية في العالم هو بالفعل دعم واحياء للحركة الصهيونية الاستعمارية. وهو بذلك يشكل امتدادا للمؤسسات الاسرائيلية الرسمية في فلسطين المحتلة ويعمل على دعم اسرائيل اقتصاديا ومعنويا ويشكل جبهة ضاغطة على الحكومات التي تقيم في اراضيها لصالح اسرائيل ، لتدعمها سياسيا وماديا . وكثيرا ما تمكنت الطوائف اليهودية في بعض الدول من التأثير على مجرى تصويتها في هيئة الامم المتحدة بما يختص بالقضية الفلسطينية نظرا لنفوذها المالي وحسن تنظيمها .

الموقف السياسي الياباني الرسمي والقضية الفلسطينية :

تقيم اليابان علاقات دبلوماسية كاملة مع اسرائيل، وتتبادل معها التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفارة ومركز سفارتها في تل ابيب ، اي ان اليابان لا تعترف بالقدس عاصمة لاسرائيل . واليابان تدعي كما سبق وذكرنا انها تتخذ موقف الحياد التام ، وبهذا الخصوص صرح « ايزاكو ساتو » رئيس وزرائها في ٩ حزيران ١٩٦٧ قائلا : « **انا اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف الحياد التام**(٣٥). كما نقبل الحياد التام فيما لو جاز الحياد في قضايا الحق ومصائر الشعوب . ولكن اليابان ، فيما لو جاز حيادها ، حسب مفهومها الرسمي ، لم تكن منضبطة كليا مع حيادها ، وسنحاول استعراض موقف اليابان في هيئة الامم وخارجها بالنسبة للقضية الفلسطينية في ما يلي : لم تقبل عضوية اليابان في هيئة الامم المتحدة الا بعد اكثر من احد عشر عاما من اندحارها في الحرب العالمية الثانية وزوال الصبغة الاستعمارية المباشرة عنها ، فقد قبلت في هيئة الامم في ١٨ كانون الأول ١٩٥٦ ، لذا لم تعاصر احد اهم مراحل القضية الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة الا وهي بحث قضية التقسيم ، هذا واعتقادنا انه لو كان لها حق التصويت حينئذ على تقسيم فلسطين لكانت وقعت تحت الضغط الامريكي . ونحن بقولنا هذا لا نندفع الى القاء التهم جزافا فالوقائع التي سنسرد هي

التي تثبت ذلك . وسنورد بعض الامثلة المتفرقة ولكن الشاملة من مواقف اليابان في هيئة الامم المتحدة لاعطاء فكرة واضحة عن سياستها . هذا علما بان اليابان قلما شاركت في النقاش عند طرح القضية على بساط البحث . وهي وان تكلم مندوبوها فبمواضيع هامشية لا تعبر عن موقف او ارتباط .

الاعتداء الاسرائيلي على سورية — في مجلس الامن : على اثر الهجوم الاسرائيلي الجوي على سبعة مواقع تقع جميعا ضمن مشروع تنمية نهر الاردن والذي ادى الى تعطيل بعض الجرارات وخسائر اخرى في الممتلكات والارواح،تقدمت سوريه بشكوى الى مجلس الامن ضد اسرائيل . وفي الوقت الذي كانت الطائرات الاسرائيلية تغير فيه على الاراضي السورية تقدم المندوب الاسرائيلي الدائم في هيئة الامم المتحدة بكتاب يدعي فيه انه « في ١٣ و ١٤ تموز قامت وحدات من الجيش السوري وبعض الجماعات الاخرى المسلحة باحداث اعمال تخريبية ضمن الاراضي الاسرائيلية ، وان الحكومة الاسرائيلية قد أمرت قواتها لتقوم بعمل ثاري محدود النطاق ضد سورية ، وذلك ردا على الاعتداءات السورية المتكررة على اسرائيل»(٣٦). وعند البدء ببحث القضية في المجلس عارضت اليابان واكثرية المجلس ادراج الشكوى السورية وحدها على جدول الاعمال ، علما بان ادراج الشكوى الاسرائيلية يشكل تجاوبا مع خطة اسرائيل الرامية الى التقليل من اهمية الشكوى السورية . هذا وقد امتنعت اليابان والولايات المتحدة والدول الدائرة في فلكها عن التصويت على مشروع قرار الاردن/مالي الذي يطلب من كل من اسرائيل وسوريه التعاون مع كبير المراقبين لتنفيذ اتفاقية الهدنة كذلك ادانة الهجوم الاسرائيلي المبيت على الجمهورية العربية السورية(٣٧). بعد فشل مشروع القرار الاردن/مالي تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا بمشروع قرار جديد(٣٨) اضطرتا الى سحبه نظرا لعدم منطقيته ولتأكدهما انه سينال صوتيهما فقط عند طرحه على التصويت . عند ذلك تحركت اليابان علنا في احدى تحركاتها النادرة في هيئة الامم عند بحث القضية الفلسطينية وتقدمت بصحبة الارجنتين وهولندا ونيوزيلندا ونيجيريا ويوغندا بمشروع قرار جديد اقل تحيزا من مشروع القرار الانجلو/أميركي فالمشروع السداسي « **يدعو الحكومة السورية الى تقوية اجراءاتها ضد الحوادث التي تشكل خرقا لاتفاقية الهدنة** » . وهذا يعني بانها اتخذت اجراءات في السابق والفرق واضح بين مشروعي القرارين فالاول **يدعو سوريا لاتخاذ الاجراءات التي تؤدي الى عدم اتخاذ اراضيها كقاعدة لعمليات خرق لاتفاقية الهدنة** . وقد فشل مشروع القرار السداسي نتيجة للفيتو السوفياتي لكونه لا يدين اسرائيل . وهذا يعني ان اليابان احدى الدول المتقدمة بمشروع القرار لا تود ادانة اسرائيل ، او من الممكن انها لا تجرؤ على ذلك .

الاعتداء الاسرائيلي على قرية السموع الاردنية : في الثالث عشر من تشرين الثاني ١٩٦٦ شن الجيش الاسرائيلي هجوما واسعا مدبرا بالطائرات والآليات البرية سقط على اثره عدد كبير من الضحايا من المدنيين والعسكريين ونتج عنه دمار واسع . ناقش مجلس الامن الاعتداء لاكثر من اسبوع واتخذ على اثر ذلك قرارا يلوم اسرائيل « ويهددها باضطراره اذا ما عادت وتكررت مثل هذه الاعمال الحربية الثارية » الى اتخاذ خطوات حاسمة يجيزها ميثاق الامم المتحدة لمنع تكرار مثل هذه الاعمال . اتخذ القرار باكثرية ١٤ صوتا بدون معارض واستنكاف نيوزيلندا . ولم تأخذ اليابان موقف الحياد فحتى الولايات المتحدة لم تتمكن من الوقوف في وجه « اللوم » و « التهديد » باتخاذ اجراءات في المستقبل ضد العدوان الاسرائيلي .

في الجمعية العمومية واللجنة السياسية الخاصة : وفيما يلي بعض الامثلة على موقف اليابان عند مناقشة بعض الامور المتعلقة بالقضية الفلسطينية. أيدت اليابان حث الحكومات بالتبرع لوكالة الغوث، كما أيدت تصحيح قوائم الاعاشة ... لتحقيق أقصى توزيع عادل للاعاشة على اساس الحاجة . اما عند طرح موضوع تطبيق الفقرة ١١ (اي العودة لمن اراد العودة من اللاجئين والتعويض لمن لا يريد العودة) وعدم تطبيق هذه الفقرة يرجع الى امتناع اسرائيل عن ذلك ، رأى مندوبو اليابان التغيب عن الجلسة ! اما بما يختص بمشروع القرار الذي يطالب بتعيين قيم على املاك العرب الموجودة في اسرائيل استنادا الى ان حق العرب في املاكهم ، حق تقره شرعة حقوق الانسان وقواعد القانون الدولي العام ، وكون الريع السنوي ولا نقول المتراكم يزيد عما تنفقه وكالة الغوث على النازحين الفلسطينيين ويدفع عنهم مذلة استجداء المعونات الخارجية . ومع ان مشروع القرار هذا

يبين بوضوح بانه ليس في تعيين القيم انتقاص لسيادة اسرائيل ، كما وانه لا يشكل سابقة تسري على دول اخرى ، ذلك لان وضع اسرائيل يختلف عن غيرها من الدول ، مع ذلك فان اليابان تمسكت « بحيادها » واستنكفت عن التصويت مما ساهم في فشل مشروع القرار وابقى اسرائيل المحتلة بالقوة ارض فلسطين العربية ، تستغل ممتلكات شعب فلسطين وتحرمهم من انتاجها(٣٩). ان استعمال حق الحياد في عدم تأييد الحق لهو معارضة للحق . وفي العام السابق (١٩٦٥) امتنعت اليابان عن التصويت على ثلاثة مشاريع قرارات منها ما ايده العرب ومنها ما عارضه، ونخص بالذكر الى جانب تعيين قيم على املاك النازحين قضية دعوة مندوبي منظمة التحرير الفلسطينية لتمثيل عرب فلسطين امام اللجنة السياسية الخاصة ومجلس الوصاية ومجلس الامن . أما في عام ١٩٦٧ فقد كان موقف اليابان من قضية حرب حزيران متخبطا خارج اروقة الامم المتحدة ، ففي التاسع من حزيران صرح « ايزاكو ساتو » رئيس وزرائها ، انذاك ، قائلا « اني اعتقد بان على اليابان ان تحافظ على موقف الحياد التام»(٤٠). اما وزير خارجيته فقد شارك في اصدار بلاغ مشترك على اثر انتهاء زيارته الى بولونيا في ٢٢ تموز ١٩٦٧ يعلن انه « من الضروري ان تنسحب القوات الاسرائيلية الى مواقع ما قبل الخامس من حزيران »(٤١). اما في اروقة الامم المتحدة فلم تكن اليابان اقل منها تخبطا عنها في خارجها ، وان كان موقفها أكثر التزاما بالموقف الاميركي الكلي الانحياز منه الى موقف الحياد كما سنرى في الجدول التالي الذي يبين مواقف كل من اليابان والعرب واسرائيل والولايات المتحدة بالنسبة لمشاريع القرارات التي طرحت على التصويت خلال بحث العدوان في الجمعية العمومية .

	موقف اليابان	موقف العرب بالاجمال	موقف اسرائيل	موقف الولايات المتحدة
مشروع القرار السوفياتي				
مقدمة مشروع القرار	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الاول	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الثاني	امتناع	تأييد	معارضة	معارضة
البند الثالث	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
البند الرابع	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار الالباني	معارضة	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار اليوغوسلافي	تأييد	تأييد	معارضة	معارضة
مشروع القرار الاميركي اللاتيني	تأييد	معارضة	امتناع	تأييد
مشروع القرار الخاص بالقدس	تأييد	تأييد	غياب	استنكاف
مشروع القرار الانساني	تأييد	تأييد	تأييد	تأييد(٤٢)

(يمكن الرجوع الى الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧ او للكتاب السنوي لهيئة الامم المتحدة للاطلاع على تفاصيل المناقشات ونصوص مشاريع القرارات الواردة اعلاه).

ويلاحظ من الجدول اعلاه ان اليابان قد حرصت على مسايرة الولايات المتحدة في معارضتها لمشاريع القرارات المقدمة من قبل دول شيوعية ، ولكنها ايدت مشروع القرار اليوغسلافي (او مشروع قرار دول عدم الانحياز) لانه اتى في صيغة غير حادة . وهذه هي الحالة الوحيدة خلال هذه الدورة التي عارضت فيها اليابان رأي الولايات المتحدة بصورة مباشرة وعن طريق التصويت . هذا علما بانها صوتت مع قرار عدم تعديل وضع القدس بينما استنكفت الولايات المتحدة عن التصويت . اما مشروع القرار الاميركي اللاتيني فقد ايدته الولايات المتحدة نفسها وفي الحقيقة هي التي دفعت دول امريكا اللاتينية للتقدم به ، فهو صورة مخففة لمشروعها ويربط الانسحاب بتصفية القضية الفلسطينية . وكانت المرة الوحيدة التي تكلم فيها مندوب اليابان ابان مناقشة العدوان الاسرائيلي عندما « عبر عن جزعه واهتمامه بالتقارير الواردة عن النزوح الجماعي الاجباري للعرب من بيوتهم ، واردف قائلا انه يتوجب على المجلس اتخاذ الاجراءات لمنع مأساة اخرى نتيجة لضرب الضحايا في النزاع بين العرب والاسرائيليين»(٤٣). ويلاحظ هنا أن اليابان لم تهزها سوى النتائج الانسانية لما

حدث ويقول مندوبها « جاتسوي » ، « الضحايا الأبرياء في النزاع بين العرب والاسرائيليين » مع انه يعترف بالنزوح الجماعي الاجباري للعرب من بيوتهم الا انه لا يدين الاسرائيليين ادانة واضحة بالعدوان وهذه نتائجه ماثلة بين يديه تثير اهتمامه ليتحدث منها « مجزوءا » ويصنف محررو الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية عام ١٩٦٧ **اليابان** نتيجة لموقفها من هذه الدورة على « **انها من الدول غير المساعدة للعرب** » وذلك الى جانب بورما وكمبوديا وايران وتركية ونايجيريا وسيراليون والكاميرون والكونجو كينشاسا . بينما يصنف الكتاب بقية الدول الافرو/آسيوية في اربع فئات اخرى هي : **دول صديقة** وهي التي صوتت الى جانب العرب و **دول غير صديقة** و **دول غير صديقة ابدا ودول معادية بصورة ايجابية** .

هذا بالاجمال هو الموقف الياباني الرسمي الذي وان حاولت السلطات اليابانية وصفه بالحياد التام ، فهو في رأينا ليس بالتام ولا بالجزئي . انه يعبر عن المصلحة الخاصة لدولة تسيء فهم مصلحتها الخاصة في الوطن العربي . ان هذا الموقف يساير ارادة الولايات المتحدة ، ولا نعتقد باننا نكون مغالين لو فسرنا هذا الموقف على انه انتظار من اليابان ذات المصالح الضخمة والنامية في الوطن العربي ، لان يكون لاسرائيل في المستقبل اليد العليا في تسيير شؤون الوطن العربي !!

الموقف الشعبي الياباني : اما الموقف الشعبي الياباني او بصورة أدق الموقف **غير الرسمي الياباني** بالنسبة للقضية الفلسطينية فمن الطبيعي ان يكون أقل تحديدا لتعدد الفئات التي تناولتها وعبرت عن رأيها فيها . بالنسبة لرأي المواطن الياباني العادي اللامنتمي او غير الملتزم بحزب او جماعة منظمة وليس له علاقة مباشرة من اي نوع — اقتصادية كانت او اجتماعية — فليس من السهل تحديده . المواطن العادي في بلد بعيد مثل اليابان حيث لا توجد جالية عربية كبيرة ولا يقيم الى جانبه طائفة يهودية كبيرة ، فاليهود المقيمون في اليابان بصورة دائمة لا يتعدون المئات بينما يزيد عدد اليابانيين على المئة مليون نسمة ، وان حاول هؤلاء المئات من اليهود الاتصال المباشر مع المواطنين اليابانيين فتكون النتيجة ذات فعالية محدودة ، مثل هذا المواطن من الطبيعي ان يتصف بالجهل بقضيتنا تاريخا وواقعا ، الا اذا كان ملتزما براي سياسي او له مصلحة اقتصادية مباشرة ففي الحالة هذه لا يبقى بالنسبة لنا مواطنا عاديا ، فهو مواطن مصنف .

لقد بينا أعلاه موقف الجناح اليميني من الاشتراكيين اليابانيين ومدى انغماسه وتورطه مع الصهيونية خلال المؤتمر الاشتراكي الاسيوي الاول ، شأنه في ذلك شأن « اشتراكيي » الاحزاب الحاكمة في اوروبا الغربية التي تتورط قياداتها ومعظم قواعدها مع الصهيونية وتدعم اسرائيل في مختلف المجالات الى ابعد الحدود . اما اليسار الياباني الحقيقي فقد ظهر موقفه الفلسطيني العلني وبشكل واقع بعد حادث مطار اللد في ٣١ ايار ١٩٧٢ عندما قام ثلاثة شبان من اعضاء منظمة الجيش الاحمر الياباني الذين وصلوا على متن احدى الطائرات الى مطار اللد في فلسطين المحتلة وقاموا بمهاجمة الموجودين في قاعة الركاب في المطار وبشكل خاص ممثلي سلطة الاحتلال ، كذلك الطائرات الموجودة في باحة المطار آنذاك . وقد وقع نتيجة للحادث اصابات مميتة وجرحى من الاسرائيليين ومن السياح الذين صدف وجودهم في المطار في تلك اللحظة . لقد قام اعضاء منظمة الجيش الاحمر الياباني بتنفيذ هذه العملية التي دعيت بعملية دير ياسين الاكثر عنفا من عملية مطار اللد ، وذلك بالاشتراك مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ... وقد عبر الفدائي الياباني الوحيد الذي بقي حيا بعد الحادث عن دوافعه بقوله ، « ان المشاركة في نضال العرب جزء من الثورة العالمية ... ذلك ان الاسرائيليين جزء من حركة الامبرياليين في العالم »(٤٤).

منظمة الجيش الاحمر الياباني او « **سيكي غون** » منظمة يسارية امية اعتنقت شعار ماوتسي تونغ « بالسلاح فقط يمكن تغيير العالم » والعالم الذي يعنيه الجيش الاحمر هو عالم الامبريالية ، انطلاقا من اليابان الى الولايات المتحدة ، فاوروبا الغربية وغيرها من مواقع الامبريالية ففلسطين المحتلة حيث اسرائيل الصهيونية هي الامتداد الطبيعي للامبريالية ويدها الضاربة في الوطن العربي وافريقيا وآسيا . بدأ الجيش الاحمر نشاطه بجناحيه السياسي والعسكري سنة ١٩٦٥ . ولكن تعرف اليابانيين والعالم على منظمة الجيش الاحمر الياباني بشكل واسع كان في اول انطلاقة كبيرة لها في تشرين الثاني ١٩٦٩ ، حين نظم اليسار الياباني خمسة ايام عنف لمنع « ايزاكو ساتو » رئيس وزراء اليابان من

السفر الى الولايات المتحدة لتوقيع معاهدة تعاون معها . لقد ارادوا بذلك الحد من الاتصال والتعاون بين اركان الامبريالية في الولايات المتحدة واليابان زيادة عن الانغماس العميق الجاري بينهما ، وذلك بمنع توقيع المعاهدة . وفي ٣١ اذار ١٩٧٠ خطف فريق من طلاب هذه المنظمة ، بينهم شقيق الباقي الوحيد في عملية مطار اللد ، طائرة يابانية الى بان مونجوم في كوريا الشعبية تعبيرا عن وحدة اليسار العالمي — ومنها وحدة اليسار الثائر على البورجوازية الامبريالية الحاكمة في اليابان — مع الحكم الثوري في كوريا الشعبية . واحتج اليسار الياباني الذي تتمثل به منظمة الجيش الاحمر بعنف شديد على استمرار احتلال الامبريالية الاميركية لجزيرة «أوكيناوا» حتى عام ١٩٧٢، وقد حاولوا اقتحام القواعد العسكرية الاميركية والقوا القنابل على المركز الثقافي الاميركي . وقد اعتقل في اليوم الاول من التظاهرات ١٨٥٧ شخصا . ثم نظموا اضرابا عماليا وتظاهرة اشترك فيهما نحو أربعة ملايين شخص . « وكانت العناصر الاكثر تطرفا خلال هذه التظاهرات هي منظمة الطلبة اليساريين انها تضم ١٣ الف عضو عامل وتستطيع تجنيد ٤٢ الفا من أصل ٤٤٠ الف طالب منتسبين الى روابط الطلبة المنضمة الى التكتل اليساري المتطرف»(٤٥) .

وفي كانون الثاني ١٩٧٠ عقدت المنظمة مؤتمرا سريا اقرت فيه سياستها وبرامج عملها بعد اندماج منظمة الجيش الاحمر الطلابية مع منظمة ثورية عمالية باسم الجيش الاحمر المتحد . ومنذ ذلك الحين بدأ طابع المنظمة الاممي بالبروز فقد ارسلت فرقا للتدريب في كوبا وبدأت اتصالاتها بمنظمة الفهود السود الاميركية ومختلف المنظمات الثورية في العالم بما في ذلك المقاومة الفلسطينية بواسطة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وفي عام ١٩٧١ صدرت دراسة مشتركة حول « حرب الفدائيين العرب والجيش الاحمر الياباني » أعدها الجيش الاحمر بالتعاون مع الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولكن اول اتصال جرى بينهما كان في عام ١٩٦٨ بمبادرة من الجيش الاحمر الذي رأى في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تنظيما ثوريا ذا ايديولوجية مطابقة لايديولوجيته ، وتشترك معه بذات الاسلوب في مقاومة الامبريالية والاستغلال .

والى جانب الجيش الاحمر هناك عدد من الاطباء والمرضات اليابانيين الذين يعملون متطوعين في مستشفيات الهلال الاحمر الفلسطيني ، وذلك شعورا بواجب المشاركة في هذه الثورة الحقة .

لا شك أن أكثر ما يهمنا في هذه الدراسة عن الموقف الياباني من حادث مطار اللد هو رد الفعل الياباني الرسمي وشبه الرسمي والى حد ما الشعبي الذي نتج عنه .

رد الفعل الرسمي : قامت الحكومة اليابانية بارسال بعثتين الاولى سياسية وعلى مستوى عال والاخرى من كبار رجال الشرطة ، وقالت صحيفة «هيرالد تريبيون» الاميركية في رسالة لها من طوكيو، « اعلن اليوم هنا (طوكيو) ان مندوبين من الحكومة اليابانية سافرا بطريق الجو الى اسرائيل ليعبرا عن اسف حكومتهما عن حادث مطار اللد . المبعوثان هما كنجي فوكوناجا نائب قديم في الدايت (مجلس النواب الياباني) والسكرتير الاول السابق في وزارة ايزاكو ساتو ، رئيس قسم الشرق الاوسط في وزارة الخارجية اليابانية ، مينابو باماموتو»(٤٦) . ونقلت الاهرام عن وكالات الانباء ، « وقد ادلى المبعوث الياباني كنجي فوكوناجا ببيان في مؤتمر صحفي بعد ان اجتمع بجولدا مئير رئيسة الوزراء وزالمان شازار رئيس اسرائيل ليطلب منهما الصفح عما فعله اليابانيون الثلاثة ، واضاف ، ان المبالغ التي ستدفعها اليابان على سبيل التعويض عن نتائج عملية اللد سوف يذهب جزء منها الى اسر القتلى والجرحى والباقي لما وصفه الى **المشروعات الانسانية في اسرائيل** . وقال ان الصليب الاحمر الياباني سيقدم مبلغا كبيرا الى هيئة موجن دافيد ادوم ، (جمعية نجمة داوود الحمراء)» . وزادت الصحيفة : « وأكد فوكوناجا ان عددا من رجال الشرطة اليابانية بينهم رئيس ادارة التحقيقات الدولية واسمه تسوكادا ، قد وصلوا الى تل ابيب لمساعدة الشرطة الاسرائيلية في التحقيق مع الفدائي المعتقل اوكاموتو»(٤٧) .

وقال سياسي ياباني كبير ، « ان هؤلاء الشبان الثلاثة عار على الشعب الياباني»(٤٨) . اما صحيفة كريستشن ساينس مونيتر فكتبت « وصم وزير خارجية اليابان ، تايو فوكودا ، علنا امته بانها ثرية ماديا ولكنها فقيرة اخلاقيا » . وزادت الصحيفة قائلة : « وتساءلت الصحف اليابانية في افتتاحياتها ، هل سيظن الاجانب بان الشخصية اليابانية تعاني نقصا مميتا ؟»(٤٩) .

رد الفعل الصحفي : وكتبت صحيفة« مينيشي »

اليابانيــة تقول : « ان شعورا بالخزي والعار يغمرنــا بان يقترف مواطنــون لنا مثــل هــذه الأعمال(٥٠). ومن طوكيو ارسل الاخ انور عبــد الرحمن تقريرا خاصا الى مركز الابحاث الفلسطينية قــال فيــه « وعقبت صحيفة « جابان تايمز » في مقال لها ، ان جميع المقالات المكتوبة في الصحف اليابانية تميزت بالخجل والاسى العميق وخيبة الامل والشعور بالخــوف من ان تسوء العلاقات بــين البلدين . كما اضاف ان الصحف أبرزت الحدث بعناوين ضخمة وعبرتعن ارتيــاحهــا لتصريــح جــولدا مئــير ، بــأن الحــادث لــن يؤثر على العــلاقــات الوديــة بــين البلــدين . كمــا ان معلــقي الصــحف قـــد اجمعوا على ان السلام الذي حققته اليابان بعد الحــرب الكونية الثانية قد دمر تدميرا كاملا » !!. واضاف التقرير: « قالت صحيفة يوميوري الواسعة الانتشار (٥ ملايين نسخة) بان البنك الصناعي الياباني لبنــاء السفن قدم شيكا للسفارة الاسرائيلية بـ ١٥ الــف دولار هدية لاسر الضحايــا » . وزاد التقرير ، « ذكرت صحيفة « يوميوري » بان المكالمات تنهال على السفارة الاسرائيلية من مختلف طبقات الشعب معربة عن اسفها ، وكذلــك مقدمة تبرعات لاسر الضحايا ، وقد طلبت السفارة ان تحول المساعدات الى جمعية نجمــة داوود الحمراء»(٥١). اما رد الفعل الشعبي النزيه الواعي فهو بايجاز كلي ، مكموم سيغتال حتما لو عبر عنه بالعلن .

وقد يقف البعض متأملا باستغراب ودهشة مثل رد الفعل هذا، يصدر عن شعب مثل الشعب الياباني، ولا شك ان كل الساسة واكثر الصحافيين كــانوا موجودين وواعين، ان لم يشتركوا في حرب اليابان، لاستعمار الشعوب قبل وخــلال الحرب العالميــة الثانية . فالزمن غــير بعيد . ان أمــة حاولت استعمار قسم كبير من آسيا وسيطرت فعليا على جزء واسع منها لا يمكــن ان تكون قد استعملت الوسائل السلمية والاسلوب الانساني للوصول الى اغراضها الاستعمارية . ان سقوط ملايين الضحايا في سبيل استعباد الشعوب واستعمار اراضيها ، لكون الجزر اليابانية تضيق باهلها ولاجل الحصول على الخامات اللازمة للصناعة اليابانية وايجــاد الاسواق اللازمة لمنتجاتها ، مسألة كان فيها نظر ! اما ان يتساهم ثلاثة شبان يابانيين هالهم تــورط ساستهم مع الامبريالية الاميركية وانعدام المناقبية بين هؤلاء الحكام بتعاملهم مع اسرائيل الصهيونية الامبريالية ، في ثــورة شــعب لتحرير وطنه ، وان يسقــط نتيجة ذلــك عــدد من الرسميــين الاسرائيليين وبضعة سياح كان يجب ان يعرفوا بان زيارة بلد في حالة حــرب معناه تعريض انفسهــم للخطر ، فان مثل هذا العمل « يندى له جبين الساسة والصحافيين اليابانيين ويغمرهم بشعور الخزي والعار !! » ويستوجب ارسال رسميين كبار لطلب الصفح من جولدا مئير وطبعا موشي دايان ولن ننسى مناحيم بيجن !

ولا شك ان في ما كتبه سمير كرم في الاهــرام ، ردا واضحا شبه كامل على استغراب البعض على ردة الفعل اليابانية على عملية مطار اللد اذ قال ، « ان فدائية اليابانيين الثلاثة اليساريين ابطــال عملية مطار اللد هي النقيض الموضوعي لانتحارية اليمين الياباني كما تمثلت في انتحار الكاتب اليميني الياباني يوكيو ميتشيما ، اليسار يتجه نحو الفداء من اجل قضية عادلة يؤمن بها وبارتباطها بالضمير وبالمثل الانسانية العامة ، واليمــين يتجه نحــو الانتحار محكوما بالعبث ورفض النضال . اليسار يتجه للفداء رفضا للواقع الراهن وتطلعا الى واقع متقدم ، واليمين يتجــه للانتحار رفضا للواقــع الراهن ، ولكن منطلقا الى واقع مضى ويأسا من استعادته . « في حين اعطى اليساريون اليابانيون دمهم من اجل واقــع اكثر انسانية يعــرفون أن الوجود الاسرائيلي يقف في طريقه ، فان المنتحرين من مفكري اليمين اليابانيين ـ واشهرهم ميتشيماـ اهدروا دمهــم من اجــل ان تعود في اليابان قوة العنصرية والنزعة العسكرية المسيطرة (اي من اجــل ان يعود في اليابان كيــان شبيه بالكيــان الاسرائيلي في الشرق الاوسط) »(٥٢).

ونزيد ان ردة الفعل اليابانية فيها الكثير من الخوف من ان تنفجر ضدها الملاحقات الصهيونية . فمثلا ما ان انتشرت اخبار الحادث حتى قامت قيامـــة الصهيونية اذ « أعلن في طوكيو ان السفارات والمكاتب الحكوميـــة اليابانية في الولايــــات المتحـدة واوروبــا ، تلقت عــددا من المكالمات الهاتفية تهدد بالقاء القنابل عليها»(٥٣). لا شك ان هذه التهديدات سوف لا تنفذ، بل الهدف من ورائها هو زيادة في « تركيع » اليابان ولحصرها اكثر من قبل داخل المعسكر الامبريالي الامريكي/الصهيوني وزيادة رضوخها لعملية الابتزاز الاسرائيلية للاموال اليابانية ، وقد دفعت التعويضات مباشرة من غير الحاجة الى المفاوضات ، وزيــادة الاستثمارات

خلاصــة

كما فصلنا لليابان مصالح ضخمة متشعبة ونامية في الوطن العربي لا تتمتع بمثلها الا دول قليلة في العالم . والمستفيدون من هذه المصالح يشكلون قاعدة شعبية واقتصادية واسعة جدا يمكن اذا وجدت خطة عربية متكاملة توجيهها بحيث تعي وحدة مصالحها مع المصلحة العربية ، ومن ثم تصبح قوة ضاغطة تعمل لتوجيه السياسة اليابانية الخارجية في خط مواز مع المصلحة العربية القومية، وطبعا ذات العلاقة المباشرة مع القضيــة الفلسطينية التي هي الجـوهر والمحور الرئيسي للسياسة العربية الخارجية .

اليابان كانت ولا تزال تدعي سياسة الحيــاد بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وكما رأينا انه مجرد ادعاء ، ولكنها والحق يقال لا تزال أقل انحيازا الى الصهيونية من معظم الدول الغربية . لذا لما كانت هي تدعي الحياد ، ولما كانت أقل انحيازا من معظم الدول الغربية ، ولما كانت مصالحها في الوطن العربي ضخمة ونامية فيجب ان يعمل العرب تجاهها وفق خطة متكاملة موحدة ، **واشــــدد موحــدة .**

العرب أقل حاجة الى اليابان من حاجة اليابان الى العرب ، وازيد انه بامكان العرب الاستغناء ، عند الضرورة ، عن حاجة اليابان لهم من غير ان يخسروا شيئا في المدى الطويل والمتوسط وقليلا في المدى القريب . بامكان العرب تصريف خاماتهم وسد الحاجة الآنية لسوقهم بعيدا عن اليابان ، أما اليابان فستكون هي الخاسرة ، والخاسرة كثيرا في المديين القريب والمتوسط والى حد ما في المدى البعيد . ان اليابان اذا شاءت معاداة العرب وكانوا هم اسياد انفسهم فستخسر العرب كسوق لتصريف منتجاتها وكمنجم وحقل يمـدانها بالخامات ذات الضرورة الاساسية لصناعاتها . ان اليابان كما تدل الوقائع ما هي الا مصنع مجهز بالآلات والخبرة التقنية واليد العاملة . وكل هذا غير ذي فائدة لو انقطعت عنه امدادات الوقود والخامات التي لا يؤمن منها محليا سوى ٣٠٪ من المصادر الخاصة الداخلية . والنسبة العربية من هذه الخامات والوقود تشكل عنصرا اساسيا بالنسبة لحاجات المصنع الياباني . وهي نسبة عالية ذات تكاليف متدنية .

الياباني اكتسب التفكير المصلحي الاقتصـادي واصبح ذلك الآن بالنسبة اليه تراثا عميق الجذور. لذا أفضل أسلوب يمكننا التوجه بواسطته الـى العقلية اليابانية هو أسلوب المعادلة الحسابية . ويتوجب على من له مثل هذه العقلية ، ولا يصعب عليه ، ان يعي مصلحته الاقتصادية على المدى البعيد . وانه يجب ان يفهم انه على هذا المدى سوف يكون الوطن العربي هو سيد نفسه . ومن يعتقد اننا سنقع في المستقبل كليا تحت قبضـة الصهيونيــة وهي التي ســـوف تســـير امورنا فهــو مخطىء . الشــــعوب ، كمــا يجب ان يعلم اليابانيون ، قد وعت وســـارت في طريق التقدم والتحرر ، ولن يعيد التاريخ نفسه، فلن تنطمــس حضارة في المستقبل تلقــائيــا ولوحدها . فالشعب الذي انطلق وتحرر سيبقى حرا وسيزيد من انطلاقه في سبيل التقـــدم . ولعلاقاتنا مع اليابان نواح أخرى ... اننـــا واليابانيين آسيويون في الاصل والواقع ، وهكذا يريد كل منا ان يكون وان يبقى ، بينما اسرائيل تتبرأ من آسيويتها التي ما كانتها ولن تكونها . واليابان تختلف في تراثها الحضاري والديني عن الغرب كونها لا تعتمد أصولا دينية يهوديـــة ، أحسنت الصهيونية العالمية استغلالها بالنسبة للغرب المتدين . واليابان حرة كليا من عقدة شعب الله المختار وما يلفها وما يتبعها من اعتقادات خاطئة توجد لدى الغرب ارتباطات وواجبات وهمية للحفاظ على اسرائيل ودعم كيانها . وهذا مما يسهل علينا مخاطبة العقلية اليابانية . كل هذا يسهل لنا الوصول الى العقلية اليابانية ومخاطبتها والوصول بذلك الى نتائج ايجابية ... فيما لو أحسن التصرف على اساس خطة عربية متكاملة واحدة . ولا موجب للتأكيد أو التنبيه انه من مصلحتنا ان لا نتعادى مع اليابان سياسيا فنضطر الى الحد من تعاملنا معها .

---

١ ــ **الاسبوع العربي** ، ملحق العدد ٦٧٩ ، ١٢ حزيران ١٩٧٢ ، عدد خاص عن اليابان ١٩٧٢، مقال « **الاقتصاد والتجارة** » .

٢ ــ مجلة **روز اليوسف** ، ٢٨ ك١ ١٩٧٠ ، مقال اسرائيل تضع خطة لغزو آسيا اقتصاديا .

٣ ــ **المصدر نفسه** .

٤ — **ملحق الاسبوع العربي** ، اليابان ١٩٧٢ ، ومن الواضح ان هذا الملحق الدعائي لليابان مدفوع ثمن كل صفحة منه من الغلاف الى الغلاف وجميع مقالاته معدة من قبل مؤسسات حكومية واقتصادية خاصة يابانية مثل المكتب التجاري الياباني ووزارة التجارة اليابانية ووزارة الخارجية وغيرها ... وهي بذلك تعبر عن وجهة نظرها فقط .

٥ — **النهار** البيروتية ١٩٧٢/٧/٢٩.

٦ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٥** ، منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٧ .

٧ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade Statistics, Series D, Vol. XIX, No. 1-5.

٨ — **المصدر نفسه** .

٩ — **ملحق الاسبوع العربي** ، اليابان ١٩٧٢ ، ص ٢٩ و٣١ .

١٠ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade, 1969,

١١ — Statistical Abstract of Israel 1971.

١٢ — U. N. Statistical Papers - Commodity Trade 1969.

١٣ — Organization of the Petroleum Exporting Countries, Statistics Unit, June 1971. Annual Statistical Bulletin.

١٤ — **المصدر نفسه** .

١٥ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

١٦ — Walter R. Skinner, *Oil and Petroleum International Yearbook* 1971-72, London.

١٧ — World Oil - International Edition, Aug. 15, 1971.

١٨ — The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, Vol. 55/9, Sept. 1971, p. 1618.

١٩ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

٢٠ — The American Association of Petroleum Geologists Bulletin, vol. 55/9,Sept. 1971, p. 1618.

٢١ — Facts & Figures 1970, ARAMCO.

٢٢ — A. A. P. G. Bulletin, Vol. 5519, Sept. 1971, pp. 1617-1618.

٢٣ — World Oil, Aug. 15, 1971, p. 116.

٢٤ — وكالة انباء اسوشيتدبرس ١٩٦٨/١٢/٢٧.

٢٥ — *Daily Star*, 18 Nov. 1970, (Beirut)

٢٦ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .

٢٧ — G. H. Jansen, *Afro-Asian and Non-Alignment,* Faber and Faber, London 1966, p. 265.

٢٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٦٥ .

٢٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

٣٠ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٥٦٧ .

٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٩٨٧ — ٩٨٨ .

٣٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٦٨٤ .

٣٣ — صحيفة **الاهرام** ، ١٥ نيسان ١٩٧٢ .

٣٣ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٦** ، ص ٩٨٥ — ٩٨٦ .

٣٤ — **الاهرام** ، ١٩٧٢/١/١٢ .

٣٥ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧** ، ص ٩٩٥ .

٣٦ — **المصدر نفسه** .

٣٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٩٧ .

٣٨ — يرجى الرجوع الى **المصدر نفسه** اعلاه ، ص ٦٠١ — ٦٠٢ للوقوف على تفاصيله .

٣٩ — United Nations Yearbook, pp. 184-185.

٤٠ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٦٧**، ص ٩٩٥ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٠٤ .

٤٢ — U. N. Monthly Chronicle, July 1967, p. 25.

٤٣ — **المصدر نفسه** .

٤٤ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٣ .

٤٥ — مجلة **البلاغ** البيروتية ، ٦٢/٦/٥ .

٤٦ — *International Herald Tribune,* 2/6/72.

٤٧ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٥ .

٤٨ — مجلة **الهدف** البيروتية ، ٧٢/٦/٣ .

٤٩ — *Christian Science Monitor*, 2/6/72.

٥٠ — *International Herald Tribune,* 2/6/72.

٥١ — انور عبد الرحمن ، تقرير غير منشور الى مركز الابحاث الفلسطينية ومحفوظ في ملفات المركز .

٥٢ — **الاهرام** ، ٧٢/٦/٣ .

٥٣ — *The Guardian*, 3/6/72.

التعليم في قطاع غزة

شحاده موسى

ينقسم الفلسطينيون في قطــاع غزة الى فئتين : السكان الاصليون ، واللاجئون . ويتولى الاشراف على السكان الاصليين وبالتالي على التعليم لديهم السلطات المصرية (حتى عدوان اسرائيل واحتلالها للقطاع عام ١٩٦٧) ، وتشرف وكالة الغوث الدولية على اللاجئين وبالتالي تؤمن لهم الخدمات التعليمية. ومن المعروف ان وكالة الغوث الدولية تشكلت بقرار من الجمعية العمومية للامم المتحدة في ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ ، حدد مهماتها بـ : أ ـ تقديم الغوث للاجئين الفلسطينيين على اساس الحاجة . ب ـ تنفيذ برامج تهدف الى مساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتأهيلهم لاعالة انفسهم . وباشرت الوكالة اعمالها في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠(١). وبالطبع فان التعليم يعتبر وجها اساسيا من اوجه المهمة الثانية للوكالة اي انه وسيلة لتمكين اللاجئين من اعالة انفسهم .

يتألف النظام التعليمي في قطاع غزة من ثلاث مراحل مدتها ١٢ سنة : ٦ سنوات في المرحلة الابتدائية و٣ سنوات في كل من المرحلتين الاعدادية والثانوية. ويخضع الانتقال من مرحلة الـى اخرى لاجتياز امتحانات رسمية .

توفر الحكومة في المدارس الرسمية (السكـان الاصليون) التعليم في المراحل الثلاث ، كما توفر التدريب المهني على المستوى الثانوي ، وتدريب المعلمين في معهدين واحد للشبان وآخر للشابات . اما الانروا فتوفر التعليم في المرحلتين الابتدائية والاعدادية فقط، وتدفع مبلغا مقطوعا مقداره ١٥٠ الف دولار للحكومة لقاء تأمين التعليم الثانوي لابناء اللاجئين في مدارسها . كما كانت الانروا تدفع مبالغ عن الطلبة اللاجئين الذين يتلقون تدريبهم في معهدي تدريب المعلمين . وقـد ادخلت الانروا التدريب اليدوي للذكور في مدارسها الاعدادية ، كما ادخلت في قطاع غزة منذ عام ١٩٦٥ مادة اقتصاديات المنزل في المدارس الاعدادية للبنات . وللانروا مركـز للتدريب المهني في غزة يدرب فيه الطلاب على عدد من الحرف لمدة تتراوح بين سنة وسنتين . كما تقدم الانروا عددا محدودا من المنح الجامعية للطلبة المتفوقين سنويا .

وفي غزة كانت الانروا تسير وفق المنهج المصري وتستعمل في مدارسها الكتب ذاتهـا ، الا ان السلطات الاسرائيلية قامت بعد الاحتلال بمنـع استعمال هذه الكتب بحجة انها تحتوي على مادة تسمم عقول الاطفال وتنمي الكراهية لاسرائيل .

ومع انه ليس من مهمة هذا البحث استعراض المراحل التعليمية بشكل تفصيلي ، الا ان ذلك يرد ضمن استعراض القضايا او النقاط الاساسية التي سنركز عليها مثل : ١ ـ **التعليم والسكان** : في محاولة للتأكيد على ضرورة ربط الاغراض التعليمية بالحاجات الاقتصادية والاجتماعية الخاصة بالقطاع. ٢ ـ **الطلاب والمدارس** : في محاولة لاستكشاف ما اذا كان التعليم الذي تؤمنه الانروا ـ العام والمهني ـ يتناسب مع الحاجـات الاقتصاديـة والاجتماعية للسكان . والتركيز هنا على المرحلة الثانوية والتدريب المهني ، لان انهاء المرحلـة الابتدائية أو الاعدادية لا يمكن الفرد ، بهذه المعرفة الاولية ، من تأمين عمل يعتاش منه. ٣ ـ **التسرب**: بهدف تكوين صورة عن عدد الطلبة الذين يتركون دراستهم . ولهذه المسألة اهميتها في غزة حيث نسبة البطالة مرتفعة جدا ، والتعليم هو السلاح الوحيد الذي يمكن من تأمين العمل في مثل ظروف القطاع . ٤ ـ **تطور تعليم الفتيات** : لمعرفة تطور التعليم في القطاع النسائي من المجتمع ، لما لذلك من ارتباط بعدد مـــن العوامــل الاجتماعيـــة والاقتصادية .

لم يتعرض البحث لدراسة المناهج المطبقة في مدارس الانروا . وتجدر الملاحظة هنا الى ان مناهج التربية في مجتمع ما لا بد ان تكون لها اصول واهداف مستمدة من فلسفة ذلك المجتمع وأهدافه . والانروا لا تطبق في مدارسها منهجا واحدا بل تطبق المناهج المتبعة في البلدان المضيفة والتي هي بدورها ليست موحدة . وبالتالي فالاجيال الفلسطينية تفتقد الى المنهج الموحد والثقافة الموحدة التي تعمل من أجل هدف تربوي ــ سياسي وثقافي واحد .

الوضع السكاني والاقتصادي

عند مناقشة الاوضاع التعليمية في مجتمع ما لا بد ان ترتسم في الذهن بعض الاسئلة حول علاقة التعليم بالمجتمع ، بكفايته لحاجات السكان مثلا ، او دوره في تقدم المجتمع بشكل عام ، والى أي مدى تتوفر فرص التعليم لمن هم في سن الدراسة ؟ وهل يؤمن التعليم المتبع الكفاءات المطلوبة للنهوض بالحياة في المجتمع ؟ وهل تتوفر فرص العمل للخريجين... الخ. وتكتسب هذه الاسئلة أهمية خاصة بالنسبة للمسئولين عن السياسة التعليمية وكذلك للمسئولين عن التخطيط الاقتصادي والاجتماعي او تنمية المجتمع . لذلك سنتعرض في البداية ــ وبقدر ما تمكننا المعلومات المتوفرة عن القطاع ــ صورة موجزة للوضع السكاني والاقتصادي حتى يصبح للارقام الخاصة بالتعليم صلة حية باوضاعه العامة وتكون لها دلالة عملية .

قطاع غزة كما هو معروف بعد نكبة عام ١٩٤٨ هو الاراضي الفلسطينية التي ظلت تحت سلطة الحكومة المصرية بموجب اتفاقية الهدنة المصرية ــ الاسرائيلية في ٢٤ شباط ١٩٤٩ . وهو عبارة عن شريط ساحلي تغطي الرمال ثلثي مساحته التي تبلغ حوالي ٣٠٠ كلم٢، أي ١،٣٪ من مساحة فلسطين . ونتيجة لحرب ١٩٤٨ لجأ الى القطاع حوالي ٢٠٠ الف فلسطيني وكان سكانه الاصليون يقدرون بحوالي ٩٠ الف نسمة فاصبح سكان القطاع انذاك حوالي ٢٩٠ الفا تؤمن الخدمات والاغاثة لهم جهتان : الحكومة المصرية ، للسكان الاصليين ، وجمعية الاصدقاء الاميركية (كويكرز) للسكان اللاجئين.ثم حلت وكالة الغوث الدولية ــ الانروا ــ مكان الاخيرة بعد ان قررت الجمعية العمومية للامم المتحدة تشكيلها بهدف تأمين الاغاثة المباشرة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين[٢].

بلغ عدد سكان القطاع عام ١٩٥١ ، بحسب تقديرات الانروا ، ٢٩١،١٧٠ نسمة موزعين حسب الفئات التالية ، ٩٠،٣٥٦ نسمة من السكان الاصليين ، و ١٩٩،٧٨٩ نسمة مسجلين لاجئين لدى الانروا ، و ١٠٢٥ نسمة من اللاجئين غير المسجلين لدى الانروا[٣] وفي نهاية شهر ايار (مايو) ١٩٦٧ ، اي قبيل عدوان حزيران كان عدد اللاجئين المسجلين في القطاع ٣١٦،٧٧٦ نسمة[٤] ، اما عدد السكان الاصليين فكانوا حسب تقديرات الانروا ١٤٨ الفا وذلك في منتصف عام ١٩٦٦[٥]. ولذلك يمكن القول ، اذا اخذنا بعين الاعتبار الزيادة السنوية للسكان الاصليين لمدة سنة ، اي من منتصف ٦٦ حتى العدوان الاسرائيلي ، وكذلك اللاجئين غير المسجلين ، ان سكان القطاع وبحسب تقديرات الانروا كانوا عند الاحتلال الاسرائيلي حوالي ٤٧٠ الفا . وبعد عام ٦٧ لم يعد تقرير المندوب العام للوكالة يتضمن الارقام التفصيلية المعتادة حول اللاجئين في كل من المناطق الاربع بل اصبح يكتفي بذكر الرقم العام لعدد اللاجئين ككل . ولذلك فاننا اذا اردنا معرفة عدد سكان القطاع بعد عام ٦٧ ، ومن ثم معرفة عدد الذين غادروا القطاع نتيجة الاحتلال، فاننا لا نملك غير مصدرين: الاول يتمثل بالتقارير الاحصائية التي تعدها دائرة التعليم في الانروا ، والارقام التي تعطيها هذه التقارير عبارة عن تقديرات لا تمثل بالضرورة العدد الحقيقي للاجئين[٦]، بالاضافة الى انها تقتصر على اللاجئين المسجلين لدى الوكالة . وبحسب هذه التقارير كان عدد اللاجئين المسجلين في القطاع ٣٠٦،٩٣٨ نسمة في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩[٧]. أما المصدر الثاني فهو الاحصاءات الاسرائيلية . وبحسب هذه الاحصاءات كان عدد سكان القطاع باكمله ــ بعيد الاحتلال ــ ٣٥٦،٢٦١ نسمة . وفي عام ٦٨ كان عددهم ٣٥٥،٨٨٠ نسمة وسكان العريش ــ مصريون ــ ٣٣،٨٢٢ نسمة . وفي عامي ٦٩ و ٧٠ لم تذكر هذه الاحصاءات القطاع منفصلا عن العريش بل ذكرت عدد السكان الاجمالي في قطاع غزة وشمال سيناء وكان في العامين المذكورين ٣٦٥،٠٥ و ٣٧٢،٤٤ الفا على التوالي . واذا ما اعتبرنا سكان العريش حوالي ٣٥ الفا في هذين العامين لكان عدد الفلسطينيين هو ٣٣٠ و ٣٤٠ الفا على التوالي[٨]. وقد مر معنا أن عدد سكان القطاع قبيل الاحتلال كان حوالي ٤٧٠ الفا ، اي ان هناك ١٥٠ الفا على الاقل قد غادروا القطاع حتى عام ١٩٧٠ . ولكن

المندوب العام للانروا يذكر في تقريره الى الجمعية العامة عام ١٩٦٨ ان ما بين ٤٠ ـ ٤٥ الفا من اللاجئين المسجلين في القطاع قد غادروه بعد الاحتلال(٩). كما ان السجلات الاردنية الخاصة بالاشخاص الذين غادروا القطاع الى الضفة الشرقية تشير الى انه حتى منتصف عام ٦٨ كان حوالي ٨،٥٠٠ شخص فقط من غير المسجلين لاجئين قد غادروا القطاع(١٠). ويذكر تقرير المندوب العام لعام ٦٩ ان النزوح من القطاع قد توقف تقريبا بعد ذلك التاريخ ، اي بعد منتصف عام ٦٨ . اي ان الذين غادروا القطاع كانوا بحدود ٥٠ الفا وان من بقي فيه يزيد عددهم على ٤٠٠ الف وذلك يتعارض مع الارقام الاسرائيلية كما هو واضح . وبسبب هذه الاعتبارات فاننا لا نستطيع ان نجزم او ان نعطي رقما تقريبيا لعدد سكان القطاع او لعدد الذين غادروه بعد الاحتلال.

فئات العمر : اذا نظرنا الى السكان بحسب فئات العمر نجد ان حوالي نصف سكان القطاع تقريبا هم دون سن الخامسة عشر وهي الفئة التي تعتبر عادة غير منتجة في المجتمع . ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ كانت نسبة من هم دون الخامسة عشر بين السكان الاصليين ٤٣٪ وبين اللاجئين ٤٦٪ ، مع ملاحظة ان مجلس الانتاج القومي المصري قام عام ١٩٥٥ بالاشتراك مع الانروا ببحث حول السكان جاء في نتيجته ان نسبة من تقل اعمارهم عن ١٥ سنة بين اللاجئين في القطاع تصل الى ٥١٪ تقريبا(١١). اما في الوقت الحالي فان الاحصاءات المنشورة حول السكان في القطاع تظهر ما يلي : بالنسبة للاجئين تظهر ارقام الانروا للعام ٦٩ ان هذه النسبة هي في حدود ٤٠٪ غير ان الانروا ترفق بهذه الارقام تعليقا يؤكد ان العدد بالنسبة لمن هم دون السادسة (سن دخول المدرسة) عدد غير دقيق « لان الانروا لا تقدم التشجيع الكافي للاجئين لكي يسجلوا اطفالهم قبل بلوغهم السادسة »(١٢). اما الاحصاءات الاسرائيلية للعام ٦٨ فتظهر ان نسبة من هم دون الخامسة عشر في القطاع كله وشمال سيناء هي ٥٠،٤٦٪(١٣). وعلى اي حال يمكن القول ان هذه النسبة ليست اقل من ٤٥٪ ، وهي نسبة عالية اذا قورنت بمصر مثلا ، وهي دولة تتميز بنسبة مرتفعة لتزايد السكان حيث ان نسبة من هم دون الخامسة عشرة فيها كانت ٣٨٪ خلال الفترة من عام ٤٨ الى عام ٥٧(٥٧). ويبرز عند الحديث عن توزيع السكان بحسب فئات الاعمار سؤالان يتعلقان بالتعليم هما : ما هي نسبة عدد التلاميذ الاجمالي الى عدد السكان ، وما هي نسبة هؤلاء التلاميذ الى من هم في سن الدراسة فعلا وفي مختلف المراحل التعليمية . ولكن قبل التعرض لهذين السؤالين لا بد من اعطاء صورة عن الوضع الاقتصادي في القطاع ، اذ بدون هذه الصورة قد تعطي الارقام التي ذكرناها انطباعا خاطئا بل ومضللا . فعندما نقول ان حوالي نصف السكان هم دون سن الخامسة عشر ، اي فئة غير منتجة فلا بد ان نضيف اليهم فئة الكبار في السن والعجزة، وكذلك فان ضعف اقبال النساء في مجتمعنا على العمل ، لاسباب عدة ، ومن ثم قلة عدد النساء العاملات نسبيا ، يجعل عدد من هم خارج قطاع الانتاج كبيرا ، مما قد يوحي خطأ ، بأن القطاع بحاجة الى الايدي العاملة ، وبأن فرص العمل بالتالي متوفرة . وقد يستنتج أيضا ان الدافع الاقتصادي ، اي تأمين الفرد لحياته وحياة اسرته، لا يرتبط بالتعليم ، بينما يظهر الواقع عكس ذلك .

الوضع الاقتصادي : لم يكن القطاع بحدوده الحالية منطقة انتاج قبل عام ٤٨ بل كان يستكمل معظم حاجاته من انتاج باقي اجزاء فلسطين ، كما لم تنشأ فيه صناعات تذكر . اما الانتاج الزراعي فلم يكن يكفي حاجات السكان من المواد الاساسية . وبعد عام ٤٨ فقد القطاع معظم موارده الاقتصادية الطبيعية داخل المنطقة المحتلة من فلسطين ، ذلك ان خطوط الهدنة جعلت ٨٠ بالمئة من سكان القطاع الاصليين يصبحون بدون مورد حيث اقتطعت اراضيهم واصبحت في الجهة الاخرى من الحدود ، أي تحت السيطرة الاسرائيلية . وبالتالي اصبح على القطاع ان يتحمل بموارده المحدودة هذه ، سكانه الاصليين الذين بلغ عددهم انذاك ٩٠ الف نسمة(١٥)، واللاجئين الجدد اليه . وليس هنا مجال البحث في انواع العمل او التوزيع المهني للسكان في القطاع ، الا انه لا بد من التأكيد ان البطالة تعتبر من ابرز المشاكل التي يواجهها اهالي القطاع ، ذلك ان القوة البشرية الموجودة في القطاع ، تفوق من حيث العدد كثيرا كمية العمل الموجودة ، او التي يمكن توفرها في المستقبل نظرا لضيق الموارد الطبيعية من جهة وعدم توافر الخبرة الفنية التي يمكن الاستفادة منها في مشاريع صناعية ، او في ايجاد فرص عمل

مناسبة لها خارج القطاع. وفي دراسة أجرتها الانروا عام ٥٤ جاء ان مشكلة السكان الاصليين في القطاع تعتبر أسوأ من مشكلة اللاجئين ، وذلك لان هؤلاء السكان يعيشون في اماكنهم الاصلية ، ومن ثم لا تشملهم المساعدات التي تقدمها الامم المتحدة . فالمزارعون منهم فقدوا معظم اراضيهم ، وغير المزارعين لا يكادون يجدون شيئا يعيشون منه . كما ان تدفق اللاجئين ، والتنافس على فرص العمل المحدودة أثرا كثيرا على الاجور ، فانخفض مثلا أجر العامل اليومي من حوالي ٣٠ قرشا الى ثمانية قروش . كذلك فان مستوى الدخل منخفض جدا بالنسبة لفئتي السكان ، الاصليين واللاجئين حيث تبين بنتيجة الدراسة ان ٤٣٪ من السكان الاصليين و ٥١٪ من اللاجئين لا يزيد دخلهم الشهري عن جنيهين فقط[١٦]. ورغم الجهود التي بذلتها الحكومة المصرية للتخفيف من حدة المشاكل الناجمة عن انتشار البطالة الا ان مشكلة الفقر ظلت مشكلة حادة ، اذ نجد انه حتى عام ١٩٦٠ كان ٣٥ الفا من السكان الاصليين ما زالوا يعتمدون على المساعدات العينية التي تقدمها الحكومة المصرية ، وان كان هذا العدد هو ٧٠ الفا عام ١٩٤٩[١٧]. ولذا فان البطالة مرتفعة جدا في القطاع وخاصة في اوساط اللاجئين . ففي عام ١٩٦٠ كانت نسبة البطالة بين السكان الاصليين ٣٥،٥٪ ، وبين اللاجئين ٨٣٪ ممن هم في سن العمل[١٨]. وعلى ذلك يمكن القول ان الدافع الى التعليم دافع قوي عند الفلسطينيين في قطاع غزة لكونه يشكل ، او يعتبر على الاقل بانه يشكل ، ضمانة نسبية لايجاد عمل في القطاع او في خارجه . كذلك فان اوضاع القطاع هذه تؤكد ان الخطة التعليمية التي تتوخى النهوض بمجتمع القطاع لا بد وان تهدف الى توفير كفاءات فنية قادرة على استغلال موارده واستثمارها الى اقصى مدى ، وتأمين مستوى من التعليم يمكن المتخرجين من ايجاد اعمال تسهم في رفع مستوى الحياة وتخفيف حدة المشاكل المختلفة. ولكننا سنرى عندما نتكلم عن التعليم الذي تؤمنه الانروا لابناء اللاجئين انها لا تستوحي سياستها التعليمية ولا مستوى التعليم الذي تؤمنه ، من مثل هذا الهدف .

الطلاب والسكان : من المعروف ان هناك جهتين تشرفان على التعليم في قطاع غزة : الانروا التي تتولى تأمين التعليم لابناء اللاجئين ، والحكومة المصرية — حتى عدوان ٦٧ — والتي تتولى تأمين التعليم لابناء السكان الاصليين . وتنشر الانروا منذ فترة تقارير احصائية سنوية عن الطلاب ونسبة الطلاب الى السكان . اما بالنسبة للتعليم في المدارس الحكومية فلا تتوفر لدينا ارقام تفصيلية عن الطلبة في مراحل التعليم المختلفة ، أو حسب فئات الاعمار ، كما لا تتوفر مثل هذه المعلومات عن السكان الاصليين[١٩]. لذا سنقتصر في تحديد نسبة الطلاب الى السكان ، على السنوات التي تتوفر عنها معلومات حول الطلبة اللاجئين وغير اللاجئين. ويبين الجدول رقم ١ الاعداد الاجمالية للسكان والطلاب في المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية ونسبة الطلاب الى السكان.

جدول رقم ١

الطلاب والسكان في القطاع

السنة	اللاجئون	الاصليون[٢٠]	مجموع السكان	مجموع الطلاب	النسبة المئوية لدى مجموع السكان	الطلاب اللاجئون[٢١]	النسبة المئوية لدى اللاجئين
١٩٥٠	١٩٩،٥٨٧	٨٨،٥٢٠	٢٨٨،١٠٧	٢٤،٧٧٣	٨،٥	٢٤،٤٧٦ (للعام ٥١)	١٨
١٩٥٥	٢١٦،١٩٦	١٠٢،٤٧٥	٣١٨،٦٧١	٥٦،٧٥٢	١٧،٦	٤٠،٨٩٦	١٨
١٩٦٠	٢٥٥،٥٤٢	١١٨،٧٥٠	٣٧٤،٢٩٢	٧٥،١٠٠	٢٠	٥٠،٤٦٤	٢٠

واذا نظرنا الى نسبة الطلاب للسكان عام ١٩٦٠ نجد انها نسبة مرتفعة نسبيا ، (٢٠ ٪) ، وخاصة عند مقارنتها بالنسبة المماثلة في بعض دول المنطقة. ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة في مصر حوالي ١١٪[٢٢]، وفي سوريا ١٠٪[٢٣] وفي لبنان ٢٢٪[٢٤]. اما اذا اردنا مقارنة هذه النسبة عند كل من اللاجئين والسكان الاصليين في القطاع فاننا نلاحظ ان هذه النسبة كانت في البداية اعلى عند

اللاجئين ، اذ كانت نسبة الطلاب اللاجئين الى السكان عام ١٩٥٠ هي ١٨٪ بينما كانت حوالي ١٥٪ عند السكان الاصليين . اما في السنوات اللاحقة فقد أصبحت هذه النسبة متساوية تقريبا ، اذ كانت حوالي ٢٠٪ عام ١٩٦٠ عند الجهتين . ولا بد في هذا المجال من معرفة نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب ، وكذلك الى السكان في القطاع عند الطرفين ، نظرا لاهمية التعليم الثانوي ، خاصة اذا اعدنا للذهن مشكلة القطاع الاقتصادية الاساسية . ومن اجل هذه المقارنة سنعتمد على عدد محدود من السنوات ولكنها تفي باعطاء صورة عن الموضوع اذ هي تغطي الفترة السابقة حتى عام ٦٧ . ويبين الجدول رقم ٢ عدد الطلبة الثانويين في القطاع ، وعدد السكان الاصليين وعدد السكان اللاجئين ، ونسبة الطلاب الى كل قطاع ، وكذلك نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب ، ثم الى عدد السكان .

جدول رقم ٢

عدد ونسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب

السنة	مجموع طلبة القطاع	الطلبة اللاجئون	الطلبة الاصليون	جميع الثانويين في القطاع	الثانويون اللاجئون	الثانويون الاصليون	الثانويون الى الطلاب اللاجئين ٪	الثانويون الى الطلاب الاصليين ٪	النسبة المئوية العامة للثانويين الى طلاب القطاع
٥٥—٥٦	٥٨٨٣٩(٢٥)	٤٣٥٢٣(٢٦)	١٥٣١٦	٣٦٢٤(٢٥)	١٦٤٦(٢٦)	١٩٧٨	٣٠٧	١٣	٨٠٣
٥٨—٥٩	٦٨٩٢٢	٤٦٤٥٠	٢٢٤٧٢	٨٩٠٧	٣٤٠٠	٥٥٠٧	٧٠٣	٢٤	١٥٠٦
٦٦—٦٧	٩٦٧٨٩	٦٧١٨٩	٢٩٦٠٠	١٢٦٩٧	٨٨٩٧	٣٨٠٠(٢٧)	١٣	١٣	١٣

يتبين من الجدول ان نسبة الطلاب الثانويين الى مجموع الطلاب هي حوالي ١٣٪ في العام ٦٦/٦٧ وهي نسبة مرتفعة نسبيا . ففي سوريا مثلا كانت هذه النسبة حوالي ٥٪ عام ٦٨ — ٦٩ وترتفع الى حوالي ٦٪ اذا اضفنا طلاب الفرع المهني واعداد المعلمين الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية . وفي مصر كانت نسبة جميع طلبة المرحلة الثانوية وفي مختلف الفروع الى مجموع الطلبة حوالي ٨٪ عام ٦٥ — ٦٦(٢٨). وهذه النسبة مرتفعة ايضا بالنسبة الى الفلسطينيين في المناطق الاخرى . اذ ان معدل نسبة الطلاب الفلسطينيين في المرحلة الثانوية الى مجموع الطلاب في المدارس ، في الدول الاربعة المضيفة ، كانت حوالي ٧٪ عام ٦٦ — ٦٧(٢٩) . اما نسبة الطلبة الثانويين الى مجموع السكان فكانت ١٪ عام ١٩٥٦ ، ارتفعت الى ٢٠٧ عام ١٩٦٦ وذلك في القطاع ككل . اما بالنسبة للاجئين فكانت هذه النسبة ٠٠٧ عام ٥٦ ارتفعت الى ٢٠٧ عام ١٩٦٦ ، أي النسبة ذاتها لدى السكان الاصليين ، وكما يتبين من الجدول رقم ٣ ، مع ملاحظة ان عدد الطلاب ذكر في الجدول السابق . وهي نسبة مرتفعة نسبيا . ففي مصر مثلا كانت نسبة الطلاب الثانويين العامة الى مجموع السكان اقل من ١٪ عام ٦٦ — ٦٧ وترتفع الى ١٠٦٪ اذ اضفنا لذلك طلبة القسم الفني في المرحلة الثانوية(٣٠). تبقى نقطة اخرى لا بد من معرفتها في هذا المجال وهي نسبة الطلبة الثانويين الى من هم في سن الدراسة الثانوية من السكان . ان مدة الدراسة في المرحلة الثانوية في القطاع هي ثلاث سنوات ، والسن النموذجي لهذه الفترة هو بين ١٥ — ١٧ سنة . وبالتالي فان المقارنة

جدول رقم ٣

نسبة الطلاب الثانويين الى السكان

السنة	سكان القطاع	اللاجئون	الاصليون	نسبة الثانويين المئوية الى السكان	عند اللاجئين	عند الاصليين
١٩٥٦	٣٣٦٠٠٥٥(٢١)	٢٢٧٠٣١٧	١٠٨٠٧٣٨	٠٠١	٠٠٧	١٠٣
١٩٦٦	٤٥٥(٢٢)	٣٠٧٠٢٤٥	١٤٧٠٧٥٥	٢٠٧	٢٠٧	٢٠٧

النموذجية تكون بين من هم من المدرسة ومن هم خارج المدرسة في هذه الفئة من العمر . وفيما يتعلق باللاجئين (لا تتوفر ارقام حول توزع السكان الاصليين بحسب فئات العمر) كان ٤٠٪ ممن هم في هذه الفئة من العمر في المدرسة عام ٦٦ — ٦٧ . ولكن ذلك لا يعني ان هؤلاء جميعا هم في المرحلة الثانوية اذ ان قسما من الطلبة الثانويين تزيد اعمارهم عن ١٧ سنة وتصل احيانا الى سن العشرين ، كما ان هناك قسما من طلبة المرحلة الاعدادية في فئة العمر المذكورة ، ١٥ — ١٧ . ومع أخذ الملاحظة السابقة بعين الاعتبار ، يمكن القول ان الفترة العملية للدراسة الثانوية هي بين سن ١٥ — ١٩ سنة ، وعلى هذا الاساس يشكل الطلبة الثانويون ٢١٪ فقط ممن هم في فئة العمر ١٥ — ١٩ من السكان . اما نسبة مجموع الطلبة في هذه الفئة الى ما يقابلهم من السكان فتزيد على ٣٠٪(٣٢). وهي نسبة مرتفعة اذا قورنت بها في الدول العربية ، كما يتبين من الجدول رقم ٤ :

جدول رقم ٤
طلاب المرحلة الثانوية
ونسبتهم الى السكان في سن الدراسة

السنة	البلد	فئة العمر	السكان	الطلبة الثانويون	نسبة الثانويين المئوية الى فئة العمر	مجموع الطلبة في فئة العمر	نسبة الطلاب المئوية الى فئة العمر
٦٦—٦٧	غزة (لاجئين)	١٥—١٩	٤١،٥٧٤	٨،٩٦٨	٢١،٢	١٣،١٥٠	٣١،٥(٣٤)
٦٥—٦٦	مصر	١٥—١٩	٢،٤٤٢٠،٠٠٠	٣٦٠،٧١١	١٥،٥	٢٧٤،٨٣٠	١١،٣(٣٥)
٦٦—٦٧	الاردن	١٥—١٨	١٧٩،٧٠٠	٣٢،٧٢١	١٨،٢(٣٦)		—
٦٥—٦٦	سوريا	١٥—١٩	٥٠٦،١٩٥	٥٨،٨٠١	١١،٦(٣٧)		
	لبنان	١١—١٨	٣٦٧،٨٠٠	—	—	٩٦،٣٤٣	٢٦(٣٨)

ان الطلبة الثانويين في الجدول هم جميع طلبة المرحلة الثانوية بمختلف فروعها ، غير ان الوضع يختلف بالنسبة للبنان حيث يشمل الرقم طلبة المرحلة الاعدادية والثانوية . ويتبين من الجدول ان النسبة في القطاع (اللاجئون) هي أعلى منها في الدول الاخرى سواء بالنسبة لطلبة المرحلة الثانوية الى من هم في فئة العمر من السكان ام بالنسبة لجميع الطلبة في هذه الفئة من العمر مقارنة بما يقابلها من عدد السكان . ولكن يجب ان نلاحظ هنا ايضا ، ان التعليم في الريف العربي متخلف نسبيا في حين ان الريف منعدم تقريبا في اوساط اللاجئين حيث يعيشون بدون ارض ، في المدن او في جوارها . وفي الوقت نفسه لا بد ان نعرف توزيع التعليم الثانوي بحسب فروعه اي التعليم العام والتعليم الفني ودور المعلمين ، خاصة اذا اعدنا للذهن اهمية توفر كفاءات فنية في قطاع غزة لاكثر من سبب من جهة ، ونمو هذه الفروع في المرحلة الثانوية في الدول العربية من جهة اخرى . وبتعبير اخر لا يجوز في المقارنة بين الوضع التعليمي في الانروا — خاصة في المرحلة الثانوية — وبين الوضع التعليمي في الدول العربية ، ان نكتفي بالارقام التي تشير الى ارتفاع نسبة الطلبة الثانويين الى مجموع الطلبة او الى السكان ، في اوساط اللاجئين .

التعليم المهني : قبل الاحتلال الاسرائيلي كان التدريب المهني على المستوى الثانوي يتم في مركز تدريب حكومي واحد للشبان ، وكان عدد الطلاب المسجلين فيه ١٩١ طالبا عام ٦٦/٦٧ . كما كان يتم في مدرسة تجارية واحدة بلغ عدد طلابها ٣٠ طالبا في ذلك العام . وكذلك كان تدريب المعلمين يجري في معهدين حكوميين ، واحد للشبان واخر للشابات ، يوفران دورة مدتها خمس سنوات تلي المرحلة الاعدادية ، وتهدف الى تخريج معلمين للمدارس الابتدائية . وفي عامي ٦٥/٦٦ و ٦٦/٦٧ كانت الانروا تدفع نفقات ٢٨٩ و ٢٥٠ طالبا على التوالي بمعدل ١١٠ دولارات للشخص الواحد في السنة(٣٩). ومنذ العام ٦٧ — ٦٨ بدأت الانروا تحويل الطلاب الجدد الراغبين بالانتساب الى دور المعلمين والمعلمات في غزة ، الى مركزي التدريب التابعين للانروا في الضفة الغربية(٤٠)، حيث التحق في ذلك العام ٤٠٧ طلاب من غزة بمركزي التدريب في رام الله ، منهم ١٥٠ طالبا و ٢٥٧ طالبة(٤١). اما التدريب المهني الذي توفره الانروا فيتم اجمالا في مركز التدريب المهني للشبان في غزة ، كما ان بامكان الشباب او الشابات الالتحاق بمركزي

الانروا في الضفة الغربية . وتدرس في هذه المراكز مواد البناء والميكانيك والكهرباء ، والمهن النسوية — في رام الله — حيث يشترط اتمام الدراسة الاعدادية(٤٢). غير انه يشترط ان يكون الطالب حائزا على الشهادة الثانوية العامة للالتحاق بمراكز تدريب المعلمين . وقبل ان نعقد مقارنة بين التدريب المهني وتدريب المعلمين الذي توفره الانروا والدول العربية الاخرى ، يجب ان نلاحظ ان الانروا لا توفر التدريب المهني على مستوى ما بعد الثانوي ، على غرار الدول العربية . وهو لا يتم — كما لاحظنا — في القطاع ، بل في مركز رام الله التابع للانروا . وكذلك بالنسبة للتدريب المهني حيث يوجد في القطاع مركز واحد للذكور يؤمن التدريب في عدد محدود من الحرف ولمدة سنتين في حين ان هذا التدريب يتم في مصر مثلا في مدارس متخصصة — زراعية ، تجارية ، صناعية ، ولمدة ثلاث سنوات(٤٣).

ويقودنا هذا الى نقطة اخرى هي قول الانروا انها تطبق في مدارسها مناهج الدول المضيفة ، ويكفي في هذا المجال ان نوضح بان الناحية المهنية التي توفرها الوكالة تختلف من حيث النوع والحجم عما هو مطبق في مصر . ومن الدلائل على عدم كفاية مركز التدريب المهني التابع للانروا في غزة ، ان الحكومة المصرية هي التي اقترحت على الانروا توسيع المركز بدءا من العام الدراسي ٦٧/٦٦ بهدف زيادة طاقة المركز من ٣٦٨ الى ٥٦٨ طالبا وفتح فروع جديدة ، وعرضت تمويل انشاء الابنية الاضافية اللازمة (الورش/وغرف المنامة وغيرها) وتغطية النفقات المتكررة للطلاب الاضافيين الذين سيدخلون المركز على أساس دفع اعانة عن كل طالب(٤٤). وعلى اي حال سنقوم الان بمقارنة التدريب المهني واعداد المعلمين على المستوى الثانوي في مصر مع قطاع غزة مع العلم ان الارقام الخاصة بالانروا لا تنحصر في المستوى الثانوي لان مراكز الانروا تضم طلابا اتموا المرحلة الاعدادية وطلابا اتموا المرحلة الثانوية وذلك بحسب المهن المختارة بينما تقتصر الارقام الخاصة بمصر على الطلبة في مستوى المرحلة الثانوية .

جدول رقم ٥

الطلبة اللاجئون في غزة في دور المعلمين (غزة والضفة الغربية)(٤٥) ونسبتهم الى الطلاب الثانويين

	الطلبة الثانويون	طلبة دور المعلمين في غزة		في الضفة الغربية		المجموع		النسبة المئوية
		ذ	ا	ذ	ا	ذ	ا	
١٩٦٧	٨٩٦٨	١٤١	١٠٩	—	—	١٤١	١٠٩	٢٫٦
١٩٧٠	٧٥٦٨(٤٦)	٣٠	٣٩	١٨٨	١٥٩	٢١٨	١٩٨	٥٫٥

ونلاحظ من الجدول رقم ٥ ان نسبة من هم في دور المعلمين ، الى مجموع الطلبة في المرحلة الثانوية (العدد هنا يشمل طلبة المدارس وطلبة دور المعلمين) كانت ٢٫٦٪ عام ٦٧ أرتفعت الى ٥٫٥٪ عام ١٩٧٠ ، ولكن يجب ان نلاحظ قبل ان نحكم على هذا الارتفاع أن انخفاضا ملموسا طرأ على عدد الطلبة في المرحلة الثانوية بين عامي ٦٧ و ٧٠ (١٤٠٠ طالب) بسبب الظروف الناجمة عن الاحتلال . بينما ارتفع عدد الطلبة في دور المعلمين وبالتحديد في مركزي الانروا بالضفة الغربية بعد توقف ادخال الطلبة الى المعهدين الحكوميين في غزة . كذلك فان من بين طلبة دور المعلمين عام ١٩٧٠ كان ٦٩ طالبا وطالبة ما زالوا في المعهدين الحكوميين في غزة ، في السنة الرابعة والخامسة من دراستهم ، وبعد تخرج هؤلاء عام ١٩٧١ اقتصر وجود طلبة دور المعلمين على مركزي الانروا في الضفة الغربية . لذا ، فمن المتوقع ان تنخفض نسبة من هم في دور المعلمين الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية ، لان عدد الطلبة الثانويين سيزداد بينما طاقة مركزي الانروا محدودة بحد ذاتها .

وفيما يتعلق بالتدريب المهني فان هذا التدريب كان يتم في مركز التدريب المهني التابع للانروا والذي كانت طاقته تتسع لـ ٣٦٨ متدربا حتى عام ٦٧ وكذلك في المعهد الزراعي في بيت حانون والذي انتقل في عام ٦٧ الى الحكومة المصرية لتحويله الى معهد لتدريب معلمين ريفيين للمدارس الابتدائية ،

وذلك بموجب اتفاقية خاصة بين الانروا والحكومة المصرية ، وقد اقفل المركز نهائيا بعد الاحتلال الاسرائيلي عام ٦٧ واستيلاء القوات الاسرائيلية عليه[٤٧]. ويبين الجدول رقم ٦ اعداد المتدربين في العامين ٦٦ — ٦٧ و ٦٩ — ٧٠ بغض النظر على المستوى الاكاديمي للمتدربين .

جدول رقم ٦

طلبة التدريب المهني في غزة (اللاجئون)

السنة	دور المعلمين	تدريب مهني[٤٨]	المجموع	٪للتدريب المهني	النسبة المئوية للتدريب المهني
١٩٦٧	٨٩٦٨	٢٤٩	٤٢٥	٩٦٤٢	٤٤٤
١٩٧٠	٧٥٦٨	٤١٦	٥٧٨	٨٥٦٢	٦٤٧

نلاحظ من الجدول ان نسبة طلبة التدريب المهني الى الطلبة الذين يتلقون تعليما او تدريبا في المرحلة فوق الاعدادي ودون الجامعي ، كانت ٤٤٤٪ عام ٦٧ ارتفعت الى ٦٤٧٪ عــام ١٩٧٠ ، وفيما يلي جدول باعداد الطلبة فيالتعليم الثانوي الفني فيبعض الدول العربية مع ملاحظة ان هناك معاهد فنية عليا لمستوى ما بعد الثانوي ، كمــا ان مدة الدراسة الفنية في المرحلة الثانوية هي ثلاث سنوات في مصر في حين ان مدة الدراسة في مراكز التدريب التابعة للانروا لا تزيد عــن سنتين باستثناء بعــض المهن النسوية .

جدول رقم ٧

طلبة التعليم الثانوي الفني في بعض الدول العربية

السنة	البلد	الثانوي العام	الثــانوي ذ	الثــانوي ا	الفني المجموع	نسبة الفني الى الثانوي ٪	نسبة الاناث في التعليم الفني ٪
٦٦—١٩٦٧	مصر	٢٤٣٨٧٥	٩٠٩٤٩	٢٩٠٠٦	١١٩٩٥٥	٣٣	٢٤[٤٩]
٦٩—١٩٧٠	مصر	٢٩٣١٤٤	١٦٨٤٥٣	٧٣١٣٧	٢٤١٥٩٠	٤٥	٣٠
٦٥—١٩٦٦	سوريا	٢٩٧٢٨	٣٨٨٢	٧١٤	٤٥٩٦	١٥٥٥	١٥٤٦[٥٠]
٦٦—١٩٦٧	الاردن	٢٣١١٧	١٩٨٠	٦٨	٢٠٤٨	٩	٣٤٤[٥١]

وبمقارنة هذا الجدول مــع الجـدول الســابق نلاحظ ان نسبة طلبة التدريب المهني الى مجموع طلبة المرحلة الثانوية هي في قطاع غزة (اللاجئون — اي ما توفره الانروا) اقل منها بكثير في الدول العربية . ففي حين ان هذه النسبة تبلغ لــدى الانروا ٥٪ نجد انها تبلغ ٤٥٪ في مصر ، كما كانت تبلغ ١٥٪ في سوريا و ٩٪ في الاردن منذ اكثر من ثلاث سنوات . ومن ناحية اخرى نلاحظ ان نسبة الفتيات من طلبة التعليم المهني كانت ٣٠٪ في مصر عــام ١٩٧٠ وحــوالي ١٦٪ في ســوريــا عام ٦٦ و ٣٤٤٪ في الاردن عام ٦٧ . بينمــا لا نجد فتاة واحدة من قطاع غزة تتلقى تدريبا فنيا في مراكــز الانروا ، كما انه لا يوجــد مركز للتدريب المهني النسوي في القطاع . وتعكس المقارنة مفارقة كبيرة اذ اعدنا للذهن ان التعليم بكل فروعه هو الرأسمال الوحيد ، والحرفة الوحيــدة تقريبــا بالنســبة لشــبــاب اللاجئــين بينما لا ينطبــق هـــذا الوضـــع عــلى الــدول العربية حيث للمــواطن مــوارد اخرى للحيــاة . ولذلك نكرر القـــول بأنه ليس مهمــا ان تطبق الانــروا في مدارسـهـا الابتدائية والاعدادية المنهــاج الدراسي المطبق في الدولة/المضيفة بقدر ما هو مهم ان تسير الانروا في سياستهــا التعليمية وفق السياسات المتبعــة في الدول المضيفة على الاقل ، وان تتوجه هذه الخطة الى تأمين التعليم والتدريب الفني المتنوع للشباب الفلسطيني لان انهاء الطالب للتعليم الاعدادي فقط لا يؤهله عمليا لاي شيء .

المدارس والطلاب

بلغ عدد مدارس الانروا فيالقطاع عام ١٩٦٧، ١٠١ مدرسة ابتدائية واعدادية ، يعمل فيها ١٥٠٢ معلم ومعلمة ، وتضم ٥٨ الف طالب وطالبة . ولقــد

تعرضت معظم هذه المدارس للخطر اثناء العدوان الاسرائيلي فتعرضت ٩٠ مدرسة الى التدمير او النهب ، وقدرت الخسارة التي تجمت عن ذلك بـ ٢٢٠ الف دولار . ثم اعادت الانروا اصلاح هذه المدارس وتجهيزها قبل نهاية العام المذكور باستثناء مدرسة واحدة في رفح كانت قد دمرت تدميرا كاملا(٥٢). وفي عام ١٩٧٠ اصبح عدد مدارس الانروا ١٠٨ مدارس، تضم حوالي ٥٩ الف طالب وطالبة ويعمل فيها ١٥٣١ معلما ومعلمة . أما بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة فقد كان عددها في القطاع في العام الدراسي ٧٠ — ٧١ ، ٥٤ مدرسة رسمية لمختلف المراحل تضم ٣٩٢٣٤ طالبا ويعمل فيها ٩٥٩ معلما ومعلمة . وكذلك كان في القطاع في العام المذكور ١٩ مدرسة خاصة تضم ١٧١٣ طالبا وطالبة ويعمل فيها ٥٨ معلما ومعلمة(٥٣). ولا تتوفر لدينا معلومات عن سعة المدارس او حجمها ومواقعها بالنسبة للمدارس الرسمية والخاصة ولذلك سنقتصر في الحديث عن هذه الناحية على مدارس الانروا . تلنا انه كان لدى الانروا ١٠٨ مدارس عام ٧٠ ، منها ٧٢ مدرسة ابتدائية و ٣٦ مدرسة اعدادية ، بالاضافة الى ١٩ وحدة تدريب يدوي ، و ٢٧ وحدة لتدريب اقتصاديات المنزل تابعة للمدارس الاعدادية . غير ان الارقام التي تقدمها الانروا لا تبين تفصيليا عدد المكتبات المدرسية والمختبرات واوضاعها خاصة في المدارس الاعدادية ، ولا تذكر في بنود توزيع النفقات المالية اي شيء عن ذلك . لذلك يقتصر حديثنا بالدرجة الأولى على حجم هذه المدارس ومواقعها ونوعها وسعتها .

يوجد في غزة (عام ٧٠) ١٠٨ مدارس او وحدة مدرسية قائمة في ٩٥ بناء مدرسيا ، حيث يوجد ١٣ مبنى مدرسيا يضم كل منها مدرستين بادارتين منفصلتين . وتحتوي هذه المباني المدرسية على ١١٥٣ غرفة تدريس من ضمنها ٧ غرف للتدريب اليدوي ؛ وتستعمل معظمها نظام الدوام الواحد ، اذ يوجد نظام الدوام المزدوج في ٢٧ مدرسة ابتدائية فقط . كذلك فان غرف التدريس في هذه المدارس كبيرة نسبيا اذ ان هناك ٤٧١ غرفة تزيد مساحة الواحدة منها على ٤٠ مترا مربعا ، و ٦١٤ غرفة تزيد مساحتها على ٤٥ مترا مربعا ، ولا يوجد في مدارس الانروا ، في المناطق الاخرى ، غرف بهذا الحجم(٥٤). واذا قارنا عدد الطلبة بعدد المباني المدرسية وغرف التدريس (باستثناء ٧ غرف مخصصة للتدريب) نجد ان معدل عدد الطلبة في البناء الواحد هو ٦٢٥ طالبا وطالبة ومعدل عدد الطلبة في غرفة التدريس هو ٥١ طالبا (كان عدد الطلبة عام ٦٩ — ٧٠ ، ٥٩،١٧٣) . ولكن اذا اردنا معرفة العدد الفعلي للطلبة الذين يستعملون الغرفة الواحدة فلا بد من مقارنة عدد الطلبة بعدد الفصول او الشعب حيث هناك ٢٧ مدرسة تستخدم النظام المزدوج . والجدول رقم ٨ يبين عدد الوحدات المدرسية (المدارس) وعدد الشعب ومعدل الطلبة في الفصل الواحد :

جدول رقم ٨

مدارس الانروا : عددها ونوعها وسعتها عام ١٩٧٠ (٥٥)

	المدارس	ذ	ا	مختلطة	دوام واحد	دوام مزدوج	مخيم	مدينة	قرية	الفصول	الطلاب	سعة الفصل	سعة المدرسة
ابتدائي	٧٢	٣٣	٣٢	٧	٤٥	٢٧	٥٦	٩	٧	٨٧٥	٤٢١٤٧	٤٨،٢	٥٨٥
اعدادي	٣٦	١٩	١٧	—	٣٦	—	٢٤	٨	٤	٣٥٥	١٧٠٢٦	٤٨،٠	٤٧٣
المجموع	١٠٨	٥٢	٤٩	٧	٨١	٢٧	٨٠	١٧	١١	١٢٣٠	٥٩،١٧٣		

نلاحظ من الجدول ان هناك ٧ مدارس مختلطة في غزة، جميعها في المرحلة الابتدائية، أي ثمن المدارس المختلطة الابتدائية لدى الانروا في المناطق الاربع ، حيث يبلغ عدد هذه المدارس ٥٦ مدرسة منها ٢١ في الاردن و٢٣ في لبنان و٥ مدارس في سوريا(٥٦). اما في المرحلة الاعدادية فالمدارس المختلطة التابعة للانروا قليلة هي ايضا ، اذ يبلغ عددها ١٥ مدرسة منها ٣ مدارس في الضفة الغربية و ١٢ مدرسة في لبنان(٥٧). اما في سوريا والضفة الشرقية وغزة فلا توجد مدارس اعدادية مختلطة . وفيما يتعلق بنظام الدوام فان المدارس التي تتبع نظام الدوام المزدوج قليلة في غزة قياسا بمدارس الانروا في

المناطق الاخرى ، مما يعني زيادة الطاقة الاستيعابية لمدارس غزة بالنسبة لغيرها . ففي المرحلة الابتدائية يوجد ١٣٣ مدرسة تتبع نظام الدوام المزدوج الكامل ، منها ٢٧ مدرسة في غزة و ٦٨ في الضفة الشرقية و ٨ في لبنان و ٣٠ مدرسة في سوريا(٥٨). وفي المرحلة الاعدادية يوجد ٤٠ مدرسة تتبع هذا النظام منها ٢٩ في الضفة الشرقية ومدرسة واحدة في الضفة الغربية ومدرسة في لبنان و ٩ في سوريا ولا يوجد اية مدرسة اعدادية تتبع نظام الدوام المزدوج في غزة(٥٩). وتمتاز المدارس في غزة بكبرها وارتفاع عدد الطلبة في المدرسة الواحدة . ففي المرحلة الابتدائية يوجد في غزة ١٥ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٥ فصلا ، وذلك من اصل ٣١ مدرسة للانروا بهذا الحجم في المناطق الاربع ، اي نصف هذه المدارس . وفي المرحلة الاعدادية يوجد في غزة ١٤ مدرسة تحتوي الواحدة على ١٢ فصلا من اصل ٢٤ مدرسة تابعة للانروا في المناطق الاربع ، اي نصف هذه المدارس ايضا(٦٠). ومن ناحية اخرى يوجد في غزة ٤٢ مدرسة ابتدائية تضم الواحدة منها بين ٥٠٠ ــ ٧٠٠ طالب وذلك من اصل ٩٨ مدرسة منها ٣٦ في الضفة الشرقية و ١٠ في لبنان و ٧ في سوريا و ٣ في الضفة الغربية اي ان العدد الاكبر لهذا النوع من المدارس هو في غزة . وكذلك الامر في المرحلة الاعدادية حيث يوجد في غزة ٢٦ مدرسة من الحجم المذكور ، وذلك من اصل ٥٢ مدرسة ، منها ١٩ في الضفتين و ٥ في لبنان ومدرستان في سوريا . من جهة اخرى ، تشهد مدارس غزة ارتفاعا ملحوظا في معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد . ومن المعروف ان عدد الطلبة في الفصل الواحد يؤثر مباشرة على مستوى الدراسة اذ كلما كان العدد اقل كانت الفائدة اكبر . ويبلغ معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في المرحلة الابتدائية في غزة ٤٨،٢ بينما هو في الضفة الشرقية ٤٤،٨ وفي الضفة الغربية ٣٨،١ وفي لبنان ٣٩،٢ وفي سوريا ٣٩،٨(٦٢). وفي المرحلة الاعدادية يبلغ هذا المعدل ٤٨ في غزة بينما هو ٤٢،٩ في الضفة الشرقية و ٣٥،٢ في الضفة الغربية و ٣٤،٩ في لبنان و ٣٨،٦ في سوريا(٦٣). ويبدو من الارقام المذكورة ان الصفوف في مدارس الانروا اجمالا مزدحمة تماما وخاصة في غزة . وتقول الانروا في احد تقاريرها ان هذه الارقام تنطبق على المدارس التي تمتلكها الوكالة والمدارس التي تستأجرها ــ « وهذه عادة بيوت لا يمكن ان تستوعب اكثر من ٣٥ طالبا في غرفها الصغيرة »(٦٤). ويذكر التقرير ذاته ان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في الدول العربية المضيفة هو بين ٤٠ ــ ٤٥ في المرحلة الابتدائية و ٣٥ في المرحلة الاعدادية . ثم يذكر التقرير المتطلبات المالية التي يتوجب على الانروا تأمينهما اذا كانت ستتبع ما هو قائم في الدول العربية من اجل حل مشكلة الازدحام بحيث تبلغ النفقات المتكررة للمرحلة الابتدائية ٤٩٧ الف دولار سنويا وللمرحلة الاعدادية مليون و ٤١٢ الف دولار سنويا بالاضافة الى النفقات الثابتة ، مما يعني ضمنا ان الانروا غير قادرة على اتباع مثل هذا النظام(٦٥). وبالفعل فان مقارنة الارقام المذكورة سابقا والخاصة بالعام ١٩٧٠ مع الارقام الخاصة بالعام ٦٦ ــ ٦٧ والتي يشير اليها تقرير الانروا المذكور ، تبين انه لم يطرأ اي انخفاض على معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد . ففي العام ٦٦/٦٧ كان المعدل في المرحلة الابتدائية هو ٤٣ في الاردن و ٤٨ في غزة و ٤٠ في سوريا و ٣٨ في لبنان ، وهي الارقام ذاتها تقريبا للعام ١٩٧٠ ، بينما طرأ ارتفاع على هذا المعدل في المرحلة الاعدادية . اذ كان المعدل ٣٥ في الاردن (اصبح ٣٩ عام ١٩٧٠) وفي غزة ٤٧ (اصبح ٤٨) وفي سوريا ٣٨ اصبح ٣٩ وفي لبنان كان ٣٠ اصبح ٣٥(٦٦). وسنلاحظ هذا الامر عموماً وبالنسبة لغزة عندما نتكلم من معدل الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد .

سبق وذكرنا ان تقارير الانروا السنوية تخلو من تفاصيل احصائية حول المكتبات المدرسية (عددها، اماكنها ، عدد الكتب فيها ، نفقاتها) والمختبرات ، غير ان ما تذكره الانروا حول هذه الامور يمكن ان يعطي بشكل عام صورة عن الواقع المتدني في هذه الناحية . تقول الانروا في تقريرها عن سير العمل في العام الدراسي ٦٦ ــ ٦٧ ان معدل ما خصصته الوكالة لمدارسها الابتدائية حتى ذلك الوقت لتزويد مكتباتها بالكتب بلغ ٣٠ دولارا فقط للمدرسة في العام الواحد ، وان ذلك المبلغ المتواضع لم يتح في اكثر الحالات توفير اكثر من نواة لمكتبة ، وانه يستحسن ان تزاد الاعتمادات المخصصة لتزويد مكتبات المدارس بالكتب الى معدل ١٠٠ دولار لكل مدرسة في العام الواحد وان يعين لكل مدرسة معلم يعمل نصف الوقت للاشراف على المكتبة وتشجيع تطوير عادة المطالعة بين الطلاب . ويضيف التقرير ان اعتماد ذلك في المدارس الابتدائية والاعدادية يتطلب نفقات متكررة سنويا تقدر بـ ٣٠٧ الاف دولار(٦٧)،

وكان الانروا تريد ان تقول ان مواردها المالية المحدودة ، لا تمكنهـا من اجراء التحسينات وسد الثغرات التي يعاني منهـا التعليم الذي توفره .

ومـــن خـــلال مـلاحظة بعـض مــدارس الانروا في لبنان ، فان المكتبات المدرسية تكاد تكون معدومة وهي تقوم في حال وجودهـا على اكتاف الطلبة من الناحية المالية ، ولا يوجد معلم متفرغ لشؤون المكتبة ، كما لا توجد غرف خاصة بالمكتبات او المطالعة .

اما بالنسبة للمختبـرات فتقول الانروا في التقرير المذكور انها لم تقم بتوفـير المختبرات لاستعمـال الطلاب الذين يدرسون العلوم العامة ، وانمـا حاولت معالجة هذا النقص بتوفير مجموعات مـن الادوات الخاصة بايضاح العلوم ، وانه لو توفرت الاموال اللازمة لاعتبرت الوكالة انه من المستحسن انشاء غرف لمختبرات العـلوم للنصف الاعلى من السنوات التسع — الابتدائي والاعدادي — بمعدل مختبر واحد لكل ١٨ شعبة صف ، وذلك يتطلب ١٥٣ مختبرا علميا تبلغ تكاليفهـا حوالي مليون دولار(٦٨). ويذكر تقرير الانروا عن العام الدراسي ٦٩ — ٧٠ ان الانروا قامت منذ عام ٦٥ بانشاء ٢٣ مختبرا علميا ، وان ٩ مختبرات اخرى كانت قيد الانشاء في شهر تموز (يوليو) ١٩٧٠(٦٩). ومن الواضح ان ذلك هو دون الحاجة بكثير ، فلو اخذنا ما تعتبره الوكالة مقياسا ، اي مختبرا لكل ١٨ شعبة صف ، لكان مطلوبا ان يتوفر ٧٢ مختبرا للصفوف الاعدادية فقط عام ١٩٧٠ حيث كان عدد الصفوف الاعدادية في جميع مدارس الانروا ١٣٠٠ صف في ذلك العام . اما عدد المختبرات في مدارس الانروا في غزة ، فلا يذكر عنه شيء في تقاريرها .

الطلاب : سنستعرض الان عددا من النقاط المتعلقة بالطلاب مثل : تطور عـدد الطلاب — ذكـورا واناثا — ومعدل عدد الطلبة بالنسبة للمعلم الواحد ، وعدد الطلبة بالنسبة للسكان الذين في سن الدراسة ، بالاضافة الى قضـايا التسرب والرسوب والنجاح . وسيتركز الاستعراض على الطلبة في مدارس الانروا وذلك بسبب عدم توفر ارقام تفصيلية حول الطلبة في المدارس الرسمية باستثناء الفترة حتى عام ٥٨/٥٩ كما ان هذه الارقام لا تبين عدد الطلبة في كل صف على حدة ولا معدلات الرسوب او التسرب ، كما اننا لا نملك ارقاما حول توزيع السكان والطلبة الاصليين بحسب فئات الاعمار . لذلك سنكتفي بالاشارة الى مـا هو متوفر لدينا من ارقام عند الضرورة . ويبين الجدول رقم ٩ عدد الطلبة والمعلمين والسكان حتى عام ١٩٥٩ في القطاع اجمالا ، ونسبة الطلاب الـى السكان وكذلك نسبة الطالبات الى مجموع عدد الطلاب .

جدول رقم ٩

تطور اعداد الطلبة والمعلمين في قطاع غزة

السنة	السكان	عدد الطلاب	عدد المعلمين	الابتدائي ذ	الابتدائي ا	الاعدادي ذ	الاعدادي ا	الثانوي ذ	الثانوي ا	المجموع ذ	المجموع ا
١٩٥٣	٣٠٦٢٧٢	٤٩٠٦٨	١٠٢٢	٢٣٧٦٣	١٠٣٦٦	١١٣٠١	١٥٨١	١٩٦٠	٩٧	٣٧٠٢٤	١٢٠٤٤(٧٠)
١٩٥٦	٣٣٦٠٥٥	٥٨٨٣٩	١٦١١	٢٢٢٩٣	١٢٣٩٧	١٤٧٤٠	٣٢٥٣	٢٥٩٩	٢٠٨	٣٩٦٣٢	١٥٨٥٨(٧١)
١٩٥٩	٣٦٧٠٢٠	٦٨٩٢٢	١٨٠٦	٢٨٥٢٧	١٩٠٣٣	٩١٠٢	٢٤٨٥	٧٥٥٨	١٣٤٩	٤٥١٨٧	٢٢٨٦٧(٧٢)
١٩٦٦	٤٥٥٠٠٠	٩٥٩٣٦(٧٣)									

ان نسبة مجموع الطلبة الى السكان كما يستنتج من الجدول كانت ١٦ ٪ عام ٥٣ ، ارتفعت الـى ١٧٫٥ ٪ عام ٥٦ ، ثم الى ١٨ ٪ عام ١٩٥٩ . وهي نسبة مرتفعة تماما اذا قورنت بما هو قائم في الدول العربية المضيفة . ففي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة ١٣ ٪ في كل من لبنان وسوريا وحوالي ١١ ٪ في مصر(٧٤). وتبدو هذه النسبة اكثر ارتفاعا لدى اللاجئين في القطاع حيث كانت هذه النسبة ١٩ ٪(٧٥) عام ٥٥ وحوالي ٢٠ ٪ عام ١٩٦٠(٧٦)، وارتفعت الى ٢٢ ٪ عام ٦٥(٧٧). ويبين الجدول رقم ١٠ نسبة الطلاب الى السكان في الدول العربية وغزة لعام ١٩٦٥ .

وواضح من الجدول رقم ١٠ ان نسبة الطلاب الى السكان لدى لاجئي غزة اعلى منها في الدول العربية . ومن ناحية اخرى فان هذه النسبة لدى لاجئي غزة هي اعلى منها لدى السكان الاصليين ، اذ ان

جدول رقم ١٠

نسبة الطلاب الى السكان في بعض الدول العربية عام ١٩٦٥(٧٨)

البلد	السكان	الطلاب	النسبة المئوية
مصر	٢٩١٩٠٠٠٠	٤٤٤٢٦٨٠	١٥
سوريا	٥٦٣٤٢٦٣	٩٠٠٠٠٠	١٦
لبنان	٢٣٦٧١٤١	٤٥٤٥١٠	١٩
غزة	٢٩٦٩٤١	٦٤٨١٦	٢٢

هذه النسبة كانت لديهم ٢٠ ٪ عام ١٩٦٦ . اما على الصعيد الفلسطيني فالجدول رقم ١١ يبين عدد السكان والطلاب ونسبة الطلاب الى السكان اللاجئين في الدول المضيفة الاربع .

جدول رقم ١١

السكان والطلاب اللاجئين في الدول العربية المضيفة عام ١٩٦٥

البلد	السكان(٧٩)	الطلاب(٨٠)	النسبة المئوية
غزة	٢٩٦٩٤١	٦٤٨١٦	٢٢
الاردن	٦٨٨٣٢٧	٩٩٢٥٩	١٤
لبنان	١٥٩٧٨٣	٣١٨٤١	٢٠
سوريا	١٣٥٧٧٢	٣٢٠٥٩	٢٣

ويتضح من الارقام المبينة اعلاه أن غزة تأتي في المرتبة الثانية بعد سوريا من حيث نسبة الطلاب الى السكان في المراحل الثلاث ، الابتدائية والاعدادية والثانوية . وعدد السكان المبين في الجدول هو عدد اللاجئين المسجلين لدى الانروا ، سواء من يتلقى اعاشة او لا ، كذلك فان اعداد الطلبة تشمل الطلبة اللاجئين ، ابناء اللاجئين المسجلين لدى الانروا ، سواء كانوا في مدارس الانروا او الطلبة الذين يتلقون تعليمهم في المدارس الرسمية والخاصة وتدفع الانروا اعانات مالية ، وكذلك الطلبة اللاجئين في هذه المدارس والذين لا يتلقون أية اعانات مالية من الانروا . غير ان ذلك لا يعني ان هذه الاعداد تشمل جميع الفلسطينيين اذ ان ارقام الانروا تنحصر في اللاجئين بحسب تعريفها للاجىء ولاتشمل الفلسطينيين غير المسجلين كلاجئين. واذا قارنا بين الجدولين السابقين نلاحظ ان نسبة الطلبة الى السكان هي لدى اللاجئين أعلى منها في الدول العربية المضيفة . ولكن لا بد من تكرار الملاحظة هنا وهي اننا سنلاحظ هذا الفارق في التعليم لدى اللاجئين والدول العربية ما دام الامر يتعلق بنسبة الطلاب الى السكان وهو موضوع يعكس مدى اقبال الطلاب على التعلم ، او مدى توفر المدارس ، ولا شك ان الحافز الى التعلم لدى اللاجئين قوي للغاية لان التعلم هو الرأسمال الوحيد او جواز مرور اللاجىء الى الحياة ، كذلك فان انعدام الملكية الصناعية او الزراعية ، وتركز اللاجئين حول المدن في مقابل وجود قطاع ريفي في الدول العربية وما يعانيه هذا القطاع من تخلف وما يسوده من علاقات ، نقول ان تلك عوامل لها اثرها في زيادة اقبال اللاجىء على التعلم ، وارتفاع نسبة الطلاب اجمالا في مجتمع اللاجئين قياسا بالطلاب في الدول العربية . غير ان هذا الفارق يتغير لصالح الدول العربية عندما يتعلق الامر بالنواحي الفنية التي تتناول نوعية التعليم ومستواه وتوفير الشروط الضرورية لتحسينه مثل المكتبات المدرسية والمختبرات ومعدل عدد الطلاب في الفصل الواحد ... الخ .

واذا عدنا الى الجدول رقم ٩ نستخلص ان سكان القطاع قد ازدادوا بنسبة ٢٢ ٪ من عام ٥٣ حتى عام ٥٩ ثم ازدادوا بنسبة ٢٤ ٪ من العام ٥٩ حتى العام ٦٦ . اما عدد الطلاب في المراحل الثلاث فقد ازداد بنسبة ٢٠ ٪ حتى عام ٥٩ ثم ازداد خلال سبع سنوات ، اي حتى عام ٦٦ بنسبة ١٧ ٪ فقط . اي ان الزيادة في عدد الطلاب كانت اقل من نسبة الزيادة في عدد السكان بينما يختلف الوضع بالنسبة للدول العربية . فخلال سبع سنوات اي من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٧ ازداد عدد السكان في الدول العربية بنسبة ٢٢٪ بينما ازداد عدد الطلاب في الفترة ذاتها بنسبة ٦٠ ٪ اي ثلاثة اضعاف نسبة الزيادة في السكان . وبالنسبة للزيادة في كل مرحلة على حدة ، كانت الزيادة الكبرى في المرحلة الثانوية حيث ازدادت بنسبة ١١٩ ٪ وبلغت الزيادة في المرحلة الابتدائية ٥٠ ٪(٨١) . اما في مدارس الانروا فكانت الزيادة في هذه الفترة اقل مما هي في الدول العربية . وفي غزة تحديدا بلغت الزيادة في الفترة المذكورة ١٢٫٨ ٪ في المرحلة الابتدائية و٨٠ ٪ في المرحلة الاعدادية(٨٢). غير ان المقارنة بين الارقام على هذا النحو لا تكفي بل المهم ان نعرف مدى استيعاب المدارس الموجودة لمن هم في سن الدراسة . ويستحسن قبل ذلك ان نلاحظ ان الزيادة في عدد الطلاب يرافقها عادة زيادة مماثلة في عدد المعلمين . وهنا نلاحظ من جديد فرقا في

هذه الزيادة بين معلمي الانروا ومعلمي الدول العربية . ففي الدول العربية ازداد عدد المعلمين في الفترة المذكورة بنسبة ١٤٣ ٪ مقابل ٥٩٫٥ ٪ زيادة في عدد الطلاب . اما في مدارس الانروا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين اقل منها في عدد الطلاب . وفي غزة مثلا ازداد عدد الطلاب في مدارس الانروا بنسبة ٢٥ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٢٢٫٥ ٪ وتتضح الزيادة في المناطق الاخرى من الجدول رقم ١٢ .

جدول رقم ١٢

عدد المعلمين في مدارس الاونروا والدول العربية

البلد	المعلمون ١٩٦١/٦٠ (٨٢)	المعلمون ١٩٦٧/٦٦ (٨٤)	الزيادة ٪	الطلاب في المرحلة الابتدائية والاعدادية ١٩٦١/٦٠	١٩٦٧/٦٦	الزيادة ٪
غزة	١٢٢٥	١٥٠٢	٢٢٫٥	٤٦٤٣٢	٥٨٠٧٢	٢٥(٨٥)
الاردن	١٤١٦	٢١٢٤	٥٠	٤٦٣٤٤	٧٨٦٨٧	٦٩٫٨
لبنان	٦١٦	٧١٧	١٦٫٤	١٨٤٥١	٢٤١٩٥	٣١
سوريا	٥٠٧	٧٩٦	٥١٫٦	١٧٢٧٤	٢٦٠١٣	٥٠٫٦
الدول العربية	١٨٠ (الفا)	٤٣٨ (الفا)	١٤٣(٨٦)	٨٠٤٢٥٤٤	١٢٤٤١٫٨	٥٩٫٥

تجدر الملاحظة الى ان الارقام الخاصة بالانروا تقتصر على المرحلتين الابتدائية والاعدادية ، اما الارقام الخاصة بالدول العربية سواء بالنسبة للطلاب او المعلمين فهي تشمل المراحل الثلاث ، ابتدائية ، تكميلية وثانوية . كذلك فان الزيادة في مدارس الانروا متفاوتة سواء بالنسبة للطلاب ام للمعلمين . ففي الاردن مثلا ازداد عدد الطلاب بنسبة ٦٩٫٨ ٪ بينما ازداد عدد المعلمين بنسبة ٥٠ ٪ ، وفي لبنان كانت الزيادة في عدد الطلاب حوالي ضعف الزيادة في عدد المعلمين ، اما في سوريا فقد كانت نسبة الزيادة في عدد المعلمين تزيد قليلا عنها في عدد الطلاب . واذا كان لهذا الامر من دلالة فهي انه يعكس معدل عدد الطلاب بالنسبة للمعلم الواحد والذي يرتبط بدوره بفعالية التعليم ، اذ من المعروف أن السياسات التعليمية الحديثة تميل الى تخفيض هذا المعدل قدر الامكان حتى تسهل امكانية التفاعل بين المعلم والطالب ، فينال كل طالب الاهتمام الكافي من المعلم ، وتزداد الفائدة من مادة التدريس . وفي الفترة المذكورة (٦٠ — ١٩٦٧) انخفض معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية من ٣٨ الى ٣٥ طالبا(٨٧) ، اما في مدارس الانروا فقد ازداد هذا المعدل . وفي الجدول رقم ١٣ تبيان لمعدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا ، ذلك ان الانروا لم تكن عام ١٩٦٠ تفرق بين المعلم الابتدائي والمعلم الاعدادي بل تذكر الرقم الاجمالي للمعلمين في مدارسها .

جدول رقم ١٣

معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في مدارس الانروا (الابتدائية والاعدادية)(٨٨)

السنة	غزة	الاردن	لبنان	سوريا
٦٠ — ٦٠	٣٧٫٨	٣٢٫٧	٣٠	٣٤
٦٦ — ٦٧	٣٨٫٩	٣٧٫٦	٣٤٫٣	٣٤٫٤

ومن الواضح ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد قد ارتفع في المناطق الاربع ، وبشكل خاص في الاردن ولبنان حيث ارتفع في الاولى من ٣٢ الى ٣٧ طالبا وفي الثانية من ٣٠ الى ٣٤ طالبا . ويتضح من الجدول كذلك ان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية معا في مدارس الانروا يساوي تقريبا معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد في المرحلة الابتدائية في الدول العربية . اما معدل عدد الطلبة للمعلم في المرحلة الابتدائية وحدها في مدارس الانروا فهو أعلى من ذلك بكثير وخاصة في غزة حيث كان المعدل ٤٦٫٧ عام ٦٦ — ٦٧ . وهذا المعدل هو من ناحية اخرى أعلى منه في مدارس الانروا في باقي المناطق . ففي الاردن كان هذا المعدل في العام ذاته ٤١٫٥ وفي لبنان ٣٨٫١ وفي سوريا ٣٧٫٢(٨٩) .

يمكن القول ، تلخيصا لما سبق ، ان التعليم في

غزة يتصف بأمرين ، مقارنة بالمناطق الاخرى : مدارس غزة تشهد زيادة نسبية في عدد الطلاب وعدد المعلمين اقل منها في المناطق الاخرى ، وبالمقابل فان معدل عدد الطلبة للمعلم الواحد ، او في الفصل الواحد هو في مدارس غزة اعلى مما هو في المدارس الاخرى .

الاستيعاب : فيما يتعلق بالاستيعاب سنتعرض لنقطتين : الاولى تتعلق بطاقة المدارس القائمة على استيعاب من هم في سن الدراسة ، والثانية تتعلق بنسبة من هم في المدرسة ومن هم خارجها ممن هم في سن الدراسة .

أ ـ **سعة المدارس** : عندما نتكلم عن طاقة استيعاب المدارس للطلاب فاننا نفترض ضمنا اتباع المدارس لنظام الدوام الواحد ، اي ان يستعمل الفصل الواحد الغرفة الواحدة طيلة النهار . والسبب في هذا الافتراض هو ان وقت الفراغ ، الناجم عن نظام الدوام المزدوج ، في مجتمع كمجتمع اللاجئين ، حيث لا تتوفر وسائل للنشاط او مراكز للثقافة (مكتبات ، اندية ، برامج نشاط مختلفة ... الخ) قد يصبح سببا في وجود عدد من المشكلات الاجتماعية المختلفة .

ذكرنا انه كان في ١٩٧٠ بمدارس الانروا في غزة ٥٩٬١٧٣ طالبا وطالبة ، و١١٥٣ غرفة للتدريس ، وان معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد في المرحلتين الابتدائية والاعدادية هو ٤٨ طالبا(٩٠) . وفي حال اتباع نظام الدوام الواحد يصبح الطلاب بحاجة الى ١٢٣٥ غرفة تدريس . ولكن اذا سارت الوكالة بحسب ما هو حاصل في الدول العربية ، اي جعلت معدل عدد الطلاب في الفصل الواحد لا يزيد على ٤٠ طالبا (كان معدل عدد الطلبة في الفصل الواحد في مصر عام ٦٨ ـ ٦٩ كما يلي : ٤٢ في المرحلة الابتدائية و٣٧ في المرحلة الاعدادية) ، لاحتاج الطلاب في غزة الى ١٤٨٠ غرفة تدريس ، اي الى ما يزيد على ٤٠٠ غرفة عما هو موجود بالفعل .

ب ـ **الاطفال خارج المدرسة** : تستغرق فترة الدراسة في المرحلتين الابتدائية والاعدادية في غزة ٩ سنوات ، اي من سن ٦ ـ ١٤ سنة . ولكن لا بد ونحن بصدد معرفة من هم خارج المدرسة في هذه الفئة من العمر ، ان نعرف أولا عدد الاطفال الذين هم في سن الدخول الى المدرسة (٦ سنوات)، ويدخلونها فعلا . ويبين الجدول رقم ١٤ هذه النسبة في المناطق الاربع ، في عام ٦٦ ـ ٦٧ (قبل الاحتلال) ، وكذلك في عام ٦٩ ـ ٧٠ (بعد الاحتلال) .

جدول رقم ١٤

نسبة الاطفال داخل مدارس الانروا الى من هم في سن السادسة(٩١)

	غزة	الاردن	سوريا	لبنان
٦٦ ـ ٦٧	٨٣٬٨	٥٤٬٨	٩٢٬١	٧٠٬٧
٦٩ ـ ٧٠	٨٢٬٢	٦٥	٩٥٬٨	٨٦٬٨

ويظهر من الجدول رقم ١٤ ان غزة تاتي في المرتبة الثالثة عام ١٩٧٠ ، اي ان نسبة من هم في المدرسة من الاطفال الى من هم في سن السادسة، هي في غزة اقل منها في كل من سوريا ولبنان . وان ١٨ ٪ من هؤلاء الاطفال هم خارج المدرسة في غزة بينما تنخفض النسبة الى حوالي ٤ ٪ في سوريا و١٣ ٪ في لبنان . اما بالنسبة لعدد من هم خارج المدرسة في سن الدراسة من ٦ ـ ١٤ ، فالجدول رقم ١٥ يبين ذلك في غزة مقارنة مع الدول العربية ، حيث كان المركز الاقليمي للتخطيط التربوي والادارة في الدول العربية قد قام بدراسة حول هذا الموضوع في عشر دول عربية (العراق ، الاردن ، الكويت ، لبنان ، ليبيا ، المغرب ، سوريا ، السودان ، تونس ، مصر) . والجدول خاص بالعام ٦٦ ـ ٦٧ وهو العام الذي تنطبق عليه نتائج الدراسة العربية المذكورة .

يلاحظ من الجدول رقم١٥ ان نسبة من هم في المدرسة الى من هم في سن الدراسة في غزة أعلى بكثير مما هي في الدول العربية . ففي السنة الاولى نجد ان حوالي نصف الاطفال في الدول العربية هم خارج المدرسة بينما تبلغ هذه النسبة لدى اللاجئين في غزة ١٦ ٪ ، وكذلك اذا اخذنا المرحلة الابتدائية اي فئة العمر من ٦ ـ ١١ نجد ان ١٢٬٥ ٪ فقط هم خارج المدرسة في غزة بينما تصل هذه النسبة في الدول العربية الى ٤٥ ٪ اي اكثر من نصف الاطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية . وكذلك الامر بالنسبة للمرحلة الاعدادية (من ١٢ ـ ١٤ سنة) ، ففي غزة نلاحظ من الجدول ان ربع من هم في سن الدراسة هم عمليا خارج المدرسة بينما تزيد هذه النسبة في الدول العربية على الثلثين . غير ان الجدول يبين من جهة اخرى فيما يتعلق بمدارس الاونروا في غزة ، ان نسبة من هم من هم

يبذل مساع لدى اعضاء الكونغرس « عندما تطلب مني ذلك ، احيانا ، الجهات الاسرائيلية ، وفي معظم الاحيان زعماء اليهود الاميركيين » . ٣) ايصال الاراء ووجهات النظر المؤيدة لاسرائيل الى كبار المعلقين الصحفيين (لقد اشتهر فيلدمان ، ضمن أمور اخرى ، بأنه يشرك محرري الصحف والمعلقين الصحفيين في الامور القانونية التي يتولاها مكتب الاستشارات القانونية الذي يملكــه) . ٤) تقديم الاستشارات حول قضايا الشرق الاوسط للمرشحين الديموقراطيين للرئاسة الاميركية لا سيما ماكغفرن الذي يحبه فيلدمان ، وادوارد كينيدي الذي قال فيلدمان انه يود ان يراه الفائز بترشيح الحزب الديمقراطي لانتخابات رئاسة الجمهورية في عــام ١٩٧٢ . ويضيف ماير فيلدمان قائلا : « انني احتل موقعا ممتازا لانني اعرف الكثير الكثير من الناس». يرى محللون متعددون ، بمن فيهم بوكبايندر نفسه ، انه ما من جماعات ضاغطة او افــراد نافذين يستطيعون ان يعزوا لانفسهم ولجهودهم الفضل في التأييد الجارف الذي تحظى به اسرائيل فــي الكونغرس الاميركي . ويقول بوكبايندر في هذا الصدد : « ان السبب الذي يعلل سر الحصول ، دون عناء ، على تأييد ٧٨ مــن اعضاء مجلس الشيوخ لمطالب اسرائيل (كما حدث في قرار بيع طائرات الفانتوم) هو أنه حدث ان كلا من مصالح اسرائيل ومصالح اميركا قد توافقتا حول هذه النقطة في الزمن ، ويبدو انهما ستظلان متوافقتين لزمن طويل قادم » .

والخلاصة : يشعر الاسرائيليون الان ، وهم الذين ظلوا منذ نشأة اسرائيل يعتمدون على الصهيونيين كدعامة وطيدة للدعم السياسي لهم في الولايات المتحدة ، ان عليهم ان يوسعوا نطاق قواعدهم بتجنيد اصدقاء جدد يدعمون اهدافهم في الشرق الاوسط . وتزايد النفوذ السوفييتي في العــالم العربي وفر لهم مثل هذه الفرصة .

وقال السفير الاسرائيلي اسحق رابين مرة ، خلال مناقشة ولادة هذه التحالفات الجديدة « ان جميع هؤلاء الناس انما يؤيدون اسرائيل بفعل هاجس مناهضة الشيوعية » . وقال رابين في مناسبة أخرى ، بشيء من الدعابة : « عندما ألقي حديثا في احدى الجامعات الاميركية لا أواجه متاعب من احد سوى العرب واليهود » ، وكان رابين يشير بقوله هذا الى اليهود المنتمين لليسار الجديد الذين يعارضون السياسات الاسرائيلية الراهنة » .

وقد أوردت منظمة تشكلت مؤخرا في بيان اغراض تأسيسها ، وهي « لجنة العمل في سبيل بدائل جديدة في الشرق الاوسط » انها « ملتزمة بالسعي لتسوية النزاع واقرار السلام والعدالة » بين العرب واليهود ، ثم اضافت : « اننا لا نتوخى اصدار احكام دوغماطيقية (جامدة وبعيدة عــن الواقع الحي) ، ولا تقديم حلول من جانب واحد للقضايا المعقدة ، والمتناقضة غالبا ، القائمة في الشرق الاوسط » . وقد جذبت هذه الجماعة الى صفوفها عددا مــن اساتذة الجامعات اليهــود البارزين بما فيهم نعوم تشومسكي استاذ علوم اللغة في « معهد ماساتشوستش للتكنولوجيــا » والكاتب المناهض للحرب .

وقد قال احد المحامين في واشنطن ، وقد ازعجته هذه التطورات والاتجاهات المستحدثة : « لا أظن ان اي مراقب بعيد النظر لا يدرك بأن مصالح اسرائيل في المدى البعيد انما تكمن في الارتباط بالقوى الليبرالية في هذه البلاد [اميركا] ، اذ ان هذه القوى تحمي مصالحها بصورة افضل ، بيد ان التحالف القائم ، للمدى القصير ، بين اسرائيل والقوى المحافظة كان له تأثيره علــى الحكومة الحالية » . واضاف هذا المحامي الذي يتردد كثيرا على اسرائيل : « لقد وجدت ان القوى الحاكمة في اسرائيل راغبة في التعامل مع اية جماعة سياسية في الولايات المتحدة على اساس واحد بسيط هو : الدعم لاسرائيل » . (خلال زيــارة غولدا مائير الرسمية للولايات المتحدة فــي شهر ايلول عام ١٩٦٩ ، استأثر رونالد ريغان حاكم ولاية كاليفورنيا (الممثل السينمائي السابق والمعروف بعدائه للشيوعية) بالمشاركة شخصيا بالقســط الاوفر من برنامج زيارتها لولاية كاليفورنيا) .

هل اخذ نفوذ اليهود الاميركيــين يذوي ؟ يدرك السفير الاسرائيلي اسحق رابين ، من جانبه ، ان احساس اليهود وشعورهم بكينونتهم الذاتية كعنصر عرقي ثقافي آخذ في التصاعد في الولايات المتحدة الاميركية كما هو الحال لدى الاقليات العرقية الثقافية الاخرى في البلاد ، بيد انه وغيره مــن الاسرائيليين ليسوا واثقين بأن هذا التصاعد في الاحساس بالكينونة الذاتية قد رافقته زيادة في نفوذ اليهود السياسي . ويبدو الامر في نظرهم كما عبر عنه بشكل فج مسؤول اسرائيلي ذو منصب رفيع :

« ان الجمهوريين قد نفضوا ايديهم منهم تماما بينما الديموقراطيون يعتبرون الفوز بدعمهم لهم وتأييدهم أمرا مضمونا ومفروغا منه » . ويعتقد الحاخام ريتشارد هيرش، مدير مركز العمل الديني في اتحاد المجامع اليهودية الاميركية ، وهو فرع مقره واشنطن تابع لحركة اليهودية الاصلاحية في الولايات المتحدة ، ان اليهود الاميركيين يخسرون من قوتهم السياسية بداعي اغراض مصالحهم السياسية الثابتة . وفي ندوة عقدت لدى التئام المؤتمر المركزي للحاخامين الاميركيين في شهر حزيران عام ١٩٧١ ، قال هيرش : « لقد اكتسبت الاصوات اليهودية القسط الاوفر من قوتها من حسن الصدف التي شاءت ان يتمركز السكان اليهود في كبرى المدن في كبرى الولايات ، غير انه بتحول الناس عن السكن في المدن الى الاقامة في الضواحي ، وما رافق هذا التحول من ظواهر اقتصادية واجتماعية ، اخذ النفوذ اليهودي يذوب في هذه الضواحي ويضعف تأثيره، كما ان التحالفات التقليدية بين اليهود والاقليات الاخرى ومع القوى العمالية اخذت بدورها تتفتت » . ويعتقد هيرش كذلك بأن المصالح اليهودية الاميركية والضغوط اليهودية الاميركية قد بلغت أدنى مستوى في التأثير على السياسة الخارجية الاميركية وفي تقرير أمورها ، ويشاركه في هذا الاعتقاد سرا ، وان لم يعلنوا ذلك جهارا ، بعض الزعماء السياسيين الاسرائيليين . وقد عبر هيرش عن هذا الاعتقاد في خطابه في ندوة حزيران المشار اليها سابقا قائلا : « ان اتخاذ قرار في الكونغرس حول اوضاع اليهود السوفييت من السهل الحصول عليه بقدر ما هو قليل الاهمية من حيث التأثير السياسي ، فمعظم اعضاء مجلس الشيوخ يبادرون الى المشاركة في اصدار بيان يعبر عن الاهتمام بمصير اليهود ليظهروا مثل هذا الاهتمام لليهود القاطنين في دائرتهم الانتخابية طالما ان مثل هذا البيان لا ينطوي على اجراءات عملية فعالة » . بيد ان مشكلة هيرش وغيره من زعماء اليهود الاميركيين هي ان يجدوا لانفسهم دورا سياسيا ذا قيمة حيث ان الوضع ، كما يقول هيرش نفسه « بالنسبة لليهود الاميركيين اسرائيل ليست من قضايا السياسة الخارجية ، بل هي من أمور السياسة المحلية » .

تأثير اليهود الاميركيين على حملة انتخابات الرئاسة الاميركية : ان اعتبار اليهود الاميركيين قضية الشرق الاوسط من أمور السياسة الداخلية أكثر منها قضية من قضايا السياسة الخارجية هو اتجاه لا وزن له لدى الرئيس نيكسون وغيره من اعضاء مجلس الامن القومي . ولكن ، طالما ان شحن الطائرات وغيرها من المعدات الحربية سيواصل التدفق على اسرائيل بغزارة ، وكل الدلائل تشير الى ان ذلك سيستمر ، فمن غير المحتمل ان يواجه الرئيس نيكسون معارضة شديدة من الهيئات اليهودية الاميركية ، وان كان معظم قادة هذه الهيئات ينتمون للحزب الديموقراطي . ولا بد وان ينعكس هذا الموقف بجلاء على تمويل الحملة الانتخابية ، وقد عبر عن ذلك ، سرا ، احد المولين اليهود في نيويورك قائلا : « انني اعتزم التبرع لحملة الديموقراطيين الانتخابية في انتخابات رئاسة الجمهورية القادمة ، ولكنني لن اتبرع بمقدار ما كنت سأتبرع به لو ان نيكسون كان سيئا في موقفه من اسرائيل » . ومن جهة اخرى ، تغدق معظم تبرعات الشركات الكبرى للحملات الانتخابية ، بما فيها تبرعات شركات البترول العاملة في الشرق الاوسط ، على الحزب الجمهوري . وفي هذا الصدد يقول ماير فيلدمان : « ان أموال شركات النفط كانت دائما ، كما تعلم ، أهم في حملة انتخابات الرئاسة الاميركية من أموال اليهود ، بيد انني أقول ان وضع الفريقين (العرب والاسرائيليين) [؟؟] متعادل الى حد بعيد ، فكل فريق يحاول ان يجعل كفته ترجح على كفة الفريق الاخر ، وكل فريق له حججه ومبرراته القوية وعلى كل رئيس اميركي ان يزن الامر ويتخذ قراراته على ضوء ذلك » .

نيكسون وقوة اليهود الاميركيين السياسية

مداراة علاقات هشة

قال نيكسون خلال حملة انتخابات الرئاسة الاميركية في عام ١٩٦٨ اثناء اجتماع ، لم يعلن عنه ، مع ١٤ من اليهود الاميركيين البارزين في شقته السابقة في الشارع الخامس بنيويورك انه يدرك بأن في وزارة الخارجية الاميركية تحيزا للعرب (؟؟) ووعد بأن يأخذ ذلك في الحسبان عند اتخاذه قراراته في حالة

فوزه بالرئاسة . كما قال نيكسون لتلك المجموعة من الزعماء اليهود في ذلك الاجتماع : « إنني اعتزم أن أعين في حكومتي الكثير من اليهود ، ليس لمجرد كونهم يهودا ، بل لانهم يتمتعون بالحصافة » . وبعد انقضاء قرابة اربع سنوات على هذا الكلام ما زالت علاقة الرئيس نيكسون باليهود الاميركيين هشة وحساسة ، فأبواب البيت الابيض مشرعة أمام الجماعات اليهودية ، ولكن زعماءهم يشعرون انه لا يوجد هناك من بوسعهم التحدث اليه .

ليس لدى نيكسون سوى عدد قليل من الوسطاء الشخصيين بينه وبين الجالية اليهودية الاميركية منهم جاك توركزاينر (٥٧ سنة) ، الرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في اميركا (١٩٦٥ — ١٩٧٠) ، وهو من القلائل الذين تولوا زعامة هيئة يهودية رسمية وفي نفس الوقت من الاعضاء الاقوياء في الحزب الجمهوري . ورغم العلاقة القائمة بين نيكسون وتوركزاينر فان معظم الزعماء اليهود الاميركيين يعتبرون ان موقف البيت الابيض من مصالحهم السياسية يتصف باللامبالاة .

قال أحد المحللين السياسيين في حديث سري : « ان النفوذ اليهودي في هذه البلاد مصدره الاصوات والنقود . ان حجم تبرعات اليهود للاغراض السياسية يتجاوز كثيرا نسبة عددهم وثروتهم الاجمالية ، ولهذا تأثيره على جميع المرشحين ، بيد ان نيكسون غير واقع تحت تأثير هذا العامل بالقدر الذي يجري مع اي مرشح او رئيس من الحزب الديمقراطي » .

ويقول وارين أدلر أحد رجال العلاقات العامة والاعلان في واشنطن وممثل عدة هيئات يهودية من بينها جمعية المحاربين القدامى اليهود : « ان نيكسون وحكومته يتجاهلان تماما القوة اليهودية السياسية » . وقد عمل وارين أدلر هذا في حملة نيكسون الانتخابية في عام ١٩٦٨ ، ومن ثم عمل حتى عام ١٩٧٠ براتب قدره ٢٥٠٠٠ دولار سنويا كمستشار حول الشؤون اليهودية للجنة الحزب الجمهوري القومية ، وهو يقول انه « قد صدم شخصيا » لما حدث ، وأضاف : « هنالك تجارة كسدت . ان اليهود الامريكيين لم يعد لهم حصة في شيء ، فالرئيس نيكسون يولي اسرائيل اهتمامه ودعمه وتأييده لانها ركن مهم من أركان مخطط استراتيجيته الشامل لنطاق الكرة الارضية بأسرها » .

ويقول حاكم احدى الولايات الكبرى ان الرئيس نيكسون قد ابلغه مرة « انني لست مدينا بشيء لليهود الامريكيين ، ولكنني لن أدع ذلك يؤثر في دعمي لاسرائيل » .

يبلغ عدد الناخبين اليهود في الولايات المتحدة الامريكية حوالي ثلاثة ملايين ناخب ، ويعيش القسط الاوفر من الناخبين اليهود في ولايات نيويورك ، وبنسلفانيا ، وكاليفورنيا ، واللينوي ، ووفقا لتحليل اجراه الحزب الجمهوري بعد انتخابات الرئاسة في عام ١٩٦٨ ، نال الرئيس نيكسون اصوات حوالي ثلث الناخبين اليهود في ولاية كاليفورنيا التي ربح المعركة الانتخابية فيها والبالغ عددهم ٣٥٠٠٠٠ ناخب يهودي ، كما نال ما معدله حوالي ٢٠٪ من مجموع اصوات اليهود في جميع انحاء الولايات المتحدة .

مآخذ اليهود الامريكيين على نيكسون : ان المآخذ الرئيسية على نيكسون التي يجهر بها اليهود الامريكيون هي : ١) انه لم يعمد ، منذ ان تسنم الرئاسة ، الى القاء اي خطاب امام اية هيئة يهودية امريكية مع انه ، على سبيل المثال ، القى خطابا امام جمعية فرسان كولومبوس الكاثوليك . ٢) لقد خرق التقليد المتبع منذ مطلع القرن العشرين وهو تقليد « الكرسي اليهودي » في المحكمة العليا، فليس بين القضاة الستة الذين عينهم في المحكمة العليا اي يهودي . ٣) عين عددا قليلا نسبيا من اليهود في مناصب عالية في ادارته ، ولم يعين في حكومته ايا منهم .

ويرد أحد أصدقاء نيكسون ، وهو يهودي آثر كتمان اسمه ، على هذه المآخذ على النحو التالي بخصوص قرار الرئيس نيكسون الاعتذار عن تلبية دعوات الهيئات اليهودية لالقاء الخطب في مناسباتها ، يقول هذا الصديق : « لا يخفى ما هو عليه الوضع في الشرق الاوسط من حساسية ، ولا يستطيع الرئيس اذا ما تحدث الى جمهور يهودي ان يتحاشى الحديث عن هذا الموضوع ، وهذا ليس من الامور التي بوسعك الخوض فيها بصراحة من على منبر عام » . أما بخصوص قرار الرئيس نيكسون عدم التقيد بقرار « المقعد اليهودي » ضمن هيئة قضاة المحكمة العليا ، فيقول صديق الرئيس نيكسون اليهودي : « ان هيئة قضاة المحكمة العليا تتكون من تسعة اشخاص فقط ، فترى هل يتأتى على الرئيس ان يتوخى ان تشتمل

هيئة قضاة المحكمة العليا علـى قاض معمداني كذلك ؟ انني لا اعرف ما اذا كـان هنالـك قاض معمداني في المحكمة العليا ام لا ، المهم في الامر أن هؤلاء لا يجعلون من هذه المسالة قضية للبحـث والنقاش وموضوع مطالبة . فلماذا يجعل اليهود الامريكيون من هذا الامر قضية ؟ ان مثـل هـذه القضايا لا يثيرهـا سوى اليهـود « المحترفين » [زعماء الهيئات اليهودية] .

أما بخصوص تعيين اليهود في الحكومة والمناصب العليا في الادارة : « فلا اظن ان الناخب اليهودي العادي يحفل بأية صورة من الصور فيما اذا كان الرئيس قد عين شخصا يهوديا في منصب معين أم انه لم يفعل » . ويضيف هذا الصديق اليهـودي للرئيس نيكسون قائلا ان اختبارا افضل من ذلـك لحقيقة نوايا الرئيس هو من خلال طباعه وما يكمن في دخيلة نفسه . وقد عبر عن ذلك بقوله : « في لحظة سهو ولا مبالاة ، عندما يرخي المرء لنفسه العنان ويتحرر من التحفظ في كلامه قد يزل لسانه، ويفوه بمكنونـات نفسه . لقد عرفتـه [الرئيس نيكسون] منذ عام ١٩٤٦ ، وما من مرة زل لسانه او تفوه عن شخص يهودي بما يتجاوز الحـدود بأية صورة من الصور » .

يهود نيكسون : ان المسؤولـين اليهود في ادارة نيكسون في البيت الابيض يشملون هنري كيسنجر مساعد الرئيس لشؤون الامن القومي ، وليونارد غارمنت المستشار الخـاص للرئيس (لشـؤون الحقوق المدنية والفنون والاداب) . ومن المسؤولين اليهود الاخرين الـذين يحتلون مناصب رفيعـة في الحكومة هيربرت شتاين الرئيس الجديد لمجلـس المستشارين الاقتصاديين ، وآرثر بيرنز رئيس مجلس ادارة حكام صندوق الاحتياط الاتحادي ، ووالتر أنينبرغ سفير الولايات المتحدة في بريطانيا ، كذلك فان موري تشوتينر المستشار السياسي لنيكسون منذ أمد بعيد ، وقد استقال من منصبه كمستشار خاص للرئيس في شهر اذار الماضي لينضم الـى مكتب ريفز وهاميلتـون للاستشارات القانونية في واشنطن هو يهودي ايضا .

ليونارد غارمنت : لاحظ أدلر المستشار السابـق للحزب الجمهوري للشـؤون اليهودية قائـلا : « اذا ما كنت يهوديا واصبحت في موقع قريب من السلطة فقد تأخذ وجهة نظرك تتبدل وتتبلور لديك وجهة نظر جديدة » . « لم يعين نيكسون في ادارته أي شخص ليكون صلة وصل بينه وبين الجاليـة اليهودية الامريكية ، ويبدو ان الرئيس يـرى ان غارمنت يقوم بهذا الدور ، ولكن غارمنت لا يـرى نفسه القائم بهذا الدور » . ويضيف أدلر متحدثا عن غارمنت قائلا : « ان غارمنت خـريج مدرسة دينية يهودية « يشيفاه » ، درس بعدها في كلية في بروكلين ، ومن ثم التحق بمكتب استشارات قانونية في « الوول ستريت » . وهو لا يود ان يدمغ بأنه اليهودي في البيت الابيض ، وعندما تنشأ بعـض المشاكل يقول للزعماء اليهود الاخرين : « عليكـم أن تتركوا هذا الامر لي لاتدبره بطريقتي الخاصة ، فأنا اعرف كيف يفكر هـؤلاء الناس » . ويقـول غارمنت انه لا يصرف الكثـير من الوقـت لحـل المشاكل « اليهودية » . ويقول الناطق باسم احدى الهيئات اليهودية في واشنطن عن ليونارد غارمنت : « لقد زرته مرة او مرتين . انني لا اظن انه يود ان ينغمس في القضايا اليهودية » .

ماكس فيشر : هو ضابط الارتباط الرئيسي وصلة الوصل بين الرئيس نيكسون والجالية اليهوديـة الامريكية ، وماكس فيشر هذا هو مليونير يهودي من ديترويت عمره ٦٣ عامـا ، وقد وصفته جريـدة « ديترويت نيوز » في شهر تموز ١٩٧١ بانه واحد من عشرة رجال هم « أقوى رجالات ديترويت وأغنى أثريائها » . وفي عام ١٩٦٨ تبرع ماكس فيشر بمبلغ ١٠٧٠٠٠ دولار للجمهوريـين في حملة انتخابـات الرئاسة الامريكية مؤيدا نيكسون بعد ان انسحب السناتور الجمهوري جورج رومني من انتخابـات الحزب الجمهوري التمهيدية في نيو هامبشير لانتقاء مرشح الحزب للرئاسة الامريكية . وفيشر هذا هو الـذي رتب لقاء عام ١٩٦٨ بـين نيكسون و ١٤ زعيما يهوديا امريكيا في شقة الـرئيس الامريكـي السابقة في الشارع الخامس في نيويورك ، وهو الذي رتب كذلك اللقاء الوحيد الذي أعلن عنه بين الرئيس نيكسون وزعماء اليهود الامريكيين منذ ان تولى نيكسون الرئاسة الامريكية . ففي ٣٠ كانون الأول عام ١٩٧٠ اجتمع نيكسون بالحاخام هيرشل شاكتر رئيس المؤتمر اليهودي الامريكي حول اليهود السوفييت ، ووليام ويكسلر رئيس مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الامريكية الكبرى والذي يضم ٢٦ هيئة ومنظمة . وقد تناول المجتمعون بالبحث أوضاع اليهود في الاتحاد السوفييتي .

وقد قال ماكس فيشر في احدى المقابلات الصحفية:

« لقد شاركت في حملته الانتخابية [حملة نيكسون] في عام ١٩٦٨ ، واعتزم المساهمة في حملته الانتخابية القادمة في عام ١٩٧٢ على كلا الصعيدين المالي والسياسي . انني احاول ان انقل للرئيس مشاعر الجالية اليهودية الامريكية ورغباتها ، كما أحب أن أكون في موقع يمكنني من الاطلاع على سياسة الحكومة ومعرفة مجرياتها ، فالعلاقة تنطوي على أخذ وعطاء والمصلحة متبادلة » .

في نيسان ١٩٦٩ عين ماكس فيشر مستشارا خاصا للرئيس للشؤون البلدية والقروية ، وفي شهر تشرين الثاني من العام نفسه أسس الرئيس نيكسون « المركز القومي لاعمال التطوع » وعين ماكس فيشر رئيسا لهذا المركز الذي مهمته تنظيم أمور التطوع ويمول من التبرعات الخاصة . وفي شباط ١٩٧٠ استقال فيشر ليتفرغ لمصالحه النفطية والعقارية والمالية .

ويقول وارين أدلر انه عندما كان ماكس فيشر في واشنطن « عومل معاملة رديئة » . ويقول محام في واشنطن عرف ماكس فيشر طوال سنوات عديدة: « لقد تجاهل الرئيس نيكسون ماكس فيشر وأهانه خلال الفترة التي تلت حملة انتخابات الرئاسة ، اما الان وقد بدأ الاعداد لحملة انتخابات الرئاسة القادمة عاد فيشر يرتب اللقاءات وحفلات الغداء بين الشخصيات اليهودية المهمة والرئيس ، انه المنسق للعلاقات بين الرئيس والجالية اليهودية الامريكية، وهو الذي يشغل « الحقيبة اليهودية » . بعبارة أخرى ، دارت الاحداث بالنسبة لماكس فيشر دورة كاملة ، اذ عاد يقول أن نيكسون هو افضل رئيس امريكي عرفته اسرائيل ، واذا لم تساهموا في حملته الانتخابية وتتبرعوا لها فقد تنفرونه من قضايا الجالية اليهودية وتبعدونه عن اسرائيل » .

أما ماكس فيشر نفسه فيتحدث عن علاقته بنيكسون قائلا : « لقد كان الرئيس منصفا غاية الانصاف في تعامله معي . فقد عرض علي منصبا في ادارته في البيت الابيض ، ولكنني عازف عن تولي اية مناصب ، انني اولا واخيرا رجل اعمال وادارة الاعمال تجري في عروقي وهي بمثابة هواية لي » .

ويقسم ماكس فيشر اوقاته التي تفيض عن حاجة أعماله بين العمل السياسي لصالح الحزب الجمهوري واعمال البر والاحسان لصالح اليهود [جمع التبرعات لاسرائيل] ، فقد كان رئيسا عاما لمجلس الادارة (١٩٦٥ — ١٩٦٧) ثم رئيسا (١٩٦٨ — ١٩٦٩) للنداء اليهودي الموحد ، وهو حاليا رئيس مجلس الاتحادات ومؤسسات الرعاية اليهودية المؤتلفة وهذا هو الهيئة المركزية التي تنسق عمليات جمع التبرعات الخيرية من اليهود الامريكيين [جمع التبرعات لاسرائيل] .

وماكس فيشر كذلك احد الاعضاء الثمانية المؤسسين للجنة اعادة انتخاب الرئيس التي تتولى الاشراف على تخطيط واعداد ترتيبات حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة الامريكية في عام ١٩٧٢ .

لاري غولدبرغ : وقع الاختيار على لاري غولدبرغ ليتولى في جهاز حملة تجديد انتخاب نيكسون للرئاسة مهمة العمل على حشد التأييد والدعم اليهودي لنيكسون . ولاري غولدبرغ (٤٠ سنة) من اعضاء الحزب الجمهوري في ولاية رود ايلاند ، وقد رشحه ماكس فيشر للقيام بهذه المهمة . وقد التحق غولدبرغ هذا [وهو غير آرثر غولدبرغ مندوب الولايات المتحدة في مجلس الامن في عهد الرئيس جونسون] بجهاز حملة التجديد لنيكسون في شهر تشرين الاول الماضي ، فترك مدينة بروفيدانس في ولاية رود آيلاند حيث عمل مع شركاء اخرين من عائلته على انشاء شركة منتجات معدات الترفيه الامريكية التي تم بيعها . ولاري غولدبرغ حائز على شهادة في القانون من كلية الحقوق في جامعة هارفرد ، وعمل خلال فترة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ مستشارا تشريعيا لادارة المشاريع الصغيرة ، وقد شارك بنشاط في حملات انتخابات الحزب الجمهوري منذ عام ١٩٥٦ ، وقبل ان يتولى مهمته الجديدة في جهاز حملة التجديد لنيكسون كان رئيس ادارة « عصبة مناهضة التشهير » المتفرعة من منظمة بناي بريت الصهيونية في ولاية نيو انغلند .

وقال لاري غولدبرغ في مقابلة قصيرة : « انني لست مضاربا في سوق القوة السياسية ، واحب أن أظل بعيداً عن الاضواء قدر الامكان لان مركزي حساس جدا من هذه الناحية ، فكل شيء ما زال قيد التخطيط والاعداد ، ولكنني لا اود ان اظهر بمظهر الشخص المسؤول عن اليهود ، فالامر ابسط من ذلك بكثير » . غير ان احد المنظمين لجهاز لجنة حملة تجديد انتخاب نيكسون وهو روبرت اودل الابن يقول ان غولدبرغ سيصرف اكثر من نصف وقته في العمل بين صفوف اليهود الامريكيين لحشدهم وراء نيكسون في حملة انتخابات الرئاسة القادمة .

تحليل علاقات نيكسون باليهود الامريكيين :

ماكس فيشر هو الوجه البارز في مخططات نيكسون السياسية لكسب اليهود الامريكيين الى جانبه ، وفي ظل ادارة فيشر للامور تكونت وراء الستار بوادر تشنجات وتوترات من بينها : ١) بعض مستشاري نيكسون الرئيسيين في الشؤون الانتخابية نفضوا أيديهم تماما من الامل في كسب الدعم السياسي من اليهود الامريكيين ، ولا يعتقدون ان على الرئيس نيكسون ان يضيع جهدا كبيرا فيما يعدونه قضية خاسرة . ومن بين من يميلون الى الاخذ بهذا الموقف هالدمان المساعد للرئيس ، ورئيس هيئة الاركان في البيت الابيض . ٢) بعد ترك أدلر لهيئة اللجنة القومية للحزب الجمهوري [« اذ جاءت الوجوه الجديدة واخلت البيت من ساكنيه واحتلت جميع المواقع » حسبما يقول أدلر] ، لم يبق هنالك احد ، سواء داخل البنيان الرسمي للحزب الجمهوري او بين المسؤولين في البيت الابيض ، من هو متخصص في الشؤون اليهودية . [ولكن من جهة اخرى ، السناتور روبرت دول وهو جمهوري من ولاية كنساس ، ورئيس المجلس القومي للحزب الجمهوري ، معروف عنه انه من اشد مؤيدي اسرائيل في مجلس الشيوخ] . ٣) لا يخفي بعض زعماء اليهود ، ممن تربطهم بالرئيس نيكسون علاقة ود ، امتعاضهم من الدور الكبير الذي أسند الى ماكس فيشر . وقد عبر واحد من هؤلاء ، سرا ، عن دواعي امتعاضهم من ماكس فيشر قائلا : « اذا كان ماكس فيشر لا يعتقد بانك شخصية كبيرة فقد يعاملك بفظاظة متناهية ، وعلاوة على ذلك ، فان ماكس فيشر مجاب ومتحيز لجماعة النداء اليهودي الموحد ، فاذا لم تكن واحدا من جماعة ماكس في النداء اليهودي الموحد فلا جدوى من محاولتك الوصول الى الرئيس » . ٤) يبقى ليونارد غارمنت مستشار نيكسون اليهودي لشؤون الحقوق المدنية والفنون والاداب دون دور ليلعبه في حملة نيكسون الانتخابية ، وكان غارمنت هذا قد شرح الموقف لنيكسون وهيأه في حملة انتخابات الرئاسة الماضية عام ١٩٦٨ لاجتماع هام مع زعماء هيئة يهودية رئيسية تضم تحت جناحيها العدد الاوفر من المنظمات والهيئات اليهودية الامريكية وهي مؤتمر رؤساء الهيئات اليهودية الامريكية .

وليونارد غارمنت احد المتخرجين من مكتب الاستشارات القانونية الذي كان نيكسون شريكا في ملكيته ، واصبح يدعى الان مكتب مدج ، وروز ، وغثري ، والكسندر . وهنالك خريج اخر من هذا المكتب يشغل منصباً مهما في ادارة نيكسون ، وهو جون ميتشل المدعي العام والذي يحتمل ان يلعب دورا سياسيا مهما هذه السنة .

وفي حملة عام ١٩٦٨ الانتخابية ساهم شخص اخر أيضا في شرح الشؤون اليهودية لنيكسون واطلاعه على ملابساتها وذلك هو مارتن بولنر المدير الحالي لمكتب تطبيق القانون في وزارة الخزانة ، وكان بولنر شريكا في ما كان يدعى يومئذ مكتب نيكسون للاستشارات القانونية قبل ان يجنده غارمنت للعمل في حملة نيكسون الانتخابية . وقال أحد المحامين اليهود في واشنطن بصورة سرية : « ان مارتن بولنر هو من افضل الاشخاص [اليهود] الذين في خدمة نيكسون ، ولكن طالما ان ماكس فيشر يدير عمليات نيكسون [بين اليهود] فلا اظن انه ستتاح له الفرصة للظهور والبروز » .

ويقول وارين أدلر المستشار السابق للشؤون اليهودية في لجنة الحزب الجمهوري القومية : « اننا نجد انفسنا ازاء طبقة رواد النوادي الريفية الخاصة (أهل المال والسلطان) ، فجميعهم لهم أصدقاء من اليهود الامريكيين ولكنهم لا ينظرون الى الامور من وجهة نظر الشعب اليهودي ولا يتبنون قضاياه ، هذا في حين ان اليهود المقربين من نيكسون لا يعتبرون انفسهم يهودا » .

كينين العميل الصهيوني القدير في الكونغرس الاميركي :

طلب السناتور هيوسكوت وهو من الشيوخ الجمهوريين البارزين من احد مساعديه مرة ان يعد له بيانا حول الشرق الاوسط ، وبعد ان قرأ السناتور سكوت مسودة البيان قال لمساعده الذي أعده « اعتقد أن البيان ممتاز وهو ما اردت تماما، ولكن ، من قبيل الاحتياط ، حبذا لو حملته الى « سي » واطلعته عليه » . من هو « سي » هذا الذي أشار اليه السناتور هيوسكوت ؟ انه تزحيا كينين مساعد الرئيس التنفيذي للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية ، وينادونه « سي » تصغيرا لاسمه الاول « تزحيا » ، وبمرور الزمن ازداد عدد اعضاء الكونغرس الذين يستمزجون رأي « سي » حول سياسة الولايات المتحدة تجاه اسرائيل .

دور ((سي)) كينين : قال احد المساعدين في البيت الابيض ، وقد آثر كتمان اسمه : « ان سي كينين يتمتع بنفوذ كبير بين صفوف اعضاء الكونغرس ، ويشتهر عندهم بانه متحدث شديد الاطلاع على الشؤون الاسرائيلية ، ومن المعروف ان ارتباطاته بالسفارة الاسرائيلية في واشنطن وثيقة جدا ، وهو المرجع النهائي للمحاورين الاسرائيليين والصهيونيين، فرغم ان جميع المنظمات الصهيونية الكبرى تصر على أن يكون لها ناطق خاص بها لدى الكونغرس، فان الجميع ينظرون الى سي كينين بأنه المرجع الاخير وجميع هؤلاء الناطقين والمحاورين الصهيونيين يطلبون مشورته » .

ويقول كينين انه يشعر ان دوره كوسيط حساس ودقيق ويتطلب قدرا من الدراية والدهاء في التصرف ، ولذلك فهو يحاول ان يتجنب الظهور تحت الاضواء ، بيد ان كينين يقر بأن : « كثيرا من المسؤولين والهيئات يستوضحون رأينا ، فكثيرا ما يتصل بي هذا العضو او ذاك في مجلس الشيوخ ليطلعني على مسودة خطاب كتبه وما الى ذلك . وأظن انك لو استفسرت من اعضاء الكونغرس عن أسلوبنا في العمل لوجدت انه لا يقوم على الضغط ، فالمسألة هي مسألة تزويدهم بشروح وتفسيرات وتوضيحات ومعلومات عن الوضع وتطورات الموقف » . ويضيف قائلا : « عندما تلوح في الافق بوادر اتجاهات ومواقف لا توافق هوانا أبعث برسالة توضح الموقف لنحو ٧٠٠ شخص من قادة الجالية اليهودية الامريكية وزعمائها ، كما اتصل بالممثلين والمندوبين المحليين للهيئات اليهودية الامريكية هنا في واشنطن ، وقد أدعو هؤلاء الى مكتبي لاحيطهم علما بما يجري ولاحثهم على القيام بما يستطيعون من اعمال ، فأبلغهم بأسماء اعضاء مجلس الشيوخ الذين يرفضون توقيع القرار المطلوب وأطلب منهم ان يفعلوا ما بوسعهم ان يفعلوه بهذا الصدد » .

نشأة كينين وخبرته : كان كينين صحفيا في كليفلاند بولاية اوهايو ، وفي عام ١٩٤٣ قدم الى مدينة واشنطن مديرا تنفيذيا للمؤتمر اليهودي الاميركي، وهو هيئة صهيونية تضم عدة منظمات وجمعيات يهودية اميركية ، جرى تشكيلها للعمل على اقناع المراجع الحكومية الاميركية المختصة بدعم وتبني فكرة انشاء دولة يهودية في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وفي عام ١٩٤٧ تخلى كينين عن مهماته في المؤتمر اليهودي الاميركي ليصبح ممثلا صحفيا للوكالة اليهودية في نيويورك التي كانت تمثل المصالح اليهودية لدى منظمة الامم المتحدة التي كانت قد تكونت حديثا آنذاك ، وبعد ذلك اصبح كينين أول ناطق رسمي بلسان الوفد الاسرائيلي لدى منظمة الامم المتحدة . ويسترجع كينين ذكرياته حول تلك الايام قائلا : « في عام ١٩٥٠ كانت اسرائيل بحاجة الى معونة اقتصادية ، وقد بذلت مساع لادخال اسرائيل ضمن مشروع مارشال ، بيد ان الخارجية الاميركية عارضت ذلك ، فظهرت الحاجة الى العمل في صفوف اعضاء الكونغرس » . وقد تبلورت لذلك فكرة تشكيل جهاز للاتصال بأعضاء الكونغرس ، ودعي في بادئ الامر « المجلس الصهيوني الاميركي » الذي اصبح يدعى في عام ١٩٥٩ « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية » . وفي عام ١٩٥١ سجل كينين نفسه ، لفترة وجيزة ، كعميل لدولة اجنبية ، ولكنه يعمل منذ ذلك الوقت كمحاور محلي رغم حملة السناتور وليم فولبرايت عليه ، وقد قام السناتور فولبرايت في عام ١٩٦٣ بتحري نشاطات « لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية » توطئة لفتح تحقيق في مجلس الشيوخ حول سوء تطبيق قانون تسجيل عملاء الدول الاجنبية ، بيد أن الموضوع اقفل ولم يستدع كينين للادلاء بافادته كما لم يتم توجيه تهمة معينة له .

نشاطات كينين ومجهوداته من خلال لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية : تدير لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية عملياتها بميزانية سنوية مقدارها ١٧٥٠٠٠ دولار تجمع كلها من تبرعات من داخل اميركا . ومدير عملياتها كينين (٦٧ سنة) دائم السفر والتجوال، ويدير عملياتها في بعض الاحيان من مكتبها الفرعي في نيويورك ، وكثيرا ما يلقي أحاديث في الجماعات اليهودية في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، وغالبا ما يرافقه في جولاته هذه ارفنغ كين رئيس ادارة لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية والذي يشرف على جمع التبرعات لها . وكثيرا ما يزور كينين اسرائيل ، وخلال زيارته الاخيرة في تشرين الاول الماضي اجرى مباحثات مع غولدا مائير رئيسة الوزراء . وتتميز نشاطات كينين باستقلاليتها عن المسؤولين الاسرائيليين بما فيهم هيئة السفارة

في واشنطن . ويقول كينين : « لم اصطحب السفير الاسرائيلي معي الى الكونغرس لاجراء الاتصالات مع الشيوخ والنواب منذ سنوات » . ويفضل كل من كينين والاسرائيليين انفسهم ان يعمل كل منهما بشيء من الاستقلال عن الآخر . وفي بعض الاحيان نشأت بينهما اختلافات حول اساليب العمل بصدد بعض التشريعات . ويصف كينين نفسه بانه « من طراز اليهود الليبراليين الكلاسيكي » ، وهو يلاحظ وجود نوع من « الهوة بين الاجيال » بينه وبين السفير الاسرائيلي اسحق رابين الجنرال المتقاعد، وعمره ٤٩ سنة ، من رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي .

ويقول بعض اعضاء مجلس الشيوخ سرا انهم يرتاحون أكثر الى مناقشة الامور بصراحة مع كينين بصفته اميركيا مما مع الدبلوماسيين الاسرائيليين ، بينما يقول شيوخ آخرون انهم يفضلون ان يتعاملوا مع الاسرائيليين مباشرة ، ومعظم الشيوخ يشعرون ان من المفيد لهم ان يتعاملوا مع الطرفين .

ويقدر اسحق رابين قيمة عمل كينين ومجهوداته ، وان كان لا يعتمد عليه اعتمادا كليا . ولذلك وافق في ربيع عام ١٩٧١ ان يكون ضيف الشرف في مأدبتي غداء حافلتين لاعضاء مجلسي الشيوخ والنواب لمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي الثاني عشر للجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية . ففي ٢٩ نيسان ١٩٧١ اقام رئيس مجلس النواب كارل البرت [ديموقراطي من اوكلاهوما] حفل غداء على شرف ٣٠٠ من مندوبي لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية الى المؤتمر ، وحضره كذلك ١٥٠ عضوا من اعضاء مجلس النواب من بينهم زعيم الاغلبية النيابية هال بوغز (ديموقراطي من لويزيانا) وزعيم الاقلية النيابية جيرالد فورد (جمهوري من ميتشيغان) . واقيم حفل الغداء الآخر في مبنى مكاتب مجلس الشيوخ الجديدة ، وكان خطباء الحفل السناتور هيوسكوت والسناتور هنري جاكسون .

نشرات كينين ومطبوعاته : علاوة على المهمات التي يقوم بها كينين في لجنة الشؤون العامة الاسرائيلية الاميركية فهو يشرف ايضا على تحرير نشرة اسبوعية من اربع صفحات (ولكنها زاخرة بالمعلومات) يدعوها « تقرير حول الشرق الادنى »، وهي توزع على ٢٧٠٠٠ مشترك ، وقيمة الاشتراك بها ٧ دولارات سنويا ، ويوزعها كينين مجانا على جميع اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب .

ويعمل كينين ، بمساعدة ٦ موظفين متفرغين و٤ غير متفرغين ، على تنسيق سجلات وافية وتفصيلية حول جميع القضايا والامور المتعلقة باسرائيل بما فيها مواقف كل واحد من اعضاء مجلسي الشيوخ والنواب من قضايا الشرق الاوسط ، كما يحتفظ بملفات وافية وشاملة لما يدعوه كينين « جهاز الدعاية العربية » ، وفي كل عدد من اعداد « تقرير حول الشرق الادنى » يتصدى كينين لتفنيد وجهة النظر العربية ويقدم حججا مضادة تنقضها ، وقد لخص عددا كبيرا من هذه الحجج والحجج المضادة في عدد خاص من ٤٨ صفحة دعاه « اوهام ووقائع » ، وباع منه منذ عام ١٩٦٧ ، حين صدوره ، ما يزيد على ٢٥٠٠٠٠ نسخة .

« التوازن » كما يفهمه الصهيونيون : يقول كينين « قبل ان نبدأ عملنا في واشنطن كان هناك « عدم توازن » في الضغوط ، فهناك التكتل « البترولي — الدبلوماسي » ، وهؤلاء لا يحتاجون الى المحاورة واجراء الاتصالات و« التطبيقات » كما نفعل نحن ، فهم يشكلون مركز قوة حقيقي ، اذ افلحوا في شق طريقهم الى مراكز ومواقع حساسة وقوية ، وعلى أية حال ، ان رئيس شركة نفط يستطيع الاتصال بالرئيس بسهولة اكثر منا » .

نهج اسرائيلي جديد في التوجه الى مراكز القوى في الولايات المتحدة وفي العلاقات معها :

جاء تأسيس اسرائيل في ١٤ ايار عام ١٩٤٨ تتويجا لقرابة ستين سنة من المجهودات والمساعي الصهيونية . وقد اعتمدت في مطلع عهدها في تعاملها مع الولايات المتحدة الاميركية على مشورة ونصائح اعوانها من الاميركيين (جلهم من اليهود)، بيد ان الاسرائيليين اصبحوا ، في السنوات الاخيرة ، أقل اعتمادا على مشورة اليهود الاميركيين في تعاملهم مع واشنطن واخذت السفارة الاسرائيلية في واشنطن ، تنهج نهجا استقلاليا وتنزع الى الاعتماد على نفسها في تصريف الامور واجراء الاتصالات .

ويعبر هذا النهج الجديد ، الى حد كبير ، عن نظرة السفير الاسرائيلي في عهد نيكسون الجنرال اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي السابق (١٩٦٤ — ١٩٦٨) ، وقد قال اسحق

رابين لمندوب مجلة « ناشيونال جورنال » « انني متأثر الى حد بعيد باسلوب عملي السابق الذي يعلق قدرا كبيرا من الاهمية على التحديد الواضح والمحدد للاهداف ، اذ ينبغي ان يبنى الحكم على السياسة الخارجية قياسا على النتائج العملية الملموسة ، ولذلك سعيت الى ان احدد على وجه الدقة المهام التي يترتب علي ان أؤديها وانجزها». ونعرض ادناه تلخيصا لنظرة الاسرائيليين لسلم الاولويات في تعاملهم مع واشنطن :

السلاح والتسليح : ان اولى الوقائع التي يدركها الدبلوماسيون الاسرائيليون في واشنطن هي ان بلدهم يعتمد على الاسلحة الاميركية المتطورة في اي نزاع ينشأ مع العرب في المستقبل . ولذلك ، فان من اهدافهم الرئيسية العمل على استمرار تدفق الاسلحة الاميركية بغزارة على اسرائيل ، ويشعر الاسرائيليون انهم بحاجة الى كميات من السلاح تمكنهم من الانتصار في اي قتال لا يشترك فيه الروس . اما فرنسا التي كانت المصدر الاول للسلاح الاسرائيلي فقد استنكفت عن بيع طائرات الميراج الى اسرائيل . ومنذ عام ١٩٦٨ اصبحت طائرات الفانتوم المقاتلة القاذفة والتي تصنعها شركة ماكدونل دوغلاس هي عماد سلاح الطيران الاسرائيلي . وقد بيع الاسرائيليون (في الصفقة الاولى) ٨٦ من طائرات الفانتوم ، سلمت ٥٠ منها في عهد الرئيس جونسون ، و٣٦ في عهد نيكسون ، كما تلقى الاسرائيليون ١٢٠ من طائرات سكاي هوك القاذفة المهاجمة وهي طائرة اقل تطورا من الفانتوم وتقل سرعتها عن سرعة الصوت ، وتصنعها ايضا شركة ماكدونل دوغلاس. وستتلقى اسرائيل المزيد من طائرات سكاي هوك خلال عام ١٩٧٢ ، وكذلك وافق الرئيس نيكسون على بيع اسرائيل المزيد من طائرات الفانتوم بعد اسابيع قليلة من طلب غولدا مائير الشخصي لها في ٢ كانون الاول ١٩٧١ اثناء زيارتها للولايات المتحدة .

التمويل الاميركي لاسرائيل : يضع الاسرائيليون هدف تأمين اقصى حد ممكن من الدعم المالي من الحكومة الاميركية لبلدهم في مرتبة واحدة مع السلاح والتسليح في سلم الاولويات لتعاملهم مع الولايات المتحدة ، سواء كان هذا الدعم المالي في صورة قروض لتمويل مشترياتهم من السلاح او على هيئة اعانات اقتصادية مباشرة .

وقد بلغت قيمة القروض في السنتين الماليتين ١٩٧١ و١٩٧٢ مبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، ويعتبر الاسرائيليون هذه المبالغ كافية . وعلاوة على ذلك ربح الاسرائيليون في اواخر السنة الماضية معركتهم للحصول على « مساعدات الدعم » ، وهذه من برامج المساعدات الخارجية المخصصة لعون البلدان التي يستنزف موارد ميزانياتها الانفاق العسكري لمكافحة الشيوعية . وقد اقر الكونغرس منح اسرائيل دفعة اولى من مساعدات الدعم قيمتها ٥٠ مليون دولار .

الردع الاميركي : درع لحماية اسرائيل : ومن الاهداف الاساسية التي تتوخاها اسرائيل في علاقاتها مع الولايات المتحدة ايجاد رادع اميركي موثوق به ومضمون للحيلولة دون استخدام القوة العسكرية السوفييتية في الشرق الاوسط ، ويطلب الاسرائيليون من الولايات المتحدة ان تكون لهم بمثابة درع عسكري يقيهم من الروس دون ان يلتزموا بشروط اية معاهدة رسمية بين واشنطن وتل ابيب . ويرى الاسرائيليون ان احتمالات اقدام السوفييت على المجازفة باية اعمال عسكرية على حدود اسرائيل تتوقف بالدرجة الاولى وبصورة مباشرة على تقييم موسكو وتقديراتها لقدرات الولايات المتحدة واستعداداتها العسكرية ، وبدرجة اهم على مدى تصميمها وشدة عزمها على القتال . وبناء على ذلك يرى الاسرائيليون ان تقييم السوفييت للامور وتقديراتهم للموقف لا بد وان تتأثر بما يلمسونه من ظواهر تصميم الولايات المتحدة وعزمها على دعم اسرائيل ومساندتها مثل مستوى تدفق شحنات الاسلحة الاميركية على اسرائيل ، ومدى قوة الاسطول الاميركي السادس في شرق البحر المتوسط والمواقع التي يتخذها فيه. ويعتقد الاسرائيليون ان موسكو تنظر الان نظرة جادة الى تصميم الولايات المتحدة وعزمها على ردع اي تدخل سوفييتي في الشرق الاوسط . ووفقا لهذا التحليل اصبح السوفييت ينظرون بجدية اكثر الى شدة عزيمة الولايات المتحدة على الردع لان الرئيس نيكسون اقدم ، من حين الى آخر ، على مفاجآت غير متوقعة في تعامله مع مختلف كتل العالم الشيوعي مما جعل من غير اليسير حدس سياساته وتخمين الموقف الذي سيتخذه اذا ما طرأ طارىء .

ويعتقد الاسرائيليون ان الروس اصبحوا ينظرون

الى المناورات والتهديدات الاميركية نظرة جادة نتيجة اقدام الولايات المتحدة على غزو كمبوديا في عام ١٩٧٠ ، واستئنافها الغارات الجوية على نطاق واسع ضد فيتنام الشمالية في اواخر كانون الاول ١٩٧١ ، وقد اصدر الرئيس نيكسون اوامره بالاقدام على كلتا هاتين العمليتين رغم تصاعد الشعور المعادي للحرب في الولايات المتحدة . وفي جبهة الشرق الاوسط أمر الرئيس نيكسون في شهر أيلول ١٩٧٠ الاسطول السادس بالتوجه نحو شاطىء لبنان [عندما اشتدت قوة المقاومة الفلسطينية في وجه الارهاب الاردني]. وكذلك هدد الاسرائيليون ، الذين كانوا ينسقون خطواتهم تنسيقا تاما مع واشنطن ، بالتدخل هم ايضا في القتال .

تحقيق انسجام المواقف الاميركية مع الاهداف الاسرائيلية : وآخر الاهداف الرئيسية التي تتوخاها اسرائيل في تعاملها مع واشنطن هو التملص بمهارة من مبادرات الولايات المتحدة التي تستهدف السعي لاقرار تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط . والهدف الرئيسي للدبلوماسية الاسرائيلية في هذا الصدد هو الحيلولة دون انزلاق الولايات المتحدة لان تصبح طرفا في تسوية سلمية تفرضها الدول الكبرى ومنعها من ممارسة ضغط على الاسرائيليين (بواسطة التهديد بالغاء شحنات الاسلحة مثلا) لتأمين تعاونهم في تطبيق مثل هذه التسوية .

ان الهدف الاني للدبلوماسية الاسرائيلية هو استمرار التقيد بوقف اطلاق النار على قناة السويس ، المعمول به منذ اكثر من عشرين شهرا ، والعمل على تحقيق انسحاب تدريجي خطوة بعد اخرى من خط قناة السويس .

ويعتبر الاسرائيليون ان الدعم الشعبي الواسع لاهدافهم هو عنصر اساسي في نجاح دبلوماسيتهم ، وهذا ما يجعلهم يولون أمور توجيه الصحافة ووسائل الاعلام أهمية فائقة .

ومن جهة اخرى ، يعتقد الاسرائيليون ان الراي العام في الولايات المتحدة اصبح اشد ميلا الى تحبيذ انتهاج الولايات المتحدة سياسة العزلة في الشؤون الدولية ، ويتجلى هذا الاتجاه بأوضح صوره بين الليبراليين . ولذلك ، يقر الاسرائيليون بأن أهدافهم الدبلوماسية ، في الوقت الراهن ، هي اكثر توافقا مع مواقف الجهات والقوى المحافظة التفكير في الولايات المتحدة والتي فضلت دائما انتهاج سياسة عسكرية متشددة ، مما هي مع الليبراليين . ويعتقد الاسرائيليون ان اعتمادهم اعتمادا كليا على دعم اليهود الاميركيين لاسرائيل في المناخ السياسي الراهن سيكون خطأ سياسيا فادحا .

هل دور الهيئات اليهودية الاميركية في توجيه السياسة الاميركية مبالغ فيه ؟

أجرت مجلة « ناشيونال جورنال » في عرضها الشامل للعلاقات المتداخلة بين الهيئات اليهودية الاميركية ومراكز القوى الفعالة في رسم خط السياسة الاميركية ، وطبيعة العلاقات بين الحكومة الاميركية واسرائيل مقابلة مع احد اليهود الاميركيين الذين مارسوا مدة طويلة التأثير على الرأي العام والمسؤولين الاميركيين ، وشارك في عملية اجراء الاتصالات والضغط والمحاورة المعهودة من اجل القضايا الاسرائيلية ، وذلكم هو « ميلتون فريدمان » الذي عمل منذ عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٠ محررا لاخبار « وكالة البرق اليهودية » . وقد استقال من عمله هذا ليلتحق بلجنة الحزب الجمهوري القومية لحملة انتخابات الكونغرس، ومن ثم عمل مساعدا للنائب الجمهوري عن ولاية نيويورك سيمور هالبرن ، وهو في هذه المقابلة مع مجلة « ناشيونال جورنال » يعرض طبيعة التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الاميركية على المسؤولين الاميركيين ويقيم اهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات ، من الداخل ، بصفته واحدا ممن شاركوا في هذه العملية مدة طويلة، [ولذلك لا غرابة في انه يجنح الى تقليل أهمية الدور الذي تلعبه هذه الهيئات اليهودية ، وان يميل الى تبسيط طبيعة العلاقات المتداخلة بين الطبقة الاحتكارية الحاكمة في الولايات المتحدة وبين المواقع القوية التي يحتلها اليهود الاميركيون في عالم المال والاحتكار وسيطرتهم على وسائل الاعلام الاساسية من صحافة واذاعة وتلفزيون وشركات الانتاج السينمائي في هوليوود..

ولكن ، من ناحية اخرى ، يلاحظ ان أوساطا عربية واسعة ، لا سيما ما يدور منها في فلك الهيئات الحاكمة في العالم العربي ما تزال تتصور، كما كانت تتصور دائما ، ان التواطؤ القائم بين قوى الاستعمار ، قديمة وجديدة ، ممثلة في الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة الاميركية

وغيرها من البلدان العربية وبين اسرائيل ، قوامه الوحيد هو سيطرة اليهود والصهيونيين في هذه البلدان على وسائل الاعلام /ومراكز المال مما يؤدي الى تأثيرهم على سياستها . وتغفل هذه الاوساط العربية ، او تتغافل ، عن طبيعة الارتباط العضوي المصلحي القائم بين قوى الاحتكار المسيطرة على مقاليد الامور في البلدان الاستعمارية وبين اسرائيل باعتبارها مخلب قط لهذه الاحتكارات وخط دفاع أمامي عن مصالحها الاستغلالية في الشرق العربي ، وكذلك الدور الذي تلعبه اسرائيل في خدمة هذه الاحتكارات كقاعدة قوية وموثوق بها ضد ما يدعونه التغلغل السوفييتي في المنطقة العربية . ويكشف جانبا من طبيعة هذا الارتباط العضوي بين اسرائيل وقوى الاحتكار الاستعمارية ما ورد اعلاه من معلومات يتبين فيها ان اسرائيل اخذت تتحسس مخاطر الاعتماد الكلي على دعم اليهود الاميركيين لان بين صفوفهم تيارات ليبرالية قوية ، في حين انها اخذت تتحالف الان بشكل مكشوف مع قوى اليمين المحافظ ، ومعظمها غير يهودية ، بل إن بعضها يجنح الى شيء من اللاسامية] .

وفيما يلي ملخص لآراء ميلتون فريدمان هذا حول التأثير الذي تمارسه الهيئات اليهودية الامريكية على سياسة الولايات المتحدة من حيث كونه احد المحاورين ورجال الاعلام الصهيونيين الرئيسيين في الولايات المتحدة الامركية ، يقول فريدمان : أشعر ان هنالك مبالغة شديدة حول مدى قوة وتأثير من يدعون بالمحاورين الموالين لاسرائيل الذين يقومون « بالتطبيقات » السياسية لصالح اسرائيل . لا انكر ان هنالك شيئا من هذا القبيل ، ولكن ما هو مدى تأثير هؤلاء المحاورين وما هو مدى فعاليتهم ؟ ليس هذا بالامر الملموس الذي يمكن ان يعطي عنه المرء اجابة محددة ، اذ هو اشبه بمحاولة معرفة مدى الدعم الذي تستطيع عصابة « كوكلوكس كلان » [العنصرية البيضاء] ان توفره لمرشحي الرئيس نيكسون لهيئة قضاة المحكمة العليا . ان من يدعون محاورين لصالح اسرائيل هم ، بالدرجة الاولى ، عبارة عن رجال علاقات عامة يتقاضى الواحد منهم مبلغ اربعين الف دولار في السنة بتنصيب انفسهم « خبراء في الشؤون اليهودية » !!

لقد سادت اوهام بهذا الصدد مصدرها وزارة الخارجية الاميركية التي عندما تتمثل في امتناع البيت الابيض بتبني الخط السياسي الذي تقترحه تخترع هذا « الغول الخرافي » وهو المحاورون لصالح اسرائيل ، وتسري الشائعات بأن « الماكينة اليهودية الهائلة » قد تحركت . وتمر علي اوقات أتمنى فيها لو ان هذه «الماكينة اليهودية الضخمة» كانت موجودة بالفعل . هنالك حوالي خمسة ملايين يهودي في الولايات المتحدة ، اي ما يعادل ٢ ٪ من الاصوات ، ومعظم من هم دون الخامسة والثلاثين من هؤلاء اليهود لا يكترثون البتة بأمر اسرائيل واحوالها ، بل ان بعضا منهم يقف منها موقفا معاديا . فمن يبقى من هؤلاء اليهود مع اسرائيل اذن ؟ هنالك الرجال الكبار المنتسبون للحركة الصهيونية وأعدادهم محدودة ، وهنالك « حركة الاصلاح اليهودية » المنشقة الى شنطرين والدائبة النزاع مع الاسرائيليين حول احدى قضايا حرية العبادة ، ثم هنالك اخيرا «اليهود التقليديون» و« المحافظون » ، وهؤلاء لا يزجون انفسهم في الامور السياسية .

اما من حيث علاقة اليهود الاميركيين بالبيت الابيض، فليس هنالك في البيت الابيض من يحفل برغبات اليهود وأهوائهم ، فمن الخطأ الافتراض بأن هنالك شخصا مهمته التعرف على آراء اليهود ومشاعرهم والعمل على الاستجابة لها وارضائها . ففي واقع الامر ، هل يبالي نيكسون حقيقة فيما اذا كانت الجالية اليهودية سعيدة او غير سعيدة ؟

انه ، بطبيعة الحال ، لا يود ان يستثير عداء احد ، فهو يريد ان يكون ، كما تعلم ، رئيس الجميع .

اما من حيث ما يدعى سطوة « المحاورين لصالح اسرائيل » فهو أمر لا يوجد ، اساسا ، الا في عقول المسؤولين في وزارة الخارجية . ووزارة الخارجية تشعر بذلك لانها هي نفسها كبش فداء [أي أن البيت الابيض يلقي اللوم دائما على وزارة الخارجية بأنها السبب في اتخاذ موقف معين غير مرغوب فيه مثل الامتناع عن شحن طائرات الفانتوم لفترة من الزمن] . هنالك كثير من اليهود المتحمسين لاسرائيل ، ويودون ان يظهروا لانفسهم وللآخرين بأن ما يفعلونه مجد . وهنالك يهود يشعرون بأنهم عاجزون عن القيام بما ينبغي القيام به لصالح اسرائيل ، ولذلك يمنون انفسهم بأن

هنالك محاورين كثيرين لصالح اسرائيل في واشنطن، وان هؤلاء يتمتعون بنفوذ وتأثير كبيرين وهم دائبو الحركة والنشاط وينوبون عنهم في عمل ما يلزم . ومن جهة أخرى ، فان المحاورين العرب وممثلي شركات النفط ليسوا اسعد حالا ، ولا اظن ان ايا من الفريقين ، اليهودي او العربي ، له ايـة سطوة يعتد بها ...

ان المحاورين الحقيقيين لصالح اسرائيل ليسوا في واشنطن ، ولا تجدهـم في مكتب منظمة « بناي بريث » ولا عند الباب الخلفي للسفارة الاسرائيلية، بل هم اليهود العاملون في شتى الميادين والمنتشرون في شتى أنحاء الولايات المتحدة ، فمعظم اليهود يتمتعون بنصيب وافر مـن المعرفة والاطلاع ، وبعضهم مشترك في جريدة « جيروسالم بوست » او بعدد نهار الاحد من جريدة « نيويورك تايمز »، وهم يتابعون الاحداث ويعرفون ، على وجه الدقة، حقيقة ما يجري في الشرق الاوسط ، فاذا كان التوجيه السياسي والاعلامي الاسرائيلي يقول : « اضغطوا مـن اجل استئناف شحن طائرات الفانتوم » ، فعندئذ سيتلقى السناتور الفلاني من الولاية الفلانية ، ، فجأة ، دزينة من الرسائل من بعض الشخصيات الهامة في ولايته ، دون ان يكون هناك توزيع ادوار او توجيه من احد .

وتحدث المحاور اليهودي الاميركي ميلتون فريدمان عن منطلقات السياسـة الاميركية وتوجهاتهـا والاعتبارات التي تحكم قراراتها قائلا : « ان ما يحدث في واشنطن حول الشرق الاوسط هو نتيجة اعتبارات براغماطيقيـة عمليـة لتوزيع القـوى وموازينها ، وتنطوي هذه على تقديرات وحسابات كل من « مجلس الامن القومي » و« رؤساء هيئة الاركان المشتركة للقوات الاميركية » ، و« وكالة الاستخبارات المركزية » حول اية تغييرات تطرأ على ميزان القوى ، ولا علاقة لها البتة بذلك النفر القليل من الرجال الذين يقومون بالحوار والاتصالات والتطبيقات لصالح اي من الطرفين ، فواقع الامر ان هذه القرارات انما تؤخذ على اساس تفكير أعلى الجهات المسؤولة وتقديراتهـا حـول الاستراتيجية السياسيـة العالمية ، فالمراجـع المسؤولة في الدولة لا تذهب الى محاور لصالح اسرائيل لتستوضح منه عن الغرض من وجود قوات سلاح الجو السوفييتي في مصر وتطورات هذا الامر ، كما لا تحتاج الى الاتصال بأحد رجال العلاقات العامة اليهود ليقدر لها عدد المرات التي تحلق فيها طائرات ميغ ـ ٢٣ من القواعد المصرية.

ان العامل الحاسم في اتخاذ نيكسون قراره حول استئناف شحنات الفانتوم لاسرائيل هو ما يتلقاه من معلومات وتحليل للموقف من المراجع المختصة في وزارة الدفاع ودوائر الاستخبارات. والشعور العام في وزارة الدفاع الاميركية وبين الناس الذين يؤثرون عليها هو : « بحق الشيطان اعطـوا اسرائيل الاسلحة التي تحتـاج !! ، فالروس يربضون عند قناة السويس ، وهم يحلقون بطائرات ميغ ـ ٢٣ فوق سيناء !! » . ووجهة النظر هذه تصدر عن جهات يحترمها المفكرون العسكريون ، ولا علاقة لها من قريب او بعيد بالصهيونية او حتى بطبيعة الميول والمشاعر نحو اليهود . **ومن جهة اخرى ، حتى رجال شركات النفط العاملة في البلدان العربية يلعبون دورا مزدوجا ، فهم من جهة يودون بقاء الاسرائيليين اقوياء خوفا مـن استيلاء الروس على منابـع النفط في الكويت والبحرين وغيرهما من امارات النفط في الخليج ، ومن ناحية اخرى يستنكرون ، لفظيا ، سياسة اسرائيل ذرا للرماد في عيون العرب ، وليحافظوا على مصالح شركاتهم وحظوتهم لدى العرب .**

اما بالنسبة للسفير الاسرائيلي اسحق رابين فهو فعلا من النوع العسكري القدير ، وهو لا يضيع شيئا من وقته في الانزعاج حول ما عناه عضو الكونغرس الفلاني في خطابه العلاني .

فهو يهتم بالذهاب مباشرة الى مصدر القوة ، وهو يود أن يعرف اي نوع مـن الحجج والشواهد والاستدلالات يحبذ ان يقدمها خلال مقابلته لوزير الخارجية او للرئيس ليغيرا موقفهما حول هذه المسألة او تلك ؟ وما هو بالضبط ما يظنان ان الروس يقومون به على وجه الدقة ؟ وهذا هو كل ما في الامر » .

سجل اقوال نيكسون حول اسرائيل (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢)

فيما يلي عرض لبعض تصريحات ريتشارد نيكسون الرسمية حول سياسته في الشرق الاوسط التي أعلنها اثناء حملة انتخابات رئاسة الجمهورية في عام ١٩٦٨ .

حول تسوية متفاوض عليها : « على الولايات المتحدة أن تقوم فورا بأخذ زمام المبادرة في وضع

« انصتوا الى الشروط : ينبغي ان تتضمن هذه الشروط ضمانات أكيدة وثابتة بأن المناطق المحتلة حاليا لن تستخدم مطلقا ، مرة اخرى ، قواعد للعدوان وملجا للارهاب .

وينبغي ان تنطوي التسوية على الاعتراف بسيادة اسرائيل ، وبحقها في الوجود بسلام ، وانهاء حالة العداء » .

مؤتمر منظمة بناي بريث في ٨ أيلول ١٩٦٨ .

حول سياسة حكومة جونسون : « لقد كان الرد الاميركي على سياسة السوفييت التوسعية والمغامرة ، دبلوماسيا وعسكريا ، يتسم بالتردد ، والعرج ، وعدم الفعالية . وفي واقع الامر ، يبدو انه ليست هناك أية سياسة اميركية على الاطلاق في منطقة من العالم حيث قدح اية شرارة عرضية قد يؤجج نار نزاع محلي يمكن ان يسوق القوى العظمى الى أوار صدام مباشر كبير » .

من مقال في نشرة « تقرير من الشرق الادنى » في ١٥ أيسار ١٩٦٨ .

حول وضع اسرائيل : « من الوقائع الماثلة أمامنا ما يلي : ان بوسع اعداء اسرائيل أن يخوضوا حربا وان يخسروها ، اذ بوسعهم ان يعاودوا الكرة ، بيد انه ليس بوسع اسرائيل ان تخسر حتى مرة واحدة . ان اميركا تعلم ذلك ، وان لتبقى .

« انني أدعم سياسة تعطي اسرائيل تفوقا تكنولوجيا عسكريا يتجاوز التفوق العددي لجيرانها المعادين لها ... واذا كان هذا التفوق يتطلب تزويدها بطائرات الفانتوم ، فسنزودها بهذه الطائرات للمحافظة على هذا التفوق » .

مؤتمر بناي بريث في ٨ أيلول ١٩٦٨ .

حول « التزامه من حيث المبدأ » : فيما يلي جواب الرئيس نيكسون حول سؤال « دان راذر » مراسل شبكة اذاعة كولومبيا في البيت الابيض ، اثناء مقابلة تلفزيونية بتاريخ ٢ كانون الثاني حول خطط الحكومة الاميركية بشأن بيع اسرائيل المزيد من طائرات الفانتوم : « لقد اتخذنا قرارا ، يا سيد راذر ، مستمدا من سياسة اعلنتها منذ أمد طويل باننا لن ندع التوازن العسكري في الشرق الاوسط يختل . وقد تبين لنا بأن الاتحاد السوفياتي قد زود مصر بشحنات هامة جدا من الاسلحة . ونتيجة لهذه الشحنات التي ما زالت تتصاعد قررنا الاستجابة الى طلبات اسرائيل من الطائرات لنضمن عدم اختلال التوازن . لقد ارتبطنا بالتزام من حيث المبدأ ، واما من حيث وضع هذا الالتزام ، موضع التنفيذ ، فهذا ، بطبيعة الحال، ليس الوقت المناسب للخوض فيه » .

التقرير الثاني

دور اليهود الامريكيين في تمويل اسرائيل وتوجيه دفة السياسة الامريكية

ستيفن كليدمان

في الاسابيع الاولى من هـذه السنة (التي هي سنة انتخابات لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة) عبر كل من الرئيس نيكسون والزعماء الديموقراطيين المتنافسين على الفوز بترشيح الحزب الديموقراطي لمنافسة نيكسون في معركة انتخابات الرئاسة الامريكية ، عبر هؤلاء عن اهتمام شديد وملموس بما فيه خير اسرائيل وسلامتها وبمصير اليهود في الاتحاد السوفييتي . فقد وافق الرئيس نيكسون على بيع طائرات « الفانتوم » و « والسكاي هوك » لاسرائيل كما لمح الى أنه قد يبحث مع قادة الكرملين مسألة هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل عندما يزور موسكو في شهر ايار ١٩٧٢ ، كذلك صادق نيكسون على ضمان الحكومة الامريكية لقرض قيمته ٥٠ مليون دولار للمساعدة في اسكان اليهود السوفييت المهاجرين الى اسرائيل . ومن جهة اخرى تقدم كل من السناتور ادموند مسكي ، عن ولاية « مين » ، والسناتور هنري جاكسون ، عن ولاية واشنطن ، المتنافسين على ترشيح الحزب الديموقراطي لانتخابات الرئاسة الامريكية ، تقدما الى الكونغرس ببرنامج معونات مالية لمساعدة اسرائيل في توطين المهاجرين من اليهود السوفييت اليها . أما المرشح الديموقراطي الثالث السناتور هيوبرت همفري عن ولاية مينيسوتا ، فكان على وشك التقدم بلائحة معونة مماثلة ، ولكنه قرر سحبها حتى لا تتعارض مع لائحتي المعونة للمرشحين الاخرين ، وعوضا عن ذلك اقترح همفري ان تعترف الولايات المتحدة رسميا بالقدس عاصمة لدولة اسرائيل .

ان هذا الاهتمام البالغ والحرص الشديد اللذين يبديهما كبار الزعماء السياسيين الامريكيين تجاه اسرائيل ومصالحها ليسا بمحض الصدفة ، اذ ان تأثير اليهود الامريكيين على السياسة الامريكية لا يتناسب اطلاقا مع عددهم بين مجموع الناخبين . واليهود الامريكيون هم من الممولين الرئيسيين للاحزاب السياسية (الامريكية) لا سيما الحزب الديموقراطي ، مثلما هم الممولون الرئيسيون لدولة اسرائيل ذاتها . ويظهر مدى ضخامة السلطان المالي لليهود الامريكيين في حملات جمع التبرعات لاسرائيل الجارية حاليا ، والتي تتولاها كل من مؤسستي «النداء اليهودي الموحد» و«منظمة السندات الاسرائيلية » ، وهما تهدفان هذه السنة الى جمع ٥٠٠ مليون دولار من التبرعات الخاصة لصالح اسرائيل واليهود السوفييت المهاجرين اليها. ففي حفل عشاء واحد أقامته مؤسسة « النداء اليهودي الموحد » في نيويورك ، في الاسبوع الماضي ، تم جمع ٢١ مليون دولار ، وفي حفل مماثل في « بالم بيتش » بفلوريدا تم بيع ما قيمته ٦ ملايين دولار من السندات الاسرائيلية .

ان دعم اليهود الامريكيين لاسرائيل وفضلهم عليها هائل جدا سواء كان ذلك من حيث نفوذهم وتأثيرهم على السياسة الامريكية. او من حيث تبرعاتهم ومساعداتهم النقدية . فقد بلغت هذه التبرعات والمساعدات في عام ١٩٧١ فقط ما قيمته ٥٢٠ مليون دولار من مبيعات السندات الاسرائيلية والتبرعات لصندوق النداء اليهودي الموحد ، في حين أن مجموع ارقام الميزانية الاسرائيلية في تلك السنة كان أقل بقليل من ثلاثة بلايين دولار .

أما مدى تأثير النفوذ السياسي لليهود الامريكيين فحصره وقياسه اصعب من حصر قيمة المساعدات والتبرعات المالية ، بيد أن من الحقائق الظاهرة أن لجان التمويل السياسي في هذه البلاد (امريكا) مرصعة بوفرة بأسماء اليهود الامريكيين الاثرياء مثل : أرنولد بيكر ، وارثر كريم ، وليستر أفنيت ، وآرثر جي. كوهين ، وجون لوب ، وآبي فينبرغ ، وهوارد شتسين ، وميشولام ريكليس ، وماكس باليفسكي ، وروبين فاركاس ، وهوارد صموئيل ، وغيرهم . وهناك طرفة تروى عن ايام ولاية الرئيس جونسون في البيت الابيض تعطي فكرة عن مقدار النفوذ الذي يتمتع به هؤلاء الرجال من هذا الوزن . وتمضي هذه الطرفة على الوجه التالي : اثناء ولاية القاضي اليهودي أبي فورتاس على المحكمة العليا ارسل أحد المسؤولين في البيت الابيض صورة أبي فورتاس هذا وهو يعتمر

اليرملك * اثناء حضوره الصلاة في الكنيس اليهودي الى هاري ماكبرسون المسؤول عن الشؤون الدينية في حكومة جونسون ، وقد ارفق مع الصورة ملاحظة كتبها هذا المسؤول في البيت الابيض تقول: ان الحكومة لا تستفيد سياسيا بالقدر الكافي من مثل هذه الاشياء ، فأطلع هاري ماكبرسون الرئيس جونسون على الصورة المذكورة والملاحظة المرفقة بها ، فقال له الرئيس جونسون : « اسمع يا هاري ، لقد اعتمرت بهذه القلنسوة عددا من المرات اكثر مما اعتمر بها أبي فورتاس نفسه » .

ان الاسباب التي تجعل أقل من ٣ بالمئة من السكان الامريكيين يستأثرون بهذه الاهمية الكبيرة سواء من حيث التبرعات السخية التي يجمعونها او النفوذ السياسي الفعال الذي يمارسونه هي أسباب متنوعة ومعقدة ، وهي أسباب تاريخية ، وسياسية ، واجتماعية ، واقتصادية ، وهي أسباب تعود في جانب منها الى التقاليد اليهودية والامريكية ، وتتعلق بالقيم الاخلاقية والدينية ، وبآلاف السنين من الاضطهاد الذي توج بمجازر الابادة الجماعية التي نظمها النازيون ، كما تتعلق بالشعور الجماعي بالذنب وتحمل المسؤولية ازاء المجازر النازية مثلما تتعلق بالمهارة في استخدام أساليب جمع التبرعات ، وفي نهاية الامر ، يتعلق كل هذا بما عبر عنه ليو برنشتاين كبير المسؤولين عن السندات الاسرائيلية بكلمة واحدة بالغة الدقة هي « المثابرة » .

لقد بلغ مجموع ما يوصف بالتبرعات الخيرية التي جمعت في عام ١٩٧١ في جميع انحاء امريكا ١١ بليون دولار ، في حين ان الملايين الستة من اليهود الامريكيين تبرعوا لاسرائيل وحدها في تلك السنة بحوالي ٦٠٠ مليون دولار . وهذا يشمل التبرعات والمنح لبعض المعاهد الاسرائيلية مثل معهد التكنيون في حيفا ومعهد وايزمن للعلوم في روحوبوت ، أي ما معدله ١٠٠ دولار من التبرعات لاسرائيل من كل يهودي امريكي رجلا كان أو امرأة أو طفلا ، بالمقارنة مع ما معدله للفرد الامريكي نصف هذا المبلغ من التبرعات لجميع الاغراض . وهنالك اجماع بين المساهمين في عملية بيع السندات الاسرائيلية بأن الحافز الرئيسي لدى المتبرعين بقيمة هذه السندات او المشترين لها هو الرغبة الصادقة في مساعدة اسرائيل .

وهنالك اجماع ايضا بين الاسرائيليين العارفين بالامور أنه ما كان يتأتى لدولة اسرائيل ان تقف على رجليها لولا هذه المساعدات . ان كميات المبالغ المجموعة مذهلة ، فقد بلغت المبيعات من السندات الاسرائيلية في عام ١٩٧١ بالضبط ٢٥١٤٧٦٠٠٠ دولار (٨٣٪ منها بيعت في الولايات المتحدة الامريكية) ، وقد تجاوز هذا أعلى رقم سابق سجلته مبيعات السندات الاسرائيلية وهو ٢١٧٥٤٧١٠٠ دولار وذلك في عام ١٩٦٧ بفعل حرب حزيران . أما مجموع التبرعات التي جمعها صندوق النداء اليهودي الموحد في عام ١٩٧١ والتي لم تعلن ارقامها النهائية بعد فتبلغ نحو ٢٧٥ مليون دولار ، أما المنظمة التي تدار عمليات النداء اليهودي الموحد في ظلها والتي هي بمثابة ستار لتغطية نشاطاته ، فقد جمعت مبلغ ١٠٠ مليون دولار اخرى لتُنفق ، بصورة رئيسية ، على القضايا اليهودية في الولايات المتحدة . ويقال ان نسبة المبالغ التي يتخلف المتبرعون عن الوفاء بدفعها تقل عن ١٪ . وقد قال هيربرت فريدمان نائب رئيس مجلس الادارة التنفيذي لصندوق النداء اليهودي الموحد (اسرائيل) معللا هذه الظاهرة : « ان يهود العالم ليسوا شركاء واحدهم الاخر ، بل ان واحدهم هو الاخر بالمعنى الوجودي . فما يعانيه احدهم ويشعر به يعانونه جميعهم ويشعرون به ، فنحن وحدة واحدة ، وذات واحدة غير قابلة للانقسام او الانفصام . وفي هذا يكمن سر قوتنا ». ان هذا الحس بالانتماء اليهودي لدى اليهود ، والتقاليد التي شدت لحمة اليهود ، روحيا ، بعضهم الى بعض طوال الفي سنة من التجوال هي ، دون شك ، العامل الاول الفاعل في سيل الاموال التي تتدفق سنويا على اسرائيل . وقد يعزى جانب من هذا السخاء في التبرع الى الشعور بالذنب لدى اليهود الامريكيين لانهم لم يقاسوا ما قاساه اخوانهم في اوروبا في ظل هتلر وكذلك لامتناعهم عن الهجرة الى اسرائيل والاستقرار فيها . بيد أن محترفي جمع التبرعات يدركون ان هذين العاملين وحدهما لا يكفيان لاعطاء الجواب على سر هذا التدفق السخي للتبرعات ، فلا بد ان تؤخذ في الحسبان كذلك أساليب جمع التبرعات ، ومنها حفلات عشاء العطايا الكبرى على سبيل المثال .

* اليرملك Yarmulke هي عبارة عن قلنسوة يعتمر بها متدينو اليهود في الكنيس وفي المنازل .

وقد أقيم حفل عشاء العطايا الكبرى الرئيسي لهذه السنة في مطلع شهر شباط من هذا العام في « فندق بير » بدعـوة من فرع صندوق النـداء اليهودي الموحد لمدينة نيويورك الكبرى . وقد ضم الحفل نحـو ٤٠٠ ضـيف جلهـم مـن الازواج والزوجات . وقد بلغ مجموع ما تبرعوا به في ذلك الحفل ٢١ مليون دولار وكان ضمنها سبع عطايـا بلغت قيمة كل منها مليون دولار أو يزيد . وكـان أصغر تبرع في ذلـك الحفل ١٠٠٠٠ دولار . وقد سبق العشاء الرسمي « بوفيه » زاخـر بأشهى المقبلات ، وتلألأ البهو بالمجوهرات والحلى التي ازدانت بها السيدات من حضور الحفل اللواتي كن يتبخترن بأبهى الحلل . وكـان المدعوون من عموم الاعمار ، وان كان جلـهم من فئة اواسط العمر أو ما زاد عن ذلك . وبعد البوفيه ، قـرأ الحاخام « يهوذا كاهن » بعض الادعية والتعاويذ ثم تناول المدعوون عشاء مقبولا من اللحم المحمر والمعد حسب الشريعة اليهودية (كوشـر) ، اما خطيب الحفل الرئيسي موشي دايان فقد وصل بعد انتهاء وجبة العشاء ، وبعد انتهاء المدعوين من تناول طعام العشاء نهض رئيس الحفل « تشارلز ريفسون » وهو رئيس مجلس ادارة شركة ريفلون لمواد التجميل وقدم للحضور ضيـف الشرف في الحفل « صموئيل هاوزمن » رئيس مجلس ادارة شركة بيلدنغ همنغواي للمنسوجات . وقبل أن يبدأ هاوزمن القاء خطابه قدمت لـه زهرية زجاجيـة صنعها أحد الاسرائيليين الناجين من معسكـرات الابادة النازية ويدعى « أريل برطل » ، وقد عبـر « هاوزمن » بزهو لهذا التكريم لمناسبة عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد تحدث هاوزمن بايجاز فن الحضور المتألقين اناقة وجمالا والذين يطفحون بكميات كبيرة من المال ، ثم قدم دايان واصفا اياه بأنه قائد فذ ، وعالـم آثار فذ ، وكذلك وزيـر زراعة فذ ، وهو منصب لم يعتبر دايان متفوقا فيه بصفة عامة . وبعدئذ ، بـدأ دايان الذي كـان يجلس الى جانبيه كل من ابنته « يائيل » والسفير الاسرائيلي لدى الامم المتحـدة يوسف تكواع ، يجيب على أسئلة الحضور من مختلف الموائـد ، وقد قام « ميشولام ريكليس » رئيس مجلس ادارة شركة غلين ألدن بدور الوسيط بين دايان والحضور اذ كان يعيد القاء السؤال الذي يصدر عن احدى الموائد .

وكانت معظم أسئلة الحضور لدايان تـدور حول هجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل ، وقال دايان ان بوسع اسرائيـل « بفضل مساهمتكم ، ان تستوعب كل من يستطيع القدوم الى اسرائيل من هؤلاء » . وبعد ذلك ، القى « ميشولام ريكليس » ، وهو من مواليد اسرائيل (فلسطين) ، الخطاب الرئيسي للحض على التبرع ، فتحدث عن ضرورة التبرع لشراء « حرية اليهود الروس » وانتهى به المطاف الى اعلان تبرعه الشخصي بمبلغ ١٫٢٥ مليون دولار ، وقد عبر عن هذا الرقم بعدد اليهود السوفييت الذين سيساهم هذا المبلغ في استيطانهم في اسرائيل . وعند بدء المناداة علـى الحضور لتقديم تبرعاتهم أعلـن أولا استبشاره بوجـود الصناعي البريطـاني الكبيـر السير « اسحـق ولفسون » بين الحضور قائلا « فلنبـين لـه مـا نستطيع ان نفعل » . ثم بـدأت المناداة علـى الاسماء وأخذت التبرعات تتوالى مصحوبة في بعض الاحيان بخطابات قصيرة . وخـلال الحفل حضر حاكم نيويورك نيلسون روكفلر ليقـدم احتراماته للحضور . وقد حضر دايان حفلي عشاء مماثلين في مدينتي لوس انجيلوس وشيكاغو ، كما حضر حفل غداء اقامته منظمة سندات اسرائيل في مدينة ميامي بفلوريدا .

وفي الوقت الـذي كان فيه دايان يحضر حفـلات العطايا الكبرى هذه كان بنحاس سابير وزير المالية الاسرائيلي يذرع الولايات المتحدة عرضا وطـولا لعقد اللقاءات مع الاثرياء اليهود ليحفزهم علـى السخاء في التبرع لصندوق النداء اليهودي الموحد وفي شراء سندات اسرائيل . ويشارك جميـع الزعماء والقادة الاسرائيليين في نشاطات جمـع التبرعات من هذا النوع بمن فيهم رئيسة الوزراء غولدا مائـير نفسهـا . ويتدفـق المسؤولـون الاسرائيليون بصورة متواصلة على الولايات المتحدة لهذه الغاية ، وفي كثير من الاحيان يوفق المسؤول الاسرائيلي الزائر بين مهمة جمع التبرعات والقيام بالمهام الحكومية الرسمية كما فعل كل من دايان وسابير في زيارتهما المذكورة .

وقد شرح « زكرمان » في حديثه الى المجموعة التي تتستر وراءها عمليات جمع التبرعات لاسرائيـل ، فبين كيف ينبغي ان يقوم المسؤولون الاسرائيليون وزعماء الجاليات اليهودية في امريكا بجولاتهم على الافراد اليهود ، لا سيما الاثرياء منهم ، لحفزهم على التبرع بسخاء اعدادا لحفلات عشاء العطايا

الكبرى ، فقال : « من المعروف ، مثلا ، أنه يجب أن لا يذهب شخص بمفرده الى احد الاثرياء « لتطبيقه » لتقديم تبرع سخي ، اذ ليس من العسير أن يقال « لا » لشخص بمفرده ، لا سيما اذا كان صديقا أو جسارا . ولكن عندما يذهب لزيارته شخصان او اكثر ، فعندئذ لا يغدو الامر مسألة يهودي فرد يطلب من يهودي اخر منحة او تبرعا ، بل ان المجتمع اليهودي بأسره يطلب منه التبرع » . وأضاف زكرمان قائلا : « لا تغفل عن استخدام بعض الزعماء من مدن اخرى ، فان هذا الاسلوب مجد كثيرا » ، « وكذلك من المجدي جدا في هذا الصدد استخدام جباة للتبرعات من الخارج ... مواطنين اسرائيليين مثلا او يهود روس او يهود عراقيين . فعندما يطرق الباب زعيم قومي اسرائيلي مثلا وبصحبته زعيم محلي ، فمعنى ذلك أن اليهودية العالمية بأسرها تتوجه الى ذلك الشخص وتدعوه للتبرع ، وبالتالي فلا بد أن تتناسب قيمة التبرع مع هذا المعنى الكبير للزيارة. ان هذا ليس مجرد نظريات ، بل هو حقائق ثابتة. ومن جهة اخرى ، من السخف ان تطلب من انسان ان يتبرع بمليون دولار وهو لا يقدر على التبرع بأكثر من نصف هذا المبلغ ، وكذلك ، لا يقل عن هذا سخفا ان تطلب من شخص ان يتبرع بما هو أقل من طاقته وقدرته » . « يوجد في كل مدينة رجال كانوا دائما السباقين في تبرعاتهم وفي عملهم، ولكنهم ، وهذه نقطة جوهرية ، لا يتبرعون بقدر طاقتهم . فعلينا ان نرى مدى امكانيتهم ، ثم نطلب منهم ، دون خجل ، الا يتبرعوا بما هو دون ذلك. فعندما نكرم رجلا ونضعه في موضع الزعامة ، فان عليه أن يضطلع بالاعباء والالتزامات التي تتطلبها هذه المكانة » .

ويصف زكرمان ما يدعى « بعملية الاختراق » التي يتولى ادارتها الدكتور أريه نيشر ، فيقول : « هنالك أفراد [يهود] في كل مجتمع يجمعون ثروات طائلة من المتاجرة بالسيارات المستعملة مثلا، ولكنهم لا يؤدون أية خدمة للمجتمع اليهودي ، وأحد أسباب ذلك أن ثرواتهم غير منظورة . فمهمة فريق [المخبرين] الذين يقودهم الدكتور نيشر هي أن يتحروا عن امثال هؤلاء الافراد ويبحثوا عنهم بمراجعة السجلات العامة وتمحيصها . وعندما يعثرون على واحد من أصحاب الثروات المخفية يطالبونه بدفع الاتاوة المقررة ، ولكنهم يحتاجون لاداء هذه المهمة الى مساعدتكم وتعاونكم » .

ويقوم النداء اليهودي الموحد بنشاطه بين عموم الجماعات من مختلف المستويات . ففي بعض حفلات العشاء التي ينظمها تتدنى قيمة « البطاقة ـ التبرع » الى حد ٣٥ دولارا عن شخصين . وبطبيعة الحال تتوافق أهمية خطيب الحفل مع قيمة ما يتوقع جمعه خلاله من تبرعات . ويضع النداء اليهودي الموحد تحت تصرف المتبرعين دليلا لحسم الضرائب يبين للمتبرع الكلفة الحقيقية للمبلغ الذي يتبرع به لان التبرعات الى النداء اليهودي الموحد معفاة من الضرائب لان [القانون الامريكي] يعتبرها تبرعات لاغراض انسانية ، فهي لا تذهب الى حكومة اسرائيل مباشرة ، اذ يحولها الصندوق الاسرائيلي الموحد الى الوكالة اليهودية التي تعتبر مؤسسة غير حكومية ، ومن ثم تقوم الوكالة اليهودية بانفاقها في اسرائيل .

ومن الوسائل التي يستخدمها النداء اليهودي الموحد في جمع الاموال هي تنظيم جولات سياحية الى اسرائيل غالبا ما تشتمل على لقاءات مع المسؤولين الاسرائيليين اذا كان المشتركون في الجولة من اصحاب التبرعات المحترمة . وكثيرا ما يزورون في هذه الجولات مرتفعات الجولان ، والحائط الغربي [المبكى] وموقع « قلعة مسادا »، ويلتقون بالوزراء والمسؤولين الاسرائيليين الذين يطلعونهم على الاوضاع ، وكثيرا ما يقابلون أيضا رئيسة الوزراء غولدا مائير . وقبل رجوع هؤلاء الى بلادهم غالبا ما يدعون الى تقديم تبرعاتهم السخية .

ورغم ان النداء اليهودي الموحد يجمع التبرعات من جميع الاوساط والمستويات وأيا كانت قيمة المبالغ المتبرع بها ، فان شطرا كبيرا من الاموال المجموعة هي من التبرعات الكبيرة التي تبلغ عشرة الاف دولار او يزيد . وهذا من الاسباب الرئيسية في أن نفقات عمليات النداء اليهودي الموحد هي دون ٤٪ من قيمة الاموال التي يجمعها . ومن جهة أخرى ، ان سندات دولة اسرائيل توفر لاسرائيل رأسمال بكلفة اجمالية تبلغ حوالي ٦٪ ، وهي أرخص من الاقتراض من اي سوق مالي اخر . وتعتبر سندات اسرائيل بمثابة استثمار يخضع ربحه للضريبة وهذا هو وجه الاختلاف الوحيد بينها وبين التبرعات للنداء اليهودي الموحد التي تعتبر منحا غير خاضعة للضريبة .

وقد جعلت منظمة سندات اسرائيل هدفها للعام ١٩٧٢ شأنها شأن النداء اليهودي الموحد جمع مبلغ ٤٥٠ مليون دولار اي بزيادة مئتي مليون دولار عما بيع من هذه السندات في العام ١٩٧١ . ويقول « ابراهام فينبرغ » رئيس مجلس ادارة سندات اسرائيل ان هنالك سوقا واسعة لبيع السندات لم تستغل بعد ، وهي لدى اصحاب المداخيل المتوسطة . فمن الشائع ان تشتري عائلة من ذوي الدخل المنخفض سندات قيمتها ١٠٠ دولار ، بينما اقبال ذوي المداخيل التي تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و ٢٥٠٠٠ دولار على شراء سندات تتراوح قيمتها بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ دولار هو اقل من ذلك .

وتبذل كل من منظمة سندات اسرائيل والنداء اليهودي الموحد قصارى جهدهما لجمع أكبر قدر من الاموال تستطيعان جمعه من اليهود الامريكيين، ولكن كليهما ملزمتان أن تضعا أهداف خططهما السنوية ، وفق احتياجات اسرائيل . وترصد الاموال التي يتم جمعها من بيع سندات اسرائيل لميزانية الانماء في دولة اسرائيل . ففي العام الماضي شكلت قيمة المبيعات من سندات اسرائيل حوالي ثلث ميزانية الانماء في اسرائيل والتي أجملت معها مخصصات قيمتها حوالي ٢٥٠ مليون دولار لتسديد قروض الديون ودفع فوائدها . أما باقي ميزانية الانماء فاستثمرت في مشاريع الاسكان والطرق والخدمات الهاتفية واغراض الصناعة . ويرى « ليو برنشتاين » نائب الرئيس التنفيذي لسندات اسرائيل ان منظمة سندات اسرائيل هي بمثابة « جسر يصل بين احتياجات اسرائيل وبين موارد اليهود الامريكيين » . وتباع سندات اسرائيل، كذلك ، للمصارف ، والنقابات العمالية ومؤسسات التقاعد الخ ...

ومنذ تأسيس منظمة سندات اسرائيل في عام ١٩٥١ جمعت لاسرائيل من الاموال ما مجموعه ١٨٩٠ مليون دولار ، اما النداء اليهودي الموحد فقد جمع منذ تأسيسه في عام ١٩٣٩ ما يزيد على الفي مليون دولار .

ان جمع الاموال والتبرعات ليست هي الوسيلة الوحيدة التي يساعد بها اليهود الامريكيون دولة اسرائيل ، وان كانت اكثرها وضوحا . وقد عرف عن اليهود الامريكيين منذ أمد بعيد شدة نشاطهم السياسي سواء من حيث دعمهم المالي للمرشحين او بمشاركتهم القوية في الانتخابات الاولية منها والعامة ... ويصوت اليهود وفقا لمقتضيات المصلحة اليهودية ، ويدعمون المرشحين الذين يعتقدون بأنهم سيتبنون القضايا اليهودية ويدافعون عنها . كما يبذلون جهدا كبيرا للتأثير على أعضاء مجلس الشيوخ الامريكي ويتمتعون بنفوذ قوي بين صفوفهم ، وغالبا ما يكونون على اتصال مباشر مع البيت الابيض ولهم كلمة مسموعة فيه ، وهذا هو ، بالتأكيد ، ما كان عليه الوضع في عهد الرئيس جونسون ، وان كانت سطوتهم على البيت الابيض في عهد الرئيس نيكسون قد قلت عن ذلك بدرجة ملموسة .

وقد يكون هذا التأثير والنفوذ المباشر الذي يمارسه اليهود الامريكيون على اعضاء الهيئات والمؤسسات التشريعية والتنفيذية هو الوسيلة الوحيدة الفعالة المتوفرة لديهم للافادة منها واستغلالها لا سيما في الامور التي تهم اسرائيل وذلك لكونهم اقلية ضئيلة عدديا . فقد دلت دراسة اجراها « ألبرت هـ. كانترل » ، و « شارلز رول الابن » عنوانها « آمال الشعب الاميركي ومخاوفه » على أنه في حالة حدوث هجوم على اسرائيل تقوم به قوى يدعمها المعسكر الشيوعي فان ١١٪ فقط من الشعب-الاميركي تؤيد زج القوات الاميركية في الدفاع عن اسرائيل . في حين ان نسبة هؤلاء في البرازيل هي ١٦٪ ، وفي اليابان ١٧٪ وفي المانيا الغربية ٢٨٪ .

وفي عهد الرئيس جونسون كان باب المكتب البيضاوي في البيت الابيض مفتوحا دائما للزعماء اليهود الامريكيين من امثال « آرثر كريم » ، و« آبي فينبرغ » ، وكلاهما استغلا هذه الحظوة ، في مناسبات عديدة ، لايضاح وجهة نظر اليهود الامريكيين للرئيس . ويبادر أبي فينبرغ ، وهو من أصحاب المصارف في نيويورك وكان على علاقة وطيدة كذلك مع كل من الرئيسين ترومان وكينيدي، فيقول : « ان هذه الصلات تخدم الطرفين ، فنحن بدورنا نساعد الرئيس في ايصال وجهة نظره الى الحكومة الاسرائيلية والى اليهود الامريكيين ، وان كان عرضنا المنمق لاراء الرئيس لا يحظى دائما بالترحاب » .

ان من العسير على المرء ، ان يقيم الدور الذي لعبه هؤلاء الوسطاء ومدى التأثير الذي كان لهم في طبيعة القرارات المتخذة . فمثلا ، ترى ما هو

الدور الذي لعبه اي من هؤلاء الوسطاء سواء كان « آرثر كريم » أو « أبي فينبرغ » في التأثير علـى الرئيس جونسون في عام ١٩٦٨ ، ليتخذ قرار بيع طائرات الفانتوم الى اسرائيل ؟

ما من أحد بوسعه أن يجزم بدقة في هذا الشأن ، بيد أن الاشخاص الذين استوضحت منهم آراءهم لتحقيق مادة هذا المقال وينوف عددهم على العشرين يجمعون على أمرين : اولهما : ان ما من رئيس امريكي خضع « للاعتبارات اليهودية » في اتخاذ قرار لم يعتبره مستجيبا غاية الاستجابة مع مصالح الولايات المتحدة الامريكيـة . وثانيهمـا : ان المعلومات التي يضعها الافراد اليهود والمنظمـات اليهودية الضاغطة على الرأي العام تحت انظار الرئيس الامريكي واعضاء مجلس الشيوخ تشكل عنصرا ـ وأحيانا عنصرا مهما ـ من العناصر التي تؤثر في بلورة قرارات الرئيـس الامريكي لا سيما ما يتعلق منها بشؤون المساعدات الاقتصادية والسياسية لاسرائيل .

وقد دعا « بن واتينبرغ » وهو الذي كان يتولى مهمة كتابة خطابات الرئيس جونسون ويعمل حاليًا في مكتـب حملة ترشيح السناتور الديموقراطـي جاكسون لرئاسة الجمهورية ، دعا نوع التأثيـر الـذي يمارسه اليهود الامريكيون علـى وجهـة السياسة الامريكية بأنه « تكييف » لهذه السياسة [وليس املاء لها] ... وينطبق هذا القول على ساسة الحزب الديموقراطي أكثر من انطباقه على ساسة الحزب الجمهوري لان معظم اليهود يدعمون المرشحين الديموقراطيين ، ويستخلص من هذا ان السنوات التي يعتمد الحكم الاميركي خلالها علـى سند ودعم نشيطين من اليهود تنطوي ، بطبيعـة الحال ، على « تكييف » لتفكير اي سياسي .

يقول معظم الذين يمارسون التأثير على السياسات الامريكية لصالح اسرائيل سواء كان ذلك بصفة شخصية او بصفة رسمية بأنه في حين أن المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة قد تكون على وفاق مع مصالح اسرائيل فان اليهود مضطرون مع ذلك ان يعملوا بنشاط لاجـراء الاتصالات اللازمـة بالمسؤولين وأن يشرحـوا الموقف على مختلـف المستويات الضرورية للتغلب على ما يزعمون انه « انحراف » الاختصاصيين « العروبيـين » !! في وزارة الخارجية وشركـات النفط الامريكية ذات النفوذ الاقتصادي القـوي . ويقـول « ديفيـد غنسبرغ » وهو محام في واشنطن وكان مستشارا سابقا للجنة القومية في الحزب الديموقراطي كما كان القنصل العام لاسرائيل في واشنطن ، بـأن « الانحراف القائم في وزارة الخارجية جعل مـن الطبيعي ان يحول اليهود الامريكيون انظارهـم صوب البيت الابيض ليلتمسوا العون منـه » . ومضى غنسبرغ قائلا « ان اليهود قد ادركوا فائدة الاتصال بالنواب وبأعضاء مجلس الشيوخ وبكبار المسؤولين الحكوميين » . وخلال ولاية كل مـن كنيدي وجونسون في البيت الابيض أوكل الى شريك غنسبرغ في مكتب الاستشارات القانونية « مايـر فيلدمان» ومن ثم الى « هاري ماكبيرسون » معالجة الشؤون اليهودية وذلك ضمن المسؤوليـات التي أنيطت بكل منهما . أما في عهد نيكسون فلا يوجد شخص من هذا القبيل في البيت الابيض . ويعتبر غنسبرغ ان الرئيس نيكسون هو « أشد مناعة وأقل عرضة للتأثير من اي رئيس اخر عرفته خلال عملي لمدة ٣٥ عاما في واشنطن » .

ويبين غنسبرغ ، جزئيا ، دور أولئـك الاشخاص الذين يتولون مهمة اجراء الاتصالات المباشرة مع الرئيس الامريكي بأنه الحث على « الاستعجال في النظر بالقضايا المعلقة ، والاستفهام عن دواعي عدم البت بمسائل معينة » ، وقال : « ان أوضح مثال على المساعي التي يقوم بها هؤلاء ، نيابة عن اسرائيل هو الجهود التي بذلت لتحقيق الاستجابة السريعة لطلب طائرات الفانتوم (عام ١٩٦٨) » . أمـا فينبرغ ، فرغم اعتقاده بأهميـة الاتصالات المباشرة مع الرئيس الامريكي ، الا انه يعتقد ان كسب مجلس الشيوخ هو اجـدى وانفـع لان « لمجلس الشيوخ نفوذا على الرئيس الامريكي وتأثيرا عليه أكثر من الحظوة التي يتمتع بها لديه اثنان من اليهود الامريكيين الذين يصدف ان يكونا على معرفة شخصية به » .

ويتولى مهمة اجراء القسط الاوفر من الاتصالات بأعضاء الكونغرس « آي. ال. كينين » والمؤسسة التي يتولى أمرها وهي تدعى « لجنة الشـؤون العامة الاسرائيلية الامريكية » وهي منظمة أميركية تتولى الاتصالات [وتقوم بالتطبيقات السياسية] لصالح اسرائيل . وينشر كينـين [في واشنطن] كذلك نشرة تدعى « تقرير الشرق الادنى » وهي توزع ٢٧٠٠٠ نسخة . وكينين على اتصال مـع جميع المنظمات اليهودية في امريكا كما أنه علـى

اتصال مع السفارة الاسرائيلية في واشنطن . وهو يبين المهمة التي يقوم بها على النحو التالي : « اننا ندعو الكونغرس لأن يطلب من الرئيس [الامركي] ان يعارض السياسات التي نعتبرها ضارة ، وأن يدعم السياسات التي نراها مفيدة . كما أننا نسعى لاقرار برامج وبنود معينة في المؤتمرات السياسية » . ويبين « ماكبيرسون » دور « كينين » بأنه تأليف الاراء وتوليدها حول المواقف المطروحة ، وقد ينتهي المطاف بوجهات النظر والمواقف التي يؤلفها « كينين » الى ان تصبح هي آراء الجالية اليهودية ومواقفها بأكملها. ويعمد أعضاء مجلس الشيوخ والنواب الى استشارة كينين حول الامور المتعلقة باسرائيل ، كما أنه يعد او يساهم في اعداد التقارير عن اخر تطورات الموقف . ومن العسير هنا كذلك ، تقدير مدى التأثير الذي يمارسه « كينين » وغيره ممن يقومون بمهمة الاتصالات بالمسؤولين عن رسم السياسة الامريكية ، غير أن ، من الثابت مثلا ، أن « كينين » لعب دورا ، وراء الكواليس ، في اعداد الزيارة التي قام بها ١٢ من أعضاء الكونغرس الى وزير الخارجية المستر وليم روجرز ، والتي نجم عنها تقديم عريضة وقعها ٧٨ من أعضاء الكونغرس [المائة] تحث الرئيس الامريكي على تزويد اسرائيل بالمزيد من طائرات الفانتوم .

فالى اي مدى ساهمت هذه المساعي والاتصالات والضغوط في اقرار القرار النهائي [الايجابي] ؟ ما من احد بوسعه ان يجزم القول في هذا الشأن ، بيد ان هذه المساعي كانت لا ريب احد العناصر التي بلورت القرار النهائي ، وربما كانت عنصرا مهما في ذلك .

ما هو مدى اهمية تصويت اليهود بكثافة في الولايات ذات الاصوات الانتخابية الكثيرة في الانتخابات الاولية لاختيار مرشح الحزب الديموقراطي للرئاسة الامريكية ؟ وما هو مقدار اهمية الاموال اليهودية التي تنفق على العديد من الزعماء السياسيين الامريكيين المؤهلين للترشيح للرئاسة الامريكية لتغطية مصاريف تركيز مواقع زعامتهم السياسية طوال السنوات التي لا تجري فيها انتخابات الرئاسة ؟ لا احد يعلم مدى هذه الاهمية ، بيد أن لذلك ، بكل تأكيد ، تأثيرا سياسيا ليس بقليل .

ان اليهود يشكلون ٣٪ فقط من سكان الولايات المتحدة ، ولكن من الجلي انهم يدركون ادراكا جيدا أساليب ممارسة النفوذ السياسي ومبادئه .

التقرير الثالث

ملاحظات على العلاقات الاميركية الاسرائيليــة

خالد القشطيني

ما كادت حرب ١٩٦٧ تنتهي حتى اتجهت الانظار الى واشنطن ، واتجهت من العواصم العربية والغربية بل ومن موسكو نفسها . واستعادت الاذهان ذكريات ١٩٥٦ وضغط ايزنهاور على اسرائيل . ولكن التاريخ لم يعد نفسه ، فذهب البعض الى ان امريكا « زعلانة » على العرب ، ولا بد من ترضيتها بخطوات تقربهم ثانية الى العالم الرأسمالي . وبالفعل قطعت بعض الحكومات مثل هذه الخطوات بالتشديد على اليسار وتقليص التأميم والبرمجة الاشتراكية وتذويب النضال ضد الاستعمار . ولكن التاريخ ابى ان يعيد نفسه .

واشار الرئيس السادات في خطابه في اوائل ١٩٧٢ الى تزمت امريكا في هذا الشأن فذكر انها لم تمتنع فقط عن بذل جهودها لحل المشكلة سلميا ، بل قامت بالفعل ببذل هذه الجهود لمنع حلها واحبطت حتى مساعي الدول الافريقية في هذا الميدان . وكشف السادات في مقابلته مع مراسل نيوزويك عن مدى التنازلات التي قدمتها مصر ارضاء لامريكا ونشير بالقارىء الى قرائتها(١). ولعل في رد روجرز على الرئيس المصري ايجازا بليغا عندما علق قائلا « لقد بذلتم قصاراكم » . ومع ذلك فان وعود روجرز لم تتحقق وادركت القاهرة استحالة احلامها . فما سر هذا التزمت ؟ اعطانا عزيز صدقي جوابا على هذا السؤال في خطابه في ١٩٧٢/١/٢٣ عندما قال ان امريكا تساهم مع اسرائيل في مخطط يرمي مبدئيا الى ضرب النظام الاشتراكي والاماني الواسعة التي جاءت بها الثورة الى الجماهير والانجازات العظيمة التي حققتها الاشتراكية . هذا تحليل صحيح ، ولكن العرب ابدوا بالفعل ميلا الى التنكر للاشتراكية بل وضرب منجزاتها بعد فشل موسكو في لعب دور حاسم في حل المشكلة . وكان بامكان واشنطن ان تستعيد اكثر معاقلها في العالم العربي لو ضغطت بالفعل على اسرائيل واخرجتها من المناطق المحتلة.

وينسب الاخرون الموقف الامريكي الى التأثير الصهيوني على السياسة الامريكية . وقد لمح فلبرايت الى هذا عندما سأله مايكل ادمز عن مدى استعداد بلاده للتأثير على اسرائيل فاجاب السناتور بانه يشك في قابليتها ويرى ان اسرائيل هي التي تستطيع التأثير على سياسة امريكا(٢). سيطرة اليهود على وسائل الاعلام ونفوذهم المالي واصواتهم التي تقرر مصير انتخابات ولاية نيويورك ، كلها امور حيوية سبقنا في تفصيلها باحثون اخرون . وقد اكتشف ساسة الغرب ان هذا النفوذ قادر على تحطيم اي سياسي يقف امامه ، كما حدث لبيفن وفورستر وجورج براون وديغول . وتعاني السياسة الامريكية الان اعنف أزمة بسبب فيتنام وانهيار الدولار ، وما من رئيس يرغب في اضافة تعقيد اخر بتحدي القوة الصهيونية .

ويتعاظم خطر هذا العامل عندما ندرك ان الموقف كان اسهل بكثير لايزنهاور مما هو الان لنكسن . فقد كان احتياطي اسرائيل من الدولار عقب حرب ١٩٥٦ نحو ٥٠ مليون دولار مقابل عجز تجاري بمقدار ٣٠٠ م/د مما مكن ايزنهاور من لي يد بن غوريون بمجرد وقف المساعدات الامريكية . اما حالة اسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ فتتلخص بنحو ٧٣٠ م/د من الاحتياطي مقابل عجز تجاري بمقدار ٤٥٠ م/د(٣). وارتفع الاحتياطي الى ٧٤٦ م/د في مايس ١٩٦٨ . وعليه فبوسع اسرائيل الان ان تتحمل الضغوط المالية الى اشهر تقتات خلالها من سمنتها وتنتظر الانتخابات الجديدة في امريكا فتقوم هي بلي ايدي المرشحين .

ويضيف المراقبون العرب الى تسلط النفوذ الصهيوني بالاشارة الى التوجيه الرسمي للسياسة الامريكية . لقد وقعت ازمة ١٩٦٧ وامريكا يمثلها في الامم المتحدة غولدبرغ ، اليهودي المؤيد للصهيونية . وعين نكسن كمستشار له كيسنغر ، اليهودي اللاجيء من المانيا النازية . والمعروف ان سياسة كيسنغر نحو الشرق الاوسط تقوم على تقاليد فرق تسد وتقوية اسرائيل . وكيسنغر نفسه غير خبير في شؤون المنطقة فعين كمستشار له الاستاذ سفران ، وهو يهودي من مصر هاجر الى اسرائيل قبل ان يستقر في امريكا . اما آراء

سفران فتقوم على عقد صلح كامل بين العرب واسرائيل تفتح فيه البلدان العربية ابوابها للخبرة والتجارة الاسرائيلية ثم تنسحب اسرائيل من المناطق المحتلة بعد ١٥ عاما . والى جانب هؤلاء يتربع الخبراء الصهاينة على كراسي معظم المؤسسات الجامعية والبحثية المسؤولة عن بلورة السياسة الامريكية نحو الشرق الاوسط .

ولكن هذا العامل ايضا ، عامل النفوذ الصهيوني، هو الاخر عامل عرضي وغير جوهري . فالى جانب الاراء الصهيونية توجد ايضا آراء معاكسة تقدم الى الرئيس الامريكي . ان من المغالاة بل والبرانويا الاعتقاد بأن اليهود هم الذين يسيرون البيت الابيض باستمرار . البيت الابيض هو نقطة بوليس للرأسمالية الامريكية ، وبالرغم من كل ثراء اليهود فان الرأسمال اليهودي لا يكون غير جزء صغير من مصالح الولايات المتحدة . وقد اظهرت الانظمة الرأسمالية استعدادها للانقضاض على الجناح اليهودي منها ، حيثما اقتضت ضروراتها ، كما حدث في المانيا بعد العشرينات ، او التنكر لضغوطه كما حدث في امريكا زمن ايزنهاور وبريطانيا زمن اتلي وفرنسا زمن ديغول .

والواقع ان الرئيس نيكسون عالج شخصيا موضوع التأثير اليهودي فاشار بحق الى انه غير مدين لليهود بأي شيء وذلك لان اليهود الامريكان لا يعطون اصواتهم تقليديا للحزب الجمهوري. واشير على نيكسون بحذف الطائفة اليهودية من حساباته الانتخابية على اعتبارها قضية خاسرة . ومع ذلك فقد ظهر ان نيكسون أعطى اسرائيل من المساعدات اكثر من اي رئيس سابق . وعلق هو على الموقف قائلا « انني لست مدينا للطائفة اليهودية الامريكية بأي شيء ، ولكنني لن ادع ذلك يؤثر على تأييدي لاسرائيل »(٤).

اذن فلا بد لنا ان نفتش عن سر هذا التأييد في ميدان غير ميدان التأثير الصهيوني على الغرب ، مما لمح اليه فلبرايت ، او الرغبة في تصفية الاشتراكية العربية مما ذكره صدقي . ان مواكبة السياسة الامريكية للاماني الصهيونية هي مظهر للموقف الامبريالي العالمي وليست سببا له . ان هناك تطابقا بين المصالح الامريكية والمصالح الاسرائيلية تطابقا ادى الى هذا التزمت الدبلوماسي ورضوخ البيت الابيض للضغوط الصهيونية واعتماده على مستشارين يهود وتطابقا ينفي اي احتمال للعب واشنطن دورا حاسما في جانب العرب . ولا بد لنا من دراسة الاركان التي يقوم عليها هذا التطابق .

١ — **الحصان الخاسر** : في مارس ١٩٤٧ دعت بريطانيا رسميا الولايات المتحدة لتسلم جزء من مسؤولياتها في الشرق الاوسط . وبدأت امريكا على ضوء هذا الانفتاح بالتخطيط للسيطرة على المنطقة . وكان مايلز كوبلند ، الدبلوماسي الامريكي وممثل الاستخبارات الامريكية في المنطقة، ممن صحبوا قصة هذا التخطيط منذ بدايتها وسرد هذه القصة في كتابه المعروف « لعبة الامم » . ويقول كوبلند ان التخطيط قام على اساس تقوية الانظمة وفتح المجال للاستثمارات الامريكية وتحاشي الاحتكاك مع السوفييت(٥). وانطوى عنصر تقوية الانظمة على الاطاحة بالانظمة المهترية واستبدالها بانظمة جمهورية اكثر جنوحا الى الدمقراطية واعظم كفاءة وتقدمية ، ومن ثم اكثر مناسبة للاستعمار الجديد القائم على تصدير الرساميل والخبرة . وبعد سلسلة من الانقلابات يروي كوبلند تفاصيلها ، استطاعت امريكا ان تقيم رؤوس جسور في معظم العواصم العربية . ويؤكد المؤلف ان واشنطن كانت تعتبر مصر المفتاح للتوغل في الشرق الاوسط وافريقيا ، وهو طبعا تفكير استراتيجي سليم . وابتسمت واشنطن ابتسامة الرضى عندما توهمت ان المفتاح قد اصبح في جيبها . بيد ان احلامها تحولت سراعا الى ركام. فرفضت مصر منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط وحلف بغداد . وفي ١٩٥٥ عقد ناصر صفقة الاسلحة الشكوسلوفاكية وبدأ بالتقرب من العالم الاشتراكي في ذلك الطريق الطويل الذي قطع مصر عن العالم الرأسمالي ونشر بذور الثورة والتأميم والتنظيم الاشتراكي في كل المنطقة . ورأى البعض مثل بول جونسن ان تسلح مصر وضع اعباء جديدة على تجارة القطن وضغطا لزيادة سعره . وبدأ الاتحاد السوفياتي بشراء قسم منه ، فاثار كل ذلك حفيظة مستوردي القطن الامريكان فطالبوا دلس بمعاقبة ناصر باعادة النظر في القرض لسد اسوان(٦). وهكذا بدأت لعبة الامم بين القاهرة وواشنطن ، فجاءت الخطوة التالية من مصر بتأميم القناة . ونشط ناصر ضمن العالم العربي بالتحريض ضد امريكا فبادرت السعودية للمطالبة بمزيد من الايجار عن القواعد الامريكية . ثم مد ذراعه الى العالم الخارجي فتآزر مع تيتو ونهرو

في خلق كتلة الحياد الايجابي التي وقفت في وجه المخططات الامريكية لاحتضان العالم الثالث .

واستطاعت امريكا ان تصلح الموقف بعد حرب ١٩٥٦ واعتقدت انها بتأييدها لمصر ستستطيع ان تصلح ما اتلفته الاحداث . ولكن العرب رفضوا الاعتراف بفضلها واعتبروا خروشوف بطل القصة. وعليه فلم يدمَ الوئام الجديد غير اسابيع قليلة ، وما ان اعلن أيزنهاور في ١٩٥٧/١/٥ خطته الجديدة المعروفة بمبدأ ايزنهاور لحماية الشرق الاوسط من العدوان والخطر الشيوعي حتى سارعت مصر لمهاجمته . واضطرت امريكا اخيرا الى تحويل نظرها من القاهرة الى بغداد . ولكنها ما كادت تقيم حلف بغداد على اقدامه حتى جاء قاسم فنسفه . ودخلت العلاقات دورة مفرغة كلما حاولت فيها امريكا التقرب من العرب كلما ازداد العرب هيجانا ضدها . وادت صدمة انهيار الوحدة السورية المصرية الى اعتقاد ناصر بأن الانظمة الثورية لا يمكن ان تسلم من كيد الرأسمالية والرجعية حتى تجهز عليهما فانهمك في برامج لا- راسمالية ارعبت المولين الامريكان .

واوفد جون كندي اخيرا الاستاذ ميسن الى مصر لدراسة الوضع ، وعاد ميسن بتقرير برر فيه تصرفات ناصر بكونها مفيدة ومهمة لمصر ولكنها مضرة بمصالح امريكا . ورأى ان الحلول الوحيدة هي اما تغيير هذه المصالح الامريكية او الاطاحة بناصر(٧) : تغيير المصالح الامريكية يقتضي نقض أسس النظام الراسمالي الغربي ، وهو خارج الصدد . الاطاحة بالانظمة الناصرية في العالم العربي تقتضي سلسلة من الانقلابات لم تعد بتلك السهولة . ويؤكد كوبلند ان امريكا كانت في ذلك الحين قد صرفت نظرها عن سياسة الانقلابات لفشلها . فكلما خططت لانقلاب وانفقت عليه الملايين ونجحت فيه جاءها انقلاب معاكس ارجعها الى البداية . ولعل تاريخها في سوريا يعطينا ما يؤيد ادعاء كوبلند . وبعد كلمات ناصر لامريكا بأن تذهب وتشرب ماء البحر ، لم يعد امام واشنطن غير ان تغسل يديها من العرب وتفتش عن زبائن جدد .

كان من اسباب اهتمام امريكا بالعالم العربي خوفها من الخطر الشيوعي في عهد مكارثي ودلس. وقد خفت حدة هذا الخوف مؤخرا نتيجة للتطورات المعروفة في العلاقات بين موسكو وبكين وواشنطن. وتلاشى هذا الخوف بالنسبة للشرق الاوسط على الخصوص بعد انقلاب عبد الكريم قاسم . فالمعروف ان امريكا شعرت بقلق شديد ازاء نظام قاسم ويساريته ، ولكن قاسم سرعان ما قلب ظهر المجن للشيوعيين وراح يوالي سياسة مستقلة تماما عن موسكو من ناحية وامتنع عن تأميم الشركات او التعرض للمصالح الاجنبية من ناحية اخرى . ويجزم التقرير الخاص الذي نشره معهد المشاريع الامريكية ان هذه الحقائق التي تمخضت عن انقلاب ١٤ تموز كشفت لامريكا لاول مرة ان الشيوعية والناصرية والقومية العربية اشياء مختلفة وان البلاد العربية ليست تربة صالحة للشيوعية او ان العرب مطايا طيعة لموسكو(٨). وكان لهذا الاكتشاف اثر بليغ بالنسبة للدبلوماسية الامريكية ازاء الشرق الاوسط . لقد اصبح من السهل للبنتاغون والبيت الابيض ان يديرا ظهريهما للعرب ويناما قريري العين . لا خوف على الشرق الاوسط . وبعين الوقت زال ايضا كل خوف من الوول ستريت عندما اتضح بعد حرب ١٩٦٧ ان العرب غير قادرين على تأميم المصالح البترولية الامريكية او تعطيلها او مقاطعة امريكا جديا . واتضح لامريكا اكثر من ذلك . اتضح ان خراب بيت العرب وتمرغهم في الوحل انفع للغرب. فهزيمتهم امام اسرائيل وحاجتهم الى السلاح وفقدانهم عوائد قناة السويس يجعلهم في أمس الحاجة الى العملة الصعبة ويزيد من اعتمادهم على شركات النفط والبيع للغرب . ولم تحرص الحكومات على سلامة الانابيب وتدفق الزيت حرصها في الاونة الاخيرة. ولاول مرة بعد سنوات، راحت مصر تطرق ابواب الاسواق الغربية تعرض قطنها بسخاء فبينما بلغ صادرها من القطن الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٥/١٩٦٤ نحو ٦٦٩٠٠٠٠ بالة ، اضطرت الى تخفيض ذلك في ١٩٦٨/١٩٦٧ الى ٣٦٠٠٠٠٠ بالة لتبيع الباقي البالغ ٤٤٠٠٠٠٠ بالة الى العالم الرأسمالي بحثا عن العملة الصعبة . وانخفضت نسبة ما صدرته الى الكتلة الشيوعية في ١٩٦٧ الى اقل معدل (٤٥٪) سجل منذ عام ١٩٥٦(٩).

لقد رفض العرب كل حل امريكي لمشكلة فلسطين او اسكان اللاجئين ، وكل ترتيب للمنطقة ، منظمة الدفاع عن الشرق الاوسط ، مبدأ ايزنهاور ، حلف بغداد ، مشروع جونستن لنهر الاردن الخ. وبدلا من الترحيب بالشركات الاجنبية ، راح العرب

يؤممون شركاتهم نفسها ويصفون المؤسسات الاجنبية . الخبراء والسياح الامريكان اصبحوا جواسيس في عين الجميع . وبدلا من أن تصبح مصر المفتاح الامريكي لافريقيا وآسيا اصبحت لعنة تحيق به اينما حل او ارتحل . « امريكا عدوة الشعوب » هي الكلمة التي راحت اذاعة القاهرة ترددها في عشرات اللغات . العالم العربي حصان امريكا الخاسر وآن لها ان تبحث عن حصان آخر.

٢ — اسرائيل والإستعمار بالعمولة : العوامل التي تجمع بين اسرائيل وامريكا لا تحتاج الى شرح . كلتاهما دولتان عرقيتان استعماريتان . اسرائيل لا تحمل حقدا ضد امريكا كما يحمل العرب نتيجة تقسيم فلسطين . وكان من المفروض لواشنطن ان تجد فيها طريقها الى العالم الثالث ولكنها نظرت اليها فوجدتها بلدا صغيرا محدود السكان والموارد ومحاصرا من كل جانب . غير انها استطاعت عبر السنين التي كان البيت الابيض خلالها يذوق المر في العالم العربي ان توسع رقعتها وتزيد قابلياتها نفوسا وتجارة وصناعة وتقيم لنفسها قواعد في افريقيا وآسيا وتضع في الاخير العالم العربي نفسه تحت رحمتها . وتلونت استنتاجات الامريكيين هنا بالافكار التقليدية عن اليهود كتجار حاذقين . وكان من اعظم المزايا المغرية في اسرائيل الاستقرار ، ذلك العنصر الحيوي للاستثمارات الرأسمالية . وتجسمت هذه الميزة بصورة خاصة بتباينها مع ضدها في العالم العربي . واسرائيل هي الدولة الوحيدة التي ما زال نفس الحزب يحكمها منذ تأسيسها .

وجاءت حرب ١٩٦٧ لتزيل اي شك في قابلية اسرائيل على الاضطلاع بمهمة العمالة على نطاق عالمي . وما إستقر غبار الحرب حتى انهالت الرساميل الامريكية عليها . فبينما كان مجموع راس المال الخاص المنقول للتوظيف فيها طوال عام ١٩٦٦ نحو ٤٠ م/د وصل هذا المجموع ٩٣ م/د خلال الستة اشهر الاولى فقط من ١٩٦٨(١٠). وارتفع مجموع المبالغ المحولة اليها من ٢٩٢ م/د في ١٩٦٦ الى ٥٢٢ م/د في ١٩٦٧ والى ٨٠٠ م/د في ١٩٧٠ والى ١٦٠٠ م/د في ١٩٧١(١١). وبفضل هذه الرساميل الاجنبية استطاعت اسرائيل ان تزيد صادراتها بنسبة ٢٦ ضعفا من ٢٨ م/د في ١٩٤٩ الى ٧٢٨ م/د في ١٩٦٩ .

لقد انهت امريكا المدرسة الاوربية للاستعمار القديم واحلت محلها ما يعرف بالاستعمار الجديد القائم على الحكم عن طريق حكومات عميلة دعاماتها حراب الاستعمار ومهمتها حراسة رساميله الموظفة ورسالتها القومية هي الارتقاء بجماهير الشعب الى المستوى الذي يجعلهم احسن المستهلكين للبضائع الامبريالية وارخص العاملين في المؤسسات الصناعية للغرب . وتطور الاستعمار الجديد على يد امريكا من الاستغلال عبر حكومة عميلة الى الاستغلال الى عبر دولة عميلة .

وبفضل هذا الاسلوب الجديد اصبح من السهل لامريكا ان تتسرب الى كيان الدول المعادية للاستعمار كزامبيا بثياب الدولة الصديقة الاسيوية الناشئة — اسرائيل . وحيث لم يكن من المنطق او الاصول السماح للخبراء العسكريين الامريكان العمل بجانب الخبراء السوفييت ، جيء بالمدربين الاسرائيليين ليأخذوا مكانهم « حرمة للحياد » كما فعلت بالضبط حكومة اوبوته في يوغنده(١٢). وقامت اثيوبيا بتوازن من نوع آخر فاستخدمت الاسرائيليين للعمل بجانب الامريكان في تدريب جيشها دفعا لتهمة التحول الى قاعدة امريكية . وحاول موبوتو درء التهمة نفسها فانتدب الاسرائيليين لتدريب كتائب المظليين(١٣). وعملت البعثات العسكرية الاسرائيلية في كثير من الدول الافريقية بما فيها اثيوبيا والكونغو وسيراليون وغانا ويوغنده بالاضافة الى ايران وماليزيا في آسيا . ومع الخبراء تذهب طبعا البضائع العسكرية الاسرائيلية الى هذه الدول .

ويتضح مدى تصاعد التوغل التجاري الاسرائيلي في افروآسيا من النسب المئوية في الجدول الآتي(١٤) :

سنة	الى بريطانيا	الى امريكا وكندا	الى آسيا وافريقيا
١٩٤٩	٥٣٦٧	١٧٦٠	١٤٤
١٩٦٧	١٣٦٠	١٧٦٨	١٧٦٣

وقامت اسرائيل بعشرات المشاريع الضخمة كالشركة الملاحية مع لايبريا ومصنع السيارات في تركيا وشبكة مياه طهران ومطار اكرا الدولي وبرلمان سيراليون ومشروع الفضلات لاصفهان وعدة مطارات في اثيوبيا والمشروع السياحي الضخم للريفيرا الافريقية في ساحل العاج — وهو

من تصميم المهندس الامريكي هاينز تنشل — بالاضافة الى عشرات المشاريع الزراعيـة والصناعية والانشائية والتعدينية . ويعطي النشاط الإسرائيلي في ايران صورة عن التوسع الضخم بعد حرب ١٩٦٧ والذي تتوج بخط الانابيب المشترك بين ايلات والبحر المتوسط بقيمة ١١٢ م/د .

ان من الصعب جدا التحقق بالتفصيل عن مدى حظ الرساميل الامريكية في هذا النشاط الاخطبوطي بالنظر للابواب المتعددة التي ترد فيهـا الاموال الامريكية والاسماء التي تجري تحتها النشاطات الاسرائيلية . فمثلا ان معظم فعاليات اسرائيل في غانا جرت عن طريق شركة غانا الاهلية للبنـاء وترتبط هذه بشركة سوليل بونيه ، وهذه الشركة هي ملك الهستدروت ، والهستدروت غارق بالقروض والمنح الامريكية . وتحيط تل ابيب عملياتها بكتمان شديد . ومن السخف ان نتصور اسرائيل الغارقة بالديون والقائمة على التبرعات والمعونات تتقدم هي بالتبرعات الى الدول الاخرى ، واحيانا الى دول اغنى منها . انها تقوم بهذه العمليات نيابة عن الامبريالية الامريكية التي غذتها بمـا تجـاوز البليون دولار من المعونات الرسمية و٢٫٥ بليون دولار من الاموال الخاصة حتى ١٩٦٨ . وتقدر المصادر ان نصف البرامج الاقتصادية الاسرائيلية ممول من الخارج . ويؤكد الاستاذ ستلفربرغ الخبير الامريكي بالشؤون الافريقية الاسرائيلية ان محاولة الحصول على صورة دقيقة لحظ الرأسمال الامريكي من هذه البرامج مضيعة للوقت بسبب السرية التي تحيطها[١٥].

ومع ذلك فان تدفقا أمريكيا نحو الاستثمار عن طريق اسرائيل اصبح واضحا بعد ١٩٦٧ . وتجلى هذا بالجولات المختلفـة التي قام بها رجال المال الاسرائيليون طلبا للقروض والرساميل الامريكية ، والتسهيلات الجديدة التي قدمتها الحكومة للمموّلين الاجانب . وقالت التايمس اللندنية ان حرب ١٩٦٧ قد رفعت مجموع الرساميل الامريكيـة الواردة للتوظيف في اسرائيل الى حد ٧٨٠ م/د في ١٩٦٨ ، اي بزيـادة ٣٠٠ م/د عـن مجموع السنـة السالفة[١٦]. ووصل النشاط ذروته في عقد مؤتمر المليونيرية في القدس وكان مـن نتائج المؤتمـر تأسيس شركة للاستثمار برأسمال قدره مائة مليون دولار بالاضافة الى شركات تأمينية ومالية اخرى . وانبثقت عن المؤتمر اللجنة الامريكية التي انتجت ٦٣ مشروعا في اسرائيل بقيمة ٧١ م/د حتى ١٩٦٩ . هذا بالاضافة الى ١٩ مشروعا آخر بقيمة ٥٠ م/د في طريق الانجاز . وتتعلق معظم هذه المشاريع بانتاج الكيمياويات والمعادن والصناعات العلمية وتساهم فيها ١٦ شركة امريكية كبيرة منها شركة امفينول لوحدات الطائرات وشركـة مغنافوكس للالكترونيات وشركة ايروجت جنرال كوربوريشن . ومن المؤتمر ايضا انبثقت لجنة كاليفورنيا للتجارة والتكنولوجيا لتجنيد العلماء والخبراء الامريكـان لهذه الصناعات الاسرائيلية الجديدة[١٧].

والتفت المولون الـى الامكانيات التي فتحتهـا اسرائيل باحتلالها المناطـق العربية واستغـلال الايدي العاملة الفلسطينية الرخيصة . وبلغ عدد العمال الذين سخرتهم اسرائيل من المناطق المحتلة ٤٠٬٠٠٠ عامل يتقاضون ٤٫٢٠ ليرة يوميا مقابل اجرة العامل اليهودي البالغـة ٢٠ ليرة[١٨]. وترددت في اسرائيل النكتة القائلة بأن جميع اليهود سيتركون اسرائيل عن قريب لان الامريكان هم الذين يعطون راس المال والعرب هم الذين يقومـون بالعمل . وتحت عنوان « غزة : خزان للطاقة العاملة الرخيصة لاسرائيل » كتبت صحيفة معاريف ان اجرة عمال غزة على درجة مـن الانخفاض تضطرهم الى استخدام ابنائهم ممن دون العاشرة سنا . واضافت قائلة ان خبـراء وول ستريت الامريكان قد استحسنوا الموقف الاقتصادي في غزة[١٩].

والى هـذا المسرح تدفقت الرساميل الامريكية فاقامت عدة مشاريع في اسرائيل والمناطق المحتلة بما فيها القدس والجولان . ومن ذلك هلتن القدس الذي كلف ٥٠ م/ليرة اسرائيلية وفندق المستعمرة الامريكية في القدس العربية . وعندما تأسست شركة هيات هاوس الامريكيـة للاستثمـار في افروآسيا ، قررت ان تجعل باكورة نشاطها فندقا بقيمة ٢١ م/ليرة في القدس العربية ايضا . وقررت شركة اخرى توظيف ٢٫٨ م/ليرة في تجارة الفنادق والمطاعم الاسرائيلية . وخصصت شركة بسمان وغليك اوف شيكاغو عشرة ملايين دولار لانشاء فنادق في اسرائيل . وقررت شركة اخرى امريكية اقامة مزرعة حيوانية لانتاج اللحوم في الجولان . وهكذا استطاع الرأسمال الامريكي ان يزحف وراء الدبابات الاسرائيلية فيدخل مناطق لم يكن يحلم

بها . وما زالت تل ابيب في اول الطريق . غاية الطريق هي اقتحام الاسواق العربية كليا وتحويل المنطقة الى كيان اقتصادي واحد اشبه بمنطقة الاراضي المنخفضة ، كما قالت التايمس ، « ولن يهم عندئذ اين تمر الحدود » حسب نظر موشي ديان(٢٠).

وتأخذ الشراكة الامريكية الاسرائيلية خمسة صور رئيسية :

١ — القروض المالية المباشرة لقاء فوائد سنوية . والمثال الاول هنا السندات الاسرائيلية المباعة في امريكا . وبلغ مجموع الفوائد التي دفعتها تل ابيب عن ديونها ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ .

٢ — الحصول لامريكا على المواد الخام . والمثال هنا هو الماس الذي تحصل عليه اسرائيل من افريقيا وتعيد تصديره الى امريكا بعد صقله . وهو يشكل اهم فقرة في صادراتها الى امريكا . وبهذه الطريقة تتحاشى واشنطن المداخلات السياسية التي تغشي الموضوع : افريقيا ، ولكن لايبيريا التي فطنت الى الموضوع بادرت الى فسخ اتفاقيتها مع اسرائيل وآثرت البيع مباشرة الى نيويورك . ويتم التعاون هنا بتزويد اسرائيل بالاموال والخبرة اللازمة لهذه التجارة ويقوم معهد المجوهرات الامريكي بتدريب العمال الاسرائيليين ومد معهد الماس الاسرائيلي بما يحتاجه من مساعدات ومعرفة . وبفضل هذا الترتيب ارتفعت تجارة الماس الاسرائيلية بالنحو البليغ التالي(٢١) :

سنة	المستورد بالدولار	الصادرات بالدولار
١٩٥٤	١٣،٧٩٣،٠٠٠	١٥،٦٩٨،٧٨٠
١٩٦٩	١٩٢،٧٥٠،٤٧٧	٢١٥،٩٠٧،٣١٦

٣ — اشتراك مؤسسات امريكية واسرائيلية في الحصول على مشاريع في العالم الثالث وتسييرها . ومن ذلك معمل المعدات الالكترونية الذي اقامه الطرفان في السنغال .

٤ — اقامة الشركات الامريكية مشاريع او فروع لها في اسرائيل كما الحال بالنسبة للفنادق الامريكية التي اشرنا اليها . وفتحت شركة إيروجيت كوربوريشن مفاوضات لاقامة معمل لصهر المعادن بقيمة ٣٠ م/د لسد حاجات اسرائيل من الفلزات وتصدير الفائض من منطقة كيشون الحرة التي فتحتها اسرائيل مؤخرا لزيادة عمليات اعادة التصدير(٢٢) .

٥ — الاشتراك مع مؤسسات اسرائيلية في اقامة صناعات داخل اسرائيل ، ومن ذلك في حقل الكيماويات شركة عراد المؤسسة لانتاج ٢٣٠،٠٠٠ طن من حامض الفسفوريك سنويا للاستهلاك الداخلي والتصدير . وتم التوقيع على عقود اخرى منها واحد لانتاج محركات وينكل من قبل شركة سافكل التي تمتلكها شركة بيير ملسز الامريكية الاسرائيلية وبنك اسرائيل البريطاني . ونشرت الوول ستريت جرنال نبأ تأسيس شركة ماريتايم ديناميكس لبناء الناقلات البحرية العملاقة بحمولة تتجاوز ٢٠٠،٠٠٠ طن . وتمتلك الشركة الجديدة مؤسسة الشحن الاسرائيلية وشركة جنرال ديناميكس المتصلة بصناعات الحرب الامريكية . واعطت رأس المال الجماعة المصرفية المسماة فرست نشنسال بوسطن كوربوريشن . وباكورة الشركة هي بنساء ست شاحنات بقيمة ٣٥٠ م/د .

وانتبه تجار الموت الى سمعة اسرائيل العسكرية فتهالكوا على توظيف اموالهم فيها . وتقول المصادر ان امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية قد وظفت اكثر من ١٢٠ م/د في الصناعات الحربية الاسرائيلية تنفيذا لمقررات المليونيرية الثاني(٢٣) . وبلغ مجموع الصادرات من المعدات الحربية ٣١ م/د في ١٩٦٩ وارتفعت صادرات مؤسسة تعاز المنتجة للاسلحة بخمسة اضعاف ما كانت عليه قبل ١٩٦٧ . ووصل التعاون الامريكي — الاسرائيلي في الانتاج الحربي اوجه في الاتفاقية السرية لتزويد تل ابيب بالامكانيات لانتاج الاسلحة الثقيلة والمعقدة بما فيها الطائرات النفاثة والدبابات . ومن الوهم ان نتصور ان الاتفاقية موجهة بصورة خاصة ضد العرب . انها حلقة اخرى من التاريخ الاسود لتجارة الموت الرأسمالية . وحيث سترفض دولة ناشئة ابتياع الاسلحة من امريكا ، ستشير عليها امريكا بشراء الاسلحة من اسرائيل .

وتدفقت البضائع الامريكية جنبا الى جنب مع الرساميل في عين الفترة ، او بعبارة ادق ضمن السنوات الثلاث التالية لحرب حزيران فارتفعت مستوردات اسرائيل من امريكا بنحو ٥٠ ٪ في حين لم تتغير صادراتها اليها الا بقليل . ويعود جزء كبير من العجز المستمر في ميزان المدفوعات الاسرائيلي الى هذه البضائع المستوردة والى العوائد والفوائد المترتبة على الرساميل الاجنبية . وقد ارتفعت هذه العوائد والفوائد من ٩٤ م/د

في ١٩٦٥ الى ١٥٢ م/د في ١٩٦٩ ونحو ١٨٠ م/د في ١٩٧٠ . ومما يذكر ان مجموع العوائد والفوائد المستحقة من اسرائيل ساوت خلال عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ مجموع الارباح التي جنتها اسرائيل من الزيادة في القيمة المضافة للصادرات(٢٤).

ومن الطريف أن نلاحظ سير النشاط الاسرائيلي بامتداد خطوط النفوذ الامريكي في العالم الثالث . فخط الملاحة الليبيري الوطني (من مشاريع شركة هارون روزنفيلد الاسرائيلية) يسير من ايلات الى الحبشة وافريقيا الجنوبية ونايجيريا وليبيريا، ويسير خط تسيم من ايلات الى فرموزة وهونغ كونغ واليابان وامريكا الشمالية . والدول العميلة الرئيسية لاسرائيل هي ايران والحبشة وافريقيا الجنوبية وليبيريا . واخذت تل ابيب مؤخرا ، وربما بتوجيه من واشنطن ، بالاتجاه الى المنطقة التقليدية للنفوذ الامريكي — أمريكا اللاتينية ، التي بدأت جماهيرها بالتحرك ضد سيطرة الدولار . وامام انطلاقاتها الثورية ، اسرع مدير بنك الاعمار الدولي لزيارة تل ابيب في اوائل ١٩٧٠ ملتمسا زيادة نشاطها في تلك المنطقة . ومن المعروف ان اسرائيل كانت تنفق سنويا حتى ذلك الحين نحو خمسة ملايين ليرة على مساعدة امريكا اللاتينية وتزودها بحوالي ٤٠ خبيرا . ولها بضعة مشاريع صغيرة منها حقل للبذور في البرازيل . ووقعت مؤخرا اتفاقية مع المكسيك لاستغلال المصادر المائية والغذائية واقامة معمل للكيمياويات البترولية وآخر للسيارات .

ومن ذلك يتضح ان اسرائيل اصبحت الباب الذي تدخل منه الامبريالية الامريكية الى العالم الثالث وان اموالا في حدود البلايين قد اصبحت الان مرهونة لدى الاقتصاد الاسرائيلي . وان اي تفكير من جانبنا يتصور ان امريكا ستعرض هذه المصالح للخطر اكراما لعيوننا هو سذاجة مغرقة .

٣ — دور اسرائيل في خنق الحركات الثورية : لما كان التحالف الامريكي الاسرائيلي تحالفا رأسماليا فقد اصبح من البديهي له أن ينشط ايضا في مقاومة الحركات المعادية للرأسمالية ، وقد قامت في امريكا جماعة الابحاث الافريقية بدراسة دور اسرائيل كدولة ثالثة في خدمة الرساميل الامريكية ومحاربة الحركات المعادية للامبريالية في افريقيا ونشرت تقريرها الضافي في مجلة ترايكونتننتال الكوبية(٢٥). ويتضح من التقرير ان واشنطن تنظر الى اسرائيل كبديل للشعوب الافريقية الثائرة ضد امريكا يحول دون التفاتها الى الشيوعية او السوفييت . وكان ارنولد رفكين الخبير الامريكي قد دعا في سنة ١٩٥٩ في مجلة فورين افيرز الى ارشاد الدول المتمردة على الغرب الى الاحتذاء باسرائيل في البرمجة الاشتراكية المعتدلة واقامة نظام اقتصادي ثالث يختلف عن النظامين الشرقي والغربي « ولكنه يبقى بالتأكيد اكثر ميلا الى مصالح العالم الحر منه الى النموذج الشيوعي » على حد قوله . ومضى رفكين لمعالج طرق تحقيق ذلك بواسطة تحويل جزء من المساعدات الغربية المخصصة لافريقيا الى اسرائيل بحيث تعود هذه بدورها فتقدمها الى افريقيا « بالنظر لمؤهلات اسرائيل الخاصة وقبول الدول الافريقية لها كما اتضح » . ومن المهم ان نعرف ان المستر رفكين كان رئيسا لمشروع الابحاث الافريقية لمركز الدراسات الدولية في مساشوستس . اما المركز نفسه فقد نظمته وكالة الاستخبارات الامريكية ، ومنه انتقل رفكين الى البنك الدولي الذي اعطى قروضا واسعة لاسرائيل . ومن خبراء امريكا المختصين في المساعدات الاسرائيلية لافريقيا المستر سلفربرغ الاستاذ في الجامعة الامريكية في واشنطن. وسرعان ما نكتشف ان سلفربرغ يعمل ايضا في مركز الابحاث للانظمة الاجتماعية الذي يعمل لحساب الجيش الامريكي والمشهور بفضيحة كاميلوت للتجسس على امريكا اللاتينية . وينهمك هذا المركز في اعداد دراسات تحليلية لمقاومة حرب العصابات . وكانت اطروحة سلفربرغ (وهو يهودي) بعنوان «المساعدات الاسرائيلية العسكرية وشبه العسكرية لافريقيا » .

واستخلصت جماعة الابحاث الافريقية النتائج التالية من دراستها : ١ — ان الحكومة الامريكية ساعدت في وضع اسلوب المساعدات ومادتها . ٢ — انها وحلفاءها ساعدوا في تمويل المساعدات الاسرائيلية حسب اسلوب « الدولة الثالثة » . ٣ — ان هذه المساعدات قد تركزت في الميادين المهمة ستراتيجيا وخاصة التدريب العسكري ومقاومة حرب العصابات . ٤ — ان برامجها تخدم الاستعمار الاسرائيلي الصغير نسبيا ومن ورائه الاستعمار الامريكي الواسع .

ومن اهم المؤسسات الاسرائيلية التي عملت امريكا على تأسيسها في هذا الصدد لاحتواء كوادر العالم الثالث هو المعهد الافرواسيوي الذي يتلقى كل

عام عشرات من شبيبة افروآسيا لتدريبهم . وتأسس هذا المعهد بمنحة من اتحاد العمل الامريكي AFL - CIO . والمعروف ان هذا الاتحاد يرتبط ارتباطا وثيقا اندماجيا بالاستخبارات المركزية(٢٦).

واصبحت تل ابيب مركزا جديدا لتدريب كلاب الامبريالية وقد كشفت مناقشات الكنيست في ١٢/٤/١٩٦٧ ان جموعا من الفيتناميين الجنوبيين كانوا يتلقون تدريبهم في اسرائيل(٢٧). وحج الى تل ابيب ايضا رئيس اركان بيرو ووزير داخلية البرازيل بالاضافة الى عدد كبير من قواد الجيوش الافريقية وبوليسها . ونسمع بين الفينة والفينة عن فضيحة جديدة تتعلق بالنشاطات المريبة للخبراء العسكريين الاسرائيليين ، وكان من آخرها ما دفع الجنرال امين الى طرد السبعمائة خبير اسرائيلي من اوغندة . وتحت ضوء ذلك نستطيع ان نفهم النصح المستمر الذي يعطيه خبراء امريكا وساستها الى الدول الناشئة بالاستعانة باسرائيل . ومن ذلك نذكر كتاب ليوبولد لوفر «اسرائيل والامم الناشئة: طرق جديدة للتعاون » وكتاب رنكين « افريقيا والغرب » وكتاب سلفربرغ المشار اليه آنفا .

٤ ــ الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية : تفخر اسرائيل باقدر جهاز تجسسي في العالم . ولهذا الفخر تاريخ طويل يمتد الى القرون التي فرضت فيها ظروف معاداة السامية وتشريد اليهود ، مهمة الوساطة والوكالة والجاسوسية عليهم . هكذا عملوا للفرس ضد الرومان وللمسلمين ضد اوربا وللانكليز ضد العرب واخيرا للامريكان ضد السوفييت . وساعدتهم على ذلك عوامل منها اتقانهم لعدة لغات وتجولهم في الامصار ومعرفتهم باحوال الامم ووجود اخوان لهم في كل مكان . وفي الحرب الاخيرة اضافوا خبرة جديدة من عملهم لاستخبارات الحلفاء ضد المحور . ومن ابناء هذه الخبرة البولونيون الذين بنوا الاستخبارات الاسرائيلية .

واقامت الوكالة اليهودية اول جهاز رسمي للاستخبارات عام ١٩٣٧ باسم الموساد وعمل في هذا الجهاز معظم رجالات اسرائيل كاشكول وغاليلي وشابير . وعلقت على هذا سوفتسكايا بلروسيا في ١٩٧١/١/٦ بقولها ان الاستخبارات الاسرائيلية فريدة في العالم . فهي الاستخبارات الوحيدة التي تأسست قبل تأسس الدولة نفسها . والى جانب الموساد توجد اجهزة شن بت وآمان وخدمات اليهود المضطهدين ، ووراءها يقف ما يزيد على ٥٠٠ منظمة صهيونية في كل مكان لتغذية هذه الاجهزة . ومما يعطي الاستخبارات الاسرائيلية قدرتها العظيمة ، هو المستوى الفظيع الذي تنزل اليه من التغرير ، بما في ذلك استعمال النساء بأبشع الصور ، الى الارهاب بما فيه القتول القاسية . ويروي فان هورن ، كبير المراقبين الدوليين ، صنوفا من ذلك مما تعرض له ضباطه في القدس(٢٨).

ولا شك ان اي استخبارات في العالم تطمح للتعاون مع مثل هذه الاجهزة . وكان من الطبيعي ان يتجه هذا التعاون نحو واشنطن . وحققت اسرائيل للبنتاغون احلاما لم يكن من سبيل لتحقيقها . ومن ذلك ان حصلت استخباراتها على طائرة ميغ ٢١ من العراق في وقت كان الفيتناميون فيه يتدربون في موسكو على استعمال هذه الطائرة ضد الامريكان(٢٩). وجاءت حرب ١٩٦٧ بغنائم جديدة من المعلومات عن الاسلحة السوفييتية الى البنتاغون . وما كادت موسكو تضع دبابات ت ٦٢ امام قوات حلف الاطلسي حتى حصلت اسرائيل على مجموعة سالمة منها نقلت لاختبارها عمليا بالرمي من قبل الحلف في انكلترا(٣٠).

وانتقل هذا التعاون عام ١٩٦٨ الى مرحلة جديدة بعد ان تحققت اسرائيل ان بامكانها ان تبتلع المناطق المحتلة دون خوف . ولتحقيق هذا الضم ، اقتضى عليها الحصول على الوف جديدة من المهاجرين تنفيذا لسياسة التوسع بسلاح الضغط السكاني . على ضوء ذلك خططت المنظمة الصهيونية لحملة ضد المعسكر الاشتراكي تجبره على السماح لهجرة الملايين الثلاثة . فكانت الحملة الاعلامية الشهيرة وصرخة الاضطهاد السوفييتي لليهود . وتشير كافة خطوط هذه الحملة الى نقطة انطلاق في اوائل ١٩٦٨ . في ذلك الوقت ايضا انتهى معهد هدسن الامريكي من وضع مخططه المعروف « بالثورة المعاكسة الهادئة » . ووضعت الاستخبارات الامريكية نظرية « بناء الجسر » للتوغل في العالم الاشتراكي والحصول على المعلومات والدعوة للثورة المعاكسة(٣١).

في ١٩٦٨/٤/٣٠ ، صدر في الاتحاد السوفييتي العدد الاول من النشرة السرية « سجل الاحداث الجارية » لتكون لسان ما يسمى بالحركة الدمقراطية . وبعد صدورها بقليل تأسست جماعة النشاط للدفاع عن حقوق الانسان التي اتخذت

النشرة نافذة لها . وبعين الوقت صدرت مجلة اكوبريانا التي تتهكم من السوفييتية من زاوية الجنس والسخرية . ويتضح من دراسة هذه المطبوعات ارتباطها المباشر او غير المباشر بالمخطط الصهيوني الامريكي لهذه الاسباب :

١ ــ توقيت صدورها في ١٩٦٨ . ٢ ــ افتضاح صهيونية عدد من قادتها مثل تلسن وتسوكرمان بعد هجرتهم الى اسرائيل . ٣ ــ ارتباط نشرة السجل بالنشريات والفعاليات الصهيونية الصرفة، اذ تفرغت بعد قليل من السجل مجلة الكرودز لتنطق باسم الصهيونية صراحة . واعترف الباحثون الغربيون بتداخل نشاط النشرتين(٣٢). ٤ ــ المحتوى ، كما يؤكد ردوي ، الذي لا يحمل اي برنامج او يتعرض لاي مشكلة اجتماعية عامة، وانما يركز على حقوق الاقليات وحقهم بالعودة الى اوطانهم ومحاكمات « الاحرار » وخرق السلطات للقوانين ، والموضوع الاخير هو مما يؤكد عليه الصهاينة في ان حصر الهجرة وقمع الادبيات الصهيونية يخالف القوانين السوفييتية .

واكتشفت السلطات عدة منظمات صهيونية منها جماعة لنينغراد وريغا وكشنيف ، وكلها على اتصال باسرائيل . وكان حلقة الاتصال مع جماعة لنينغراد دونالد ميلامنت ، صهيوني امريكي من جامعة بيل . واعترف ميلامنت بانه جاء من امريكا لحض العلماء على الهجرة الى اسرائيل(٣٣). وحرصت المنظمات الصهيونية على اعطاء نشاطها صفات عامة تجر غير اليهود اليه . ومما لا شك فيه ان مجرد صدور النشرات يفتح الباب ، كما تأمل الاستخبارات الامريكية ، الى ترعرع حركة معارضة وتحدي داخل المعسكر الاشتراكي .

ويعطي الدور الذي لعبته الصهيونية في احداث ١٩٦٨ في تشكوسلوفاكيا درسا عن الامكانيات الكامنة في الاستخبارات الصهيونية . والمعروف ان لوستيغ وزملاءه التشيكيين « الاحرار » الذين استقروا الان في اسرائيل قد لعبوا دورا خطيرا في النشاط المعادي للسوفيتية على التلفزيون والراديو والصحافة . وكشفت التحقيقات عن اتصال لوستغ ببرامبرغ ، وكيل الاستعلامات الامريكية الذي وصل براغ اثناء الحوادث تقدمه لوستغ الى رئيس اتحاد الكتاب غولد ستكر (صهيوني اخر) وبالمؤسسات التشيكية الحساسة . ومن الوثائق التي عثروا عليها مع برامبرغ تقرير عن اوضاع الجيش والامن(٣٤).

وبعين الوقت ، تسند وسائل الاعلام الغربية الخاضعة للتأثير الصهيوني ، هذه الحملة بالتشهير بالمعسكر الاشتراكي واضطهاد الاديان والاقليات فيه . ويغذي الصهاينة اعمدة الصحف بسلسلة من التظاهرات والاستفزازات امام المؤسسات السوفيتية في الخارج . والظاهرة الواضحة الان هي ان الاسواق الغربية قد امتلأت منذ ١٩٦٨ بالمؤلفات المهربة من المعسكر الاشتر[illegible] او الفاضحة له .

هذه خلاصة وجيزة جدا للخدمة الاعلامية والايديولوجية والتجسسية التي تقدمها اسرائيل للامبريالية الامريكية . وما من دولة استطاعت ان تقدم احسن منها . افيجوز لواشنطن ان تحذف هذه الخدمة ايضا من حسابها وتعيد للعرب المناطق المحتلة التي تشكل الدافع الحيوي للحملة الصهيونية المذكورة ؟

٥ ــ **الاعتبارات الستراتيجية** : وعلى رأسها اهمية لامريكا غلق قناة السويس . هذا الغلق يؤدي الى اضعاف المنافسة التجارية الاوروبية لامريكا جنوبي وشرقي السويس ويسد من ناحية اخرى الباب في وجه الاساطيل السوفيتية التي يتوجس الغرب خطرا من زيادة وجودها في المحيط الهندي . ومن المفهوم ايضا ان الامدادات السوفيتية الى فيتنام قد تعقدت وصعبت بعد هذا الغلق ايضا . واذا كان البنتاغون حريصا على جنوده في فيتنام فلا شك ان سد القناة سيبقى مطلبا ستراتيجيا لهم . وهكذا صرح رئيس اركان الجيش الاسرائيلي بقوله : « لقد ادركت امريكا اثناء حرب الاستنزاف ومنذ ايامها مدى القيمة الستراتيجية لاسرائيل »(٣٥). في الحين نفسه ، توالت التقارير عن انضمام اسرائيل الى حلف الاطلسي . وسواء انضمت ام لم تنضم ، فان وجودها كقلعة للعالم الغربي في الشرق الاوسط هو خير ضمان للحلف .

النتيجة : ان هناك كثيرا من العوامل تشير الى اتحاد بعيد الامد بين المصالح الاسرائيلية والامريكية تجاريا وسياسيا وتجسسيا واعلاميا وستراتيجيا. وتجعل مصالح هذا الاتحاد من الصعب ، ان لم نقل المستحيل ، لاي رئيس امريكي ان يغير موقف بلاده من ازمة الشرق الاوسط ، ولا سيما عندما نأخذ بنظر الاعتبار الموقف المالي القوي لاسرائيل

في الوقت الحاضر والذي يجعلها اقدر على تحدي الضغوط الخارجية الى مدى طويل كما اسلفنا في اول البحث . وان توجيه مثل هذا الضغط الطويل الامد والشديد البأس يعرض دون شك اسس الشراكة الامريكية الاسرائيلية الى الانهيار ، وهو ما لن تقبل به اوساط البنتاغون والوول ستريت والاستخبارات المركزية والاستعلامات الامريكية .

---

١ — **نيوزويك** ، ١٩٧١/١/١٣ .
٢ — راديو ٤ ، الاذاعة البريطانية ، ١٩٧٢/٢/٢٢ .
٣ — **جروسلم بوست** ، ١٩٦٧/٦/١٦ .
٤ — **التايمس** ، ١٩٧٢/٢/٢٣ .
٥ — كوبلند ، مايلز ، **لعبة الامم** ، الترجمة العربية لدار الفتح ، بيروت ، ص ٥٧ — ٦٢ .
٦ — جونسن ، بول ، **حرب السويس** ، لندن ، ١٩٥٧ ، ص ٣ .
٧ — كوبلند ، **نفس المصدر** ، ص ٢٩٨ — ٢٩٩ .
٨ — **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط : تحليل خاص** ، امريكان انتربرايس انستيتوت ، ١٩٦٨ ، ص ٢٢ .
٩ — **مصالح الولايات المتحدة** ، ص ٦١ .
١٠ — **نفس المصدر** ، ص ٧٣ .
١١ — **مدل ايست انترنشنال** ، ايلول ١٩٧١ .
١٢ — **سجل افريقيا المعاصر** ، ١٩٦٩ — ١٩٧٠ ، ص آ ٦٨ .
١٣ — **الجيوش الافريقية والنظام المدني** ، معهد الدراسات الستراتيجية ، لندن ، ١٩٦٩ ، ص ٨٥ .
١٤ — يوسف شبل ، **تجارة اسرائيل الخارجية** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، ص ٢٦ .
١٥ — **ترايكونتننتال** ، عدد ١٩٦٩/١٥ ، ص ٥٥ .
١٦ — **التايمس** ، ١٩٦٩/٣/٢٧ .
١٧ — **فاينانشال تايمس** ، ١٩٧٠/١/٢٧ .
١٨ — **هآرتس** ، ١٩٧٠/١٢/١٨ .
١٩ — **معاريف** ، ١٩٧٠/١/١٤ .
٢٠ — **التايمس** ، ١٩٦٩/٦/٣ .
٢١ — **اسرائيل** ، جمع م. امانويل ، لندن ، ص ١٤٩ .
٢٢ — **جروسلم بوست** ، **جويش كرونكل** ، ١٩٧١/٨/١٧ .
٢٣ — يحي عرودكي ، **العلاقات الاقتصادية الخارجية لاسرائيل** ، مركز الابحاث ، ص ٣٠ .
٢٤ — **جروسلم بوست** ، ١٩٧٠/١٢/٧ .
٢٥ — **ترايكونتننتال** ، ص.ب. رقم ٤٢٢٤ ، هفانا ، عدد ١٩٦٩ .
٢٦ — انظر موريس ، جورج ، **وكالة الاستخبارات المركزية والعمال الامريكان** ، ١٩٦٨ . انظر ايضا كتيب د. فايز صايغ ، **المعهد الافرو آسيوي في تل أبيب** ، مركز الابحاث في م.ت.ف. بيروت ، ١٩٦٧ .
٢٨ — انظر هورن ، جنرال كارل فون ، **تجند من اجل السلم** ، لندن ، ١٩٦٦ .
٢٩ — **تايمس** ، ١٩٦٦/٨/٣٠ .
٣٠ — **ديلي اكسبرس** ، ١٩٦٩/١٠/١٧ .
٣١ — بولشاكوف ، **معاداة السوفييتية مهنة الصهاينة** ، موسكو ، ١٩٧١ .
٣٢ — ردوي ، بي ، **روسيا بدون رقابة** ، لندن ، ١٩٧٢ ، ص ٣٩ .
٣٣ — **اليهود في أوربا الشرقية** ، تشرين الثاني ١٩٧١ .
٣٤ — تفاصيل بولشاكوف .
٣٥ — **الغارديان** ، ١٩٧١/١٢/٣١ .

تقرير خاص
خطة التنمية الثلاثية في الاردن ٧٣ ــ ١٩٧٥

أحاطت السلطات الاردنية موضوع خطة التنمية الثلاثية بكتمان شديد ولم يسمح لاجهزة الاعلام الاردنية بالتحدث عنها او نشر تفاصيلها حتى عقد الامير حسن ، وهو الذي يرأس لجنة الخطة ، مؤتمرا صحفيا في عمان يوم ١٩٧٢/٩/١٢ . دعا اليه السفراء العرب والاجانب وشرح لهم تفاصيل الخطة طالبا مساعدة دولهم في ذلك . وكانت اللجنة التي اعدت الخطة ووضعت تفاصيلها ، تضم كبار مخططي السياسة الاميركية في الاردن ، منهم ميشل مارتوماد . حنا عوده . د. سعيد النابلسي والدكتور خليل السالم وآخرين .

ومن اهم الاهداف التي سعى واضعو خطة التنمية الثلاثية لتحقيقها هي :

(أ) زيادة الدخل القومي الى ٨ ٪ خلال مرحلة الخطة (٣ سنوات) . (ب) تخفيض العجز في الميزان التجاري . (ج) تخفيض الاعتماد على المساعدات . (د) زيادة فرص التوظيف (زيادة موظفي الادارة وعدد أفراد مؤسسة الجيش) . (هـ) خلق أماكن عمل جديدة لخمسة وسبعين الفا خلال الثلاث سنوات . (و) توزيع مشاريع التنمية على كل مناطق المملكة بالتساوي (دون التركيز على عمان) . والمقصود هنا مناطق الاغوار وحطيه ــ العقبة وغيرهما المعدة لاستقبال واسكان اللاجئين والنازحين .

ويلاحظ من اجمالي الخطة ثلاث مسائل مهمة : (١) اعتراف واضعي الخطة (كتابة) بعدم جدوى التركيز السابق في مشاريع التنمية (خطة السنوات السبع) على المشاريع غير الانتاجية كالطرق والخدمات . ففي الخطة توجه لمرحلة جديدة هي البدء بقيام مشاريع انتاجية في قطاع الزراعة والصناعة .. الخ . (٢) يلاحظ كذلك في الخطة توجه يمكن تسميته « بالتطور شبه اللارأسمالي » في تحديث الاردن . فالخطة تشير مثلا الى انه ستكون هناك مراقبة على الاسعار والاستيراد والتصدير ... الخ .

وتؤكد هذه الملاحظة احجام الاستثمارات المحلية بعد ايلول عام ١٩٧٠ عن المغامرة بمشاريع مكلفة في ظل غموض المستقبل السياسي للاردن . فلقد شهدت الاسواق المالية الخارجية (خاصة بيروت) تدفقا كبيرا لرؤوس الاموال الهاربة من الاردن بعد احداث أيلول ١٩٧٠ . والارتفاع المفاجيء والكبير في ارصدة ودائع البنك العربي ــ فرع بيروت ــ بعد أيلول خير شاهد على هذه الظاهرة. اضافة الى ذلك فان رؤوس الاموال المحلية في الاردن ظلت طوال السنوات الماضية تتجه الى الاستثمار في قطاعات التجارة والخدمات وملحقاتها، اي الاستثمارات ذات المردود السريع . (الاستثمارات الزراعية والصناعية ذات مردود بعيد المدى) . ويعزز هذه الملاحظة كذلك كون الاردن قاعدة مصالح سياسية وليست اقتصادية للامبريالية الاميركية ، بدليل عدم وجود شركات اجنبية بر ؤوس أموال كبيرة تشكل الثقل الاقتصادي للمصالح الاميركية في المنطقة مثلا . ان هذا التوجه الجديد للنظام الاردني يشير الى بداية خلاف في معسكر الحكم المؤلف من الطبقة التجارية والطبقة البيروقراطية الجديدة ، ومؤسسة الجيش القمعية ، في ظل العرش الملكي . ان مصلحة الطبقة البرجوازية التجارية سوف تتأثر حتما بالتوجه الجديد الذي تقوده الطبقة البيروقراطية الجديدة . فلقد ورد في الخطة نص يقول : « في حالة احجام القطاع الخاص عن القيام بدوره المرسوم، فستأخذ الدولة على عاتقها مهمة القيام بمشاريع انتاجية بديلة !!! » . (٣) يلاحظ ايضا ان خطة التنمية للضفة الشرقية فقط مع العلم بأن مدتها ثلاثة اعوام تنتهي في آخر عام ١٩٧٥ ، ان الخطة

لتطوير الاقليم الاردني فقط في مملكة الحسين العربية ، وتكريس قواعد النظام « كلابد » في الضفة الشرقية فقط .

المشاريع التي تتضمنها الخطة :

ان التحليل الاولي لموازنة الدولة العامة لسنة ١٩٧٢ ، ومقارنتها بأرقام موازنتي عام ٧١ ، ٧٠ فيما يتعلق ببند النفقات الانمائية (الرأسمالية) في مؤسسات الدولة المعنية بمثل هذه المشاريع ، كوزارة الزراعة ، وسلطة المصادر الطبيعية ، ووزارة الاشغال العامة ، والمؤسسة الاقليمية لمياه نهر الاردن، وسلطة قناة الغور الشرقية.. الخ يتضح ان السلطة تعتزم تنفيذ عدد من المشاريع الكبيرة ، والتي تتطلب أيدي عاملة لاعمار مناطق جديدة تستوعب فيها المخيمات ... الخ . ومن هذه المشاريع على سبيل المثال لا الحصر :

(١) مشروع تطوير وري منطقة القويره — رم — العقبة ، تموله شركة امبرزيت الايطالية . وكانت الحكومة الاردنية قد اجرت مفاوضات مع الحكومة الايطالية لتقوم الاخيرة بتمويل هذا المشروع بنفسها. ويهدف هذا المشروع الى : (أ) استصلاح اراضي المنطقة المذكورة . (ب) استخراج مياه جوفية حيث انها متوفرة في هذه المنطقة كما تقول بذلك التقارير الجيولوجية في مجلس التخطيط القومي التي تقدر وجود كمية من المياه تكفي لري المنطقة بكاملها في اغراض الزراعة . (جـ) توليد طاقة كهربائية عن طريق سدود المياه والمياه المستخرجة لانارة منطقة العقبة والعقبة نفسها . (د) — مد طريق لتصريف الانتاج الزراعي الذي ستدره المنطقة يتصل بطريق العقبة السعودية . ولقد رسا هذا المشروع على شركة امبرزيت الايطالية وبعض المقاولين الفرعيين المحليين ، وبوشر بتنفيذه . وقد ظهر في موازنات السنوات الماضية ويكلف ٦٣ الف دينار اردني حتى بداية هذا العام ، مع العلم انه خصص لهذا المشروع ٩ ملايين دينار لتنفيذه على ثلاث مراحل تكلفة كل منها ٣ ملايين دينار .

(٢) مطار العقبة . وقد اشارت اليه صحيفة الرأي الاردنية . الهدف من هذا المطار هو كونه جزءاً من خطة تطوير مدينة العقبة (ثغر الاردن) ومنطقتها ليجعلها بيروت بديلة في المنطقة . وقد جرت اتفاقية مع السلطات الاسرائيلية بخصوص اذونات الهبوط والاقلاع والطيران واللاسلكي والخروج من ميناء ومطار العقبة ، توجب على السلطات الأردنية ابلاغ مطار وميناء ايلات بهذه العمليات .

(٣) مشروع الدرة — العقبة . وقد رسا عطاؤه على شركة اتحاد المقاولين (C.C.C.) وهي شركة مقاولات لبنانية .

(٤) تكملة سكة حديد الحجاز — حطية — العقبة، حيث تقوم شركة المانية غربية بتنفيذه .

(٥) مشروع سد الزرقاء . يموله الصندوق القومي الكويتي .

(٦) المشاريع الزراعية في الاغوار . وقد لوحظ خلال السنة الماضية تركيز الامير حسن على هذه المشاريع بشكل خاص ، وتركيز كل من وزارة الزراعة ودائرة البحث العلمي ومجلس التخطيط وفريق من الخبراء لدراسة المنطقة .

(٧) عدة مشاريع زراعية في مناطق الازرق ووادي الضليل .

ان الخطورة في مثل هذه المشاريع ، هي ان الاستثمارات الرأسمالية الزراعية هذه تستطيع اسكان عدد كبير من اللاجئين والنازحين وتشغيلهم، في ظل اوضاع البطالة التي تثير نقمة المواطنين على السلطة . كذلك فان عددا كبيرا من هؤلاء المستثمرين هم من اصل فلسطيني ، مما سيمهد الطريق امام مؤامرات السلطة لتذويب الفلسطينيين واستيعابهم في الضفة الشرقية ، وابعادهم عن العاصمة والمدن الرئيسية الاخرى في الاردن .

غير ان اخطر ما تتضمنه الخطة مشروعان :

أولا : مشروع نقل المخيمات : لقد شكلت مسألة وجود مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في عمان وقرب المدن الاردنية الاخرى قضية خطيرة على أمن السلطة ووجودها في الاردن منذ عام ١٩٥٠ ، وهذه المسألة كانت واضحة في ذهن النظام الاردني خلال العشرين سنة الماضية ، والدليل على ذلك تعدد مشاريع الاسكان والاستيعاب والتوطين التي كانت تطرحها السلطة او وكالة الغوث او غيرها من البعثات الاستعمارية التي كانت تفد الى الاردن تحت اسماء مختلفة . ولقد برزت خطورة هذه المسألة بوضوح لدى النظام خلال الفترة التي تلت حرب حزيران عام ١٩٦٧ وانتهت في ايلول عام ١٩٧٠ ، فمن هذه المخيمات القريبة من العاصمة ومن المدن الاردنية الاخرى كانت حركة المقاومة التي رأى فيها النظام خطر البديل له .

وعليه ، فان لدى النظام الاردني الآن مخططا يهدف الى نقل مخيمات اللاجئين والنازحين من اماكنها الحالية الى أماكن اخرى في الضفة الشرقية لاستيعابهم في عملية التذويب والتصفية . فبعد عودة الامير حسن من جولته الاخيرة في اوروبا (دول السوق المشتركة) بأيام قليلة ، استدعى للقصر وزير الانشاء والتعمير (وزارة اللاجئين في الاردن) وطلب منه دراسة توفير عمال زراعيين للعمل في الاغوار بعد ان هدأت الاحوال واستتب « الامن والاستقرار » في البلاد ، وشدد الامير على ضرورة الاهتمام بالانتاج الزراعي المحلي بدل الاعتماد على الجسور المفتوحة مع الضفة والقطاع !! ومن المعروف ان جولة ولي العهد الاوروبية قد اسفرت عن اتفاقية لم يعلن عنها بعد ، بين الحكومة الاردنية وحكومة المانيا الاتحادية تحصل بموجبها الحكومة الاردنية على مبلغ ٤٢ مليون دولار على ان تستثمر في مشاريع اسكان وتعمير ، وايجاد ايد عاملة زراعية لاستثمار مناطق الاغوار . والترجمة الحقيقية لهذه الاتفاقية، هي انها لتغطية نفقات نقل مخيمات اللاجئين والنازحين الفلسطينيين من اماكنها الحالية الى مناطق الاغوار الشمالية والوسطى والجنوبية ، كذلك اعمار بعض مناطق المشاريع الانمائية في جنوب الاردن . اما برنامج نقل المخيمات ، حسب الاولوية ، فهو على النحو التالي : مخيم الحصن ثم شنلر ، غزة ، ماركا ، سوف ، البقعة ، اربد ، الطالبية ، الزرقاء ، وينتهي البرنامج بنقل مخيمات العاصمة (الوحدات وجبل الحسين) .

واعقب استدعاء الامير حسن لوزير الانشاء والتعمير الخطوات الاجرائية التالية :

(٢) استدعى الوزير عددا من مخاتير مخيمي الحصن وسوف — القابعين تحت مظلة ارهاب وقمع وتجويع خطيرة — مبديا لهم ضرورة تقديم عرائض للملك حسين تطالب بنقل المخيمات . وشرح لهم الوزير « حسنات » هذا المشروع . وقد عارض قسم منهم هذا المشروع ووافق قسم آخر عليه .

(٢) اجتمع الوزير — الذي اخذ على عاتقه هذا المشروع — مع اركان الوزارة وعدد من مسؤولي وكالة الغوث في الاردن لدراسة هذا المشروع ، واقترح عليهم البدء بنقل بعض المخيمات للاغوار (الحصن ، جرش ، سوف) لتحسين ظروفهم المعاشية ، فاستقر البحث على مخيمي سوف والحصن ، ومن المعروف ان هذه المخيمات تسمى لدى وزارة الانشاء والتعمير « بمخيمات طوارىء للنازحين » ، قسم من نزلائها مسجلون لدى وكالة الغوث كلاجئين وقسم منهم تقع على الدولة مسؤولية صرف مكافآت اعاشتهم من وكالة الغوث . واتفق في ذلك الاجتماع على البدء بدراسة نفقات نقل المخيمات ، وشكلت لجنة لهذا الخصوص .

(٣) كان تقرير اللجنة ان تكاليف نقل مخيم سوف للاغوار الجنوبية (غور الصافي) والحصن للاغوار الوسطى تكلف مبلغ ٢٥٢ الف دينار .

(٤) جرت مفاوضات لاحقة مع وكالة الغوث للاسهام في هذه العملية واسفرت المباحثات عما يلي :

— الوكالة غير مستعدة للمساهمة بعملية نقل المخيمات .

— أبدت الوكالة استعدادها في حالة نقل المخيم بكامله ان تنشىء له ادارة جديدة في مكانه الجديد واقامة الانشاءات والخدمات التي تقدمها الوكالة عادة لكل مخيم لاجئين . اما اذا نقل نصف المخيم او قسم منه فهي غير مستعدة لاقامة منشأتين لمخيم واحد في مكانين متباعدين .

(٥) وعليه ، فقد طلب الامير حسن القيام بعملية احصاء لسكان هذه المخيمات الثلاثة (الحصن ، سوف ، جرش) يرافقها سؤال استفتائي عن عملية نقل المخيمات يعرض على عائلات المخيمات. بدأت عملية احصاء هذه المخيمات في الفترة الواقعة بين ٢٠ — ٧٢/٥/٢٩ ، وقد اشترك في هذه العملية ١١ موظفا من وزارة الانشاء والتعمير و١٦ موظفا من طلبة المعهد الاحصائي بدائرة الاحصاءات العامة وجهاز موظفي الوكالة في المخيمين المذكورين. وتجمعت نتائج عملية المسح الاحصائي في الاستمارات بواسطة الحاسب الالكتروني (الكمبيوتر) بدائرة الاحصاءات العامة . وعدلت النتائج بناء على احصاءات مكتبية من وزارة الانشاء والتعمير وجداول الوكالة ، وكانت النتائج كما يلي:

	عدد السكان	عدد الاسر	نسبة الموافقين على النقل
مخيم الحصن	١٥،٨٧١	٢،٦٨٠	٥٣،٢ ٪
مخيم سوف	٩،٧٢٢	١،٧٤٢	١٥،٣ ٪
مخيم جرش	١٣،٥١٢	٢،٣٠٦	٪

عرضت هذه النتائج على الامير حسن شخصيا ثم

على مجلس الوزراء ، لدراسة خطوات التنفيذ اللاحقة ضمن خطة التنمية الثلاثية التي يجري اعدادها ودراستها ليل نهار في قصر الثقافة بمدينة الحسين الرياضية وبالاشراف والدوام المباشر من قبل الامير وعدد من منظري الخطة الجديدة وهم الدكتور خليل السالم ، د. تيسير عبد الجابر ، د. سعيد النابلسي ، د. اسامة العزب ، وعدد من الخبراء المتخصصين الاخرين ، والتي صرح للاعلام الداخلي في وزارة الاعلام الاردنية بالبدء بنشر انباء عن الخطة ، بدون اية تفاصيل للمشاريع او ذكر ارقام او حتى الخطوط العريضة للخطة منذ النصف الثاني من شهر تموز ١٩٧٢ فقط .

وعلى العموم فقد اظهرت نتائج المسح الاحصائي لهذه المخيمات ما يلي :

(أ) نسبة سكان مخيم الحصن :

(١) اللاجئين ٥٠ ٪ والنازحين ٣٨ ٪ وغير مبينين ١١،٤ ٪ . وهذه النسبة تشير إلى مسؤولية كل من الوكالة والدولة في تنفيذ نقل المخيم وتغطية نفقاته .

(٢) المناطق الاصلية التي كان يسكنها لاجئو المخيم ونازحوه سابقا .. وهي كما يلي : نسبة السكان من الضفة الشرقية الى مجموع عدد سكان المخيم ٢٩،٥ ٪ ، نسبة السكان من منطقة القدس ٣،٥ ٪ ، نسبة السكان من منطقة نابلس ٥٨،٢ ٪ ، نسبة السكان من منطقة الخليل ٠،٦ ٪ ، نسبة السكان من منطقة غزة ١ ٪ ، نسبة السكان من منطقة غير مبينة ١٠،٢ ٪ . ويلاحظ من هذا التوزيع ان نحو ٦٠ ٪ من سكان مخيم الحصن هم من قرى الاغوار الغربية ومناطقها خاصة منطقة طوباس وقرى منطقة نابلس الغربية . واظهرت الاحصائية ان نسبة عدد العاملين في المخيم بلغت ٨٦،٢ ٪ ، معظمهم يعمل في قطاع الزراعة (٥٥،٧ ٪) . واظهرت الاحصائية ان نسبة العاملين قد انخفضت في مخيمي سوف وجرش الى ٧٨ ٪ و٢١،١٢ ٪ على التوالي . كذلك انخفضت نسبة العاملين في الزراعة في هذين المخيمين الى ٣٩،٢ ٪ و١٢،٦ ٪ على التوالي ايضا . وذلك عائد الى طبيعة العمل السابق لسكان هذين المخيمين . ففي مخيم الحصن اكثرية من فلاحي الضفة الغربية لذا اظهرت الاحصائية نسبة اعلى في عدد العاملين خاصة في قطاع الزراعة .

(٣) بلغت نسبة الطلاب في مخيم الحصن الى مجموع سكان المخيم ١٩،٩ ٪ بينما بلغت في مخيم سوف ٢٥،٤ ٪ وذلك يرجع الى ان سكان مخيم الحصن اغلبهم من الفلاحين الذين يعملون مع عائلاتهم في مزارع القرى القريبة .

(٤) لوحظ انخفاض عدد سكان مخيم الحصن في هذا الاحصاء عن رقم احصائيات وكالة الغوث نظرا لتغيب عدد كبير من الاسر في اعمال الحصاد (كما ورد في تقرير لجنة المسح الاحصائي) ، وتواجدهم في مناطق الاغوار كعمال زراعيين في بعض المزارع الحديثة التي بدأت تنتج على اساس تجاري واستثمرت فيها رؤوس اموال كبيرة نسبيا .

(٥) يلاحظ كذلك ــ حسب ما ورد في الاحصائية ــ ان نسبة الموافقين على نقل سكنهم في مخيم الحصن اكبر من الموافقين على ذلك في مخيم سوف . يعود ذلك الى ما يقاسيه سكان هذا المخيم من بؤس العيش وهوان الارهاب والاذلال في ظل اوضاع البطالة والكساد الاقتصادي القائم في الاردن خاصة في مناطق الشمال . وتشير الاحصائية الى تقارب نسبة الموافقين على نقل المخيم الى مناطق الاغوار، الى نسبة العاملين في قطاع الزراعة . (٥٣،٢ ٪ عمال زراعيون ، ٥٥،٧ ٪ موافقون على النقل) . ولقد كان لانقطاع موارد حركة المقاومة عن سكان هذه المخيمات اضافة جديدة لاوضاعهم السيئة من ارهاب وسجون وترميجات وبطالة .

(ب) مخيم سوف :

(١) اظهرت الاحصائية ان نسبة سكان مخيم سوف من اللاجئين بلغت ٧٨،٣ ٪ والنازحين ٨،٨ ٪ وغير مبينين ١٢،٩ ٪ . وبالمقارنة مع نسب السكان في مخيم الحصن تبين ان غالبية سكان مخيم سوف هم من اللاجئين بينما نصف سكان مخيم سوف هم من النازحين . وهذه النسبة تشير الى ما ذكره الاستفتاء من نسبة الموافقين على النقل في هذا المخيم والتي بلغت ١٥ ٪ بينما بلغت في مخيم الحصن ٥٥،٧ ٪ .

(٢) كانت نسب قدوم اللاجئين والنازحين في المخيم من مناطق اقامتهم قبل حزيران ٦٧ كما يلي : الضفة الشرقية ٥،٥ ٪ ، الخليل ٢١،١ ٪ ، القدس ٣٩،٦ ٪ ، غزة ٢،٦ ٪ ، نابلس ١٨،١ ٪ . وبمقارنة هذه الارقام بمثيلاتها في مخيم الحصن يتبين ان هؤلاء اللاجئين النازحين مرة ثالثة هم

سكان مخيمات اصلا في الضفة الغربية ، اي غير زراعيين ولهذا قلت نسبة العاملين في هذا القطاع من سكان المخيم عن مخيم الحصن . واضافة لذلك فلقد عطلت المؤامرات والقمع والارهاب طاقاتهم ، ولم تتح لهم طبيعة وتركيب النظام الاقتصادية ان يساهموا في تحسين اوضاعهم المعيشية .

(٣) بلغت نسبة العاملين في مخيم سوف ٦٨ ٪ بينما بلغت نسبة العاملين في مخيم الحصن ٦٨ ٪ اما العاملون في الزراعة في مخيم سوف ، فقد بلغت نسبتهم ٣٦ ٪ بينما بلغت في الحصن ٥٥٫٧ ٪ .

(ويمكن الخروج بعدد من النتائج الاخرى لدى تحليل اوضاع هذين المخيمين في دراسة منفصلة ، ولكن سجلت هذه المؤشرات لالقاء الضوء على ما يمكن ان تسفر عنه عملية التهجير والتذويب التي تنتظرهم) .

الاجراءات المتوقعة :

(١) عرض وزير الانشاء والتعمير تقريرا مفصلا عن مسألة نقل المخيمات على الامير حسن ، وبحثت الاجراءات في لجنة الخطة الثلاثية وذلك في اوائل شهر حزيران من العام الحالي ١٩٧٢ . كما عرض تقرير وزير الانشاء والتعمير على مجلس الوزراء . وحتى الان لم تظهر اية نتائج عملية ولم تتخذ اية اجراءات .

(٢) ستتضح الصورة الكاملة من خلال الخطة الثلاثية (خطة التنمية) والمشاريع التي ستقرها في هذا المجال ، وما ستسفر عنه الندوة العالمية التي سيدعو لها الملك حسين ممثلي الدول والاحتكارات والمموِّلين الغربيين لدراسة المشاريع على الطبيعة ، وذلك لتقديم « المساعدات » اللازمة لاردنة الضفة الشرقية وتحديثها كما تحدثنا في البداية .

(٣) لوحظ في خطاب اخير لرئيس الوزراء الاردني احمد اللوزي ، تركيزه « على ضرورة اعمار وزراعة الاراضي الاردنية حتى تصبح جنة وتعطي الخير للبلاد ، وضرورة **زراعة الاغوار** والجبال وكافة مناطق البلاد . وحتمية ان يعمل الكل بالزراعة حتى نحن الاعيان والنواب والوزراء وانا شخصيا ، نحمل الفأس ونزرع » . وركز اللوزي على ضرورة توفير الايدي العاملة في الزراعة .

ثانيا : مشروع اعمار وادي الاردن وتطويره :

ان اخطر ما تحتويه خطة التنمية الثلاثية ، مشروع تطوير الاغوار ، حيث يرتبط هذا المشروع كليا بمخطط نقل المخيمات واستيعاب الفلسطينيين وتذويبهم في الضفة الشرقية . وقد احاطت الحكومة الاردنية هذا المشروع بسرية كاملة باستثناء السفارة الاميركية في عمان وبعض خبراء التخطيط . وفي شهر ايار من العام الحالي حضر خبير اميركي في شؤون التنمية والتمويل الى الاردن موفدا من حكومة الولايات المتحدة لدراسة المشروع على الطبيعة ، واسم هذا الخبير (اليوت) . ولوحظ يوم ٧٢/٧/٦ وفي نشرة الساعة الثامنة في تلفزيون عمان صورة للامير حسن مع السفيرين الاميركي والالماني وعدد من خبراء لجنة الخطة الذين تدارسوا مشروع تطوير الاغوار ضمن الخطة الثلاثية للتنمية ، وذكر المذيع ان الامير دعا السفيرين والخبير الاميركي (اليوت) لدراسة المشروع على الطبيعة . وقيل في النشرة : لاقناع هذه الدول بتمويل المشروع .

ان الخطوط العريضة لهذا المشروع تتضمن ما يلي : (١) تمديد قناة الغور الشرقية ١٨ كيلومترا الى الجنوب . (٢) انشاء شبكات توزيع مياه سد الزرقاء واستصلاح ١٠٠ الف دونم . (٣) انشاء مشاريع خدمات واسكان وطرق في مناطق الغور ، بحيث يصل عدد سكان الاغوار خلال الثلاث سنوات القادمة (مدة الخطة) الى ما بين ١٢٠ — ١٧٠ الف نسمة . (٤) قدرت نفقات تمويل المشروع بـ ٢٥ مليون دينار . رصد منها لمشاريع المياه ١٤ مليون دينار ، وللزراعة ٥٫٥ مليون ، وللتنمية الاجتماعية ٥٫٥ مليون دينار كذلك . والمقصود بالتنمية الاجتماعية هنا بناء وحدات سكنية ومدارس ومراكز صحية وشوارع وكهرباء ... الخ(١) .

في مجال مشاريع الاسكان تتضمن الخطة ما يلي : (أ) اعادة بناء القرى المهجورة واعادة سكانها اليها حيث قدرت الوحدات السكنية في هذه القرى

---

(١) قال احمد اللوزي رئيس الوزراء الاردني في خطاب القاه امام وفد من اهالي الكرامة : « انه بتوجيهات من جلالة الملك حسين فقد تقرر اعداد خطة لتنظيم منطقة الاغوار ، ومن ضمنها بلدة الكرامة ، بهدف انعاش المنطقة ، وتزويدها بكافة الخدمات الضرورية من ماء وخدمات صحية وثقافية واجتماعية وغيرها » . صحيفة **الرأي الاردنية ١٩٧٢/٦/٣٠** .

بـ ٥٤٠٠ وحدة سكنية . (ب) بناء ٧٢٠٠ وحدة سكنية جديدة تكاليف كل وحدة منها ٢٣٠ دينارا . (جـ) كل وحدة سكنية لها وحدة زراعية مناسبة تعمل فيها الاسـرة الجديدة (المشروع للاغـوار الوسطى والجنوبية فقط في هذه المرحلة) .

وهكذا تتضح اول معالم الخط السياسي الجديد في الاردن وخطوطه من خلال هذا المشروع التآمري الذي قدر له ان يستوعب ما بين ١٢٠ — ١٧٠ الف لاجيء فلسطيني ينتظر ان يقتلعهم النظام من مناطق سكنهم الحالية حول عمان والمدن الاخرى ، في محاولة لابعاد خطرهم الذي يشكله تواجدهم القريب من مناطق عصب السياسة (العاصمـة والمدن) .

وفي الوقت الحالي فان وزارة الداخلية للشؤون البلدية والقروية بالتعاون مع اجهزة الدولة الاخرى ذات العلاقة ، تحاول التوصل الى معرفة الاماكن الجديدة التي نزح اليها سكان هذه المناطق بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وخاصة من الشرق اردنيين ، في محاولة لاعادة هؤلاء الى بيوتهم بالقوة(٢). ومما يلفت النظر ان افرادا في الاسرة الملكية اعترضوا على اعادة بناء الكرامة في موقعها القديم ، بحجة ان اراضي المنطقة هي ملك للملك عبدالله حيث تملكها منذ عام ١٩٢٢ وبنى هناك قصره الشهير (المشتى) الذي كان يقضي فيه اشهر الشتاء مع وزارته وحاشيته على غرار القصور الاموية في الازرق والصحراء الاردنية في القـرن الثامن . ونتيجة لاحتجاج العائلة المالكة فقد أمر ولي العهد بتعديل موقع الكرامة الى موقع جديد. ذكرت جريدة الرأي الاردنية يوم ١٩٧٢/٨/٨ : « ان الاقتراح كان ببنائها غربي موقعها القديم ، غير انه استقر الرأي اخيرا على بنائها في سفوح الجبال شرقي موقعها السابق » . وتعطي هذه المسألة في جملة ما تعطيه مؤشرا جديدا لدخول افراد العائلـة المالكة مجـال سلب فلاحي الاغوار والعمـال الزراعيين فيه حقوقهم في الارض التي زرعوها منذ ٥٠ سنة . ومن جملة ما يذكر في هذا الصدد ان وصفي التل كان قد اقطع الشريف حسين بن ناصر عندما تولى وصفي التل الوزارة مساحة ٤٠٠ دونم في الغور الاوسط قرب جسر اللنبي غربي الكرامة ، وهذه المنطقة من اجـود المناطق الزراعية في الاغوار . وكان حسين بن ناصر قد اقطع وصفي التل مساحة ٣٠٠ دونم في الغور الشمالي قرب اربد حينما تولى الاول الوزارة عام ١٩٦٤ . كما ان هناك الكثير من الاقطاعيات لرجال الحكم وافراد من الاسرة المالكة في هذه المنطقة . وهذا كله يشير الى نتيجة واحدة ، هي ان هذه الاراضي بحاجة لمن يفلحها . فهل تتوفر الايدي الزراعية «الماهرة» من غير فلاحي المخيمات الذين سينتقلون الى هذه المناطق ؟ ان الاجابة على هذا التساؤل تشير بوضوح الى معالم هذه المؤامرة الجديدة . ويذكر بعض المطلعين على حيثيات هذا المشروع المؤامرة ان حكومة الولايات المتحدة الامريكية قد كلفت سفيرها في عمان ابلاغ الحكومة الاردنية موافقتها على تمويل هذا المشروع كاملا وبدون تحفظ وذلك قبل ان تجري بعض الامور الشكلية علـى هذا المشروع ، مثل اقراره بارادة ملكية وعرضه على المولين لاجراء مناقصة عليه .

---

(٢) كان أهالي قرية الشيخ حسين الموجودة في منطقة الاغوار قد تركوا قريتهم بعد حرب حزيران على اثر ما تعرضت له القرية مـن اعتداءات اسرائيلية . والان تحاول السلطة الاردنية اعادة سكانها المقيمين في قرى مجاورة اليها من طريق القوة . ولا شك ان الثبات في الارض والصمود بوجه العدوان ضرورة وطنية ولكنها لا تتم بغير الاقناع المستنـد الى توفـير الحماية لهؤلاء المواطنين ، لكن الذي يجري هو العكس ، حيث شاهد الاهالي تردد الجنود الاسرائيليين على بيت المختار (نهار الصالح العواد) والسهر عنده وتطمينه بضرورة احضار اقاربه لانه لن يكون هناك خطر عليهم . وحينما اشتكى هؤلاء الى السلطة رفضت شكواهم واعتبرتهم مـن المشاغبين .

ثلاثة آراء حول
مؤتمر الكتّاب والصحافيين الفلسطينيين

ثلاث وجهات نظر حول المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين ، تنشرها « شؤون فلسطينية » وهي معنية اساسا بامرين :
الامر الاول : حرصها الدائم على ان تسجل وقائع كل مؤتمر فلسطيني ، او على علاقة بالقضية الفلسطينية ، كوثيقة يمكن الرجوع اليها فيما بعد من قبل الباحثين والدارسين .
الامر الثاني : حرصها على الموضوعية في المعالجة ، هذه الموضوعية التي تستدعي ، تجاه مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، فسح المجال امام اكثر من وجهة نظر ، بسبب ما اثير حوله من انتقادات وملاحظات .
ونحن نحرص دائما على تسجيل هذه الوقائع ، حتى في زحمة الاحداث السياسية ، كي لا تضيع ، وكي لا يطغى عليها النسيان . هذا وقد كتب كل من الاخوان رايه دون ان يطلع على ما كتبه الاخران .

(١) بلال الحسن

شهدت بيروت في السادس من أيلول ١٩٧٢ انعقاد المؤتمر الاول للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، الذي اثيرت حوله قبل أن يعقد ، واثناء انعقاده ، وبعد أن انهى اعماله ، سلسلة من المناقشات والانتقادات ، كانت لهـا دوافع متناقضة .

قبل الانعقاد كانت هناك مشكلة اتحاد الكتاب الفلسطينيين القديم في القاهرة .

واثناء الانعقاد برزت مشكلة عضوية المؤتمر وطريقة تكوينه .

وبعد الانعقاد تركز النقد حول الامانة العامة الجديدة ، ومدى تمثيلها للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين .

وسنحاول هنا استطلاع الاطار العام للمناقشات التي دارت حول هذه القضايا .

اتحاد القاهرة :

من المعروف ان دائرة التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية هي التي تشرف على كسائة الاتحادات الفلسطينية ، انطلاقا من ان هذه الاتحادات تعتبر نفسها قاعدة من قواعد منظمة التحرير . الا ان العلاقة بين اتحاد الكتاب في القاهرة وبين دائرة التنظيم الشعبي لم تكن منذ البداية ، علاقة ايجابية ، ويعود ذلك الى اسباب عدة منها :

١ — ان اتحاد الكتاب في القاهرة لم يكن يمنح منظمة التحرير التأييد التي تمنحه لها الاتحادات الفلسطينية الاخرى ، بل كان على العكس من ذلك مركز تجمع لعناصر معارضة ذات دوافع لا يمكن الركون اليها .

٢ — ان عضوية الاتحاد ، كانت محدودة جدا ، بحيث يصح التساؤل اذا كان هذا الاتحاد يمثل الكتاب الفلسطينيين ام لا !

٣ — ان نشاطات الاتحاد كانت شبه مجمدة ، حتى يمكن القول انه لم يكن له وجود فعلي .

وفي عام ١٩٧٠ حاولت دائرة التنظيم الشعبي تشكيل اتحاد جديد للكتاب والصحفيين الفلسطينيين وجرى تشكيل لجان تحضيرية في اكثر من بلد عربي، بل ان انتخابات جرت في عمان لهذا الغرض ، ثم ما لبثت دائرة التنظيم الشعبي أن اتخذت قرارا بالغائها . ومع بدايات عام ١٩٧٢ برزت الفكرة من جديد ، واتخذت دائرة التنظيم الشعبي ، ودائرة الاعلام في المنظمة قرارا بتشكيل لجنة

تحضيرية مهمتها الاعداد لعقد مؤتمر عام .

هل كان هذا القرار يعني حلا للاتحاد القديم في القاهرة ؟ لقد نشرت رسميا معلومات تقول ان قرارا بالحل قد اتخذ ، ثم تمت اجراءات تدل على العكس . خبر الحل نشرته جريدة فتح بعد وفاة السيد خيري حماد الأمين العام للاتحاد . والاجراءات التي تدل على عكس ذلك ، تمت حين اعتبر اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة اعضاء في اللجنة التحضيرية لعقد المؤتمر الجديد، وذلك بعد مناقشة جرت في اللجنة التحضيرية ، رأى فيها اعضاء اللجنة ان مهمتهم ليست هدم اتحاد موجود ، بل بناء اتحاد يعبر فعلا عن القاعدة العريضة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين. وقد استجاب لهذه الدعوة عدد من اعضاء الامانة العامة لاتحاد القاهرة ، بينما رفضها عدد اخر منهم . الذين استجابوا للدعوة شاركوا في الجلسات الاخيرة للجنة التحضيرية ومناقشاتها . والذين رفضوا الدعوة ، عقدوا المؤتمر الثالث لاتحاد الكتاب في القاهرة ، وانتخبوا السيد « عوده بطرس عوده » امينا عاما جديدا ، وذلك في شهر آب الماضي .

وقبل أن يعقد المؤتمر العام الجديد في ٦ ايلول ، جرت محاولة أخيرة لحل الخلاف القائم ولكن السيد عوده رد على هذه المحاولة برسالة الى اللجنة التحضيرية يعلن فيها انه لا يعارض عقد مؤتمر بيروت اذا اقتصر على ان يكون مؤتمرا للصحفيين الفلسطينيين ، على أن يبقى اتحاد القاهرة اتحادا للكتاب . ولكن هذا الاقتراح رفض ، وتقرر عقد المؤتمر بتاريخه المحدد ، على أن يكون مؤتمرا للكتّاب والصحافيين ، يستمد شرعيته من قاعدته العريضة ، ومن اعتراف منظمة التحرير به .

اللجنة التحضيرية :

وهنا لا بد ان نقف قليلا عند أعمال اللجنة التحضيرية لنقيم ما انجزته بصدد التحضير للمؤتمر. لقد بذلت اللجنة جهدا ملحوظا لاعداد الوثائق الاساسية اللازمة لمؤتمر تأسيسي ، وأجرت الاتصالات اللازمة مع الاتحادات المماثلة ، عربيا ودوليا ، لتشارك في المؤتمر . واتخذت تجاه بعض القضايا الاساسية ، قرارات واعية ، كان أبرزها موضوع العضوية . ففي هذا الموضوع خرجت اللجنة عن الاعتبارات التقليدية ، واقرت شروطا نضالية للعضوية تمثلت في بندين :

البند الاول : فتح مجال العضوية امام العاملين في مؤسسات حركة المقاومة الاعلامية ، البعيدين عن الضجيج ، وغير المعروفين على صعيد الصحف والاعلام العلني والتجاري .

والبند الثاني : فتح مجال العضوية امام العرب العاملين في أجهزة الاعلام الفلسطينية انطلاقا من أن الانتماء للعمل الوطني الفلسطيني هو انتماء نضالي ، وليس انتماء بالجنسية فقط .

وعند مناقشة الاعتبارات التي ستحكم تشكيل الامانة العامة للاتحاد أقرت اللجنة التحضيرية ، انه لا بد من مراعاة التوزع الجغرافي للكتاب والصحفيين الفلسطينيين كما لا بد من مراعاة التيارات السياسية بين صفوفهم ، ولكنها أقرت قبل ذلك كله ، ان عنصر الكفاءة لا بد ان يكون المقياس الاول سواء في مراعاة موضوع التوزع الجغرافي ، او التيارات السياسية .

ولكن اللجنة التحضيرية ارتكبت في المقابل خطأين أساسيين :

الخطأ الاول : تمثل في مستوى الابحاث التي اعدت للمؤتمر ، والتي لم يجر التفكير فيها الا في آخر لحظة ، بحيث جاءت هذه الابحاث، السياسية منها والادبية ، ادنى بكثير مما هو مطلوب من مؤتمر تأسيسي للكتاب والصحفيين ، يفترض فيه أن يكون قاعدة للتوجيه والتطوير ، وليس مجرد اداة لتكرير الافكار الشائعة . ولم يكن ليليق بالمؤتمر ان يكون التقرير السياسي الوحيد الذي طرح فيه للمناقشة متخلفا مثلا عن التقرير الذي قدم للمؤتمر الشعبي الفلسطيني .

الخطأ الثاني : تمثل في رضوخ اللجنة التحضيرية لضغوط المنظمات ، وقبولها تشكيل لجنة خماسية تمثل منظمات اللجنة التنفيذية ، للبت في عضوية المؤتمر ، وفي الواقع فان تشكيل هذه اللجنة وتحديد مهمتها ، تم باتصالات فردية ، ومن وراء ظهر اللجنة التحضيرية . وما عرف عن مهمتها من قبل اعضاء اللجنة التحضيرية، انها جاءت للمساعدة فقط وحتى أسماء اعضاء هذه اللجنة الخماسية ، لم تكن معروفة لعدد كبير من اعضاء اللجنة التحضيرية ، بل أن بعض اعضاء اللجنة التحضيرية لم يكن يعرف بوجودها أصلا .

على يد اللجنة الخماسية ، التي شكلت للمساعدة كما قيل ، تم اعداد لائحة العضوية ، وهنا بدأ

الاشكال الحقيقي حول المؤتمر . فقد انطلقت هذه اللجنة من المبدأ النضالي الذي أقرته اللجنة التحضيرية والقائل بحق العاملين في أجهزة الثورة الاعلامية بالانضمام الى عضوية الاتحاد والمؤتمر، لتجعل منه بابا للتنافس البعيد عن الروح النقابية السليمة ، وغير الحريص على بنية الاتحاد الداخلية ، فقد كان هم ممثلي المنظمات ان يحصلوا على أكبر عدد من الاصوات التي تمثلهم في المؤتمر، سواء أكانت هذه الاصوات تنطبق عليها شروط العضوية ام لا ، ولذلك شهدت قاعة المؤتمر حشدا كبيرا من أعضاء المنظمات لا يمتون بصلة الى عالم الكتابة ، بكافة أشكالها . وكان لا بد لهذه القضية الهامة والاساسية ان تعكس نفسها على كافة اعمال المؤتمر ، على مستوى مناقشاته، ثم على طبيعة تشكيل الامانة العامة ، واخيرا على اسلوب انتخابها . ومنذ اللحظات الاولى لانعقاد المؤتمر ، كانت طبيعة تشكيله ونمط العضوية فيه ، حديث الجميع ، ومركز الاستقطاب في انتقاداتهم . ونتيجة لهذا الجو السائد ، فقد تركز اهتمام عدد كبير من أعضاء المؤتمر على مناقشات لجنة النظام الداخلي ، وحاولوا جهدهم اعادة صياغة البنود التي تتعلق بعضوية الاتحاد بصورة دقيقة تضع حدا لاي تلاعب بها في المستقبل يخرجها عن حدودها النقابية السليمة ، على أن تكون من اولى مهمات الامانة العامة بعد انتخابها، اعادة النظر بعضوية الاتحاد بناء على شروط العضوية المقرة .

الامانة العامة :

واذا قفزنا عامدين عن مستوى المناقشات التي تمت في المؤتمر ، وعن مستوى التوصيات التي اتخذت، لنصل مباشرة الى قضية الامانة العامة ، فسنجد أنفسنا مباشرة ، امام القضية التي كادت ان تفجر المؤتمر ، بسبب الافق الضيق الذي عولجت به سياسيا ونقابيا . فكما تحكمت لجنة الخمسة التي تمثل المنظمات بعضوية المؤتمر ، تحكمت مرة اخرى بتشكيل الامانة العامة . فقد التقت هذه المنظمات ، واتفقت فيما بينها على أمانة عامة مشكلة من خمسة عشر عضوا ، كان واضحا تماما أنها اختيرت بناء على قاعدة واحدة ، هي توازن القوى (قوى الاصوات) بين المنظمات ، دون أن تأخذ بعين الاعتبار نوعية المؤتمر ، كمؤتمر للكتاب والصحفيين ، ودون أن تلتزم بالقرار الذي اتخذ في اللجنة التحضيرية ، والذي ينص على أن تكون الكفاءة هي المقياس الذي يعتمد في الحوار حول طبيعة تشكيل الامانة العامة للاتحاد . والقاعدة التي اتبعت في تشكيل الامانة العامة كانت كما يلي: حدد لكل تنظيم ان يعين عددا من اعضائه حسب نسبة اتفق عليها ، وان يعين بالاضافة الى ذلك مستقلا يختاره هو . ولما كانت التنظيمات لا تملك بين اعضائها او بين المستقلين المقربين اليها اسماء تتمتع بالكفاءة اللازمة ، فقد جاء تركيب اللائحة معبرا عن توازن القوى التنظيمي ، وبعيدا كل البعد عن التعبير عن الكتاب والصحفيين. ولتوضيح الجو العام الذي ساد في مناقشات الكواليس ، يكفي أن نذكر ان لجنة الخمسة ناقشت لمدة طويلة ترشيح الشاعر محمود درويش للامانة العامة ، ثم كان قرار الاغلبية بالرفض ، وخلت القائمة من كتاب وصحافيين مرموقين لانه لم يوجد تنظيم يقترح ترشيحهم . وبناء لذلك تشكلت القائمة المقترحة على الشكل التالي :

— ٣ اعضاء لفتح ومستقل تختاره .

— ٢ اعضاء للصاعقة ومستقل تختاره .

— عضو واحد لكل من الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية ، اضافة الى مستقل تختاره .

— عضوان من المستقلين .

وقد أثار تشكيل هذه القائمة ، ضجة واسعة في اوساط المؤتمر ، وتمثل الرد عليها بتقديم قائمة اخرى ، تجمع بين اسماء الكتّاب الفلسطينيين المعروفين ، وأسماء ممثلي المنظمات ، لتحقق تزاوجا بين العامل السياسي والعامل النقابي في تشكيل أي مؤسسة نقابية ، كما تمثل الرد عليها بترشيحات فردية اخرى . ولكن كان واضحا بشكل مسبق أن القائمة المقرة من قبل المنظمات هي التي ستفوز بحكم طبيعة تشكيل المؤتمر التي تحدثنا عنها ، وبالفعل فقد فاز بالانتخابات ١٣ عضوا من أصل ١٥ من اعضاء القائمة ، ولم يفز من الاسماء المرشحة خارجها الا غانم زريقات والدكتور أنيس صايغ (وحل محمود درويش محل بلال الحسن الذي انسحب من القائمة) .

وقبل أن تعلن نتائج الانتخابات بصورة نهائية تبين أن المنظمات بالرغم من اتفاقها على قائمة موحدة ، الا أنها قامت بعملية تلاعب على بعضها

البعض ، أدى الى سقوط ممثلتي الصاعقة الثلاثة ، وكان من الواضح ان اعلان القائمة بهذا الشكل سوف يثير ازمة سياسية بين المنظمات ، قد لا تقتصر على الاتحاد ، لتسحب نفسها على مجالات اخرى للوحدة الوطنية . ولحل هذه الاشكال تصرفت بعض جهات المؤتمر على الشكل التالي :

١ — طلبت من السيد رشاد ابو شاور ان يسحب ترشيحه ليفوز مكانه السيد فايز تنديل من الصاعقة ، الموازي له بالاصوات .

٢ — طلبت من الدكتور انيس صايغ ان يعلن استقالته !! ليصبح في القائمة فراغ يسمح بادخال ممثل آخر للصاعقة . وقد أعلنت استقالة الدكتور انيس صايغ ، رغم انه رفض الاستقالة . ثم طلبت من السادة عبدالله حوراني، وزهدي النشاشيبي، سحب ترشيحهما (وكان ترتيبهم بالاصوات يلي آخر الناجحين) حتى يفسحوا المجال لنجاح السيد عبد الرحمن غنيم ، كممثل للصاعقة .

وقد رفضت الصاعقة هذه التسوية ، واعتبرتها مهينة لها ، وأصدرت بناء على ذلك بيانا يعلن انسحابها من الامانة العامة ، ثم قيل ان اللجنة التنفيذية شكلت لجنة للمصالحة ، قررت الصاعقة على اثرها أن تعود وتسهم في عضوية الامانة العامة للاتحاد . ونتيجة لكل هذه الاشكالات لم تعلن رسميا حتى الان اسماء اعضاء الامانة العامة ، ولا تشكيلاتها الداخلية التي تمت بعد الاجتماع الاول الذي عقدته ، والتي انتخب فيها السيد ناجي علوش أمينا عاما للاتحاد .

ملاحظات لا بد منها :

لقد تعمدنا حتى الان ان نقف عند الوقائع ذات الدلالة ، وان نسردها كما حدثت بكل ما يترتب عليها من تقييمات . الى جانب الوقائع لا بد من وقفة قصيرة لمناقشة بعض الحجج التي اثارتها الاشكالات التي احاطت بهذا المؤتمر .

ومن أهم هذه الاشكالات قضية البنية النقابية للاتحاد . فهناك تيار داخل المؤتمر هلل للوضع الذي ساد انطلاقا من القول بأن المهمة النقابية هي مهمة سياسية بالدرجة الاولى ، وان الالحاح على الجانب النقابي يقود الى الغرق في النضال المطلبي « الاقتصادي » الذي يبعد النقابة عن المجرى الثوري للنضال . وفي ظروف العمل النقابي الفلسطيني ، فان التركيز على الجانب السياسي فيه ، ضرورة يفرضها الواقع النضالي اليومي . وينطلق أصحاب هذا التيار من هذا الرأي ليبرروا تصرف المنظمات الذي تم سواء في تشكيل المؤتمر أو في انتخابات الامانة العامة . ولكن هذا المنطق السليم نظريا (والمأخوذ من الكتب باتقان) يتجاهل اوليات العمل السياسي للنقابة او الاتحاد ، سواء كان اتحادا للكتّاب او العمال او الطلاب ، هذه الاوليات التي تفرض ، يكون هناك **جسم نقابي** اولا ، حتى يستطيع هذا الجسم النقابي ان يناضل من أجل مهمات سياسية محددة، وان يكون نضاله حين يتم تعبيرا عن قطاع اجتماعي معين ومحدد وصاحب مصلحة في تشكيل الاتحاد ومواقفه السياسية . أما حين يتم بناء الاتحادات بطريقة فوقية من جهة ، وحسب شروط لا تبلور جسما نقابيا يعبر عن قطاع اجتماعي محدد من جهة اخرى ، فان الوصول الى النضال السياسي المطلوب من النقابة او الاتحاد يصبح مطلبا عزيزا لا يمكن نواله . ونجد انفسنا في النهاية امام قيادة عليا (أمانة عامة أو أي اسم آخر) لا تمثل الا نفسها ، ولا تعبر في مواقفها السياسية الا عن اجتهادات أعضائها . وحين اباحت المنظمات لنفسها أن تشكل عضوية الاتحاد والمؤتمر بطريقة لا تمت الى النقابية بصلة ، حكمت على النضال السياسي المطلوب من الاتحاد ان يكون نضال بيانات تعبر عن اشخاص الامانة العامة ، لا نضال مواقف تعبر عن قطاع اجتماعي يلتف حولها .

وهذه الظاهرة في العمل النقابي التنظيمي ، تكاد أن تكون ظاهرة عامة وهي تعبر عن نفسها بمظهر بسيط يتكرر باستمرار ، حين يكون عدد المنتخبين في كل اتحاد من الاتحادات الفلسطينية يفوق المئات بينما لا يتجاوز عدد العاملين فعلا في هذه الاتحادات اشخاصا معدودين . واذا كان هذا المنهج قد فرض نفسه حتى الان على الاتحادات الفلسطينية الاخرى فقد كان المطلوب بداهة ان يكون اتحاد الكتاب والصحفيين ، اي الاتحاد الذي يفترض فيه ان يكون مركز التوجيه والتثقيف الجماهيري ، ميدانا لبلورة تجربة نقابية سليمة تكون قدوة للاتحادات الفلسطينية الاخرى ، تسعى للنسج على منوالها ، حتى يمكن الارتفاع بمستوى العمل النقابي الفلسطيني . ولكن الذي حدث ، كان تكريسا للتقاليد السائدة ، وارتياحا لاساليب العمل التي تنتجها . وتحت ستار الضرورات

السياسية جرى اغتيال الاوليات النقابية ، التي لا يمكن لعمل سياسي ان يعيش بدونها .

ومن الاشكالات الاخرى التي اثارها المؤتمر قضية « الكفاءة » . فقد برز تيار يقول أن هناك من يتحمس للكفاءات مأخوذا بعنصر الشهرة فقط متجاهلا التيار الواسع من الكتاب الثوريين غير المعروفين على نطاق جماهيري وأن امانة عامة تتشكل من الكفاءات هي أمانة عامة لا تعمل . لقد اراد هذا التيار في مناقشاته ان يضع الكفاءة مقابل الثورية وان يوجد بينهما تناقضا مبدئيا ، وهو منطق اضعف من أن يناقش او ان يرد عليه ، خاصة في ميدان الكتابة ، وكأن هناك من يريد ان يحكم سلفا على أن كل كاتب فلسطيني استطاع ان ينتزع اعترافا بكفاءته ، وان يحقق عن طريق هذه الكفاءة شيئا من الشهرة ، هو كاتب فقد ثوريته ، بل أنه يقف عقبة أمام نمو اجيال جديدة من الكتاب والصحفيين. ولعل افضل ما ينقض هذه الحجة المناقشات التي جرت في الكواليس مع ممثلي المنظمات وركزت على اهمية الجانب السياسي في تكوين الامانة العامة ، بل على أهمية ان تكون الاغلبية فيها للمنظمات ، شرط أن يتوفر في عضوية الامانة العامة عدد من الكتاب والصحفيين الذين تؤهلهم كفاءتهم وان يؤهلهم التزامهم الوطني لاحتلال هذا المنصب ، ولكن هذا الاقتراح رفض امام صراع التوازن بين المنظمات الفدائية ، التي كانت منشغلة بالجانب (التنظيمي) ، وليس السياسي ، في تشكيل الامانة العامة .

اقتراح اخير :

على ضوء هذه الصورة لواقع المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، لا نستطيع ان نجد مخرجا لازمته الا بالعمل على تحقيق الامور التالية :

اولا : ان تتحول الامانة العامة المنتخبة الى لجنة تحضيرية لمؤتمر عام جديد .

ثانيا : ان تعيد الامانة العامة ، بعد أن تتحول الى لجنة تحضيرية ، النظر في عضوية الاتحاد ، مطبقة في ذلك شروط العضوية المحددة كما أقرتها لجنة النظام الداخلي .

ثالثا : ان تجري الدعوة لعقد مؤتمر ديمقراطي ، في وقت قريب ومناسب . تتحقق فيه الشروط النقابية للعضوية، حتى يصبح للبحث في الاعتبارات السياسية ، التي لا يجوز انكارها ، معنى ثوري حقيقي .

وبدون ذلك ، فان المؤتمر الذي عقد ، والامانة العامة التي انتخبت ، لا تعبر عن الكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وهي امانة عامة مطعون بشرعيتها ، قبل أن يكون هناك طعن بكفاءتها في تمثيل هذا القطاع الفلسطيني الهام .

(٢) شفيق الحوت

ثلاث ملاحظات وأربع نتائج !!

الثورة ، اية ثورة ، هي في الاساس رفض للواقع ، يتم التعبير عنه بأسلوب ثوري قادر على تجاوز الواقع المرفوض ، وتحقيق « واقع » جديد اكثر ملاءمة وتطابقا مع اهداف الثوار .

والثورة عملية مستمرة ومتصاعدة ، بمعنى أنها ترفض — كذلك — الوقوع في أسر منطق مرحلة من مراحلها وتكريسه منطلقا خالدا وواقعا دائما .

فمثلا ، اذا كان التعدد في فصائل الثورة قد اعتبر ظاهرة صحية في مرحلة من مراحل النضال ، فهذا لايعني التمسك بهذه المقولة عن هذه « الظاهرة الصحية » الى أبد الابدين ، وتكريس التعدد بناء عليها . بل أن ما يمكن اعتباره في مرحلة ما ظاهرة ايجابية ، قد يصبح بعد تطور ظروف النضال السياسية ظاهرة سلبية ، وربما قاتلة .

وهذا ليس « اختراعا » ثوريا جديدا نحاول ادعاءه او فرضه ، بل ان هذا في حقيقة الفكر الثوري ليس سوى بديهية اولية في ابجدية «النظرية والتطبيق» في الكفاح الثوري .

وعندما نسلم بهذه البديهية ، ولا خيار لاحد الا التسليم بها ، فاننا عندئذ نستطيع ان ننقد اي جانب من جوانب نشاطنا بايجابية الثوار ، وبابتعاد كامل عن العواطف الشخصية ، فردية كانت ، ام تنظيمية ، وبالتالي تكون بنقدنا هذا ادينا واجبا ثوريا مطلوبا من كل عامل في الثورة ، مهما كان موقعه فيها .

بهذا المنظار وهذه الروحية ، فاننا نتعرض للمؤتمر العام لاتحاد كتاب وصحفيي فلسطين وما ترتب عليه من نتائج ، بهدف تطوير اجهزة منظمة التحرير الفلسطينية والارتقاء بها شيئا فشيئا الى المستوى الثوري المنشود .

ان جميع المعنيين بشؤون التنظيمات السياسية ، والثورية منها بشكل خاص ، يعرفون تمام المعرفة ان الهدف الاساسي من انشاء الاتحادات المهنية والنقابية والتنظيمات الشعبية ، هو استقطاب أوسع القواعد الشعبية — وبشكل خاص غير الملتزمة بتنظيمات سياسية محددة — الى الاطار السياسي العام الذي تقوده تلك التنظيمات تحت راية الثورة . لانه من طبيعة التنظيمات السياسية،

ولا سيما الثورية ، بسبب ظروف النضال السري، ان تكون محدودة العدد . وكي تنتشر رسالتها الثورية بين الجماهير ، التي هي اولا واخيرا اداة الثورة الراسخة ، فان الاتحادات المهنية والشعبية وجدت لتقوم بهذه المهمة الثورية الاساسية .

هذه كذلك ، بديهية اخرى من بديهيات النضال التنظيمي ، التي لا يختلف عليها اثنان ، واي ممارسة تناقض هذه البديهية تسيء من غير شك للثورة ولا تعطي الا مردودا سلبيا .

فماذا جرى بالنسبة لاتحاد كتاب وصحفيي فلسطين، على ضوء هذه البديهية التنظيمية ؟

وسنوجز في ملاحظاتنا لسببين ، رغم الحاح الحاجة للتفصيل .

الاول : ان « شؤون فلسطينية » طلبت الايجاز وحددت مساحة التعليق .

الثاني : أن الكثير من التفاصيل المطلوبة ليست سرا على احد ومعروفة بشكل او بآخر للمهتمين بشؤون الاتحاد .

● الملاحظة الاولى : ان قضية الاتحاد « السابق » بقيت ولا تزال معلقة من حيث الغاؤه او الابقاء عليه . وهذا تقصير من قيادة المنظمة التي كان عليها أن تحسم بالقضية تلافيا للبلبلة والازدواجية. ومما زاد في القضية تعقيدا ان في قيادة المنظمة تناقضا في الموقف حول هذا الموضوع وصل حد المكاتبات الرسمية المتناقضة .

● الملاحظة الثانية : ان قيادة المنظمة ، ممثلة بمن مثل المنظمات المتعددة — اللجنة التحضيرية — لجأ في طرحه لموضوع انشاء الاتحاد الجديد الى الاسلوب التقليدي الذي شل او يكاد ، كل الاتحادات التابعة للمنظمة . وهو الاسلوب التوفيقي ، الذي يركز على المنظمات وتمثيلها ، ضاربا بعرض الحائط الاغلبية الساحقة من غير المنتمين تنظيميا ، والملتزمين بالثورة من ابناء الشعب .

● الملاحظة الثالثة : وبسبب الاسلوب التوفيقي اولا ، وانطلاقا من فقدان الثقة بين المنظمات ، فقد عمدت اللجنة التحضيرية لتنسيب اعضاء

للاتحاد بالجملة ودون اي اعتبار لشروط العضوية، مما افقد الاتحاد قيمته النوعية . والنوعية في اتحاد كاتحاد الكتاب قضية اساسية لا يمكن التهاون فيهـا .

وقد شهد المؤتمر ، لهذا السبب ، مآسي مخزية بالفعل أثارها جهل العديدين من الحاضرين ، بشكل لا يليق ابدا بسمعة شعبنا وثورتنا .

من هذه الملاحظات الموجزة جدا ، يستطيع الواحد ان يتنبأ مسبقا بما سيترتب ، وترتب بالفعل ، من نتائج . وهي بايجاز أيضا :

اولا : ان الاتحاد الجديد ، بدل أن يستقطب المزيد من القاعدة المثقفة خسر تلك القلة التي كانت فيه بعد ان أحس الجميع بأن المؤتمر ، لـم يعد مؤتمرا مفتوحا للكتاب ، بقدر ما هو مؤتمر لكوادر المنظمات ، رفع عليه يافطة تقول انه مؤتمر للكتاب والصحفيين .

ثانيا : ان الامانة العامة التي انبثقت عنه اصبحت معزولة منذ تشكيلها [ولا اقول انتخابها والكل يعرف لماذا] فوقعت في المطب الذي كانت تأخذه على الامانة السابقة ، رغم حرمان تلك الاخيرة من الكثير من حقوقها على المنظمة .

ثالثا : جاء المؤتمر الاخير كدليل جديد ، يعكس أزمة الثورة المزمنة ، في موضوع علاقات المنظمات مع الجماهير وعناصر الثورة من غـير المنتمين والملتزمين في اطارها العريض .

رابعا : كشف المؤتمر ــ ولعـل هـذه أحدى ايجابياته ــ اخلاقية بعض العاملين في الثورة من المثقفين البورجوازيين الذين يمارسون عكس مـا يزعمون لانفسهم من مواقف ثورية . اذ اتضح منذ اليوم الاول للمؤتمـر ان كل هـذا التجمع ليس الا « ديكورا » لاسباغ الشرعية على عدد من الافراد كقادة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . وقد كان ذلك بارزا بشكل خلا حتى من « اللياقة » مما اساء الى العديد من كتابنا وادبائنا من ابناء الرعيل الذي سبقنا في حمل المشعل ، مما اعطى المؤتمر والمؤتمرين صفة لا تجوز من عدم الوفـاء والتقدير لمن يعمل في قضية بلاده .

خامسا : كذلك كان من الطبيعي بعد عزل غير المنتمين والاتفاق على لائحة « الكوتا » ان يقـع التناقض بين ممثلي المنظمات انفسهم . وهـذا ما حدث ، وعلمه لدى الجميع، الامر الذي فجر ما تبقى من نتائج المؤتمر .

سادسا : من هذا كله ، وعودة الـى البديهتين اللتين اشرنا اليهما نجد أن ما مارسته « اللجنة التحضيرية » قد جاء مناقضا لكل النتائج المرجوة من المؤتمر ، واضافت الى سلسلة الاتحادات التي تعاني من مثل هذا التركيب اتحادا جديدا هو ما يسمى بـ « اتحـاد الكتـاب والصحفيـين الفلسطينيين » . .

ما العمل ؟

لا حل الا بالعودة الى الجوهر وطرح السـؤال الثوري :

ــ لماذا نريد الاتحاد ؟ ومن هم الذين نريـد استقطابهم لتوسيع وتعميق دائرة الاتصال بين الثورة والجماهير .

هذا بالطبع ان اردنا اتحادا للشعب ، لا للمنظمات او الافراد .

(٣) ناجي علوش

حول المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

بيروت ٦ — ١٩٧٢/٩/٩

عقد مؤتمر عام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين في بيروت ما بين السادس والتاسع من أيلول سنة ١٩٧٢ . وقد حضره نحو ٣٠٠ اديب وصحفي من لبنان وسورية ومصر والعراق والكويت . ومع أن الدعوات وجهت الى كتاب وصحفيين في ليبيه وتونس والجزائر والمغرب ، الا انه لم يأت أحد من هناك .

وكان معظم الحاضرين من سورية ولبنان ، لانهما يضمان أكبر تجمعين للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

وكان الداعي الى عقد المؤتمر خلق مؤسسة للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ترعى شؤونهم وتنظم علاقاتهم ، وتزيد من فعالية مساهماتهم في خدمة القضية الفلسطينية .

ومع انه كان هنالك اتحاد للكتاب الفلسطينيين ، عقد مؤتمرين ، فان عدد الذين شاركوا في المؤتمرين كان ضئيلا اذ حضر الاول المنعقد في غزة سنة ١٩٦٦ اثنان وثلاثون شخصا فقط ، وحضر الثاني المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦٩ سبعة عشر شخصا فقط ، ولذلك ظل اتحاد الكتاب السابق ضعيفا، وظل مقطوع الصلة بالقاعدة . أما هذا المؤتمر فقد جاء اضخم مؤتمر للكتاب والصحفيين فعلا وشارك فيه عدد لا بأس به من الكفاءات الفلسطينية التي عودتنا دائما عدم حضور المؤتمرات المماثلة ، وخاصة مؤتمري غزة والقاهرة .

ولا بد لنا في البدء من ان نشير الى ان هذا المؤتمر يختلف عن المؤتمرين السابقين في أن الذين حضروه ليسوا ادباء فقط ، بل ادباء وصحفيون . وان كان الصحفيون الذين حضروه لا يشملون كل العاملين في الحقل الصحفي ، كما تفعل نقابات الصحفيين ، بل شمل العاملين في التحرير منهم فقط .

وقد حاول بعض الذين رأوا هذا العدد الكبير ان يسخروا من الحاضرين ، فسماهم البعض «قراء». وكان هذا التهجم ينطلق من منطلقين :

الاول : نظرة متعالية لا تعتبر اديبا او صحفيا الا اولئك الذين عرفوا واشتهروا ، اي وجاهة الادباء والصحفيين .

الثاني : نظرة ضيقة مسبقة ترفض ان تعترف بأن المؤتمر مؤتمر للادباء والصحفيين ، وتصر على ان المؤتمر مؤتمر ادباء ، مع أن اسمه المؤتمر العام للكتاب والصحفيين .

وما أود ان اؤكده ، وما ستؤكده الايام المقبلة هو أن عدد الادباء والكتاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر من المشاركين في المؤتمر كثيرا .

ولقد كان من أهم اهداف المؤتمر :

١ — خلق مؤسسة توحد الكتاب والصحفيين وترعى مصالحهم ، وتزيد من مساهمتهم في خدمة قضيتهم.
٢ — تحديد موقف الكتاب والصحفيين الفلسطينيين في هذه المرحلة ، من القضايا الاساسية المطروحة عليهم ، وخاصة القضايا السياسية والمهنية .
٣ — توفير الفرصة لتعارف العدد الاكبر من الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ولتفاعلهم . ٤ — انتخاب أمانة عامة تمثلهم وتعبر عن تطلعاتهم ومطامحهم .

ولقد تشكلت لجنة تحضيرية ، مهمتها الاعداد للمؤتمر ، مكونة من واحد وعشرين عضوا ، هم : غسان كنفاني ، محمود درويش ، شفيق الحوت ، عبد الكريم الكرمي ، ماجد ابو شرار ، فريد الخطيب ، د. نبيل شعث ، ابراهيم العابد ، بلال الحسن ، ناجي علوش ، مازن البندك ، انيس الخطيب ، حنا مقبل ، خالد علي مصطفى، هارون هاشم رشيد ، خالد ابو خالد ، غطاس صويص ، غانم زريقات ، عودة بطرس عودة ، د. نادرة السراج ، محمد زهدي النشاشيبي . وروعي في تشكيل اللجنة التحضيرية ان تمثل اجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة ، وان تضم عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار . وحين بدأت اللجنة التحضيرية تجتمع اكتشفنا أن نصابنا لا يزيد دائما عن النصف زائد واحد ، الكل موافق على اللجنة التحضيرية ، ولكن الذين يحضرون ليسوا جميع الأعضاء . وكان هنالك من حضروا

جلسة او اثنتين ثم غابوا ، مثل بلال الحسن ومحمود درويش والدكتور نبيل شعث . كما كان هنالك من لم يحضروا قط مثل شفيق الحوت وعودة بطرس عودة وعبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) . وسارعت اللجنة التحضيرية في اعمالها يحدوها أمل في أن تعقد مؤتمرا نموذجيا ، ولكن اقتراب موعد المؤتمر كان يكشف كل يوم امورا جديدة منها :

اولا : لم يكن هنالك استعداد للمساهمة في كتابة الابحاث . لقد اعتذر الدكتور نبيل شعث عن كتابة بحث عن الاعلام ودوره في معركة التحرير واعتذر محمود درويش عن بحث وعد بكتابته حول دور الكلمة في الارض المحتلة يوم كان يجب ان يسلمه ، ولم يجب عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) على رسائلنا بضرورة كتابة دراسة عن دور الكاتب الفلسطيني في المعركة . وهذه مجرد امثال .

ثانيا : واخذت اللجنة التحضيرية ولجنة العمل المنبثقة عنها تحس أنها وحدها تعمل ، وان الجميع متفرجون ، المؤتمر ليس له علاقة بهم . واخذت اللجنة التحضيرية تعمل وتعد فلا تجد مساعداً او معينا . وحتى الذين طلبت منهم مساعدتها في أعمال الأعداد والاستقبال لم تجد منهم حماسة او اندفاعا، ولم يشاركوا كما يجب ان يشاركوا .

ثالثا : وحين اقترب موعد المؤتمر بدأت المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر . وطالب آخرون بضمانات تقنعهم بان اللجنة التحضيرية غير متحيزة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس أن المؤتمر سيجهض قبل ان يبدأ . وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة اعمالها ، كي لا تنحرف او تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دورا في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها ، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها .

رابعا : وكان هنالك اتجاه يرى ان اهم ما في موضوع المؤتمر هو قضية الامانة العامة . ولذلك حاول التركيز عليها ، واهمل ما دونها . بينما كنت أنا شخصيا ارى ان قضية الامانة العامة قضية مهمة ،-ولكن هناك قضايا لا تقل اهمية ومن هذه القضايا : قضية الحوار والتفاعل داخل المؤتمر ، قضية النظام الداخلي الذي سيقره والقرارات والتوصيات التي سيتخذها .

ولقد كاد التركيز على قضية الامانة العامة ان يفجر المؤتمر قبل بدايته . كما كاد ان يفجره منذ اول ايام انعقاده . ولذلك حاولنا جهدنا أن نمنع اثارة القضية قبل يوم الانتخابات حتى لا ينفجر المؤتمر قبل انجاز مهماته .

خامسا : وحين بحثت قضية الامانة العامة كنت ارى انه من الضروري ان تتكون امانة عامة تتسم بالكفاءة والقدرة على العمل والالتزام بالقضية الوطنية ، على ان تمثل الاتجاهات الوطنية المختلفة، وتعبر عن مصالح القواعد ومطامحهم . وكنت ارى ان الامانة العامة لا يجوز ان تكون « كوتا » للمنظمات ، كما لا يجوز ان يستثنى من عضويتها المناضلون من الكتاب والعاملين في الصحافة والاعلام، على ان يتم ذلك باعتبار الصفة الشخصية لا التنظيمية . ولكن المنظمات ضغطت باتجاه اخر . وكانت القائمة التي سميت قائمة الوحدة الوطنية ، والتي كنت عضوا فيها ، والتي دافعت عنها ، وناضلت من اجل انجاحها رغم عدم قناعتي الكاملة بها . ولكن ترشيح القائمة اثار موجة من التذمر بين فئتين : الاولى : تمثل بعض المستقلين الذين لم يجدوا لهم مكانا في القائمة ، ولم يرضهم تكوينها . الثانية : من قواعد المؤتمر التي كانت مطامحها اكبر من القائمة ، وكانت تريد ان تخرج أمانة عامة لا وجوه تقليدية فيها .

ولذلك رشحت قائمتان منافستان لقائمة الوحدة الوطنية ، الاولى ، قائمة شفيق الحوت التي ضمنها بعض اسماء من القائمة الاولى ، والثانية قائمة الشباب الذين رشحوا افرادا ، مثل رشاد أبو شاور ، وغانم زريقات ، عبد الكريم عبد الرحيم واخرين ممن اعلنوا انسحابهم ، والذين كانوا يدعمون بعض اعضاء القائمة الاولى أيضا. وبينما كانت الفئة الاولى تريد امانة تضم اسماء اكثر بريقا ولمعانا ، كانت الفئة الثانية تريد أمانة اقرب الى القواعد بمجموعها ، واكثر تعبيرا عن خط سياسي جذري . وجاءت الانتخابات واذا بالفئة الاولى تقتحم لائحة الوحدة الوطنية بالدكتور انيس صايغ الذي لم يحضر ولم يشارك بسبب اصابته . كما ان الفئة الثانية اقتحمت القائمة بغانم زريقات ورشاد ابو شاور.ومرت قائمة الوحدة الوطنية باثني‌عشر عضوا.هل كان من‌الخطأ ان‌ترشح قائمة ؟ هذا اسلوب الانتخابات في كل مكان . وهو

اسلوب لا يتعارض مع الديمقراطية ، ويساعد في الوقت ذاته على نجاح مجموعة متعاونة متفاهمة او على قدر من التعاون والتفاهم. بعد هذا كله هل نجح المؤتمر ؟

لقد نجح فعلا ، لانه استطاع ان يخلق مؤسسة جديدة هي اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ولكن هذا النجاح كان يمكن ان يكون اكبر لولا مجموعة من العوامل : اولها : عدم مشاركة عدد من اعضاء اللجنة التحضيرية في اعمالها . وكانت مشاركة هؤلاء ستزيد من نجاحات المؤتمر في كل المجالات . ثانيها : عدم اهتمام الكتاب والصحفيين باعداد الدراسات اللازمة ، والوثائق اللازمة ، الضرورية للارتفاع بمستوى المؤتمر . ثالثها : اضطرار المشرفين على المؤتمر ان يلغوا الندوات العلنية ، وان يختصروا المناقشات بسبب الامن ، ذلك ان عملية ميونيخ اوجدت جوا كان يستدعي شيئا من احتياطات الامن اثرت على عدم الالتزام بالبرنامج المعلن .

وبعد هذا كلــه فان قرارات المؤتمر السياسية والاعلامية والمهنية تحدد خطا سليما وصحيحــا يهتدي به الكتاب والصحفيون الفلسطينيون فــي المرحلة المقبلة .

ولقد جسد الكتــاب والصحفيون الفلسطينيــون، باشراكهم الكتاب والصحفيين العرب ، العاملين مع المقاومة ، في المؤتمر ، التلاحم الحقيقي بين الثورة الفلسطينية والمثقفين العرب. ولقد توجوا هذا كله بانتخاب الاخ موسى شعيب الشاعر والمناضــل اللبناني عضوا في الامانة العامة . ان هذا نصر كبير . وهو بادرة خيرة في المؤسسات الفلسطينية . ولكن انجازات المؤتمر كلها كادت تغيب في الضباب الذي احدثته نتائج الانتخابات ، وفي البيانات التي انطلقت تهاجم من هنا وهناك . ان المؤتمر لم يكن نموذجيا كما أردنا ، بسبب تقصير المتفرجين منا ، وبسبب الوضع الفلسطيني العام والعلاقات بين المنظمات وبين المنظمات وبعض المستقلين . ولكن المؤتمر ما كان يمكن ان يكون اكثر نجاحا في وضع مثل هذا الوضع . ومقدار نجاحه او فشله ستبرزه أمانته العامة الجديدة ، خلال الاشهر المقبلة .

رسالة من خالد محي الدين : رد على مقال
« مؤتمر بولونيا للسلام والعدل في الشرق الاوسط »

يهمني في ردي على تعليق السيد احمد خليفة كي يتوضح الامر للقارىء العربي ان تنشر أغلب الوثائق المرفقة او الجزء الاغلب منها اذ انني سوف احيل في كثير من ردي الى هذه الوثائق . الوثيقة الاولى(١) : وهي الاعلان الصادر عن الاجتماع التحضيري الاول « للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط روما ١٩ — ٢٠ ابريل ١٩٧١ » لانه الاساس السياسي للمؤتمر . والوثيقة الثانية(٢) : هي بيان اللجنة الايطالية عن الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم ١ — ٢ مارس ١٩٧٢ — والصادر في ٧٢/٣/٣ . والوثيقة الثالثة « هي ردي على مجلة الحوادث على ما نشر فيها في عدد ١٩٧١/١٢/١٧ وقد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية في ١٩٧٢/١/٢١ — وأهميتها انها توضح الخطوات التي تمت ووجهة نظري الخاصة ووجهة نظر حركة السلام المصرية في الامر وهذا الرد كان سابقا على الاجتماع التحضيري الثاني الذي لم يتم . الوثيقة رقم « ٤ »(٣) هي رسالة موجهة مني للسيد جيدوفانتي رئيس اللجنة الايطالية للمؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط ردا على صورة رسالة وصلت الي فيها رأي اوري افنيري عن المؤتمر نشر اغلبها في مجلة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية وقد طلبت من السيد جيدوفانتي ان يحولها الى كل من يهمهم الامر في كل البلاد ردا على رأي اوري افنيري ، بجانب انني ارسلت منها نسخا عدة الى كل حركات السلام الاوروبية والعربية — وكانت باللغة الانجليزية والفرنسية وبتاريخ ١٦ يونيو ١٩٧٢ — وفيها أوضحت رأيي في كل ما جاء على لسان أوري افنيري في مجلة « هاعولام هازيه » او غيرها عن المؤتمر ، وفيها رد على كثير من النقاط التي اوردها السيد احمد خليفة في تعليقه على المؤتمر والذي اعتبر ان ما نشر في الصحافة الاسرائيلية هو فقط الصحيح . والوثيقة رقم « ٥ »(٤) هي التقرير السياسي الذي قدمته للمؤتمر السنوي للمجلس المصري للسلام — بصفتي سكرتيرا عاما للمجلس المصري للسلام — والذي ناقشه المجلس في اجتماعه السنوي ١٧ — ١٨ مايو ١٩٧٢ وحضر الاجتماع ممثلو عديد من حركات السلام من البلاد الاشتراكية والاوروبية والعربية وخاصة لجنة السلام الفلسطينية . وأهمية هذا التقرير انه يعكس وجهة نظرنا في كل القضايا السياسية الخاصة بحل أزمة الشرق الاوسط وهو الرأي الوحيد الذي نلتزم به امام حركة السلام المصرية وكل جماهير شعبنا . وكذلك الوثيقة رقم « ٦ »(٥) وهي البيان السياسي الذي نلتزم به وليس هناك من خط سواه . والوثيقة رقم « ٧ »(٦) وهي اجتماع حركات السلام العربية في القاهرة في يوم ١٩ مايو سنة ١٩٧٢ . والوثيقة رقم « ٨ »(٧) قرار حركات السلام العربية بخصوص « المؤتمر العالمي للعدل والسلام في الشرق الاوسط » .

كنت أود قبل ان ينشر السيد احمد خليفة رأيه عن مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط ان يرسل الينا طالبا الوثائق ورأينا في توضيح عدد من النقاط وذلك كي يكون تعليقه شاملا كل الجوانب — او كان ينشر فقط رأي الدوائر الاسرائيلية في المؤتمر — اما وقد ادخل رأيه في الامر فكان من الواجب سماع وجهات النظر الاخرى حتى يكون التعليق شاملا لكل جوانب الصورة .

لسنا ملزمين بأي رأي ينشر في الصحافة الاسرائيلية . ان ما يلزمنا هي وثائق الاجتماعات الخاصة بالمؤتمر والآراء التي نشرناها نحن او صدرت منا . اما تفسير الصحافة الاسرائيلية فعلينا ان نطلع عليه وتضعه في الاعتبار ولكن لا نعتبر انه هو الشيء الوحيد الصحيح — (في

صفحة ٦٩ من عدد شؤون فلسطينية حزيران ٧٢ — راي افنيري في وثيقة اللجنة الايطالية وهي الوثيقة رقم « ٢ » يقـول « انجاز كبير وخطـوة هامة للامام على طريق تحقيق السلام في المنطقة لانـه لاول مرة تنشر وثيقة بموافقة العرب تقرر بشكـل واضـح انه سيتم لقاء وجها لوجه بـين عـرب واسرائيليين ») .

ونرجو الاطلاع على الوثيقة رقم « ٢ » وهي وثيقة اللجنة الايطالية فليس فيها ما يشير الى اجتماع وجها لوجه بين عرب واسرائيليين — بل هي تعبير عن اجتمـاع عالمي لكل القـوى المؤيدة للبيـان السياسي ١٩ — ٢٠ ابريل ١٩٧١ (وهي الوثيقة رقم « ١ » **التي تعمل لتحضير المؤتمر والتي تبذل قصارى جهدها لحشد الراي العام العالمي مـن اجل اقامة السلام الدائم والعـادل في الشرق الاوسط** . وهذا وارد في نهاية الفقرة الثالثة من هذه الوثيقة رقم « ٢ » . هو اذا اجتماع عالمي لكل القوى المؤيدة للبيان السياسي (الوثيقة رقم « ١ ») بما في ذلك تلك القوى في اسرائيل . وذلك من اجل الضغط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الاوسط . وحتى يكون ثمة ضغط لا بد من مواجهة جميع وجهات النظر بعضها ببعض . وهذا وارد في الفقرة الاخيرة في الوثيقة رقم (١) ونحن نوردها كما هي « وتختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يختص باولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهـة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدعـم الضغـوط في اتجـاه تسوية عادلـة في الشرق الاوسط » . هو اذا اجتماع عالمي لكل القوى في كل البلاد التي تؤيد بيان روما ١٩ — ٢٠ مـارس سنة ١٩٧١ « **الوثيقة رقم « ١ »**. **ولا بد من مواجهة كل وجهات النظر حتى يتم الضغط والتعبئة العالمية من اجل تسوية عادلة ولا يستثنى من ذلك تلـك القوى المؤيدة لهذا الاتجاه في اسرائيل** » .

لقد أوضحـت في ردي على « مجلة الحـوادث » الوثيقة رقم « ٣ » هذا الرأي — وكذلك الوثيقة رقم « ٤ » وهي رسالتي للسيد جيدوفانتي رئيس اللجنة الايطالية ردا على ما نشره اوري افنـيري النائب بالكنيست الاسرائيلي — لقد اوضحت في هذه الرسالة رأينا فيما يسمى اللقاء وجها لوجه بـين العرب والاسرائيليين او مناقشة مباشرة او حوارا مباشرا او اجتماعا مباشرا — وخاصة في الصفحة الاولى فيها — وهذا رد قاطع على استفسارات السيد احمد خليفة — فلم يدر بخلدنا على الاطلاق ان هذا الاجتماع يهدف الى لقاء عربي اسرائيلـي انما هو اجتماع عالمي يهدف الى تعبئة الراي العام العالمي من اجـل التوصل الى تسويـة عادلة في الشرق الاوسط على اساس بيان روما الوثيقة رقم « ١ » .

أما عـن رأي الاستاذ احمـد حمروش في المؤتمر والذي نشر في مجلة روز اليوسف ١٩٧٢/٢/٢١ — وصحيح ان الاستاذ احمد حمروش عضو في حركة السلام المصرية ، ولكن السيد احمد حمروش ليس له اي علاقة بالاتصالات الخاصة بعقد المؤتمر — فهو يعبر عن رأيه . وان كانت الامانة تستدعـي قراءة رأيه متكاملا (وراي الاستاذ حمروش فيما يسمى بقوى السلام الاسرائيلية على ما اظن هو ما ورد في مقالته المذكورة : تلك القوى التي تعارض مبدأ ضم الاراضي الى اسرائيل وتؤيد حقوق شعب فلسطين) . وعلى العموم ، فقد قام السيد عبد الرحمن الشرقاوي بالرد على رأي الاستاذ حمروش مخالفا رأيه في عدد ١٩٧٢/٢/٢٨ ، العدد التالي من روز اليوسف ، والسيد عبد الرحمن الشرقاوي عضو في حركة السلام المصرية ايضا . ان رأينا قد نشر في مجلة الحوادث اللبنانية عدد ٧٢/١/٢١ وكذلك في ردنا على السيد اوري افنيري في رسائلنا للسيد جيدوفانتي الوثيقة رقم « ٤ » .

كل هذه الوثائق ارسلت لجميع حركات السـلام العربية ولكل وكالات الانباء والصحف المصريـة ، ولسنا مسؤولين عن عدم النشر . والمؤكد ان حركة السلام الفلسطينية لديها نسخ منها جميعا ، وحركة السـلام الفلسطينيـة تابعـة لمنظمة التحريـر الفلسطينية ، فليس هناك ما يخفى علـى الجماهير العربية . ولذا يهمنا ان تنشر شؤون فلسطينية كل هذه الوثائـق او اهم اجزائها كي تطلع عليهـا الجماهـير العربية . وردي في مجلة الحـوادث اللبنانية كان واسع الانتشار في مصر ولبنان والعالم العربي وكـان من الواجب علـى مجلـة شؤون فلسطينية نشره كاملا لاهميته بالنسبة للمؤتمر . ولو كان هناك سرية او شبه سرية لما نشرت ردي في مجلة الحوادث اللبنانية ، ولو كان هنالك اتجاه للسريـة لمـا نشر احمـد حمروش رأيه في روز اليوسف . ولا قام عبد الرحمن الشرقاوي بالرد عليه علنا . اما عـدم النشر فتسأل عن ذلـك الصحافة العربية عامة ، فليس هنـاك تآمر ولا

سرية على الاطلاق . وجميع هذه الوثائق مطبوعة وموزعة .

بقيت كلمة خاصة باللقاء مع الاسرائيليين. والحقيقة ان هذا الاجتماع ليس اول اجتماع عالمي يوجد فيه العرب والاسرائيليون ويناقش قضية الشرق الاوسط. ففي اجتماعات مجلس السلام العالمي « بودابست ١٩٧١ » والتجمع العالمي للسلام في برلين ١٩٦٩ — في لجنة الشرق الاوسط ، يوجد مندوبون عرب واسرائيليون ، وتتناقش في اللجان ، وكل يعبر عن وجهة نظره . ثم يكون بيان اللجنة التي تضم وفود كل البلدان ، وفي هذه الاجتماعات يتناقش المندوبون العرب بمن فيهم المندوبون الفلسطينيون مع بعض المندوبين الاسرائيليين — ولكن لم يعتبر بتاتا ان هذا لقاء عربي اسرائيلي او مواجهة عربية اسرائيلية او حوار مباشر . ان وجود مندوبين من اسرائيل في اجتماع عالمي يؤيدون عدم ضم الاراضي ويعترفون بحقوق الشعب الفلسطيني لهو مكسب ضخم ومؤثر في الرأي العام العالمي — وهذا هو عملنا وجهدنا — وهذا العمل وهذا الجهد لا يمنعان القيام بجهود اخرى عسكرية او فدائية في مجالات اخرى ونحن لا نقف امامها او نعرقلها ، لكن نضع في الاعتبار فقط ان الراي العام العالمي قوة كبيرة لا يجوز اهمالها ، فمن يكسبها يكسب المعركة السياسية .

أما عن اشتراك اللجنة الاسرائيلية في جميع الترتيبات التحضيرية للمؤتمر ، وان تبقى اللجنة الايطالية على اتصال دائم باللجنة الاسرائيلية لمؤتمر بولونيا ، فالوثيقة رقم « ٢ » في الفقرة الثالثة توضح اولا ان اللجنة الايطالية ستوجه الدعوات لجميع البلدان . وثانيا انها ستفعل ذلك بالتعاون والتشاور مع كل اللجان التي ستنشأ لهذا المؤتمر في كل البلدان وهذا امر طبيعي — ولكن الدعوات ستوجهها اللجنة الايطالية . وفي الوثيقة رقم (٢) الفقرة الرابعة والاخيرة ما يوضح قبول اللجنة الايطالية لاقتراح ضم ممثلي بلاد اخرى للجنة من بينها فرنسا والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وممثلي بعض المنظمات الدولية وهي « مجلس السلام العالمي ومنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا واتحاد الشباب الديموقراطي العالمي والاتحاد العالمي لجمعيات الامم المتحدة » — وهذه اللجنة ستقوم بالبت في كل القرارات الفنية والتنظيمية للمؤتمر — واهم قرار هو اسماء المدعوين من كل البلاد — وقد تقرر استبعاد مندوبي اسرائيل والبلاد العربية من هذه اللجنة . أي أن اللجنة الايطالية بعد أن ينضم اليها ممثلو عدد من البلاد والمنظمات العالمية دون اسرائيل والبلاد العربية هي التي ستقرر كل الاجراءات .

ولقد رفضنا اجتماع روما التحضيري الثاني كما كان متوقعا لاننا نرفض أن يكون لاسرائيل رأي في المدعوين . ولقد اوضحنا للجنة الايطالية بوضوح أن هذا سيكون موقفنا في المؤتمر اذا شعرنا أن هناك محاولة لدفع عناصر مشبوهة اسرائيلية لحضور المؤتمر . وممثلو فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ومجلس السلام العالمي ومنظمة التضامن الاسيوي الافريقي واتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ، وهم اعضاء اللجنة التنظيمية التحضيرية الدولية التي ستعقد اجتماعها في سبتمبر ١٩٧٢ ، كلهم يعرفون رأي المندوبين العرب في الوفد الاسرائيلي ويعرفون جيدا رأينا في طبيعة المؤتمر وهو ما اوضحته في الوثيقة رقم « ٤ » . ويحسن في هذا الامر ايضا الرجوع الى تقرير الاستاذ محمد صبيح ممثل فلسطين في منظمة التضامن الاسيوي الافريقي وهو الذي حضر اجتماع روما الثاني مارس ٧٢ لمعرفة موقفنا بوضوح . وكذلك كان يحسن سؤال الجامعة العربية عن تقرير مدير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع روما الثاني مارس ١٩٧٢ وهاتان الوثيقتان مهمتان جدا ويمكن لكل لجان التضامن الاسيوي الافريقي العربية بما في ذلك لجنة التضامن الاسيوي الافريقي الفلسطينية ان تطلب نسخة من تقرير الاستاذ محمد صبيح للاطلاع عليه ونشره . وكذلك لا بد ان تكون قد وصلت صورة من تقرير مكتب الجامعة العربية في روما عن اجتماع مارس التحضيري الثاني والبيان الذي صدر منه ، الى جميع ممثلي الدول العربية في الجامعة العربية .

اما عما يسمى برنامج قوى السلام المصرية في مؤتمر بولونيا وهو الكراس الذي نشرت جريدة الاونيتي ملخصا له ، فان السيد احمد خليفة اعتمد بدوره للاسف في تلخيص افكاره عن هذا الموضوع على صحيفة عل همشمار (١٩٧٢/٣/١٩) . وكان الواجب ان يحاول السيد احمد خليفة ان يطلع على نسخ جريدة الاونيتي وما نشر فيها وهل ذكرت جريدة الاونيتي نفسها ان هذا التقرير هو تعبير

من آراء بعض الاوساط الماركسية القريبة من خالد محي الدين في مصر — اذا كانت جريدة الاونيتي قد ذكرت ذلك فهذا مهم لان ذلك يضعنا في موقف ادانة سياسية لكاتب المقال في الاونيتي، فكيف تقوم جريدة مثل الاونيتي الايطالية بنشر افكار تدعي انها افكار اوساط قريبة من خالد محي الدين ، دون ان تسالني انا شخصيا في هذا الامر . والمسؤولون السياسيون في جريدة الاونيتي **يعرفون جيداً رأيي انا ورأي حركة السلام المصرية بوضوح فليس لنا رأي سري نخشى نشره ، والاوساط الماركسية في مصر كلها لها رأي واضح في ذلك الامر ، ولم نسمع بتاتا عن مثل هذا الكراس .**

ان حركة السلام المصرية حركة علنية تنشر كل آرائها بعلنية حتى تلك التي تخالف فيها رأي الحكومة المصرية ، ولقد اصدرت حركة السلام المصرية عديدا من البيانات التي تختلف عن موقف الحكومة المصرية ونشرتها . والخط السياسي لحركة السلام المصرية يعرض في مؤتمراتها السنوية والتقارير والبيانات الخاصة بها توزع على كل الصحف المصرية وترسل لجميع حركات السلام العربية .

وانصح في هذا الامر ان يستمع الى رأينا في الموقف في الشرق الاوسط في الوثيقتين رقم « ٥ » و « ٦ » واللتان تبينان ان اعداد شعبنا للمعركة الشاملة وتعبئة كل الطاقات العربية هو الوسيلة الفعالة لتحرير الارض . ونحن نرفض كل الحلول الاستسلامية . ولم ندخل في نقاش المعركة التقليدية او غير التقليدية ولا مسالة السلام الشعبي . صحيح اننا نعتقد ان مؤتمرا مثل مؤتمر بولونيا ، كتجمع عالمي ، يمكن ان يساعد على تعبئة عالمية مفيدة ولكن لم نتخيل لحظة انه يمكن ان يكون بديلا عن كل طرق الكفاح الاخرى العسكرية والسياسية ولا يمكن ان نتصور ان العمل العسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون الشكل الوحيد للكفاح على الجبهات الاخرى ، ولا يمكن ان نتصور انه حتى العمل العسكري على الجبهة المصرية يمكن ان يكون له شكل واحد محدد . ان حركة السلام المصرية لها هدف محدد محلي وعالمي هو ان تعبىء شعبنا مع كل شعوب العالم ضد العدوان الاسرائيلي سياسيا ، وهذه خطوة كبرى تساعد على استمرار الكفاح على كل الجبهات الاخرى العسكرية والسياسية والاقتصادية المحلية والعالمية . وهذا واضح في الوثيقتين رقم « ٥ » و « ٦ » ونطالب بسرعة الاستعداد وبتعبئة شعبنا سياسيا وعسكريا وكل طاقات الامة العربية ، فان تعبئة الرأي العام العالمي الى جانبنا يجب ان يسير في خط واحد مع اعداد شعبنا للمعركة .

هذا ما يلزمنا — وليس لنا رأي علني واخر سري — وموقفنا من قرار مجلس الامن وحقوق شعب فلسطين واردة في الوثيقتين « ٥ » و « ٦ » بوضوح . وهذا الرأي تلناه علنا امام ندوة فلسطين في فبراير ١٩٧١ في الكويت واثار على ثائرة الكثيرين . هذا هو رأيي قلته في كل مكان : ان قرار مجلس الامن وكل قرارات الامم المتحدة هي وسيلة تمكننا في المجال العالمي من اكتساب الرأي العام العالمي الى صفنا ، واننا نعتبر ان هناك معركة عاجلة وهي ضرورة هزيمة العدوان القائم . وان على كل الجهود ان توجه الان لهزيمة العدوان القائم . فاذا لم تستطع هزيمة العدوان القائم فلن تستطع هزيمة العدوان السابق — اذا لم تهزم عدوان ١٩٦٧ لن تستطيع هزيمة عدوان ١٩٤٨ — هذا الراي لم نخفه في اي اجتماع علني عالمي او عربي او محلي.ان التزامات الدول العربية الدولية غير التزام الثورة الفلسطينية . ولا نعتبر ان تطبيق قرار مجلس الامن ، لو قدر له ان ينفذ ، سيكون نهاية المطاف في صراعنا مع اسرائيل . ولن ينفذ قرار مجلس الامن او اي قرار اخر بدون قوة البلاد العربية وقوة الثورة الفلسطينية — اي قوة حركة التحرير العربية وخطها السياسي التكتيكي والاستراتيجي . ان استمرار النضال ضد الامبريالية والصهيونية هو منهاج استراتيجي لحركة التحرر العربية .

والغريب ان يتخذ من كراس ذكر انه موزع بطريقة سرية نقطة اتهام لبعض الاوساط الماركسية والسلامية المصرية صاحبة السجل النظيف في كفاحها ضد الامبريالية والصهيونية . ان حركة السلام المصرية كانت القوة الحقيقية وراء المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية الذي عقد في القاهرة والذي تولى رئاسته السيد أنور السادات وكنت سكرتيره العام ، وفي هذا الاجتماع تمكنت الثورة الفلسطينية من عرض رأيها امام اكبر تجمع عالمي لنصرة العرب . وحركة السلام المصرية وحركة ذات احترام عالمي كبير لان آراءها معروفة ومحددة لا نخفيها . فليس لنا رأي علني عالمي واخر محلي — او ما يسمى للاستهلاك

المحلي — رأينا واضح جدا في كل المؤتمرات الدولية والعربية . وقد يختلف معنا البعض ولا ندعي اننا دائما على صواب . ولكن مكانة حركة السلام المصرية عالميا جاء من خطها الواضح المستقيم واحترام الجماهير المصرية لها ايضا جاء من وضوح موقفها مما يسمى بالسلام والنضال ضد العدوان الاسرائيلي على بلادنا .

ان المسافة بين بيروت والقاهرة ليست بعيدة وكان بالامكان الحصول على آرائنا والتعرف عليها من وثائقنا ومواقفنا ، دون اللجوء الى معرفة موقفنا من جرائد العدو . ولعلني بذلك أكون قد قمت بالرد على اغلب النقاط والاسئلة التي طرحها السيد احمد خليفة من اجل الحقيقة .

---

١ — استعرضت الوثيقة تدهور الموقف في الشرق الأوسط واقترحت « الدعوة الى مؤتمر عالمي للسلام والعدل في الشرق الأوسط يدعى للمشاركة فيه جميع الذين يهمهم مناقشة امكانات التوصل الى تسوية بالوسائل العلمية وابرزها: انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها منذ حرب ١٩٦٧ ، والتنفيذ الكامل لقرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة في ٤ نوفمبر ١٩٧٠ بجميع بنودهما كخطوة اولى في اتجاه تحقيق الامن والاستقلال لجميع دول المنطقة وشعوبها ، وايضا التنفيذ الكامل للحقوق العادلة للشعب الفلسطيني والضمانات الممكنة من اجل تسوية دائمة تكفل مصلحة ووجود الجميع » وقالت الدعوة في ختامها « تختلف وجهات نظر الكثيرين فيما يختص بأولويات هذه المسائل . ان مناقشة ومواجهة جميع وجهات النظر ببعضها يمكنها فقط ان تدعم الضغوط في اتجاه تسوية عادلة في الشرق الأوسط » .

٢ — ذكر بيان اللجنة الايطالية للمؤتمر الدولي للسلام والعدل في الشرق الاوسط انه « على ضوء تفاقم الازمة مؤخرا في الشرق الاوسط كانت هناك رغبة مشتركة في عقد مؤتمر السلام والعدل في الشرق الاوسط في بولونيا في ايطاليا خلال هذا العام وذلك على اساس القاعدة السياسية التي وضعت في الاجتماع التحضيري الذي عقد في روما في ابريل ١٩٧١ . وقد اتفق ... على تكليف اللجنة الايطالية بارسال الدعوات للاشتراك في مؤتمر بولونيا لجميع قوى السلام في البلاد والمشار اليها سابقا [الجزائر ، مصر ، العراق ، لبنان ، سوريا ، بلجيكا ، فنلنده ، فرنسا ، بريطانيا ، يوغسلافيا ، المانيا الديمقراطية ، المجر ، الاتحاد السوفياتي] وفي البلاد الاخرى ، وذلك بالتعاون والتشاور المباشر مع اللجان والمنظمات القومية التي تعمل لتحضير المؤتمر والتي تبذل قصارى جهدها لحشد الرأي العام العالمي من اجل اقامة السلام الدائم والعادل في الشرق الاوسط ... » .

٣ — الرسالة تحمل تاريخ ١٩٧٢/٦/١٦ وهي توضح ان مؤتمر بولونيا « في جوهره مؤتمر عالمي لتعبئة القوى التي تريد حلا سلميا لكن عادلا في الشرق الاوسط وجمعها معا ... ومن هذا المنطلق فان المؤتمر ليس ذريعة — ولا يمكننا ان نتصور ان يكون — لتمكين طرفي النزاع من « الجلوس سويا » فان هذا ليس هدف المؤتمر وليس هو النتيجة المتوقعة من المؤتمر... وان حقيقة كون اوري افنيري يؤكد على تصوير المؤتمر وكأنه مؤتمر سوف يجلس فيه الطرفان سويا .. [هذه الحقيقة] مرفوضة بقوة ، لانها انحراف عن خط مؤتمر كهذا وعن اهدافه » وتمضي الرسالة فتقول « ان اجتماع مثل هذا المؤتمر لا يمكن ان يكون بين فرقاء محايدين فان المحتلين لا يسعهم ان يكونوا حياديين تجاه المعتدين ولا يسعهم الا ان يدينوا العدوان حتى اولئك [المثلين] من جبهة المناضلين من اجل السلام في البلد المعتدي ... ومن سوء الحظ ان اوري افنيري أبعد من أن يتتبع هذا المبدأ » وترد الرسالة على بعض الموضوعات التي يطرحها افنيري وتؤكد مرة اخرى ان المؤتمر هو « لتعبئة الرأي العالمي من اجل حل سلمي وعادل وان هذه التعبئة تشمل جميع البلدان دون استثناء » كما تؤكد الرسالة موافقتها على « وجود ممثلين عن القوى الاسرائيلية التي هي ضد العدوان ، والتي تدين السياسة العدوانية المستمرة للحكومة الاسرائيلية ، والتي ترفض قبول الضم ، والتي تكافح من اجل انسحاب اسرائيل من جميع الأراضي المحتلة منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ ، والتي تقبل بصراحة اعلان روما السياسي في ١٩ ، ٢٠ نيسان ١٩٧١ وتناضل من اجل قبوله كاملا » . وتضيف

الرسالة « اننا نرفض وجود ممثلين عن الاحزاب المشتركة في الحكومة الاسرائيلية . ونحن لا نعارض وجود موفد اسرائيلي بصفته الخاصة بشرط الا يأتي ممثلا عن حزب مابام مثلا او اي من اجنحته وبشرط الا يكون شخصية قيادية في ذلك الحزب ، لان صبغته القيادية هي جزء من شخصيته حتى لو ادعى انه قادم بصفة شخصية » . وقالت الرسالة « ان عدد اعضاء الوفد الاسرائيلي ينبغي ان يكون مساويا ولا يزيد عن عدد اعضاء الوفد الفلسطيني » .

٤ ــ الجزء من التقرير المتعلق بالوضع العربي «يلاحظ عددا من التطورات المهمة الايجابية والسلبية على السواء ، فاسرائيل ... تزداد عزلة ... وان الخط السياسي العاقل والمتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية كان واحدا من العوامل الإيجابية التي اسهمت في التوصل الى هذه النتيجة ... [كذلك يلاحظ] بارتياح التنامي المتزايد للقدرة القتالية المصرية ... ولقد كان قيام الاتحاد بين مصر وسوريا وليبيا ...تعبيرا عن تصميم الامة العربية على مواجهة حاضرها ومستقبلها موحدة ... ونلاحظ ان العلاقة المصرية السوفياتية تتعزز وتتقدم ... وعلينا ان نعي ضرورة تعزيز الصداقة المصرية السوفياتية ... وفي الجانب الاخر من الصورة نلاحظ ان اعداء الامة العربية ينشطون نشاطا جريئا ... كانت نقطة البدء فيه هي المذابح الوحشية التي دبرت ضد المقاومة الفلسطينية والتي لعب فيها النظام الاردني دور الجلاد الشرس ... ثم بعد ذلك الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على لبنان والتي تبدو كجزء يتمم للمؤامرة يستهدف عزل لبنان عن الصف العربي وتصفية المقاومة الفلسطينية في اراضي لبنان واخيرا هناك مشروع الملك حسين الذي لا يمكن وصفه بأكثر من انه الترجمة العربية لمشروع الون » ويتحدث التقرير عن « دعاوى تتخذ من طول امد المعركة سبيلا للتشكيك في قدرتنا على خوضها ، وهي تعلن بغير خجل ان حل الازمة في يد امريكا وان علينا ... ان نتقدم خطوة وخطوات نحو من في يده الحل » ويستعرض التقرير التجارب مع امريكا ويقول « ان امريكا تريد منا موقفا معتدلا ولا تقاربا . انها تريد اعادة مصر الى دائرة نفوذها ، تريد سلب استقلالنا وحريتنا ومواردنا واسواقنا... لقد حددت امريكا موقفها نهائيا كطرف اصيل في النزاع » . ثم يتحدث التقرير عن قرار مجلس الامن ٢٤٢ ويقول « ان مصر بقبولها قرار مجلس الامن تنطلق من مطلبين اساسيين أ ــ ضرورة الانسحاب الكامل ... ب ــ ضمان الحقوق القومية للشعب العربي الفلسطيني ... وان رفض قرار مجلس الامن ينبع من عدم تصور حقيقة توازنات القوى القائمة ولا ينظر لاية اتفاقات دولية نظرة مستقبلية ، بمعنى انه ينظر للنصوص في صورة جامدة حبيسة للتصورات القائمة الان [و] دون ان يدرك ان كل شيء مرهون اولا واخيرا بقدر ما نستطيع ان نحشد من قوة وطاقة وعزم لنضعه ثقلا لصالحنا في كفة ميزان القوى المتصارعة » ويطلب التقرير « ان نعمل جميعا من اجل تحقيق الهدف وهو ازالة العدوان الاسرائيلي وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره مستخدما كل الوسائل التي يراها ملائمة لتحقيق هذا الهدف » . ويضيف التقرير « اننا نعتبر كفاح الشعب الفلسطيني جزءا من حركة التحرر العربية وهو جزء لا يتجزأ من حركة التحرر العالمية ضد الاستعمار ... لذلك سيظل شعبنا وكل الشعوب العربية تساند كفاح الشعب الفلسطيني بكل الوسائل وتحت كل الظروف حتى يستطيع هذا الشعب ان يقرر مصيره على ارضه ، لانه بدون ذلك سيظل سلامنا وسلام المنطقة مهددا باستمرار » وقال « نحن انصار السلام المصريين نرى ان ازالة اثار عدوان ١٩٦٧ هي المعركة العاجلة ، ذلك ان هزيمة العدوان وعدم تمكين المعتدي من تحقيق اي كسب من عدوانه هي نقطة البدء الاولى والضرورية للتوصل الى حل عادل للقضية الفلسطينية » .

٥ ــ جاء في البيان السياسي للمجلس المصري للسلام في مؤتمره الرابع في ١٧ و ١٨ مايو ١٩٧٢ في القاهرة تاكيد للنقاط الواردة في التقرير السياسي الوارد تلخيصه في الحاشية رقم ٤ اعلاه فقد انتهى رأي المؤتمر الى « ان الخط السياسي المتزن الذي اتبعته جمهورية مصر العربية ... قد اثبت في مواجهة الصلف الاسرائيلي فعاليته ونجاحه . فاسرائيل تزداد عزلة على النطاق العالمي » والى « ان التمسك بالشرعية الدولية ، والمطالبة المستمرة بتنفيذ

قرار مجلس الامن ٢٤٢ وجميع قرارات الامم المتحدة وعلى الخصوص تلك المتعلقة بحقوق الشعب الفلسطيني في العودة الى ارضه وازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، هما الاساس في مخاطبة الرأي العام العالمي » والى « ان حتمية المعركة ... تتطلب من الحكومات والشعوب العربية حشدا جادا وحقيقيا لجميع الامكانات والجهود المادية والمعنوية، لتكون هذه الامة مستعدة للمعركة » والى «ان نضال الشعب الفلسطيني واستمراره حتى يحقق اهدافه الشريفة هو جزء من ضمير شعبنا وكل الشعوب العربية ... وان المؤتمر يؤكد ضرورة مساندة كفاح الشعب الفلسطيني».

٦ — تشمل اسماء وفود مجلس السلام العالمي وسوريا والعراق ولبنان وفلسطين واليمن والمغرب ومصر .

٧ — جاء في هذا القرار « ان اجتماع لجان السلم العربية الذي عقد في القاهرة في تاريخ ١٩٧٢/٥/١٩ بعد ان اطلع على الجهود المبذولة لعقد مؤتمر العدل والسلام في الشرق الاوسط في ايطاليا في اواخر عام ١٩٧٢ تحت شعار تطبيق قرار مجلس الامن والجمعية العامة للامم المتحدة والانسحاب التام من الاراضي العربية المحتلة والتطبيق الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني يؤيد النشاط الذي تبذله في هذا السبيل اللجنة الايطالية للمؤتمر واللجنة التحضيرية الدولية ، ويعتبر ان عقد هذا المؤتمر يخدم اهداف النضال العربي ... »

تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و١٧ ايلول

هـ. أ.

في فجر السبت ١٦ أيلول تحركت وحدة آلية اسرائيلية تضم مختلف صنوف الاسلحة نواتها المدرعات والمشاة المحمولة ، واجتازت الحدود اللبنانية من ثلاث نقاط مستخدمة محاور عديسة — الطيبة — القنطرة ، وعيترون — عيناتا — بنت جبيل ، ورميش — عين ابل — بيت ياحون . « واتصلت السلطات الاسرائيلية بلجنة الهدنة وابلغتها ان هدف دخول قواتها منطقة الجنوب هو تمشيطها من الفدائيين » (النهار ٧٢/٩/١٧) ، وأعلن الناطق العسكري الاسرائيلي منذ بدء القتال بأن هدف هذه الوحدة المهاجمة القيام بأعمال «التمشيط والتطهير» ضد قواعد المقاومة المستخدمة « كأماكن تجمع وقيادة » ، ثم ربط هذا الناطق بين العمليات العسكرية وحوادث الحدود ، وأشار الى مقتل جنديين اسرائيليين في منطقة هاردوف بتاريخ ١٤ أيلول ، ومقتل جندي آخر في منطقة كفر برعم قبل عشرة ايام(١). ولم تأخذ الاوساط السياسية والعسكرية وأوساط المقاومة هذه التصريحات مأخذ الجد ، واعتبرها الكثيرون خدعة اسرائيلية تستهدف تخفيف حدة رد الفعل العالمي على هذا العدوان ، والحد من ردود فعل القيادات السياسية — العسكرية اللبنانية التي أعلنت عن تصميمها على القتال دفاعا عن الوطن مهما كان الثمن غاليا . وظهر وسط التحليلات الاولية للموقف رأيان اساسيان : يقول احدهما بأن العملية لا تخرج عن كونها ضربة موجهة الى قواعد المقاومة ، ولا تختلف عن الضربات السابقة الا بحجمها وضخامة القوة المشتركة فيها وعمق تغلغلها داخل الاراضي اللبنانية ، على حين يقول الراي الاخر بأنها عملية تستهدف احتلال جنوب لبنان حتى الليطاني ، والمساومة بعد ذلك على الانسحاب مقابل تعهد الحكومة اللبنانية بابعاد قواعد ومراكز المقاومة عن الحدود ومنعها من العمل عبرها ، ان لم يكن تعهدها بتصفية الوجود السياسي — العسكري لحركة المقاومة في لبنان كله(٢).

ويمكننا ان نؤكد بشكل قاطع على ان الراي الاول كان بعيدا عن الصواب لان طبيعة القوة المهاجمة وتشكيلها وحجمها لا تنطبق بأي شكل من الاشكال على طبيعة وتشكيل وحجم القوات المخصصة للعمل ضد العصابات ، خاصة وان قوة المقاومة الرئيسية متمركزة في المنطقة الشرقية التي تعارفت الصحافة العالمية على تسميتها باسم « فتح لاند » ، على حين أن تواجد قوات المقاومة في المناطق التي تعرضت للهجوم « محدود جدا » ولا يشمل « الا بعض القواعد الصغيرة ونقاط المراقبة التابعة لها »(٣). ومن المعروف ان العمل ضد هذا النوع من القواعد الصغيرة لا يتطلب هجوما بريا بلواء مدرع معزز بالمشاة المحمولة والمدفعية والمهندسين، وتحت تغطية جوية كاملة ، ولا يستخدم هذا النوع من المدرعات المتوسطة والثقيلة والمدفعية الثقيلة، بل يلجأ الى استخدام وحدات آلية خفيفة الحركة تضم عددا كبيرا من المشاة والقوات الخاصة ، وتعتمد قوتها النارية اساسا على الدبابات الخفيفة والمدفعية المحمولة الخفيفة ، وتطبق قبل « التمشيط والتطهير » عمليات قصف جوي تليها عمليات تطويق تنفذها قوات محمولة جوا تسيطر على المحاور الاساسية ، وتعتمد في المطاردة اساسا على وحدات محمولة بالهليكوبتر .

ومن المعروف ان عملية « التمشيط والتطهير » لا تكتفي بالسير على محاور الطرق وتدمير المقاومات وسدادات الطرق المقامة عليها ، بل تعمل على الاندفاع بعمق على الطرق لتحقيق التطويق ، ثم تبدأ تطهير الجيوب والجزر . فكيف تصرفت القوات المهاجمة ؟ لقد تمكن الرتل المتقدم على محور العديسة — الطيبة — القنطرة من اغلاق الطوق

بعد ان تقدم رتل من بيت ياحون باتجاه مجدل سلم ـ ابرنجا . ووصل الرتل المتقدم نحو الشمال الغربي الى صديقين وقانا وجويا وكان بوسعه اغلاق الطوق لو انحرف نحو الشمال الشرقي متجها الى الغندورية ـ القنطرة . ولكن هذين الرتلين بقيا طوال الليل في المواقع التي وصلا اليها ، ولم تترك المشاة المحمولة آلياتها المدرعة ولم تتسلق المرتفعات لتحقيق « التمشيط » بعد تحقيق « التطويق » . ولم تقم بأية عملية مطاردة راجلة او محمولة جوا ضد عناصر المقاومة التي لجأت حسب تكتيك العصابات الى ترك المحاور واللجوء الى المرتفعات .

اما بالنسبة لتدمير جسري الخردلي والقعقعية فقد استخدمه العدو امعانا في التضليل ، وفسره على اعتباره عملا يستهدف قطع طريق انسحاب قوات المقاومة باتجاه الداخل او باتجاه سوريا وحصر هذه القوات داخل الطوق . ولكن نظرية تطويق العصابات الصغيرة تنسف هذا الادعاء من أساسه ، فهي تؤكد على ضرورة قطع الجسور او احتلالها واغلاقها داخل اطار الطوق او على اقرب مسافة ممكنة من منطقة اغلاق الكماشة ـ اذا كانت الغاية من هذا القطع منع الانسحاب ـ والقيام بالقطع خارج الطوق على مسافة معينة اذا كانت الغاية منه منع تدفق الامدادات اللازمة لفك التطويق . فاذا ألقينا نظرة واحدة على خارطة العمليات وجدنا ان الجسور المدمرة تقع على مسافة عشرة كيلومترات خارج حدود الطوق. وهذا يعني ان الافادة من هذا التدمير لمنع الانسحاب جزئية ومحدودة . بالاضافة الى ان عمق نهر الليطاني وطبيعة ضفافيه ومبريره وضعف تياره تجعل العربات العسكرية بما في ذلك سيارات الجيب قادرة على اجتيازه من المخاضات دونما حاجة لاية جسور . وهذا يعني باللغة العسكرية ان تخريب هذين الجسرين قد يخلق أمام الوحدات العسكرية النظامية المنسحبة عاجزا متوسطا ولكنه لا يشكل أية مشكلة للعصابات التي تعتمد في تحركاتها اساسا على التنقل سيرا على الاقدام والقيام بالمسيرات الليلية الطويلة ... فهل يعقل ان نرجع كل هذه الاخطاء الى خلل في تفكير قيادة القوات المهاجمة ؟ وهل يمكن ان نتصور قائدا عسكريا يخطط لعملية بمثل هذا الحجم ثم يستخدم اداة وطريقة لا تصلحان لتحقيق الغرض الذي أعلن عنه؟ وجوابنا على ذلك هو النفي القاطع ، والتأكيد على ان ما اعلنه الناطق العسكري الاسرائيلي حول هدف العملية كان جزءا من حملة تضليل عالمية ومحلية .

ويستند الرأي القائل بأن العملية كانت تستهدف الاحتلال الى عدة حجج منها : ١) عمق الضربة وحجمها (غطى العدوان ٨٥٠ كيلو مترا مربعا وتغلغل بعمق اكثر من ٢٠ كيلومترا داخل اراضي الجنوب) ٢) حجم وطبيعة القوات المعادية المشتركة في الخط الاول والقوات الاحتياطية المحتشدة خلفها داخل الارض المحتلة لدعم الهجوم عند اللزوم وتطهير جيوب المقاومة ٣) ضرب الجسور على نهر الليطاني لمنع الجيش اللبناني من الانسحاب ، ولمنع الاحتياط الاستراتيجي اللبناني من التقدم لفك الحصار او القيام بهجوم معاكس (هنا تصبح الجسور هامة نظرا لكثرة الآليات التي ينبغي استخدامها للتموين والاخلاء) . ٤) حجم الحملة الاعلامية الديماغوجية التي شنها العدو داخل الاراضي المحتلة وفي العالم كله بعد عملية ميونيخ، واحتمال استغلال شرائح من الرأي العام الغربي الذي بدأ يؤيد اسرائيل ويشجب أعمال الارهاب ويندد بكل من يدعم حركة المقاومة او يسمح لها بالعمل على ارضه . واحتمال اعتماد العسكريين الاسرائيليين على النجاح الذي حققته الديبلوماسية الاسرائيلية لتحقيق غطاء دولي ـ امريكي بالاساس ـ لعملية احتلال دائم او مؤقت .

ولقد كان على القوات الاسرائيلية المعتدية في حالة رغبتها بالاحتلال ان تنطلق في ليلة ١٦ ـ ١٧ او في صباح ١٧ ايلول باتجاه الليطاني وان تتحرك من قانا الى صور ، ومن جويا إلى صور ، ومن جويا الى الغندورية ، ومن كفرا باتجاه البحر ، بشكل يقسم المناطق الجنوبية الى ست جزر يتم تطهيرها فيما بعد . ولكن هذه القوات وقفت في قانا بعد معركة لم تكن بالضبط معركة مدرعات ـ كما وصفت ـ بل كانت اقرب الى قتال مقاومة مختصر (مشاة وعدد من الدبابات ومدافع ضد الدبابات) ضد عدو يتقدم على محور . كما وقفت في جويا لاصطدامها بمقاومة عنيفة ابدتها مجموعات من قوات المقاومة مزودة باسلحة مضادة للدبابات ومختبئة داخل القرية . واضطرت القوات الاسرائيلية الى الاشتباك بمعركة تطهير طويلة بدأت منذ الساعة الخامسة من مساء ١٦ ايلول ولم تنته

الا في صبيحة يوم ١٧ . وبدلا من التحرك باتجاه صور والليطاني اعلن الناطق العسكري في تل ابيب في الساعة السابعة من مساء ١٦ « ان الوحدات الاسرائيلية انهت مهمتها وعادت الى اسرائيل باستثناء وحدة تقوم بعملية تطهير قرية جويا»(٤).

ومع تنفيذ الانسحاب الذي تأخر حتى مساء يوم ١٧ بسبب صعوبات اخلاء المعدات والاليات الاسرائيلية المدمرة على أرض المعركة اختلفت التساؤلات حول هدف الهجمة الاسرائيلية . وبدا عمل اللواء المدرع وكأنه عرض عضلات ، او اذا شئنا استخدام التعبير العسكري الدقيق : « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » . فهل كان هذا « العرض » مخططا من قبل ام جاء نتيجة لتبديل الخطة الاسرائيلية تحت تأثير عوامل متعددة؟ إن من المتعذر الرد على هذا السؤال في الوقت الحاضر . ولكن كثيرا من الظواهر تدفعنا الى الاعتقاد — دون جزم — بأن الاسرائيليين بدلوا خطتهم خلال سير العملية نظرا للاسباب التالية :

١ — الضغوط الدولية : اذ لم يحظ الهجوم الاسرائيلي على الاراضي اللبنانية بتأييد عدد من الدول الغربية . وخاصة فرنسا التي قام وزير خارجيتها موريس شومان باخطار السفير الاسرائيلي خلال القتال « بأن فرنسا لن تبقى في موقف اللامبالاة تجاه اي مساس بسيادة الارض اللبنانية وان القائم بالاعمال الفرنسي تلقى منذ هذا الصباح تعليمات بان يطلب من الحكومة الاسرائيلية الشروع في سحب قواتها التي توغلت في الاراضي اللبنانية»(٥). ولقد لعبت الحكومة اللبنانية ورقة الضغط السياسي منذ البداية . وصرح رئيس الوزراء اللبناني صائب سلام امام النواب في جلسة يوم السبت ١٦ ايلول بان حكومتي فرنسا وبريطانيا « تضامنتا بالعمل الحثيث القوي للضغط على اسرائيل بالانسحاب . وهما تحاولان تأليب اكبر عدد من الدول للوقوف موقفهما»(٦). وفي ندوة ١٧ ايلول الاذاعية التلفزيونية تحدث رئيس الوزراء اللبناني عن عدم وجود إتجاه لتقديم شكوى الى مجلس الامن الذي اطلق عليه لقب «حائط المبكى». وخاصة بعد الفيتو الامريكي الاخير . ثم اكد اهتمام لبنان بالاتصالات السياسية مع فرنسا وبريطانيا ، والامل الذي يعقده على هذه الاتصالات للضغط على اسرائيل بقوله « إننا لا زلنا نتحفظ بالذهاب الى مجلس الامن . وبقينا نترقب تحركات بعض الدول مثل فرنسا وانكلترا»(٧). ولم يكن موقف لندن حازما كموقف باريس ولكنه كان موقفا ضاغطا الى حد ما. وبالاضافة الى الدول الغربية فقد نددت الدول الشرقية والدول المحبة للسلام بالعدوان الاسرائيلي على لبنان ، حتى ان كورنيليومانيسكو وزير خارجية رومانيا — وهي اكثر الدول الاشتراكية تعاطفا مع اسرائيل — قد ابلغ السفير الاسرائيلي في بوخارست « بانه لم يكن هناك اي مبرر لعملية الجيش الاسرائيلي ، وانها تمس سيادة لبنان وسلامة أرضه»(٨). وبالرغم من الاتصالات التي اجراها لبنان مع واشنطن فاننا لا نملك حتى الان ما يشير الى قيام الولايات المتحدة الامريكية باي دور في مجال الضغط على اسرائيل ، ولا نتوقع ان تكون واشنطن قد لجأت الى مثل هذا الضغط حتى ولو كان هذا الضغط يخرجها جزئيا من العزلة التي وقعت فيها بعد تورطها في استخدام الفيتو في الاسبوع الماضي، وذلك لاعتقادنا بأن نيكسون عاجز عن الضغط على اسرائيل قبل ستة اسابيع من موعد الانتخابات الامريكية .

٢ — ضراوة المقاومة : لم يكن مخططو العملية ينتظرون الاصطدام بمقاومة عنيفة . وكانوا يعتقدون ان اندفاع الارتال المدرعة على الطرقات تحت تغطية مظلة جوية متفوقة بشكل حاسم سيشل كل مقاومة ويفتح الطريق بلا قتال حتى الليطاني . ولقد بنوا اعتقادهم هذا على مبدأ عسكري يقول بأن التفوق الساحق يصل بالردع الى ذروة تأثيره بشكل يشل الخصم ويخفف احتمالات عمل القوات المتفوقة الى الحد الادنى . ولكن المقاومة العنيفة التي ابدتها المخافر القتالية اللبنانية المتمركزة على الطرقات (كانت هذه المخافر مؤلفة من عدد من الدبابات المتمركزة دفاعيا ، والمدافع ١٠٦ عديمة الارتداد المضادة للدبابات ، ومجموعات من المشاة والمهندسين) ، واستناد هذه المخافر في عدد من النقاط الحساسة الضيقة الى تخريبات (نسفيات)، وصمود مجموعات المقاومة الفلسطينية — رغم صغر امكاناتها في هذا القطاع — في بنت جبيل وعيناتا ومجدل سلم والصديقة وقانا وجويا ، وعنف قصف المدفعية اللبنانية رغم تعرض مرابضها لقصف الطيران المعادي(٩)، واصدار الاوامر لقوات الجيش اللبناني المتمركزة في قطاع الهجوم والقطاع الغربي بالدفاع دون فكرة تراجع داخل جزر مقاومة حتى ولو تم تطويقها وعزلها نهائيا ، ان كل هذا قد ابطأ تقدم الاليات الاسرائيلية على المحاور ، وكبدها عددا من الخسائر ، ومنع العدو من اغلاق

الطوق بشكل كامل قبل حلول الظلام ، واعطى القيادة السياسية — وهذا هو اهم ما في الامر — الوقت الكافي لاستخدام سلاحها الديبلوماسي الى ابعد مدى . ولقد ذكر وزير الخارجية اللبناني خليل ابو حمد امام السفراء العرب في يوم ١٨ ايلول بانه لولا بسالة الجيش في التصدي للعدوان لما نجحت الضغوط السياسية التي حملت اسرائيل على التوقف والانسحاب ، وقال في معرض حديثه : « الحقيقة يجب ان تقال بأن الضغط على الدول الصديقة لم يكن ليأتي بهذه النتيجة الايجابية لولا الموقف الشجاع والجريء الذي اتخذه الجيش عندما تصدى بكل قوة لهذا العدوان»(١٠).

٣ — طبيعة الارض : يرتبط عامل طبيعة الارض ارتباطا وثيقا بحجم القوات المداهمة وخطتها ومدى استعدادها للقتال . ولقد كان على القوات الاسرائيلية التي وصلت الى قانا وجويا ان تقطع حوالي ٢٠ كيلو مترا قبل ان تصل الى البحر ، وتغلق الطوق ، وتحصر قوات الجيش اللبناني المتمركزة في القطاع الغربي وقوات جيش التحرير والميليشيا المتمركزة في الرشيدية . ولكن طبيعة الارض في منطقة رأس العين — دير قانون — عين بعل — البزورية — طير دبه — صور ، ومرور الطرقات في هذه المنطقة عبر اراض مشجرة صالحة لاخفاء الرجال والمعدات ، وشن الغارات ونصب الكمائن ، وتجمع قوات المقاومة في هذه المنطقة بعد انسحابها من القطاع الاوسط اثر معارك قاتلت فيها وفق تكتيكات حرب العصابات ، وبشكل جعل الضربة الاسرائيلية « تقع في فراغ »(١١) جعل القوات الاسرائيلية تقدر طبيعة المقاومة الشرسة اليائسة التي يحتمل ان تلاقيها ، وتحجم بالتالي عن متابعة التقدم ليلا نحو الغرب بدون دعم الطيران الذي تبقى امكانات دعمه الليلي محدودة رغم قدرته على اضاءة ساحة المعركة الى حد ما .

ولا يمكن تقييم نجاح العملية وفشلها بالنظر لما حققته من دمار وخسائر وما تعرضت اليه من ضربات . والتقييم الحقيقي لا يتم الا ضمن اطار تحديد هدف العملية . فان كانت عملية تستهدف الاحتلال والضغط فهي عملية ناجحة تكتيكيا وسط فشل على صعيد السياسة والاستراتيجية العليا دون ان يمنعها هذا الفشل من محاولة تحقيق كسب استراتيجي مهما صغر . وان كانت عملية « ردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » فهي عملية ناجحة تكتيكيا ، وتنتظر قطف ثمارها الاستراتيجية والسياسية . ومهما يكن من امر ، وسواء توقفت العملية لان توقفها جزء من الخطة ، أم توقفت بسبب العوامل السياسية — العسكرية — الطبوغرافية فان « الردع عن طريق عرض القوة واستخدامها جزئيا » والذي حاول التظاهر بانه عملية « تمشيط وتطهير » كان يخفي وراء هدفه المعلن اهدافا اخرى . وتذكر صحيفة النهار بان الاوساط الاسرائيلية المطلعة حددت « ان الهدف الاساسي من الهجوم هو ارغام السلطات اللبنانية على الغاء اتفاقية القاهرة رسميا او عمليا »(١٢). ويمكننا ان نتصور ابعاد الردع الذي تتوخاه هذه الاوساط عندما نرى انها لا تكتفي بالحديث عن قواعد المقاومة الموجودة قرب الحدود اللبنانية — الاسرائيلية او في مناطق الجنوب ، بل تتحدث عن وجود « خمسة الاف فدائي في لبنان »(١٣) وتعتبر ان بيروت هي « المركز السياسي والاداري لكل المنظمات الفلسطينية المتطرفة »(١٤) وان مخيمات اللاجئين في لبنان هي « مراكز تجميع الاعضاء الجدد في المنظمات الفدائية وتدريبهم . وفي هذه المخيمات مستودعات ذخيرة . ومن هذه المخيمات ينطلق الفدائيون للقيام بعمليات ضد اسرائيل وضد المصالح والشخصيات الاسرائيلية في الخارج »(١٥). ان الفهم الكامل لعملية ١٦ — ١٧ ايلول وتحديد خلفياتها وابعادها ومراميها واحتمالات تكرارها أمر مرتبط كل الارتباط بوعي منطلقات الاسلوب الاسرائيلي الذي يعتمد في مجابهة حركة المقاومة العاملة خارج الارض المحتلة على « تناوب الردع والعمل » ، و « تناوب الضغط السياسي والضغط العسكري » ، ويطبق مجموعة القواعد التالية (التي سنبحثها بشكل مفصل واسع في دراسة خاصة عن الردع والعمل في الاستراتيجية الاسرائيلية) وهي :

١ — « الرد المرن » : الذي يستخدم كل الاساليب الممكنة لتسديد الضربات ، دون البقاء ضمن اطار رد جامد تقليدي او غير تقليدي .

٢ — « الرد الاعنف » : وذلك بتصعيد العنف ، والرد على ضربات المقاومة بضربات اعنف تستهدف قواعد المقاومة — لردع المقاومة ماديا ، كما تستهدف المدنيين من سكان المخيمات — لردع المقاومة معنويا .

٣ — « الرد المتواصل » : ويتم بتسديد الضربات بصورة متلاحقة للرد على ضربة ما ، او لمتابعة

فرض الوجود النفسي القاهر .

٤ ــ « المبادرة الهجومية » : وتحقيق المطاردة والضرب خارج حدود الارض المحتلة وتجاهل « الحدود السياسية » والاستعاضة عنها «بالحدود الايديولوجية » و « حدود مدى عمل القوة » .

٥ ــ « ردع الدول العربية المضيفة » : وهذا يعني استغلال اختلاف اهمية « هدف الرهان » بالنسبة لحركة المقاومة ولحكومات الدول العربية المضيفة لخلق شرخ سياسي تتم الافادة منه بشكل « متدرج » عن طريق « الردع المتدرج » الذي يبدأ بالضغط والتلويح بالقوة وينتقل الى الاستخدام المحدود للقوة (بمختلف الاشكال) وعلى درجات متصاعدة ، حتى يصل الى الاحتلال الجزئي . والغاية من هذا الردع التوصل في النهاية الى « محاربة العرب بالعرب » .

٦ ــ « استغلال الوضع العربي » : عن طريق الافادة من التناقضات التي تقع بين الدول العربية، وتسديد الضربات في الفترات التي تكون فيها القوى العربية عاجزة عن الرد لانشغالها بأوضاع داخلية حرجة ، او لانشغالها بخلافات عربية قطرية ، او لسيطسرة فكرة البحث عن حل سياسي على قادتها ... الخ .

٧ ــ « العمل تحت غطاء سياسي خارجي » : وذلك باستغلال ظرف دولي معين ، او حادث عالمي لتعبئة الرأي العام العالمي ، واكتساب الدعم ــ او منع الضغط الدولي على الاقل ــ عند تسديد الضربات التي تعطيها عادة اسم ضربة وقائية دفاعية .

ولقد ألقى وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان الاضواء على هذه الاساليب الاسرائيلية في حديث اذيع من التلفزيون الاسرائيلي في يوم ٤ اذار ١٩٧٢ ونقلته صحيفة دافار في اليوم التالي عندما قال : « ... أن منع نشاط الفدائيين من الاراضي اللبنانية ليس بمسألة الوجود المادي للجيش اللبناني في منطقة الحدود مع اسرائيل فقط ، بل هو مسألة سياسية . وهذه المسألة هي اية سياسة ستنتهج حكومة لبنان ازاء الفدائيين ، والى اي مدى ينفذ الجيش اللبناني هذه السياسة ؟ ليست المشكلة بسيطة ابدا ، ولا يمكن تنفيذ الامر بضربة واحدة ومرة واحدة ، فالمسألة تتم على مراحل وليست حادثا عارضا سريعا » ... « اننا لا نستبعد امكان اجتياز وحداتنا الحدود [اللبنانية] اذا اقتضى الامر للدفاع عن مواطني اسرائيل »(١٦). وليست هذه هي المرة الاولى التي يصرح بها دايان او غيره من زعماء العدو مثل هذه التصريحات . وليست عملية ١٦ ــ ١٧ ايلول هي العملية الاولى ضد الاراضي اللبنانية ولن تكون الاخيرة . انها درجة اعلى على سلم تصعيد محاولات الردع . ولقد سددت القوات الاسرائيلية في الارض اللبنانية من قبل ضربات مختلفة جوية وبرية ، ثم وقفت تنتظر النتائج . وكلنا يذكر تهديدات رئيس الاركان الاسرائيلي دافيد اليعازار في حزيران ١٩٧٢ عندما حذر لبنان « من عمليات اخرى لجيش الدفاع الاسرائيلي داخل حدودها اذا لم تغير سياستها »(١٧) وكيف طلعت صحيفة هاتسوفيه (١٩٧٢/٦/٢٤) لتقول : « ان على لبنان ان يختار بين امرين : اما ان يكبح جماح الفدائيين وتهدأ الحدود او يتجنب ذلك ويعرض نفسه لردود الجيش الاسرائيلي القوية »(١٨). ولكن الضربة العسكرية اليوم اكبر ، والوضع العربي لا يبشر باحتمالات رد موحد فعال (رغم الجهود الكبيرة التي يبذلها امين الجامعة العربية محمود رياض في هذا المجال) ، والوضع الدولي بعد خروج السوفيات من مصر وفي فترة ما قبل الانتخابات الامريكية قاتم نسبيا ، لهذا فان من الطبيعي ان يكون حجم التبجحات الاسرائيلية متناسبا مع كل هذه الاوضاع ، ومن الطبيعي أن يكون الثمن السياسي الذي تطالب به اسرائيل ضخماً . وها هي صحيفة دافار تحدد خطوط الخطوة السياسية المطلوبة من الحكومة اللبنانية بقولها : « أمام الحكومة الخيار بين طرد « المخربين » [رجال المقاومة] من اراضيها او الاستمرار في التفرج على اسرائيل وهي تقوم بذلك بنفسها »(١٩). ويتعرض لبنان لاخطر عملية ابتزاز سياسي عرفها حتى الان. فلقد صرح احد قادة عملية ١٦ ــ ١٧ ايلول لمندوبي الصحافة خلال الانسحاب بين عيترون وبنيدا « ان القوات الاسرائيلية ستترك الاراضي اللبنانية اليوم ، وسننتظر اسبوعا لنرى اذا كان هناك قوة حقيقية للجيش اللبناني في المنطقة ام لا ، فان لم يكن فانا سنعود ثانية الى الاراضي اللبنانية لنمارس عملياتنا »(٢٠). ويرسم العدو للبنان الطريق الذي عليه ان يتبعه . انه يطلب منه بعد ان يوجه المسدس الى صدغه ان يلعب الدور الذي لعبه الحكم الاردني في عام ١٩٧٠ ، وان يكرس كل قواته

لتكون حرس حدود لاسرائيل ، والان ...! وتقف الحكومة اللبنانية حائرة بين المدافع العربية الصامتة على طول الحدود ، والتصريح الذي اطلقه مناحيم بيغن في ١٩٧٢/٩/١٣ امام المجلس القطري لحزب حيروت وقال فيه : « ان الدول العربية مسؤولة عن اعمال القتلة ، وعلينا ان نفهمها ان وقف العمليات الاجرامية ضد ابناء الشعب اليهودي هو احدى مهماتها »(٢١)، وتأييد واشنطن لعملية الابتزاز على لسان الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية الذي صرح في ٩/١٨ بأن « الحدود الاسرائيلية ــ اللبنانية يمكن ان تكون هادئة ، اذا توقفت عمليات الفدائيين »(٢٢). فكيف سترد الحكومة اللبنانية على هذه الدعوة « لمحاربة العرب بالعرب » ؟ وكيف ستفسر دعوة بيار الجميل في جلسة مجلس النواب مساء ٩/١٧ الى اقتناع الفلسطينيين والاتفاق معهم وفي حالة الفشل استعمال الطريق « الذي يخلصنا ويخلصهم ويخلص القضية »(٢٣)؟

وهل سيمر هذا الطريق عبر الهجوم الى امام أم الهجوم الى خلف ؟ ان ميزان القوى داخل لبنان ، وحجم الضغوط العربية وضغوط القوى التقدمية اللبنانية ، ووطنية الجيش اللبناني ، وموقف منظمات المقاومة الموحد من التنازلات ، واحتمالات نجاح محاولات اعداد رد عربي موحد فعال ، واستمرار الضغوط العالمية ، واستمرار الموقف الامريكي المعاكس ، هي العوامل القادرة على اعطاء اجابة واضحة على كل هذه التساؤلات التي يرتبط بها مصير امة باكملها . لقد انتهت المعركة العسكرية في الجنوب ، ولم تكن الضربة موجهة لقوات المقاومة او لقوات الجيش اللبناني ، بل كانت موجهة الى الارادة السياسية في بيروت مباشرة . ومع انتهاء المعركة العسكرية بدأت المعركة السياسية ــ الديبلوماسية ، ولا ينتصر في هذه المعركة الا من يعرف كيف يقلب موازين القوى لصالحه ، ويصمد في معركة حوار الارادات .

---

١ ــ تصريح الناطق العسكري الاسرائيلي . نشرة رصد **اذاعة اسرائيل** بالعبرية الصادرة عن مركز الابحاث في م.ت.ف. رقم ٤١ بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٦ .

٢ ــ راجع تفصيلات جلسة مجلس الوزراء وجلسة مجلس النواب في يوم ١٩٧٢/٩/١٦ (النهار ١٩٧٢/٩/١٧) .

٣ ــ على لسان المحرر العسكري **لوكالة الانباء الفلسطينية** (وفا) ١٩٧٢/٩/١٦ ، رقم ١٠ .

٤ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ عن رويتر ، و.ص.ف ، يوم ١٩٧٢/٩/١٦ .

٥ ــ بيان وزارة الخارجية الفرنسية ــ و.ص.ف في ــ ١٩٧٢/٩/١٦ ، نقلته **النهار** ١٩٧٢/٩/١٧

٦ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

٧ ــ **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٨ .

٨ ــ نشرة رصد **اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٣ تاريخ ١٩٧٢/٩/١٩ ، للمراجعة .

٩ ــ لا بد من الاشارة هنا الى بسالة ضباط وجنود بطارية المدفعية ١٥٥مم المتمركزة في ارنون والتي تابعت عملها بكفاءة رغم تعرضها للقصف الجوي .

١٠ ــ **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٩ .

١١ ــ صرح الاخ ياسر عرفات امام بعض المسؤولين الفلسطينيين قبل بدء العمليات ان المقاومة ستتبع تكتيكات واساليب تجعل الضربة الاسرائيلية المنتظرة « تقع في فراغ » .

١٢ ــ **النهار** ، ١٩٧٢/٩/١٧ .

١٣ ــ **المرجع نفسه** .

١٤ ــ **المرجع نفسه** .

١٥ ــ **المرجع نفسه** .

١٦ ــ نشرة **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** ، عدد ١٩٧٢/٣/١٦ .

١٧ ــ نشرة رصد **اذاعة اسرائيل** بالعبرية بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢٤ .

١٨ ــ **المرجع السابق** .

١٩ ــ نشرة رصد **اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٢ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٧ .

٢٠ ــ مقال نزيه نقوزي ، **الانوار** ، ٧٢/٩/١٨ .

٢١ ــ نشرة رصد **اذاعة اسرائيل** بالعبرية ، رقم ٤٠ ، بتاريخ ١٩٧٢/٩/١٤ .

٢٢ ــ **النهار** ، ٧٢/٩/١٩ ، عن رويتر ، و.ص.ف ، في ١٩٧٢/٩/١٨ .

٢٣ ــ **الانوار** ، ١٩٧٢/٩/١٨ .

شـــهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

منذ مجزرة ايلول عام ١٩٧٠ ، ومجزرة جرش في تموز ١٩٧١ ، عاش العمل الفدائي مرحلة من التراجعات ، انتهت بتصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن . وقد انعكست اثار هذا الوضع بشكل مباشر على العمل الفدائي في الاراضي المحتلة ، فتسارعت خطوات اسرائيل في تنفيذ مخططاتها الاقتصادية والسياسية والارهابية في الضفة الغربية ، كما استطاعت ان تتفرغ لوضع مخطط مماثل لقطاع غزة ، بحيث أدى هذا الوضع بمجمله الى نجاح اسرائيل في توجيه ضربات فعالة لخلايا المقاومة السرية في الداخل ، أثرت بشكل واضح على مستوى التواجد الفدائي وكثافته . ثم تابعت اسرائيل ضغطها على لبنان بمسلسل متواصل من الاعتداءات والغارات على قرى الجنوب المدنية ، نتج عنها اتفاق بين السلطات اللبنانية والمقاومة على تجميد النشاط الفدائي المنطلق من لبنان لفترة مؤقتة لم يحدد موعد انتهائها . وقد ابرزت هذه التطورات ازمة عامة احاطت بالمقاومة وكان لا بد لهذه الازمة من ان تعبر عن نفسها بردود فعل مختلفة ، فبرزت اولا « منظمة ايلول الاسود » واعلنت انها ستعمل على تصفية المسؤولين عن المجزرة الاردنية ، وبرزت ثانيا اساليب جديدة في العمل لم تكن مقبولة على نطاق واسع من قبل ، ونعني بها اساليب الاغتيال السياسي (وصفي التل) وخطف الطائرات (الاسرائيلية والاردنية) ، وضرب المصالح الاقتصادية الاسرائيلية والامبريالية في الخارج (تريستا — ميونيخ) . ففي المرحلة التي سبقت مجزرة ايلول ، كانت هذه العمليات (خطف الطائرات والعمليات الخارجية) وقفا على الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (باستثناء عملية واحدة للجبهة الديمقراطية في المعرض الصناعي الاسرائيلي بتركيا) . اما بعد مجزرة ايلول ، فقد ساهمت بها بمستويات مختلفة ، كل من الجبهة الشعبية ، وفتح ، والجبهة الديمقراطية ، ومنظمة ايلول الاسود ، ثم كادت منظمة ايلول الاسود ان تحتكر هذا النوع من العمل . وان تتوسع فيه بحيث اصبح ظاهرة بارزة اعطت لحركة المقاومة طابعا جديدا لم يكن لها في السابق .

قبل ايلول كانت فتح ترفض هذا النوع من العمليات على اساس ان خسائره على صعيد الرأي العام العالمي اكثر من فوائده . كما كانت الجبهة الديمقراطية ترفضه ايضا من خلال موقف نظري يعترض على هذه العمليات من حيث المبدأ ويرى فيها تنمية للنزعة الفردية المغامرة ، كبديل عن نزعة العمل الجماهيري المنظم الواسع النطاق . وحين ساهمت هذه المنظمات بهذا النوع من العمل بعد ايلول لم تقدم له تفسيرا نظريا ، وان كان هذا التفسير واضحا من خلال وقائع التضييق المتواصل على نشاط حركة المقاومة ، فحين تمنع حركة شعبية مسلحة من التعبير عن نفسها في ميدان عملها الطبيعي ، وبأساليب العمل المتعارف عليها ، فان توسيع نطاق العمل ، واللجوء الى الاساليب الخاصة ، يصبح نتيجة موضوعية متوقعة . هل تدعم هذه النتيجة الموضوعية المتوقعة ، بموقف نظري ؟ وما هي حدود وشروط هذا الموقف ؟ هذا ما لم يطرح للحوار حتى الان في صفوف حركة المقاومة ، وان كانت الجبهة الشعبية قد رأت فيه انتصارا وتعميما لوجهة نظرها السابقة .

عملية ميونيخ :

من ضمن هذا السياق جرت مؤخرا عملية ميونيخ ، وجرت الى جانبها عمليات اخرى مماثلة . قبلها انفجرت قنبلة داخل طائرة بوينغ اسرائيلية كانت متوجهة من روما الى تل ابيب يوم ١٦ اب ، ولكنها استطاعت العودة سالمة الى المطار . واعتقل شابان عربيان وجهت لهما تهمة تدبير مذبحة (١٩ اب) . وبعدها استدرج موظف استخبارات في

السفارة الاسرائيلية في بروكسل واطلقت عليه النار يوم ١٠ ايلول فاصيب بجراح .

ثم في صباح يوم الخامس من ايلول اقتحم ثمانية من فدائيي منظمة ايلول الاسود ، مقر البعثة الاسرائيلية في مدينة الالعاب الاولمبية في ميونيخ واحتجزوا ٩ من اعضائها ، وقتلوا اثنين اثناء عملية الاقتحام . اعطى الفدائيون لعمليتهم طابعها السياسي من خلال التركيز على ما يلي :

١ — اطلقوا على العملية اسم « عملية اقرت وكفر برعم » تضامنا مع نضال سكان القريتين في فلسطين المحتلة للعودة الى اراضيهم وبيوتهم المغتصبة . ٢ — قالت منظمة ايلول الاسود في بيانها الرسمي أن العملية تتفق مع الذكرى الثانية لمجزرة ايلول . فهي نوع من اثبات الوجود بعد عمليات التصفية المتواصلة . ٣ — جعلوا مطلبهم الرئيسي، مطلبا نضاليا وانسانيا ، حين اشترطوا لاطلاق سراح الرهائن ، الافراج عن ٢٣٠ فدائيا اسيرا في المعتقلات الاسرائيلية ، في مقدمتهم الفدائي الياباني اوكاموتو ، الذي قاد عملية الجبهة الشعبية في مطار اللد . ٤ — طرحوا شعارا رئيسيا للعملية « يا ثوار العالم اتحدوا » .

وخلال سير العملية برز بشكل واضح ، ان الفدائيين يعون تماما درس عملية اللد الاولى ، ويتصرفون بحذر بالغ حتى لا يقعوا في اخطاء مماثلة لاخطاء تلك العملية . ففي البيان الذي رموه من غرفة الاحتجاز وحددوا به مطالبهم حذروا من الخديعة قائلين ، ان اي خديعة ستعني القضاء على الرهائن ، وان سلطات المانيا الغربية ستكون المسؤولة عن ذلك ، وستكون مصالحها فيما بعد هدفا لاعمال المنظمة . وقطعا للوقوع في احابيل اي مناورة اعلنوا ايضا انهم لن يفاوضوا حول مطالبهم . وحددوا مهلة واحدة للانذار مهددين بأنهم سيقتلون رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم . وبينوا بالاضافة الى ذلك ، ان لديهم تصورا تفصيليا لمجرى العملية يقوم على احتمالين :

الاحتمال الاول : ان تستجيب اسرائيل لمطالبهم ، وفي هذه الحالة ينقل الاسرى الفدائيون الى اي عاصمة عربية باستثناء عمان (بلد النظام العميل) وبيروت (لاسباب أمنية) . وبعد وصول الاسرى يتم التفاوض لتسليم الرهائن ، وخروج الفدائيين من المانيا بطريقة تضمن سلامتهم .

الاحتمال الثاني : ان ترفض اسرائيل الاستجابة لمطالبهم ، وفي هذه الحالة يطلبون نقلهم مع رهائنهم الى عاصمة عربية ، محددين اسلوب النقل بشكل تفصيلي ، وهو ما نفذ بالفعل ، حين تم نقلهم حسب طلبهم الى ثلاث طائرات هيلكوبتر حطت في مدينة الالعاب الرياضية ، واقلتهم الى مطار عسكري كانت تنتظرهم فيه طائرة ركاب عادية .

وتنفيذا لرفض التفاوض حول مطالبهم ، لم يستجب الفدائيون الى عرض الماني باطلاق الرهائن مقابل مبلغ غير محدود من المال ، كما انهم لم يستجيبوا لعرض اخر باستبدال الرهائن الاسرائيليين برهائن من المسؤولين الالمان . والتغييرات التي ادخلها الفدائيون على خطتهم تمثلت في أمرين :

الاول : قبولهم تمديد فترة الانذار بناء على وساطة من السفير التونسي .

والثاني : عدم تنفيذ ما هددوا به بقتل رهينة كل ساعتين اذا لم تستجب اسرائيل لمطالبهم .

الا ان هذه التغييرات لم تؤثر على تمكنهم من تنفيذ خطتهم بنجاح ، حتى اللحظة التي تدخل فيها عامل حاسم لا حيلة لهم فيه ، وليس من الممكن الاحتياط له . فالاتصالات التي تمت بين المانيا واسرائيل اسفرت عن اتفاق بينهما ، اعلنت فيه اسرائيل رفضها باي شكل من الاشكال الموافقة على اطلاق سراح اي اسير فدائي ، واصرارها على اعداد كمين لاطلاق سراح الرهائن حتى لو ادى الامر الى مقتلهم ، واقترحت تطبيق الخطة نفسها التي نفذها دايان قبل اشهر في عملية اللد الاولى ، والتي تقوم على مماطلة الفدائيين حتى الليل ، ونقلهم الى مكان فسيح ، وتسليط الاضواء الكاشفة عليهم ، واقتناصهم فور نزولهم من طائرات الهليكوبتر . وقد نفذت هذه الخطة على ارض المطار العسكري القريب من ميونيخ ، ولكن الاشتباك أدى الى مقتل الرهائن التسعة ، ومقتل خمسة فدائيين ، واعتقال ثلاثة منهم كان احدهم مصابا بجراح خطرة ادت الى بتر ساقه . وبذلك يكون العناد الاسرائيلي ، والانصياع الالماني لهذا العناد هو المسؤول الحقيقي عن مجزرة المطار ، بينما كانت نجاة الرهائن مؤكدة فيما لو تم نقلهم الى اي عاصمة عربية ، اما من خلال بقائهم احياء كأسرى ، او من خلال موافقة اسرائيل على مبادلتهم ، ولكن موقف اسرائيل كان ينطلق من رفض تقديم اي تنازل ، حتى لو ادى ذلك الى

مقتل الجميع . وتهربا من تحمل مسؤولية المجزرة، اشاع المسؤولون الالمان في اليوم التالي (٦ ايلول) ان الفدائيين هم الذين بدأوا اطلاق النار، ثم عادوا واعترفوا بتدبير الكمين وبمسؤوليتهم عن بدء الاطلاق .

ردود الفعل :

* كان رد الفعل الاعلامي الاسرائيلي التركيز المكثف على تصوير العملية على انها عملية وحشيـة وهمجية ، وسعت من خلال هذه الحملة الاعلامية الى استصدار ادانة عالمية ، ليس للعملية فقط ، بل ولحركة المقاومة الفلسطينية ايضا ، ثم عززت اسرائيل حملتها الاعلامية بحملة ديبلوماسية مماثلة ، حين أصدرت جولدا مئير بيانا بعد اجتماع للوزارة الاسرائيلية ، دعت فيه حكومات العالم الى اتخاذ اجراءات أكثر فعالية ضد الفدائيين . ولكن مقارنة بسيطة بين موقف فدائيي ميونيخ وموقف حكومة اسرائيل ، يكشف بوضوح كامل ان التصرف الوحشي والهمجي انما تجسد في قرار الحكومة الاسرائيلية ، وفي الموافقة الالمانية الغربية على ذلك القرار ، فمطلب الفدائيين باطلاق سراح رفاقهم المعتقلين مطلب نضالي وانساني ويضمن أرواح الرهائن . بينما اصرار اسرائيل على رفض الاستجابة لهذا المطلب ، ادى الى مجزرة حقيقية في مطار ميونيخ العسكري ، مقابل التمسك بعدم تقديم اي اعتراف بالفلسطينيين ، من خلال الرضوخ لاي مطلب من مطالبهم ولعل اوضح دليل على أن موقف اسرائيل كان هو الهمجية بعينها وليس موقف الفدائيين ، ما تضمنه البيان الوزاري الاسرائيلي نفسه ، من امتداح وتقدير لموقف الحكومة الالمانية، لانها وافقت على الخطة الاسرائيلية ، ونفذت كمين المطار : متجاهلة ان كمين المطار لم ينقذ الرهائن .

أما رد الفعل الاسرائيلي على صعيد الاجهزة الرسمية ، فقد تمثل بالاجتماع الطارىء الذي عقدته الوزارة الاسرائيلية فور الحادث ، والذي اعقبته ثلاثة اجتماعات هامة . الاجتماع الاول هو اجتماع الكنيست حيث القت غولدا مئير خطابا حول الحادث اعلنت فيه مطالب الفدائيين ، وطالبت الدول بالتدخل .

الاجتماع الثاني عقدته جولدا مئير مع كبار مستشاريها السياسيين والعسكريين .

الاجتماع الثالث عقده وزير الدفاع موشي دايان مع مستشاريه العسكريين . وعلى الفور شاع في الاوساط الصحافية والسياسية الدولية جو يتوقع ان تقوم اسرائيل بهجوم عسكري واسع على سوريا ، وباحتمال قيامها بهجوم مماثل على لبنان. وساعد على انتشار هذا الجو ، تركيز الاعلام الاسرائيلي قبل اسبوعين من حادث ميونيخ على ان سوريا رفعت من درجة دعمها للفدائيين ، وعلى أن العمليات الفدائية المنطلقة من الاراضي السورية قد ازدادت بشكل ملحوظ . وفي الاجتماع الثاني للوزارة الاسرائيلية يوم (٦ ايلول) ، قال البيان الصادر عن الاجتماع ان اسرائيل ستواصل حربها ضد المنظمات الفدائية ، ولن تعفي الذين يساعدون اعمال الارهابيين او يحرضون عليها من المسؤولية .

* أما ردود الفعل على الصعيد الدولي ، فقد كان أبرزها موقف المانيا الغربية نفسها التي تصرفت كطرف اسرائيلي ، وليس كدولة مسؤولة تسعى لايجاد حل مرض للمشكلة العالقة فوق اراضيها . فعلى الفور ، استنكر كل من رئيس الجمهورية ، والمستشار برانت العملية بشدة ، وعقدت الحكومة الالمانية اجتماعا طارئا ، طار بعده برانت للاشراف بنفسه على الخطة المضادة ، واقيم اثناء ذلك خط اتصال مباشر بين ميونيخ والقدس . أما خارج المانيا فقد بعث برانت برسالة الى جولدا مئير يؤكد فيها أن حكومته ستبذل كل جهودها لاطلاق الاسرائيليين المحتجزين ، كما بعث برسائل الى الحكام العرب يطلب منهم فيها التدخل لايقاف العملية ، واستغل هذه الرسائل فيما بعد ليحمل مصر مسؤولية المجزرة ، قائلا أنها رفضت استقبال الفدائيين، وانها لو قبلت ذلك لامكن انقاذ الرهائن. وقد ردت مصر على ذلك قائلة أنها لم تكن قادرة على استقبال الفدائيين قبل أن يتم الاتفاق معهم على الحل . ولكن الغريب في الامر ، انه في الوقت الذي كان فيه برانت يجري هذه الاتصالات، كان الاستعداد لكمين المطار يسير في طريقه المرسوم . ويؤكد هذا ان هدف برانت من وراء افتعال أزمة مع مصر ، مواجهة الضغوط السياسية الداخلية التي اثارها حادث ميونيخ ، وسعت المعارضة مباشرة للاستفادة منها لصالحها .

وشكل موقف الولايات المتحدة موقفا اخر بارزا في ردود الفعل الدولية ، لم يقتصر على بياني استنكار

بيو التي اصدرها نيكسون ، ولا على قرار اتخذه مجلس الشيوخ بالاجماع يدعو الى فرض عقوبات اقتصادية على الدول التي تمنح المأوى لمنظمات مثل « منظمة ايلول الاسود » ، بل تجاوز الموقف الامريكي كل ذلك ، ليدعو نيكسون يوم ٦ ايلول الى تنظيم عملية قمع دولية لنشاطات الفدائيين ، وليقوم وزير خارجيته في اليوم التالي مباشرة ، بتنظيم برنامج اتصالات مع اربعين دولة لبحث الموضوع .

أما موقف الاتحاد السوفياتي فقد تمثل في البداية باذاعة نبأ العملية دون اي تعليق . ثم صدر التعليق الاول عن الاوساط الرياضية السوفياتية التي اعربت عن أسفها للحادث . وفي ١٠ ايلول قالت التحليلات الصحفية السوفياتية « بأن الرجعيين العرب وعملاء اسرائيل يتعمدون دفع الفلسطينيين الى ارتكاب اعمال متطرفة كعملية ميونيخ » .

* ردود الفعل على الصعيد العربي الرسمي تميزت بالحذر بشكل عام ، فلم تؤيد العملية ولم تستنكرها . وقدمت معظمها تفسيرات لظروف الظلم التي تدفع الفلسطينيين لاتباع كافة الوسائل لاسماع صوتهم للعالم . ولكن برزت بالرغم من ذلك عدة أصوات معارضة . فقد استنكر الملك حسين العملية في برقية بعث بها الى برانت ، ووصفها بأنها جريمة ومخزية . واعلن مكتب الجامعة العربية في بون عن الاسف العميق للحادث ، وقال في بيان له أنه لا يقر كل أعمال الارهاب . وصرح حسنين هيكل في روما قائلا ان فدائيي ميونيخ يعيشون في الماضي .

* على صعيد حركة المقاومة لم يصدر اي بيان رسمي حول الحادث . واكتفت دائرة الاعلام بالقول ردا على اسئلة الصحفيين بأن منظمة ايلول الاسود لا علاقة لها بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت نشرة « وفا » دون أي نبأ عن العملية . وحين تحدث السيد ياسر عرفات يوم ٦ ايلول في افتتاح مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين لم يشر الى الحادث . أما صوت النشاز الوحيد فقد صدر عن السيد سعيد حمامي ، مسؤول الاعلام في مكتب الجامعة العربية بلندن ، الذي استنكر العملية ، ونفى ، في جو الاستنكار ، وجود اي علاقة لايلول الاسود بمنظمة التحرير الفلسطينية .

* وكخلاصة لهذا الاستعراض لوقائع عملية ميونيخ يمكن ان نسجل الملاحظات التالية :

١ — على الصعيد الرسمي الدولي كان الاستنكار شبه شامل للعملية .. ولكن لوحظ انه كان هناك بالاضافة الى ذلك تركيز واضح ، في التصريحات وحتى في الصحف اليمينية الكبرى ، على الارهاب والظلم الذي احاق بالشعب الفلسطيني ، وانه سبب هذا النوع من العمل . وكأن هذه المواقف تريد أن تنبه الى ضرورة ايجاد حل لمشكلة الشعب الفلسطيني . ٢ — على الصعيد الاسرائيلي برز الاصرار على رفض تقديم اي تنازل حتى لو كان ثمنه مقتل رعايا اسرائيليين . ولكن الاهم من ذلك كان بروز فكرة مواجهة « الشعب » الفلسطيني ، وليس منظمات المقاومة فقط ، حيث وردت اشارة واضحة لذلك في بيان جولدا مئير يوم الثلاثاء ١٢ ايلول ١٩٧٢ . ٣ — اما على صعيد النتائج السياسية للعملية ، فقد أدت الى وضع علامة استفهام كبيرة حول اي احتمال لنشاطات التسوية السياسية . فقد قال ابيان وزير الخارجية الاسرائيلية « لقد خلقوا وضعا جعل « السلام » بعيدا عن تفكيري اليوم » . وقالت مصادر مطلعة في لندن ان احداث ميونيخ كانت ضربة قاسية لامكانات التسوية السياسية . وعلقت الصحف الجزائرية فقالت ان دراما ميونيخ وضعت حملة مصر الدبلوماسية في اوربا الغربية موضع الشك .

والان ... هل توقفت ذيول حادث ميونيخ عن التفاعل ؟ على صعيد العملية نفسها ، مثل الفدائيون الثلاثة المعتقلون أمام المحكمة يوم السابع من ايلول ، حيث رفضوا الادلاء بمعلومات عن رفاقهم الذين استشهدوا ، وتمسكوا بصمت شبه كامل . وفي اليوم نفسه تلقت الحكومة الالمانية تحذيرا من منظمة ايلول الاسود ، بأنها ستنتقم اذا لم تسلمها جثث الفدائيين الخمسة ، والمعتقلين الثلاثة ، وبينما طالبت تونس يوم ٨ ايلول تسليمها جثث الفدائيين ، الا انها عادت وسحبت طلبها ، لتفسح المجال امام وفد ليبي وصل الى المانيا للتفاوض حول الموضوع . وقد سلمت الجثث الى الوفد الليبي ، حيث تم تشييعهم في ليبيا بجناز شعبي ضخم .

العدوان الاسرائيلي :

أما على صعيد النتائج العسكرية للعملية فقد

قامت اسرائيل يوم ٨ ايلول بشن سلسلة من الغارات الجوية الوحشية على عدد كبير من المخيمات والقرى ، استهدفت السكان المدنيين بالدرجة الاولى . وشمل العدوان الاسرائيلي كلا من لبنان وسوريا . ففي لبنان اغارت الطائرات الاسرائيلية على مخيم نهر البارد وعلى قرية الرفيد وعلى قرية راشيا الوادي . وقتل في هذه الغارات نحو ٢٠ شخصا وجرح نحو اربعين ، كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي سوريا اغارت الطائرات الاسرائيلية على موقعي المنطار وبرج السلام في المنطقة الساحلية الشمالية ، وعلى قرية الهامة قرب دمشق ، والكفر ، ومخيم لاجئي القنيطرة السوريين في سحم الجولان ، ومقصف قرية المزيريب ، ومسقط الجولان ، والسويداء . وقتل في هذه الغارات اكثر من ٢٠٠ شخص وجرح عدد مماثل . وايضا كان معظمهم من الاطفال والنساء . وفي الاردن ، اصابت بعض الطائرات الاسرائيلية اثناء قصفها لسوريا ، قرية اردنية في قضاء مدينة اربد أدت الى مقتل ١٨ مدنيا وجرح ١٧ . وفي المياه القريبة من مدينة صور اغرقت اسرائيل زورقا للمقاومة قتل فيه خمسة من الفدائيين (٩ ايلول) . وقد قامت الطائرات السورية بهجوم مضاد يوم ٩ ايلول على المواقع العسكرية الاسرائيلية ، تلتها اشتباكات جوية ، خسرت فيها سوريا ثلاث طائرات ، كما خسرت اسرائيل ثلاث طائرات ايضا . وفي اليوم التالي (١٠ ايلول) علم ان اسرائيل وضعت قواتها في حالة تأهب قصوى على طول الحدود مع لبنان وسوريا ، وسط جو يوحي بانها تستعد لعمل عسكري كبير . وعند انتهاء الغارات وصف ناطق اسرائيلي ما حدث قائلا ان هذه العمليات كانت « اهم عمليات قام بها الطيران الاسرائيلي » ، وادعى انها كانت موجهة ضد قواعد الفدائيين . وقد سعت اسرائيل بجميع الوسائل لاظهار هذه الهجمات البربرية على انها رد على عملية ميونيخ، ولكن الوقائع تظهر عكس ذلك تماما . اذ أن لبنان كان طوال الشهر الماضي عرضة لعمليات استفزاز اسرائيلية متواصلة ، تمثلت باختراق اسرائيل المتواصل لمجاله الجوي، ولمياهه الاقليمية، والاستمرار في احتلال بعض المواقع داخل اراضيه. فقد حلقت الطائرات الاسرائيلية فوق الاجواء اللبنانية للاستكشاف والتصوير بشكل يومي منذ ١٤ آب وحتى ٢ ايلول . وقدم مراقبو الهدنة الدوليون في لبنان ثلاثة تقارير الى الامم المتحدة تؤكد وجود قوات اسرائيلية داخل الاراضي اللبنانية (١٦ آب) . أما سوريا فقد تعرضت قبل اسبوعين من عملية ميونيخ ، لحملة اعلامية واسعة ، ركزت على ازدياد نشاط الفدائيين من الاراضي السورية بدعم وتشجيع من السلطات المعنية فيها . وقد كانت هذه الحملة مكثفة الى الحد الذي دفع المراسلين الصحفيين الاجانب كافة ، الى الحديث عن احتمال قيام اسرائيل بهجمات ضد سوريا ، قبل وقوع عملية ميونيخ .

وعلى اساس هذه الوقائع يمكن القول ان اسرائيل كانت ترتب سلفا سلسلة من الاعتداءات على سوريا ولبنان وقواعد المقاومة ، ثم تذرعت بعملية ميونيخ لتنفيذ اعتداءاتها ، لتظهر وكأنها رد عليها، هذا اذا تجاهلنا الربط الاسرائيلي غير المنطقي بين عملية الفدائيين الفلسطينيين في ميونيخ ، وبين ضرورة ضرب مواقع مدنية في سوريا ولبنان .

النشاط الفدائي :

لاحظ المراقبون باهتمام تمكن المقاومة من تجديد عملياتها في الاراضي المحتلة وفي اسرائيل نفسها ولو بشكل محدود . ورأوا في تجدد العمليات هذا احتمال الخروج من النطاق المحدود الى نطاق اوسع ، كما رأوا فيه ممسا اوليا باجراءات القمع الارهابية العديدة التي نفذتها اسرائيل بشكل مكثف منذ أيلول ١٩٧٠ . ففي ٢١ آب عثر البوليس الاسرائيلي على قنبلة موقوتة وضعها شاب في منطقة ناتانيا شمال تل ابيب . واعطى بعض الشهود اوصاف الشاب ، حيث جرت حملة اعتقالات وتفتيش في المناطق المجاورة ، وفي ٢٥ آب وقع في غزة اول هجوم فدائي ، بعد اشهر من الصمت (حسب تعبير وكالات الانباء) ، اعلنت اسرائيل على اثرها تخفيف حجم قواتها في القطاع. والقيت في الهجوم قنبلة يدوية على سيارة اسرائيلية عسكرية . وفي ٢٦ آب اعلن ناطق باسم المقاومة مقتل طيار اسرائيلي اثناء وجوده في منطقة الجليل الاعلى . وفي ٢٨ آب قام الفدائيون في غزة بهجوم ثان ، حيث القيت قنبلة يدوية ، قالت السلطات الاسرائيلية انها لم تحدث اي اصابات . وعلى اثر هذا الحادث قالت مصادر مطلعة في اسرائيل ان السلطات تخشى تزايد نشاط الفدائيين بعدما تلقت معلومات تفيد بأن المنظمات اعادت تنظيم نشاطها للقيام بهجمات جديدة ضد اسرائيل . وبالفعل قام

الفدائيون بعد ذلك بعملية عسكرية اخرى في غزة (٢ ايلول) ، تلتها ابرز عمليات القطاع في الشهر الماضي واكثرها دلالة سياسية ، ونعني بها محاولة اغتيال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة . قام بالمحاولة ثلاثة أشخاص ، ولكنهم لم يتمكنوا من اصابته . وقد أعلنت المقاومة مسؤوليتها رسميا عن الحادث ، بينما نددت حكومة عمان به . والجدير بالذكر ان هذه المحاولة جرت بعد فترة قصيرة من عودة الشوا من عمان ، واعلانه هناك موافقته على مشروع الملك حسين ، واستعداده للسير تحت « قيادته الحكيمة » ، واعلانه عن استفتاء سيجري في غزة لتقرير مصير القطاع بعد الوصول الى اتفاق صلح بين الاردن واسرائيل. وقد اثار هذا الموقف في حينه رفضا شعبيا عاما في القطاع ، عبر عن نفسه بأكثر من صورة ، كانت اخرها محاولة الاغتيال . وبذلك برهنت الجماهير في قطاع غزة انها قادرة على تقديم المزيد من الصمود والعطاء ، رغم كل اساليب القمع والارهاب التي مورست هناك ، واطمأنت السلطات الاسرائيلية بعدها ان الهدوء قد اصبح سيد الموقف .

وقد لوحظ ان تجدد النشاط الفدائي ترافق مع عودة اسرائيل الى الاعلان من جديد عن محاكمات للفدائيين المعتقلين منذ فترة طويلة ، وذلك لتذكير الجميع بسيل المحاكمات السابقة كله . ففي نابلس اصدرت محكمة عسكرية حكما بالسجن مدى الحياة على الفدائي سليمان العلان ، الذي يبلغ من العمر ٣٧ عاما ، ووصفته بأنه المسؤول المحلي للجبهة الشعبية في مدينة نابلس ، وكان قد أعتقل في عام ١٩٧١.وفي غزة حكم فدائي اخر من الجبهة الشعبية بالسجن ٢٠ عاما ، وكان ايضا قد اعتقل في وقت سابق من العام الماضي .

العلاقات الداخلية بين المنظمات :

برزت اثناء الشهر الماضي ازمة في العلاقات الداخلية بين المنظمات الفدائية ، دارت حول موضوع الوساطة بين المقاومة والاردن . ظهر اول نبأ حول موضوع الوساطة يوم ١٣ آب في الصحافة الكويتية حيث قالت صحيفة « الرأي العام » ان لزيارة السيد عمر السقاف وزير الخارجية السعودي الى القاهرة وبيروت علاقة بالجهود المبذولة لتحسين العلاقات بين الاردن والبلاد العربية ، وان هناك مشروعا سعوديا اردنيا يشتمل على احياء الجبهة الشرقية واعادة الفدائيين الى الاردن ، على أساس ان يتمتعوا بحقوق كالتي لهم في لبنان . وفي ١٩ اب وردت اخبار من تونس تقول ان السعودية تبذل بالتعاون مع مصر جهودا لتحسين العلاقات بين الاردن وحركة المقاومة . وفي اليوم نفسه الذي أعلن فيه هذا النبأ أعلن ان السيد ياسر عرفات الذي كان قد وصل تونس قادما من ليبيا يوم ١٧ آب ، قد عقد اجتماعين : الاول مع الامير فهد بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي ، والثاني مع الامير فهد والرئيس التونسي بورقيبة . وفي اليوم الثاني أصدرت اربع منظمات فدائية (الصاعقة — الشعبية — الديمقراطية — جبهة التحرير) بيانا موقعا بأسماء ممثليها في اللجنة التنفيذية ، يعتبر اتصالات الوساطة مخالفة تنظيمية ، وقضية لا يجوز لاحد ان ينفرد بها . ولكن السيد كمال ناصر نفى في ٢١ آب أن تكون المقاومة مهتمة بمساعي الوساطة بينها وبين الاردن وقال « أن هذا الكلام خارج عن اهتمامات الثورة الفلسطينية لان موقفنا من النظام الاردني واضح في مقررات المؤتمر الشعبي » . ثم أصدر كمال ناصر في ٢٣ آب بيانا انتقد فيه بيان المنظمات الاربع ، قائلا ان هذا التصرف يشكل تجاوزا لصلاحياته كناطق رسمي ، مما يجعل منه مخالفة تنظيمية ، ستؤدي الى ضرب الوحدة الوطنية . وولد هذا الجو كله ازمة واضحة في العلاقات الداخلية ، زاد من حدتها حديث صحفي ادلي به السيد نايف حواتمه الامين العام للجبهة الديمقراطية يوم ٢٦ آب . قال فيه ان هناك وساطة سعودية تحظى برضاء مصر ، وان الوساطة ليست امرا جديدا ، بل بدأت قبل ستة اشهر . واتهم جناحا محددا في احدى فصائل المقاومة (دون ان يسميه) بأنه ضالع في هذه العملية . وقال حواتمه في حديثه ان السفير انور الخطيب الذي يلعب دورا رئيسيا في الحوار بين عمان وزعماء الضفة الغربية ، يصر على مشاركة عناصر معتدلة من المقاومة في أية تسوية سياسية مع اسرائيل ، بينما يرفض الملك حسين مبدأ اشراكهم . واضاف يقول ان حركة المقاومة رفضت التسويات السياسية من حيث المبدأ ، ولكن الرفض المبدأي لا يكفي ، بل لا بد من طرح برنامج للعمل المرحلي يقدم للجماهير اجابات واضحة على مختلف القضايا لتناضل على أساسها. وطالب بالالتزام العملي بالبرنامج الذي أقره المؤتمر

الشعبي ، وبانجاز وحدة وطنية ديمقراطية لا تقوم على أساس الضم والالحاق ، والا ستفقد المقاومة دورها الوطني والثوري وتجد نفسها على هامش الشعب الفلسطيني . وقد رد السيد كمال ناصر ببيان حاد اللهجة على تصريح حواتمه ، وقال في رده ان الحديث يشكل خرقا فاضحا لميثاق واجراءات الوحدة الوطنية ، وانه ظاهرة انشقاقية تستفيد منها القوى المضادة ، وانه يشكك بأبسط مفاهيم الثورة التي لم تكتف بالرفض الكلامي للتسويات السياسية ، بل تعرضت للذبح في الاردن بسبب صمودها . واضاف السيد كمال ناصر يقول ان المقاومة ليست بحاجة لمن ينظر لها ، وانها ستحاول تطويق نتائج الحديث ، وان دائرة الاعلام ستطلب تجميد عضوية الجبهة في جهاز الاعلام الموحد . وفي اليوم نفسه ردت الديمقراطية ببيان آخر قالت فيه ان كمال ناصر يفهم الاعلام الموحد ، كما للافواه ، واخراسا للاصوات التقدمية ، وان مجلس الاعلام الموحد لا علم له ببيان كمال ناصر ، ولم يناقش اقتراحا بتجميد عضوية الجبهة الديمقراطية فيه .

وقد أجرت اذاعة فلسطين في القاهرة حديثا مع السيد ياسر عرفات يوم ٢٨ آب ، نفى فيه وجود وساطة بين المقاومة والملك حسين ، وقال ان هناك بعض الناس الذين يتخيلون معارك وهمية على طريقة دون كيشوت ، وكشف النقاب عن ان الملك حسين ارسل وفدا الى مصر وسوريا للوساطة ، وانه رفض الاتصال بالوفد . ثم ادلى السيد ياسر عرفات بتصريح آخر في القاهرة يوم ٢٥ آب قال فيه « برزت في الآونة الاخيرة ظاهرة طابعها الرئيسي التركيز على محاولات احداث شق في حركة المقاومة عموما وفي حركة فتح خصوصا ... واعتمدت هذه المحاولات على اختلافها ما يختلقه البعض من تحليلات يقيمونها على اخبار ملفقة ترددها القوى المضادة للثورة . ان كل هذه المحاولات محكوم عليها بالفشل ... وستظل حركة فتح صفا واحدا كما كانت دائما ... وان جميع المناضلين في فتح وقيادتها ... هم في موقع نضالي واحد » .

ثم عاد السيد كمال ناصر واثار مشكلة اخرى مع السيد خالد الحسن رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، وذلك اثر تصريح للسيد خالد الحسن في القاهرة ، نفى فيه وجود خلافات داخل حركة فتح ، رد عليه كمال ناصر ببيان اتهمه فيه بخرق الوحدة الوطنية وارتكاب مخالفة تنظيمية قائلا ان خالد الحسن (عضو قيادة فتح) ليس الجهة المكلفة نفي وجود خلافات داخل فتح . واضاف ان كافة المخالفات ستقدم الى اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني ليتحمل اصحابها مسؤولياتهم كاملة امام القيادة العليا والشعب . وهكذا اثارت هذه الخلافات ازمة ملحوظة ، اثيرت في اجتماع اللجنة التنفيذية بدمشق يوم ٣ ايلول ، ولكنها عولجت بشكل ودي ملحوظ ادى الى تخفيف كبير في نتائجها . ثم جاءت تطورات الاحداث السياسية والعسكرية فخلقت بين المنظمات جوا داخليا مغايرا .

ب. ح.

لقد أكدت الاحداث في الشهرين الماضيين مجموعة من الحقائق ، دار النقاش حولها وما زال يدور. ولا بد لنا من ان نبرز بعض هذه الحقائق ، لان ابرازها يساعدنا على استجلاء آفاق المستقبل من جهة ، ويكشف لنا زيف كثير من الدعايات التي كانت تسد وجه الافق . وأهم هذه الحقائق الثلاثة ، نطرحها فيما يلي :

اولا : أن السياسة المصرية التي قادت إلى اتخاذ قرار انهاء مهمات الخبراء والمدربين السوفيات ، باسم الخروج من مأزق اللاسلم واللاحرب ، بات واضحا ما ترمي اليه . لقد أنهت حالة اللاحرب ، وأبقت حالة اللاسلم وحدها . انها هنا ، ومن الطرف العربي فقط ، ابقت الباب نحو « السلام » مفتوحا ، وسدت الطريق على الحرب ، ذلك أن القرار المصري اعطى ميزات استراتيجية لدولة الاحتلال الصهيوني بسحب الخبراء والمدربين والطيارين وبعض الاسلحة المتقدمة ، وبتعقيد أمر التعاون العسكري والسياسي مع الاتحاد السوفياتي . كما انه قدم خدمات استراتيجية جلى للولايات المتحدة عن طريق انهاء التسهيلات المصرية للبحرية السوفياتية في المتوسط . وظهر الاتجاه نحو السلام واضحا في التوجيه نحو اوروبا ، ومناشدتها المساعدة على اقرار « السلام » في المنطقة. وبدأت مصر توجهها الفعلي نحو «السلام»، من خلال التحرك السياسي الذي أعلنت عنه . وهذا التحرك السياسي أشار اليه الرئيس السادات مرارا ، وذكرت وكالة انباء الشرق الاوسط ان الرئيس السادات تحدث عن هذا التحرك في اجتماع مجلس الشعب يوم ٨/١٧ قائلا : « ان ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وأوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية » . ولكن الذي يحدث عمليا هو ان العلاقات مع الاتحاد السوفياتي تسير نحو التدهور في الوقت الذي يتم التحرك فيه باتجاه الولايات المتحدة وأوروبه الغربية والدول العربية. وكان هذا طبيعيا ، لان قرار انهاء خدمات السوفيات مطلب اميركي اولا . لقد قال كيسنجر قبل سنتين : « لنتحدث بصراحة ... تريدون مبادأة اميركية فعالة لتسوية النزاع العربي — الاسرائيلي ؟ اذن انهوا الوجود العسكري السوفياتي ثم تعالوا نتباحث ... هذا هو الشرط ... واكرر هذا هو الشرط الوحيد » (الاسبوع العربي ، العدد ٦٩٢ ، ٧٢/٩/١١) . وظلت الولايات المتحدة ، خلال السنتين الماضيتين تضغط في هذا الاتجاه حتى جاء القرار .

ولقد رافق التحرك السياسي المصري نحو اميركا واوروبه تحرك تونسي — سعودي في اتجاه اميركا والغرب من جهة وفي اتجاه القاهرة من جهة اخرى . ومن هنا تتضح ابعاد التحرك السياسي المصري . انه تحرك ضمن دائرة معينة ، هي دائرة البحث عن حل « سلمي » . وهو تحرك نحو الخارج ، جزء من الخارج . لا نحو الخارج كله . لقد اسقط الاتحاد السوفياتي من الحساب ، ولم تعط الصين ما تستحقه من اهمية واهتمام (طبعا خوف ان يحل التنين محل الدب) .

ولقد بادرت الولايات المتحدة الى التقدم خطوة اخرى على طريق لعبة « الشد والارخاء » التي تمارسها منذ حرب حزيران : فأعلنت بعد القرار المصري مباشرة ضرورة أجراء مفاوضات مباشرة ، او مفاوضات عن كثب في جزيرة رودوس ، على ان تكون مفاوضات سرية ، وعلى أن يشارك فيها مفاوضون يتمتعون بصلاحية اتخاذ القرار (الاسبوع العربي ، المرجع السابق) . وسارت الديبلوماسية « الاسرائيلية » على الطريق ذاتها ، فتقدمت خطوة الى الامام ، وطرحت قضية المفاوضات المباشرة ، واعلن دايان ولاول مرة استعداد دولة الاحتلال للتراجع جزئيا في سيناء ، اذ قال يوم ٨/١٧ في حفل لتخريج دفعة من ضباط الاركان : « ان مفتاح الحدود الامنة كامن في صحراء سيناء ... ففي صحراء سيناء يمكننا أن نعين حدا فاصلا مؤقتا او دائما ضمن اتفاق متبادل بين مصر واسرائيل ، يعطي للمناطق الاهلة بالسكان في الجانبين عمقا أمنيا » .

لقد باتت الديبلوماسية الاميركية و« الاسرائيلية » تلعب الان، ومنذ قرار انهاء خدمة الخبراء والمدربين السوفيات ورقة المفاوضات المباشرة . المفاوضات المباشرة الان هي المطلب الاساسي . ولهذا فان ابا ايبان قد اعلن (٧٢/٨/٧) : « ان الجهد الرئيسي لاسرائيل خلال العام الثالث من وقف اطلاق النار سيركز اساسا على تحقيق المفاوضات المباشرة » . وصدرت تصريحات مماثلة عن ساسة كبار من ساسة الولايات المتحدة ، مثل ملفين ليرد وزير

الدفاع ووليام روجرز وزير الخارجية، وفي التواريخ عينها ٨/٧ ، ٨/١١ مثلا - واستخلصت سياسة تل ابيب وسياسة واشنطن درسا جديدا ، مما حدث . لقد استطاعت ان تتأكد بأن مزيدا من التشدد ازاء العرب يقود الى مزيد من التراجع . وهذا ما عبر عنه ييجال آلون نائب رئيسة الوزراء بقوله يوم ٨/٧ : « ان واشنطن تعلمت في السنتين الماضيتين ان التشدد يؤدي الى نتائج حسنة في هذه المنطقة ، فقد كانت الولايات المتحدة تسعى منذ سنتين لحمل اسرائيل على دفع اي ثمن مقابل وعد من الرئيس السادات باخراج السوفيات ، ولكن اسرائيل لم تتجاوب ، وتبين بعد ذلك انها على حق ، حيث خرج السوفيات بدون ثمن » . وهذا الدرس يعزز سياسة العصا الغليظة التي تنتهجها تل ابيب وواشنطن . ومن الجدير بالذكر ان الولايات المتحدة واصلت تقديم الاسلحة لدولة الاحتلال الصهيوني ، حتى بعد قرار انهاء خبرات السوفيات . وهذا يكشف التضليل الذي كانت تمارسه الولايات المتحدة في السابق ، لتبرير امداد دولة الاحتلال الصهيوني بالاسلحة ، كما يكشف الخطة الاستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة ، هذه الخطة القائمة على اساس استمرار التفوق العسكري « الاسرائيلي » في كل الظروف .

ولا بد من الاشارة هنا الى ظاهرتين من ظواهر سياسة التوجه نحو « السلم » . الظاهرة الاولى، وتتعلق بالقرار الذي اتخذته دولة الاحتلال الصهيوني بتخفيض مدة التدريب ثلاثة أشهر . « وقد اوضحت السلطات العسكرية والسياسية الاسرائيلية ان الاسباب الواقعية لهذا الاجراء — وهو الاول من نوعه منذ العام ١٩٦٧ — هي « التحولات الايجابية » التي طرأت على الجبهات العربية مع اسرائيل (الدستور ، العدد ١٠٠ ، ٧٢/٩/١١) . الظاهرة الثانية هي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة ولبعض العواصم الاوروبية . وزيارة من هذا النوع لا يمكن أن يشك بأن لها اهدافا غير (السلم) .

ولذلك يجري الحديث في هذه الايام عن « حل » يشمل الجبهة المصرية والاردنية ، ويستثني الجبهة السورية . وهذا الحل يسمى حلا جزئيا ، بينما هو في الواقع خطوة نحو الاستسلام الكامل . وبات واضحا أن قادة دولة الاحتلال قد غيروا من لهجتهم، بعد القرار المصري ، فانهم بدأوا لعبه « الشد والارخاء » من جديد . الهدف الآن هو المفاوضات المباشرة . والهدف من المفاوضات المباشرة هو التسليم الكامل .

ان الحقيقة الاولى التي تؤكدها الاحداث في الشهرين الاخيرين هي ان كل تراجع سياسي أمام « اسرائيل » والولايات المتحدة يقود الى تراجعات وان استمرار هذه السياسة لن يقود الا الى الاستسلام . وعلينا ان نوقف مهزلة التراجعات هذه .

ثانيا : ان عملية ميونيخ التي قامت بها منظمة ايلول الاسود قد اثبتت بما لا يدع مجالا للشك بطلان حملة التضليل التي استمرت خلال الشهرين الماضيين ، والتي انطلقت من ان الوجود العلني للعمل الفدائي يعطي كل المبررات لعمليات الانتقام من العدو . قالوا لنا : ان العودة الى السرية هي التي تحرم العدو من مبرراته . ومع اننا كنا نعلم ان هذا وهم . وهو ما أشرنا اليه في حينه (شؤون فلسطينية ، العدد ١٢) الا اننا اضطررنا للدخول في مناقشة حول الموضوع . لقد كنا نعلم ان الدعوة الى العودة للسرية ليست الا مبررا لانهاء وجود الثورة . وان العودة الى السرية لا تمنع العدو من الانتقام . ولقد جاءت عملية ميونيخ ، فأكدت ما ذكرناه سابقا . أكدت ان دولة الاحتلال الصهيوني تريد أمرا واحدا ، هو أن يصمت الشعب الفلسطيني الى الابد . وفي سبيل ذلك هي مستعدة لعمل كل شيء دون رادع او وازع . ودولة الاحتلال عندما تعجز عن مواجهة العمل الفلسطيني المسلح ، تلجأ الى دفع الدول العربية على طريق تصفية المقاومة الفلسطينية . هذا ما فعلته في الاردن ، وهذا ما تحاول فعله الان في سوريه ولبنان . لقد أعلن قادة دولة الاحتلال الحرب على العمل الفدائي اينما كان . . وقالت جولدا مئير : « ستستمر اسرائيل في حربها ضد منظمات « الارهاب » ولن تعفي من يساعد هذه المنظمات من تبعية عمليات الفدائيين » (البلاغ ، العدد ٣٦ ، ٧٢/٩/١١) ، وشنت دولة الاحتلال هجماتها ، بعد التهديد ، على سوريه ولبنان . وما زالت تهدد بشن هجمات أخرى . وتعيش المنطقة في هذه الايام جوا من القلق والفزع . ان دولة الاحتلال تطالب بسحق وجود المقاومة ، فاذا لم تقم الدول العربية المعنية ، بهذه المهمة قامت بها دولة الاحتلال . وهكذا لا تكون المقاومة وحدها مهددة ، ان استقلال الدول العربية بات مهددا . وعلى الدول العربية ان تختار

بين ان تكون اداة في يد دولة الاحتلال او تكون دولا مستقلة لها كرامتها . وهذا يعني ان تختار بين الاستسلام وبين الحرب . وهنا تبدو الامور واضحة : ان دولة الاحتلال تحمل الدول العربية مسؤولية كل عمل مضاد لها ، حتى لو كان فاعلوه مجهولين . وعليه فان العودة الى السرية لن تنقذ أحدا ، الا اذا عنت انهاء وجود المقاومة العلني والفعلي . كما ان دولة الاحتلال لن ترضى بديلا عن أن تكون القوة المتحكمة بالمنطقة ، المسيطرة عليها . وعلى الدول العربية ان تخضع او تقاوم، وبما أن طريق الخضوع معروف ، وقد اصبحت لنا فيه « تقاليد » وممارسات ، فان طريق المقاومة هو طريق الخلاص . وطريق المقاومة ليس سرا مجهولا ، ولا هو بالخافي على احد ولكن ممارسته هي القضية .

ولقد بدأت طلائع الشعب الفلسطيني انتهاج هذا الطريق منذ ابتداء سنة ١٩٦٥ ، وما تزال سائرة على الرغم من الاخطاء والانحرافات والعقبات . وما يعمل له المعسكر المعادي الامبريالي الصهيوني لا يتعدى اطفاء جذوة هذه المقاومة . هذه هي المهمة الاساسية الان للتحالف الامبريالي الصهيوني . ويعرف هذا التحالف ان انجاز هذه المهمة لن يتم بدون المعونة الفعالة من العملاء العرب . والقوى المضادة للثورة في الوطن العربي، والرد بالطبع على هذا كله ليس السرية فحسب ، انه القتال ، التصميم على القتال ، تعبئة الجماهير للقتال، المحافظة على انجازات المقاومة وامكانياتها، اشراك الجماهير العربية مشاركة فعالة الخ ... واذا كانت هنالك حاجة للسرية ، فضمن هذا الخط وليس دونه .

ثالثا : أن مشكلتنا الاساسية تنبع في اعتماد انظمتنا على القوى الخارجية ، واهمالها طاقاتنا وامكاناتنا . نحن نفكر بالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، بالشرق والغرب ، وتلوم هذه الجهة او تلك . نطلب من الاتحاد السوفياتي ان يؤهلنا للحرب ، او نناشد الولايات المتحدة ان تأتي لنا « بالسلم » . وطبيعي الا يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يقدم لنا الاهلية للحرب ، كما انه طبيعي الا تقدم لنا الولايات المتحدة « السلم » على طبق من ذهب .

وهذا لا يعني اننا لسنا بحاجة الى اصدقاء وحلفاء ، نحن بحاجة الى اصدقاء وحلفاء ، وعلينا ان نحدد اصدقاءنا واعداءنا ، علينا ان نفرق بينهم وبين نوع صداقاتهم وعداواتهم ومستوى هذه الصداقات والعداوات في كل مرحلة . ولكن هذا ليس الاساس . انه جزء من الخط السياسي الصحيح الذي علينا ان نضعه وان ننتهجه . ولكن أساس هذا الخط هو جماهيرنا وقوانا وارادة القتال لدينا .

اعتقد أن التجارب علمتنا ان النصر لن يأتي من الخارج ، ولا من الاسلحة الخارجية ، ولا من المساندة السياسية الخارجية ، وان كان ذلك كله من العوامل المساندة . ان النصر يأتي من العامل الذاتي ، من ارادتنا ومن جماهيرنا . ان اصدقاءنا الصينيين ، وهم حلفاء لا يماري احد في صداقتهم، وان بدأت الاوساط المشككة بالصداقة مع الاتحاد السوفياتي تبث الذعر في نفوسنا من التنين الذي سيحل محل الدب، يقولون لنا دائما: الاعتماد على الذات هو الطريق الى النصر . أما نحن فنهرب دائما من الذات الى الخارج ، نبدد قوانا الحقيقية لنمني النفس بمساندة قوى لا تنفعنا ان لم ننفع انفسنا . ان سر قوتنا في جماهيرنا . ومع ذلك نبحث عن هذا السر في التكنولوجيا التي لا نملكها ولا نبذل الجهود لامتلاكها . وسر قوتنا في معنويات جماهيرنا ، ومع هذا فنحن نعمل على تدمير هذه المعنويات . وسر قوتنا في وحدة جماهيرنا ونحن نفرقها ونقسمها . وسر قوتنا في تعبئة جماهيرنا ، ونحن « ننفخها » اعلاميا ونحن « نفرغها » دائما حتى لا تصبح قوة .

وفي الوقت الذي تصمد فيه الجماهير الفيتنامية في الشمال والجنوب لغارات الطيران الاميركي الايام والاشهر والسنين ، نخشى نحن غارات الطيران « الاسرائيلي » . وفي الوقت الذي نخشى فيه تفوق الطيران « الاسرائيلي » ، ونؤجل الحرب فزعا ورعبا من هذا « الشيطان الرجيم » تزحف قوات الثوار الفيتناميين ، المشاة في الاغلب ، بلا حماية من طيران ، وبلا سلاح مدرع يستحق الذكر ، على مواقع الاميركيين والفيتناميين الجنوبيين ، ويحققون النصر تلو النصر . هذا هو درسنا الاول والاخير . ان النصر مرهون بارادة الانسان ووعيه وحكمته وقدرته على استخدام قواه وطاقاته . وعلينا ان نعي هذا الدرس جيدا، لانه الدرس الذي يقودنا الى النصر .

ن . ع .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

استمرت التطورات الناجمة عن قرارات الرئيس السادات بابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات من مصر في السيطرة على الاجواء الدولية بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي . وكان الاتجاه الاهم الذي سارت فيه هذه التطورات هو المزيد من التدهور في العلاقات المصرية السوفياتية . هذا بالرغم عن بعض التصريحات القليلة التي ارادت ان توحي بالعكس مثل قول محمد حسنين هيكل اثناء زيارته لالمانيا الغربية بان « سحب نحو ٢٠ الف عسكري سوفياتي، بطلب عاجل من القاهرة ، لم يؤثر على الصداقة المصرية ــ السوفياتية » . وتجلت اهم مظاهر هذا التدهور في الوقائع التالية:

١ ــ التطورات التي رافقت تلقي الرئيس السادات ، في الاسبوع الاول من شهر آب ، رسالة مهمة (على حد وصف اجهزة الاعلام المصرية) من الزعيم السوفياتي بريجنيف موضوعها العلاقات العربية السوفياتية . وجدير بالانتباه ان الرسالة جاءت بعد المشاورات التي اجرتها القيادة السوفياتية مع زعماء دول حلف فرصوفيا حول الوضع المستجد في الشرق الاوسط بعد قرارات الرئيس السادات ، وبعث الرسالة مع رئيس مجلس الشعب المصري الذي كان في زيارة للاتحاد السوفياتي بدلا من الطرق الدبلوماسية المعهودة . وتشير تطورات الاحداث الى ان الرسالة تضمنت رد القادة السوفيات على قرارات الرئيس السادات الاخيرة ورأيهم فيها . وعليه اعلنت الجهات المسؤولة بان الرسالة لاقت اهتماما كبيرا ودراسة عميقة في مصر . لكن يبدو ان القيادة في القاهرة لم تكن مسرورة من محتويات الرسالة اذ اعلن محمد حسن الزيات (طبعا ، قبل ان يصبح وزيرا للخارجية) في مؤتمر صحفي ان الدراسة المعمقة للرسالة لم تبين ، للاسف ، اية طرق جديدة مفتوحة كما انها لا تدعو مصر للقيام بأي عمل في الوقت الحاضر . وذكرت انباء صحفية موثوقة مصدرها القاهرة بان الرئيس السادات قال في جلسة مغلقة عقدها مجلس الشعب المصري بانه يهيء « ردا حادا » على الرسالة لانها لا تتضمن اية عناصر ايجابية ، ولانه يبدو ان الزعيم السوفياتي لم يفهم تماما السياسة التي تنوي مصر اتباعها حيال الاتحاد السوفياتي . كذلك ذكرت هذه الانباء ان الرئيس السادات قال في اجتماع لاحق لمجلس الشعب (١٧ آب ١٩٧٢) بانه رفض رسالة بريجنيف لان « لهجتها ومحتوياتها ونمطها غير مقبولة كليا » وكما اتهم الاتحاد السوفياتي بانه يريد اجبار مصر على الخضوع لاسرائيل بامتناعه عن تقديم الاسلحة الهجومية ، خاصة الطائرات ، وشدد على انه في ظل سريان مفعول الحظر الذي تفرضه الدول الاوروبية الغربية الصديقة على شحن السلاح الى المنطقة يكون الهدف في الخطوات السوفياتية هو « دفعنا الى شفير اليأس » والوصول «الى مرحلة تدفع فيها الى الاستسلام». وفي مقابلة صحفية مع مراسل راديو لوكسمبورغ (٢٠ آب ١٩٧٢) ذكر الرئيس السادات ان اخراج المستشارين والخبراء السوفيات من مصر ليس الا « تحذير دولي » وانه بانتظار رد من موسكو قبل القيام بخطوة ثانية .

٢ ــ تدني العلاقات الدبلوماسية بين مصر والاتحاد السوفياتي ، في كل هذه الفترة ، الى مستوى القائمين بالاعمال . اذ سافر السفير السوفياتي في مصر الى بلاده بعد اعلان السادات قراراته بفترة وجيزة ، كما استدعى الرئيس السادات السفير المصري في موسكو على أثر ورود رسالة بريجنيف . وترددت انباء صحافية مصدرها مراجع مطلعة في القاهرة بأن الرئيس السادات سيطلب سحب فينوغرادوف ــ السفير السوفياتي في مصر ــ لانه لم ينقل معلومات صحيحة من القاهرة الى موسكو وبالعكس ، ولانه غادر القاهرة بطريقة اعتبرت مخلة . وجدير بالاشارة الى ان هذا ادنى مستوى وصلت اليه العلاقات الدبلوماسية بين البلدين منذ انشائها .

٣ ــ الانسحاب السوفياتي الكامل من كافة القواعد البحرية والجوية في مصر بعد خروج خبرائهم العسكريين . وذكرت الانباء الصحفية ان الرئيس السادات اعلن ، في اجتماع مجلس الشعب الاول الذي اشرنا اليه ، ان كل الوحدات البحرية السوفياتية قد انسحبت من موانىء مصر باستثناء سفينتين حربيتين قيد الاصلاح . ولا يستبعد المراقبون ان تعيد مصر النظر في سياسة تقديم التسهيلات البحرية للاسطول السوفياتي .

٤ — يشل فكرة عقد قمة مصرية — سوفياتية ، على اساس الاقتراح الذي تقدم به الرئيس السادات حين اعلن قراراته بشأن ابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات ، للنظر في مستقبل العلاقات العربية — السوفياتية . فقد أعلن محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب عن وجود عقبات في طريق عقد مؤتمر قمة مصري — سوفياتي ، مع ان مصر تواصل جهودها من اجل عقد مثل هذا المؤتمر . اي انه حمل الاتحاد السوفياتي مسؤولية عدم انعقاده . ومن جهة اخرى ذكرت انباء صحفية مصدرها مراجع مطلعة في موسكو ان القيادة السوفياتية نفسها غير متحمسة لعقد مؤتمر قمة في الوقت الحاضر وتفضل اجتماع مصري — سوفياتي في مستوى ادنى لمناقشة التطورات الاخيرة ، وفي حال نجاح هذا الاجتماع قد يعقد مؤتمر القمة عندئذ .

٥ — الحملات الصحافية والاعلامية المتصاعدة في شدتها ولهجتها بين مصر والاتحاد السوفياتي . ففي القاهرة ظهرت مقالات عديدة في الصحافة اتهمت الاتحاد السوفياتي بالاتفاق مع نيكسون على الامتناع عن مد مصر بالسلاح ، وبالعجز عن فرض السلام في المنطقة ، وبعدم ايضاح موقفه علينا من التطورات الاخيرة بالنسبة لعلاقاته مع مصر . ونزعت هذه الحملة باتجاه التشكيك بجوانب عديدة وجوهرية من سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط . على سبيل المثال أثارت الكتابات الصحفية المصرية تساؤلات من نوع : هل يستغل الاتحاد السوفياتي حاجة مصر الى قطع غيار لاسلحتها كوسيلة لممارسة ضغط سياسي عليها ؟ هل سينفذ الاتحاد السوفياتي اتفاقاته مع مصر في ما يتعلق بانشاء مصانع من بينها مجمع الصلب والحديد ؟ لو افترضنا ان اميركا استطاعت فعلا ان تفرض على اسرائيل الانسحاب من كل الاراضي المصرية ، فهل ترفض مصر ذلك لمجرد انها اميركا؟ يضاف الى ذلك الكلام عن الاتحاد السوفياتي كدولة كبرى لا تختلف في موقفها عن الولايات المتحدة بالنسبة لعلاقاتها مع مصر . وتشبيه العلاقات المصرية السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية الاميركية. كذلك تضمنت الحملة المصرية اشارات الى ان الاتحاد السوفياتي اعتبر ضرب جناح علي صبري في النظام المصري موجها ضده مع التلميح بوضوح الى احتمال إشتراك الاتحاد السوفياتي في حركة علي صبري ضد الرئيس السادات . حتى معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفياتية لم تنج من حملة التشكيك هذه ، اذ اتهمت بعض الكتابات الصحفية المصرية الاتحاد السوفياتي بعدم احترام المعاهدة وبخرق بنودها الاساسية وبعدم تنفيذها . ولا يستبعد المراقبون ان تؤدي التطورات السلبية هذه الى الغاء المعاهدة فيما بعد . بطبيعة الحال ردت الصحافة السوفياتية والشيوعية على الحملة المصرية . ففي منتصف اب شنت صحيفة الحزب الشيوعي المجري حملة شديدة على سياسة الرئيس السادات واتهمتها بانعاش اليمين المصري والرجعية العربية عامة ، كما ذكرت ان السادات ساهم في اضعاف الناصرية وفي تسديد ضربة الى اليسار في مصر . ونفت صحيفة « البرافدا » ما قيل حول توصل الاتحاد السوفياتي الى اي اتفاق سري حول الشرق الاوسط مع نيكسون في مؤتمر القمة الاخير . ووجهت النقد لتقارب « بعض الزعماء العرب » مع الولايات المتحدة وشددت على ان هذا التقارب لن يكون له أية نتيجة ايجابية على صعيد تسوية النزاع مع اسرائيل بسبب تزايد التأييد الاميركي لها ، مؤكدة ان الشعوب العربية لن تتمكن من تحقيق السلام العادل وتحقيق التقدم بدون الاعتماد على مساعدة الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية . اما صحيفة « الازفستيا » فقد انتقدت الحملة الاعلامية المصرية واعتبرتها موجهة ضد الصداقة والتعاون بين العرب والاتحاد السوفياتي ، كما احتجت على وضع العلاقات المصرية مع كل من الاتحاد السوفياتي واميركا على قدم المساواة ، وعلى تشبيه العلاقات المصرية — السوفياتية بالعلاقات الاسرائيلية — الاميركية . كذلك رفضت الاتهام بان الاتحاد السوفياتي قد خرق التزاماته بالنسبة لنصوص معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين مذكرة ان مثل هذه الآراء من شأنها ان تفرح الامبرياليين والحكام الاسرائيليين وان تجلب الضرر الى الشعب المصري ونضاله من اجل ازالة آثار العدوان . وأكدت من جديد وقوف الاتحاد السوفياتي الى جانب قضية التحرير التام للاراضي العربية من الاحتلال الاسرائيلي .

وكنتيجة حتمية لتدهور العلاقات المصرية السوفياتية المستمر كان لا بد للرئيس السادات من التوجه الحذر نحو الغرب في سياسة مصر الخارجية . وظهرت بوادر هذا التوجه في عدة تصريحات لكبار المسؤولين المصريين اهمها اعلان محمد حسن الزيات في منتصف شهر آب « بان مصر مستعدة

للتعاون مع اي دولة تفهمنا – او تحاول ان تفهمنا – وتساعدنا ، سواء أكانت هذه الدولة روسيا ام الصين او امريكا » . وتصريح السادات في مقابلته المشار اليها مع مراسل راديو لوكسمبورغ بأن مصر مستعدة لمصافحة « اليد التي تمدها أمريكا » اذا وافقت واشنطن على تعديل سياستها تجاه مصر . وبهذا الصدد ترددت انباء صحفية غير مؤكدة في لبنان ، في النصف الثاني من شهر آب ، تقول ان محمد حسنين هيكل قد يجتمع بهنري كيسنغر – مستشار الرئيس نيكسون للعلاقات الخارجية – في اوروبا ، وان اتصالات امريكية – مصرية قد جرت على مستويات متعددة من اجل الاعداد لهذا الاجتماع . كما ذكرت هذه الانباء ان وزير خارجية مصر ايضا قد يقابل كيسنغر اثناء وجوده في نيويورك بمناسبة اجتماعات هيئة الامم المتحدة . الا ان ناطقا باسم البيت الابيض نفى ان يكون عند كيسنغر اية خطط لمقابلة هيكل او أي مبعوث اخر من قبل السادات . وفي اوائل ايلول ترددت انباء صحفية اخرى في لبنان ، منسوبة الى مصادر دبلوماسية في القاهرة ، تقول ان الرئيس السادات قد يقوم بزيارة نيويورك في نهاية السنة الحالية لحضور جانب من اجتماعات هيئة الامم مما سيتيح له فرصة مقابلة كبار المسؤولين الامريكيين بعد انتهاء الانتخابات في البلاد . وأضافت هذه الانباء ان السادات سيزور فرنسا في طريقه الى نيويورك لكسب المزيد من تأييدها لقضية التسوية السلمية . وقد امتنع المسؤولون الفرنسيون عن تأييد او نفي خبر نبأ زيارة السادات لفرنسا ، كما أعلنت السفارة المصرية في باريس انه ليس باستطاعتها تأكيد النبأ او نفيه . وفي اواخر شهر آب اعلن في القاهرة ان وفدا مصريا رفيع المستوى برئاسة وزير الاقتصاد والتجارة سيزور الولايات المتحدة في شهر ايلول ويجتمع بممثلي المؤسسات المالية الامريكية ويبحث معهم في تقوية الروابط الاقتصادية بين البلدين . وتحمل هذه الزيارة دلالات خاصة باعتبار ان هذا الوفد هو اعلى وفد مصري يزور الولايات المتحدة منذ فترة طويلة بهدف تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين وخاصة الاقتصادية منها . وأعلن الناطق باسم وزارة الخارجية الامريكية عن ترحيب حكومة بلاده بالوفد الزائر واستعدادها لاجراء المحادثات اللازمة معه .

لقد تركز التوجه الجديد للسياسة الخارجية المصرية على دول اوروبا الغربية الرئيسية (دول السوق الاوروبية المشتركة) واتخذ شكل الاستعداد للقيام بمساع مصرية واسعة النطاق في اوروبا لاقناع حكومات تلك البلاد « بتبني موقف اكثر ايجابية حيال النزاع في الشرق الاوسط » . وتجلت مظاهر هذه الحملة في التحركات التالية :

أ – الاعداد لمجموعة زيارات سيقوم بها وزير الخارجية المصري ومسؤولون اخرون لعدة دول اوروبية غربية قبل افتتاح الدورة المقبلة للجمعية العمومية للامم المتحدة في اواخر شهر ايلول . ومن العواصم التي ستشملها هذه الزيارات والمساعي لندن وباريس وبروكسيل وبون . وقد اوضحت القاهرة بهذا الصدد انها ترحب بأي مجهود اوروبي لاخراج ازمة الشرق الاوسط من جمودها مع العلم انها ما زالت تعتقد بأن مفتاح التسوية السلمية موجود في يد امريكا . بعبارة اخرى المطلوب هو تعبئة الدول الاوروبية لتشكل عامل ضغط على الولايات المتحدة لتحقيق التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن .

ب – تردد إنباء مصدرها القاهرة عن عزم مصر على تقديم اقتراحات محددة لتسوية النزاع مع اسرائيل خلال الحملة الدبلوماسية المذكورة الا انه لم تتوفر اية معلومات تفصيلية عن هذه المقترحات باستثناء تركيزها على دول اوروبا الغربية بالدرجة الاولى وبهدف الوصول الى تطبيق قرار مجلس الامن . وتعزيزا لهذا الاتجاه اعلن الرئيس السادات في مقابلة مع صحيفة « الفيغارو » الفرنسية في ٢١ آب ان ابعاد المستشارين السوفيات من مصر يجب ان يؤدي الى تفهم ومساعدة اكبر لمصر من قبل دول اوروبا الغربية التي ينبغي عليها ان تساعد مصر الان بكل طريقة ممكنة . كما اشار الى ان الحظر الفرنسي على شحن الاسلحة الى المنطقة لم يعد واقعيا بعد الذي حدث .

ج – الاجتماع الذي تم بين رئيس حكومة المانيا الغربية – فيلي برانت – ومبعوث الرئيس السادات محمد حسنين هيكل كجزء من الحملة الدبلوماسية المصرية الجديدة المركزة على اوروبا الغربية . وقد احيطت المقابلة بستار شديد من الكتمان ولكن لا شك في ان المحادثات بين برانت وهيكل تناولت موضوع تحسين العلاقات بين البلدين واعادتها الى حالتها « الطبيعية » . وبهذه

المناسبة ترددت انباء صحفية تقول بان المانيا الغربية اخذت تقوم بدور الوساطة بين مصر والولايات المتحدة من اجل تحسين العلاقات السياسية بين البلدين بعد ان اصبح الجو ملائما لذلك في اعقاب خروج السوفيات من مصر . واوضحت هذه الانباء ان المانيا الغربية ستكون احدى الدول الرئيسية التي ستعتمد عليها مصر في حملتها الدبلوماسية الاوروبية . كما يبدو ان هدف مصر في هذه الاتصالات ليس الحصول على اية اسلحة ومعدات حربية بل الحصول على تأييد سياسي من جهة وعلى مساعدات اقتصادية وفنية المانية من جهة اخرى . وقد ذكرت « الاهرام » ان المانيا الغربية اقترحت على مصر ايفاد وفد اقتصادي على مستوى عال لاجراء محادثات لاعداد برنامج شامل للتعاون الاقتصادي بين البلدين .

د ـ الانباء التي ترددت عن امكانية قيام الرئيس السادات بالدعوة الى عقد مؤتمر سلام حول ازمة الشرق الاوسط برعاية الامم المتحدة تحضره الدول العربية واسرائيل والدول الكبرى . ويمكننا ربط هذه الانباء بسهولة بما قاله الرئيس السادات في خطاب له امام مجلس الشعب بان « ما نحتاج اليه الان هو التحرك مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واوروبا الغربية والدول غير المنحازة والدول العربية » . ويبدو ان الفكرة المطروحة هي الدعوة لمؤتمر موسع بحيث تشترك عدة دول عربية وصديقة وكبرى وغير منحازة مع مصر في تحمل مسؤولية مواجهة اسرائيل بصورة مباشرة وتحت سقف واحد .

هـ ـ في الاسبوع الثاني من شهر ايلول اقال الرئيس انور السادات وزير خارجيته الدكتور مراد غالب الذي عمل كسفير لبلاده في موسكو لفترة طويلة . ومن المعروف ان غالب كان ضد دفع اتجاه العلاقات المصرية ـ السوفياتية نحو التدهور ولم يكن مرتاحا للتوجه الجديد الذي اخذت تسير به السياسة الخارجية المصرية بعد ابعاد الخبراء والمستشارين السوفيات . وقد حل محله محمد حسن الزيات الذي مثل بلاده في هيئة الامم ويعتبر من المطلعين على اوساط الدبلوماسية الغربية واجوائها . ومن الواضح ان هدف هذا التبديل هو وضع الشخص الاكثر ملائمة على رأس وزارة الخارجية لانجاح الحملة الدبلوماسية المصرية في الغرب . وعلى الصعيد الاوروبي نفسه يبدو ان دول السوق الاوروبية المشتركة تجري اتصالات مع الاطراف المعنية بازمة الشرق الاوسط بهدف تنسيق المواقف على أمل ان تتمكن هذه الدول من القيام بدور اكثر فعالية في احلال التسوية السلمية على اساس تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . وتتم هذه الاتصالات قبل اجتماع وزراء خارجية دول السوق الذي سينعقد في ايطاليا في ١١ و ١٢ ايلول الجاري تمهيدا لمؤتمر القمة الاوروبي الذي سينعقد في تشرين الاول المقبل . ومن المؤكد ان اجتماع وزراء الخارجية سيبحث ازمة الشرق الاوسط وتطوراتها وكيفية الخروج من حالة الركود التي تسيطر عليها باتجاه التسوية السلمية . كما سيعقب هذا الاجتماع اجتماع اخر لمديري ادارات الشرق الاوسط في دول السوق للبحث في امكانية تحديد موقف موحد لهذه الدول من قضية الشرق الاوسط عند عرضها على الامم المتحدة في دورتها المقبلة . وعلى صعيد اخر ذكرت انباء صحفية مصدرها لندن انه من المتوقع ان تقوم بريطانيا بتزويد مصر بصواريخ من نوع « رابير » لتحل محل بطاريات صواريخ سام ـ ٣ التي خرجت مع الانسحاب السوفياتي من مصر . وامتنعت وزارة الخارجية البريطانية عن التعليق على هذه الانباء الا انه من المتوقع ان يكون موضوع الصواريخ ، وربما غيرها من الاسلحة ، بين الموضوعات التي سيناقشها وزير خارجية مصر عند زيارته القادمة الى لندن في النصف الثاني من شهر ايلول .

الا ان اقتحام فدائيي منظمة ايلول الاسود المقر الاولمبي للبعثة الرياضية الاسرائيلي والنتائج التي اسفر عنها الهجوم وضع عراقيل غير متوقعة في وجه الحملة المصرية الدبلوماسية باتجاه اوروبا الغربية ، كما أزم العلاقات بين مصر والمانيا بصورة خاصة . ففي محاولة للتنصل من مسؤولية الكمين الذي اعدته للفدائيين وما نتج عنه من قتل الرهائن الاسرائيليين وخمسة من الفدائيين الثمانية قامت المانيا بتوجيه اللوم الى الدول العربية ، وخاصة مصر ، لانها تأوي منظمات المقاومة وتساعدها . وبطبيعة الحال رفضت مصر هذا المنطق والغت الزيارة التي كان سيقوم بها وزير خارجيتها الى المانيا هذا الشهر . وفي محاولة لتلافي تدهور العلاقات الالمانية ـ العربية عاد وزير الخارجية الالماني ـ فالتر شيل ـ الى سحب الاتهامات الاولى عن طريق الادلاء بتصريح يقول « ان الدول العربية ليست مسؤولة في اي حال من

الاحوال عن احداث ميونيخ التي تتحمل مسؤوليتها مجموعة صغيرة من الفلسطينيين » . كما اعرب عن امله في « الا تتوقف عملية اعادة العلاقات الالمانية — العربية الى طبيعتها » . ولا يبدو لنا ان حادث ميونيخ بذيولها ستستمر في عرقلة مساعي مصر الاوروبية لفترة طويلة . فقد اعلن وزير خارجية بريطانيا — السير اليك دوغلاس هيوم — انه غير مستعد لالقاء مسؤولية « المجزرة » في ميونيخ على الحكومة المصرية ، ورفض طلب المعارضة بالغاء زيارة وزير خارجية مصر المتوقعة الى بريطانيا قائلا بانه من الافضل بحث القضايا المشتركة بين البلدين مواجهة .

بالنسبة للولايات المتحدة فقد استمرت في التعبير عن ارتياحها ، ولكن بدون شماتة ، للاتجاه الجديد الذي اخذت تسير فيه السياسة المصرية الخارجية مؤخرا . لكن بالرغم عن ذلك تشير كافة الدلائل الى ان امريكا ما زالت متمسكة بشدة بموقفها المعروف حول التسوية السلمية والذي يتلخص : (أ) بالاصرار على ضرورة المفاوضات المباشرة مع اسرائيل ، (ب) الاصرار على تحقيق التسوية الجزئية بدلا من التسوية الشاملة التي تطلبها مصر ، (جـ) عدم فرض أية تسوية على النزاع تأتي من خارج المنطقة (هيئة الامم ، الدول الاربعة الكبرى ، الضمانات الدولية) لا توافق عليها اسرائيل . ويتضح هذا الموقف المتكامل للولايات المتحدة من عدة مصادر اهمها : (أ) الاجتماع الذي عقده المسؤول عن رعاية الشؤون المصرية في الولايات المتحدة مع وليم روجرز حيث ابلغه وزير الخارجية الامريكي ان ابعاد العسكريين السوفيات عن مصر سيسهل على واشنطن مساعيها من اجل ايجاد تسوية سلمية في المنطقة ، كما ابلغه ان بلاده لن تقوم بأية خطوات في هذا الاتجاه قبل انتهاء انتخابات الرئاسة في الخريف . كذلك اكد له روجرز ان امريكا مستعدة للمساهمة في البحث عن تسوية سلمية في المنطقة على اساس تجديد المساعي للوصول الى تسوية جزئية لاعادة فتح قناة السويس ، واجراء مفاوضات مباشرة بين الطرفين باعتبارها افضل طريق للوصول الى الهدف المطلوب ، مع التأكيد بأن هذا لا يمنع ان تبدأ المفاوضات على اسلوب « المحادثات عن كثب » تحت اشراف طرف ثالث . وقد ادلى بهذه المعلومات الناطق الرسمي بلسان وزارة الخارجية الامريكية . (ب) المؤتمر الصحفي الذي عقده وليم روجرز في الاسبوع الثاني من شهر آب حيث رفض الادلاء بأي تعليق رسمي على الانسحاب السوفياتي من مصر معتبرا الموضوع ، في العلن ، قرارا مصريا داخليا محض ، لكنه اعرب عن ارتياحه الشديد لاستمرار وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية الاسرائيلية وعن امله في ان يؤدي هذا الاستقرار الى « مفاوضات ناشطة » بين الطرفين . وعاد الى فكرة « المحادثات عن كثب » بين مصر واسرائيل باشراف الولايات المتحدة ، لكنه اعترف بأن « مشاكل مصر الداخلية تمنع الرئيس السادات من ان يستجيب فورا للعرض الامريكي » (جـ) المقابلة التي اجرتها مجلة « نيوزويك » الامريكية مع الرئيس نيكسون حيث وصف قضية الشرق الاوسط بأنها « مشكلة صعبة للغاية لانه بالرغم عن انتهاء القتال لا تلوح في الافق أية بادرة للتسوية » ، وقال بانه ابلغ الإسرائيليين مرارا بان وضعهم الحالي قوي جدا في اية مساومة مع العرب ولذلك باستطاعتهم ان يكونوا اكثر كرما من ذي قبل . واكد من جديد بانه لن يقوم بفرض اية تسوية على اسرائيل . وعلى اساس هذا الموقف الامريكي المحدد من المؤكد أن حكومة نيكسون لن تستجيب لاية دعوة قد يطلقها الرئيس السادات لعقد مؤتمر موسع تشارك فيه دول عديدة بالاضافة لمصر واسرائيل للوصول الى تسوية سلمية في المنطقة .

على صعيد آخر لا بد من الاشارة الى التصريحات التي أدلى بها سيسكو حول زيارته الاخيرة الى اليمن والخليج العربي . ذكر ان بلاده لا تريد الحلول محل بريطانيا للدفاع عن مصالح الغرب في الخليج ولكنها تريد مساعدة دول المنطقة للدفاع عن نفسها ، اي ان امريكا ستسلك طريق الاستعمار الجديد المعروفة بالاعتماد على الطبقات الرجعية الحاكمة المحلية للدفاع عن مصالح الامبريالية هناك . وقد اكد هذا بقوله ان حكومته مهتمة بالاستقرار في الخليج لان للولايات المتحدة مصالح اقتصادية واستراتيجية وبترولية فيه ، لذلك فان سياسة بلاده ستكون مبنية على تشجيع ايران والسعودية والكويت على التعاون فيما بينها لضمان امن المنطقة . كما انها مستعدة لمنح هذه الدول المعدات والتدريب لضمان امنها الخارجي والداخلي . اي ضمان استقرار الوضع على ما هو عليه والدفاع عن أمن الخليج ضد الحركة الوطنية فيه . وفي اول شهر آب وافق مجلس الشيوخ الامريكي على السماح للحكومة بعقد

اتفاقات « لبيع » الاسلحة الى اسرائيل بكميات غير محدودة .

وبالنسبة لهيئة الامم فقد حضر يارينغ من مقره في موسكو الى نيويورك لاجراء مشاورات مع كل من فالدهايم وممثلي مصر والاردن واسرائيل في هيئة الامم . واعتبرت هـذه الخطوة استئنافا لمهمة الوسيط الدولي الذي صرح بأنه لا ينوي زيارة منطقة الشرق الاوسط في الوقت الحاضر. ويفترض بيارينغ ان يقدم تقريرا عن مهمته الى الدورة المقبلة لهيئة الامم . وفي نهاية الاسبوع الاول من شهر آب اجتمع وزير الخارجية المصري بكل من فالدهايم ويارينغ بمناسبة وجوده (اي الوزير المصري) في امريكا لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز . الا انه يبدو ان استئناف مهمة الوسيط الدولي لم تأت بجديد على الاطلاق باستثناء الهجوم غير العادي الذي شنه محمد حسن الزيات على يارينغ في مؤتمر صحفي حيث ابدى تحفظاته حول فعالية مهمة الوسيط واتهمه بالتحيز لاسرائيل وقال « لو كنت اسرائيليا لحاولت ان اصنع تمثالا ذهبيا للسيد يارينغ » . ولم تتوفر حتى الان اية تفسيرات توضح الدوافع الكامنة وراء هذا النقد القاسي والاول من نوعه الموجه الى الوسيط الدولي من قبل مصر ، خاصة انه لا يوجد ما يشير الى ان اي تعديل قد طرا على طبيعة مهمته او مواقفه منذ ان توقفت مساعيه بعد المذكرة الشهيرة التي قدمها الى كل من مصر واسرائيل في ٨ شباط ١٩٧١ . وقبل منتصف آب عاد يارينغ الى مقره في موسكو على ان يعود الى الامم المتحدة مع افتتاح دورتها المقبلة . وعلى صعيد آخر أخذ فالدهايم زمام المبادرة ، بعد عملية ميونيخ لفدائيي منظمة ايلول الاسود ، بادراج موضوع « اتخاذ التدابير اللازمة للحيلولة دون وقوع هجمات ارهابية » اعمال الدورة القادمة للجمعية العامة لهيئة الامم مما سيعني مناقشة العملية الفدائية في الاجتماعات المقبلة للمنظمة الدولية . وبطبيعة الحال كانت وفود دول اوروبا الغربية والولايات المتحدة في طليعة المؤيدين لخطوة فالدهايم . وبالنسبة لمؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في امريكا وحضرته وفود تمثل ٦٧ دولة ، فقد دعا الى انسحاب القوات الاسرائيلية فورا ومن دون قيد او شرط من الاراضي المحتلة ، كما عبر عن قلقه العميق بصدد خطف اسرائيل لعدد من العسكريين السوريين واللبنانيين من الاراضي اللبنانية في شهر حزيران الماضي . كذلك استنكر المؤتمر الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

من أهم القضايا التي برزت في الأونة الاخيرة في المناطق المحتلة موضوعات الاستيطان المديني ، وتوطين لاجئي قطاع غزة في اماكنهم ، واستغلال العمال العرب لدرجة اصبح معه قسم منهم وخاصة أولئك الذين يعملون في الكيبوتسات والموشافات اشبه « بالخدم والجواري » منهم بالعمال ، وتعثر الوساطة بين السلطتين الاسرائيلية والاردنية التي بدأت تحت ستار التعزية بموت الملك طلال في شهر تموز ، وتصدعت بمحاولة تصفية رئيس بلدية غزة في شهر اب ، وترنحت على اثر عملية ميونيخ في شهر ايلول .

الاستيطان المديني : ان اخطر استيطان يواجه المناطق المحتلة هو ذاك النمط من الاستيطان المديني الذي قامت به اسرائيل حتى الان في مدينة القدس حيث شادت عددا من الضواحي المدنية حول المدينة وعلى رأسها ضاحية اشكول . وتعتزم اسرائيل في الوقت الحاضر ادخال هذا النوع من المستوطنات في المناطق التي لا تعتزم الخروج منها ولو مقابل اتفاق سلام مع العرب ، فبالاضافة الى الانماط الاستيطانية التي قامت بها خلال الاعوام الخمس الماضية (٣٩ مستوطنة) تقوم اسرائيل باقامة نواة لمدينة في هضبة الجولان ، وتجري الدراسات لاقامة مدينة في غور الاردن وتعد « مشروعا اساسيا » لاقامة مدينة في المنطقة الشمالية من سيناء شمالي العريش تتسع لربع مليون نسمة !. ففي هضبة الجولان التي تحتل الصدارة في سياسة الاستيطان يجري العمل الان لاقامة نواة لمدينة في جنوب الهضبة « بني يهودا » حيث تم بناء ٤٠ وحدة سكنية ، ويجري العمل لاقامة ٢٠ وحدة سكنية اخرى في المرحلة الاولى ، كما وشيدت مباني خدمات كالمدارس والحوانيت وعيادة وغيرها . وبدأت نواة المدينة تستقطب المستوطنين الجدد في المدن الاسرائيلية وكذلك من المهاجرين الجدد القادمين من الاتحاد السوفياتي ، حيث رشحت ٢٠ عائلة من يهود الاتحاد السوفياتي للاستيطان في المدينة النواة . وستعتمد طلائع المستوطنين في معيشتها على العمل في معمل قطع الغيار الذي اقامته الصناعة الجوية في المنطقة والذي بلغت تكاليفه ٤٢٥ مليون ليرة . ومن اجل تشجيع الاستيطان هناك تقوم السلطات المسؤولة بدفع معاشات مرتفعة معفاة من الضرائب كما وتقدم وحدات سكنية مريحة . ومن الجدير بالذكر ان سلطات الاستيطان تربط المدينة النواة بالتاريخ الغابر لليهود في هضبة الجولان مدعية ان مدينة يهودية كانت بمثابة ثغر محصن ابان الملك غريفس وقد خربت في اعقاب ثورة اليهود ضد الرومان ، كما وتربطها بالمحاولات الصهيونية في القرن التاسع عشر لاستيطان الهضبة عندما قام عدد من يهود صفد باقامة مستوطنة زراعية اطلقوا عليها اسم « بني يهودا » ومن هنا جاء اسم المدينة النواة التي تم الاحتفال بتدشينها في اواخر شهر اب .

مشروع اساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء : وفي نفس الوقت الذي تبرز فيه معالم نواة لمدينة في هضبة الجولان أخذت وسائل الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن مشروع أساسي لاقامة مدينة في شمال سيناء تتسع لربع مليون شخص تحمل اسم « يميت » . وقد تم اعداد المشروع بواسطة طاقم كبير مؤلف من مهندسين معماريين ومهندسين وجيولوجيين واقتصاديين وعلماء اجتماع .

تقع المدينة المقترحة على بعد ٤٠ كم شمالي العريش في منطقة تقع بين رفح والشيخ زويد ، وتحتل مساحة يصل عرضها ٦ كم وطولها ١٥ كم .

وتعتبر المدينة المقترحة التي ستكون احدى المدن الرئيسية الخمس في اسرائيل على ما يلي :

١ — اقامة مباني سكنية ابتداء من العام القادم وتتسع بعد عامين الى اربعة الاف نسمة ، والاستمرار في اقامة المباني مع توجيه سيل الهجرة اليها حتى يصبح عدد سكانها ربع مليون نسمة في عام ١٩٩٢ حسب ما جاء في المشروع الاساسي . ٢ — اقامة شبكة مواصلات تربط المدينة بالساحل والبحر الميت والعقبة . ٣ — اقامة مشاريع صناعية كبيرة بالقرب من المدينة ، وتشجيع أصحاب رؤوس الاموال لاقامة مشاريعهم هناك، خاصة وأن بعد المدينة عن التجمع السكاني في السهل الساحلي له أثر كبير في المحافظة على عدم تلوث البيئة من جراء المنشآت الصناعية . ٤ — اقامة ميناء كبير في المدينة يعادل بحجمه ميناء اسدود . ٥ — اقامة مطار دولي بالقرب من المدينة في مرحلة متأخرة . ٦ — استغلال المنطقة الساحلية الغربية من منطقة

حربية في الجنوب الغربي من رفح لتطوير مخططات القوى الذرية ، خاصة وان لجنة الطاقة الذرية اوصت بالاحتفاظ بهذا المكان « كاحتياطي ينبغي الحفاظ عليه من اجل هذا الهدف » . ٧ — اقامة مصانع ومنشآت عسكرية . ٨ — اقامة مراكز سياحية لكي تغدو المدينة من أجمل مدن البحر الابيض المتوسط .

هنالك ثلاث عقبات تقف امام تنفيذ المشروع : ١ — التكاليف الباهظة ، حيث ستصل عند الانتهاء من البناء في عام ١٩٩٢ الى ٨ مليار ليرة ، بيد ان ذلك لا يعتبر عائقا كبيرا اذا ما اخذنا بعين الحسبان قدرة اسرائيل في الحصول على الاموال من الحركة الصهيونية العالمية والحصول على قروض وهبات امريكية غربية . ٢ — توفير اعداد من المستوطنين وتوجيههم الى المدينة المقترحة ، الا ان هذه العقبة تبقى صغيرة ويمكن تجاوزها اذا ما اخذنا بعين الاعتبار هجرة يهود الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل ، التي غدت المعين الرئيسي الذي يصب في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، واذا ما استمرت الهجرة بمعدلها الحالي (٣٥ الف نسمة سنويا) طيلة سبعة أعوام ، فان عدد سكان المدينة يكون قد توفر من بلد واحد فقط . ٣ — رفض صاحب الارض ، مصر ، للمشروع ، وهو العائق الاهم الذي يقف أمام المشروع الاساسي ، الا ان ذلك يبقى محاطا بعلامة سؤال كبيرة ، هل ستشمل التنازلات المصرية من أجل التسوية مع العدو الاسرائيلي منطقة المدينة المقترحة ، علما بأن العدو يصر على عدم التخلي عنها ولو مقابل اتفاقية سلام ؟

واذا ما ازيلت هذه العقبات فان مشروع الدولة اليهودية في منطقة العريش الذي اتفق عليه هرتسل ويوسف تشمبرلين وزير المستعمرات البريطانية في عام ١٩٠٢ ، والذي دفن في رمال سيناء بسبب رفض الحكومة المصرية له ، يكون قد بعث من تحت التراب من جديد على شكل مستوطنات ومدن اسرائيلية .

مخطط لتصفية قضية اللاجئين : الى جانب مخططات الاستيطان انهمكت سلطات الاحتلال بالتخطيط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون حوالي ثلثي السكان هناك ، بواسطة توطينهم في اماكنهم على انقاض مخيماتهم في محاولة « لوضع حد لوضع اللاجئين » . وقد اختلفت الآراء بين صفوف كتلة التجمع العمالي (المعراخ) حول معالجة موضوع لاجئي قطاع غزة ، حيث برزت وجهتا نظر ، الاولى تمثل الاكثرية وتدعو الى اعداد خطة تحسين اوضاع اللاجئين في اماكنهم ، ويقف مع وجهة النظر هذه كل من رئيسة الحكومة غولدا مئير وموشيه ديان ، والثانية تمثل الاقلية وتدعو الى نقل مهاجري القطاع وتوطينهم في الضفة الغربية اي تفريغ القطاع من ثلثي سكانه ، ويقف الى جانب هذه الدعوة عضو الكنيست د. زاكين من حزب « مبام » ويدعمه في ذلك رعنان فايتس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية ، المشهور بمشروعه الداعي الى توطين اللاجئين في منطقة العريش ، وقد انتصر رأي الفريق الاول حيث تمت الموافقة على « مشروع أساسي » اعده طاقم كبير من المهندسين المعماريين ومهندسي المواصلات واخصائيين في شؤون المياه والكهرباء وعلم الاجتماع ، ويتطرق المشروع الى تصفية وضع اكبر مخيم في القطاع ، مخيم رفح ، الذي يبلغ تعداد سكانه ٤٠ الف نسمة ، ويعتمد على اخلاء ٢٤٠٠ عائلة من مجموع الـ ٦٠٠٠ عائلة التي تسكن المخيم ، واسكانها في وحدات سكنية جديدة ، كما ويعتمد المشروع كما اوردته صحيفة معاريف ٧٢/٨/٢٠ على ست نقاط : (١) اقامة وحدات سكنية متشابهة ، تصل مساحة كل وحدة مع الساحة المخصصة لها ٢٥٠ مترا مربعا . (٢) اقامة شبكة طرق رئيسية واخرى ثانوية تمكن من الوصول الى كل بيت (٣) اقامة شبكة مياه وكهرباء (٤) تصفية الازقة . (٥) تخصيص عدد من الغرف لكل عائلة حسب حجم افرادها (٦) اقامة بساتين اطفال ، ومراكز للحوانيت وملاعب . وسيتم حسب المخطط ترميم اكثر من الفي منزل ، وستقام ١٣٠٠ وحدة سكنية جديدة .

يعتبر هذا المخطط الذي من المقرر ان تكون سلطات الاحتلال قد بدأت بتنفيذه ، اول مخطط منذ ان ظهرت قضية اللاجئين منذ ٢٤ عاما يهدف الى تكريس تشردهم والغاء صفة اللاجئين عنهم ، ذلك ان المنطلق الذي يقوم عليه المخطط الاساسي هو « اعتبار مخيم اللاجئين في رفح ، كمكان دائم يشكل مع مدينة رفح بلدية واحدة » .

وتعتزم سلطات الاحتلال ان تعمم المشروع الاساسي على ضوء النجاح في مخيم رفح ، على بقية مخيمات القطاع الاخرى مثل مخيمي الشاطىء وجباليا .

العمال العرب : الى جانب التوجه نحو الاستيطان المدني في المناطق المحتلة ، وتوطين اللاجئين في اماكنهم ، تكريسا للاحتلال ، وتكريسا لحالة التشرد ، استمر الاقتصاد الاسرائيلي في امتصاص الايدي العاملة العربية « الرخيصة » وتسخيرها لخدمته . يبلغ عدد العمال الذين يعملون بشكل رسمي عن طريق مكاتب العمل ٣٧ الف عامل ، ١٢ الف من قطاع غزة والباقي من الضفة الغربية، وهنالك حوالي ١٠ آلاف عامل نصفهم من قطاع غزة يعملون بشكل غير رسمي . وقد ازداد تدفق العمال العرب الذين لا يعملون بشكل رسمي عند مطلع شهر مايو من هذا العام ، حين سمحت سلطات الاحتلال لاهالي القطاع بالتنقل الى اسرائيل بدون تصاريح ، ونتج عن ذلك ان اصبحت حدود الهدنة او ما يعرف بالخط الاخضر يستقبل يوميا ٥٣ الف شخص من سكان المناطق المحتلة ، من بينهم ثلاثة الاف سائح او زائر .

لا نريد ان نعود الى الحديث عن اوضاع العمال العرب (انظر شؤون فلسطينية عدد ٧ ص ٢٦٤) بل التطرق حول موضوع العمال الذين لا يعملون عن طريق مكاتب العمل ، والذين حدثت بسببهم ضجة بين المستوطنات الاسرائيلية والسلطات الاسرائيلية . وسبب الضجة لا يعود الى كونهم يعملون بدون تصاريح عمل ، بل لان قسما كبيرا منهم ينام داخل المستوطنات والكيبوتسات التي يعملون بها ، وخاصة مستوطنات النقب ، وقد رأى وزير الدفاع موشيه ديان ان ذلك يشكل خطرا امنيا ، ولذا طلب من حركة المستوطنات عدم السماح للعمال بالبقاء ليلا داخل المستوطنات ، بيد ان ذلك يعني الاستغناء عن العمال العرب وهذا أمر لا تريده المستوطنات ذلك « لانها تعارض تصفية العمل العربي غير المنظم ، لانه بدون العمل العربي لن تكون هنالك ارباح في الزراعة » !

وهذا الامر يظهر مدى الاستغلال الواقع على العامل العربي ، فاسرائيل لا تنقصها أيد عاملة يهودية ، « ولكن صاحب العمل الاسرائيلي يفضل العامل العربي لكونه رخيصا، ولا توجد لديه مطالب كثيرة ، وليست هنالك لجنة عمالية ، وفي اي وقت يمكن لصاحب العمل ان يكتفي بالقول : اذهب الى البيت ، لا تعد غدا الى العمل » . ولكي نقف على مدى الاستغلال الذي يواجهه العمال العرب في الكيبوتسات والموشافات ، لا بد من الوقوف على عدد الساعات التي يشتغلها هؤلاء خلال اليوم ، « فالعامل الذي ينام في الموشاف يعمل اكثر من العامل الذي يأتي صباحا ويعود بعد الظهر الى بيته ، ان ساعة عمل العمال الذين يسكنون في الموشافات تبدأ في الرابعة صباحا ، وتنتهي في التاسعة او العاشرة مساء ، وصاحب العمل هو السيد المطاع » (هآرتس ٧٢/٨/١١) . لا تقتصر العبودية على الرجل ، بل تشمل ايضا النساء ، فهنالك « جواري » يخدمن في المستوطنات ولا يعدن الى القطاع ، وغدت مستوطنات النقب شبيهة بمستوطنات جنوب افريقيا كما يقول احد المستوطنين: « أن ذلك بدأ يشبه جنوب افريقيا... ففي كل بيت تستطيع ان تعثر على خادمة او طباخة وعمال مزارع ، بينما يتجول صاحب البيت بينهم كالسيد » (معاريف ٧٢/٨/٨) .

بالاضافة الى « الخطر الامني » الذي يشكله هؤلاء حسب رأي ديان ، فهنالك من يرى فيهم « خطرا اجتماعيا وقوميا » مثل وزير العمل يوسف الموغي، ومن خلال شبح« الخطر الامني» و« الخطر الاجتماعي والقومي » اصدرت سلطات الاحتلال تعليمات واضحة بطرد العمال العرب من المستوطنات ، وارسلت وحدات عسكرية اليها لتنفيذ هذه التعليمات. ولكن وبالرغم من ذلك فقد غدت اوضاع وظروف هؤلاء العمال اقسى من السابق ، ذلك ان قسما كبيرا منهم اخذ يلتجيء الى البيارات القريبة من المستوطنات بمساعدة المستوطنين ، وبذلك اصبحوا بالاضافة الى الاستغلال الذي يواجهونه في النهار على ايدي المستوطنين، تحت وطأة الخوف من وحدات المراقبة الحكومية خلال الليل : صورة تتكرر كل يوم في المستوطنات ، وصورة اخرى تعيد نفسها كل يوم على امتداد الخط الاخضر ، حيث يمر فوقها يوميا الى اسرائيل ٥٣ الف عربي، ثلاثة آلاف منهم سائح وزائر ، وخمسون الف عامل يبيعون جهدهم للاقتصاد الاسرائيلي !

تعثر التسوية السياسية : في شهريات العدد السابق تطرقنا الى تقارب الثالوث المسيطر في الضفة الغربية ، سلطات الاحتلال والنظام الاردني والزعامة التقليدية ، وتحركها في خط واحد لتصفية القضية الفلسطينية ضمن اطار عام يصون الاطماع التوسعية الاسرائيلية ويحمي شهوات العرش الملكي في السيطرة ولو اسميا ويذكي تطلعات الزعامة التقليدية . لقد لعبت الزعامة التقليدية

التي وقف على رأسها رشاد الشوا من القطاع ، وانور الخطيب من الضفة الغربية دور الوساطة بين السلطتين ، ولم ينكر انور الخطيب الذي استقبل « استقبال الملوك » في عمان الدور الذي يقوم به بمباركة من الجعبري وسلطات الاحتلال ، اذ اعترف قائلا : « لي الشرف الكبير بأن يكون لي نصيب في ايجاد الحل العادل لهذا النزاع بالتوسط بين الاطراف المعنية » ، الا ان رئيس بلدية غزة فضل العمل بالتستر لاختلاف طبيعة وظروف القطاع عن الضفة الغربية .

من المعروف ان سلطات الاحتلال اقامت ورعرعت زعامة تقليدية في الضفة الغربية واقامت الى جانبها « زعامة شابة » بزعامة ابو شلبابة لاستخدامها كورقة ضغط ضد النظام الاردني والزعامة التقليدية للحصول على مزيد من التنازلات لصالح الاحتلال ، وقد ارادت ان تقوم بنفس اللعبة في القطاع ، ففي اعقاب حملات التشريد والتهجير والهدم في شهر تموز من العام الماضي ، جاءت برشاد الشوا وعينته رئيسا للبلدية في جو تصورت فيه ان المقاومة قد انتهت في القطاع ، وفي الوقت نفسه خلقت في القطاع ما يشبه « الزعامة الشابة » في الضفة ، كورقة ضغط على الشوا من اجل ان لا يحيد عن طريقها ، ويمثل ورقة الضغط هذه الحاج هاشم الخزندار امام غزة الذي ينطلق من نفس الافكار التي ينطلق منها ابو شلبابة ومجموعته . ووسط جو التوسط تحركت الزعامة الشابة في الضفة الغربية ضد وساطة الشوا وأنور الخطيب وغيرهما من زعماء الضفة متهمة اياهم بالتآمر والخيانة ، وتحرك الشيخ هاشم نعمان الخزندار من جانبه متهما الشوا بأنه يعمل لبيع القطاع الى النظام الاردني الذي « قام بمجازر أيلول الاسود ضد الشعب الفلسطيني » ومعتبرا ان افراد البعثة التي ترأسها الشوا الى القصور الملكية « لا يمثلون الا انفسهم ، وحسب اعتقادي ان البعثة تقتصر على عناصر تربطها بالاردن مصالح تجارية ، وخاصة عناصر اصحاب البيارات المستعدة لتصفية القضية الفلسطينية » . ويتساءل : « كيف نسلم انفسنا لشخص لم يغسل يديه بعد من دماء أبنائنا » . الى هنا ويبدو الحديث معقولا ، الا انه يضيف ويكشف عن هويته كورقة ضغط تخدم سلطات الاحتلال : « انه يدرس مع مؤيديه في الوقت الحاضر امكانية تنظيم عريضة لتقديمها الى سلطات الحكم العسكري ، **من أجل اجراء انتخابات للبلدية »** . ازاء ذلك اضطر الشوا الى انكار دوره في الوساطة التي تطبخ في القصور الملكية « وانه من الحماقة القول بأنني ذهبت الى حسين لكي ابيعه القطاع » مدعيا بأن نشاطه اقتصر على العمل للحصول على تسهيلات لأبناء القطاع في الاردن وانه جلب معه ثلاثة الاف جواز سفر أردني لتوزيعها على الطلبة الراغبين في استكمال دراساتهم في المعاهد العربية .

الا ان اللعبة التي تجري في الضفة الغربية بين الزعامة التقليدية وورقة الضغط لا يمكن لها ان تجري في القطاع ، فهنالك طرف اصيل استطاع في عام ١٨٧١ ان يسيطر سيطرة شبه تامة على مخيمات وقرى القطاع وحول السيطرة الاسرائيلية الى سيطرة رمزية كما وجعل رئيس البلدية في ذلك الوقت يسير وفق مشيئته ، لا وفق مشيئة سلطات الاحتلال ، اخذ يبرز بعد عام من حملة التصفية ويقوم بعمليات ضد سلطات الاحتلال ، فقد قامت المقاومة الفلسطينية في القطاع بتوزيع مناشير عند مطلع شهر آب تبشر السكان بعودة المقاومة ، وتضمنت المناشير تنديدا بالشوا لتأييده مشروع الملك حسين ، متهمة اياه بالخيانة ، وبعد اسبوع على ظهور المناشير ، قامت وحدة خاصة من رجال المقاومة مكونة من ثلاثة افراد بنصب كمين للشوا في حديقة منزله والقت على سيارته قنبلة يدوية وعيارات نارية ، الا ان الشوا نجا من الحادث ، واخذ يلتزم الصمت . وبذلك تصدع احد اركان الوساطة ، وبقي انور الخطيب وشخصيات اخرى من الضفة الغربية مثل حكمت المصري رئيس البرلمان الاردني السابق ، وعبد الرؤوف الفارس عضو البرلمان الاردني سابقا يجرون مفاوضات مع القصور الملكية . وفي غضون ذلك اخذت سلطات الاحتلال تقوم بتسهيلات لمواطني الضفة الغربية عبر خطي خطوط وقف اطلاق النار والخط الاخضر ، حيث سمحت لأصحاب السيارات بالمرور عبر الخط الاخضر الى اسرائيل بدون اذونات مسبقة كما واخذت تعكف على دراسة الغاء تصاريح الخروج الى الاردن ، واصدار تصاريح سنوية شبيهة بجوازات السفر تسمح لحاملها بالذهاب الى الضفة الشرقية في اي وقت يشاء . ومن المحتمل ان تصدر هذه التصاريح في اعقاب انتهاء زيارات الصيف . الى جانب ذلك اخذت تصدر من قبل التيارات الاسرائيلية المختلفة تصريحات بعدم الانسحاب من معظم المناطق المحتلة ،

وأهم هذه التصريحات هي التي ادلى بها باني دولة اسرائيل دافيد بن غوريون الذي اخذ يغير موقفه تجاه قضية الانسحاب ، فقد كان بن غوريون في السابق يدعو الى الانسحاب من كافة المناطق باستثناء القدس مقابل اتفاقية سلام ، وبعد ذلك ادخل منطقة الجولان ضمن خريطته ، الا انه في الاونة الاخيرة وسع الخريطة الى ان اصبحت تشمل معظم المناطق المحتلة « ذلك لان الوضع اليوم قد اختلف وان الاستيطان قد غير الاوضاع ، فلو كانت الصلاحيات بين يدي ، فانني لن آمر بتصفية المستوطنات واعادة مناطق ... اننا نتوطن في سيناء ونقيم أمورا عظيمة هناك .. لقد حدث تغير في سيناء منذ حرب الايام الستة ولا زالت حركة التغير مستمرة ، هنالك فرق بين اعادة صحراء ، واعادة منطقة ماهولة »(هآرتس ٧٢/٨/١٧) . وقد استمدت فئة الصقور الحاكمة في اسرائيل قوة من التغيير الذي حدث في موقف بن غوريون ، واخذت تقلل من قيمة الوساطة التي تجري في القصور الملكية ، والتي تمخضت من **استعداد الملك حسين** — كما يقول ديان في اللجنة السياسية لحزب التكتل العمالي — **للتوقيع على اتفاقية سلام منفرد مع اسرائيل** ، يعتمد على ترتيبات امن اسرائيلية على امتداد نهر الاردن واجراء تعديلات طفيفة على الحدود وتجريد الضفة الغربية من السلاح واعادة السلطة الاردنية اليها مع ابقاء موضوع القدس مفتوحا للمفاوضات » (معاريف ٧٢/٨/٢٤) الا ان وزير الدفاع رفض هذه التسوية . وقد اعترفت الدوائر الاسرائيلية المسؤولة ان اقوال ديان جاءت في اعقاب اتصالات غير مباشرة جرت في الاونة الاخيرة مع الملك بواسطة شخصيات من الضفة الغربية وقطاع غزة ومن اماكن اخرى .

لم تنته الوساطة بل بقي انور الخطيب مع مجموعة اخرى من الزعامة التقليدية يتداول الامر مع الملك، على أمل التوصل الى تسوية شاملة تكون فيها السلطة الرمزية بيد الملك والسلطة الفعلية بيد سلطات الاحتلال ، الا ان هذا الامل اخذ يترنح على اثر عملية ميونيخ التي قامت بها وحدة تابعة للمقاومة الفلسطينية ، الامر الذي دفع سلطات الاحتلال الى ان تضع في المرتبة الاولى من سلم الاولويات تصفية الثورة الفلسطينية في اي مكان تتواجد فيه ، وتضع التسوية السياسية مع النظام الاردني في المرتبة الثانية ، ومن هنا يمكن لنا معرفة سر الحزن الملكي من جراء عملية ميونيخ، والاسباب الكامنة وراء هذا الحزن : « لقد صدمنا وشعرنا بالاسى العميق عندما علمنا بالجريمة النكراء التي ارتكبت في القرية الاولمبية في ميونيخ . انها جريمة خطط لها وارتكبت من قبل عقول مريضة ... ان هذه الجريمة تأتي اثر جرائم عديدة ... وكانت آخر هذه الجرائم المحاولة الجبانة لاغتيال الوطني الفلسطيني رئيس بلدية غزة » .

عبدالحفيظ محارب

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني(١) من ٨/١٣ — ١٩٧٢/٩/١٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	أسير	المصدر	تاريخه
١	ق.ث.ف.(٢)	٨/٢٥	١٢١٥	غزة	تفجير	القاء قنبلة		٢٦(٣)	اصابت سيارة مدنية باضرار	—	—	—	نشرة رصد اذاعة اسرائيل عدد٢٣ ص٤	٨/٢٦
٢	ق.ث.ف.	٨/٢٧	٨٣٠	جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن.(٤) عدد٢٤ ص٦	٨/٢٨
٣	ق.ث.ف.	٨/٢٩	١٠٠	ناحال جولان	قصف	تذيفة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٥ ص ٧	٨/٢٩
٤	ق.ث.ف.	٨/٣٠		خان يونس	تفجير	القاء قنبلة	—	٢	اصابة باص لشركة ايجد	—	—	—	ن. عدد ٢٦ ص ٩	٨/٣٠
٥	ق.ث.ف.	٨/٣٠	١٠٣٠	دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٧ ص ٨	٨/٣١
٦	ق.ث.ف.	٨/٣٠		ناحال جولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٧ ص ٨	٨/٣١
٧	ق.ث.ف.	٨/٣١	٢١٣٠	رمات مغشيميم/الجولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٢٨ ص ٥	٩/ ١
٨	ق.ث.ف.	٨/٣١		بين القدس ونابلس	كمين	اسلحة خفيفة	—	١	أصيب باص بطلقات نارية	—	—	—	ن. عدد ٢٩ ص ٤	٩/ ٢
٩	ق.ث.ف.	٩/ ١		دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد ٢٩ ص ٦	٩/ ٢
١٠	ق.ث.ف.	٩/ ٣		مجدل شمس/الجولان	هجوم	غير محدد	—	—	هوجمت دورية اسرائيلية	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١١	ق.ث.ف.	٩/ ٤		غزة	تفجير	القاء قنبلة	—	١(٥)	—	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١٢	ق.ث.ف.	٩/ ٤		بقعاتا/الجولان	تفجير	الغـام	—	—	اصابة دبابة	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٥	٩/ ٥
١٣	ق.ث.ف.	٩/ ٤	٢٣٠٠	القنيطرة/الجولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣١ ص ٩	٩/ ٥
١٤	م.١.١.(٦)	٩/ ٥	٦٠٠	ميونخ/المانيا الغربية	هجوم	اسلحة مختلفة	١١	—	—	٥	٣	—	ن. عدد ٣١ ص ٨ وعدد ٣٢ ص ١	٩/ ٥
١٥	ق.ث.ف.	٩/ ٦	٢١٠٠	بير عام/الجليل الاعلى	اشتباك	غير محدد	١	—	—	١	—	—	ن. عدد ٣٤ ص ٣	
١٦	ق.ث.ف.	٩/٨	٨٠٠	حصنين/الجولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣٥ ص ١٠	٩ /
١٧	ق.ث.ف.	٩/ ٨	٢٠٠	الشاطىء الشمالي لاسرائيل	اشتباك بحري	تذائف بازوكا واسلحة مختلفة	—	—	—	غير محدد(٧)			ن. عدد ٣٥ ص ١٢	٩ /
١٨	ق.ث.ف.	٩/١١		بين حلحول والخليل	اطلاق رصاص على حرس الحدود		—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٣٧ ص ٧	٩/١٢
١٩	ق.ث.ف.	٩/١٢	٤٠٠	بين حلحول والقدس	هجوم على سيارة	غير محدد	—	—	/	—	—	—	ن. عدد ٣٧ ص ٧	
٢٠	ق.ث.ف.	٩/١٢	٧٠٠	حصنية/الجولان	قصف	تذائف بازوكا	—	—					ن. عدد ٣٧ ص ٨	

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٨/١٢ — ١٩٧٢/٩/١١

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق.ع.ق.ث.	٨/٢		القدس	كمين	غير محدود	٢ —	رشاش موزي	—	—	—	وفا	٨/٢٩
٢	ق.ع.ق.ث.	٨/٤		وادي العريش/سيناء	تفجير	الغام	غير محدد	تدمير نصف مجنزرة	—	—	—	وفا	٨/١٨
٣	ق.ع.ق.ث.	٨/٨	٢٠٢٠	معسكر ابو زيتون/الجولان	قصف	مدفعية ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/١٦
٤	ق.ع.ق.ث.	٨/٨		جنين	تفجير وقصف	عبوات ناسفة وقذائف صاروخية	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/١٨
٥	ج.ش.ت.ف.(١)	٨/٩	٦٠٠	شخونات شبيرا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير جزء من بناية واشعال النار فيها	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٤	٩/٢
٦	ج.ش.ت.ف.(٢)	٨/١٢	١٧١٥	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	٢٠ اصابة	تدمير جزء من مصنع اسطوانات الغاز واشعال النار فيه	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٤	٩/٢
٧	ج.ش.ت.ف.	٨/١٧		مصوب/الجليل الغربي	تنص		١(٣) —	—	—	—	—	هـ. عدد ١٦٧ ص ٥	٩/٢
٨	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٠		سعد بطاح/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة مختلفة	غير محدد	تدمير آلية	—	—	—	وفا	٨/٢١
٩	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٠		حيفل وجبين/الجولان	قصف	هاون وقذائف صاروخية ورشاشات	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/٢٣
١٠	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٢	٢٠٠٠	خربة العرايش/الجولان	هجوم	الصواريخ الثقيلة	غير محدد	تدمير عدد من الاليات	—	—	—	وفا	٨/٢٥
١١	ج.ش.— ق.ع.	٨/٢٢	٦٠٠	كفر الما — جبين/الجولان	تفجير	شبكة قذائف صاروخية	٤—٦ اصابات	اعطاب ناقلة جنود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢٠٩ شهر ٨	
١٢	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٥	٢٣٠٠	بين يطا والخليل	كمين	قنابل يدوية ورشاشات	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	ف.ث. عدد ١١ ص ٤	٩/٦
١٣	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد(٤)	—	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/٩
١٤	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		معسكر الشاطىء/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/٩
١٥	ج.ش.ت.ف.	٨/٢٥		خان يونس	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	هـ. عدد ١٦٨ ص ٥	٩/٩
١٦	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٧	٢٠٣٠	معسكر جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	وفا	٨/٢٨
١٧	ق.ع.ق.ث.	٨/٢٧	١٣٠٠	عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير واحراق المدرسة العسكرية المسماة اسحق بن تسفي	—	—	—	وفا	٨/٢٩

١٨ — ج.ش.ت.ف.	٨/٢٨		معسكر جباليا/غزة	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	غير محدد في معسكر لجيش العدو خلف مركز الشرطة في جباليا	—	—		م. عدد ١٦٨ ص٥	٩/ ٦
١٩ — ق.ع.ق.ث.	٨/٢٩	٤٣٠	شمار هاجولان/الجولان	هجوم	صواريخ ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٨/٣٠
٢٠ — ق.ع.ق.ث.	٨/٢٩	٥٣٠	بين الدبوسية والفرضاوي/الجولان	تفجير	الغـام	غير محدد	تدمير آلية	—	—	—	وفا	٨/٣٠
٢١ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣٠	٢٣٠٠	العال وجبين وحيتل/الجولان	قصف	هاون، مدفعية ورشاشات ثقيلة	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/ ١
٢٢ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣١	١٠٣٠	دير البلح	تفجير	القاء قنبلة	غير محدد	اعطاب سيارة تابعة للبلدية	—	—	—	ف.ث. عدد ١١ ص٤	٩/ ٦
٢٣ — ق.ع.ق.ث.	٨/٣١	٢٢٠٠	معسكر ابو خيط ومعسكر ابو الخيطان/الجولان	هجوم	مدفعية هاون ثقيلة	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	وفا	٩/ ١
٢٤ — ج.ش. — ق.ع.	٩/ ٣		رويشة الحمراء/الجولان	اشتباك	أسلحة خفيفة ورباج	١٥ اصابة	تدمير دبابة وناقلة جنود	—	—	—	بيان عمليات رقم ٢١٠	شهر ٩
٢٥ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٤		غزة	كمين	تنابل ومسدسات	١(٥)	—	—	—	—	وفا	٩/ ٤
٢٦ — م.أ.ا.	٩/ ٥	٦٣٠	ميونخ/المانيا الغربية	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابـل	١١(٦)	—	٥	٣	—	وفا	٩/ ٥ و٩/ ٦
٢٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٧	١١٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	اشتعال النيران في منجرة ومستودع الاخشاب	—	—	—	وفا	٩/ ٨
٢٨ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٨		بين حيفا ونهاريا	اشتباك بحري	مدافع ثقيلة	غير محدد	اغراق زورق	—	—	٥	وفا	٩/ ٩
٢٩ — ق.ع.ق.ث.	٩/ ٩		تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير قسم كبير من المحطة الكهربائية ريدينج	—	—	—	وفا	٩/١٢
٣٠ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٠	٢٣٠٠	بين حلحول والخليل	كمين	تنابل يدوية وأسلحة رشاشة	غير محدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	وفا	٩/١٢
٣١ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٢	٢١٥	القنيطرة/الجولان	هجوم	قذائف صاروخية	غير محدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	—	وفا	٩/١٢

حواشي الجدول الاول :

١ — يعتمد هذا الجدول على نشرة رصد اذاعة اسرائيل التي تصدر يوميا عن مركز الابحاث .

٢ — ق.ث.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٣ — بين هذه الاصابات ٢٥ اصابة مدنية كما يدعي الناطق الاسرائيلي .

٤ — ن. : نشرة رصد اذاعة اسرائيل .

٥ — هدفت العملية لاغتيال رشاد الشوا رئيس بلدية غزة .

٦ — م.أ.ا. : منظمة أيلول الاسود .

٧ — أغرق زورق للفدائيين .

حواشي الجدول الثاني :

١ — أعلنت الجبهة الشعبية مسؤوليتها عن العمليات ٩ ، ١٣ ، ١٦ — ٢٠ ، من جدول عمليات الشهر الماضي كما أعلنت أيضا مسؤوليتها عن عملية رقم ٢١ من جدول عمليات عدد ١٢ من شؤون فلسطينية .

٢ — وردت هذه العمليات بعد صدور العدد الماضي من شؤون فلسطينية .

٣ — ضابط اسرائيلي يدعى روفي .

٤ — اعترف العدو باصابة مجندة واحدة .

٥ — هدفت هذه العملية لتنفيذ « حكم الاعدام بالخائن رشاد الشوا » رئيس بلدية غزة .

٦ — كما قتل جنديان في المانيا الغربية وجرح آخر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

— ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

— ج.ش.ت.ف. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

— ج.ش. — ق.ع. : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين — القيادة العامة .

٤ — م.أ.أ. : منظمة أيلول الاسود .

٥ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٦ — هـ. : الهدف ، مجلة اسبوعية تصدر عن الجبهة الشعبيه لتحرير فلسطين .

٧ — ف.ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

ملحق شهريات : المانيا واسرائيل والعرب

يمكن القول عن المانيا الغربية انها بسبب ماضيها النازي ، والحرب العالمية المدمرة التي تسببت في اندلاعها ، ما زالت منذ الخمسينات عملاقة على الصعيد الاقتصادي ولكن قزما على الصعيد السياسي . فهي تابعة لواشنطن ومتأثرة بسياسات الحكومة الامريكية تأثيرا مباشرا . ثم انها دولة بلا شخصية مميزة ، تسيطر عليها عقدة نفسية متأصلة تجعلها ذات حساسية هشة تجاه كل ما له علاقة باليهود . فبعد ان اعلنت اسرائيل في ١٢ آذار ١٩٥١ انها الدولة الوحيدة التي تمثل الشعب اليهودي في العالم ، وانها الجهة الجديرة بقبض التعويضات عن الاضطهاد النازي لليهود ، سارع الدكتور كونراد اديناور ، مستشار المانيا الغربية ، الى الاجتماع بناحوم غولدمن ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية آنذاك ، ليبحث معه الموضوع. ومن البداية حرصت اسرائيل على تحميل المانيا الظن بان قبول الدولة الصهيونية للتعويضات هو بمثابة تفضل وتنزل من جهتها ، باعتبار ان هناك فئات واسعة في اسرائيل ما زالت ترفض ان تكون لها اية علاقة بالمانيا . الا ان الكنيست وافق بتاريخ ٩ كانون الثاني ١٩٥٢ على الشروع بالمباحثات من حيث المبدأ . وفي ٢١ آذار ١٩٥٢ بدأت المباحثات بين حكومة المانيا الغربية من جانب ، وبين تل ابيب من الجانب الآخر . وبين حكومة المانيا الغربية من جهة ومؤتمر المطالب اليهودية من المانيا الممثل لسبعة وعشرين منظمة يهودية في ٦٧ بلدا ، من الجهة الاخرى .

واخيرا تم الاتفاق على دفع مبلغ ٧١٤ مليون دولار لاسرائيل في مدة تتراوح بين ١٢ و١٤ عاما ، وان تدفع المانيا مبلغ ١٥٧،١ مليون دولار ايضا لمؤتمر المطالب اليهودي ، بالاضافة الى ٦٢ مليون دولار تقريبا تدفعها الى المجلس اليهودي المركزي في المانيا . وبتاريخ ١٥ ايلول ١٩٥٢ وافقت لجنة الشؤون الخارجية في الكنيست على الاتفاق بنسبة ٨ الى ٧ . اي ان اسرائيل استمرت في التظاهر بوجود معارضة قوية في البلاد ضد التعامل مع المانيا وقبول التعويضات من ورثة هتلر ، وان ظل رئيس الوزراء بن غوريون يردد في كل مناسبة بان اسرائيل في حاجة ماسة الى الاموال من اية جهة كانت . وفي الفترة الواقعة ما بين ١٨ و٢٢ آذار ١٩٥٣ وافق كل من البرلمان الالماني والكنيست الاسرائيلي على الاتفاقية التي اصبحت سارية المفعول ابتداء من ٢٧ آذار ١٩٥٣ حين تبودلت وثائق التصديق على الاتفاق بين اسرائيل والمانيا الغربية في مركز الامم المتحدة في نيويورك .

تم التوصل الى هذا الاتفاق وسط معارضة قوية صادرة عن الدول العربية ، وخاصة عن مصر التي واصلت تذكير المانيا بعلاقات الود التاريخية التي تربط بين الشعبين ، وتهديد اتفاقية التعويضات بنسف هذه العلاقات الطيبة . الا ان هذه الاحتجاجات لم تثن المانيا الغربية عن عزمها على تقديم التعويضات الى اسرائيل، بل حتى الطرد الذي يحتوي على المتفجرات ، والذي ارسله الارهابيون اليهود في طريقة مسرحية الى اديناور ، لم يغير من موقف المستشار الالماني العجوز ، مع ان هذا الطرد انفجر وقتل خبير المتفجرات الالماني الذي كان يبغي تعطيل مفعوله . وقد اشتركت وسائط الاعلام مع السلطات في لفلفة محاولة الاغتيال هذه ، واتهام الجهات الالمانية المتطرفة بالمسؤولية عنها ، مع ان اليهود وجهوا الرسائل الصريحة الى الصحف معلنين فيها مسؤوليتهم عن الحادث ، كما ذكرت الصحفية الاسرائيلية انفه دويتشكرون في كتابها عن العلاقات بين المانيا الغربية واسرائيل.

حسب تقرير اصدره مكتب الخارجية الالمانية ، استلمت اسرائيل في الفترة الواقعة ما بين ١٩٥٢ و١٩٦٥ مبلغ ٣،٤٥٠،٠٠٠،٠٠٠ مارك الماني ، اي ما يعادل ٨٦٢،٥٠٠،٠٠٠ دولار . وتضمنت هذه المبالغ المعدات الثقيلة والبواخر والبترول وغير ذلك من مواد تشكل عصبا حيويا لاقامة صناعة منتجة تدعم الكيان الاسرائيلي . الا ان هذه القائمة لم تشمل جميع التعويضات التي حصلت عليها اسرائيل منذ ١٩٥٢ ، فهذه الارقام لم تكن الا اول الغيث الذي انهمر على الدولة الصهيونية من المانيا . وفي عدد صدر في نيسان ١٩٦٥ ذكرت

مجلة ديرشبيغل ان مبالغ التعويضات التي تقدمها المانيا الغربية الى اسرائيل سيصل مجموعها في النهاية الى ٣٢ الف مليون مارك ، أي ما يعادل ٨٠٠٠ مليون دولار ، حصلت اسرائيل على ٥٠٠٠ مليون دولار منها حتى عام ١٩٦٥ .

هذه التعويضات الهائلة فتحت شهية اسرائيل للمطالبة بالمزيد . فالى جانب اتفاقية التعويضات العامة ، كانت هناك التعويضات الجزئية الخاصة. فدفعت المانيا التعويض عن فقد الممتلكات ، ثم قدمت تعويضات شخصية ، واخيرا وهبت الاسلحة الثقيلة بكميات واسعة . أي انها كانت واقعة ضحية متطوعة لاضخم عملية ابتزاز تعرضت لها دولة في التاريخ . وهذا الابتزاز كان طبعا يحظى برضى واشنطن ومباركتها . وعندما قاربت اتفاقية التعويضات الموقعة عام ١٩٥٢ على الانتهاء ، بدأت اسرائيل محاولتها لعقد اتفاقيات جديدة . ففي ١٤ آذار ١٩٦٠ أجتمع دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل يومئذ ، بالمستشار الالماني اديناور في غرفة الاخير بفندق والدورف استوريا بنيويورك . وكان الاثنان يزوران الولايات المتحدة. وقد اثيرت قبل الزيارة قضية البروتوكول بين حاشية الرئيسين ، والتي دارت حول أي من الرئيسين يجب ان يقوم بزيارة الآخر في غرفته . الا أن بن غوريون المستعجل على مقابلة الزعيم الالماني لنيل الأموال منه ، حسم المناقشة بقوله أنه ما دام هو الاصغر سنا ، فسيقوم هو بزيارة اديناور في غرفته . ومع ان تفاصيل ما دار في تلك الجلسة التي وصفت بانها تاريخية وتبشر بالمصالحة بين الشعبين اليهودي والالماني لم ينشر في حينه ، الا ان تكهنات الصحف الالمانية والامريكية والاسرائيلية أكدت احتمال تقديم بون مبالغ جديدة الى تل ابيب . وبالرغم من ان الناطق الالماني الرسمي نفى هذه الانباء المتعلقة بتقديم المساعدات المالية الضخمة ، الا ان الضجة الكبرى التي اثارها الصهيونيون في العالم أدت في النهاية الى رضوخ المانيا لشرط اسرائيل الرئيسي ، والذي فحواه ان الدولة اليهودية تحتل مرتبة خاصة في علاقات المانيا بسائر الدول وذلك نظرا للاضطهاد الفظيع الذي اوقعته المانيا النازية باليهود .

وعلى الصعيد العسكري كانت اسرائيل منذ عام ١٩٥٧ قد أعلنت بلسان بن غوريون انها دخلت مرحلة التعاون العسكري مع المانيا . ومع ان حكومة بون نفت في بادىء الأمر عزمها على تصدير الاسلحة الى منطقة كالشرق الاوسط يسودها النزاع ، الا ان اجتماع اديناور بين غوريون تمخض عن اتفاق سري بالغ الاهمية ينص على تقديم المانيا كمية ضخمة من الاسلحة الامريكية الصنع الى اسرائيل . وفيما انفضح امر هذه الصفقة السرية ، سارعت الدول العربية الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع بون ، فيما عدا تونس والمغرب وليبيا . ولكن اسرائيل كانت حتى ذلك الحين قد استلمت ٨٠ بالمئة من الكميات التي ابتاعتها المانيا الغربية من الولايات المتحدة خصيصا كي تهبها للدولة الصهيونية . من الذي فضح الصفقة ؟ تتضارب الآراء حول ذلك . فمن قائل ان بعض النواب المؤيدين للعرب في مجلس البوندستاغ (البرلمان) الالماني أبلغوا ممثل الجامعة العربية في بون (وهو مصري) بموضوع الصفقة ، فنقل النبأ الى القاهرة . ومن قائل ان مكتشف أمرها هو الملحق العسكري المصري في بون آنذاك ، محمد أحمد صادق ، الذي هو اليوم وزير الحربية . لكن الارجح ان اسرائيل هي التي فضحت الصفقة لتسيء الى العلاقات الالمانية العربية .

وكان رد فعل الدول العربية متشنجا ، اذ بدلا من اغتنام هذه الفرصة للاعتراف بالمانيا الشرقية وتبادل البعثات الدبلوماسية وانماء العلاقات الاقتصادية والتعاون الثقافي معها ، فان الدول العربية اكتفت بقطع العلاقات الدبلوماسية مع بون دون ان تتبع ذلك بالخطوة المنطقية التالية ، فتعترف بحكومة برلين الشرقية اعترافا كاملا ناجزا . ولم يأت ذلك الاعتراف الا بعد مرور زمن طويل على هذه الازمة بين العرب والمانيا الغربية ، وحتى عند ذاك ، لم تعترف جميع الاقطار العربية بجمهورية المانيا الدمقراطية .

ولا بد من التحدث في هذا السياق عن الدور الذي لعبته محاكمة مجرم الحرب الالماني ادولف ايخمن في العلاقات الاسرائيلية الالمانية وانعكاس هذه المحاكمة على موقف الالمان من العرب . كان الهدف الاسرائيلي الرئيسي دائما هو ابقاء عقدة الذنب الجماعية حية في اذهان الالمان ، وذلك بالعزف المستمر على نغمة افران الغاز في داخاو واوشفتز وبيلسن بيلسن ومعسكرات الاعتقال النازية الاخرى التي أبيد فيها الآلاف من البشر ، باعتبار ان هذا

التذكير المستمر سيجبر السلطات الالمانية الحريصة على الظهور أمام العالم في مظهر الرجل الذي تاب عن ذنوبه ويبغي التكفير عنها ، سيجبرها على ان تواصل مد اسرائيل بالاموال والسلاح ، وعلى أساس ان النفوذ الصهيوني المتغلغل في وسائط الاعلام الغربية ، وصاحب القاعدة القوية في الولايات المتحدة بامكانه ان يشوه سمعة المانيا في العالم اذا هي ترددت في الاستجابة لمطالب تل ابيب .

وكان العمــلاء الاسرائيليون قد اختطفوا ادولف ايخمن من الارجنتين في طائرة تابعة لشركة العال ، واحضروه مكبلا لاسرائيل حيث أعدوا له محاكمة مسرحية حشدوا لها جميع طاقاتهم الدعائية ، فسلطوا الاضواء على الرجل الكهل القابع في القفص الزجاجي المقاوم للرصاص ، وبعد محاكمة استعرضت جرائم العهد الهتلري بالتفصيــل ، حكموا عليه بالاعدام ونفذوا فيه الحكم .

هذه المحاكمة سببت حرجا شديدا لحكومة بون نظرا لانها نبشت فظائع الماضي في فترة كانت بها المانيا الغربية قد أصبحت عضوا مقبولا محترما في الاسرة الدولية بسبب معجزتها الاقتصادية الباهرة . ولم يقنع اديناور احدا عندما صرح بان ايخمن هو ليس مواطنا المانيا (كان ايخمن من النمسا) ولذا فالمانيا ليست مسؤولة عن تصرفاته . فالواقع ان ايخمن خدم الدولة الالمانية في عهد الرايخ الثالث وكان ضابطا في قواتها ، ولذا لم تنجح محــاولة اديناور للتنصل منه ، بل اثارت الرثاء فقط .

استمرت العلاقات الألمانية العربية بالتردي ، لا سيما اثر زيارة سكرتير الحزب الشيــوعي في جمهورية المانيا الدمقراطية ، فالتر اولبريخت ، للقاهرة اثر فضح صفقة السلاح السرية . وقد توجه غيرهارت غيرستنماير ، رئيس البرلمان الالماني الغربي ، الى القاهرة لمقابلة الرئيس عبد الناصر. وفي سياق الحديث تساءل هذا السياسي الألماني المحافظ عن سبب غضب العرب على المانيا بسبب مدها اسرائيل بالاسلحة ، بينما هم ، أي العرب ، يستلمون الاسلحة بكميات وفيرة من الاتحـــاد السوفييتي . فاجابه عبد الناصر : اننا ندفع ثمن هذه الاسلحة ولا نستلمها هبة . وعندما سأله غيرستنماير ساخرا عن الثمن الذي تدفعه مصر مقابل هذه الاسلحة ، ملمحا بان مصر الفقيرة لا تمتلك الموارد الكافية لذلك ، اجابه عبد الناصر فورا : اننا ندفع الثمن بأفضل ما لدينا من القطن .

وحاولت المانيا الغربية ان تثني الرئيس عبد الناصر عن عزمه دعوة اولبريخت الى مصر ، ولكنه رفض ان يسحب الدعوة . وعند ذلك طلبت منه ان يقلل من الحفاوة برجل الدولة الشيوعي عــدوها اللدود ، ولكن عبد الناصر رد قائلا بأن العرب عندما يدعون شخصا لزيارتهم ، فانهم يبــذلون في استقباله والترحيب به كل كرم واحتفاء ، اما اذا كانوا يزمعون استقبال ضيفهم ببرود، فالافضل الا يدعوه الى زيارتهم على الاطلاق .

ويجب القول هنا ان وسائط الاعلام الالمانية ساهمت في تسميم الجو حتى قبل ان تكون هناك ازمة فعلية في العلاقات بين المانيا ومصر . ففي بداية الستينات القت سلطات الامن المصرية القبض على الماني مقيم في القاهرة بتهمة التجسس لحساب اسرائيل. ومع ان هذا الالماني اعترف بذنبه في محاكمة نزيهة هادئة الجو ، وكان الحكم عليه خفيفا (وقــد افرج عنه فيما بعد) الا ان الصحف الالمانيــة ظلت تردد ما يشتم منه ان مصر معادية لالمانيا ، وان الحديث عن علاقات الود التقليدية التي تربط ما بين الشعبين هو حديث ممجوج باعتبار ان العرب كانوا — على حد رأيها — يتعاطفون مع هتلر ، ولذا فان حكومة بون الدمقراطية لا يمكن ان ترث هذا العطف المشبوه الذي من شأنه ان يسيء الى سمعتها ، بل عليها ان تقوي علاقاتها مع اسرائيل « الاشتراكية الدمقراطية » عــلى حساب علاقاتها مع العرب « الذين يلعبون على الحبلين بين الكتلتين المتنازعتين » .

ومع ان بون واصلت تقديم المساعدات الثانوية الى مصر وعدد من الاقطار العربية الاخرى ، الا ان ضغط واشنطن ، وموالاة وسائط الاعلام الالمانية للجانب الاسرائيلي ، اضطرها الى ان تتخلى عن حيادها بين العرب واسرائيل تدريجيا ، وتــدلي بدلوها في الجانب الاسرائيلي . ويمكن في هذه المناسبة الاشارة الى ان الضجة الكبرى التي اثارتها اسرائيل بسبب العلماء والخبراء الالمان الذين كانوا يعملون في مصر على تطوير الصواريخ والطائرات الحربية ، فان ساسة الدولة الصهيونية ورجال علاقاتها العامة جعلوا الامر كله يبدو وكأن الالمان يساعدون العرب على ابادة اليهود بعد ان فشل هتلر في محاولته تلك . وتحركت الاستخبارات الاسرائيلية لترهب العلماء الالمان وتقصيهم عــن

مجال التعاون العلمي مع مصر ، فخطفت احد العلماء من ميونخ وقتلته . ثم حاولت اغتيال عالم آخر . ولما فشلت ، استدرجت ابن وابنة هذا العالم الى فندق في سويسرا يقع بالقرب من الحدود الالمانية ، وهناك قابلهما عميلان اسرائيليان وهدداهما بقتل ابيهما ان هو لم يتخل عن تعاونه مع المصريين . والقت سلطات الامن السويسرية القبض على هذين العميلين الا انها أفرجت عنهما بعد ذلك بفترة قصيرة . ولكن الارهاب الاسرائيلي استمر ضد كل من يتعاون مع مصر في المجال العلمي . فوضعت قنبلة في طائرة كانت تستقلها الزوجة الالمانية لرجل اعمال مصري يقيم في سويسرا ويتعامل مع الحكومة المصرية . وادى انفجار القنبلة الى سقوط الطائرة ومقتل من فيها . ولم تحرك السلطات الالمانية او السويسرية ساكنا للبحث عن الفاعل ، مع ان زوجة المصري كانت دوقة تنحدر من اسرة المانية نبيلة .

وبالاضافة الى عمليات الارهاب ضد الالمان في اوروبا ، لم تهمل الاستخبارات الاسرائيلية العلماء الالمان في مصر نفسها ، فارسلت طرودا ملغومة انفجر احدها في وجه السكرتيرة الالمانية لخبير الصواريخ فلغفانغ بلتز ، فشوه وجهها وافقدها السمع والبصر . كما انفجر طرد آخر في مصنع حلوان للطائرات مما أدى الى مقتل عدد من المصريين . واكتشفت طرود اخرى قبل ان تنفجر وكانت مرسلة من هامبورغ . وطوال هذه الفترة صاحبت العمليات الارهابية حملة في صحف المانيا الغربية ضد عمل « النازيين السابقين المعادين للسامية » في مصر ، دون ان يشير احد الى ان السلطات الامريكية هي التي اقنعت الحكومة المصرية في بداية الخمسينات بقبول هؤلاء العلماء والخبراء ، بعد ان انتفت حاجة امريكا اليهم . ويذكر مايلز كوبلند في كتابه « لعبة الامم » ان واشنطن بعد أن استعانت بعدد كبير من العلماء الالمان عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية لتطوير صواريخها ، لم تشأ ان تتركهم بدون عمل بعد الاستغناء عنهم ، ففرضتهم على بعض الدول الصديقة التي كانت مصر بينها في اوائل الخمسينات. وعلى كل حال ، فقد فشل هؤلاء العلماء في تطوير صواريخ صالحة او بناء طائرة مقاتلة سوبر سونيك يمكن الاستفادة منها . فانهت القاهرة عقودهم اثر حرب حزيران ، وهكذا انتهى التعاون الالماني المصري على الصعيد العسكري دون ان يأتي بثمرات . اما التعاون العلمي والعسكري بين اسرائيل والمانيا الغربية ، فكان طوال هذه الفترة قائما على قدم وساق وان لم توجه اليه الاضواء ، واستمرت السرية تحيط بعمل العلماء الالمان في معهد وايزمن ، وبتدريب الضباط الاسرائيليين في المانيا على استخدام احدث الاسلحة والمعدات الاليكترونية . وحاولت وسائط الاعلام الالمانية ان تغطي على هذا التعاون الوثيق بالزعم ان مصر وبعض الدول العربية تأوي مجرمي الحرب النازيين، وان فشلت في تقديم قائمة تحتوي على الاسماء ، واخفقت في تفسير الاسباب التي تجعل قدامى النازيين يفضلون اللجوء الى امريكا اللاتينية ، وحتى الى بعض الدول الافريقية ، بدلا من الاقطار العربية . الا ان ركاكة هذه الاتهامات لم تثبط عزيمة الصحف الالمانية التي استمرت تؤدي دورا أساسيا في تسميم الرأي العام الالماني ضد العرب كتكفير عن ذاخاو واوشفتز . ففي نهاية الخمسينات مثلا ، انتج التلفزيون الالماني الواقع تحت اشراف الحكومة فيلما عن اسرائيل يمجد الدولة الصهيونية بقدر ما يسيء الى العرب . فاشترته أجهزة الدعاية الاسرائيلية واخذت تعرضه في كل مكان . كما ان سيل الكتب الاطرائية التي الفها الكتاب والصحفيون الالمان عن اسرائيل لم ينقطع . ولذا كانت الاوساط المثقفة في المانيا في ذلك الاطار الذهني المناسب الذي تمنت اسرائيل ان يكون فيه عندما شنت عدوانها في حزيران ١٩٦٧ . فسارت التظاهرات تندد بالعرب وتهتف لاسرائيل ، وسارعت بون بتقديم عشرين الف قناع واق من الغاز لاسرائيل ، علاوة على بعض المساعدات العسكرية الاخرى التي لم يكشف النقاب عنها . وفي مساء الخامس من حزيران ، عندما ظهر فيلي برانت في التلفزيون الالماني ليرد على الاسئلة المتعلقة بالحرب العربية الاسرائيلية ، وكان آنذاك وزيرا للخارجية في الحكومة الائتلافية التي ترأسها كيسنغر ، اجاب على سؤال تضمن الاستفسار عن الجانب الذي بادر بالهجوم ، بقوله انه لا يعلم ، مع أن الاستخبارات الالمانية التي يديرها الجنرال غلن الشهير كانت ملمة بخطة الهجوم الاسرائيلي حتى قبل وقوعه بأيام .

أجمعت الصحف الالمانية على اعتبار العرب أصحاب المسؤولية في اندلاع الحرب ، فشنت عليهم حملة مسعورة لا تقل في درجة عنفها وحقدها عن الصحف الاسرائيلية ان لم تكن قد فاقتها . ولم يحاول

انصاف العرب الا اليسار الجديد الذي تفهم دور اسرائيل الامبريالي في المنطقة . وقد تضافرت عدة عوامل على جعل العرب هدفا للكراهية من اكثر الجوانب ، فان مؤيدي سياسة الحرب الباردة واعداء الكتلة الاشتراكية لم يكونوا قد غفروا للعرب كسرهم لحلقة التحالف الغربي في الشرق الاوسط الممثل بحلف بغداد ، ولا اعتناق بعض الانظمة العربية مبدأ عدم الانحياز بين الشرق والغرب . كما ساءهم تقرب مصر وسوريا والعراق والجزائر واليمن والسودان من الكتلة الشرقية واستيراد هذه الاقطار السلاح منها . علاوة على أن دعوة عبدالناصر لاولبرخت اثارت عداء المؤسسة الالمانية القائمة ضد مصر ، لان هذه الدعوة ساهمت في تحطيم مبدأ هالشتاين . ثم كانت هناك أيضا تلك الفئات ذات الماضي النازي المخجل التي ارادت مداراة ماضيها الاسود بالتكالب على تأييد اسرائيل والتصفيق لها ، فقارنت بين رومل وديان ، مشيرة الى ان القائدين حاربا في الصحراء وانتصرا . قبل حرب حزيران كان الساسة الالمان لا يزورون اسرائيل الا بعد تقاعدهم . فزارها تيودور هويس، رئيس الجمهورية بعد ان انتهت ولايته، وكذلك كونراد اديناور ولودفيك ايرهارد وفرانز يوزف شتراوس ، وزير الدفاع السابق الا ان التقارب الحثيث بين البلدين لا ريب سيؤدي في المستقبل غير البعيد الى تبادل في الزيارات بين الرؤساء والوزراء الذين ما زالوا في مقاعد الحكم ، لا سيما وان المستشار الحالي فيلي برانت انضم اثناء الحرب العالمية الثانية الى المقاومة النرويجية ليحارب ابناء وطنه النازيين ، اي أنه من الساسة الالمان القلائل الذين لم يتلوث ماضيهم بأدران النازية . وفعلا وجهت اليه الدعوة قبل أشهر لزيارة اسرائيل . واسرائيل بتقاربها من المانيا تعوض بذلك على ابتعاد فرنسا عنها . ومع أن المانيا عادت فاستأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع مصر ولبنان بعد انقطاع دام ست سنوات سببه تبادل بون السفراء مع تل ابيب ، الا ان المانيا افهمت الدول العربية التي استأنفت العلاقات الدبلوماسية معها بأن هذه الخطوة لن تؤثر على العلاقات الالمانية الاسرائيلية ، وان بون ستواصل تقديم المساعدات المالية الى تل ابيب .

ف. المنصور

اسرائيليات

اعلان « حرب الابادة » على الفلسطينيين

لم تكن اسرائيل بحاجة الى ذريعة لشن حرب الابادة ضد الشعب العربي الفلسطيني . ولكنها تستثمر عملية ميونيخ لخلق مناخ ملائم لارتكاب مزيد من الجرائم الوحشية ضد هذا الشعب الذي مارست ضده اسلوب الابادة التدريجية منذ نشوئها على ارضه منذ ربع قرن حتى الان . ولعل مزاح الايام ثقيل الظل . فان اسرائيل التي شنت حروبها الثلاث ضد العرب « ردعا لخطر الابادة » — كما كانت تقول — لم تتمكن من الاستمرار في خداع العالم ، توقفت اخيرا واعلنت ، في الحكومة والبرلمان والصحف ، انها قد شنت حرب الابادة على الشعب الفلسطيني . لقد جاء هذا الاعلان متأخرا جدا . ولعل مزاح الايام ثقيل الظل مرة اخرى . فان اسرائيل التي استجدت عطف العالم نتيجة تعرض ملايين اليهود للابادة في اوروبا ، ترى الان ان عطف « الرأي العام العالمي » الغامر عليها بعد عملية ميونيخ ، هو الذي سيسهل عليها مهمة ابادة الشعب العربي الفلسطيني . وهذا الاعلان جاء متأخرا بعض الشيء . فلم تكن اسرائيل بحاجة الى ذرائع بقدر حاجتها الى توقيت مناسب .

لقد امتلأت اسرائيل بالاحساس بانها سيدة المنطقة، وصار من « حقها » ان تطالب الدول المجاورة لها بالتطوع للدفاع عن امنها . وما عادت تجد غضاضة في الاعلان الصريح بانها تشن حرب ابادة . ان من « حقها » ان تمضي في الدلال حتى اخر الشوط — والعالم الغربي مفتون بها . ما زالت برقيات التعزية الحارة تتدفق اليها من الغرب ، ولم يجد هذا الغرب ان من باب اللياقة الحضارية ان يعزي العرب بمقتل عشرات الالوف منهم — ضحايا الارهاب الصهيوني . لقد نسي هذا الغرب الرسمي أن يتساءل : لماذا مات الاحد عشر لاعبا اسرائيليا في ميونيخ ؟. لقد كان للفدائيين العرب مطلب سياسي انساني واحد هو : الاحتفاظ بالاسرائيليين رهائن ، واطلاق سراحهم مقابل اطلاق سراح أسرى فلسطينيين في سجون اسرائيل . فلماذا لم تستجب اسرائيل الى هذا المطلب ، فتنقذ حياة خيرة لاعبيها ؟ ان اسرائيل لا تريد ان تسجل سابقة تنازل واحدة امام المقاومة الفلسطينية . واصرارها على التشبث بهذه الغطرسة من جهة ، والاستهتار المهين بارادة المقاومة الفلسطينية ، هو الذي أدى الى مقتل رياضييها في ميونيخ . من هنا ، يكون الاسرائيليون الاحد عشر ضحايا العناد الاسرائيلي والغطرسة والغرور .

وفي أجهزة الاعلام الاسرائيلي الرسمية وشبه الرسمية اجماع على ان موت احد عشر اسرائيليا هو مبرر كاف لابادة شعب اخر ، وذلك من اجل احلال السلام والهدوء في منطقة الشرق الاوسط والعالم . اي — ان ابادة الشعب الفلسطيني هي المعادل الوحيد لضمان سلامة المنطقة والعالم . فماذا يقول الشعب الذي فقد عشرات الالوف من أبنائه ، ماذا يقول الشعب الذي اجتث من وطنه؟. ماذا يقول ؟. هل سألت اجهزة الاعلام الغربية نفسها هذا السؤال ؟

ولماذا نقول ان اسرائيل لا تحتاج الى ذريعة ولكنها تحتاج الى توقيت ، لتفريغ حقدها العنصري على الفلسطينيين الذين يشكلون خللا في معادلة اسرائيل الامنية ؟.

لقد قررت الكنيست ، بالاجماع ، بأنه « على دولة اسرائيل القيام بواجبها وممارسة حقها في الدفاع عن مبعوثيها ومواطنيها ، أينما كانوا ، وان اسرائيل ستعمل بصورة متواصلة ضد منظمات الارهاب وقواعدها والذين يقدمون لها المساعدة حتى يتم وضع حد لعملياتهم الاجرامية . وقررت الكنيست بأن مسؤولية جريمة ميونيخ وكافة العمليات الدموية الاخرى التي تقوم بها منظمات

القتلة تقع على عاتق الدول العربية التي تقدم لها قواعد العمل والتأييد السياسي والاسلحة والاموال ، وطالبت الكنيست كافة الدول بالعمل ضد منظمات الارهاب والقضاء على قواعدها » . (٩/١٢) (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث) . .

هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي موشه ديان في مونتريال بكندا « ان الارهاب العربي لا يشكل خطرا عسكريا على اسرائيل ، كما لن يؤدي الى اية نتائج » (٩/١٣) .

اذا كان ديان مقتنعا بصحة تقديره ، فأي مبرر يبقى لشن حرب الابادة اذن ؟.

ولا تكتفي اسرائيل باعلان الحرب على الفلسطينيين ، ولكنها اعلنت في الوقت ذاته حرب التهديد على الدول العربية . فقد اجمع كل المسؤولين الاسرائيليين على تحميل الدول العربية مسؤولية عملية ميونيخ وغيرها من العمليات الفدائية . قالت غولده مئير : « ان التعبيرات المؤيدة لعملية ميونيخ التي صدرت عن الدول العربية تؤكد بأن مسؤولية هذه « الجرائم » لا تقع على « المخربين » فقط ، بل تشمل أيضا الدول العربية التي تقدم لهم القواعد والدعم الادبي والاخلاقي » (٩/١٢) . فهل يعني هذا الكلام شن حرب على الدول العربية التي يتواجد فيها الفلسطينيون ؟

ان الذي يتابع تصريحات الاسرائيليين الرسمية يلاحظ ان اسرائيل ترى الوقت مناسبا للابتزاز السياسي من الدول الاوروبية ، ومن الدول العربية ايضا . لقد عبر وزير خارجية اسرائيل أبا ايبن ، بصراحة ، عن هذا المعنى بقوله ، ردا على سؤال حول « مشاريع السلام » الاسرائيلية « انني لا أفكر في هذه اللحظة بالسلام ، وانما ينصب تفكيري على كيفية ازالة « وباء الارهاب » من العالم » (٩/٨) .

معنى كلام أبا ايبن ، انه يشترط الاستمرار في الحديث عن وهم التسوية السياسية مع العرب بشرط جديد هو : القضاء على المقاومة الفلسطينية وتطلعات شعب فلسطين . ومعنى ذلك ، ان اسرائيل تلوح بتصعيد التوتر في المنطقة اذا ما استمر الموقف الفلسطيني في التحرك . اي ان اسرائيل تريد أن تترك الكرة الان بين الفلسطينيين والدول العربية ، على اعتبار ان الفلسطينيين هم الذين يشكلون العقبة الرئيسية الان في التسوية السياسية ، بعد زوال العقبة الرئيسية الاولى وهي : الوجود السوفياتي .

هذا من جهة . .

ومن جهة أخرى . . تسعى اسرائيل الى دفع بعض الحكومات العربية — تحت الضغط العسكري — لاتخاذ موقف شبيه بالموقف الاردني من المقاومة الفلسطينية . فقد اوضح مراسل اذاعة اسرائيل أحد الاهداف الرئيسية من عمليات الجيش الاسرائيلي الاخيرة ضد سوريا ولبنان . قال ردا على سؤال : « الى اي مدى قربت عمليات الجيش الاسرائيلي ضد سوريا ولبنان حكومتي البلدين ، وخاصة حكومة لبنان ، من اتخاذ قرار صريح بابعاد الفدائيين ؟ اجاب : « ان حكومة لبنان غير مهيأة للقيام بعملية تستهدف انهاء وجود المخربين في لبنان بشكل قاطع . انها تحاول اللف والدوران . ومن الواضح انه ليس هناك في العالم العربي ، باستثناء الاردن ، اية جهة على استعداد لضرب المخربين ، او مد يد العون لعملية كهذه » (٩/١١) . ولكن اسرائيل ليست يائسة من استخدام الضرب العسكري لدفع التطورات وفقا لارادتها في هذا الميدان . قال المعلق العسكري لاذاعة اسرائيل ان عمليات الجيش الاسرائيلي في سوريا ولبنان « لا تعدو كونها تذكيرا اضافيا لمنظمات التخريب وللدول العربية ، بأن الدول العربية تتحمل مسؤولية العمليات التي ينفذها المخربون في اراضيهم » . وترى اسرائيل ان مسؤولية سوريا تتمثل فيما يلي : ١ — القيادة السورية شملت الفدائيين بحمايتها وشجعتهم على عملياتهم ضد اسرائيل ، واضافة الى ذلك فهي تشرف عليهم . ٢ — سوريا تساعد الفدائيين في جميع المجالات ، بما في ذلك التدريب وتقديم المعلومات والتسليح والتموين . ٣ — القيادات الرئيسية للفدائيين تتمركز في دمشق .

اما مسؤولية لبنان فتتمثل بما يلي : ١ — يوجد في لبنان خمسة الاف فدائي منتشرين في جنوبه وشرقه . ٢ — تعتبر معسكرات اللاجئين في لبنان وكرا لنشاط الفدائيين . ٣ — يتركز النشاط السياسي للفدائيين في بيروت ، حيث يتمتعون بحرية العمل والاعلام والحصول على المساعدات والخدمات الطبية . ٤ — اشراف الجيش اللبناني على الفدائيين شكلي وغير فعال .

وصرح رئيس الاركان العامة الجنرال دافيد اليعازار بانه يمكن للفدائيين « ان يعتبروا عمليات سلاح الجو كرد على عملية القتل في ميونيخ ، لكن هذا الرد ليس هو الوحيد بالضرورة . وان العمليات الجوية ليست الوسيلة الوحيدة لمحاربة الفدائيين » (٩/٦) .

واعتبر نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية يغال الون الغارات التي شنتها الطائرات الاسرائيلية على كل من سوريا ولبنان « مرحلة جديدة في عملياتنا ضد المخربين » .

وتجمع وسائل الاعلام الاسرائيلية على « ضرورة » استمرار وتواصل الغارات والعمليات العسكرية الاخرى كجزء من « حرب الابادة ضد الفلسطينيين » وكتبت « هارتس » : « ان الرضا الذي تولد عندنا نتيجة الضربات التي وجهها سلاحنا الجوي يجب الا يدفعنا للاعتقاد باننا قدمنا جوابا وحلا للمشكلة ، لان الرد مهما كان قاسيا لن يكون كافيا لمنع تكرر الاعمال الخطيرة الا اذا كان مستمرا ومتواصلا . ويبدو ان الحكومة لم تع بشكل عام حتى الان ان « الارهاب » يتطلب حربا مضادة منظمة ومخططا لها . ولهذا علينا ان نركز جهودنا للقضاء على « الوباء » من خلال المبادرة الى ضرب « المخربين » في كل مكان (٩/١٠) . وكتبت « دافار » في اليوم ذاته : « ان هناك صلة بين العمليات العسكرية التي وقعت وبين ما حدث مؤخرا في ميونيخ ، ولكن يخطيء من يعتقد ان العمليات كانت مجرد عمليات انتقامية ، وانما هناك جبهة جديدة رئيسية في مواجهة الجيش الاسرائيلي قد اشتعلت » .

هذا ، على مستوى العمليات العسكرية ضد الفلسطينيين والدول العربية . ولكن اسرائيل اعلنت انها ستمد جبهة القتال ضد الفلسطينيين الى مناطق اخرى من العالم . ومن الواضح ، ان الموقف الامريكي المتحمس في تاييده لاسرائيل ، والذي بلغ الاوج في تصريحات كبار المسؤولين الامريكيين واستخدام المندوب الامريكي حق النقض في مجلس الامن ضد مشروع قرار ادانة اسرائيل ، يدفع الحكومة الاسرائيلية للسير في العمليات العسكرية والارهاب ضد المدنيين حتى اخر الشوط. ولعل اسرائيل لم تحصل ، في تاريخها ، على مثل هذا التاييد والتشجيع الامريكيين العلنيين كما تحصل عليه الان . وتقول اذاعة اسرائيل (٩/١٢) ان البيت الابيض قرر ان يتخذ موقف الهجوم ضد « الارهاب » في العالم . وتقول الاذاعة الاسرائيلية ايضا « ان الحكومة الامريكية غير مقتنعة بادعاءات الحكومات العربية بانها غير مسؤولة عن اعمال منظمات « التخريب » » .

وكانت رئيسة حكومة اسرائيل غولده مئير قد اشارت في الكنيست الى « امكانية عمل اسرائيل ضد « المخربين » أينما كانوا حتى في اوروبا » . فهل تسمح الدول الاوروبية لاسرائيل بممارسة هذا النشاط على اراضيها ؟. عن هذا الموضوع تحدث العقيد مئير والصحفي يشمياهو بن فورات في اذاعة اسرائيل (٩/١٣) . وقد أيد العقيد مبدأ شن حرب العصابات على الفلسطينيين في اوروبا « ولكن هناك قيودا على مثل هذا العمل الان لان الدولة التي تحترم نفسها لا تقبل بان تقوم جهة سرية اجنبية بعمل داخل اراضيها » .

وتعلن الاوساط الاسرائيلية انها لن تكتفي بمحاولة العمل ضد الفلسطينيين داخل حدود الدول الاوروبية ، بل ستصعد عملياتها داخل حدود الدول العربية . فقد قال العقيد مئير بعيل في البرنامج الاذاعي ذاته « ولكن ، بالنسبة للعمل داخل حدود الدول العربية ، فان هذا الامر جائز » . وقال المعلق الصحفي بن فورات : « ان هذا العمل جائز حتى لو تم كشف منفذيه . ولقد نسبت الدول العربية بعض الاعمال لنا ، ولم نعترف بها او ننكرها . ولكن اذا ما اكتشفت عملياتنا فيجب ان نتحمل مسؤولية النتائج المترتبة عن ذلك » . واضاف العقيد الى اقوال زميله : « ان الدول العربية هي دول معادية . واقامة حركات سرية تعمل ضدها يعتبر امرا مشروعا . ولكن الامر صعب بالنسبة للدول الصديقة لاسرائيل ، او على الاقل الدول التي تتخذ موقفا محايدا » . وحدد العقيد طريقة العمل داخل الدول الاوروبية بأنها يجب ان تتصف بالحذر « بحيث لا تنزلق الى استخدام العنف ضد كل شخص عربي فيها لاننا نشتبه بان له علاقة بالارهابيين ، ولكن يجب فعل كل شيء من اجل القاء القبض على تلك الزمرة التي تنظم وتخطط لعمليات الارهاب ، اي العقول المدبرة » .

هكذا ، تتضح ملامح « حرب الابادة » التي اعلنتها اسرائيل بتشجيع علني من الولايات المتحدة الامريكية ، فهي تعتمد على العمليات العسكرية

ضد الدول العربية ، وضد تجمعات الفلسطينيين فيها ، مع انذار الحكومات العربية بتاجيل الحديث عن أية تسوية معها لدفعها الى التعاون معها للقضاء على العقبة الاساسية امام التسوية وهي — الوجود الفلسطيني . وتعتمد على اقامة حركات سرية داخل البلدان العربية لاغتيال او اعتقال قادة المقاومة ، وعلى اقامة شبكات في الدول الاوروبية للغرض ذاته. واذا لم تحقق هذه الوسائل الاهداف المنوطة بها ، فليس من المستبعد ان تندفع اسرائيل الى توسيع رقعة الحرب في المنطقة .

مكانة الفلسطيني في الفكر الاسرائيلي

انفجرت قنبلة الفلسطيني داخل الوعي الاسرائيلي. ويبدو ان المناقشة ستطول حول هذا الكتاب الجديد الذي مس المحرمات الاسرائيلية ، لا لانه يعطي الفلسطيني حقه ، ولكن لانه ينظر اليه بمنظار آخر يقود الى الاعتراف بحق له مواز « للحق » الاسرائيلي على ارض فلسطين التي سماها المؤلف « بلاد الغزال » . ويبدو ان المناقشة ، في اسرائيل ، ستزداد احتداما حول هذا الكتاب لانه يضع الفلسطيني في مكانه المحوري من الصراع في الشرق الاوسط ، او لانه يدرس الصراع من خلال الدور الفلسطيني فيه ، وتنبع اهمية هذه النظرة — القضية من واقع التجاهل الاسرائيلي الرسمي للهوية الفلسطينية ولفاعليتها في اتجاه الصراع العربي — الاسرائيلي . فاذا انتبهنا الى الطريقة السائدة التي تتعامل بها اسرائيل في نظرتها الى الدور الفلسطيني ، لادركنا مغزى المناقشة الحادة حول هذا الكتاب الذي آلفه اريه الياف السكرتير السابق لحزب العمل ، وصدر قبل اسابيع قليلة ، وأجمعت الصحف الاسرائيلية على تسميته « بالقنبلة الفلسطينية » التي فجرها النائب اريه الياف .

وكان الياف قد قرر الاستقالة من منصبه قبل عام للتفرغ لكتابة هذا الكتاب ، وعندما فاوضوه للتخلي عن الاستقالة قال : « اذا وافقت غولده مئير على أن اكون سكرتيرا لحزب العمل ، بعد صدور كتابي ، فسأقبل هذا المنصب » . وكان الياف ، بذلك ، يشير أو يلمح الى ما يعتزم اطلاقه من آراء تمس محرمات السياسة الاسرائيلية . والجدير بالملاحظة هنا أن سكرتارية حزب العمل قد بحثت ، في الايام الاخيرة ، الجولات التي يقوم بها اريه الياف في فروع الحزب المختلفة حيث يقوم بعرض آرائه التي تضمنها كتابه المثير ، وطالب عضو الكنيست مردخاي سوركيس باغلاق فروع الحزب أمامه . وتتلخص آراؤه بالشكل التالي : الاعتراف بوجود هوية فلسطينية تحظى بتأييد كل من القومية اليهودية والحركة العربية ، والاعتراف بحق كلتا القوميتين على ارض فلسطين التاريخية . ويرى الياف ان الحل يكمن في تقسيم البلاد الى دولتين ، واعلان اسرائيل عن استعدادها للرجوع الى حدود الخامس من حزيران مع اجراء بعض التعديلات الطفيفة « من اجل اتاحة الفرصة لقيام الدولة الفلسطينية » .

أي أنه يمكن تلخيص الكتاب بأنه يدور حول محور علاقات اسرائيل مع الفلسطينيين .

وتقول صحيفة « هآرتس » (٧/٢٨) انه على الرغم من قلة النقد المباشر ضد قيادة الدولة وسياسة حزبه ، الا ان كتاب اريه الياف يشكل ، في مجمله ، نقدا قاسيا لخط حزب العمل الرسمي، خط غولده مئير — يسرائيل غاليلي » .

ونشرت « هآرتس » موجزا للآراء الواردة في الكتاب ، ولاحظت ان المؤلف يمتنع عن استخدام التسميات الاسرائيلية السائدة للمنظمات الفلسطينية ، فهو لا يسميها « منظمات التخريب » او « عصابات القتلة » ، بل يسميها « منظمات المقاومة الفلسطينية » او المنظمات الفلسطينية او المقاتلين الفلسطينيين . ويقول المؤلف : « من المحظور على اسرائيل الاستهتار بظاهرة المقاومة الفلسطينية المسلحة والتقليل من أهميتها . وعلى الرغم من وجود هذه الحركات في الحضيض ، فسيكون من أفدح الاخطار الاعتقاد بأن فترة الارهاب والتخريب ستنتهي . ولا ينبغي ايضا التخفيف من معنويات هذه المنظمات وشجاعتها . ان قوات الامن الاسرائيلية تخوض حربا عنيفة ضد رجال عنيفين ، يحملون المرارة ويؤمنون بأنهم يقاتلون من اجل قضية عادلة ، لا تنقصهم الشجاعة والتضحية. فان من يخرجون من قواعدهم ويتسللون الى اسرائيل مخترقين الحواجز والتحصينات وحقول الالغام والالات الالكترونية ويتعرضون الى ملاحقة متواصلة من قوات الجيش الاسرائيلي وأذرعة الامن الاخرى ، ليتمتعون بشجاعة غير قليلة . ان هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين يضحون بحياتهم ،

ومن يدعي أنهم « جبناء » لا يعرف شيئا » .

ويبحث المؤلف عن جذور المقاومة التاريخية لدى الشعب الفلسطيني ، فيقول ان احداث ١٩٢٩ و١٩٣٦ لم تكن الا مقاومة فلسطينية مسلحة ضد الغزاة اليهود الاجانب « والذي ينظر الى هذه الاحداث وكأنها صدام بين يهود مساكين يحاولون الدفاع عن انفسهم ، وبين عصابات من قطاع الطرق العرب ، فانه يمارس الكذب على اليهود وعلى العرب . لقد قاتل العرب اليهود لا من اجل القتل وسفك الدماء ، ولكنهم قاتلوا كما يقاتل المناضلون ضد من جاءوا يحتلون ما يعتقدون انها بلادهم » . هذا عن تاريخ أحداث ١٩٢٩ التي يصورها المؤرخون الصهيونيون بأنها « اعتداءات اللصوص العرب على اليهود الابرياء » . وعن أحداث ١٩٣٦ يقول المؤلف : « ان المناضلين العرب كانوا منظمين في عصابات ، ولكن اذا استخدمنا مصطلحا آخر نقول انهم كانوا يخوضون تمردا شعبيا بكل معانيه : الاضراب الشامل ، والاستعداد للتضحية ، وحرب عصابات » .

ويخلص المؤلف الى القول ان تاريخ هذا الصراع هو « صراع بين حركتين قوميتين ولدتا تقريبا في الوقت ذاته : اليهودية والعربية الفلسطينية . ولقد تجاهل مؤسسو الحركة الصهيونية هذه القضية ، ورأى هرتسل ان « اليهود العائدين الى بلادهم يحملون رسالة الرجل الابيض » . أما الذين جاءوا بعده : بيرل كتسنلسون ودافيد بن غوريون ورفاقهما ، فقد كانت نظرتهم الى قضية العرب الفلسطينيين غامضة . كان من بينهم من أراد أن يتجاهلها ، وأن يلقي مسؤولية حلها على المستقبل » . ان المساواة بين حقوق « القومية اليهودية » و« القومية الفلسطينية » على ارض فلسطين ، هي نقطة الانطلاق التاريخية والسياسية لدى أريه الياف . وهنا ، تطرح مسألة نظرية في غاية الخطورة ، أمام مفكري الصهيونية ، لانها تمس الجهاز العصبي لكيان اسرائيل ، وتستتبعها اعادة نظر شاملة في كل التطبيق الصهيوني اللاحق والتطورات السياسية اللاحقة ، في حالة الموافقة الصهيونية النظرية على هذا الاعتراف . وهنا ، نعثر على الخيط الدقيق الضائع الذي يفصل بين ما اصطلح على تسميتهم « الحمائم » وبين ما اصطلح على تسميتهم « الصقور » في الفكر الصهيوني — الاسرائيلي الممارسة ، او بين « الصهيونية المتنوعة » التي تكتفي باقامة دولة يهودية ، وبين « الصهيونية الجشعة » الطامعة في مزيد من التوسع .

هل يعترف الفكر الصهيوني بالصيغة التي طرحها أريه الياف ، القائمة على مبدأ الاعتراف بنشوء قوميتين على ارض فلسطين — قومية يهودية وقومية عربية فلسطينية ؟

هذا أولا .

وهل يعترف الفكر الصهيوني ، ثانيا ، باعلانه الاعتراف بحق القومية العربية الفلسطينية بالمساواة مع القومية اليهودية ؟

يعترض يوسف نبو (وهو عقيد في الجيش الاسرائيلي ومحلل للشؤون العسكرية ورئيس بلدية هرتسليا) على مقولة أريه الياف في مقال نشره في « دافار » (٨/١٨) ويقول : ان اخطر ما في كتاب الياف هو حديثه عن المساواة في حقوق الشعب اليهودي والشعب الفلسطيني على ارض اسرائيل كلها ، لانها تمس جذور كياننا القومي . ففي بحثه عن العدل للفلسطينيين يرتكب اللاعدل بحق شعب اسرائيل » . لماذا ؟ « ان جوهر الصهيونية — هو الحق غير المشروط للشعب اليهودي في العودة واقامة السيادة على بلاده . والاعتراف بالمساواة في الحقوق معناه — اشتراط حق اليهود بموافقة العرب . ان المساواة في الحقوق القومية معناها — الاعتراف بحق النقض للفلسطينيين على تطلعات اليهود ، فها هم يقيمون في بلادهم وهم يحتفظون بحقهم ، بينما نحن نجيء من الخارج وندعي الحق » . ويضيف الكاتب مخللا جوهر عنصرية الصهيونية : « أن الصهيونية ، في الممارسة ، تعتمد على أولوية حق شعب اسرائيل في بلاده على اي حق اخر . وعندما تصطدم الممارسة الصهيونية مع حقوق اخرين ولا تكون هنالك امكانية للتسوية بينهما ، فان حق الصهيونية له الأولوية . وكل اعتراض على ذلك هو بمثابة اعتراض على حقنا في الكيان القوي ذي السيادة وغير المشروط » .

عندما يصطدم اي حق مع ما تدعيه الصهيونية من حق ، فان لادعاء الحق الصهيوني الافضلية الاولى غير القابلة للمناقشة . من هنا ، فان « الحق » اليهودي على فلسطين وعلى سواها هو حق مطلق ، وأي اعتراض عليه يعتبر اعتراضا على جوهر كيان اسرائيل — هكذا يمكن تلخص النظرة الكونية للفكر

الصهيوني « الصقر » . فكيف ينظر الفكر الصهيوني « الحمام » الى المسألة ؟.

يعتبر أريه الياف أحد ممثلي هذا الميل داخل السلطة الاسرائيلية . ويقول في كتابه ان الفلسطينيين – على الرغم من الكوارث التي لحقت بهم – او بسبب هذه الكوارث قد تحولوا الى عنصر جاسم في المنطقة ، ويعتقد انهم العامل المركزي الذي ادى الى نشوب الحروب بين العرب واسرائيل . وبعد حرب ١٩٦٧ يرى الياف ان الشعب الفلسطيني هو العامل الجوهري . وهو لا يعترف بأن من حق اسرائيل ان تبحث المسألة على النحو التالي : هل هنالك شعب فلسطيني ام لا ؟ ويتساءل : « من نحن لكي نقرر ذلك ». « فانهم ، او تاريخ عشرات السنين الاخيرة، قد حددهم كشعب خاص بين الشعوب العربية » . ويقول انه بدون الفلسطينيين ليست ثمة امكانية لاية تسوية « حتى لو حدثت معجزة ، وتم التوصل الى اتفاق مؤقت أو دائم مع الدول العربية من الجنوب والشمال والشرق ، فلن تحل قضية العرب الفلسطينيين . لن نحصل على سلام حقيقي ولن ينتهي الصراع العربي – الاسرائيلي ما لم نجد ، معهم ، حلا للقضية التي هي قضيتنا » . ويرى أريه الياف ان الحل هو « تنازل كل من الشعبين عن تحقيق جزء من حقه واقامة دولتين – يهودية وفلسطينية عربية – على ارض فلسطين . ولا يحدد المؤلف حدود كل من هاتين الدولتين . ولكنه يشير ان حدود اسرائيل ستكون شبيهة بالحدود التي سبقت حرب الايام الستة . أما الدولة الفلسطينية فانها ستشمل قطاع غزة وضفتي الاردن .

ولا يهمنا هنا مناقشة الحل الذي يطرحه أريه الياب . ان ما يلفت النظر ، في هذا المجال ، هو أن نراقب نظرة الفكر الصهيوني الى الشعب الفلسطيني وحقوقه التاريخية ، وكيفية اصطدام هذه الحقوق مع الممارسة الصهيونية .

ويبدو ان يغال عيلم – مؤلف كتاب « مدخل الى تاريخ صهيوني اخر » ينتمي الى فكر الحمام الذي يحاول تبرئة الصهيونية – كايديولوجيا وتطبيق سابق ، من « أخطاء » التطبيق اللاحق التي ترتكبها « الصقور » . وعلى هذا الاساس ، فانه يجتهد كثيرا لخلق فواصل نظرية بين الاستيلاء على فلسطين عام ١٩٤٨ – كعملية « شرعية » لتطبيق « الحق » اليهودي « الشرعي » ، وبين الاستيلاء على مزيد من المناطق عام ١٩٦٧ . انه يعترض على الاعتراف بأن الممارسة الصهيونية كانت تنطوي دائما على حتمية طرد العرب ونهب اراضيهم . انه يرفض ذلك لكي لا يقوده منطق الامور الى الموافقة على عمليات الطرد والنهب في الحاضر ، ولكي لا « تشوه » سمعة الصهيونية التي كانت جرائمها في الماضي « عدالة ». انه يبرىء الصهيونية من هذه الطبيعة ، لان التأكيد على هذه الطبيعة « سيلغي الصهيونية بين صفوف الجيل الجديد ، فاذا كانت الصهيونية دائما حركة نهب ، فما هو تفوقها على حركات النهب الاخرى في التاريخ ، عدا انها لنا ». وفي مقاله عن كتاب أريه الياف (دافار ٨/١٨) يدافع عن ممارسات الصهيونية في الماضي ، ضد ممارساتها في الحاضر ، ويضع آراء الياف في مواجهة آراء اصحاب الدعوة الى « ارض اسرائيل الكاملة » السائرين في المنطق الصهيوني حتى اخر بدى . ويقول عن كتاب الياف « انه ، قبل كل شيء ، تجدد للينبوع الصهيوني ومحاولة لان يعيد الينا ارض اسرائيل الصهيونية – في مواجهة « أرض اسرائيل الكاملة » – تلك الارض التي وعدنا أنفسنا بها عندما خرجت الصهيونية الى الطريق ، واشترطنا بلوغها بشرطين كبيرين : ١ – ان يقوم على هذه البلاد مجتمع نموذجي يهودي ٢ – الا ينطوي عملنا على نهب العرب » . كيف يمكن ان يقوم مجتمع يهودي نموذجي على ارض يسكنها شعب اخر دون ان تنطوي العملية على نهب ؟. ان الكاتب يحل هذه المعادلة الصعبة باجابة مضللة : « أليس هنالك فارق نوعي اخلاقي حاسم بين الاستيلاء على الاراضي بواسطة المال في فترة الحكم التركي والانتداب البريطاني وبين مصادرة الاراضي بقوة الغزو في أيامنا ؟ » !!!

ويوافق الكاتب على رأي أريه الياف بأن « أرض اسرائيل الكاملة » ليست هي التي ستشكل قوة الجذب والتحدي للهجرة الكبيرة ، وانما تحقيق حلم المجتمع اليهودي النموذجي ، وعلينا قبل كل شيء ان نثبت لانفسنا وللعالم ان دولة اسرائيل تستطيع ان تستوعب ثمانية ملايين مواطن يستطيعون العيش بكرامة دونما حاجة الى التوسع الى أية جبهة . فاذا آمنا بذلك ، واثبتنا ذلك بالقول والعمل ، وبالتخطيط فعندها نستطيع اقناع الغرب والعالم بأننا لا نتطلع الى التوسع » .

م . د .

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل اسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على امل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك باكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيلية التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للرأي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

جائزة تخليد ذكرى

الشهيد غسان كنفاني

ان رابطة الخامس من حزيران ، تخليدا لذكرى الكاتب الفلسطيني وأحد اركان المقاومة الشهيد غسان كنفاني الذي اغتيل في ٨ تموز ١٩٧٢ ، تعلن بأنها سـوف تقدم جائزة باسم الشهيد قيمتها ثلاثة آلاف ليرة لبنانية (٣٠٠٠، ل.ل.) لافضل قصة او مسرحية باللغة العربية شرط ان لا تكون منشورة من قبل .

لكافة المعلومات الاضافيـة
الرجاء الكتابة الى العنوان التالي :

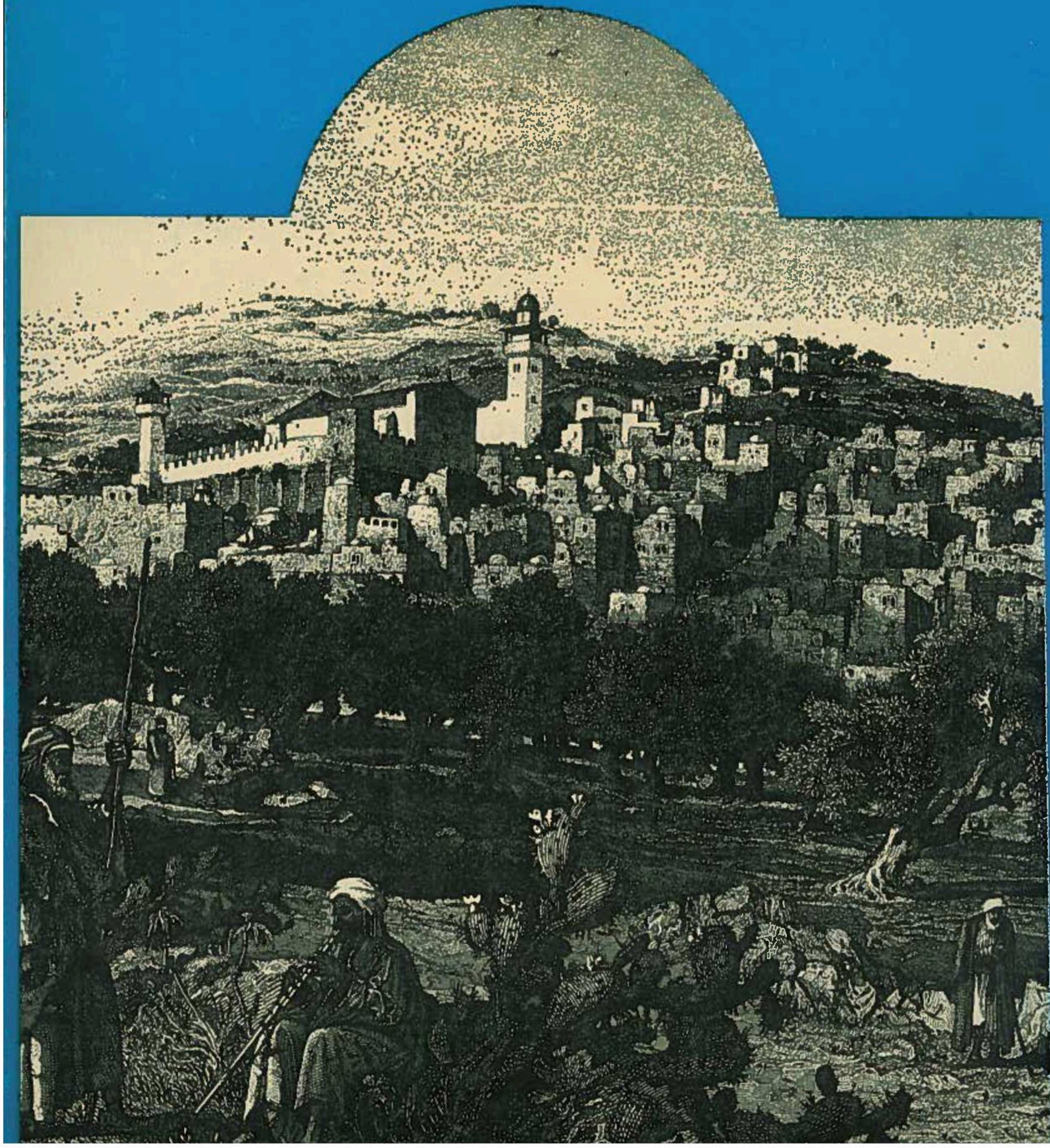
رابطة الخامس من حزيران
ص. ب : ٧٠٣٧
بـيروت ــ لبنـان

أوفست زين - تلفون ٢٧١١١٢

شؤون فلسطينية

١٥

تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ١٥ — تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد (بريد جوي) : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسائر الوطن العربي، ٤ ل.ل. في آسية وافريقية واوروبة ، ٦ ل.ل. في الاميركتين واوسترالية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان والوطن العربي، ٥٠ ل.ل. (١٦ دولارا اميركيا) في آسية وافريقية واوروبة، ٨٠ ل.ل. (٢٦ دولارا اميركيا) في الاميركتين واوسترالية . (بريد عادي) ٤٠ ل.ل. (١٣ دولارا اميركيا) في سائر الدول الاجنبية .

يعطى حسم ٥٠٪ (عدا البريد) على الاشتراكات للمقاتلين والعمال اذا جاءت الطلبات من خلال التنظيمات او النقابات او الاتحادات .

صورة الغلاف : الخليل ، القرن التاسع عشر

المحتويـــات

صفحة ٤ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ [مدير عام مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ورئيس تحرير شؤون فلسطينية] .

٥ **ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢** ، الدكتور فايز صايغ [المفكر الفلسطيني ومؤسس مركز الابحاث] .

١٩ **تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية** ، عصام سخنيني [رئيس تحرير اليوميات الفلسطينية] .

٣٧ **الهوة الاجتماعية في اسرائيل** ، عبد الحفيظ محارب [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] .

٥٨ **حوار مع مدينة** ، محمود درويش [الشاعر الفلسطيني، مستشار م. ا.] .

٦٧ **عقدة ثيودور هرتزل بين العم توم ودون كيشوت** ، ا. ن. سعد [باحث في قسم الدراسات الاسرائيلية في م. ا.] .

٧٩ **سلاح الطيران الاسرائيلي**، هشام عبدالله [باحث في الشؤون العسكرية] .

٩٧ **سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل** ، انطوان منصور [باحث اقتصادي فلسطيني في الجزائر] .

١١٣ **سياسة النظام والازمة الاقتصادية الراهنـــة في الاردن** ، حسن الجعبة [باحث في الشؤون الاقتصادية] .

١٢٧ **لانسكي وليبسكي واستغلال قانون العودة** ، د. اسعد رزوق [باحث في الشؤون الاسرائيلية ـــ مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية] .

١٥٨ **القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين** ، مايكل جانسن [الكاتبة الاميركية المختصة في الشؤون العربية] .

١٣٧ **عصبة مكافحة الصهيونية في العراق** ، عبدالقادر ياسين [كاتب فلسطيني ومحرر في مجلة الطليعة القاهرية] .

١٦٧ **الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ — ١٩٣٩)** ، عمار الطالبي [كاتب مغربي] .

١٧٨ **الادب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني** ، رشاد الشامي [معيد بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس] .

١٩١ **مراجعات** : تيارات في السياسة والاجتماع ، د. صادق جلال العظم [مستشار قسم الدراسات الاسرائيلية في م. أ.] . اسرائيل : تاريخ شخص ، جودفري ه. جانسن [الكاتب الهندي المختص بشؤون الشرق الاوسط] . شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن — ايلول ١٩٧٠ ، هاني حوراني [كاتب أردني] . حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ، مصطفى كركوتي [كاتب سوري] . السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية ، قاسم حول [كاتب سينمائي] .

٢٠٦ **رسالتان** : (١) راي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، عبد الرحمن غنيم [الكاتب الفلسطيني] . (٢) وداعا يا فلسطين ، ايرين بيسون [الصحفية البريطانية] .

٢١٦ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية، بلال الحسن [رئيس قسم الدراسات الفلسطينية في م. أ.] . ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط ، منير شفيق [الكاتب الفلسطيني] . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش [الكاتب الفلسطيني] . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، داود تلحمي [رئيس مشروع الدراسات الثورية في م. أ.] . (٤) المناطق المحتلة ، ع.م. (٥) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الاول من العام ١٩٧٢، الدكتور يوسف شبل [استاذ الاقتصاد في الجامعة الاميركية في بيروت] . جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني وآخر بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٩/١٣ — ١٩٧٢/١٠/٢، غازي خورشيد [مدير التوزيع في م. أ.] . تقرير خاص حول انتخابات مجلس الاتحاد الوطني الاردني ، أ. م.

٢٤٤ **اسرائيليات** : محمود درويش .

٢٥١ **وائل زعيتر : قديس آخر يموت في روما** ، داود تلحمي .

٢٥٢ **وائل زعيتر : مناضلا وانسانا** ، منير شفيق .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

كان عمله من أجل فلسطين متعدد الجوانب ومتشعب المجالات ، وسأترك لزميلين لي ، من رفاقه ، الكلام عنه ، فلسطينيا مناضلا بشجاعة وايمان وهدوء وفكر . ويكفي أن أذكر ، في أسطر ، تجارب مركز الابحاث وشؤون فلسطينية مع هذا المناضل في فترة قصيرة نسبيا لا تتعدى السنتين الاخيرتين . فقد آمن بالمركز ورسالته في خدمة قضية فلسطين ، وبشؤون فلسطينية كمنبر للفكر الحر من أجل فلسطين . وعمل للمركز وللمجلة مراسلا ومندوبا في ايطاليه باخلاص وبدون أي أجر : آمن بأهمية الدراسات العلمية التي تصدر عن المركز فترجم عددا منها الى الايطالية ونشرها في كتاب قيم جيد المادة وانيق المظهر مما ضمن له سعة الانتشار . وآمن بأهمية الوثائق فأعد مشروعا لتزويد مكتبة المركز بمجموعة من الاوراق الاساسية في القضية ، على أن تصور هذه المجموعة الوثائقية ويحتفظ بنسخة عنها في مكتبته بروما لتكون في خدمة الباحثين هناك أيضا . وآمن بلقاء الثورة الفلسطينية مع حركات التحرر ومع أصحاب الفكر التقدمي في العالم . فبدأ باعداد مقابلة واسعة لشؤون فلسطينية مع الكاتب الايطالي البرتو مورافيا ، صديقه . وزود المركز بعدة تقارير عن النشاطات السياسية في ايطاليه ، المتعلقة بقضية فلسطين ، الصديقة والمعادية (آخرها معلومات واسعة عن مؤتمر بولونيا العتيد) . وكان على صلة مباشرة مع قسم الاعلام الاسرائيلي في المركز . ولا شك ان بين أوراقه رسالة من المركز أرسلت منذ أيام فقط تطلب رأيه ببعض المنظمات اليسارية في أوروبه الغربية . لكنه لم يقرأ الرسالة لانه سقط قبل أن تصله . فقد سبقتنا اليه رصاصات الغدر الصهيوني .

وائل زعيتر : مناضلا عاش ومناضلا مات . طاقة أخرى من الايمان والجهاد يحولها الارهاب الاسرائيلي الى شعلة تنير للثورة الفلسطينية دروبها . ومثل أجهزة الثورة الفلسطينية الاخرى التي تلملم جراحها وهي تفتقد شهداءها ، تستنير شؤون فلسطينية بهذه الشعلة وتهتدي بسيرة صاحبها وأمثولته الحية أبدا وافرة العبر . فمن قبل أن يصدر العدد الاول من مجلتنا بأسابيع سقط في عمان أول شهيد من اسرة تحريرها ، عيسى ابو الطبول مراسلها في المانيه الغربية . وفي هذا الصيف سقط أحد كبار كتابهـا ، غسان كنفاني . وبعد أيام أصيب زميل آخر ، بسام ابو شريف ، رفيقنا الجريح الشجاع الثابت في نضاله وتحديه الآلام . ودخل البريد المتفجر مركز الابحاث وخرب فيه الكثير وأصاب مديره رئيس تحرير شؤون فلسطينية بعاهات وجروح . وها هو وائل زعيتر ينضم الى القافلة ويضحي بحياة حافلة بالعطاء السياسي والفكري والثقافي والانساني .

من بعد ؟ أمحرر ، أم كاتب ، أم مستشار ، أم مراسل ، أم اداري ، أم طابع ، أم من من هذه المجموعة من العاملين لفلسطين من خلال الكتابة لها ؟ يد الغدر طويلة . قد تصيب واحدا من هؤلاء وقد تصيب بعضا منهم وقد تصيبهم كلهم ، اليوم او غدا او بعد غد . ولكن هذه اليد ، مهما بلغت سطوتها ، أقصر من ان تنال من ايمان واحد من هؤلاء او من غيرهم من ابناء الثورة . بل هي أعجز من أن تنال من الثورة بمجرد سقوط شهيد أو شهداء . وذلك لان الثورة مصممة على ان تستنير بشعل شهدائها مثلما كانت تستفيد منهم وهم أحياء . وعلى هذا الاساس فان وائل زعيتر ، الغائب عنا جسديا ، معنا في المعركة ، وسيبقى معنا ، حتى يوم النصر .

ملاحظات على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ *

الدكتور فايز صايغ

١ ــ نوفمبر ــ شهر التجني :

تقترن ، في الخاطر العربي ، ذكرى شهر نوفمبر (تشرين الثاني) بعمليات التجني الدولي على حقوق الشعب الفلسطيني والعدوان على وجوده وكرامته . ففي ذلــك الشهر ، وعلى مدى خمسين عاما ، صدر اخطــر ما اتصل بالقضية الفلسطينية مــن تعهدات وقرارات دولية .

في ٢ نوفمبر ١٩١٧ ولدت القضية الفلسطينية رسميا بصدور وعد بلفور عــن الحكومة البريطانية ــ وعدا قطعته بريطانيا على نفسها وتعهدت فيه بان تفعل مــا بوسعها من اجل انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، أقرت الجمعيــة العامة التابعة للامم المتحــدة مشروع تقسيم فلسطين وأصدرت توصية بتنفيذه .

وبعد انقضاء نصف قرن على ميلاد القضية ، اي في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ ، اصدر مجلس الامن التابع للامم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ ، والذي رمى الى تصفية القضية تصفية كاملة ونهائية ، في مجال ازالة اثار احدث عدوان اسرائيلي .

في اعتقادي ، ان ثالثة هذه الاعتداءات الدولية على فلسطين وشعبها كانت اخطرهــا واوقحها . اي ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فاق ــ في تطاوله على الحقوق القومية والانسانية للشعب الفلسطيني ــ كــلا من توصية الجمعية العامة بتقسيــم فلسطين واقامة دولة يهودية على الجزء الاكبر من ترابها ، وكذلك الوعد البريطاني بانشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، ذلك الوعد الذي ما لبث ان تسرب الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم واصبح جزءا منه . اقول ذلك استنادا الى واقع ان قرار مجلس الامن ــ وحده ، وخلافا للوثيقتين الاوليين ــ قضى بما يلي :

اولا : ان قرار مجلس الامن القى على الدول العربية « واجب » القبول باسرائيل كدولة قائمة ذات سيادة كــاملة وذات حقوق في الوجود والسلامــة الارضية والاستقــلال السياسي والامن تساوي حقوق الدول العربية نفسها ، كما انه ربط اداء الدول العربية لهذا الواجب المزعوم بوفائها بالتزاماتها الدولية المنبثقة عن عضويتها في الاسرة الدولية وابرامها ميثاق الامم المتحدة ، وبحقها في المطالبة بانسحاب اسرائيل من اراضيها . ففي حين كان وعد بلفور تعهدا من جانب واحد ، قطعته على نفسها دولة اجنبية ، بانشاء جسم غريب في فلسطين ، وفي حين كان قــرار الجمعية العامة توصية ، موجهــة الى

* ان جميع الاراء والاحكام التي يحتوي عليها هذا المقال لا تعبر سوى عن رأي كاتبه ، وليست معبرة عن رأي او موقف أية هيئة او منظمة او مرجع آخر على الاطلاق .

الفرقاء المعنيين بالامر ، باقتسام فلسطين فيما بينهم واقامة دولة يهودية الى جانب دولة عربية توأم لها ومدينة دولية بينهما ــ فان قرار مجلس الامن طالب الدول العربية نفسها بأن تقر « بشرعية » الدولة الدخيلة وبأن تتعامل وإياها على اساس ذلــك الاقرار . فكأني به والحالة هذه يطالب الدول العربية بأن تجعل نفسها شريكا للحركة الصهيونية وللاسرة الدولية في جريمة السطو والاستيلاء والاغتصاب والتشريد ــ تلك الجريمة التي تجسدها اسرائيل بالنسبة الى الارض الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

ثانيا : ان قرار مجلس الامن قضى بقبول العرب قبولا نهائيا باسرائيل كما هي (اي كما كانت عليه عشية شنها الحرب العدوانية الثالثة عام ١٩٦٧) ، وبالتالي التنازل عن اي مطلب عربي سابق ، بما في ذلك جميع المطالب التي ايدتها الامم المتحدة نفسها، ومجلس الامن نفسه ، في عشرات القرارات ، من مطالب تتعلق بحقوق الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وديارهم ، وحقوقهم في التعويض عن ممتلكاتهم المسلوبة او المدمرة ، وبما في ذلك ايضا جميع المطالب المتعلقة باحترام اسرائيل لحقوق العرب المقيمين في الاراضي التي اغتصبتها . اي ان قرار مجلس الامن لم يتجاهل فقط الحقوق القومية والانسانية الثابتة التي يتمتع بها الشعب الفلسطيني بالطبيعة ، بل انه تجاهل ايضا الشروط التي نص عليها كل من وعد بلفور ومشروع التقسيم والتي كانت تقيد اسرائيل وتلزمها أمام الاسرة الدولية بالتزامات قانونية معينة ، وتجاهل كذلك قرارات الامم المتحدة المتعاقبة التي اكدت وجوب تقيد اسرائيل بتلك الشروط وطــالبتها بالعودة عن انتهاكهــا لها في الماضي والتوقف عن انتهاكها في المستقبل . فاسرائيل التي طولبت الدول العربية ــ في قرار مجلس الامن ــ بالاعتراف بها ككيان كامل الشرعية انما هي دولة طليقة من كــل قيد ، مغفورة لها جميع ذنوبها السابقة ، حتى تلك الذنوب التي ما تزال آثارها قائمة ونتائجها مستمرة . ان قرار مجلس الامن شبيه بعفو عام تصدره السلطات في بلد مــا لصالح مغتصب ، دون ان تطالبه بارجاع ما اغتصبه الى اصحابه ــ ثـم تطالب ذوي الضحية بالمشاركة في التوقيع عليه !

ثالثا : ولعل اخطر ما في قرار مجلس الامن ليس ما نص عليه بل ما اهمله وصمت عنه . لقد صمت القرار عن الشعب الفلسطيني ومصيره وحقوقه ، بل انه تجاهل وجوده (كما سنرى بعد قليل) ، في حين ان كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم إعترف للشــعب الفلسطيني ببعض حقوقه حتى عندما تجنى على البعض الاخر .

لهذه الاسباب كلها ، ولسواها مما يتصل بها او ينبثق عنها ، قلنا ان قرار مجلس الامن كان اوقح من وعد بلفور واشد ايذاء من مشروع التقسيم . **الا انه من المذهل حقا ان الامة العربية ، التي استقبلت كلا من وعد بلفور ومشروع التقسيم بالسخط والمقاومة الفوريين والاجماعيين ، وقفت امام قرار مجلس الامن ، وهو الاشد خطرا وخطورة ، موقف التردد الحائر ، ثم اعلنت غالبية الحكومات العربية قبولها به ، ان لم نقل تلهفها على تنفيذه وسعيها وراء ذلك كانه البلسم لجراحها . فاصبح قبول الحكومات العربية بالقرار اخطر ما في القرار ! ؟**

٢ ــ مقارنة الجرائم الثلاث :

اولا : ان الخلفية التاريخية لكل من جرائم نوفمبر الثلاث تفسر الى حـد بعيد اسباب تفوق قرار مجلس الامن على سلفيه في مدى تطاوله على حقوق الشعب الفلسطيني . وعد بلفور صدر قبل ان يجري اي امتحــان فعلي لقوة اي من الفريقين وقدرته عــلى فرض ارادته في فلسطين . لذلك فانه انطوى على غموض مقصود في ما وهبه للحركة الصهيونية ، كما انطوى ايضا على محاولة فاترة لاحداث شيء من التوازن بين تلــك الهبة (غير المحددة في طبيعتها وفي مداها الاقليمي) وبين ما احتفظ به للشعب الفلسطيني

واشترط احترامه .

ومشروع التقسيم حظي بموافقة الجمعية العامة كمخرج ــ او حل وسط ــ انعكست فيه حقيقة واضحة ، وهي ان كلا من الفريقين كان قد عجز ، خلال مجابهة دامت ثلاثين عاما ، عن التغلب على الفريق الاخر بصورة حاسمة والفوز بتحقيق كامل اهدافه . فلا الشعب الفلسطيني ، ومن ورائه العالم العربي ، نجح في الحؤول دون دخول طلائع المستوطنين الصهيونيين الى فلسطين او في منع بريطانيا من حمايتهم ونقل ملكية بعض الاراضي الفلسطينية اليهم ــ ولا الصهيونيون، ومن ورائهم اليهودية العالمية وبريطانيا، افلحوا في القضاء على المقاومة الفلسطينية او في الاستيلاء على مساحات وافية من الاراضي التي كان يملكها الفلسطينيون ويستطيعون التحكم بمصيرها . وكما انعكس عجز كل من الفريقين في « الحل الوسط » الذي جسده مشروع التقسيم ، فقد انعكس فيه ايضا واقع حيازة كل من الفريقين على قوة خاصة به . فكان الشعب الفلسطيني قد اثبت صموده وعناده وقدرته على البذل واستعداده للفداء دفاعا عن وجوده وارضه وكرامته ، فيما كان الجانب الصهيوني قد اثبت بدوره قدرته على التنظيم ونفوذه الواسع خارج ميدان المعركة في الاوساط الدولية الفاعلة آنئذ .

اما قرار مجلس الامن فقد صدر في ظرف يختلف اختلافا جذريا عن الظرف السابق لصدور وعد بلفور او الظروف السابقة لصدور مشروع التقسيم . كان الامتحان قد تم . وانتهى الامتحان بانهيار عربي بدا آنذاك وكأنه انهيار كاسح ليس بعده صمود ، او قدرة على الصمود ، او ارادة للصمود . فجاء قرار مجلس الامن يسجل واقع ميزان القوى بين الفريقين . ولا ننسى انه صدر قبل ان تستوعب الأسرة الدولية ــ بل قبل ان يستوعب العالم العربي نفسه ــ المعنى الكامل لظهور المقاومة الفلسطينية وامكاناتها البعيدة ، وبزوغ الارادة الفلسطينية بعد كسوف طويل ، وانبعاث الامل الجماهيري العربي .

اذا ذكرنا ان قرار مجلس الامن كان يسجل واقع الميزان الآني الراهن لقوى الفريقين في المنطقة ــ وليس امكانات المستقبل القريب او البعيد ، ولا ميزان الحقوق في ما يمثله كل منهما او درجة الشرعية في ما يدعيه لنفسه ــ سهل علينا ان نفسر انحياز القرار وما انطوى عليه من تجن . ولكن ذلك كله لا يكفي لتقديم تفسير كامل للتجني والانحياز . بل يجب ان نأخذ بعين الاعتبار الابعاد الدولية لميزان القوى . ومهما كان شأن القوة العسكرية التي كان يتمتع بها كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة عام ١٩٦٧ ، مما كان لا بد للاسرة الدولية من ان تحسب حسابه في اعقاب حرب حزيران وفي مجال معالجتها لآثار تلك الحرب ، فلا مشاحة في ان درجة التزام كل من العملاقين الدوليين بقضية هذا الفريق او ذاك كانت في حد ذاتها عنصرا اساسيا من عناصر المعادلة العامة للقوى الدولية ذات الصلة بما اصطلح على تسميته منذ ذلك الحين « ازمة الشرق الاوسط » .

ان للقوة بمعناها الدولي الفعلي حدين . الحد الاول موضوعي ، مقياسه قدرتها عند المجابهة مع قوة اخرى معادية على التغلب عليها ، او ايقافها عند حدود ، او التأثير فيها . واما الحد الثاني فارادي ذاتي ، مقياسه مدى الرغبة في استعمالها والمطلب الذي في سبيله يصار الى استعمالها ، كليا او جزئيا . ولا تكون نظرتنا الى معادلة القوى صائبة صادقة اذا هي اخذت واحدا من هذين العاملين دون الاخر بعين الاعتبار .

امريكا كانت ، وما تزال ، ملتزمة التزاما كاملا بوجود اسرائيل وبقائها ، في حين ان الاتحاد السوفياتي لم يكن ملتزما آنذاك ، وليس هو بملتزم اليوم ، بالمطلب العربي بتحرير فلسطين وبما يستتبعه ذلك من ازالة الكيان الاسرائيلي ، وانما كان التزامه ،

ولا يزال ، محصورا في تحرير الاراضي العربية التي احتلتها اسرائيل في حرب ١٩٦٧ ، اي في ابطال التوسع الاسرائيلي الذي تم نتيجة لتلـك الحرب . واما الدول الاخرى الاعضاء في مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، ولا سيما الدول ذات المقاعد الثابتة آنذاك (اي بريطانيا وفرنسا وحكومة فورموزا) فقد كان موقف كـل منها في موقع ما بين الموقـف السوفياتي والموقف الامريكي . **لذلك فان قرار مجلس الامن ، اذ انعكس فيه من الجهة الواحدة الميزان الآني الراهن لقوى الفريقين ، والذي رجحت فيه كفة اسرائيل بشكل حاسم ، انعكس فيـه ايضا ، وفي الوقت نفسه ، ميزان اخـر ، هو ((ميزان الارادة والقوة)) بين الدولتين الكبريين ، فجاء ((حلا توفيقيا)) لازمة المجابهـة بينهما ، وحدد الارض المشتركة بين موقفيهما من النزاع . اي ان قرار مجلس الامن كان في وقت واحد بمثابة حل ((لا غالب ولا مغلوب)) بالنسبة للاتحاد السوفياتي وامريكا ، وحل ((غالب ومغلوب)) بالنسبة لاسرائيل والعرب !**

فاذا نظرنا الى قرار مجلس الامن من منظار النزاع العربي الاسرائيلي رأيناه فوزا كبيرا لاسرائيل ـــ التي تحصل بموجبه على تصفية كاملة للقضية الفلسطينية ، واعتراف كامل من الدول العربية ، وانهاء لحالة الحرب والتطويق والمقاطعة ، وانهاء للرفض العربي ، وانعتـاق من اي واجب مترتب عليها بنتيجة ما اغتصبته قبل ١٩٦٧ ، كـل ذلك لقاء انسحابها من الاراضي التي احتلتها نتيجة لحرب حزيران ، وهي الاراضي التي لم تكن دولة واحدة في العالم آنذاك تعترف لاسرائيل بحق الاحتفاظ بها .

اما اذا نظرنا الى القرار من منظار المجابهة الامريكية السوفياتية ، فاننا نرى فيه توفيقا بين مطالب الفريقين . فالمطلب الامريكي الاساسي كان وما زال تأمين سلامة اسرائيل واستمرار بقائها ، الامر الذي لا يمكن تأمينه بصورة نهائية وقاطعة الا بالحصول على رضى العرب عن وجود اسرائيل وقبولهم بها كدولة شرعية الوجود ، وبقيام حـالة من السلام والعلاقات الطبيعية بينها وبين الدول العربية تتيح لاسرائيـل ـــ بفضل الدعم الامريكي والديناميكية الصهيونية ـــ بسط سطوتهـا الاقتصاديـة والسياسية وخدمة المآرب والمصالح الامريكية في المنطقة العربية . واما المطلب السوفياتي الاساسي عام ١٩٦٧ فقد كان دحرجة قوات اسرائيل الى الوراء حتى تصل الى الخطوط التي كـانت ترابط عليها عشية الحرب . وهذان المطلبان يلتقيان معا على ارض مشتركـة في قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ثانيا : لننتقل الآن الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية اخرى . فمن حيث درجة الزام كل منها للدول العربية في نظر القانون والعرف الدوليين ، تتباين الوثائق الثلاث تباينا شاسعا .

فوعد بلفور كان في الاصل وعدا من طرف واحد ، صادرا عن دولة اجنبية وموجها الى الحركة الصهيونية . ولم يكن للعرب عموما ، او للشعب الفلسطيني بصورة خاصة ، اي دور في مرحلة المشاورات والمفاوضات السرية التي سبقت الاعلان عنه . وقد اعلن العرب والفلسطينيون رفضهم له فور ان بلغهم نبأ صدوره . لذلك فانه لم يكن له ، في نظر القانون الدولي ، اية صفة الزامية بالنسبة للجانب العربي . ثم ان تبني هذا الوعد من قبل بضع دول اخرى ، من الدول الكبرى في عالم ما بعد الحرب العالمية الاولى ، لم يضف عليه اية شرعية دولية ، اذ ظل تعهدا فرديا ولئن كان صادرا عن دول متفرقة . **ورغم انه تسرب فيما بعد الى صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، فانه لم يظفر من جراء ذلك بشرعية تجعله ملزما للعرب والفلسطينيين ، اولا لانهم لم يكونوا ممثلين في عصبة الامم ، وثانيا لان صك الانتداب نفسه كان يكتسب شرعيته من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم ، وهي المادة التي اعترفت مبدئيا باستقلال الشعوب المتحررة حديثا من**

الحكم العثماني (وبينها الشعب الفلسطيني) ، ولان اي تعارض بين صك الانتداب ، وهو الفرع ، والمادة ٢٢ من الميثاق ، وهي الاصل ، ينسخ الاول ويبطله في نظر القانون . وكما ان وعد بلفور كان عاريا عن الالزام النابع من الشرعية ، فكذلك كانت توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم : فالتوصية بطبيعة الحال لا تحمل معنى الالزام . ثم ان مناشدة الجمعية العامة لمجلس الامن بأن يتولى تنفيذ مشروع التقسيم بموجب السلطة التي يخوله اياها ميثاق الامم المتحدة لاصدار قرارات نافــذة ملزمة لجميــع الاعضاء لم تلق اذنا صاغية من مجلس الامن نفسه . واخيرا لا آخرا ، فان الجمعيــة العامة نفسها عادت فتراجعت ، في قرارها الصادر في ١٤ مايو (أيار) ١٩٤٨ ، عن قرارها بالتوصية بمشروع التقسيم ، الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

اما القرار الذي نحن في صدده ــ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ــ فان له صفة أخرى . وقد يذهب البعض الى القول بأن جميع قرارات مجلس الامن ملزمـــة لجميع الدول الاعضاء ، خلافا لقرارات الجمعية العامة التي هي محض توصيات . وقد يكون في هذا القول بعض الصحة ، نظرا للاختلاف بين السلطات التي يخولها الميثاق للجمعية العامة في المواد ١٠ ــ ١٧ والصلاحيات التي يمنحها لمجلس الامن في المادتين ٢٤ و٢٥ . الا ان المراجعة الدقيقة لهاتين المادتين ، في ضوء احكام الفصلين السادس والسابع من الميثاق ، لتدل على ان الالزام محصور بالقرارات الصادرة عن مجلس الامن بموجب الفصــل السابع ، في حين ان القرار رقم ٢٤٢ لا يشير الى الفصل السابع في ديباجته او في نصه ، فضلا عن أنه اقرب في مضمونه الى اطار الفصل السادس منه الى اطار الفصل السابع . ولكن ، اذا كان باب الاجتهاد في تعيين درجة الالزام ، التي يتمتع بها القرار رقم ٢٤٢ ، ما زال مفتوحا ، واذا كان الجزم بأنه حقا قرار ملزم ليس قاطعا ، فانه لا بد من ذكر حقيقتين اخريين متصلتين بهذه المسألة :

الحقيقة الاولى : ان الدول العربية التي وقعت أراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ ، والتي أعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ثم اشتركت بمبادرات سياسية غرضها تنفيذ ذلك القرار ، لا تستطيع ــ عمليا او نظريا ــ ان تتحلل من التزامها الارادي بتنفيذ ما نص عليه ذلك القرار من « انهاء لحالة الحرب » واقرار بما دعاه « حق » اسرائيل في « السيادة والاستقلال السياسي والسلامة الارضية » وفي العيش في مأمن من اللجوء الى القوة او التهديد بذلك » ، لا سيما حين تسعى هي جادة الى الحصول على تأييد الاسرة الدولية لحمل اسرائيل على تنفيذ ما يختص بها في القرار ، اي الانسحاب من الاراضي المحتلة .

والحقيقة الثانية : هي ان الدول العربية الاخرى التي اعلنت قبولها بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، حتى وان لم تكن اراضيها محتلة ، قد الزمت نفسها مبدئيا بالموافقة على ما نص عليه القرار بشأن الاعتراف باسرائيل ، مما أوردناه في الفقرة السابقة ، وليس فقط بالموافقة على الدعوة الواردة في القرار الى الانسحاب الاسرائيلي . ذلك ان القرار ربط بين المبدأين ــ مبدأ الانسحاب ومبدأ الاعتراف ــ ربطا عضويا محكما ، بحيث لا يمكن التنصل من الالتزام بالموافقة على احد المبدأين بحجة ان الموافقة كانت محصورة في المبدأ الآخر .

ولعله من اللازم ان نقول في هذا الصدد ان الدول العربية التي لم تقع اراضيها تحت الاحتلال الاسرائيلي قد استدرجت الى الموافقة على قرار مجلس الامن رغم انها لم تكن من اعضاء ذلك المجلس عندما اقترع على القرار وكان في وسعهــا ان تتجنب اعلان الموافقة عليه لو شاءت . ولعل استدراج غالبية الدول العربية الى الاقتراع في الجمعية العامة على قرارين يؤكدان قرار مجلس الامــن رقم ٢٤٢ كان مــن اكبر الاخطــاء

الستراتيجية التي ارتكبتها الدبلوماسية العربية منذ قيام الامم المتحدة ! ولقد جرى ذلك في دورتين متعاقبتين من دورات الجمعية العامة همـا الدورة الخامسـة والعشرون (١٩٧٠) والسادسة والعشرون (١٩٧١) ، حين سعت الدبلوماسية المصرية لتحريك ضغط دولي على اسرائيل للانسحاب ، وذلك عن طريق استصدار قرار من الجمعية العامة يؤكد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . ولقد أدت أولى هاتين المحاولتين ، في الدورة الخامسة والعشرين ، الى تصدع في جبهة الوفود العربية لدى الامم المتحدة ، فاقترعت سبعة وفود لصالح قرار الجمعية العامة الذي يؤكد قرار مجلس الامن ، واصبحت حكوماتها بالتالي ملزمة ، أدبيا وقانونيا ، باحكامه ، فيما رفضت سبعة وفود اخرى الاشتراك في الاقتراع اطلاقا ، معلنة بلسان مندوب واحد تحدث نيابة عنها جميعا بأن رفضها الاقتراع يرجع الى ان حكوماتها ترفض قرار مجلس الامن . امـا في الدورة السادسة والعشرين (وكان عدد الدول العربية الاعضاء قد ارتفع الى ثماني عشرة دولة) فقد تكررت المحاولة ولكن بنتائج مختلفة . فقد اعلن وفد عربي واحد فقط رفضه الاشتراك في الاقتراع ، وامتنعت وفود خمس دول ، بينما اقترعت وفود اثنتي عشرة دولة عربية لصالح القرار . واذا حسبنا الدول العربية التي اقترعت ، اما في الدورة الخامسة والعشرين او في الدورة السادسة والعشرين او في كلتيهما معا ، لصالح قرار من الجمعية العامة يزكي ويؤكد قرار مجلس الامن ، وجدنا مجموعها اربع عشرة دولة : أي ان أكثر من ثلاثة ارباع الدول العربية قد سجلت رسميا موافقتها على قرار مجلس الامن ، رغم انه كان بالامكان تجنب الوقوع في هذا الاشكال لو ان تأكيد قرار مجلس الامن لم يطرح على اعضاء الجمعية العامة في قرار رسمي للتصويت عليه .

وتقضي الامانة بأن نسجل بأن مندوبي ثلاث دول عربية قررت حكوماتها الاقتراع لصالح احد قراري الجمعية العامة المشار اليهما ، او لصالحهما معا ، قد اعلنوا في بياناتهم التفسيرية ، اما قبل الاقتراع او بعده ، انهم يوافقون على قرار الجمعية العامة ككل دون ان يوافقوا على قرار مجلس الامن او يؤيدوا تلك الفقرات في قرار الجمعية العامة التي تؤكد قرار مجلس الامن . ولكن الاثر القانوني لهذه التحفظات والتفسيرات ليس معروفا : اذ انه ليس في فقه الامم المتحدة ما يحدد بصورة قاطعة ما اذا كان التحفظ او التنصل الذي يرد في البيان التفسيري ، بالنسبة لفقرة معينة من قرار ما ، كافيا لابطال الالتزام الذي ينطوي عليه الاقتراع لصالح ذلك القرار ككل .

ثالثا : بمقارنة قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ بوعد بلفور ومشروع التقسيم ، من زاوية ثالثة ، يتضح مجددا ما اتضح لنا من المقارنة من الزاويتين الاوليين : ان قرار مجلس الامن قطع في تجنيه على الشعب الفلسطيني اشواطا أبعد مما قطعته اية من الوثيقتين السابقتين .

صحيح ان التجني كان حاصلا في كل من الوثائق الدولية الثلاث ، الا انه في الاوليين كان مشروطا وملطفا بضمانات معينة غرضها تقييد الكيان الصهيوني العتيد في سلوكه تجاه الشعب الفلسطيني ، من جهة ، وصيانة بعض حقوق ذلك الشعب ، من الجهة الأخرى . لكن التجني في قرار مجلس الامن كان مطلقا وغير مشروط .

فوعد بلفور ، الذي تطلع الى اقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، اشترط ان لا يكون في ذلك مساس او اجحاف ببعض الحقوق — ولا سيما الدينية والمدنية — التي يملكها أبناء فلسطين من غير اليهود . ولو طبق هذا الشرط تطبيقا صادقا ، لانتفى الغرض الاصلي من الوعد ! ثم ان صك الانتداب لم يكتف بتكرير التحفظ الوارد في صلب وعد بلفور ، بل انه اضاف شرطا آخر ، هو الاشتراط بأن لا يسيء انشاء الوطن القومي اليهودي الى « وضع » ابناء فلسطين من غير اليهود ، وهو ايضا شرط ينفي اقامة

الوطن القومي اليهودي اطلاقا .

وذهب مشروع التقسيم الى ابعد من ذلك ، فقد نص علـــى وجوب اعلان « الدولة اليهودية » فور قيامها احترامها للحقوق المدنية والثقافية والدينية والسياسية للعرب المقيمين فيها ، على ان يكون اصدار هذا الاعلان شرطا لقبول الامم المتحدة بها ، وعلى ان يكون الاعلان جزءا من قانون الدولة الاساسي ، او دستورها ، وعلى ان لا يصار الى تعديله الا بموافقة الجمعية العامة . واستنادا الى هذه الضمانات ، كان قرار الجمعية العامة بقبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة قبولا مشروطا ، وكانت القرارات المتعاقبة التي دعت الى عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم والتعويض عن ممتلكاتهم صريحة واضحة .

اما قرار مجلس الامن فلم يكن فيه اي قيد او شرط ، فيما عدا الدعوة الى انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ . فكان في هذا القرار تحرير لاسرائيل من كافة القيود والالتزامات في المستقبل ، وصفح عن كافة اعمال الاغتصاب التي ارتكبتها اسرائيل في الماضي والتي كانت نتائجها ما تزال قائمة. وطالب القرار الدول العربية بالاعتراف باسرائيل كدولة شرعية الوجود كاملة السيادة دون ان يشترط قيام اسرائيل بواجباتها والتزاماتها الماضية وتصحيح ما ارتكبته في الماضي من جرائم والامتناع عن الاستمرار في التمتع بثمارها .

وعد بلفور خلق القضية الفلسطينية بخلق كيان صهيوني محفوف بالقيود . ومشروع التقسيم سعى لان يكون تسوية ، او حلا وسطا ، للقضية التي خلقها وعد بلفور . اما قرار مجلس الامن فقد كان تحريرا لاسرائيل من القيود السابقة ، ونسخا للضمانات والشروط التي أعطيت للشعب الفلسطيني ، فكان بالتالي تصفيـــة نهائية للقضيـــة الفلسطينية .

رابعا : يقودنا هذا الى مقارنة الوثائق الثلاث من زاوية رابعة .

كان الشعب الفلسطيني ماثلا في ذهن الذين صاغوا نص وعد بلفور ، ولئن كان ذلك بصورة جانبية . فعلى الرغم من اشارة الوعد الى « الطوائف غير اليهودية » بدلا من تعيين الهوية الفلسطينية للشعب المعني بصراحة ، وعلى الرغم من حصر الضمانات في اطار الحقوق الدينية والمدنية ، فان الشعب الفلسطيني لم يكن غائبا عن البال كليا .

وكان الشعب الفلسطيني ماثلا في الاذهان ايضا عند صدور توصية الجمعية العامة بتنفيذ مشروع التقسيم ــ فخصص المشروع له جزءا من ارض فلسطين ليقيم عليها دولة خاصة به، وقيد الدولة اليهودية بقيود واضحة فيما يتعلق بمعاملتها للعرب الفلسطينيين المقيمين في الارض التي ستصبح دولة يهودية .

اما قرار مجلس الامن فلقد تجاهل الشعب الفلسطيني تجاهلا تاما . فالقضية التي عالجها دعيت « الحالة في الشرق الأوسط » ، والنزاع الذي تعرض له كان نزاعا بين اسرائيل ــ كدولة قائمة ، بل ظافرة ــ والدول العربية . حتى الاراضي الفلسطينية التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، بالاضافة الى سيناء والجولان ، (اي الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والحمه) اعتبرها القرار ضمنا من اراضي الدول العربيـــة المتاخمة لاسرائيل ، اي الاردن ومصر وسوريا ، وليس من الوطن الفلسطيني ، كما انه اعتبر اهالي تلك الاراضي الفلسطينية المحتلة جزءا من شعوب تلك الدول العربية . ان كلمة فلسطين لم ترد في قرار مجلس الامن اطلاقا ، لا كصفة لارض ولا كصفة لشعب ولا كصفة لافراد . وان ما حل بالشعب الفلسطيني وبوطنه قبل عام ١٩٦٧ اعتبر امرا واقعا ، وطولبت الدول العربية بالاعتراف باسرائيل على الرغم منه كله .

رب قائل يقول : ان قرار مجلس الامن طالب باجراء « تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين » ،

وبالتالي فهو لم يغفل قضية فلسطين وابنائها اغفالا كاملا . الا ان هذا القول مردود لاسباب عديدة ، أهمها ما يلي :

(١) ان التركيز في القرار ، سواء في ديباجته او في الفقرة التنفيذية الاولى منه ، قد انصب على موضوعي الانسحاب الاسرائيلي والاعتراف العربي الكامل باسرائيل، اللذين ربطهما القرار معا ودعاهما مبدأي السلام في الشرق الاوسط. اما الاشارة الى اللاجئين فقد وردت في اطار « الاجراءات الاضافية » التي رأى مجلس الامن ان من الضروري اتخاذها كخطوات لاحقة من اجل تركيز السلام . والواقع ، ان قضية اللاجئين لم تتمتع بالاولوية في جدول « الاجراءات الاضافية » تلك ، بل سبقتها الى المقام الاول قضية حرية الملاحةفي الممرات المائية في المنطقة !

(٢) لم يتحدث قرار مجلس الامن — في الجملة الوحيدة التي اشار فيها الى « مشكلة اللاجئين » — عن « اللاجئين الفلسطينيين » ، بل عن « اللاجئين » بصورة عامة . ولقد أشار أكثر من مسؤول اسرائيلي ، في أكثر من مناسبة ، الى ان اسرائيل تنظر الى عبارة « مشكلة اللاجئين » كعبارة تضم اللاجئين الفلسطينيين و« اللاجئين اليهود » الذين جاؤوا الى اسرائيل من البلدان العربية ، وان « التسوية العادلة » المنشودة هي تسوية لمشكلة الفريقين معا وليست تسوية لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فقط .

(٣) وعبارة « التسوية العادلة » لمشكلة اللاجئين وردت هكذا — مطاطة ودون تحديد. ففي حين ان كافة القرارات السابقة التي صدرت عن الجمعية العامة وعن مجلس الامن نفسه كانت تشير بوضوح تام الى عودة اللاجئين الذين يختارون العودة ، والى التعويض عن ممتلكات اللاجئين الذين لا يختارون العودة وعن الخسائر في ممتلكات اللاجئين العائدين — فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ تجنب الاشارة الى العودة واكتفى بعبارة « التسوية العادلة » . ولا يحتاج المرء الى كثير من سوء الظن ليتكهن بأن التفسير الذي سيقدم في المستقبل لتلك العبارة — اذا ما قدر للقرار ان يسير في طريق التنفيذ — سوف يتجه نحو اجراء « التسوية العادلة » عن طريق التعويض المالي على الممتلكات وليس عن طريق العودة .

(٤) وأخيرا ، فان تقليص قضية الشعب الفلسطيني الى مستوى قضية لاجئين هو في حد ذاته تنكر لحقوق الشعب الفلسطيني ولوجوده كشعب . فاللاجئون — اي لاجئين — ليسوا شعبا بل مجموعة افراد ، وتسوية « مشكلتهم » — حتى اذا كانت « تسوية عادلة » ، بل حتى اذا كانت بالعودة — ليست حلا لقضية الشعب في حد ذاتها ولا هي علاج لقضية اغتصاب وطنه وزرع المستوطنين فيه واقامة دولة دخيلة لاولئك المستوطنين على ترابه .

٣ — المواقف العربية من قرار مجلس الامن :

في هذه المقارنة السريعة بين وثائق — او جرائم — نوفمبر الثلاث ، من عدة زوايا ، تبين لنا أن أحدثها كان أوقحها ، وأكثرها تجنيا ، وأشدها خطرا . الا ان المقارنة لا تكون كاملة ان لم تتم من زاوية أخرى — هي زاوية رد الفعل العربي .

فلقد أثار وعد بلفور موجة من السخط العربي الاجماعي في كافة ارجاء العالم العربي . واستثار مشروع التقسيم اجماعا عربيا على رفضه ومقاومته. اما القرار الاخطر والاكثر وقاحة وتجنيا فلقد استقبله العالم العربي — بشعوبه وحكوماته — بانقسام في الصفوف واختلاف على التقويم ، حتى بلغ الامر ببعضهم حد التطلع الى تنفيذ ذلك القرار وكأنه المطلب العربي الاقصى !

فعلى الصعيد الشعبي ، توهم البعض — او اوهموا — بانه قرار يقضي بانسحاب

اسرائيلي فقط ، وتجاهل الكثيرون ــ او لعلهم جهلوا ــ انه يقضي ايضا بتحطيم جدار الرفض العربي لاسرائيل ، وباقامة عهد جديد من القبول العربي بها والاقرار بشرعيتها المزعومة ، كما يقضي بتصفية القضية الفلسطينية تصفية نهائية . وبناء على هذا الوهم (او الايهام) والجهل (او التجهيل) انبرت اصوات تدعو الى تنفيذ قرار مجلس الامن وكأنه بركة على القضية العربية .

عبثا نقول : ان المسؤول عن هذه الفوضى الفكرية في صفوف الامة العربية على الصعيد الشعبي ــ والمسؤول عن معالجتها وتصحيحها ــ هي اجهزة الاعلام العربية الرسمية او الموجهة او الخاضعة . لان تعمد اجهزة الاعلام الرسمية في اكثر من بلد عربي حجب صورة قرار مجلس الامن الحقيقية عن الاعين والاذهان ، هو جزء من سياسة الاستسلام المتمثلة في القبول بقرار مجلس الامن بل وفي التلهف على تنفيذه .

خلافا لوعد بلفور ولمشروع التقسيم ، ان قرار مجلس الامن ، الذي لم يثر في الجماهير العربية ما يستحقه من رفض ومقاومة ، قد وجد على صعيد الحكومات العربية تمزقا وتفتتا ، ولقي لدى عدد منها استجابة ايجابية . **وخلافا للعرف ، فان المسؤولين العرب الذين تمسكوا بالحق الفلسطيني وبالكرامة العربية ورفضوا القرار واستنكروه ، ما لبثوا ان وجدوا انفسهم في حرج تجاه الذين قبلوه (بدلا من العكس) ، فاتجه بعض الرافضين نحو القبول مسايرة للقابلين بالقرار ، ولاذ البعض الآخر بالصمت كي لا يحرج الذين قبلوا به . وفي الوقت عينه ، كان في تمسك البعض الاخر بالرفض قسط من المزايدة كما كان في تمسك اخرين بالرفض رغبة في الاحراج . الى ان انتهى الامر بأن أصبح الرفض الصادق الثابت موقف الاقلية الصغيرة في صفوف الحكام العرب .**

٤ ــ اوهام وذرائع :

يتضح مما مر بنا ذكره ان قرار مجلس الامن يقضي باجراء عملية مقايضة . هكذا ، بكل بساطة ، يتلخص جوهر القرار . انها عملية مقايضة تتخلى اسرائيل بموجبها عن المناطق التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لقاء تخلي الدول العربية عن موقف الرفض الذي لازم الامة العربية منذ نشأة القضية طوال نصف قرن ، واستبداله بانشاء حالة سلام طبيعية في المنطقة تقوم على الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلي دون تحفظ ، وتصفى في اطارها القضية الفلسطينية تصفية نهائية .

ان هذه المقايضة تتناقض ، من الجهة الواحدة ، مع فلسفة الامم المتحدة ونصوص ميثاقها ، كما تتناقض من الجهة الاخرى مع الحق والكرامة العربيين .

فبالنسبة لميثاق الامم المتحدة ، ان مثل هذه المقايضة معناها ، بابسط عبارة ، مكافأة المعتدي على عدوانه ، او رشوة المعتدي لحمله على التخلي عما حصل عليه بالعدوان . واقرار مبدأ المقايضة على هذا النحو في قرار رسمي صادر عن مجلس الامن انما هو سابقة خطيرة تهدد اركان صرح المنظمة الدولية ومبدأ سلطان القانون في العلاقات الدولية . وما كانت الامم المتحدة لتتخذ مثل هذا القرار ــ السابقة ، لولا ان الاسرة الدولية كانت قد وصلت الى طريق مسدود في محاولتها لمعالجة آثار العدوان الاسرائيلي اثناء الدورة الاستثنائية الخاصة التي عقدتها الجمعية العامة بعيد انتهاء الحرب (والتي سقطت فيها جميع مشاريع القرارات المطروحة ، وبينها المشروع السوفياتي ومشروع دول عدم الانحياز والمشروع اللاتيني ، بينما سحبت امريكا مشروعها قبل الاقتراع عليه) ، ولولا ان الاتحاد السوفياتي وامريكا وجدا في المشروع البريطاني (المقدم بعد ذلك الى مجلس الامن) ارضا مشتركة تلتقي عليها مصالحهما ومطالبهما في المنطقة ــ كما ذكرنا من قبل .

وكذلك ، فان التناقض واضح بين احكام القرار وبين الموقف العربي التقليدي الذي تبلور منذ نشوء القضية . واذا رحنا نتلمس اسباب الموافقة الفورية التي اعلنتها مصر والاردن فور صدور القرار ، والتي جارتها فيها عدة دول عربية بعد ذلك ، وجدنا ان هذه الموافقة سببها اخر الامر عاملان اثنان ــ هما : « الانانية القطرية » ، و « الواقعية اليائسة » . وكل سبب اخر قدمته اية حكومة او هيئة عربية لتفسير موافقتها على القرار انما كان ذريعة وتمويها .

(١) قرار مجلس الامن كان دغدغة مكشوفة للانانية القطرية . لقاء استرجاع مصر لسيناء ، او استرجاع سوريا للجولان (وهو الوعد الذي يدندله القرار كالطعم في السنارة) يطلب القرار من مصر ومن سوريا الاعتراف لاسرائيل بحق الوجود كدولة سيدة في ما كانت قد احتلته من فلسطين قبل عام ١٩٦٧ ، والاعتراف بذلك « الحق » المزعوم دون شروط او قيود . وحين يعرض القرار على سوريا استرجاع ارض سورية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، او حين يعرض على مصر استرجاع ارض مصرية لقاء تنازلها نهائيا لاسرائيل عن اراض فلسطينية ، فهو يعرض على الاردن استرجاعها ارضا فلسطينية (هي الضفة الغربية) لقاء تنازلها نهائيا عن اراض فلسطينية اخرى .

والاستجابة لهذا العرض ، من قبل مصر والاردن ، فور صدور القرار ، انما كانت فوزا لمنطق الانانية القطرية على منطق الولاء القومي والاخاء القومي . ولا يمكن التهرب ، امام التاريخ ، من مسؤولية هذه الحقيقة .

ولا بد لنا من ان نقول ان سلطة التنازل عن اي ارض عربية لا يملكها اي شعب عربي ، او اي جيل من اجيال الامة العربية . بل ان الشعب الفلسطيني لا يملك سلطة التنازل عن ارض فلسطين ــ ناهيك عن اي شعب عربي اخر ، او اية حكومة عربية اخرى ــ لان ارض كل قطر في الوطن العربي هي ملك الامة العربية جمعاء على امتداد اجيالها مدى التاريخ . وبالتالي ، فان ادعاء اي قطر من الاقطار العربية بحق مقايضة مصير جزء من الارض العربية بمصير جزء اخر انما هو اعتداء على تراث الامة العربية جمعاء وعلى حقوق اجيالها المتعاقبة في كامل التراب العربي ، فضلا عن كونه اعتداء على حقوق ابناء الجزء المتنازل عنه .

ولو شئنا جدلا ان نجد عذرا للذين قبلوا بمبدأ المقايضة ، في القول بان اغراء استرجاع الارض القريبة كان اقوى من واجب التمسك العنيد بحق الاشقاء ، وحق الامة باسرها، في الارض المجاورة (لا سيما وانه كان قد مضى على احتلال هذه عشرون عاما) ، لوجب علينا في الوقت عينه ان ننوه الى **ان مثل هذه المقايضة تنم عن قصر نظر بالنسبة للمصلحة القطرية نفسها فضلا عن كونها غير مشروعة من حيث المبدأ** . لان العدو الطامع بالتوسع القليمي في الاراضي المجاورة وبالسيطرة الاقتصادية والسياسية على المنطقة باكملها لن يردعه الرضوخ لمطالبه (في الاعتراف العربي وفي اقامة حالة سلام دائم وعلاقات طبيعية مع الدول العربية) عن المضي في سعيه لفرض سيطرته على ارادة ابناء المنطقة ، **وانما من المحتم ان يزيده الرضوخ العربي طمعا وشهوة في السيطرة وايمانا بقدرته على بلوغها .**

ان قبول مبدأ مقايضة شرم الشيخ بحيفا ، مثلا ، او العريش ببئر السبع ، من قبل من لا يملك حق التصرف بحيفا او ببئر السبع ــ وقبول مبدأ مقايضة نابلس بالناصرة ، من قبل من لا يملك حق التصرف لا بهذه ولا بتلك ــ فضلا عما ينطوي عليه من تطاول على حقوق الشعب الفلسطيني صاحب الحق الاصيل في حيفا وبئر السبع والناصرة ونابلس، ينطوي ايضا على نظرة خاطئة الى ديناميكية شهوة التوسع والسيطرة وطرق مجابهتها.

اذ ان المقايض العربي لن يلبث ان يكتشف ان المغتصب الذي تم التنازل له عن حيفا لقاء شرم الشيخ سوف تزداد شهوته لاعادة سيطرته على شرم الشيخ حتى لو انسحبت قواته منها !

هذا بالنسبة لمنطق « الانانية القطرية » القصير النظر . واما منطق «الواقعية اليائسة» فأمره واضح . **اذ لولا الياس من القدرة على تطبيق المبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة لا يستعاد الا بالقوة » لما مال احد الى القبول بالمبدأ القائل ان « ما اخذ بالقوة قد يستعاد بالمقايضة »** .

ولكن ، لو ان جزءا من الجهد ، الذي صرف طوال السنوات الخمس الماضية على الركض اللاهث وراء اتمام صفقة المقايضة — لو ان جزءا من ذلك الجهد صرف على تعزيز القوة النضالية الذاتية في الامة العربية ، وفي كل قطر من اقطارها ، وعلى بناء المؤسسات الفاعلة (لا التظاهرية) الكفيلة بتعبئة الجماهير وتعزيز استعدادها العفوي للصمود والتضحية والفداء ، ولتحمل الاحتلال الى ان تكتمل القدرة على التحرير ، مهما طال الزمن — لو ان ذلك حدث ، او لو انه جرى الشروع فيه ، لما كانت الواقعية المسيطرة على الاذهان الرسمية هي واقعية الياس ، بل لاصبحت واقعية الثقة المستندة الى الوعي الكامل بطاقات هذه الامة وامكاناتها .

* * *

ان الذين حدا بهم هذان العاملان — الانانية القطرية ذات النظر القصير ، والواقعية اليائسة — الى الموافقة على قرار مجلس الامن ، كان لا بد لهم من تبرير موافقتهم هذه امام جماهيرهم والجماهير العربية عامة ، ولو بالتضليل !

وقد اتخذ التضليل الرسمي للجماهير العربية عدة اشكال ، اهمها ترويج الادعاءات والحجج الآتي بيانها :

(١) الايحاء بان قرار مجلس الامن يقتصر فقط على دعوة اسرائيل للانسحاب . وقد اشرنا الى هذا الباطل في جزء سابق من هذا المقال .

(٢) القول بان القرار لا ينص على وجوب « اعتراف » الدول العربية باسرائيل ، وان كلمة « اعتراف » ذات المدلول الواضح والدقيق في القانون الدولي وفي العرف الدبلوماسي لم ترد في القرار اطلاقا ، لا في نصه الانكليزي ولا في نصه الافرنسي (وهما النصان الرسميان للقرار) . وهذا القول صحيح من حيث الشكل ، لان عبارة « الاعتراف » لم ترد في نص القرار ، ولكن ما ورد فيه بالنسبة لهذا الامر ، وما جعله القرار شرطا ملازما لشرط الانسحاب وعنصرا مرافقا له ، هو اوسع واكثر شمولا من مجرد الاعتراف الدبلوماسي بالمعنى المتعارف عليه . ففي الفقرة الثانية من الديباجة ، اقترن اعلان مبدأ « عدم جواز حيازة الاراضي عن طريق الحرب » بمبدأ اقامة « **سلام عادل ودائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش بأمان** » . ونصت الفقرة التنفيذية الاولى على مبدأين قالت ان تحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الاوسط « **يجب ان ينطوي على تطبيقهما كليهما** » . وكان اول هذين المبدأين هو المتعلق بالانسحاب الاسرائيلي . اما المبدأ الثاني فهذا نصه الكامل :

« انهاء كل ادعاء بقيام حالة حرب ، وكل حالة حرب . واحترام السيادة ، والسلامة الارضية ، والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة ، والاقرار بها . وكذلك احترام حق كل دولة في ان تعيش بسلام ، ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وحقها بان تعيش في مأمن من استعمال القوة او التهديد بذلك — والاقرار بهذه الحقوق » . **فاذا كان القرار لم ينص على وجوب اعتراف الدول العربية بالحكومة الاسرائيلية ، فانه قد نص على**

« فما هو اذن وجه التشويه في « السياسة المرحلية » التي ذاع امرها اخيرا ؟

« وجه التشويه ان ثمة نوعين من المرحلية ، وقد اختاروا هم النوع الخاطىء ، وتوهموا انه النوع الصحيح بل والوحيد .

« إن المرحلية التي يتاح لها ان تبلغ غرضها هي **المرحلية التصاعدية** . هي التي تبني في كل مرحلة على ما شيدته في المرحلة السابقة ، وتمهد في كل مرحلة لما ستبنيه في المرحلة اللاحقة .

« واما المرحلية التي نودي بها اخيرا ، **فمرحلية مغلقة** : المرحلة الاولى فيها تنفي المراحل اللاحقة وتبطلها — بدلا من ان تمهد لها الطريق ، وتفسح لها مجال التنفيذ ، وتوفر لها شروط التطبيق . هذه المرحلية المغلقة « تطوق » نفسها تطويقا تاما في سياج المرحلة الاولى ، لانها تكتفي بالخطوة الاولى وتعلن مسبقا انها لن تمضي بعدها في المسير نحو الهدف الاخير .

« انها تقنع بتصغير مساحة الارض التي اغتصبتها اسرائيل ، تصغيرا جزئيا ، لقاء التخلي نهائيا عما تبقى من حقنا كله بفلسطين ، ولقاء الاعتراف باسرائيل ، ولقاء عقد الصلح معها .

« ليس شعار هذه المرحلية الزائفة : « خذ الان ما تستطيع اخذه ، وتهيأ في الوقت عينه لتأخذ غدا ما تبقى » . وانما شعارها : « **اكتف بما تستطيع اخذه بل وباقل منه ، وتنازل لخصمك منذ الان والى الابد عما تبقى لك !** »

« ليس شعارها : « صارع للحصول دفعة فدفعة على حقك ، الى ان تبلغه اخر الامر كاملا غير منقوص ، وفق خطة محكمة » . وانما شعارها : « **ساوم للحصول على قسط ضئيل من حقك ، وتخل ، لقاء هذا القسط الضئيل ، عن حقك باكمله !** »

« ليست هذه مرحلية التخطيط ، وانما هي مرحلية التفريط .

« ليست هذه مرحلية النمو والتقدم ، وانما هي مرحلية الجمود ، بل الانكفاء .

« ليست هذه مرحلية الامل ، وانما هي مرحلية الياس .

« ليست هذه مرحلية الصراع ، وانما هي مرحلية الاستسلام .

« ليست هذه سياسة المراحل المتراكمة التصاعدية ، وانما هي سياسة المرحلة الواحدة الوحيدة ، التي تنتهي عندها آفاق الامل كله ، وتتوقف الرؤيا عند حدودها القريبة ، وتنحبس الاحلام في سياجها الضيق الخانق ! » .

تمثيل الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية

عصام سخنيني

في الثامن والعشرين من شهر أيار (مايو) ١٩٦٤ عقد المجلس الوطني الفلسطيني الاول الذي أعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية (م. ت. ف.) بحيث « تكون هذه المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني في نضاله من اجل تحرير وطنه في جميع الميادين التحريرية والتنظيمية والسياسية والمالية وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي » . وبحيث يكون « الفلسطينيون جميعا أعضاء طبيعيين في م.ت.ف... والشعب الفلسطيني هو القاعدة الكبرى لهذه المنظمة » كما نصت المادة ٢٦ من الميثاق القومي الفلسطيني والمادة ٤ من النظام الاساسي لـ م. ت. ف. على التوالي . ومنذ ذلك التاريخ دخلت قضية تمثيل الشعب الفلسطيني مرحلة نزاع جدي ، بعد ان كان هذا الموضوع في حال نسيان تامة على مستوى عربي او تجاهل متعمد ، واذا اثير مرة فهو لا يخرج عن نطاق المعالجة الروتينية في مجالس الجامعة العربية ، كما كان خافت الصوت او غير مبلور في تصورات محددة على صعيد شعبي فلسطيني . وهذا النزاع كان قطبه الاول المنظمة التي تؤكد انها الممثل الوحيد والشرعي لشعب فلسطين والناطقة باسمه والمجسدة لكيانه الوطني ، وقطبه الآخر اطراف متعددة ، مختلفة الدوافع ، متناقضتها احيانا ، ترفض دعوى المنظمة وتسعى الى انتزاع حق تمثيل الشعب الفلسطيني من يدها وتجييره الى جهات أخرى . واذا كان هذا النزاع ظل مدة لا يمثل خطرا جديا على قضية الشعب الفلسطيني فانه بعد مجازر أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ ، اثر التراجع العسكري الذي منيت به المقاومة في الاردن ، اصبح محوره هذه القضية من الاساس : المحافظة عليها او تصفيتها نهائيا . وقد وصل هذا النزاع الى قمته المرحلية في حادثين هما في التحليل النهائي متكاملان : الاول قيام سلطات الاحتلال الاسرائيلي باجراء انتخابات بلدية في الضفة الغربية المحتلة بقصد خلق ممثلين منتخبين للشعب الفلسطيني يكتسب الحوار معهم صفة شرعية . والحدث الثاني اعلان الملك حسين عن مشروعه الرامي الى ما سماه المملكة العربية المتحدة باقليميها الاردني والفلسطيني بهدف تكريس تمثيل النظام الهاشمي للفلسطينيين وايجاد المفاوض الفلسطيني (من بين الفلسطينيين المتعاونين مع الملك) الذي يكون قادرا بحكم تمثيله الرسمي للفلسطينيين على الدخول في ميدان المساومات الدولية ومن ثم تقديم التنازلات المطلوبة على طريق تصفية القضية الفلسطينية . من هنا يكتسب موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني خطورة خاصة يجري في ظلها اعادة التأكيد على شرعية تمثيل م. ت. ف. للشعب الفلسطيني وعلى حقها في النطق باسمه والتعبير عن طموحاته الوطنية ، وفي الوقت نفسه مقاومة كل ادعاء يحاول ان ينتزع من م. ت. ف. هذا الحق . وفي هذه المقالة ، ولمناسبة العودة الى موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني الذي يتخذ الدعوة الى صيغ مختلفة جديدة لتأكيد هذا التمثيل ، سنستعرض كيف توصلت المنظمة الى هذه

الشرعية مطورين البحث بدءا من تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية قبل قيـــام المنظمة، مرورا بالمحاولات الرامية الى اعادة بناء الكيان الفلسطيني وهو موضوع متلاحم مع قضية تمثيل الشعب الفلسطيني ، ثم قيـــام المنظمة واكتسابها شرعيـــة التمثيل الفلسطيني .

فلسطين في جامعة الدول العربية

جاء تمثيل فلسطين في جامعة الدول العربية استنادا الى ما نص عليه ميثاق الجامعة في الملحق الخاص بفلسطين على انه « نظرا لظروف فلسطين الخاصة والى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي مـــن فلسطين للاشتراك في اعماله » . ولهذا فقد أصدر مجلس الجامعة في ١٩٤٥/١٢/٤ قرارا في هذا الشأن نص على ان تمثل فلسطين بمندوب واحد أو أكثر بحيث لا يزيد عدد أعضاء الوفد عن ثلاثة ويكون مفهوما ان اشتراك الوفد الفلسطيني معناه ان يكون له حق التصويت في قضية فلسطين وفي الامور التي يستطيع ان يلزم فلسطـــين بتنفيذها ويكون المندوبون ممن ترشحهم الهيئة العربية العليا(١). وقد وافق مجلس الجامعة على اختيار موسى العلمي ثم الحاج امين الحسيني ليكونا مندوبين لفلسطين . وقد تغير هذا الوضع قليلا بعد العام ١٩٤٨ . ففي ١٩٤٨/٩/٣٠ عقد في مدينة غزة مؤتمر فلسطيني دعا اليه بعض الشخصيات الفلسطينية وأعلن في ختام جلساته نظاما مؤقتا بتأليف حكومة عموم فلسطين من مجلس وطني ومجلس وزراء ومجلس أعلى . وقد اعترفت الدول العربية المؤسسة للجامعة ــ باستثناء الاردن ــ بهذه الحكومة . وفي ١٩٥٠/٣/٢٧ أصدر مجلس الجامعة قرارا بدعوة حكومة عموم فلسطين لارسال ممثليها لحضـــور اجتماعات مجلس الجامعة. غير ان الحكومة التي لم تمارس اعمالها قط انصرف وزراؤها الى شؤونهم الخاصة ثم استقالوا فأصدر مجلس الجامعة قرارا في ١٩٥٢/٩/٢٣ ينص على انه « نظرا لتوقف أعمال حكومة عموم فلسطين بسبب الظروف الراهنة يكون رئيس الحكومة ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية »(٢). وقد استمر أحمد حلمي باشا رئيس الحكومة في تمثيل فلسطين الى ان وافته المنية في العام ١٩٦٣ ، وفي ١٩٦٣/٩/١٥ اتخذ مجلس الجامعة في دور انعقاده الاربعين قرارا بتعيـــين احمد الشقـــيري ممثلا لفلسطين خلفا لاحمد حلمي باشا .

كانت تلك مرحلة في موضوع تمثيل الشعب الفلسطيني ، وقد اتسمت بالملامح التالية :

١ ــ ان قضية التمثيل لم تكن فاعلة مؤثرة ولم تؤخذ على محمل الجد وانما كانت وفاء رمزيا للقطر الذي سلب. وان حصر التصويت للوفد الفلسطيني « في الامور التي يستطيع أن يلزم فلسطين بتنفيذها » تعتبر أكثر من طرفة ما دام القطر الفلسطيني واقعا تحت الانتداب البريطاني في البداية ثم تحت الاحتلال الاسرائيلي فيما بعد .

٢ ــ كانت حكومة عموم فلسطين بحكم عوامل ذاتية تتعلق بأشخاص القائمين عليها ، وبحكم عوامل عربية متعددة تريد لهذه الحكومة ان تبقى ضئيلة الحجم هامشية التأثير ، كانت الحكومة غير قادرة على ان تتجاوز المهمة التي أوكلت اليها في هذا المجال وهي التمثيل الرمزي لفلسطين*.

---

* نستطيع ان نتلمس حجم هذه الحكومة من قراءة مشروع ميزانيتها للسنة المالية من ١٩٦٤/٧/١ الى ١٩٦٥/٦/٣٠ فقد كانت كما يلي (بالجنيهات المصرية في السنة): ٧٨٠ راتب السكرتير العام القائم بأعمال الحكومة، ٦٠٠ راتب المستشار ، ٦٠٠ راتب مدير الجوازات ، ٦٠٠ راتب مدير الشؤون الاجتماعية ، ٣١٢ راتب مساعد مدير المحاسبة ، ٣١٢ راتب مساعد مدير الجوازات ، ٣١٢ راتب كاتب الارشيف والالة الكاتبة ، ٢٧٦ راتب سائق سيارة الحكومة ، ١٤٤ راتب الفراش ، ١٤٤ راتب الحارس ، ١٠٨ راتب المراسل ، ٩٦ تلفونات وبرقيات ، ١٢٠ مطبوعات ونفقات نثرية بما فيه علاوة غلاء المعيشة ، ٣٥٢ اجرة دور الحكومة. والمجموع ٤٨٦٤ جنيها(٢).

٣ ــ ان شعب فلسطين لم يكن مخاطبا بهذا التمثيل : ا ــ حكومة عموم فلسطين لم يكن لها مساس بحركة الشعب الفلسطيني حتى انها كانت حكومة لا علاقة لها بالسياسة . ب ــ لم يكن لدى الفلسطينيين مؤسسات تنظيمية خاصة بهم قادرة على فرز مندوبين يمثلونهم او على الاقل يطالبون بهذا التمثيل . جـ ــ ان الشعب الفلسطيني لم يكن يعامل كشعب ذي كيان مستقل وانما كانت قضاياه تطرح بصفتها مشاكل لاجئين تحل من خلال حكومات الدول العربية المضيفة او وكالة الغوث الدولية .

٤ ــ مع هذا التمثيل الرمزي كانت الحكومة الاردنية تحارب حكومة عموم فلسطين بهدف الاجهاز على كل دليل مهما كان هذا الدليل هزيلا يشير الى الوجود الفلسطيني المستقل . فالنظام الاردني كان يتمسك بادعاء حق تمثيل الفلسطينيين بعد أن ضم اليه البقية الباقية من فلسطين ــ باستثناء غزة والحمة ــ اثر مؤتمر عقده بعض الوجهاء الفلسطينيين في اريحا في العام ١٩٤٨ برعاية من الهاشميين وبدفع منهم وبعد ان منح النظام المواطنين الفلسطينيين في الاردن الجنسية الاردنية .

الكيان الفلسطيني قبل المنظمة

في الشتات فقد الفلسطينيون كيانهم السياسي الموحد نتيجة فقدان الارض وتمزق الشعب وغياب المؤسسات الفلسطينية القادرة على التنظيم والقيادة . غير انه منذ اواخر الخمسينات بدأ الحديث يرتفع على أكثر من صعيد عن «بعث الكيان الفلسطيني» بتعبير، و« اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني » بتعبير آخر . ونقدم فيما يلي ثلاثة نماذج قدمت على ثلاثة أصعدة مختلفة تتعلق بهذا الموضوع :

١ ــ مجلة « فلسطيننا » والكيان الفلسطيني :

في العام ١٩٥٩ بدأت مجلة « فلسطيننا » في الظهور في بيروت وقد عرف فيما بعد ان حركة فتح هي التي كانت تشرف على سياستها واصدارها . وكانت بعض مقالات هذه النشرة تذيل بتوقيع «فتح» او « ف ت ح » . وقد أهتمت المجلة بالدعوة الى بعث الكيان الفلسطيني « فالكيان مطلب أساسي من مطالبنا نحن عرب فلسطين المشردين ... والكيان حق شرعي لنا »(٤) . وقد اعطت المجلة صفات لهذا الكيان فهو ضمان حرية العمل من اجل استرداد الوطن(٥) وهو « نابع من ضمير شعبنا ونكبته وخيمته البالية ، وشعبنا رفض ولا يزال يرفض كافة انواع الوصايات أكانت من الدول العربية او غيرها . ان الشعب الفلسطيني يؤمن ببعث هذا الكيان الحر غير التابع وغير الخاضع وغير الموجه »(٦) .

غير ان الاعداد القليلة من المجلة التي تسنى لنا الاطلاع عليها ، تجعلنا نعتقد ان هناك حوارا كان يدور بين المشرفين على سياسة المجلة بحثا عن ماهية هذا الكيان ، وعن الطريق المؤدي الى بعثه . وهو حوار مبرر في تقديرنا ، فالعمل الفلسطيني الذي كان يبحث له عن شخصية مستقلة كان يتلمس طريقه ، ولم يرس له بعد في تلك الفترة من الزمن تقاليد ثابتة ، او يضع تصورات محددة . ففي احد اعداد المجلة نلمح الدعوة الى اقامة الكيان على الجزء الذي لم يغتصب من فلسطين « ان هناك اقساما عربية من فلسطين ، وعلى هذه الاقسام ينبغي ان نشيد صرح حكم وطني فلسطيني ثوري قيادي »(٧) . وتكرر المجلة هذا المعنى اكثر من مرة وتطالب « بحكم وطني في ارض فلسطين الباقية »(٨) . ويرافق هذه الدعوة مطالبة « بحكومة وطنية ترعى مصالحنا في داخل البلاد العربية حاليا على الاقل ... ولا نطلب من الحكومات العربية الا ... ان تمنحنا الفرصة لكي نشكل حكومة وطنية حرة »(٩) . واحيانا ، ومن ضمن الحوار الداخلي ايضا ، تضع المجلة هذه الحكومة موضع تساؤل فتكتب « قد يتساءل انسان لماذا لا نعلن قيام حكومة ثورية باسم فلسطين وتكون باسمها وتشرف هي على انشاء الجهاز

الفدائي ؟ انني لا أؤمن بقيام حكومة قبل وجود واقع لها ، لهذا يجب ان لا يعلن قيام حكومة حرة لفلسطين الا بعد نجاح الحركة الفدائية في اثبات وجودها »(١٠). اما طريقة اخراج هذا الكيان الفلسطيني الى حيز الوجود فـ « فلسطيننا » طرحت الثورة طريقا لذلك « الثورة لتحقيق كيان ثوري على غرار الكيان الجزائري »(١١)، بيد اننا نقرأ في موضع آخر ان « الكيان [المتمثل في حكم وطني في الاقسام العربية في فلسطين] سيحقق انطلاقة الثورة »(١٢). وباجمال ، فان المجلة كانت تعمق خط بعث الكيان الفلسطيني ، وتبحث عن ماهيته وطريقة اخراجه .

٢ — مشروع حكومي عراقي :

مقابل هذا الحوار الداخلي على صعيد فلسطيني شعبي نشرت الحكومة العراقية في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ مشروعا « لابراز الكيان الفلسطيني » ويقوم هذا المشروع على التصورات التالية (١٣): ١ — يقسم الفلسطينيون المقيمون في كل من قطاع غزة والضفة الغربية وسوريه ولبنان والعراق وحيثما توفر عدد كاف من الفلسطينيين الى دوائر انتخابية تنتخب كل منها ممثلا عنها . ٢ — يجتمع الممثلون الفلسطينيون في مجلس وطني فلسطيني وينتخبون حكومة فلسطين . ٣ — تقيم حكومة فلسطين علاقات سياسية مع كافة الاقطار العربية التي ستعترف بها وتكون مهمة ممثليات هذه الحكومة تنسيق العمل مع الحكومات العربية من اجل تحرير فلسطين . ٤ — توضع خطة عربية لاستعادة فلسطين تشارك فيها الحكومة الفلسطينية وكافة الدول العربية المهتمة بتحرير فلسطين . ٥ — تتولى حكومة فلسطين وممثلوها خارج الوطن العربي الدعوة لقضية فلسطين وتمثيل شعبها في كافة المؤتمرات والمحافل والمناسبات الدولية . ٦ — تقوم حكومة فلسطين بتأليف جيش التحرير الفلسطيني الذي تتعهد الحكومات العربية بمسؤولية تدريبه وتسليحه ضمن خطة تعبوية موحدة تستهدف استعادة فلسطين وتحريرها . ٧ — يكون مقر حكومة فلسطين في اي قطر عربي تراه مناسبا وبموافقة حكومة ذلك القطر .

٣ — الجامعة العربية وتنظيم الشعب الفلسطيني :

بدأ اهتمام الجامعة العربية بموضوع اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني يبرز منذ العام ١٩٥٩ وسنذكر فيما يلي أهم القرارات المتعلقة بهذا الشأن :

بناء على توصية من وفد ج. ع. م. اصدر مجلس الجامعة في دورة آذار (مارس) ١٩٥٩ التوصية التالية « اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا يسمع العالم صوته في المجال القومي وعلى الصعيد الدولي وبواسطة ممثلين يختارهم الشعب الفلسطيني » غير ان مجلس الجامعة في دورة ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ والذي انعقد في الدار البيضاء على مستوى وزراء الخارجية لم يبحث أمر تنظيم الشعب الفلسطيني بصورة جدية لمعارضة الوفد الاردني الذي كان برئاسة هزاع المجالي ، وقد استمرت معارضة الاردن لتنظيم الشعب الفلسطيني اثناء اجتماع اللجنة السياسية للجامعة التي انعقدت في شباط (فبراير) ١٩٦٠ . وفي آب (اغسطس) ١٩٦٠ اجتمع مجلس الجامعة في شتوره في لبنان وعاد الى بحث القضية الفلسطينية فقرر اعادة تنظيم الشعب الفلسطيني وابراز كيانه شعبا موحدا وانشاء جيش فلسطيني في الدول العربية المضيفة . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦١ اجتمعت لجنة خبراء كان قد شكلها الامين العام للجامعة من ممثلين عن ج.ع.م. ولبنان والاردن والسعودية ، اجتمعت في مقر الجامعة ورأت بدلا من ان تنشىء كيانا فلسطينيا جديدا ان توصي بدعم حكومة عموم فلسطين ماديا وسياسيا(١٤). وفي ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٦٣ عقدت الدورة الاربعون لمجلس الجامعة واختير أحمد الشقيري ممثلا لفلسطين وعهد اليه بمهمة القيام باستشارات مع

ممثلي شعب فلسطين لتشكيل حكومة عموم فلسطين جديدة وطلب منه كذلك زيارة العواصم العربية المختلفة لدراسة الوسائل التي ستضعها الدول العربية تحت تصرفه من اجل انجاز هذا الواجب(١٥).

مؤتمرا القمة الاول والثاني وقيام م. ت. ف.

في الفترة من ١٣ ـ ١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ عقد مؤتمر القمة العربية الاول وحضر الشقيري المؤتمر بصفته ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية. وفي ختام المؤتمر صدر بيان تضمن ما يلي « إن مجلس ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية ... قياما بواجب الدفاع المشترك وايمانا بحق الشعب العربي الفلسطيني المقدس في تقرير مصيره والتحرر من الاستعمار الصهيوني لوطنه ... قد اتخذ القرارات العملية اللازمة لاتقاء الخطر الصهيوني الماثل سواء في الميدان الدفاعي أو الميدان الفني أو ميدان تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(١٦). وقد كان القرار المتعلق بتنظيم الشعب الفلسطيني يقضي في « ان يستمر السيد أحمد الشقيري ممثل فلسطين لدى جامعة الدول العربية في اتصالاته بالدول الاعضاء والشعب الفلسطيني بغية الوصول الى اقامة القواعد السليمة لتنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره »(١٧). وفي ١١/٢/١٩٦٤ بدأ الشقيري اتصالاته فاجتمع في القاهرة بالدكتور محمود فوزي، وزير خارجية ج. ع. م.، وعرض عليه الخطوط العريضة لمشروع الكيان الفلسطيني وما يتعلق بجوانبه السياسية والعسكرية والمالية(١٨). وفي ١٩/٢/١٩٦٤ بدأ جولته في الدول العربية ليناقش مع شعب فلسطين والحكومات العربية مسودة ميثاق قومي فلسطيني وتأسيس منظمة تحرير يقوم عليها الكيان الفلسطيني(١٩). وقد اذاع الشقيري في القدس في ٢٤/٢/١٩٦٤ مشروعا من ٢٩ مادة لميثاق قومي فلسطيني تقوم عليه المبادئ الاساسية لتحرير فلسطين وقال انه سيدعو الى عقد مؤتمر وطني فلسطيني يوم ١٤ أيار (مايو) المقبل في القدس لطرحه عليه(٢٠). وقد زار الشقيري في جولته الاردن وسوريه والبحرين وقطر والعراق والكويت ولبنان والسودان وانتهت الجولة في ٤/٥/١٩٦٤. ولدى وصوله الى القاهرة اعلن انه عقد نحو ٣٠ مؤتمرا مع الشعب الفلسطيني التقى خلالها مع آلاف منهم وشرح لهم الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي لمنظمة التحرير(٢١). وفي ١٥/٤/١٩٦٤ قدم الشقيري تقريرا مفصلا عن مباحثاته مع الحكومات العربية وشعب فلسطين الى لجنة المتابعة (التي انبثقت عن مؤتمر القمة وتضم ممثلين عن الملوك والرؤساء العرب) في جلستها الثانية التي عقدت في القاهرة. وقد اثبت التقرير ان شعب فلسطين هو الاساس الذي يقوم عليه الميثاق القومي ومنظمة التحرير، ودور الحكومات العربية سيكون محدودا في مساعدة شعب فلسطين في خلق هذا الكيان. وبعد ذلك فان الكيان الفلسطيني سيملك استقلاله بنفسه وسوف يتعاون مع الدول العربية الاخرى داخل الجامعة وخارجها(٢٢). واعلن الشقيري في ختام تقريره ان المؤتمر الفلسطيني سوف ينعقد في القدس في ٢٨/٥/١٩٦٤ « كائنة ما تكون الظروف والمصاعب »(٢٣). وفي المؤتمر المذكور افتتح في القدس المؤتمر الفلسطيني الاول الذي حضره ٣٨٨ ممثلا منهم ٢٤٢ من الاردن و١٤٦ من سوريه ولبنان وغزة والخليج العربي والعراق اختارتهم لجان تحضيرية من الفلسطينيين في هذه الاقطار(٢٤) وفي جلسة العمل الاولى انتخب الشقيري رئيسا للمؤتمر بالاجماع فأعلن ولادة م. ت. ف. مجسدة للشخصية الفلسطينية وتحول المؤتمر الى مجلس وطني للمنظمة واختتم اعماله في ٢/٦/١٩٦٤ بعد ان اقر الميثاق القومي الفلسطيني والنظام الاساسي للمنظمة والنظام الاساسي للصندوق القومي.

وفي ٥/٩/١٩٦٤ عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمتهم الثاني في الاسكندرية، وفي

سادس أيام المؤتمر تركزت المناقشات حول الكيان الفلسطيني وم. ت. ف. وجيش التحرير الفلسطيني(٢٥). وفي ١٩٦٤/٩/١١ صدر بيان ختامي عن المؤتمر ورد فيه ان المجلس« رحب بقيام م.ت.ف. دعما للكيان الفلسطيني وطليعة للنضال العربي الجماعي لتحرير فلسطين واعتمد قرار المنظمة بانشاء جيش التحرير الفلسطيني »(٢٦). وبذلك تم الاعتراف العربي الرسمي بالمنظمة ممثلة للكيان الفلسطيني والشعب الفلسطيني .

• • •

هل كان قيام م. ت. ف. بقرار من جامعة الدول العربية ومؤتمر قمتها ؟ ان هناك رايا شاع طويلا يقول ان المنظمة كانت نتاجا لسياسة القمة وواحدة من مؤسسات الجامعة. بل يذهب هذا الراي الى ابعد من ذلك فيدعي ان قيام المنظمة كان حركة التفافية على الجماهير الفلسطينية قامت بها الانظمة العربية قاصدة تطويق الجماهير واجهاض حركتها الثورية بتقديم بديل رسمي تتجمد به او من خلاله هذه الحركة وتتلهى عن تنمية ذاتها . ويتطرف بعض هذا الراي ويتجاهل احيانا وقائع التاريخ فيقول « ان هذه المنظمة انشئت في مرحلة بداية العمل الفدائي في اواخر العام ١٩٦٤ ، وذلك لمنع التفاف الجماهير حول ذلك العمل التاريخي وتحويله الى ثورة تحريرية عارمة ... وكان المطلوب من المنظمة التي تفتقت عنها عبقرية الانظمة العربية ان تقف بوجه العمل الفدائي»(٢٧). ان ما نريد ان نثبته هنا ، من خلال ما توفر لدينا من معطيات ، موضوعة ذات شقين الاول ان المنظمة لم تنشأ بقرار من جامعة الدول العربية والشق الثاني ان **فكرة** المنظمة كمجسدة للكيان الفلسطيني وجدت لدى طرحها استجابة واسعة في صفوف الفلسطينيين وتقبلا منهم . لكن ذلك لا ينفي ان ضعف التنظيمات السياسية الشعبية الفلسطينية في ذلك الوقت قد افقد المنظمة قدرا كبيرا من الفعالية وحرية الحركة .

لقد لاحظت ليلى القاضي بحق ان ما جاء في بيان القمة الاولى حول تنظيم الشعب الفلسطيني انما كان موافقة على قرار سابق كان قد اتخذه مجلس الجامعة في دور انعقاده الاربعين ١٩٦٣/٩/١٥ الذي اوكل الى الشقيري مهمة الاتصال مع الشعب الفلسطيني والحكومات العربية لاعادة تنظيم الشعب الفلسطيني(٢٨) ويتأكد هذا الامر في صيغة القرار الذي اتخذته القمة الاولى في هذا الشأن فهو يطلب من الشقيري « الاستمرار » في مهمته . وكما اشرنا في موضع سابق ابتدأت الجامعة العربية في بحث تنظيم الشعب الفلسطيني في العام ١٩٥٩ ، غير ان ايا من قرارات الجامعة لم ينفذ منذ ذلك . فيحق لنا ان نستنتج اذن ان قرار القمة العربية بتنظيم الشعب الفلسطيني كان لا بد أن يلاقي المصير نفسه الذي لاقته القرارات السابقة المماثلة التي اتخذتها الجامعة العربية لولا عوامل سنتعرض لها بعد قليل . ويقوى هذا الاستنتاج أن موضوع الكيان الفلسطيني وتنظيم شعب فلسطين لم يكن مطروحا بشكل جدي أمام مؤتمر القمة ونستطيع أن ندعي ان هذا الامر ظل هامشيا في ذلك المؤتمر :

١ ــ ان الدعوة التي وجهها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر الى عقد مؤتمر للقمة العربية في خطاب القاه في بورسعيد في ٦٣/١٢/٢٣ قصدت الى بحث تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن ومواجهة التحويل . فقد اكد عبدالناصر انه « حتى نجابه اسرائيل اللي تحدتنا الجمعة اللي فاتت واللي رئيس اركان خربها وقف وقال ان احنا حنحول المية غصب عن العرب ، باقول لا بد ان يتم اجتماع للملوك والرؤساء العرب في أسرع وقت »(٢٩). وقد تأكد هذا القصد في المذكرة التي قدمتها وزارة خارجية ج.ع.م. الى الدول الاعضاء في الجامعة العربية ، فقد جاء في هذه المذكرة « ان الجزء الاخير من هذا الخطاب [خطاب عبدالناصر المشار اليه] قد حوى الدعوة الى اجتماع رؤساء الدول العربية لبحث الموقف الذي ينبغي إن تواجه به المؤامرة الاسرائيلية لتحويل مجرى الاردن »(٣٠). وقد اعطيت الافضلية في جدول اعمال مؤتمر القمة للوسائل التي ينبغي

اللجوء اليها لمنع اسرائيل من تحويل مياه الاردن لصلحتها(٣١) .

٢ ــ اذن فان قضية فلسطين او شعب فلسطين لم تكن هـم المؤتمر الاول ، ووفقا للشقيري نستطيع ان نستخلص ان بحث موضوع الكيان الفلسطيني لم يكن مقصودا لذاته في اجتماعات القمة فالجلسة التي بحث فيها هذا الموضوع كانت جلسة العمل الاولى في وقت لم تكن قد نضجت فيه المحادثات او تم فيه اي اتفاق . يقول الشقيري « في هذه الجلسة لم يكن عند الملوك والرؤساء ما يبحثونه . . . وازاء ذلك لم يجد الرئيس العراقي المشير عبد السلام عارف (الذي كان رئيسا للمؤتمر) بدا من ان يقول اذن نبحث قضية فلسطين ولنستمع الى ممثل فلسطين »(٣٢) .

٣ ــ ومع هذا البحث ، فان الملوك والرؤساء العرب لم يكونوا متفقين على ماهية الكيان الفلسطيني وطبيعته واهدافه . فمن خلال النقاش الذي دار في المؤتمر ظهر ان بعض المجتمعين كان يرفض الكيان فقد أصر الملك حسين على الا تظهر في القرار كلمة الكيان الفلسطيني ، والبعض الاخر لا يرى فائدة للكيان بدون ارض وانه يجب اعطاء الضفة الغربية وقطاع غزة الى الكيان الفلسطيني (الرئيس السوري امين الحافظ) وآخر يريد انشاء حكومة لفلسطين (الملك سعود)(٣٣) كما ان الرئيسين الحبيب بورقيبة واحمد بن بيللا تقدما بمشروع لانشاء جبهة تحرير وطنية(٣٤) اما ج.ع.م. فقد كانت تريد ان يكون الكيان منبرا اعلاميا فقط(٣٥) .

وقد تكرست هذه المواقف فيما بعد عندما بدا الشقيري اتصالاته لانشاء المنظمة ثم بعد قيامها مباشرة . فعشية انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني صرح فيصل بن عبد العزيز ، رئيس وزراء السعودية آنذاك ، لصحيفة « البلاد » في جدة بأن « كل عربي ومسلم يريد الكيان الفلسطيني ولكن على ان لا يفرض واحد على هذا الكيان . ليجتمع الفلسطينيون في كل قطر يكونون فيه ولينتخبوا ممثلين منهم وتشكل من الممثلين هيئة تنتخب من بينها هيئة تنفيذية وهذه تدعى الكيان الفلسطيني »(٣٦) . وصبيحة المؤتمر المذكور كتبت صحيفة « البعث » السورية تقول « اننا ونحن نرحب بكل لقاء يتم بين ابناء فلسطين نود ان ننبه الى خطورة النتائج التي تنجم عن كل محاولة تستهدف تحويل لقاء القدس الى مجلس وطني او صيغة نهائية للكيان . لقد قرر الرؤساء والملوك العرب تكليف السيد الشقيري بمهمة استطلاع الاراء المختلفة لابناء فلسطين والحكومات العربية حول افضل الوسائل لابراز الكيان الفلسطيني ليقوم برفعها الى مؤتمر القمة العربي في شهر آب القادم ، ولذلك فاننا نرحب بلقاء القدس كفرصة تتيح للسيد الشقيري ان يعرض آراء عدد من الفلسطينيين يجب ان تعرض على مؤتمر القمة المقبل »(٣٧) . وفي اجتماع لجنة متابعة مقررات القمة في ١٩٦٤/٦/١٥ ، اي بعد قيام المنظمة ، عارض طاهر رضوان ، المندوب السعودي في اللجنة المذكورة ، مقررات المؤتمر الفلسطيني في القدس وانشاء كيان فلسطين ، كذلك عارض منصور الاطرش ، المندوب السوري في اللجنة ، مقررات مؤتمر القدس واتهم الشقيري بتجاوز السلطات التي خوله اياها مؤتمر القمة العربي(٣٨) . وفي اثناء مؤتمر القمة الثاني استمرت المعارضة السورية ففي مذكرة الوفد السوري الى المؤتمر والمؤرخة في ١٩٦٤/٩/١٠ نقرأ « لا بد لحركة التحرير النضالية ان تقوم على حيز مكاني معين لا تشغله الا الاستعدادات الفعلية لمعركة التحرير وان يكون لهذه الحركة سلطة مدنية قائمة وقوة عسكرية منظمة للعمل في اللحظة الحاسمة . ان الارض والجيش والسلطة أسس ثلاثة لظهور حـركة التحرير كمنظمة جديدة من لحـم ودم وارادة نضال »(٣٩) ولقد تعمدنا اختيار موقف العربية السعودية وموقف سوريه من جملـة مواقف الدول العربية لانهما كانا يمثلان سياسيا طرفي نقيض ، فأولاهما موغلة في مواقفها السلبية العربية والثانية متصلبة في تصديها للقضايا العربية .

٤ ــ نتيجة لهذه المواقف المتناقضة فان مؤتمر القمة لـم يكلف الشقيري بانشاء كيان

فلسطيني او اقامة منظمة فلسطينية ويلاحظ ان قرار المؤتمر وبيانه لم يتضمنا تعبير الكيان الفلسطيني . والشقيري نفسه يقر بأنه « تجاوز » المهمة التي أوكلت اليه فيقول « قرار الملوك لم يخولني انشاء الكيان الفلسطيني اطلاقا ... وكانت مهمتي في الواقع الاتصال والدرس ومن ثم تقديم تقرير الى مؤتمر القمة الثاني المزمع عقده في الاسكندرية في شهر آب ١٩٦٤ ، ولكني خشيت ان انفذ هذا القرار فقد كانت آراء الدول العربية متباينة بشأن كيفية تشكيل الكيان الفلسطيني واختصاصاته وكانت آراء التجمعات الفلسطينية متباينة كذلك ... وكان المفروض ان ابرز هذه التناقضات في تقرير اقدمه الى الملوك والرؤساء في اجتماعهم في الاسكندرية وانا اعلم ان مصير هذا التقرير هو احالة الموضوع الى الحكومات العربية مرة اخرى لمزيد من الدرس كما كان الحال لسنين عديدة مضت ... ولهذا فقد عزمت ان اضع الحكومات العربية والشعب الفلسطيني أمام الامر الواقع فأدعو الى مجلس وطني ... لينظر في الميثاق والنظام الاساسي ويعلن قيام م. ت. ف. وتشترك بعد ذلك في مؤتمر الملوك والرؤساء باسم م. ت. ف. لا تحت اسم ممثل فلسطين في الجامعة العربية »(٤٠).

وهناك حدث أعقب قيام المنظمة ببضعة عشر يوما يعضد ما ذهبنا اليه من ان المنظمة لم تنشأ بقرار من مؤتمر القمة وانما كان اعتراف القمة الثانية بها تكريسا لواقع اصبح موجودا . فقد وجهت الجامعة العربية دعوة رسمية الى م. ت. ف. للاشتراك في الاجتماع الذي عقد يوم ١٩٦٤/٦/١٧ في دمشق داخل نطاق الجامعة لبحث شؤون اقامة اللاجئين في الدول العربية وقد رئس هذا الاجتماع سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة ، وحضره بالاضافة الى المنظمة ممثلون عن مصر وسوريه ولبنان والاردن(٤١) وقد كان حضور المنظمة ذلك الاجتماع اول اعتراف رسمي بها من قبل الجامعة العربية .

واذا كانت جامعة الدول العربية لم تنشىء هي المنظمة فمن الذي انشأها اذن ؟ ان الشيء الثابت لدينا ان فكرة بعث الكيان الفلسطيني في أوائل الستينات لم تكن غريبة عن الاوساط الفلسطينية بل كانت تتفاعل بينهم وان كانت ليست عالية النبرة . وقد سبق وعرضنا ما طرحته مجلة « فلسطيننا » من دعوة حثيثة لابراز الكيان الفلسطيني . وفي الفترة التي نتحدث عنها كانت ترتصف على الساحة الفلسطينية سبع وثلاثون منظمة فلسطينية ، سرية وعلنية ، صغيرة وكبيرة ، عاطفية وعلمية ، منظمة وفوضوية تتوزع في البلاد العربية كلها(٤٢). وان كان لهذا الامر من معنى فهو علامة واضحة على ان الفلسطينيين كانوا يبحثون عن ذاتهم ، عن شخصيتهم المستقلة ، عن ابراز كيان وطني فاعل مؤثر في الاحداث . ويتأكد هذا الامر في أن مسألة تنظيم الشعب الفلسطيني التي ابتدأ الشقيري البحث فيها اثر مؤتمر القمة الأول وجدت استجابة عريضة في صفوف الفلسطينيين واعتبرت بادرة ايجابية . فقد اعتبر الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيان سياسي اصدره في غزة في ١٩٦٤/٢/٢٧ « ان التزام الدول العربية في مؤتمر الذروة بتحقيق فكرة الكيان نقطة بداية يجدر بالثوريين الفلسطينيين ان ينطلقوا منها » . كما أصدر المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية للعمل الموحد [يضم جبهة التحرير الفلسطينية « ج. ت. ف. » ، الجبهة الثورية لتحرير فلسطين ، جبهة التحرير الوطني الفلسطينية ، تكتل الفدائيين الفلسطينيين ، جبهة التحرير العربية لفلسطين ، المنظمة القومية للتحرير] اصدر بيانا في ١٩٦٤/٥/٢٤ اكد فيه انه « لا بد من وجود كيان فلسطيني ثوري يكون طريق التحرير ويتولى قيادة العمل الفلسطيني نحو التحرير »(٤٤). وفي ٦٤/٣/١٥ صدر بيان مشترك في بيروت عن حركة القوميين العرب واتحاد طلاب فلسطين وجبهة التحرير الفلسطينية ـــ طريق العودة شرح تصور هذه المنظمات للكيان الفلسطيني واكد أن تنظيم الشعب الفلسطيني لتأدية دوره امر تحتمه طبيعة المعركة

القادمة(٤٥). واعتبرت حركة القوميين العرب ان « مقررات مؤتمر الذروة المختصة بالكيان الفلسطيني تفتح الباب امام فرصة جديدة للنضال في سبيل العودة ولترفع مستوى هذا النضال الى مرحلة جديدة وكان موقف العناصر والقوى الثورية الفلسطينية موقفا ايجابيا رمى بثقله نحو العمل على انجاح مشروع الكيان والخروج به الى صيغة ثورية تستطيع ان تكون في مستوى المطامح الفلسطينية »(٤٦). واعتبر الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني قرارات القمة العربية « فرصة تاريخية متاحة لشعب فلسطين لتنظيم كيانه »(٤٧). وكانت جبهة التحرير الفلسطينية قد اصدرت في ١٩٦٤/١/١٠ بيانا في مناسبة انعقاد القمة الاولى طالبت فيه بالاعتراف بالشخصية الفلسطينية وبحق الشعب الفلسطيني بأن يكون طليعة العمل الثوري المسلح لاسترداد الوطن السليب(٤٨).

تعمدنا ذكر هذه الامثلة المطولة بقصد اظهار هذا التيار الذي اخذ يتصاعد منذ اوائل الستينات ويدعو الى ابراز الشخصية الفلسطينية . وقد كان خلف ذلك التيار عدة روافد ابرزها في تقديرنا خيبة الامل العظيمة التي حملها معه الانفصال بين اقليمي ج.ع.م. في العام ١٩٦١ للفلسطينيين . فقد كانت وحدة الاقليمين ، كحد ادنى ، والوحدة العربية الشاملة كهدف منشود ، وما ينتج عن ذلك من اقامة جيش قوي موحد، اساسا بنى عليه الفلسطينيون آمالهم واحلامهم في تحرير وطنهم . وبالانفصال انتاب الشك الجماهير الفلسطينية في جدوى انتظار الوحدة . وهكذا بدأ البحث عن عمل فلسطيني ذي شخصية مستقلة يتعامل من خلاله الشعب الفلسطيني مع قضيته مباشرة ودون توسط . وقد عزز هذا الاتجاه نحو « الفلسطينية » الخلافات التي كانت تستحكم في العالم العربي ، ففي نهاية العام ١٩٦٣ كانت جميع الدول الاعضاء في الجامعة العربية ــ باستثناء لبنان والكويت والسودان وليبيه ــ يمسك بعضها بخناق البعض الاخر(٤٩) وقد زاد هذا الخلاف الفلسطينيين اقتناعا بأن اعتمادهم على هذه الدول المتصارعة لن يخدم قضيتهم. وجاء انتصار ثورة الجزائر في العام ١٩٦٢ ونيلها استقلالها من فرنسه قولا فصلا في هذا الموضوع برهن عمليا على ان شعبا ممسكا بزمام قضيته بيديه قادر على تحقيق مطامحه الوطنية .

ورغم ان هذا التيار الرامي الى بعث الكيان الفلسطيني وتأكيد الشخصية الفلسطينية في العمل الوطني كان اخذا في التصاعد ، الا انه لم يكن مبلورا في مفاهيم واضحة وتصورات محددة ، وان اي استعراض للنقاش* الذي دار حول الكيان الفلسطيني الذي ابتدأ مع

---

* كان ذلك النقاش يجري من خلال البيانات التي اصدرتها: القوى السياسة والاتحادات الفلسطينية. وقد اشرنا قبل قليل الى نماذج منها ونذكر ايضا بيان جبهة التحرير الفلسطينية (نشرته الحوادث في ١٩٦٤/٥/٨) وبيان حركة الشباب العربي الفلسطيني في لبنان في ١٩٦٤/٣/٢٤ (الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤) وبيان الهيئة العربية العليا حول الكيان الفلسطيني في ١٩٦٤/٢/٢٤ (المصدر نفسه) ومشروع القيادة القومية لحزب البعث في سورية حول الكيان الفلسطيني في ١٩٦٤/٥/٢٠ (الوقائع العربية ، نيسان ــ حزيران ١٩٦٤ ــ الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١). كما اتخذ هذا النقاش صياغة الاجتماعات والاتصالات التي كان يقيمها الشقيري ، وقد كتب غسان كنفاني في المحرر (٦٤/٤/٦) ان « الشقيري بدأ في بيروت اتصالاته على صعيدين : الصعيد الاول هو صعيد الخلية الاجتماعية حيث كان يصرف ساعات كثيرة في الاتصال المباشر بوفود الفلسطينيين القادمين من مختلف المخيمات والطبقات، يستمع اليهم ويخطب فيهم ويحدد مفهوم الكيان الذي يريد ويستمع منهم الى مفهوم الكيان الذي يريدون . اما الصعيد الثاني فكان صعيد المناقشات والمباحثات مع ما صار يعرف بأنه القوى الثورية ، التي اتصل بها الشقيري ... انها مجموعات المنظمات السرية والعلنية والمنظمات النقابية ومجموعة من المثقفين المستقلين المختصين بالقضية الفلسطينية » . وقد اكد الشقيري (في مقابلة خاصة في ٧٢/٥/١١) أن هذه القوى التي اشار اليها كنفاني هي في الاساس فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية .

جولة الشقيري في العالم العربي يظهر لنا انه بمقدار ما كان هناك تأكيد على ضرورة بعث الكيان الفلسطيني كان هناك في المقابل غموض في كيفية ابرازه وفي التعرف على شكله العتيد . لقد كان جوهر النقاش هو التساؤل والبحث عن كيفية انشاء المؤسسات المعبرة عن الكيان وعن كيفية اداء هذه المؤسسات لمهماتها ــ بختلف ابعادها ــ .

وما نلاحظه هنا ان الشقيري كان قد طرح تصورات معينة لكيفية انشاء هذه المؤسسات المعبرة عن الكيان قبل أن يصبح ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية . فهو قد عرض على لجنة الخبراء في الجامعة في تموز ١٩٦٢ مشروعا للكيان الفلسطيني يقوم على اساس الدعوة لمجلس وطني يمثل التجمعات الفلسطينية ، تنبثق عنه جبهة وطنية لقيادة الشعب الفلسطيني تكون لها اختصاصات عسكرية وسياسية وتنظيمية واعلامية ومالية وتحدد صلتها بالجامعة العربية(٥٠). ولدى تعيينه ممثلا لفلسطين في الجامعة اوضح تصوره للكيان فخاطب الدورة الاربعين لمجلس الجامعة بقوله « لقد قيل ان الكيان الفلسطيني يهدف الى غرضين اولهما سلخ الضفة الغربية واقامة حكومة فلسطينية ، وثانيهما ان تتخلى الدول العربية عن قضية فلسطين ، وكلا الامرين باطل من اساسه ... الكيان الفلسطيني يهدف الى ان يصبح اهل فلسطين قوة وطنيــة عاملة تسهم فــي تحرير فلسطين »(٥١). وبعد ان كلفه مؤتمر القمة الاول مهمة الاتصال بالشعب الفلسطيني أوضح الشقيري « بصورة قاطعة ان تنظيم الشعب الفلسطيني لا بد ان يعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني وان تنضوي تحت لوائه كل المنظمات والهيئات الفلسطينية وان يكون مفتوحا امام المواطنين جميعا »(٥٢). وكان الهيكل العام للكيان كما فكر فيه الشقيري هو « مجلس وطني يمثل الجمعيات الفلسطينية ، تنبثق عنه لجنة تنفيذية تقــود النضال الفلسطيني وكتائب فلسطينية تجسد النشاط العسكري الفلسطيني وصندوق قومــي لتمويل الحركة الفلسطينية ومكاتب في العواصم العربية وجهاز اعلامي للدعوة للقضية الفلسطينية »(٥٣). وهو هيكل تحقق تفصيلا في م. ت. ف.

بهذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان ، قام الشقيري بدور مباشر في اخراجه الى حيز الوجود . ولسنا هنا في صدد تقييم شخصية الشقيري فان الحكم له او عليه يخرج عن نطاق بحثنا ، ولكن بحكم مــا توفر لدينا مــن معطيات وبحكم التجــارب السابقة التي مرت بها الجامعة العربية متخذة قرارات كادت ان تكون دورية تدعو الى تنظيم الشعب الفلسطيني ، يحق للباحث أن يستنتج ان قرار الملوك والرؤساء العرب بهذا الشأن كان لا بد ان يواجه ما واجهته القرارات المماثلة السابقة من حفظ في الملفات لو لم يستطع الشقيري ان « يستغل » الرخصة التي اعطيها من القمــة الاولى ويجسد فكرته عن الكيان ، متجاوزا الصلاحيات التي عهد بها اليه الملوك والرؤساء واضعا هؤلاء في قمتهم الثانية امام امر واقع جديد سلمــوا به . وقد سهل مهمة الشقــيري في خلق المؤسسة المعبرة عن الكيان ودفع بها الى الامام ذلك التيار الذي اشرنا اليه والذي كان يتقبل فكرة انبعاث الكيان الفلسطيني ويدعو اليــه بحيث خلق ارادة فلسطينيــة عامة تجسمت تنظيميا في قيام م.ت.ف. كما ان القاهرة التي كانت حينذاك تمسك بيديها زمام العمل القومي العربي هيأت السبل امام انبثاق الكيان « فقد كانت ج.ع.م. راغبة في انشاء الكيان اليوم قبل الغد » كما يقول الشقيري نفسه في كتابه من القمة الى الهزيمة (ص ٦٢). وربما بسبب هذا التصور المعين للمؤسسات المعبرة عن الكيان الفلسطيني كانت المنظمة في فترة تأسيسها من افتقاد العلاقة التنظيمية بالجماهير الفلسطينية .

شرعية تمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني

محوران يقودان الى اقرار شرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني الاول الاعتــراف

الرسمي بها والثاني اعتراف الشعب الفلسطيني بانها ممثلة وحيدة لارادته وناطقة باسمه .

اما الاعتراف الرسمي بها فقد جاء عربيا بعد قيام المنظمة مباشرة عندما تمثلت م.ت.ف. (كما اشرنا في موضع سابق) في الاجتماع الذي عقد في دمشق لبحث شؤون اقامة اللاجئين الفلسطينيين في اطار الجامعة العربية بتاريخ ١٩٦٤/٦/١٧ . وقد تكرس هذا الاعتراف بترحيب مؤتمر القمة الثاني بقيام المنظمة . ومنذ ذلك التاريخ (أيلول ١٩٦٤) بدأت المنظمة تشارك في اعمال الجامعة العربية على مختلف مستوياتها بما فيها مؤتمرات القمة بصفتها ممثلة للشعب الفلسطيني .

ان هذا الاعتراف من قبل الجامعة العربية يضع المنظمة على قدم المساواة مع اي كيان عربي اخر ويعطيها على صعيد عربي حق النطق باسم الشعب الفلسطيني ويخولها مسؤولية الاشراف على حركته ما دام الاعتراف بالمنظمة يتضمن الاعتراف بميثاقها ، الذي هو بمثابة الدستور في الدولة ، والذي ينص على ان المنظمة مسؤولة عن حركة الشعب الفلسطيني . وقد كان الاعتراف العربي بمسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني يتوطد اثر كل أزمة كانت تمر بالمنظمة نفسها او بالمقاومة الفلسطينية . والازمات التي نعني هي التي كانت نتيجة نزاع بين المنظمة والمقاومة من جهة وبعض الانظمة العربية من جهة اخرى . وابرز مثلين على هذا الموضوع الازمات التي مرت بها المنظمة او المقاومة في كل من الاردن ولبنان وسنشير فيما يلي الى بعضها مهتمين بشكل خاص بجانب واحد هو قضية الاعتراف هذه .

لقد وقف الاردن منذ البداية موقفا معارضا لابراز الكيان الفلسطيني واحياء الشخصية الفلسطينية المستقلة . لذلك فقد كان امرا منسجما مع سياسة النظام الاردني العامة ان يضع العراقيل امام عجلة المنظمة ويعيق نشاطها في الساحة الاردنية . وقد وصل الامر في اوائل العام ١٩٦٦ الى شل كل نشاط فعلي للمنظمة بين الجماهير الفلسطينية في الاردن مما استتبع تفجر صراع سياسي واعلامي بين المنظمة والحكم الاردني . وقد كان نتيجة ذلك الصراع ان توصلت المنظمة الى عقد اتفاق مع الحكومة الاردنية اقر للمنظمة بحقها في الاشراف على حركة الشعب الفلسطيني في الاردن . وقد وقع هذا الاتفاق في القاهرة في الاول من اذار ١٩٦٦ في نهاية مباحثات بدأت في ١٩٦٦/٢/٢١ بين وفد من المنظمة برئاسة احمد الشقيري ووفد حكومي اردني برئاسة عبد الوهاب المجالي . وقد اقر هذا الاتفاق بأن « الموضوعات المتعلقة بمهمات المنظمة هي التجنيد الاجباري وكتائب جيش التحرير ومعسكرات التدريب الشعبي ومعسكرات الشباب والخطوط الامامية والتنظيم الشعبي والانتخابات وحرية الانتقال والسفر والتوجيه والاعلام والجباية الشعبية وضريبة التحرير »(٥٤).

ونموذج اخر من تكريس مسؤولية المنظمة عن حركة الشعب الفلسطيني ذلك الذي تضمنه اتفاق عمان في ١٩٧٠/١٠/١٣ في اعقاب مجازر ايلول . فقد نص هذا الاتفاق على ان « الشعب الفلسطيني وحده متمثلا في الثورة الفلسطينية هو صاحب الحق في تقرير مصيره (وان) اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي المسيطرة والملتزمة والمسؤولة عن الثورة الفلسطينية سياسيا وعسكريا وفي كل الميادين الاخرى »(٥٥) واذا كان النظام الاردني قد مزق فيما بعد اتفاقية عمان بالاضافة الى اتفاقية القاهرة فان الذي يعنينا في هذه الاتفاقية انها أول وثيقة عربية تعتمد رسميا تربط بين الموضوعات التالية : الشعب الفلسطيني ــ الثورة الفلسطينية ــ منظمة التحرير الفلسطينية ــ حق تقرير المصير . ونرى ان هذا الربط ليس مخاطبا به الاردن فحسب وان كانت اتفاقية عمان قد عقدت في الاساس لتنظيم العلاقة بين المقاومة والنظام الاردني ، وانما يمتد اثره

عربيا ليشكل اساسا جديداً يحق للمنظمة ان تنطلق منه في التمسك بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني والنطق باسمه وبانها الجهة الوحيدة التي لها حق تقرير مصيره .

وهذا الافق العربي لاتفاقية عمان نستخلصه من الحيثيات التالية : ان هذه الاتفاقية عقدت استنادا الى اتفاقية القاهرة في ١٩٧٠/٩/٢٧ والاتفاقيتان تقرءان معا بحيث تعتبر اتفاقية عمان وثيقة تفصيلية لاتفاقية القاهرة التي هي في حقيقتها وبحسب المؤتمر الذي كانت الاتفاقية نتاجا له والتوقيعات التي حملتها ، اتفاقية بين عدد من رؤساء الدول العربية بالاضافة الى رئيس م. ت. ف. والملك حسين . ومن هنا فان اي نص في هذه الاتفاقية يلزم موقعيها بقدر متساو من المسؤولية تجاه جميع الموضوعات التي وردت فيها وكذلك الامر بالنسبة لاتفاقية عمان التي هي تكملة تفصيلية ، كما اشرنا لاتفاقية القاهرة . ويؤكد هذا الامر الاخير ان اتفاقية عمان جرى التوقيع عليها من قبل الباهي الادغم رئيس اللجنة العربية العليا للمتابعة التي تشكلت بقرار من رؤساء الدول العربية حسب اتفاقية القاهرة (المواد من ٦ ـ ١١ من الاتفاقية تبين كيفية تشكيل اللجنة ومهماتها وتسمية اعضائها)(٥٦) وقد طلبت اتفاقية القاهرة (المادة ٨) ان تقوم لجنة المتابعة باعداد وابرام اتفاق اسفر عن اتفاقية عمان . وقد جرى في اكثر من مناسبة تأكيد الدول العربية لالتزامها باتفاقيتي القاهرة وعمان (ما يهمنا هنا الربط بين الموضوعات الاربع التي اشرنا اليها) . فاثناء مفاوضات جدة بين م. ت. ف. والحكومة الاردنية كانت لجنة الوساطة السعودية ـ المصرية تنطلق في مساعيها من ورقة عمل مصرية ـ سعودية اقرت في ١٩٧١/٨/٨ في اجتماع عقد في القاهرة بين الرئيس انور السادات والسيد عمر السقاف،وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية. وكان اساس ورقة العمل هذه الالتزام باتفاقيتي القاهرة وعمان(٥٧) كما ان مؤتمر القمة العربي الطارىء الذي انهى اجتماعاته في ليبية في ١٩٧١/٧/٣١ اكد في بيانه الختامي تمسكه بالاتفاقيتين ودعمه لكل عمل من شأنه تنفيذهما(٨٥).

واذا تأكد مثل هذا الاعتراف العربي بالمنظمة من خلال علاقاتها مع الاردن فسوف نمر بنموذج اخر من خلال علاقات العمل الفلسطيني بلبنان . لقد كان اعتراف الحكومة اللبنانية رسميا بالمنظمة استنادا الى جلسة عقدها مجلس الوزراء في تشرين الثاني ١٩٦٤ عندما وافق على فتح مكتب للمنظمة في لبنان « ومعاملة مديره المسؤول معاملة الممثلين الدبلوماسيين ومنحه الاعفاءات والحصانات التي يتمتع بها اعضاء السلك الدبلوماسي الاجنبي في لبنان » وجاء في حيثيات هذه الموافقة « ان مجلس رؤساء الدول العربية قد قرر في اجتماعه الاول المنعقد في القاهرة في شهر كانون الثاني ١٩٦٤ الاعتراف بالسيد احمد الشقيري ممثلا لفلسطين لدى جامعة الدول العربية وقرر في اجتماعه الثاني المنعقد في الاسكندرية في شهر أيلول ١٩٦٤ الاعتراف بـ م. ت. ف. واعتمادها ممثلة لشعب فلسطين »(٥٩) غير ان هذا التمثيل الدبلوماسي قد توطد فعلا واتخذ له مدلولا اكثر شمولا في اتفاقية القاهرة التي عقدت بين م. ت.ف. والحكومة اللبنانية في ١٩٦٩/١١/٣(٦٠) فقراءة نصوص هذه الاتفاقية تؤكد ان المنظمة ليست مسؤولة فقط عن ثورة الشعب الفلسطيني وانما هي ايضا تمثل مصالحه الحياتية وتكتسب حق رعاية هذه المصالح . فبالاضافة الى الامور العسكرية « تم الاتفاق على اعادة تنظيم الوجود الفلسطيني على اساس : ١ ـ حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين حاليا في لبنان ٢ ـ انشاء لجان محلية من الفلسطينيين في المخيمات لرعاية مصالح الفلسطينيين المقيمين فيها ... » .

هذا الاعتراف الرسمي العربي (الذي اكتسبته المنظمة) بحقها في تمثيل الشعب الفلسطيني ورعاية مصالحه كان يماشيه اعتراف عالمي ظهرت بوادره في مؤتمر دول عدم الانحياز الذي افتتح في القاهرة في ١٩٦٤/١٠/٥ . فقد كانت لجنة سفراء دول عدم

الانحياز قد قررت في ١٩٦٤/٩/٢٠ ان تكون م. ت. ف. ممثلة كمراقب في اجتماعات المؤتمر على ان تتولى ج. ع. م. بوصفها الدولة الداعية للمؤتمر توجيه الدعوة. وكان حضور المنظمة لذلك المؤتمر اول اعتراف عالمي بها(٦١).

وقد تكرر هذا الاعتراف بصيغ اخرى ابرزها على صعيد عالمي تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني في المؤتمر الرابع لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ــ الاسيوية الذي عقد في ويلبا في غانا في الفترة من ٩ ــ ١٦ ايار (مايو) ١٩٦٥ حيث اعتبر المؤتمر م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني في منظمة التضامن . وقد شغلت المنظمة عضوية سكرتاريـة منظمة التضامن اعتبارا من ١٩٧٠/١١/٩ بقرار من المجلس التاسـع لمنظمة التضامن الذي عقد في طرابلس في التاريخ المذكور . وعلى صعيد اخر قرر مجلس السلم العالمي في رسالة وجهها الى المنظمة في ١٩٦٦/٢/١٥ اعتبار فلسطين عضوا فيه ومنذ ذلك التاريخ تمثل المنظمة الشعب الفلسطيني في جميع مؤتمرات هذا المجلس واجتماعاته(٦٢).

غير ان هذا الاعتراف الرسمي بشرعية تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني ، على صعيد عربي واخر عالمي ، يظل غير ذي اهمية ان لم يكن الاساس فيه ان الشعب الفلسطيني هو الذي يمنح المنظمة حق تمثيله والنطق باسمه . وبدون هذا الشرط ــ الاساس تظل أية جهة قادرة على منازعة المنظمة هذا الحق واقتناصه منها . فالى اي مدى اقر الشعب الفلسطيني للمنظمة بحق تمثيله ؟

نشير في البداية الى ان الاسس التي قامت عليها المنظمة كما حددها ميثاقهـا هي « ان فلسطين وطن الشعب العربي الفلسطيني ... وان هـذا الشعب هو صاحب الحق الشرعي في وطنه ... وان تحرير فلسطين يعيد الى الانسان الفلسطيني كرامته وعزته وحريته ... وان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ... وان الشعب الفلسطيني هو صاحب الحق الاول والاصيل في تحرير واسترداد وطنه » كما جـاء في المواد ١ ، ٣ ، ١٧ ، ٩ ، ٢٩ من الميثاق الوطني الفلسطيني . وان اي نظرة شمولية الى تاريخ نضال الشعب الفلسطيني تثبت ان هذه المبادىء الاساسية هي تجسيد للامـاني الوطنية لهذا الشعب وتعبير عن ارادته وبلورة لمسار حركته الوطنية .

وكون هذه المبادىء التي طرحتها المنظمة تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني استتبع ان تقر جماهير الشعب للمنظمة بحق تمثيلها والنطق باسمها . غير ان علينا هنا ان نستدرك ونوضح مفهومنا لكلمة جماهير . فاننا نعني بهذا التعبير القوى المنظمة الفاعلة المنبثقة عن الجماهير نفسها والقادرة على التعبير عن مصالحها وطموحاتها وتجسيد حركتها نحو اهدافها . وان كل حديث يتناول الجماهير بتجريد ويسقط من حسابه هذه القوى المنظمة يظل حديثا غير مبني على اساس . فالجماهير العريضة غـير المنظمة تبقى من نـاحية عملية ، خاصة في ظل التشتت الفلسطيني ، غير قادرة على التعبير عن ارادتها عن غير طريق قواها المنظمة . وبسبب خضوع الفلسطينيين في شتاتهـم وفي مواقعهـم تحت الاحتلال ، لارادات غريبة عنهم مختلفة متناقضة وقاهرة في الاغلب ، فان تزوير ارادة هذه الجماهير العريضة ، اذا عزلت عن قواها المنظمة ، وتصويرها على غير حقيقتها ، ليس بالامر العسير حتى ولو كان التعرف على هذه الارادة عن طريق استفتاء «شعبي» . ومن هنا نؤكد ان اعتراف الجماهير الفلسطينية بتمثيل المنظمة لها يتأتى من خلال اعتراف قوى الجماهير المنظمة الفاعلة بهذا التمثيل . وبطبيعة الحال ، فان هذا لا ينفي مطلقا ان تكون الجماهير العريضة قد اقرت بشكل او بآخر بمثل هذا الاعتراف غير ان مقاييسنا لـدى الحديث عن القوى المنظمة تكـون واضحة اكثر كمـا ان التعرف عـلى آرائها

واتجاهاتها يكون اقرب الى الدقة*. وقوى الشعب الفلسطيني المنظمة التي نعنيها هنا هي : (١) الاتحادات الشعبية التي تمثل القطاعات الفئوية والمهنية من الشعب والتي هي مراكز تجمع استقطابي للعناصر النشطة الفاعلة من قطاعات العمال والطلاب والمرأة والمعلمين والكتاب والصحفيين وذوي المهن الطبية والحقوقيين والفنانين والرياضيين ، و (٢) منظمات المقاومة التي تجسد حركة الشعب السياسية والقتالية .

لقد اعتبرت الاتحادات الشعبية م. ت. ف. ممثلة للكيان الفلسطيني ، والانظمة الداخلية للاتحادات تنص على انها قاعدة من قواعد المنظمة بتعبير ومن قواعد الثورة بتعبير اخر (والصيغتان تؤديان الى المعنى الواحد طالما فصائل الثورة تعتبر م. ت. ف. الاطار الذي يضم القوى الثورية) . وسنذكر فيما يلي امثلة على مواقف الاتحادات من المنظمة اخترناها في ازمنة متفاوتة بقصد اظهار ان هذه الاتحادات وتحت مختلف الظروف ظلت متمسكة باعتبار م. ت. ف. ممثلة للشعب الفلسطيني .

في ١٩٦٤/١١/٦ اصدر مؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين المنعقد في غزة قرارات اعلن فيها تأييده لقيام م. ت. ف. ودعا ابناء فلسطين الى الانضمام اليها كما قرر الاتحاد اعتبار نفسه جزءا من المنظمة . وجاء في قرارات المؤتمر الوطني الخامس للاتحاد نفسه الذي عقد في عمان بين ١٩٦٩/٧/٣١ — ١٩٦٩/٨/٦ ان المؤتمر يقرر التأييد الكامل لـ م. ت. ف. في وضعها الجديد على اعتبار انها تمثل جبهة وطنية لكافة المقاتلين والوطنيين من ابناء الشعب الفلسطيني، والالتزام بالميثاق الوطني الفلسطيني لـ م.ت.ف. وفي المؤتمر الاول للاتحاد العام لعمال فلسطين الذي عقد في غزة في ٦٥/٤/١٤ اكد الاتحاد في قراراته ان م. ت. ف. هي الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين والقاعدة لنضاله. كما ايد المؤتمر قرار الهيئة التنفيذية السابقة للاتحاد الذي نص على ان الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وفي ٦٧/٤/٢١ صدرت قرارات المؤتمر الثاني للاتحاد الذي عقد في القاهرة واكدت القرارات ان م. ت. ف. هي رمز للكيان الفلسطيني وقائدة النضال نحو التحرير . وفي ١٩٦٦/١٢/٢ صدر النظام الاساسي لاتحاد الكتاب الفلسطينيين وقد نصت المادة الاولى منه على ان الاتحاد جزء لا يتجزأ من م.ت.ف. وفي ١٩٦٧/٩/٩ صدر بيان عن الاتحاد العام لعمال فلسطين والاتحاد العام لطلبة فلسطين والاتحاد النسائي الفلسطيني اعتبر وجود المنظمة انتصارا على التشريد والضياع والمزايدة وانتصارا لحق الشعب الفلسطيني في الوحدة والعمل من اجل الحياة على ترابنا الغالي.

اما بالنسبة لفصائل المقاومة والقوى السياسية والقتالية المنظمة للشعب الفلسطيني فقد بدأت مشاركتها رسميا في اعمال المنظمة في المجلس الوطني الفلسطيني الرابع الذي عقد في القاهرة في الفترة من ١٠ — ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ ، غير انه اذا كان هذا التاريخ يمثل اسهام هذه الفصائل في المنظمة رسميا فاننا نستطيع ان نقول انها شاركت في اعمال

---

* نشير الى واحد من المقاييس التي تدل على موقف الجماهير العريضة من م. ت. ف. وهو مقياس رقمي محدد : لقد ذكر التقرير المالي السابع للصندوق القومي الفلسطيني المقدم الى المجلس الوطني الفلسطيني في تموز (يوليو) ١٩٧١ ان ايرادات م. ت. ف. قد بلغت خلال الفترة من ١٩٧٠/٧/١ الى ١٩٧١/٢/٢٨ مبلغ ١،٢٢٦،٥٧٧ دينارا اردنيا بالاضافة الى فوائد مقبوضة على اموال المنظمة من البنوك ، وقد كان ٩٤٠٦٧٢ دينارا من اصل هذا المبلغ حصيلة ضريبة التحرير (وهي ضريبة يدفعها المواطن الفلسطيني الى المنظمة بنسبة تتراوح بين ٣ و ٦ بالمئة من دخله) ويضاف الى هذا المبلغ ٤٩٠٣ دنانير من حسميات موظفي المنظمة . ونستنتج من هذا ان نسبة ٧٣ بالمئة من ايرادات المنظمة قد تحققت من المواطنين الفلسطينيين ويضاف الى هذه النسبة جزء كبير من بابين اخرين للايرادات اوردهما التقرير وهما الجباية الموحدة في الاردن وفي الكويت التي كانت حصيلتها ٨٨٤٨٧ دينارا فجزء كبير من هذه الجباية يتأتى من المواطنين الفلسطينيين في هذين القطرين. وبذلك نستطيع ان نستخلص ان نحو ٨٠ بالمئة من ايرادات م. ت. ف. يتأتى من الفلسطينيين انفسهم .

المنظمة منذ قيامها . فقد ذكرت مذكرة لحركة فتح موجهة الى المؤتمر الثالث للرؤساء العرب في الدار البيضاء في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٥ ما يلي : ((اننا حاولنا منذ البدء ان نكون ايجابيين مع المنظمة **واشتركنا في اجهزتها** كما اشترك سائر المواطنين الفلسطينيين))(٦٣) . وفي محاضرة القاها صالح شبل ، احد اعضاء حركة القوميين العرب ، في بيروت بتاريخ ٦٥/٥/٢١ قال « لم يعد سرا البادرة الايجابية التي قام بها الجهاز الفلسطيني في حركة القوميين العرب حين انخرط في صفوف المنظمة وانضوى تحت لوائها »(٦٤) . ويذكر الشقيري ان فتح وحركة القوميين العرب وجبهة التحرير الفلسطينية (ج . ت . ف) تمثلت في المجالس الوطنية التي عقدت قبل حزيران ١٩٦٧(٦٥) . غير ان هذا التمثيل للقوى الفلسطينية الذي كان الشقيري يصر على ان يكون شخصيا اكثر منه تمثيلا لقوى منظمة ، اتخذ له شكلا ارقى واكثر فعالية في المجلس الرابع ، الذي اشرنا اليه ، وهو اول مجلس وطني يعقد بعد حرب ١٩٦٧ . ولقد كانت اهمية ذلك المجلس في تقديرنا ، بالاضافة الى اشياء اخرى ، ان قوى الشعب الفلسطيني المنظمة اصبحت هي التي تمثل الشعب داخل الاطر التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . واذا كان بعض فصائل المقاومة قد تحفظ في الاشتراك ببعض المجالس الوطنية التي اعقبت المجلس الرابع (الشعبية في المجلس الخامس والسادس ، الديمقراطية في الخامس ، التحرير العربية في السابع — هي نشأت بعد المجلس السادس) فان المجلس السابع الذي عقد في القاهرة في ايار (مايو) ١٩٧٠ ضم جميع الفصائل (الشعبية شاركت رمزيا) باستثناء جبهة التحرير العربية ، وقد تمثلت في المجلس التاسع (تموز ١٩٧١) جميع الفصائل ، الامر الذي استتبع انبثاق لجنة تنفيذية لـ م . ت . ف . تمثلت فيها جميع الفصائل الرئيسية (فتح ، الشعبية ، الديمقراطية ، الطلائع ، التحرير العربية) .

ان اشتراك فصائل المقاومة في الاجهزة التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . وموافقتها على ميثاقها (هي عدلته في المجلس الرابع لينسجم مع متطلبات المرحلة) يكسب المنظمة قوة تمثيلية لجماهير الشعب الفلسطيني تستمدها من اقرار مبدأ التمثيل وممارسته فعلا من جانب القوى المنظمة لهذه الجماهير . وقد اكدت هذه الفصائل هذا التصور في شكل واضح وصريح في البرنامج السياسي والتنظيمي للثورة الفلسطينية الذي وضعه المجلس الوطني الثامن في ٢/٢٨ — ١٩٧١/٣/٥ وتبناه المجلس التاسع (في تموز ١٩٧١) والذي جاء فيه « ان م . ت . ف . هي الممثل الوحيد لجماهير الشعب الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية وبجميع هيئاته وجمعياته مهما تكن اتجاهاتها وافكارها شريطة التزامها التام بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني وقرارات الاجهزة التشريعية والتنفيذية لـ م . ت . ف . وبالبرنامج السياسي والعسكري واللائحة الداخلية للمنظمة »(٦٦) . وقد جاءت قرارات المؤتمر الشعبي الفلسطيني الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٦ — ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٧٢ لتعضد تمثيل المنظمة للشعب الفلسطيني . وقد شارك في اعمال هذا المؤتمر ٥٣٤ عضوا — بالاضافة الى ١٥٤ عضوا هم اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني — يتوزعون على ١٦ قطرا عربيا و ٨ اقطار اجنبية ويضمون بين اعدادهم ممثلين عن ١٢ اتحادا ومؤسسة ومركزا بالاضافة الى ممثلي فصائل المقاومة . وقد كان من قرارات هذا المؤتمر « تظل م . ت . ف . هي القيادة السياسية العليا للشعب الفلسطيني وهي وحدها الناطقة باسمه في كل القضايا المصيرية وهي وحدها ومن خلال اجهزتها النضالية مسؤولة عن كل ما يتعلق بحق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني » و « ان م . ت . ف . هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، المعبر عن امانيه وارادته ، وانه لا يحق لاي كان ان يقرر بشأن فلسطين ، ارضا وشعبا غير ما يقرره الشعب الفلسطيني نفسه ممثلا في م . ت . ف . ووفقا لميثاقها والتزاما بتحرير كامل التراب الفلسطيني . وان اي اجراء او ترتيب او اتفاق يصدر عن اي مصدر آخر

انما هو خال من الشرعية كليا ويظل كذلك دوما »(٦٧).

هذه الشرعية التي اكتسبتها م. ت. ف. في تمثيل الشعب الفلسطيني تقودنا الى ابراز حقيقة **وحدة الشعب الفلسطيني** . فهو رغم تمزقه نتيجة احتلال أراضيه الى **تجمعات** متباعدة اضطرت الى الاقامة في أطر جغرافية سياسية منفصلة ، الا انه **موجود كشعب واحد** ذي هوية وطنية ومطامح قومية واحدة . وهذه الحقيقة نستخلصها من تمسك الفلسطينيين – في مختلف تجمعاتهم وتحت تباين الظروف السياسية والاجتماعية التي تخضع لها هذه التجمعات – بشخصيتهم الفلسطينية ورفضهم الاذابة في غيرهم من المجتمعات واستجابتهم السريعة لعملية بعث الكيان الفلسطيني التي عبروا عنها بخلقهم المؤسسات التي تجسد هذا الكيان ذا الشخصية المتميزة ، كما نستخلصها من هذا الامتداد التنظيمي الواسع لفصائل حركة المقاومة الفلسطينية الذي يغطي جميع الساحات التي يوجد فوقها فلسطينيون . وقد اكدت الامم المتحدة في عدد من قراراتها هذا الوجود الوطني للشعب الفلسطيني ونشير في هذا الصدد الى القرار رقم ٢٥٣٥/ بتاريخ ١٩٦٩/١٢/١٠ والقرار رقم ٢٦٧٢ بتاريخ ١٩٧١/١٢/٨ الصادرين عن الجمعية العامة للامم المتحدة اللذين اعترفا بحق تقرير المصير لشعب فلسطين كما نشير الى القرار رقم ٢٧٨٧ بتاريخ ١٩٧١/١٢/٦ الذي اقر بحق شعب فلسطين – بجانب شعوب اخرى ذكرها القرار – في النضال من اجل تقرير المصير والتحرر من السيطرة الاجنبية والاستعمارية بجميع الوسائل المنسجمة مع ميثاق الامم المتحدة(٦٨). وان مثل هذه القرارات تؤكد على ان الشعب الفلسطيني له وجود واحد وان قضيته هي **قضية واحدة** وان اضطراره الى الاقامة في اماكن متباعدة لا ينفي وحدة وجوده وقضيته .

ومن هنا نعتبر وحدة الشعب الفلسطيني ووحدة قضيته مدخلا رئيسيا الى رفض ادعاء اية جهة (في ذهننا الملك حسين والانتخابات البلدية في الضفة الغربية المحتلة) حق تمثيل الشعب الفلسطيني طالما ان هذه الجهة لا تعبر عن ارادة الشعب الفلسطيني باجمعه وهي في الوقت نفسه تفتت قضيته الواحدة . وحتى لو استطاعت هذه الجهة ، بأي وسيلة من الوسائل ، انتزاع تفويض من اي تجمع فلسطيني – ضمن اطار جغرافي سياسي معين – بتمثيل هذا التجمع فان مثل هذا الامر لا يخول هذه الجهة حق النطق باسم الشعب الفلسطيني لان التجمعات الفلسطينية الاخرى وبالتالي الشعب الفلسطيني من حيث هو وجود وطني واحد لم يكن معنيا بهذا التفويض .

خلاصة : (١) اذا كانت م. ت. ف. قد ولدت في « احضان مؤتمر القمة » ، كما يحلو التعبير للبعض ، فان هذا لا ينفي على الاطلاق ان المنظمة ، فكرة قبل ان تولد وحقيقة بعد قيامها ، جسدت طموحا فلسطينيا مشروعا لبعث كيانه الوطني المستقل . (٢) ان المنظمة تكتسب شرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني ليس من واقع اعتراف الحكومات العربية ، وبعض الدول الاجنبية ، بها فحسب ، وانما تستمد هذه الشرعية ، في المرحلة الراهنة على الاخص ، من كونها ملتقى لارادات الشعب الفلسطيني المجسدة بقواه المنظمة الفاعلة . (٣) ليس لجهة منازعة المنظمة حق تمثيل الشعب الفلسطيني ، لان ما من جهة بقادرة (في ظل التوزع الجغرافي – السياسي الراهن) على ادعاء النطق باسم الشعب الفلسطيني ، الذي هو وحدة وطنية واحدة ، في مختلف تجمعاته .

---

١ – عدلي حشاد ، **شعب فلسطين في طريق العودة** ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ .

٢ – **المصدر نفسه** ، ص ١٠٤ .

٣ – صحيفة **اخبار الاسبوع** الاردنية ، ٥/٢٢/ ١٩٦٤ .

٤ – **فلسطيننا** ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .

٥ – **المصدر نفسه** ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ ، مقال بتوقيع « فتح » .

٦ — المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، اذار ١٩٦١ ، مقال بتوقيع « فتح » .

٧ — المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ ، مقال بتوقيع « ف ت ح » .

٨ — المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، اذار ١٩٦١ .

٩ — المصدر نفسه ، العدد ١٣ ، كانون الثاني ١٩٦١ .

١٠ — المصدر نفسه ، العدد ١٥ ، اذار ١٩٦١ ،

١١ — المصدر نفسه ، العدد ١١ ، تشرين الثاني ١٩٦٠ .

١٢ — المصدر نفسه ، مقال بتوقيع « ف ت ح » .

١٣ — **الوثائق العربية للعام ١٩٦٣** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٦٨٨ نقلا عن صحيفة الجماهير ١٩٦٣/٩/١١ .

١٤ — انظر احمد الشقيري ، **من القمة الى الهزيمة** ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ، الصفحات ٥٧ — ٦٠ .

١٥ — Leila S. Kadi, *Basic Political Documents of the Armed Palestinian Resistence Movement,* P. L. O. Research Center, Beirut, 1969, p. 19.

١٦ — وزارة الارشاد القومي في ج. ع. م. **ملف وثائق فلسطين** ، الجزء الثاني ص ١٢٧٣ .

١٧ — احمد الشقيري، **المصدر السابق**، ص ٥٠.

١٨ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤** ، ص ٧٢ .

١٩ — Leila S. Kadi, *Arab Summit Conferences and the Palestine Problem,* P. L. O. Research Center, 1966, p. 102.

٢٠ — الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٣ .

٢١ — ليلى القاضي ، **مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية** ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٣ .

٢٢ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٤ .

٢٣ — احمد الشقيري، **المصدر السابق**، ص ٩١.

٢٤ — صحيفة « **العرب** » العراقية (٦٤/٥/١٧) نشرت اسماء اللجنة التحضيرية في العراق ، « **المحرر** » اللبنانية (٦٤/٥/٩) نشر اسماء اللجنة في سوريه، « **المحرر** »(٦٤/٥/١٦) نشرت اسماء اللجنة في قطر والخليج العربي ، « **الحوادث** » اللبنانية (٦٤/٥/٨) نشرت اسماء اللجنة في لبنان .

٢٥ — الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١ .

٢٦ — ملف وثائق فلسطين ، **المصدر السابق** ، ص ١٢٨٣ .

٢٧ — نشرة « **الثائر العربي** » الناطقة بلسان جبهة التحرير العربية ١٩٦٩/٩/٣ .

٢٨ — مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٢ .

٢٩ — **الوثائق العربية للعام ١٩٦٣** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٨٢٩ .

٣٠ — ملف وثائق فلسطين ، **المصدر السابق** ص ١٢٦٧ .

٣١ — الملك حسين ، **حربنا مع اسرائيل** (تحرير فيك فانس وبيار لوير) ، دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٢ .

٣٢ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ .

٣٣ — **المصدر نفسه** ، ص ص ٤٦ — ٥٠ .

٣٤ — مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ٩٩ .

٣٥ — مقابلة خاصة مع احمد الشقيري ، كنون ١٩٧٢/٥/١١ .

٣٦ — نقلته صحيفة « **النهار** » البيروتية ١٩٦٤/٥/٢٧ .

٣٧ — صحيفة « **البعث** » السورية ، ٥/٢٨/ ١٩٦٤ .

٣٨ — **الوقائع العربية** (نيسان — حزيران ١٩٦٤) الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ١٦٩ .

٣٩ — **الوثائق العربية للعام ١٩٦٤** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٤٥٧ .

٤٠ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ ، ٦٢ .

٤١ — صحيفة « **الجهاد** » الاردنية ، ٦/١٨/ ١٩٦٤ .

٤٢ — غسان كنفاني ، صحيفة « **المحرر** » اللبنانية ، ١٩٦٤/٤/٦ .

٤٣ — نشرته « **المحرر** » ١٩٦٤/٣/٢٥ .

٤٤ — **الوثائق العربية للعام ١٩٦٤** ، الجامعة الاميركية في بيروت ، ص ٢٥٣ .

٤٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٠٦ .

٤٦ — بيان لحركة القوميين العرب في ١٩٦٤/٦/١٤ منشور في **المصدر نفسه** ، ص ٢٩٥ .

٤٧ — بيان للاتحاد صادر في ١٩٦٤/٣/١٧ ،

منشور في الوثائق العربية ، **المصدر السابق** ، ص ١١٠ .

٤٨ — **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية للعام ١٩٦٤** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ص ٩٢ .

٤٩ — مؤتمرات القمة العربية والقضية الفلسطينية ، **المصدر السابق** ، ص ٨٩ .

٥٠ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩ .

٥١ — **المصدر نفسه** ، ص ١٦ .

٥٢ — مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ٢٠/١/١٩٦٤ ، الكتاب السنوي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٠ ، ٧١ .

٥٣ — احمد الشقيري ، **المصدر السابق** ، ص ٦١ .

٥٤ — مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، **الوثائق العربية الفلسطينية للعام ١٩٦٦** ، ص ٨٩ .

٥٥ — المادة الرابعة من قواعد عامة والمادة الخامسة من شؤون العمل الفدائي ، من اتفاقية عمان ، نشرت في كتاب **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** الصادر عن مركز الابحاث في م. ت. ف. بيروت ١٩٧٠ ، ص ص ٤٤١ — ٤٤٧ .

٥٦ — نص اتفاقية القاهرة مذكور في **المصدر نفسه** ، ص ص ٤٣٥ — ٤٣٧ .

٥٧ — مركز التخطيط في م. ت. ف. ، **لائحة الاتهام ضد وصفي التل** ، ص ٩٦ .

٥٨ — اذاعت البيان اذاعة القاهرة ونشرته الصحف العربية في ١٩٧١/٨/٢ .

٥٩ — من محضر جلسة مجلس الوزراء اللبناني في ٦٤/١١/٢٦ . محفوظات مكتب م. ت. ف. في بيروت .

٦٠ — نشرتها صحيفة « **النهار** » اللبنانية في ١٩٧٠/٤/٢٠ .

٦١ — الكتاب السنوي للعام ١٩٦٤ ، **المصدر السابق** ، ص ٨٧ .

٦٢ — المعلومات مستقاة من مقابلة خاصة في دمشق ، آذار ١٩٧٢ ، مع السيد عبد الكريم الكرمي الذي مثل المنظمة في مؤتمرات منظمة التضامن ومجلس السلم العالمي .

٦٣ — منشورة في كتاب ناجي علوش ، **مناقشات حول الثورة الفلسطينية** ، دار الطليعة بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ٢٣ .

٦٤ — نشرتها صحيفة « **المحرر** » اللبنانية ، ٦٥/٥/٢٤ .

٦٥ — مقابلة خاصة مع الشقيري ٧٢/٥/١١ .

٦٦ — نص البرنامج نشرته صحيفة « **فتح** » في ملحق خاص .

٦٧ — كراس اصدرته م.ت.ف. عن اعمال المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطينيين .

٦٨ — قرارات الامم المتحدة المتعلقة بهذا الموضوع موجودة ضمن محفوظات مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت .

الهوة الاجتماعية في اسرائيل

عبد الحفيظ محارب

على رأس المشاكل الاساسية التي يعاني منها مجتمع المهاجرين والمستوطنين في اسرائيل ، مشكلة الهوة الاجتماعية الناجمة عن التناقضات الكامنة في المجتمع الاسرائيلي . وقبل التطرق الى كنه الهوة الاجتماعية وماهيتها وحجمها لا بد لنا من الوقوف قليلا عند توقيت تفجر التناقضات ، والاسباب الكامنة وراءها . ترتبط مسألة توقيت تفجر التناقضات الاجتماعية في اسرائيل ، الى حد بعيد بحالة الاستقرار الامني ، كما ترتبط ارتباطا وثيقا بالقناعة الذهنية للجماهير الاسرائيلية باستقرار الاوضاع الامنية وبقوة الجيش الاسرائيلي، بمعنى آخر ان التناقضات الاجتماعية، وهي موجودة منذ قيام الدولة وحتى قبل قيام الدولة في فترة ما يعرف باليشوف ، تبرز على سطح الاحداث في الساحة الاسرائيلية ، تتفجر في حالة الاستقرار الامني، وتطمس او تحبس في حالة التوتر الامني . وعلى سبيل المثال فان التناقضات الاجتماعية لم تصل الى درجة من التفجر، مع انها كانت قوية خلال الأعوام التي سبقت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ذلك لان هذه الفترة شهدت توترا امنيا ناجما عن الاصطدامات على امتداد الحدود مع الجبهات العربية وخاصة المصرية ، كما وشهدت موجة من النشاط الفدائي وخاصة من قطاع غزة . الا ان التناقضات الاجتماعية وصلت الى درجة التفجر في فترة الهدوء الامني التي نعمت بها اسرائيل نتيجة توقف الاشتباكات على الحدود ، ووقف النشاط الفدائي، ووضع قوات طوارىء دولية في قطاع غزة وسيناء ، وخير مثال على ذلك حوادث « وادي الصليب » في حيفا في صيف عام ١٩٥٩ ، حيث قامت الفئات المسحوقة المميزة في تلك الضاحية بانتفاضة اخذت شكل التظاهرات المشفوعة بالعنف ، وامتدت لتشمل معظم المناطق الاسرائيلية التي توجد فيها الفئات المسحوقة من اليهود الشرقيين ، ومع ذلك فان التناقضات اخذت تضبط بشكل او بآخر ، ولم تصل عند مطلع الستينات وحتى ١٩٦٧ الى درجة التفجر بسبب القناعة الذهنية للجمهور الاسرائيلي بأن حالة الامن ليست على ما يرام ، وبأن « النصر الذي احرزه الجيش الاسرائيلي » قد ساهمت فيه دولتان كبريان . اما بعد حرب حزيران ، وما نجم عن ذلك من قناعة ذهنية في اوساط الجمهور الاسرائيلي ، بأن الجيش الاسرائيلي يتمتع بقوة كبيرة بامكانها التصدي لاي خطر خارجي ، فقد بدات التناقضات الداخلية تطفى على السطح وبشكل قوي ، تجعل الكثيرين وخاصة المسؤولين منهم يتخوفون على مصير الدولة ويخشون من اقتراب خراب الهيكل الثالث ! وقد عبرت عن هذه التناقضات وبشكل لم يسبق له مثيل من حيث حدة التفجر حركة الفهود السود عند مطلع عام ١٩٧١ .

وهنا لا بد من الاشارة الى ان التناقضات الاجتماعية لا تتفجر مباشرة على اثر انتصار عسكري بل العكس هو الصحيح ، فهذه التناقضات تحبس تماما في فترة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا ، كما تحبس تماما في حالة التوتر العسكري ، وتفسير ذلك ان مرحلة الهدوء التي تعقب نصرا عسكريا تكون بمثابة مرحلة « نشوة الانتصار » على عدو

درجت وسائل الاعلام الاسرائيلية على التهويل من خطره . الا انه بعد ان تتلاشى مرحلة « نشوة » الانتصار فان التناقضات الاجتماعية تبدأ بالظهور ، ومن هنا يمكن القول ان مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحالة الذهنية التي تسود الجمهور الاسرائيلي حول مدى قوة الجيش الاسرائيلي ومدى وهن خصمه .

تدرك السلطات الاسرائيلية مدى الترابط الوثيق بين الاستقرار الامني وتفجر التناقضات الداخلية في المجتمع الاسرائيلي ، ولذا نراها لا تكف عن التهويل « بالخطر الخارجي » المحدق باسرائيل من جميع الجوانب سواء أكان الخطر حقيقيا ام خياليا بغرض طمس التناقضات الاجتماعية المتفجرة وكبتها ، الا ان هذا الدأب على التلويح والتهويل بالخطر الخارجي الذي ترفعه أوساط عسكرية وسياسية حاكمة ، بسبب عجزها عن حل التناقضات الداخلية ، ينطوي على خطر بالنسبة لطرفين اساسيين : الجانب العربي الذي يمثل « الخطر الخارجي » والخطورة تتمثل هنا في احتمال تعرضه لضربات تعتبر بمثابة حبوب منومة للتناقضات الداخلية في اسرائيل ، والجانب الاخر هو مجموعة الفئات المتضررة من التناقضات الاجتماعية ، والخطورة تتمثل هنا في استدامة هذه التناقضات دون ايجاد حلول جذرية لها . ومما هو جدير بالملاحظة أن سلاح التلويح بالخطر الخارجي قد فقد لمعانه ومفعوله لدى الجمهور الاسرائيلي وخاصة لدى الفئات المسحوقة منه ، فعلى اثر النصر العسكري الخيالي الذي احرزه الجيش الاسرائيلي في حرب حزيران ، امحت الصورة المضخمة والمبالغ بها للخطر الخارجي من اذهان الجمهور الاسرائيلي ، وارتسمت مكانها صورة أخرى تجعل من سياسة التلويح به ، موضع نقد وتهكم فئات واسعة في اسرائيل .

من المعروف ان هنالك اوساطا عسكرية ومدنية من بين مبلوري السياسة الاسرائيلية ومنفذيها كانت ولا تزال تعتقد بأنه لا يمكن رفع علم الامن وعلم المساواة الاجتماعية دفعة واحدة لان ذلك من شأنه ان يمس ميزانية الدفاع وان الواجب يتطلب رفع علم الامن فوق الاعلام الاخرى كافة . ويقف على رأس هؤلاء وزير الدفاع موشيه ديان . لقد فقد هذا الشعار بريقه بعد حرب حزيران لدى قسم كبير من الجمهور الاسرائيلي ، وحتى لدى بعض المقربين الى ديان نفسه ، والى الاوساط المتربعة على جهاز الامن في اسرائيل ، فقد خالفت « ياعيل ديان » ابنة وزير الدفاع اباها الراي وطالبت بضرورة رفع العلمين معا ، قائلة : « لقد فشلنا في عملية دمج يهود الشتات ... يوجد في البلاد تمييز طائفي وانه لامر فظيع التفكير بأن هنالك فقرا في البلاد وان ثمة عائلات لا تتمكن من شراء اللحم حتى ليوم السبت ... يوجد في البلاد مواطنون من الدرجة الثانية »(١) .

اما رئيس هيئة الاركان السابق للجيش الاسرائيلي البروفيسور يجآل يدين الذي يحظى باحترام الاوساط العسكرية والمدنية الحاكمة في اسرائيل ، فقد رفض ادعاء ديان والتلويح بخطر الحرب ، لانه يرى ان الخطر بحد ذاته يكمن في التغاضي عن حل القضايا الداخلية : « سيكون ذلك بالنسبة لنا امرا ينطوي على جانب كبير من الخطورة اذا تخلينا عن ايجاد حلول للمشاكل الكبيرة التي تواجهنا بحجة تهديدات الحرب ، هذه التهديدات التي يمكن ان تبقى تحوم فوق رؤوسنا اعواما عدة ... ان العامل السلبي المتمخض عن المشاكل الاجتماعية قد يشكل في يوم من الايام خطرا جديا حتى من الناحية الامنية ، ولذا لا استطيع بأي حال من الاحوال قبول الادعاء القائل باستحالة رفع العلمين دفعة واحدة ، وكأننا اذا رفعنا علم الامن لا بد لنا من ان نطوي علم الاصلاح الاجتماعي . ينبغي علينا رفع العلمين معا »(٢) .

الى جانب ارتباط التفجرات الاجتماعية بحالة الامن ، هنالك عامل آخر اخذ ، بعد ولادته ونضوجه ، يزيد من حدة تفجر التناقضات الاجتماعية الناجمة عن التمييز الاثني ، واعني به عامل الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية . فالجيل الاول من ابناء هذه الطوائف

والذي يعرف بجيل الآباء كان في الخمسينات والستينات هو الذي يتصدى لواقعه البائس في مجتمع المهاجرين والمستوطنين الذي يسيره ويتحكم به ابناء الطبقة الفوقية من الطوائف الغربية ، وقد كان هذا الجيل ولا يزال يشعر ويحس بالضعة تجاه ابناء الطوائف الغربية ، ولذا فان تململاته وتحركاته من اجل تحسين اوضاعه لم تتعد المطالب اليومية الحياتية ، انه جيل يطلب ولا يأخذ ، اما جيل الابناء فانه يختلف اختلافا كليا عن الجيل السابق من حيث عدم السكوت على الغبن الواقع عليه . وهذا الامر واضح في مجتمعات المهاجرين ، فالمجموعات الاثنية المهاجرة حديثا الى مجتمع جديد تحاول بكل هدوء العيش ضمن المجتمع الجديد ، وتكبت نفسها بقدر الامكان اذا ما واجهت واقعا تمييزيا ، الا ان جيل الابناء من تلك المجموعات يتمرد على الواقع التمييزي ، خاصة اذا كانت قوانين ذلك المجتمع تدعو الى المساواة . وهذا الامر ينطبق تماما على الجيل الثاني من ابناء الطوائف الشرقية الذي نضج ، عند مطلع السبعينات ، وقام في عام ١٩٧١ بحركة تمردية على الواقع التمييزي ، يسعى الى الاخذ بالعنف وليس المطالبة باستعطاف ، يسعى الى استئصال اسباب مظاهر التمييز ولا يكتفي بتلبية حاجات آنية وذاتية . هذا العامل الجيلي له اثر كبير في زيادة حدة التفجرات الاجتماعية في اسرائيل. يمكن تلخيص ما سبق بالقول بأن مسألة تفجر التناقضات الاجتماعية مرتهنة بعاملين اساسيين ، الاستقرار الامني ، وظهور الجيل الثاني كقوة مختلفة عن الجيل السابق وان مشكلة كبت تلك التناقضات وحبسها مرتهنة بتصعيد التوتر الامني .

نعود الان الى القاء ضوء على التركيب البنيوي للمجتمع الاسرائيلي ، لكي تتسنى لنا معرفة التناقضات القائمة فيه وبالتالي معرفة هوية ما يعرف في اسرائيل بالهوة الاجتماعية .

يتشكل المجتمع الاسرائيلي كسائر المجتمعات الاخرى من طبقات ، فهنالك طبقة برجوازية كبيرة وطبقة برجوازية متوسطة واخرى صغيرة، وفي المقابل طبقة عمالية وفلاحية وفئات « هامشية » او ما يسمى بالبروليتاريا الرثة ، وهي التي اخرجت من جوفها حركة الفهود السود عند مطلع ١٩٧١ ، الا ان هذا المجتمع يتميز عن المجتمعات الاخرى بكونه مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، كان ولا يزال يعتمد على الهجرة والاستيطان الى ان تكتمل عملية جمع «يهود الشتات» في «دولة اليهود». والامر الذي يسترعي الانتباه والاهتمام معا هو ان حدة التناقضات القائمة في المجتمع الاسرائيلي لا تكمن في عامل الصراع الطبقي بقدر ما هي كامنة في عامل الصراع الاثني الطائفي، ذلك ان التقسيم الطبقي يقابله تقسيم اثني طائفي رئيسي ، يهود البلدان الغربية (اكثريتهم الساحقة من يهود شرق اوروبا - اشكناز) ويهود بلدان آسيا وافريقيا اكثريتهم الساحقة من البلدان العربية (اسفارديم). وتتوزع الاكثرية الساحقة من ابناء الطائفة الاولى على مجموعة من الطبقات العليا في المجتمع ، بينما يتوزع سواد ابناء الطائفة الثانية على مجموعة الطبقات الدنيا . اي انه اذا القينا نظرة على الهرم الاجتماعي القائم في اسرائيل نرى ان الطبقة الفوقية منه قد استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الغربية ، وان الطبقة التحتية منه قد استقطبت الاكثرية الساحقة من ابناء الطوائف الشرقية . من الجائز القول ان الهوة الاجتماعية القائمة في اسرائيل ناجمة بالاساس عن عملية الصراع الطبقي ، ولكن من الصحيح والمؤكد ان عملية استقطاب وتجسيد الطبقات قد جرت على اساس طائفي اثني ، لعب فيها العامل الاثني دورا اساسيا ، ولذا فان الهوة الاجتماعية القائمة هي بين ابناء الاشكناز كطبقة فوقية وبين ابناء الطوائف الشرقية كطبقة تحتية .

على انه ينبغي ان لا يغيب عن بالنا وجود هوات اجتماعية اخرى الى جانب الهوة الرئيسية التي نحن في صدد الحديث عنها ، فالمجتمع الاسرائيلي الذي يحتضن مهاجرين قدموا من ١٠٢ بلد ويتكلمون ٨٢ لغة(٣) يعاني من الهوة بين المهاجرين الجدد والمهاجرين

القدامى . وكذلك دولة اسرائيل التي يفترض ان تكون وفق المبادىء الصهيونية « دولة اليهود » وليس دولة يهودية ، تعاني من الهوة القائمة بين الفئات المتدينــة والفئات اللادينية ، ولعل هذه الهوة من ابرز القضايا التي عايشت مجتمع اليشوف قبل قيام الدولة ولا زالت تعايش المجتمع الاسرائيلي حتى الان . فالمتدينون وهم يشكلون نسبة تقارب الــ ٣٠ ٪ من مجموع السكان اليهود في اسرائيل (نحو ١٥ ٪ مــن المقترعين صوتوا الى احزاب دينية في الانتخابات الاخيرة) يدعون الــى التمشي وفق الشريعــة اليهودية في جميع المجالات ، كما يطالبون بالحفاظ على الطابع الديني للدولة . بينما يدعو اللادينيون الى فصل الدين عن الدولة وهذا امر بعيد المنال في اسرائيل على الرغم من ان موجهي سياستها لا دينيون . والامر اللافت للنظر هو ان هذه الهوة كان لها مفعول قوي في سير عملية التوزيع السكاني في اسرائيل ، فالمتدينون وخاصة المتطرفين منهم يعيشون ويتجمعون في كيبوتسات او موشافات او ضواحي خاصة بهم ولا يسمحون لغير المتدين بالعيش بين ظهرانيهم . ومن الجدير بالذكر ان عملية الاستقطاب هنا تسير ايضا في مسار اثني طائفي . فالمتدينون الاشكناز (وهم متدينون غلاة) يستقطبون في أماكــن معينة ، بينما المتدينون الاسفاراديم (وهم متدينون معتدلون) يستقطبــون في أماكن اخرى . ان الهوة القائمة بين المتدينين واللادينيين على قدمها واستدامتها في اسرائيل ، تعبر عن الصراع القائم بين الفكر المتزمت وبين الفكر المتقدم ، بين التمسك بأهداب الشريعة اليهودية ، وبين الافكار العلمانية ، ولا تعبر من قريب او بعيد عن استغلال طبقة لطبقة أو استعباد فئة لفئة كما هو الحال في الهوة الاجتماعية بين ابناء الطوائف الغربية وابناء الطوائف الشرقية .

نعود الآن الى العوامل التي جعلت من اليهود الغربيين (الاشكناز) يشكلون الطبقة الفوقية من البنية الهرمية للمجتمع الاسرائيلي ، واهم هذه العوامل هي :

١ ـــ ظهور المسألة اليهودية في اوروبا وولادة الحركة الصهيونيـــة بين صفوف ابناء الاشكناز وتأصلها في نفوسهم كردة فعل لسياسة الاضطهاد والتمييز التي كان يعاني منها هؤلاء في معظم الاقطار الاوروبية ، دون ان تكون هنالك مسألة يهودية لدى الطوائف الشرقية ، وبالتالي لم تكن الحركة الصهيونية قوية جياشة بين صفوفهم ، بل اكتسبتها طائفة الاشكناز اكتسابا ، مما تأتى عن ذلك تزعم ابنــاء الطوائف الغربية وشغلهــم لمؤسسات الحركة الصهيونية كافة ، دون أن يكون لابناء الطوائف الشرقية دور يذكر في هذه المؤسسات . ٢ ـــ التفوق العددي لابناء الطوائف الغربية عشية قيام الدولة ، فقد كان هؤلاء يمثلون نسبة ٩٠ ٪ من مجموع السكان اليهود وبالتالي سيطروا على مرافق الدولة كافة . ٣ ـــ الاحساس بالتفوق الحضاري لدى ابناء الطوائف الغربية ، مما ولد لديهم نظرة استعلاء تجاه الطوائف الشرقية ، تتحول في كثير مــن الاحيان الى نظرة احتقار . ٤ ـــ التعويضات الالمانية التي تلقتها اسرائيل في بداية الخمسينات والتي كانت من نصيب خزينة الدولة وجيوب فئات واسعة من ابناء الاشكناز بحجة تضررهم من ويلات الحرب العالمية الثانية ، الامر الذي كان له الاثر في توسيع الهوة الاقتصادية بين ابناء الطائفتين . ٥ ـــ سعي الاشكناز الحثيث الى جعل الدولــة ذات طابع اوروبي محض ، وهذا امر طبيعي بالنسبة لهم لكونهم مهاجرين منحدرين من اصول حضارية اوروبية ، وتخوفهم من أن يؤدي ولوج ابناء الطوائف الشرقية الى مراكز القوى ومرافق الدولة ومؤسساتها الفعالة الى تغيير شكل الدولة وطابعها من طابع اوروبي يسعون اليه ، الى طابع شرق اوسطي لا يريدونه . ٦ ـــ واخيرا ، كان مــن نتيجة سياسة الاستعمار الخالص في فلسطين ، وما تأتى عنها من انتهاج سياسة العمل العبري في فترة اليشوف (أي اقتصار العمل في جميع مرافق اليشوف على الايدي العاملة اليهودية ، والاستغناء عن الايدي العاملة العربية) ان بدأ التفكير لدى قادة الحركة الصهيونيــة

وزعمائها باحلال اليهود الشرقيين محل الايدي العاملة العربية .

كان من نتيجة هذه العوامل مجتمعة ، وعلى الرغم من تزايد عـدد اليهود الشرقيين في الخمسينات ، اذ اصبحوا يشكلون نصف السكان اليهود ، وتزايد عددهم في الستينات حتى غدوا يشكلون نحو ٦٥ ٪ من السكان اليهود ، ان خلق في المجتمع الاسرائيلي وضع خاص قائم على التمييز ، تشغل فيه الاقلية (فئة الاشكناز) الشرائح الاجتماعية العليا من الهرم ، وتحتل الاكثرية (الطوائف الشرقية) الشرائح الاجتماعية الدنيا منه .

فلو القينا نظرة على الواقع الاسرائيلي بعد مرور ٢٤ عاما على قيام الدولة لتبدت لنا صورة مذهلة عن التمييز القائم هناك ، فالحكومة الاسرائيلية كانت ولا تزال تتشكل من ابناء الاشكناز مع المحافظة على تخصيص حقيبة او حقيبتين وزاريتين (الشرطة وفي بعض الاحيان الشؤون الاجتماعية) لابناء الطوائف الشرقية ، اما الوكالة اليهودية وتعتبر في اسرائيل بمثابة الحكومة الثانية ولها دور كبير في تجسيد مجتمع اليشوف وبلورته ، ومن ثم المجتمع الاسرائيلي ، فانها تكاد تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية ، وفيما يتعلق بالحكومة الثالثة (الهستدروت) التي من المفروض ان تحافظ على مصالح الطبقة العاملة التي يتشكل سوادها الاعظم من ابناء الطوائف الشرقية ، نجد ان المتربعين على زمام الامور فيها من ابناء الاشكناز . وهنا لا بد لنا من التوقف قليلا عند النسبة التي يمثلها ابناء الطوائف الشرقية في الوظائف الكبيرة في الدولة . يقول عضو الكنيست بن فورات ان بين مجموع ٣٠٠ موظف كبير يشغلون الوظائف العليا في الدولة هنالك فقط ثمانية او تسعة من ابناء الطوائف الشرقية اي انهم يحتلون نسبة ٣ ٪ مـن الوظائف العليا(٤) . وفيما يتعلق بالاحزاب الممثلة في الكنيست نجد ان جميع رؤسائها دون استثناء ابتداء بالاحزاب اليمينية والدينية ومرورا بالاحزاب العمالية وانتهاء بالحزب الشيوعي بجناحيه مبنية على « طهارة الاشكناز » . وفيما يتعلق بعدد ابناء الطوائف الشرقية في البرلمان الاسرائيلي فانه يناهز خمس عدد النواب ، وحتى هذا الخمس لا يجرؤ على المطالبة بازالة اسباب التمييز الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية الا بالقدر الذي تسمح به الاحزاب التي ينتمون اليها . وكما يقول الدكتور يوحنان بيرس : « ان الاشكناز هم الذين يقررون من يمثل الطوائف الشرقية في الكنيست والهستدروت واللجنة التنفيذية الصهيونية ، انها عملية اشراك وليست عملية تمثيل فاذا ما تجرأ احدهم وشق عصا الطاعة ، فمن الممكن تغييره بسهولة » الامر الذي حدا باعضاء المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الذي عقد في اواخر شهر آذار الماضي في اسرائيل الى توجيه مذكرة الى رئيسة الحكومة غولدا مئير ، لرفع عدد النواب في الكنيست من ١٢٠ الى ١٥٠ بغرض تمكين اليهود الشرقيين من تمثيل انفسهم « بشكل ملموس »(٥) . وبالنسبة لمرافق الدولة الاقتصادية وادارة الشركات والمصانع فانها تكاد تكون حكرا على ابناء الاقلية .

لا بد هنا من الاشارة الى ان هنالك شريحة اجتماعية واهية خرجت من بين صفوف ابناء الطوائف الشرقية واستطاعت التسلل والتسلق الى القاعدة الفوقية في الهرم ، وهذا امر طبيعي في مجتمع قائم على التمييز الاثني . وقد بدأ المتمردون من ابناء الطوائف الشرقية يشعرون بخطورة تملق ابناء هذه الشريحة ، وينعتون البعض منهم بالخيانـة ، ففي المؤتمر العالمي لمهاجري مراكش الاخير ، تصدى احد اعضاء المؤتمر ويدعى « لاسري » لسكرتير مجلس عمال اسدود « عمرام دوبرون » حين قال : « اردت ان اقول لكم انه بالامكان النجاح في اسرائيل اذا كانت هنالك رغبة في ذلك » تصدى له قائلا : « انك لخائن ، انت كاولئك الزنوج في الولايات المتحدة الذين يستلمون وظيفة ويصبحون الى جانب المؤسسة ، انهم يسمون هناك « زنوجا بيضا » اما انت فانك بمثابة « اسود ابيض » يداهن المؤسسة »(٦) .

ذكرنا سابقا ان عملية الاستقطاب الاجتماعي قد سارت في مسار اثني ، وقد انعكس

هذا الواقع على عملية سير التوزيع السكاني ، مما تأتى عنه ، بشكل تدريجي بروز ضواحي في كل مدينة ذات طابع اثني مميز ، وظهور مستوطنات منتشرة هنا وهناك تخص هذه الفئة او تلك . بمعنى آخر ظهور ضواحي « راقية » في المدن استقطبت ابناء الطوائف الاشكنازية وضواحي « فقيرة » استقطبت ابناء الطوائف الشرقية ، وكذلك الحال بالنسبة للمستوطنات فهنالك مستوطنات غنية استقطبت ابناء الطبقة الفوقية ، ومستوطنات متخلفة وفقيرة استقطبت ابناء الطبقة التحتية . الى جانب ذلك هنالك ضواح وقرى مختلطة ، شادتها السلطات الاسرائيلية في محاولة تجريبية منها لدمج «يهود الشتات» تمشيا مع سياسة الدمج المعلنة ، بيد ان تجربة الدمج قد باءت بالفشل ولم تؤت بالثمار المرجوة منها ، بل اساءت الى حركة التطوير وخاصة في المستوطنات . يقول الكاتب الاسرائيلي موشيه شاريت في دراسة قيمة له حول مشاكل دمج يهود الشتات في اسرائيل : « ماذا اتضح لنا بالفعل ؟ لقد اتضح ان مسألة دمج يهود الشتات ليست تحت متناول اليد ، وان اسلوب خلط العناصر كان بمثابة حجر عثرة امام الاستيطان ، ان الجهد الطلائعي للاستيطان والتكيف والقرية والفلاحة يتطلب روحا جماعية ، وهذا الامر لا يتطور بين اناس ينتمون الى حضارات مختلفة ، ويتحدثون لغات مختلفة ، ولهم عادات مختلفة . انهم لا يشكلون وحدة اجتماعية ، وليسوا اهلا للجهد المشترك والمساعدات المتبادلة ... ان القرية المختلطة منقسمة على نفسها وتعاني من التوترات الطائفية ، وتمتص نزاعاتها جهودا غالية بدل ان تكرس هذه الجهود في ميادين البناء . ان الحياة الاجتماعية : الحفلات والاعياد والمناسبات العائلية لا تشكل عاملا موحدا بل تبرز الفوارق والتناقضات ، وفي الانتخابات يحل الولاء الطائفي محل اعتبارات قدرة المرشح او استقالته مما يضر بمصالح البلدة ... »(٧) .

هذا فيما يتعلق بالقرى الزراعية المختلطة ، اما الضواحي المختلطة في المدن فان تجربة الدمج قد فشلت هي الاخرى ، فالعلاقات الاجتماعية في هذه الضواحي لا تزال سطحية وتقتصر على المجالات الفنية ، انها نابعة عن الاتصال الناجم عن اللقاءات العرضية على المدرج وفي باحة المنزل والحانوت ، او نتيجة المفاوضات المشتركة باسم الضاحية مع عناصر خارجية مختلفة ، وتندر في هذه الضواحي الزيارات المتبادلة والرحلات المشتركة لابناء مختلف الطوائف ، اما مقاهي الضواحي ونواديها المختلطة فانها تستقطب السكان هناك حسب انتمائهم الاثني(٨) . ويؤثر هذا الوضع تأثيرا كبيرا من الناحية الاجتماعية على الاقلية الاثنية في الضاحية خاصة اذا كانت تشعر بأنها محاطة بكثرة ساحقة من ابناء الطوائف الاخرى ، ففي حي وادي الصليب مثلا هنالك بضع عائلات اشكنازية بقيت هناك بعد أن عجزت عملية الاستقطاب الاثني عن جذبها ، وبالرغم من مرور ٢٢ عاما فان هذه العائلات بقيت منطوية على نفسها ولا تتفاعل مطلقا مع حياة الحي . يصف « مئير شتايمتس » علاقاته مع سكان الحي في ضوء تجربة ٢٢ عاما « لا شأن لي مع أي واحد هنا ، ان هؤلاء ليسوا أصدقائي ، وانني لا ابحث عن صداقتهم »(٩) .

ان الشعور بالانتماء الاثني هو وليد التناقضات الكامنة في مجتمع المهاجرين والمستوطنين ، ولم يرافق هذا الشعور آباء اليهود الاسرائيليين الذين لم يقدر لهم المجيء الى اسرائيل ، بل يمكن القول انه يكاد يكون معدوما لدى اليهود الموجودين في بقاع الارض ، اذ ان شعورا آخر كان يستحوذ على تفكير معظمهم ، وهو الشعور بالانتماء اليهودي . اما في حالة قدوم الانسان اليهودي الى اسرائيل فان الشعور بالانتماء الاثني يبدأ يعتمل بين جوانحه ، وهذا الامر يعتبر بمثابة انقلاب في حياته . فاليهود الرومانيون كانوا يعتبرون انفسهم « يهودا » اولا ، وكذلك الامر يقال بالنسبة لسائر الجاليات اليهودية في البلدان المختلفة ، اما في حالة المجيء الى إسرائيل (مجتمع المهاجرين) فان اليهودي يتحول الى « روماني » او « عراقي » او « مراكشي » .. إلا انه ينبغي التنبه

الى ان هذا الانقلاب يختلف من حيث الشدة بين الفئات المختلفة ، فالفئات المسحوقة هي اكثر الفئات بالاحساس الوليد .

وقد مس الدكتور اليكس فينجورد هذا الموضوع فيدراسة له حول «التغيير والاستمرارية في مستوطنة لمهاجري شمال افريقيا » بقوله : « مع ان الهوية اليهودية هـي واقع اجتماعي ينطوي على مركزية في اسرائيل ، الا اننا نجد الى جانبها أنواعا من الهويات الاخرى ، ونلاحظ ان الهوية اليهوديـــة ، وهي بمثابة امر بديهي ، تبدأ تأخذ وزنا ثانويا فقط . ففي دول الهجرة يغدو الاصل او الحضارة وحتى المظهر ذا معنى اجتماعي كبير . وحسب هذه الحقائق تتحدد الفوارق بين شخص وآخر . وهكذا يحدث ان اليهود في مراكش يعتبرون « يهودا » بينما في اسرائيل يتحولون الى «مراكشيين» . ان المستوطنين يرون انفسهم من خلال هذا المنظور ، وكذلك الاخرون ينظرون اليهم بالمنظور نفسه . ومن الناحية-الفعلية استبدل هؤلاء هوية بهوية اخرى » .

ويشير الدكتور اليكس الى دور الطبقة العليا من الهرم الاجتماعي في اثارة الاحساس بالانتماء الطائفي لدى الفئات المستغلة قائلا : « ان واقع كون مراكز القوى كافة بأيدي الاشكناز يساعد على تأكيد هذا الوضع »(١٠) .

الى جانب ذلك كان للاحزاب الاسرائيلية دور في « تأكيد هذا الوضع » فقد درجت تلك الاحزاب في مواسم الانتخابات البلدية والمحلية في قرى التطوير (اغلبيتها مـن ابناء الطوائف الشرقية) على استغلال العامل الاثني من اجل الفوز بأصوات سكـان القرى وللحيلولة دون ولادة قيادة مستقلة من بين صفوف هؤلاء السكان . « فالعائلات الكثيرة الاولاد » وهو اصطلاح يحمل عادة بين ثناياه روحا نقدية وسلبية في اسرائيل ، تغدو في برامج الاحزاب عشية الانتخابات « العائلات المباركة بالاولاد » ، كما ويصبح « اخواننا المهاجرون من شمال افريقيا » موضع منافسة بين تلك الاحزاب . ومن الجدير بالذكر ان بعض الاحزاب كانت تركز في منشوراتها ــ كما يقول شلومو دشان من جامعة تل ابيب في بحث له حول هذا الموضوع ــ على اصل مرشحيها ومسقط رأسهم مع ذكر تفاصيل حياة كل منهم ، وتقوم بتوزيع تلك المنشورات بين صفوف الطائفة التي ينتمي اليهـا المرشح ، فاذا كان المرشح « عوباديا » فان المنشور يركز على نشأته في تونس ويسرد تاريخ حياته محترما اياه بقوله : « انه ملائم ومحبوب ... انه شاب ويتحلى بنظرة شابة تجاه قضايا المدينة ، انه يريد ويقدر على مساعدتك ومساعدة اصدقائك ، صوت الى جانبه »(١١) . اما اذا كان المرشح من مواليد اوروبا فان المنشور يصاغ بشكل آخر بما يتناسب ومخاطبة عقلية ابناء الطوائف الغربية ويقتصر توزيعه على ابنـاء تلك الطوائف .

بعد انتهاء موسم الانتخابات، يغدو مسقط راس الانسان وخاصة ابناء الطوائف الشرقية، موضع سخرية من قبل الفئات الاخرى . فعندما يتوجه يهودي من اصل مراكشي لقضاء حاجة له في مكتب حكومي ، ويصرخ في وجه الموظفين الاشكناز في حالة عدم تلبية طلبه ، فان التقليد الدارج هناك الذي يتفوه به الموظفون الاشكنـاز : « لماذا يصرخ هـذا المراكشي »(١٢) .

بيد ان « المراكشي » بشكل خاص والشرقي بشكل عام ، اخذ بعد ظهور حركة الفهود السود لا يرى في مسقط رأسه او مسقط راس آبائه شيئا معيبا ، بل غدا في بعض الاحيان يؤكد عليه ويرفعه الى مرتبة الاعتزاز المشفوعة بالتحدي . ففي افتتاح مؤتمر مهاجري شمال افريقيا الاخير ، وفي اعقاب تطرق رئيسة الحكومة غولدا مئير في كلمة لها الى الهوة الاجتماعية والى ذكر احصائيات حول ما تعتزم الحكومة عمله من اجـل تقليص الهوة الاجتماعية ، قاطعها ادي ملكا احد قادة الفهود بصوت عال : « هـل

ستحققين ذلك في مستوطنة مرجليوت او شلوميت ؟ الا تخجلين على نفسك من الظهور في مؤتمر مهاجري **مراكش** ؟ انا **مراكشي** ؟ »

رئيسة الحكومة : « انا يهودية .. »

ملكا : « انا **يهودي ومراكشي** »

رئيسة الحكومة : وماذا ايضا ؟

ملكا : انا « فهد أسود »

رئيسة الحكومة : « هذا هو بالضبط »(١٣).

ان الاحساس المتزايد بالانتماء الاثني ، نتيجة اتساع الهوة الاجتماعية ، جعل الكثيرين في اسرائيل وخاصة من ابناء الطوائف الشرقية يعتقدون بأن المجتمع الاسرائيلي يسير في اتجاه خلق شعبين في داخله لا شعب واحد : « ماذا ستكون النهاية ؟ سنصبح هنا شعبين ، شعب الاسياد وشعب الخدم »(١٤). اما رفائيل مرتسيانو احد قادة الفهود السود فيعتقد بوجود شعبين داخل المجتمع الاسرائيلي ، شعب اشكنازي وآخر سفارادي ، ويدعو مفكري اليهود ومثقفيهم الاسفاراديم الموجودين خارج اسرائيل الى المجيء للدولة « لقيادة الشعب الاسفارادي الذي يشكل الاكثرية في اسرائيل»(١٥). ولعل الشعور بالاغتراب هو الحافز الكامن وراء هذه الدعوة ، ذلك ان حركة الفهود السود وليدة الهوة الاجتماعية ، قد ساعدت على تنمية الشعور بالاغتراب تجاه الدولة وتطويره ، خاصة وان اليهود الشرقيين لا يشعرون بأنهم شركاء في قيادة الدولة او في البت في القرارات الهامة ، مما خلق نوعا من الشعور بالاغتراب .

قبل التطرق الى نظرة الاسرائيليين وخاصة المسؤولين او المهتمين منهم تجاه الهوة الاجتماعية وماهيتها لا بد من التطرق قليلا الى نظرة اليهود المهاجرين حديثا الى اسرائيل تجاه الهوة لكي يتسنى لنا الوقوف على الهوة بين التصور والواقع ، بين الصورة المرتسمة في ذهنية اليهود خارج اسرائيل تجاه المجتمع الاسرائيلي ، وبين الصورة الحقيقية لهذا المجتمع . ونورد هنا مثلين على الهوة بين التصور والواقع : تطرق طلبة يهود هاجروا حديثا الى اسرائيل من الاتحاد السوفييتي في اثناء ندوة عقدوها مع طلبة من اليهود المغاربة في الجامعة العبرية الى الموضوع : « في الاتحاد السوفييتي لم نكن نعرف مطلقا انه يوجد في اسرائيل قضية طائفية وانه يوجد « سود » و« بيض » لقد كانت الصحف السوفييتية تنشر وتؤكد على وجود هذه القضايا ، بيد اننا لم نصدقها . انه لامر سيء أن تكون هذه الامور قائمة ، اننا جميعا شعب واحد وليس طوائف طوائف »(١٦). وتتحدث المحامية « لاره فايسبلات » وهي مهاجرة جديدة من الاتحاد السوفييتي عن تصورها والواقع الذي واجهته بقولها : « لم أؤمن في حينه للصحافة السوفييتية التي كتبت حول الصراعات في اسرائيل بين الطوائف ، بين البيض والسود ، بين المهاجرين القدامى والمهاجرين الجدد ، انه لامر مؤسف ان اقرر بأن الصحافة الروسية لم تكذب »(١٧).

لا يختلف اثنان في اسرائيل على ان المجتمع الاسرائيلي يعاني من هوات اجتماعية متعددة وعلى راسها الهوة الاجتماعية بين الطوائف الغربية والطوائف الشرقية التي نحن بصدد الحديث عنها ، الا ان الاختلاف يكمن في مسبباتها وعواملها كما وهنالك شبه اجماع على ان التمييز قائم في المجتمع الاسرائيلي ، بيد ان وجهات النظر متضاربة ومختلفة حول التمييز ، هل هو تمييز مقصود او غير مقصود ؟ ويرى البروفيسور يوحنان بيرس استاذ علم الاجتماع في جامعة تل ابيب ، ومن اشهر الباحثين الاجتماعيين في العلاقات الاثنية بين الطوائف في اسرائيل ، ان الهوة بين الطوائف الشرقية والغربية في اسرائيل شبيهة

الى حد ما بالهوة القائمة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة ، بين الولايات المتحدة مثلا ومصر ، بين فرنسا والهند ، بين المانيا والهند الصينية ، وانه لا امل بسد هذه الهوة القائمة بين تلك الدول بل العكس هو الصحيح ، فالهوة دائما تتوسع لان البلدان الاكثر تطورا تعرف كيف تسخر الظروف التكنلوجية لمصلحتها ، « وكذلك هي الحال داخل الدولة ، ففي المنافسة الحرة تتقدم الطوائف المكونة تقدما نسبيا بسيطا ، بينما تتقدم الطوائف القوية تقدما كبيرا ، ان المنافسة الحرة تقضي على الضعفاء بالتخلف ، وتؤدي بالاقوياء الى التقدم »(١٨) .

لا ينكر المسؤولون الاسرائيليون وجود الهوة الاجتماعية الا انهم يفسرون اسبابها وعواملها تفسيرات مختلفة ، فيرى البعض فيها ، من بينهم رئيسة الحكومة غولدا مئير ، انها « مستوردة من الخارج » . والحقيقة ان هذه الرؤية لا تستند الى الواقع ، وان دلت على شيء فانها تدل على عجز السلطات الاسرائيلية عن حل هذه القضية بسبب التركيبة الاجتماعية الفريدة من نوعها لمجتمع المهاجرين والمستوطنين . هذا مع العلم بأن القائلين بوجهة النظر هذه يقفون مع وجهة نظر الفئة العسكرية التي ترى استحالة رفع الرايتين الامنية والاجتماعية في آن واحد ، ومن المعروف ان الراية الامنية تنال حصة الاسد من الخزينة الاسرائيلية . ومع ذلك فهنالك مسؤولون يرون ان الهوة ناجمة عن « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » ولا يعتبرونها مستوردة مثل سكرتير الهستدروت يتسحاق بن اهارون : «ان المجتمع الاسرائيلي يكتشف اليوم عن نقاط ضعف خطرة للغاية ، وانحرافات خطيرة عن الاهداف الاساسية للدولة ، التي من شأنها ــ لا سمح الله ــ ان تعرضها للخطر وتدمرها .. ان المسؤول عن المكاسب والانتصارات والاحتلال ينبغي عليه أن يكون مسؤولا عن الفشل الاجتماعي . صحيح ان معظم المتضررين من الفقر والاستقطاب الاجتماعي هم من ابناء الطوائف الشرقية ، بيد ان ذلك ليس ناجما عن تمييز بل عن عيوب اقتصادية واجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة . . . منذ حرب الايام الستة تفجرت هوة اجتماعية مؤشراتها الاساسية تتمثل في توزيع غير عادل للكعكة القومية »(١٩) .

لقد مس سكرتير الهستدروت جانب الحقيقة باقراره بأن الهوة من صنع محلي ، بيد انه لم يجرؤ او على الاقل تهرب من التطرق الى اسباب وعوامل « العيوب الاقتصادية والاجتماعية من جانب العناصر الحاكمة في الدولة » وكيف يمكن ازالتها . لم يتطرق بن أهارون الى التمييز التمثيلي الذي يعاني منه ابناء الطوائف الشرقية في الهستدروت ، هذا التمييز الذي يعتبره البروفسور يوحنان بيرس من العوامل الرئيسية في بروز الهوة الاجتماعية واتساعها « ان ممثلي الطوائف الشرقية في الهستدروت اقلية ضئيلة على الرغم من كون الطوائف الشرقية تشكل السواد الاعظم من الطبقة العاملة »(٢٠) وهذا يعني ان الهستدروت تمثل مصالح فئة معينة على حساب فئة اخرى ، ولم يبتعد رأي مرتسيانو احد قادة الفهود السود عن الحقيقة عندما ذكر « ان الهستدروت لا تمثل العمال بل ارباب العمل » وغني عن القول ان طبقة ارباب العمل تتشكل اكثريتها الساحقة من ابناء الاشكناز .

هنالك فئة من الكتاب الاسرائيليين ، وخاصة من بين أوساط الاشكناز مثل « أوري دان » من يرى ان الهوة الاجتماعية امر طبيعي ، وهي ناجمة بالاصل عن التفاوت الحضاري بين المهاجرين . وبما ان طائفة الاشكناز تتفوق حضاريا على ابناء الطوائف الشرقية فمن الطبيعي ان يتربع « المتحضرون » على مقاليد الامور في البلاد ، ومن الطبيعي ايضا ان يحتل المتخلفون المراكز الدنيا . ويذهب الى ابعد من ذلك اذ يقول « لو ان دولة اسرائيل اقيمت في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لكان يهود أوروبا يشكلون الفئات الدنيا في المجتمع »(٢١) . ان أوري دان وكثيرين غيره من الكتاب الاسرائيليين يعتقدون بأن

التمييز والهوة الاجتماعية ناجمان عن التفاوت الحضاري ويعتبرون ذلك بمثابة امر طبيعي ، وهم يلتقون بذلك مع القائلين بأن الهوة الاجتماعية « مستوردة » متغاضين عن الواقع التمييزي القائم في اسرائيل .

ان الواقع التمييزي هو الذي يوسع شقة التفاوت الحضاري ويدل على ان الهوة ليست مستورده بل من انتاج محلي . ويدرك ابناء الطوائف الشرقية هذا الواقع ويتساءلون : « لماذا ينبت الكتاب والعلماء والاطباء والمحامون والمهندسون بين صفوف الطوائف الشرقية في خارج اسرائيل ، بينما يندر عددهم في البلاد ؟ الا يعني ذلك شيئا ؟ »(٢٢) .

ويحمل امنون معلم (من اصل عراقي) المجتمع الاسرائيلي ما يسمى «التخلف الحضاري» لابناء الطوائف الشرقية ، مدركا ان الهوة الاجتماعية هي من انتاج محلي بقوله : لماذا يتغاضى هؤلاء الاختصاصيون عن واقع واحد : في اعوام الثلاثينات والاربعينات نجح العراق في تخريج ثانويين واكاديميين يهود اكثر بكثير مما خرجت اسرائيل خلال فترة ١٩٥١ ــ ١٩٧١ . ويضيف ان الكثيرين من هؤلاء اليهود خريجي المعاهد العراقية قد واصلوا دراساتهم في الجامعات المشهورة في بريطانيا وانهوا دراساتهم بامتياز ويقوم الكثيرون منهم بشغل وظائف علمية واقتصادية محترمة على الرغم من « التخلف التاريخي »(٢٣) . ويعتقد امنون معلم ان الواقع التمييزي الذي واجهه اليهود الشرقيون منذ مجيئهم الى اسرائيل ، بالاضافة الى الصورة السلبية التي خلقتها وسائل الاعلام الاسرائيلية والصقتها بأبناء الطوائف من « مهاجري البلدان المتخلفة » بالاضافة الى « فيروس » العنصرية الذي لا يزال يعتري فئات كثيرة في مجتمعنا مستشهدا بأولاد أشكناز ظهروا في برنامج تلفزيون واوضحوا ان آباءهم يحذرونهم من اللعب مع أولاد الاسفاراديم ، يعتقد امنون ان هذه العوامل هي السبب في الهوة واتساعها . اما سمحون بن شاؤول ، رئيس رابطة مهاجري شمال افريقيا ، فينسف وجهة النظر القائلة بأن الهوة « مستوردة » من الخارج ، مشيرا باصبع الاتهام الى المجتمع الاسرائيلي ، في مقارنة له بين خريجي الجامعات في اسرائيل من اليهود المغاربة وبين خريجي جامعة فاس من بين صفوف الجالية التي بقيت هناك « يوجد في اسرائيل ٤٥٠ شخصا من مهاجري شمال افريقيا انهوا دراساتهم الجامعية خلال الثلاثة والعشرين عاما لقيام الدولة . هذه مهزلة . سأطرح امامك مثالا : انني هاجرت من مدينة فاس في المغرب ، حيث بقي هناك نحو ثلاثة آلاف يهودي ، لقد تخرج من وسط هذه الجالية خلال الثلاثة والعشرين عاما الاخيرة أكاديميون أكثر بكثير ممن تخرجوا خلال سني قيام الدولة من وسط جمهور يزيد تعداده على ٤٠٠ الف نسمة من مهاجري المغرب في اسرائيل»(٢٤) .

هذا بالنسبة للاوضاع التعليمية والثقافية ، اما فيما يتعلق بالظواهر السلبية التي يشار اليها بأنها « مستوردة » فقد كشف وفد يمثل طلبة الطوائف الشرقية اثناء اجتماعه برئيسة الحكومة زيف هذا الادعاء بقوله : « ان ظاهرة الاجرام والزنى لم تكن معروفة بين صفوف الشبيبة اليهودية في شمال افريقيا مثلما هي عليه في البلاد » . ولم تنبس غولدا مئير ببنت شفة عند سماعها ذلك على الرغم من انها من القائلين بـ «الاستيراد» . اما رئيس المجلس المحلي في أور يهودا ، يحزقيل قزار (من اصل عراقي) ، فقد اشار باصبع الاتهام الى المجتمع الاسرائيلي بقوله : « يتهمون مهاجري البلدان الاسلامية بأننا بؤرة اجرام وزنى ، ويتناسون ان اليهود في هذه البلدان لم يعرفوا البتة معنى الاجرام والزنى . ان المجرمين والزانيات من مهاجري البلدان الاسلامية هم اولئك الذين ولدوا في البلاد »(٢٥) .

ان سبب تخلف اليهود الشرقيين في اسرائيل وعدم مواكبتهم سير التطور الحضاري اسوة باخوانهم الموجودين في الخارج ، نابع عن التمييز الواقعي الذي يعانون منه في المجتمع الاسرائيلي . والحقيقة ان ابناء الطوائف الشرقية يبدأون يشعرون برائحة التمييز عندما

تطأ اقدامهم اسرائيل ، حيث يبدأ الصراع بين التصور والواقع ، بين ما سمعوه من وعود وردية من قبل دعاة الصهيونية في الخارج وبين صخرة الواقع التي ترتطم عليها هذه الوعود . يقول احد نشيطي الطائفه العراقيه حول التمييز في المعاملة : «... في ذلك الوقت قدمت هجرة من رومانيا ، ويتمثل الظلم الصارخ في كيفية استيعاب الطائفتين بشكلين مختلفين ، لقد نقلوا اولئك بسيارات الاوتوبيس واستقبلوهم استقبالا حارا مع الشرح والتوضيح ، بينما نقلونا في سيارات شحن بدون كلمة طيبة — وهكذا بدأنا نشعر بالغبن»(٢٦) . ومن الجدير بالذكر ان التمييز الذي يواجهه ابناء الطوائف الشرقية هو تمييز واقعي غير مكتوب ولا يمكن للباحث ان يعثر على اي نص في القوانين الاسرائيلية يشير الى التمييز (بين الطائفتين) ، الا انه موجود في جميع المجالات . فاليهودي الشرقي حتى ولو نجح في منافسة بينه وبين يهودي غربي ، فان الوظيفة لن تكون من نصيبه ، مع ان القانون لا يقول بذلك ، بيد ان الواقع يشير الى ذلك ، كما يقول « يئير عوزاري » في ندوة حول موضوع الهوة الاجتماعية نظمتها مجلة شدموت الناطقة بلسان الحركة الكيبوتسية « فلنتحدث بصراحة . ان الذي يتحدث حول امكانية منافسة حرة ما هو الا بمثابة من يذر الرماد بالعيون . ليس هنالك منافسة حرة ، فحتى ولو أبدى مهاجرو البلدان الاسلامية تفوقا في مقدرتهم على شباب مهاجري اوروبا فانهم لن يحظوا بالوظيفة»(٢٧) .

ولكي ندرك التمييز الواقعي غير المكتوب الناجم عن البنية الهرمية الفريدة من نوعها للمجتمع الاسرائيلي لا بد من طرح صور للاستشهاد وللتدليل على التمييز ، صورة المهاجر الروسي الذي ينال بيتا ومنزلا وفي بعض الاحيان توفر له « حانوت » بواسطة سلطات الاستيعاب من اجل العيش ، وعلى الرغم من ذلك فانه يحتج ... على ان الحكومة لا توفر له الزبائن ... وفي المقابل صورة أولئك المسحوقين الذين يقولون « لقد اعطونا بصعوبة بالغة سريرين ، ولكن اذا كنت روسيا فانهم سيعطونك كل شيء ، انهم يستلمون شقتين ، شقة لهم ، والاخرى للكلب » ، صورة مجموعة من الازواج الشباب يعانون من الضائقة السكنية ويقومون بعملية « غزو » للبيوت المعدة للمهاجرين الجدد ويحتلونها لفترة بسيطة قبل طردهم على ايدي قوات الامن ، وصورة المهاجرة الروسية الجديدة التي صدف وان جاءت لرؤية الشقة التي خصصتها لها الحكومة دون ان تعلم هوية « المحتلين » ، وبعد تفقدها الشقة قالت بتأفف ان الشقة غير صالحة لها ، « وعندما قلنا لها من نحن لم ترد ان تصدق بأنهم لا يعطوننا اي شيء »(٢٨) .

ذكرنا سابقا ان التمييز قائم في اسرائيل ولكنه غير مكتوب او محدد بقانون ، ومع ذلك فهنالك قوانين تسن وتشرع أو تعدل ، تبدو وكأنها لمصلحة طبقة وليس لمصلحة طائفة مع ان الحافز لذلك هو حافز اثني . فمن المعروف ان اسرائيل تشجع النسل ، ومن اجل ذلك سنت قوانين لمساعدة العائلات الكبيرة محدودة الدخل من اجل تشجيعها على زيادة النسل ، وفي ١/٤/١٩٦٨ عدل قانون مؤسسة التأمين القومي الخاص بمنح مخصصات للعائلات الكثيرة الاولاد ، بحيث اصبحت العائلة التي يقدر دخلها بـ ٣٠٠ ليرة تنال على الولد الخامس ٢٦،٢٥ ليرة ، اما العائلة التي يقدر دخلها بـ ١٠٠٠ ليرة شهريا فانها تنال على الولد الخامس ١١٨،١٣ ليرة بينما كانت تنال في السابق ٣٦،٢٩ ليرة(٢٩) . ان التعديل الذي طرأ على القانون يبدو للوهلة الاولى انه يجيء لمصلحة الطبقة الموسرة التي تستطيع تربية اطفالها ، بيد ان الدافع الحقيقي له عدم تشجيع ابناء الطوائف الشرقية على التناسل ، وفي مقابل ذلك تشجيع فئة الالف ليرة ومعظمهم من ابناء الطوائف الغربية على زيادة النسل .

ان التمييز في اسرائيل ، كما يقول الدكتور افنير شاكي نائب وزير التربية والتعليم ، « قائم في جميع المجالات : في الثقافة والتعليم والسكن والعمل » .

قبل التطرق الى المجالات الاساسية التي تبرز فيها الهوة الاجتماعية لا بد من الوقوف قليلا عند التزاوج بين ابناء الطائفتين ليتسنى لنا معرفة الهوة القائمة بين وجهتي النظر في موضوع يعتبر من المسلمات من اجل « صهر يهود الشتات » في بوتقة واحدة . فعلى الرغم من ان الزواج المختلط يعتبر عاملا اساسيا في عملية الصهر الا اننا نجد ان الزواج المختلط يسير ببطء ، ويتعثر في كثير من الاحيان ، لا بسبب الدين لان الشرع اليهودي لا يحول دون ذلك ، بل بسبب الهوة الاجتماعية والنظرة العنصرية لابناء الاشكناز . فقد احتل الزواج المختلط في عام ١٩٦٩ نسبة ١٧،٥ ٪ من الزيجات فقط : شرقي وغربية ٩،٤ ٪ ، غربي وشرقية ٨،١ ٪ . وقد أورد الدكتور يوحنان بيرس في دراسة له عن « العلاقات الاثنية في اسرائيل » نتائج بحث جرى تحت اشرافه حول وجهة نظر طلبة ثانويين من ابناء الطوائف الغربية والشرقية تجاه الزيجات المختلطة ، واظهر البحث مدى الاستعلاء العنصري لدى الاشكناز ، فقد اتضح أن ٣٩ ٪ منهم يؤيدون الزواج المختلط والنسبة الباقية تبدي تحفظا ازاءه او تعارضه معارضة تامة ، بينما وقف ٨١ ٪ من الطلبة من مهاجري آسيا وافريقيا مع الزواج المختلط(٣٠). واذا كانت الاكثرية من شباب الاشكناز تعارض الزواج المختلط فكيف الحال لدى الاباء والشيوخ الاشكناز (للاستزادة حول هذا الموضوع انظر : ظاهرة الفهود السود ، اسبابها وأصولها . شؤون فلسطينية العدد الرابع ، ص ١٥٢) .

ان السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو ما هو الانتماء الاثني لابناء الزيجات المختلطة ؟ ان الاجابة على ذلك تأتي من خلال مكتب الاحصاء المركزي الذي درج علـى تصنيف السكان اليهود في اسرائيل حسب الوطن الاصلي ، وابناء البلاد حسب الوطن الاصلي لآبائهم ، اما بالنسبة لاولاد الزيجات المختلطة فانهم يصنفون حسب الوطـن الأصلي للأب .

نعود الان الى الحديث عن المجالات الرئيسية التي تعبر عن الهوة الاجتماعية ، لكي يتسنى لنا الوقوف على حجم هذه الهوة وكنهها .

الهوة الاقتصادية

تعتبر الهوة الاقتصادية من العوامل الرئيسية الكامنـة وراء الهوات الاخرى الثقافية والعلمية والسكنية والوظيفية .

تفصح الهوة الاقتصادية عن نفسها من خلال النسبة المئوية لتوزيع مداخيل العائلات المدينية في اسرائيل حسب مجموعة الاعشار(٣١). ففي العام ١٩٥٤ كانت النسبة المئوية لمداخيل هذه العائلات موزعة كالتالي : العشر الاول ٢،٥ ، الثاني ٤،٥ ، الثالث ٦،٣ ، الرابع ٧،٦ ، الخامس ٨،٧ ، السادس ٩،٥ ، السابع ١٠،٤ ، الثامن ١٢،٥ ، التاسع ١٥،٣ ، الاعلى ٢٢،٧ . وفي العام ١٩٦٣/١٩٦٤ كانت النسبة المئوية موزعة (حسب الاعشار) كالتالي : ١،٦ ، ٣،٥ ، ٥ ، ٦،٥ ، ٧،٨ ، ٩،١ ، ١٠،٧ ، ١٢،٩ ، ١٦ ، ٢٦،٩ . وفي العام ١٩٦٩/٦٨ كان التوزيع كما يلي : ١،٥ ، ٣،٢ ، ٤،٩ ، ٦،٤ ، ٧،٨ ، ٩،٢ ، ١٠،٨ ، ١٣ ، ١٦،٤ ، ٢٦،٩ .

يلاحظ من هذا التوزع ان نسبة نصيب العائلات من الدخل العام ، ابتـداء من العشر الاول وحتى العشر السادس آخذة في الهبوط ، بينما نسبة نصيب العائلات ابتداء من العشر السابع وحتى العشر الاعلى آخذة بالارتفاع . بمعنى آخر ان نصيب مداخيل ٦٠ ٪ من مجموع العائلات المدينية في اسرائيل من الدخل الاجمالي للعائلات المدينية قد هبط خلال الفترة المذكورة بينما ارتفع نصيب ٤٠ ٪ من العائلات من الدخل الاجمالي . واذا اخذنا بعين الاعتبار ان « العلامات المميزة لعملية الاستقطاب الطبقي في اسرائيل تشير الى ان الطوائف الشرقية تتركز في المراتب الدنيا في جميع المجالات » كما يقول

دارسا علم الاجتماع في اسرائيل ر. بار ود. يادين تأبه يتأتى لنا معرفة الفئات المتضررة من الهوة الاقتصادية القائمة والآخذة بالاتساع .

وقد نتج عن اتساع هذه الهوة مشكلة الفقر التي اصبحت تشمل ربع السكان . يقول الدكتور موشيه سنيه : « هنالك ١١ ٪ من مجموع ٦١٤ الف عائلة مدينية تحت حافة الفقر ، وهنالك ١٠٫٣ ٪ على حافة الفقر ، وتشكل النسبتان ٢١٫٣ ٪ ، اي ان كل عائلة خامسة في اسرائيل يسودها الفقر ، ولكن بما ان العائلات الفقيرة هي ايضا عائلات كبيرة نجد ان ٢٤ ٪ من مجمل النفوس تحت طائلة الفقر . وهذا يعني ان كل شخص رابع يعيش في حالة فقر . ومن بين العائلات التي لديها ستة أولاد فما فوق هنالك ٣٩ ٪ تعيش في حالة فقر »(٣٢) .

ولايضاح الهوة بين متوسط مدخول العائلة الشرقية والعائلة الغربية نورد هنا احصائية وردت في دراسة للدكتور يوحنان بيرس ، قارن فيها متوسط الدخل للعائلة الشرقية بالنسبة الى متوسط الدخل للعائلات الغربية خلال سنوات مختلفة ، وتشير هذه الاحصائية الى الاتساع البطيء بين متوسط الدخل للفئتين .

في عام ١٩٥٦ كان متوسط دخل العائلة الشرقية ٧٣ ٪ من متوسط دخل العائلة الغربية وفي العام ١٩٥٩ كان ٧٣ ٪ ، وبلغ متوسط دخل العام ١٩٦٣ ٧١ ٪ ، ٧٢ ٪ في العام ١٩٦٥ ، و٦٨ ٪ في العام ١٩٦٦ ، و٦١ ٪ في العام ١٩٦٧ ، و٧٠ ٪ في العام ١٩٦٨ ، و٦٩ ٪ في العام ١٩٦٩ (٣٣) .

ان النسب الآنفة الذكر لا توضح الهوة في متوسط مستوى المعيشة بين الافراد بل بين العائلات ، ومن المعروف ان عدد افراد العائلة الشرقية يفوق عدد افراد العائلة الغربية ولذا اعتمدنا على الاحصائية لتوضيح الهوة بين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الغربية وبين متوسط مصاريف الفرد في العائلة الشرقية(٣٤) . ففي العام ١٩٥٩ بلغ متوسط المصروف الشهري للفرد في العائلة الاشكنازية ١٣٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٣/٦٤ ١٧٠ ليرة ، وفي العام ١٩٦٨/١٩٦٩ ٣٥٠ ليرة مقابل ٨٠ ليرة ، ١٠٠ ليرة ، و١٩٠ ليرة للفرد في العائلة الاسفاردية . وبهذا يكون الفرق ٦٠ ٪ للعام ١٩٥٩ ، ٧٠ ٪ للعام ١٩٦٣/ ١٩٦٤ ، و٨٥ ٪ للعام ٦٨/١٩٦٩ .

ان الاستنتاج الذي يخرج منه المرء من هذا التوزع واضح : ازدياد الهوة في مستوى المعيشة بين العائلات الشرقية والعائلات الغربية خلال أعوام الستينات على الرغم من الارتفاع العام في مستوى المعيشة خلال هذه الفترة .

الى جانب ذلك يمكن لنا توضيح الهوة بين ابناء الطائفتين من خلال نسبة العائلات من كلا الجانبين التي تملك سيارة خاصة .

ففي العام ١٩٦٢ كانت ٦٫١ ٪ من العائلات الاشكنازية تمتلك سيارة مقابل ١ ٪ من العائلات الاسفاردية ، وفي العام ١٩٦٤ كانت النسبة ١٠ ٪ مقابل ١٫٧ ٪ ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ١٧٫٦ ٪ مقابل ٥٫٦ ٪ ، وبذلك تكون الفجوة ٥٫١ ٪ للعام ١٩٦٢ ، و٨٫٣ ٪ للعام ١٩٦٤ ، و١٢ ٪ للعام ١٩٦٩ (٣٥) .

من هنا يتضح لنا ان الهوة الاقتصادية بين الطوائف الغربية والشرقية آخذة بالاتساع .

الهوة السكنية

لكي ندرك الهوة السكنية لا بد من الرجوع الى مراحل استيعاب المهاجرين التي تمت عقب قيام اسرائيل . لقد مرت عملية الاستيعاب بمراحل عدة ، مرحلة المخيمات ومرحلة المعابر ، وهاتان المرحلتان كانتا من أقسى مراحل الاستيعاب، ثم اعقبتهما مرحلة اتسمت بالافتقار الى التخطيط ، اقيمت فيها ضواح سكنية بسيطة بالقرب من المدن بواسطة

شركة « عميدار » الاسرائيلية . وتلت هذه المراحل الثلاث التي املتها الظروف لمواجهة سيل الهجرة الجماعية في مطلع الخمسينات ، مرحلة جديدة للاستيعاب بدأت في النصف الثاني من الخمسينات ولا تزال حتى اليوم ، مرحلة الاستيعاب المخطط ، تعتمد على التخطيط المدروس في اقامة الضواحي والمستوطنات الدائمة .

خلال المراحل الاولى الثلاث سكن المهاجرون من اليهود الشرقيين والغربيين على حد سواء في المخيمات وفي المدن العربية المهجورة والمعابر والضواحي البسيطة التي اقامتها شركة عميدار . ولم يكن هنالك تمييز يذكر في عملية اقتسام هذه البيوت لان واقعها التعيس لا يسمح بقيام تمييز . بيد ان التمييز بدأ يظهر جليا عند البدء في المرحلة الجديدة التي اتسمت بالتخطيط المدروس والتي كان القصد منها نقل المهاجرين من مراحل الانتقال الثلاث السابقة الى مرحلة استيعاب جديدة، وقد سارت هذه المرحلة في اتجاهين : الاول بناء ضواحي سكنية جميلة قرب المدن الاسرائيلية وفي المناطق الجميلة ، والاخرى اقامة « قرى تطوير » في المناطق النائية بالاضافة الى اقامة مستوطنات على مختلف أنماطها. ومن هنا بدأت عملية الفرز والاستقطاب الاثني المبنية على التمييز . اذ اخذ اليهود من ابناء الطوائف الغربية يوجهون الى الضواحي الجميلة بمنحهم قروضا حكومية ، واخذ اليهود من ابناء الطوائف الشرقية يوجهون بشكل عام الى ما يعرف بقرى التطوير والقرى الزراعية النائية . وبذلك ولدت الهوة السكنية عند منتصف الخمسينات واخذت تتسع الى ان بلغت حجمها الراهن في مطلع السبعينات ، وكان لها دور في عملية الاستقطاب الطبقي الاثني ، وفي زيادة حجم الهوة الثقافية والاقتصادية .

سارت عملية استقطاب ابناء الطوائف الغربية في الضواحي الجميلة وفي المدن سيرا حثيثا وتخطت عمليات الاستيعاب المرحلية ، بينما تعثرت عملية نقل ابناء الطوائف الشرقية الى مرحلة الاستيعاب الجديدة ، حيث بقي قسم منهم في المعابر وفي البيوت العربية المهجورة وفي المساكن البسيطة كشركة عميدار . ومن هنا بدأت تظهر ما يعرف بالاحياء الفقيرة في المدن ، ووجه قسم آخر الى القرى الزراعية ، وخاصة الى قرى التطوير .

كان في اسرائيل (حتى نهاية عام ١٩٦٨) نحو ٣٠٠ موقع سكني فقير (احياء فقيرة ومعابر ومساكن عميدار) ويبلغ تعداد سكانها نحو ٤٥٠ الف نسمة (قرابة مئة الف عائلة) . وفيما يتعلق بالمدينتين الرئيسيتين في اسرائيل ، القدس وتل ابيب ، فقد اظهر بحث لكلية الشؤون الاجتماعية التابعة للجامعة العبرية حول قضايا الفقر في القدس ان ١٨،١٢٤ عائلة يبلغ تعداد افرادها ٦٨،٨١٧ نسمة (اي ربع سكان القدس اليهودية) تسكن في مساكن غير صالحة للسكن ، كما واوضح البحث ان هنالك عشرة آلاف مسكن آخر على حافة الخلل والتحول الى الاحياء الفقيرة(٢٦). اما في تل ابيب كبرى المدن الاسرائيلية ، فقد ذكر نائب رئيس البلدية استنادا الى دراسة اجرتها بلدية تل ابيب ان كل شخص ثالث في هذه المدينة يعيش بظروف فقر وان ٢٨ الف عائلة يبلغ تعدادها ١٣٠ الف نسمة تسكن في مباني غير صالحة شبيهة بالاكواخ . اما البروفيسور يتسحاق هلبرخت ، رئيس الجمعية الاسرائيلية لتخطيط العائلة ، فقد ذكر انه يوجد في تل ابيب ١٢٠ الف نسمة (٢٨ الف عائلة) يعيشون تحت حافة الفقر او بالقرب منها(٢٧).

ومن المعروف ان عملية الفرز الطبقي او الاستقطاب الاجتماعي القائمة على التمييز في المجتمع الحديث قد جعلت هذه الاحياء من نصيب ابناء الطوائف الشرقية ، الامر الذي ادى الى خلق ظواهر سلبية . ذلك ان الظروف السكنية الصعبة في الاحياء الفقيرة تعتبر اساسا لجميع الظواهر السلبية : هروب آباء وابناء من البيت ، تفكك الاسرة ، انتعاش وكر السموم والزنى ، وقيام عصابات شوارع تنهمك في اعمال السطو والنهب . ومن المعروف انه يوجد في تل ابيب قرابة ٢٠٠ عصابة ، تضم كل واحدة منها ما بين ٢٠ الى

٦٠٫ فتى (٣٨) من ابناء الاحياء الفقيرة، ويقوم هؤلاء في بعض الاحيان بمهاجمة الضواحي الغنية في شمال تل ابيب ويصطدمون مع الفتية الاشكناز .

ومما تجدر الاشارة اليه ان الاحياء الفقيرة في المدن هي بمثابة بؤر اشعاع لغضب ابناء الطوائف الشرقية وسخطهم وانتفاضاتهم على اوضاعهم اكثر مما هو الحال عليه في قرى التطوير او المستوطنات الزراعية ، ذلك ان هذه الاحياء تقع بالقرب من الضواحي الغنية والجميلة التي تستوعب المهاجرين الجدد ، احيـاء تكاد تكون معتمة يسكنهـا اليهود الشرقيون واحياء تعج بالاضواء من نصيب اليهود الغربيين .

الى جانب الاحياء الفقيرة في المدن ، هنالك أمكنة تجمع لليهود الشرقيين في قرى التطوير التي بنتها سلطات الاستيعاب في الاماكن النائية في النصف الثاني من الخمسينات . وقد بلغ عدد هذه القرى نحو ٣٠ قرية وصل تعداد سكانها في نهاية عام ١٩٦٨ قرابة ٤٣٢ نسمة من مجموع ٢٫٥ مليون يهودي في ذلك الوقت . وتزيد نسبة ابناء الطوائف الشرقية في هذه القرى على ٨٠٪ (٣٩) من مجموع مستوطنيها .

تعاني قرى التطوير من اوضاع اقتصادية صعبة ، ولذا فان ظاهرة الهجرة المعاكسة منها الى المدن والمستوطنات غدت قويـــة ، الأمر الذي يزيد مـــن حدة تأزم الاوضاع الاقتصادية . ويصف البروفيسور نتان ليتسفيلد هذه الظاهرة بقوله : « وبما ان اصحاب الكفاءات والمهن الحرة يهجرون قرى التطوير فان المستوى الاجتماعي الاقتصادي يهبط باستمرار ، ولو لم يكن هنالك نزوح في اعوام الستينات فان الزيادة في عدد سكان قرى التطوير ستصل الى ثلاثة اضعاف الزيادة الحقيقية . ان هذه القرى تتدهور الى وحدة طائفية ووظيفية ووحدة في الدخل بمستوى اجتماعي اقتصادي منخفض »(٤٠). امـــا الاوضاع الثقافية والتعليمية فانها لا تقل عن الاوضاع الاقتصادية المتدهورة ، ففي هذه القرى نجد ان ثلث السكان لم يحصل على ثقافة ابتدائية مطلقا او تعلم ٤ اعوام فقط ، بينما تصل هذه النسبة بين صفوف السكان اليهود كافة في اسرائيل الى السدس(٤١). وعلى الرغم من الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتردية في قرى التطوير ، فلا نجد فيها مظاهر عنف واحتجاج على هذه الاوضاع بالمقدار نفسه الموجود في الاحياء الفقيرة في المدن بسبب بعدها عن الضواحي الجميلة المعدة للمهاجرين الجدد من ابنـــاء الطوائف الغربية . ولذا فان مظاهر الغضب والتمرد على اوضاعها تكون عادة انعكاسا لمظاهر التمرد التي يقوم بها سكان المدن من ابناء الطوائف الشرقية .

ويمكن ايضاح الهوة السكنية بين ابناء الطائفتين ــ اذا استثنينا عامل جمال المنطقة ــ بواسطة الاحصائية التالية حول النسبة المئوية للعائلات التي تسكن بحالة إكتظاظ (عدد الاشخاص في الغرفة يزيد على ثلاثة اشخاص)(٤٢):

في العام ١٩٦٤ كان ٤٨ ٪ من العائلات الاسفاردية يسكنون في بيوت مكتظة مقابل ١٢ ٪ من العائلات الاشكنازية . وفي العام ١٩٦٥ كانت النسبـــة ٣٠ ٪ للاسفارديين و٦ ٪ للاشكنازيين ، وفي العام ١٩٦٩ كانت النسبة ٢٠٪ و٢ ٪ بالتتالي . وبهذا تكون الهوة اربعة اضعاف في العام ١٩٦٤ ، وارتفعت الى خمسة اضعاف في العام ١٩٦٥ ، والى عشرة اضعاف في العام ١٩٦٩ .

يتضح من ذلك انه على الرغم من ارتفاع مستوى السكن خلال الستينات فان الهوة السكنية اتسعت بشكل مضطرد بين الطائفتين .

الهوة الثقافية

كان من نتيجة التمييز الواقعي في المجتمع الاسرائيلي وظهور الهوتين الاقتصادية والسكنية ان ظهرت على السطح هوة أخرى وتعززت بهما، يندر وجودها في أي مجتمع من المنظومة العالمية تكون فيه الهوة سحيقة الى هذا الحد بين مجموعة اثنية تشكل اكثرية السكان

لا تنال من التعلم الا النذر اليسير ، وبين مجموعة الاقلية التي تشكل الشريحة المتعلمة للمجتمع ككل ، الا وهي الهوة الثقافية .

هنالك اسباب عدة وراء هذه الهوة :

١ ــ التمييز الواقعي الذي يلف بين جناحيه جميع المجالات في اسرائيل وخاصة الاقتصادية والسكنية والوظيفية .

٢ ــ رغبة السلطات العليا في توجيه تلاميذ ابناء الطوائف الشرقية لدراسة الموضوعات المهنية في المدارس الصناعية والزراعية .

٣ ــ غياب عامل تكافؤ الفرص في الحصول على الوظيفة ، حيث يفضل الغربي في شغل الوظيفة حتى ولو كان الشرقي متفوقا عليه في حالة المنافسة الحرة على شغل وظيفة أو منصب حكومي ، الامر الذي يدفع الطالب الشرقي الى البحث عن مجال عيش آخر غير مجال التعليم .

٤ ــ التباين بين المدارس ، فمدارس الاحياء « الراقية » التي يتلقى العلم فيها ابناء الاشكناز تمتاز بمبانيها الجميلة وباستكمالها مستلزمات المدرسة الحديثة كافة . اما مدارس الاحياء الفقيرة وقرى التطوير فانها تختلف عن الاولى من ناحية المباني ، وتفتقر الى متطلبات المدرسة العصرية على الرغم من ان هذه المدارس تتبع مباشرة وزارة التعليم .

٥ ــ التباين في كفاءة المعلمين ، فقد درجت وزارة المعارف على ارسال المعلمين ذوي الكفاءات الى مدارس الضواحي الراقية ، اما المعلمون الاقل كفاءة او الذين يفتقرون الى كفاءات تدريسية فيستقطبون في الضواحي الفقيرة وقرى التطوير .

٦ ــ واخيرا طبيعة البرامج الدراسية ، حيث تشتمل هذه البرامج على تاريخ الطوائف الغربية وحضارتها وآدابها وتمر مر الكرام على تاريخ ابناء الطوائف الشرقية وحضارتهم وآدابهم ، هذا مع العلم ان ابناء الطوائف الشرقية كانوا حتى القرن الثالث عشر مركزا مضيئا للحضارة اليهودية « انهم لا يعرفون ولا يتعلمون في البلاد تاريخ يهود البلدان الاسلامية » كما يقول مردخاي الجري رئيس حركة « عوديد » الامر الذي يجعل الطالب الشرقي يمر في مرحلة شبيهة بمرحلة عملية غسل الدماغ ، لا يعرف شيئا عن تاريخ آبائه واجداده حتى ليخيل اليه أن لا اصول حضارية له ، الا الاصول الحضارية لابناء الاشكناز . هذا فضلا عن ان تاريخ ابناء الطوائف الغربية ممل ويتسم بطابع الاسى والحزن ، والقاسم المشترك لتراث ابناء هـذه الفئة وأدبهم وتاريخهم يتلخص في كلمة واحدة : الاضطهاد ، بينما تراث ابناء الطوائف الشرقية وأدبها شبيه بالتراث الانساني ويخلو من عقدة الاضطهاد .

تفصح الهوة الثقافية في المجال التعليمي عن نفسها في التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل الدراسية الثلاث : الابتدائية من الصف الاول حتى الثامن (الزامية ومجانية) والثانوية من التاسع حتى الثاني عشر (مقابل* اقساط) والمرحلة الجامعية (مقابل اقساط) . ففي الصف الاول الابتدائي نجد ان نسبة الطلبة الشرقيين قريبة من نسبتهم العامة في اسرائيل ، اذ يحتلون نسبة تزيد على ٦٢ ٪ بيد ان هذه النسبة تأخذ في التدني الى ان تصل في الصف الثامن الى ٤٥ ٪ (٤٣) . اما النسبة في المدارس الثانوية فانها تأخذ بالتدني الشديد لتصل الى ١٧٫٧ ٪ . وتمثل هذه النسبة المدارس الثانوية والمهنية والزراعية كافة . ويتوزع ابناء الطوائف الشرقية على الفروع الثلاثة بالنسبة التالية(٤٤) :

الصف	التاسع	العاشر	الحادي عشر	الثاني عشر	مجموع الصفوف الاربع
في المدارس الثانوية (النظرية)	١٥،٨	١٣،٨	٩،٨	٧،٨	١٢،٦
في المدارس الصناعية	٢٩،٧	٢٥،٥	٢٠،٤	١١،٨	٢٥،١
في المدارس الزراعية	٣٣،٩	٢٦،٤	٢٢،٣	١١،٦	٢٦،٧
في المدارس كافة	٢٢،١	١٨،٥	١٤،٤	٨،٨	١٧،٧

هناك عدة ملاحظات على الجدول المذكور :

١ ـ ليس هنالك شك بأن التدني المضطرد في نسبة تمثيل اليهود الشرقيين في المرحلة الثانوية ناجم عن أوضاعهم الاقتصادية المتردية ، فالمداخيل المنخفضة لا تؤدي بشكل عام الى ثقافة عالية خاصة في بلد يفرض أقساطا شهرية مرتفعة على تلاميذ المدارس الثانوية ، كما ان الثقافة المتدنية (وهذا الامر ناجم عن طبيعة المجتمع) تعرقل امكانية الحصول على مداخيل عالية ، وهذه هي الدائرة المفرغة المفروضة على ابناء الطوائف الشرقية . ٢ ـ من الملاحظ ان نسبة الطلبة الشرقيين في المدارس الصناعية والزراعية اعلى منها في المدارس الثانوية النظرية ، ويعود ذلك الى تشجيع السلطات وقيامها ببناء مدارس من هذين الفرعين بين صفوف الطوائف الشرقية على حساب المدارس الثانوية النظرية . ٣ ـ وفيما يتعلق بالمدارس الثانوية فاننا نرى ان نسبة الطلبة الشرقيين فيها متدنية بشكل كبير حيث تصل الى نصف النسبة في كل المدارس الصناعية والزراعية ، وكان يمكن لهذه النسبة ان تكون ادنى بكثير من ١٢،٥ ٪ لولا استيعاب هذه المدارس لاعداد من المهاجرين الشرقيين وخاصة من ابناء شمال افريقيا الذين انهوا جزءا من دراساتهم الثانوية في فرنسا ؛ ذلك ان هذا النوع من المدارس غير متوفر بشكل كاف في المناطق التي يسكنها الشرقيون ، بل في الضواحي التي تخص ابناء الطوائف الغربية ، الامر الذي يضطر الطالب الشرقي على الانتقال من ضاحية الى ضاحية اخرى في الفترة التي يبلغ فيها سن البلوغ والمراهقة ، وهذان الامران يؤثران تأثيرا جاسما على مسلكه وتصرفه . فهو من ناحية يشعر بأنه أصبح في محيط جديد ، ويحاول التأقلم فيه ، فيبدأ بالتشبه بأبناء الاشكناز من حيث المأكل والملبس والخروج مع الفتيات ، الا انه من ناحية ثانية لا يستطيع لاسباب مادية ، بالاضافة الى الخجل والحساسية ، الحصول على مبتغاه . وبين الرغبة في الحصول على ما يريد والعراقيل التي تقف أمامه ، يتعثر الطالب الشرقي في مدرسته الجديدة ويبدأ بالتفكير في الخروج منها . وهذا ما يفسر لنا التدني في نسبة تمثيلهم في هذا النوع من المدارس(٤٥)، التي تعتبر البوابة الرئيسية ان لم تكن الوحيدة لدخول الجامعات الاسرائيلية . هذا مع العلم ان نسبة من يتلقون دراساتهم في الصف الثاني عشر في المدارس الثانوية من ابناء الطوائف الشرقية تصل الى ٧،٨ ٪ فقط .

وفيما يتعلق بتمثيل ابناء الطوائف الشرقية في المعاهد الاسرائيلية فانه يأخذ ايضا بالتدني، حيث ان نسبة الحاصلين على الدرجة الجامعية الاولى تصل الى ٧٪ اما نسبة الحاصلين على الدكتوراه فتصل الى ٣ ٪ فقط .

هذا فيما يتعلق بالتعليم خلال المراحل الدراسية الثلاث ، والسؤال الذي يتبادر الى الاذهان ، ما هي نسبة تمثيلهم في الهيئة الاكاديمية ؟ لا تتوفر حتى الان احصائية رسمية حول هذا الموضوع، الا ان نائب وزير التربية والتعليم الدكتور افنير شاكي اجرى دراسة بمساعدة الجامعات الاسرائيلية تشير الى وجود هوية كبيرة في التمثيل في الهيئة الاكاديمية(٤٦) . ففي معهد الهندسة التطبيقية في حيفا هنالك ٨٠ مجاضرا (من اصل

اسيوي افريقي) من مجموع ٨٠٠ محاضر واستاذ اي ١٠ ٪ وفي جامعة تل ابيب يوجد ٣٥ محاضرا من مجموع ١٠٠٠ محاضر واستاذ اي ٣٥ ٪ ، اما في معهد وايزمان فهنالك ثلاثة علماء فقط (واحد من مراكش ، وآخر من تونس والثالث من العراق) من مجموع ٣٧٠ عالما ، اي ان النسبة تقل عن ١ ٪ . ولم تتوفر احصائيات عن بقية الجامعات والمعاهد .

من الملاحظ ان الهوة الثقافية بين ابناء الطائفتين واسعة ، وتأخذ بالاتساع الشديد في المراحل العليا من الدراسة ، ويعتقد الدكتور يوحنان بيرس ان المساواة في التعليم بين ابناء الطائفتين ستستغرق مدة طويلة ، ويقدر هذه المدة بـ ٨٠ عاما !

الهوة في المؤسسة العسكرية

يخطىء من يتصور ان الهوة لم تمتد الى الجيش الاسرائيلي . فالهوة التي شملت المجالات الاقتصادية والسكنية والثقافية امتدت ايضا الى المؤسسة العسكرية في اسرائيل وشملتها . وتعكس الهوة نفسها في سلم الرتب العسكرية وهي شبيهة الى حد بعيد بسلم المراحل التعليمية ، الا انها تتفوق عليها في كون المرتبة العليا ــ هيئة الاركان ــ تخلو تماما من ابناء الطوائف الشرقية . وتسير عملية الاستقطاب في سلم الرتب العسكرية نتيجة للهوة الاجتماعية ، في مسار اثني ، « فعدد العسكريين (الشرقيين) يأخذ دائما بالهبوط كلما تسلقنا الرتب العسكرية » بينما يأخذ عددهم بالازدياد في حالة الهبوط في سلم الرتب ، وتبلغ النسبة أوجها في المرتبة الدنيا . يقول عوفير يسرائيل من كفار فيتكين ، ٣٢ عاما ، احد اعضاء لجنة عينتها رئيسة الحكومة لمعالجة القضايا الاجتماعية « ينبغي ان لا تعتقد بأن الوضع في الجيش هو على ما يرام . ليتك تعرف كيف تتوزع الرتب في الجيش من الناحية الطائفية . الا ان الجيش الاسرائيلي ينجح في الحفاظ على التكتل ، ويا ويلنا اذا ما انتهك هذا التكتل بشكل خطير خارج الاطار العسكري . ومن الواضح لي ان ذلك سينعكس بشكل خطر على الجيش ايضا »(٤٧) .

ويعود نجاح الجيش الاسرائيلي « في الحفاظ على التكتل » لاسباب عدة منها : ١ ــ ان الجيش الاسرائيلي ــ كأي جيش آخر ــ يخضع لاوامر وتعليمات عسكرية تحول دون زج افراده في نقاشات سياسية حول مواضيع حساسة مثل التمييز كما وتحول دون التيارات السياسية المختلفة في اسرائيل من القيام بنشاطات سياسية بين صفوفه .

٢ ــ ان الهوة الاقتصادية في الجيش ليست كالهوة الاقتصادية خارج اطار الجيش .

٣ ــ ان العلاقة بين فئة الجنود وبين فئة الضباط تخلو بقدر الامكان من الشوائب البيروقراطية والعسكرية .

ومع ذلك فان الهوة قائمة ، ويشعر ابناء الطوائف الشرقية بالغبن اللاحق بهم نتيجة احتكار فئة الاشكناز لمناصب هيئة الاركان ويشكون من عدم تمثيلهم في المناصب العليا . ويفسر البعض منهم ذلك بشك الاشكناز في ولائهم : « سمعت ذات مرة ان شخصية كبيرة اجابت عندما سئلت عن عدم وجود ضباط كبار في الطوائف الشرقية ، بأن السبب يعود الى انهم لا يثقون فيهم حتى النهاية ... الى ان جاء يسرائيل بار ويسرائيل كستر ، واثبتا انه يوجد ايضا خونة اشكناز »(٤٨) .

وعلى الرغم من نجاح الجيش الاسرائيلي في الحفاظ على التكتل فان التناقضات الاجتماعية الاثنية تعكس نفسها على الفئتين الرئيسيتين وتؤدي في بعض الاحيان الى التصادم والاشتباك بالايدي بين صفوفه « فكثيرا ما يحدث » كما يقول عمران بن كوهين الذي خدم في الجيش في سلاح المظليين : «ان تقع اشتباكات بين الاشكناز والاسفاراديم» « ... في فبراير ١٩٦٧ تطوعت في سلاح المظليين ولم انجح في ازالة الفوارق التي

اثارها الاخرون حول ابناء طائفتي ، وقد حدثت اكثر من مرة اشتباكات بين الاشكناز والاسفارديم . . . كانوا ينعتوننا بالمجرمين او « مراكشي مسكين » كل ذلك ضمن اطار الجيش ، ولم يكن ذلك دائما بروح طيبة ، وحينذاك نصل الى الاشتباك . لم يكن لنا اي شيء مشترك مع ابناء الكيبوتس والاشكناز الاخرين »(٤٩). وهذه هي المرة الاولى التي تتكشف فيها الصراعات داخل الجيش على اساس اجتماعي اثني ، ولعل هذه الصراعات كانت من بين الاسباب التي دعت بعض المسؤولين للتحذير من « خراب الهيكل الثالث ».

الا أن ما هو أخطر من هذه الاشتباكات ، توصل البعض من ابناء الطوائف الشرقية الى التمرد على الخدمة العسكرية وذلك بواسطة ارجاع الهويات العسكرية الى الجيش ادراكا منهم بأن الجيش هو المكان الوحيد الذي تحتاجهم فيه السلطات العليا ، حيث يشكل ابناء الطوائف الشرقية لبنة أساسية في حجمه ، مطلقين صرخة المسحوقين الذين يساقون الى الحروب لمصلحة الاسياد : « نقاتل من اجل من ؟ » أو كما يقول جانوخا مزراحي احد المتمردين على الخدمة العسكرية « انهم يرسلوننا الى الجيش للمحافظة على المتحف الخاص بموشيه ديان ، في الوقت الذي لا نملك فيه مكانا للنوم — لماذا ينبغي علينا أن نذهب للجيش ؟ » او كما يقول زميله « جيورا » : « عندما روى زميلان لنا بأنهما تلقيا أمرا بالانخراط في سلك الاحتياط ، فكرنا : نقاتل من اجل من ؟ ولماذا نقاتل ؟ عندما كنا ابناء ١٨ عاما ذهبنا الى الجيش بقلب مفعم بالحب . . . واعتقدنا ان ذلك بمثابة فخر لنا ، ولكن اتضح بمرور الزمن ان الجيش هو بمثابة المكان الوحيد الذي تستخدمنا فيه الدولة . . ليس من المعقول ان يطلبوا منا ان نقدم أرواحنا لدولة لا توفر لنا ادنى الشروط للعيش كبشر » . ولعل ما هو أخطر من ارجاع الهويات العسكرية ، ظاهرة التهديد باستخدام العنف من قبل المتمردين على الخدمة العسكرية ، الذين لا يرون في ارجاع الهويات آخر المطاف في نضالهم ، بل حلقة تؤدي الى حلقة العنف كما يقول جانوخا مزراحي « اننا نأمل في ان يستمعوا الينا الان ، **وأن لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش** . . . ولكن في المكان الذي يسيطر فيه قانون الغاب — مثل هذه البلاد — في المكان الذي لا يمكن فيه الحصول على شيء الا عن طريق العنف ، فاننا لن نتردد ايضا نحن عن التصرف كالآخرين . لن نأكل الطين ونقول بأنه عسل »(٥٠).

الى جانب هؤلاء المتمردين الذين يحذرون من « ان لا يعطونا فرصة لاستخدام ما تعلمناه في الجيش » هنالك كاتب اسرائيلي يدعى يهودا نيني (من أصل يمني استطاع بعصاميته أن يثقف نفسه بنفسه ويحصل على الدرجة الجامعية العليا) لم يتوجه الى السلاح مهددا ، بل توجه الى من ماتوا تحت السلاح عام ١٩٤٨ من بين اليهود الشرقيين وخاصة اليمنيين منهم ، توجه اليهم ليخبرهم بأنهم ماتوا ميتة رخيصة ، ماتوا نتيجة الكذب والخداع والتضليل من قبل تجار الحروب « وانني اعرف كيف سقطوا ، واعرف اعمالهم حتى ساعتهم الاخيرة ، الا انهم لا يعرفون اعمالنا ، انهم لا يعرفون الى اي حد خانهم المجتمع الاسرائيلي ، الى اي حد هانت المثل التي قاتلوا من اجلها ، انهم لا يعرفون بأن تجار الحروب أولئك الذين يعتقدون بأن دماءهم أكثر احمرارا من دمائهم ، هم المسيطرون اليوم »(٥١).

ويبلغ يهودا نيني الذروة في مرثيته بقوله : « لقد قلت — انني لست ذاهبا الى قبورهم ، ولكن يبدو لي انه يتوجب علي أن اذهب لاقول لهم انهم خدعوهم وضللوهم وغرروا بهم ، لاقول لهم بأن موتهم كان رخيصا وتضحيتهم ذهبت سدى ، لاقول لهم ان آباءهم يسكنون الجحور والكهوف بينما تقاسم الآخرون فيما بينهم الاماكن الجميلة في البلاد ، ويبدو لي انه ينبغي علي ان أزورهم لاقول لهم « ان الذروة في حياتكم هي لحظة مماتكم . . . » لاقول لهم ان الشعلة المضيئة من قبورهم قد أخمدتها انهار الكذب وأن رماد الشعلة قد جرفته انهار الفساد . . . »(٥٢).

كان من نتيجة الهوة الاجتماعية ، ان برزت اشكال متعددة للصراع ضد الواقع التمييزي لابناء الطوائف الشرقية ، وقد تحددت هذه الصراعات في قوالب معينة ومتفاوتة ، تتفاوت في العنف والمسيرة ، في الطلب باستعطاف او الاخذ بالقوة ، في الهبة المنظمة من خلال تنظيم ، او الهبة العفوية الشعبية . واشهر الحركات التي برزت نتيجة الواقع التمييزي: ١ ـ حركة الفهود السود (انظر ظاهرة الفهود السود ، اسبابها واصولها . شؤون فلسطينية ، العدد الرابع ، ص ١٤٢) . ٢ ـ ظاهرة الازواج الشباب (انظر شؤون فلسطينية ، العدد العاشر ، ص ٦٥) . ٣ ـ حركة عوديد : تمتاز هذه الحركة التي انشئت في اوائل الستينات على ايدي مثقفين من ابناء مراكش بعدم ثوريتها وبمسايرتها للسلطة ، وتقوم بنشاطات تثقيفية بين اوساط مهاجرين يهود شمالي افريقيا ، وتعمل من اجل زيادة تمثيل اليهود الشرقيين في المراحل التدريسية المختلفة . ومن الجدير بالذكر ان المؤسسة الحاكمة تغمر حركة « عوديد » بعطفها ، بينما تصب جام غضبها على حركة الفهود السود والازواج الشباب .

اما على الصعيد الشعبي فقد تباينت اشكال النضال واتخذت قوالب مختلفة مثل الاضرابات والتظاهرات والتهديد بالتنصر ومغادرة البلاد . على ان اخطر سلاح نضالي اتخذ حتى الان هو سلاح النزوح من المستوطنة او القرية واخلائها من سكانها حتى تتحقق مطاليبهم . ففي ٧٢/٣/٢٦ قام سكان قرية « زرعيت » في الجليل الاعلى (يهود شرقيون) باخلاء قريتهم لمدة اسبوع احتجاجا على اوضاعهم الصعبة وعلى الواقع التمييزي الذي يعانون منه ، وتمت عملية النزوح على الرغم من المحاولات الكبيرة التي بذلتها السلطات الاسرائيلية لمنع الاهالي من الاقدام على استخدام مثل هذا السلاح . وقد بقيت القرية طوال اسبوع خالية من سكانها . وتعتبر عملية النزوح هذه ظاهرة جديدة في اسرائيل ، ولم يسبق لها ان حدثت في فترة اليشوف او فترة قيام الدولة .

. . .

لا بد لنا في نهاية حديثنا من التطرق الى ظاهرة الكراهية التي ولدت نتيجة التركيبة الفريدة للمجتمع الاسرائيلي ، وتلفعت في احضان الهوة الاجتماعية ، ونمت وترعرعت تحت ظلال التمييز . ان كراهية ابناء الطوائف الشرقية للغربيين ناجمة بالاصل عن الواقع الاستغلالي الذي يرزحون تحته ، اما كراهية الجانب الآخر فهي نابعة بالاصل عن النظرة الاستعلائية المشفوعة بالعنصرية . وقد عبرت يهودية روسية ذات ثقافة اكاديمية عن مشاعر كثير من الاشكناز عند تطرقها لموضوع الكراهية بقولها : « ... صحيح اننا نكرههم . وصحيح انهم يكرهوننا . اننا اسرائيليون وهم اسرائيليون بيد ان سورا كبيرا يفصل بيننا . اننا نعيش في مستويات مختلفة ومفاهيم مختلفة . اننا نتحدث بشكل آخر ونفكر بشكل آخر وينظر الواحد منا الى الثاني بشكل آخر ... ان هذا لاكثر من طائفتين مختلفتين ... هذا بمثابة شعبين مختلفين ... صدقني هذه ليست عنصرية ، ان ذلك ليس مسألة لون جلد وكذلك ليس مسألة البلد الاصلي . ان هذا الذي يحدث ناجم عن الكراهية الثقافية ، هذا اذا كان لكراهية ان تشمل ضمن اطار مفهوم الثقافة . انني اكرههم لانني اتخوف من الانتقال ليلا في تلك الشوارع التي يتجولون فيها ، انني اكرههم بسبب نظراتهم ، بسبب كلماتهم البذيئة التي يطلقونها خلفنا ، بسبب جميع الاعمال الخسيسة الي يحاولون القيام بها ضدنا ... انني اكرههم لانهم يلوثون الحيطان والدرجات ويقومون بتدمير الممتلكات العامة ، ويمقتون الجمال ، ويستحسنون القباحة والوساخة . انني اكرههم لانهم يكرهوننا لكوننا انظف واجمل ، فبدل ان يحاولوا ان يكونوا مثلنا ، يحاولون ان نكون نحن مثلهم »(٥٢).

الحواشي :

١ ــ يديعوت احرونوت ٧١/١٢/١٥ .
٢ ــ معاريف ٧١/١٢/١٠ .
٣ ــ مجلة بمعرخاه ــ للاسفارديم والطوائف الشرقية ــ حزيران ١٩٧١ ، ص ٢٢ .
٤ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
٥ ــ دافار ٧١/٤/١١ .
٦ ــ يديعوت احرونوت ٧٢/٣/٣١ .
٧ ــ موشيه ليسك وآخرون (محررون) **مهاجرون في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية القدس ١٩٦٩ ، ص ٢٨ .
٨ ــ ايزنشتات وآخرون (محررون) . **البنية الاجتماعية لاسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٦ .
٩ ــ ملحق معاريف ٧١/٨/١٣ .
١٠ ــ موشيه ليسك واخرون (محررون) **المصدر السابق** ، ص ١٥٢ .
١١ ــ مجلة مولاد عدد ٩ ــ ٢٠ (٢١٩ ــ ٢٣٠) ص ٦٩ .
١٢ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
١٣ ــ معاريف ٧١/٣/٢٩ .
١٤ ــ ملحق هآرتس ٧١/٩/٢٤ .
١٥ ــ معاريف ٧٢/٣/٣١ .
١٦ ــ معاريف ٧١/١١/١١ .
١٧ ــ معاريف ٧٢/٣/٢٩ .
١٨ ــ مجلة شدموت (لحركة الكيبوتسات) عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .
١٩ ــ معاريف ٧١/٣/٣١ .
٢٠ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٩/١٣ .
٢١ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧ .
٢٢ ــ بمعرخاه عدد ١٣٢ ، ص ٦ ، آذار ١٩٧٢ .
٢٣ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٦/٧ .
٢٤ ــ معاريف ٧١/٥/٢٨ .
٢٥ ــ ملحق دافار ٧١/٥/١٤ .
٢٦ ــ ايزنشتات ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٤ .
٢٧ ــ شدموت ، عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ــ٢٣ .
٢٨ ــ ملحق عل همشمار (حوتام) ٧١/٧/٩ .
٢٩ ــ للاستزادة انظر كتاب ابراهام دروق وآخرون (محررون) **سياسة الرخاء في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٦٩ ، ص ٢١٣ .
٣٠ ــ مجلة اوت ٧١/٩/٩ ، ص ٨ .
٣١ ــ مجلة بشاعر مايو/يونيو ١٩٧١ ، ص ١٧٤ .
٣٢ ــ يديعوت احرونوت ٧١/٤/٩ .
٣٣ ــ شدموت ، عدد ٤٣ ، ١٩٧١ ، ص ٢٠ .
٣٤ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٣٥ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٣٦ ــ دافار ٧٢/٤/١٦ .
٣٧ ــ معاريف ٧٢/٤/٢٧ .
٣٨ ــ ملحق هآرتس ٧٢/٤/٢١ .
٣٩ ــ عنوداه ، مجلة شهرية تصدر عن وزارة العمل ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤ .
٤٠ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٩ .
٤١ ــ مجلة عنوداه ، ١٥ يناير ١٩٧١ ، ص ٤ .
٤٢ ــ ملحق عل همشمار ٧١/٣/١٢ .
٤٣ ــ مجلة اوت ٧١/٦/١٧ ، ص ١٨ .
٤٤ ــ ايزنشتات وآخرون (محررون) **الثقافة والمجتمع في اسرائيل** (عبري) اكدمون الجامعة العبرية ، القدس ١٩٦٨ ، ص ١٤٠ .
٤٥ ــ مجلة اوت ٧١/٦/١٣ ، ص ٨ .
٤٦ ــ مجلة اوث ٧١/٥/٢٧ ، ص ١٦ .
٤٧ ــ ملحق عل همشمار ٧٢/٤/٢٨ .
٤٨ ــ معاريف ٧١/٩/١٠ .
٤٩ ــ ملحق عل همشمار ٧١/١٠/٨ .
٥٠ ــ هعولام هزيه ٧٢/٣/١٥ .
٥١ ــ شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٥ .
٥٢ ــ شدموت ، عدد ٤١ ، ص ٥٧ .
٥٣ ــ معاريف ٧١/١/٨ .

حوار مع مدينة

محمود درويش

يحمل الحلمُ سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بما سيكون –

هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن حاضراً
لم أكن غائباً
كنتُ بين الحضور وبين الغياب
حجراً .. أو سحابه

– تشبهين الكآبة
قلتُ لها باختصار شديد
تشبهين الكآبه
ولكنّ صدركِ صار مظاهرة العائدين من الموت ..
ما كنتُ جنديَّ هذا المكان
وثوريَّ هذا الزمان
لأحمل لافتة ، أو عصا ، في الشوارعِ .
كان لقائي قصيراً
وكان وداعي سريعاً

وكانت تصير الى امرأة عاطفيه
فالتحمت بها
وحلمت بها
وصارت تفاصيلها ورقاً في الخريف ،
فلملها عسكريُّ المرور ،
ورتبها في ملف الحكومه
– تشبهين المدينة حين أكون غريباً –
قلتُ لها باختصار شديد :
تشبهين المدينه
هل رآكِ الجنودُ على حافة الأرضِ
هل هربوا منكِ
أم رجموك بقنبلةٍ يدويه ؟.
قالت المرأةُ العاطفيه :
كلّ شيء يلامس جسمي
يتحوّلُ
أو يتشكلُ
حتى الحجارةُ تغدو عصافير ..
قلتُ لها باكياً :
ولماذا أنا
أتشرّدُ
أو أتبدّدُ
بين الرياح وبين الشعوب ؟.
فأجابت :
في الخريف تعود العصافير من حالة البحر
– هذا هو الوقت ؟
– لا وقت
وابتدأت أغنيه :
في الخريف ، تعود العصافير من حالة البحر ،
هذا هو الوقت ، لا وقت

– ماذا تكون البقيةْ ؟
– أنتَ تصنعها
– أذهبُ الآن ؟
– لا تذهب الآن . إنّ الرياح على خطأ دائماً
والمدينةُ أقربْ .
– أنتِ المدينةُ
– لستُ مدينه
أنا امرأةٌ عاطفيه
هكذا قلتَ قبل قليل
واكتشفتَ الدليل ،
وأنتَ البقيّــه
– آه ، كنتُ الضحيه
فهل سأكون الدليل .

وكنتُ أُعانقها ، كنت أسألها نازفاً :
– أأنتِ بعيده ؟
– على بُعد حلم من الآن
والحلمُ يحمل سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بمـا سيكون .
– كيف أُكمل أُغنيتي
والتفاصيل ضاعت ، وضاع الدليل ؟
– إنتهتْ صورتي ..
والمياهُ عبودية السمكِ ، البرُّ حريةٌ ،
فابتدىءْ من ضياعك .

إنّ ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنتِ – والحبُ – والموتُ ،
قبّلتُ خنجرك الحلوَ
ثمّ احتميتُ بكفيكِ ..
أنْ تقتليني ،
وأن توقفيني عن الموت –
هذا هو الحبُّ
إني أحبُّكِ حين أموت
وحين أُحبك
أشعرُ أني أموت
فكوني امرأه
وكوني مدينه
ولكن ، لماذا سقطت .. لماذا احترقت
بلا سببٍ ؟
ولماذا ترهّلتِ في خيمةٍ عربيه ؟
– لأنكَ كنتَ تمارس موتاً بدون شهيّـه
وأضافت ، كأن القدرْ
يتكسّرُ في صوتها :
هل رأيتَ المدينة تسقطُ
أم كنتَ أنت الذي يتدحرج من شرفة الله
قافلةً من سبايا ؟
هل رأيتَ المدينة تهربُ
أم كنت أنت الذي يحتمي بالزوايا ؟.
المدينةُ لا تسقطُ . الناس تسقطْ !.

ورويداً .. رويداً تفتّتَ وجهُ المدينه
لم نحوّل حصاها الى لغةٍ
لم نسجّل شوارعها
لم ندافع عن البابِ
لم ينضج الموتُ فينـا .
كانت الذكريات مقرّاً لحكّام ثورتها السابقه..
ومرّ ثلاثون عاماً
وألفُ خريف
وخمسُ حروب
وجئتُ المدينةَ منهزماً من جديد
كان سورُ المدينة يُشبهني
وقلت لهـا :
سأحاول حبّكِ ...

أنا لا أذكر ، الآن ، شكل المدينه ،
لا أذكر اسمي
ينادونني حسب الطقس .. والأمزجه ،
لقد سقط اسمي بين تفاصيل تلك المدينه
للمه عسكريّ المرور
ورتّبه في ملفّ الحكومه
ـ تشبهين الهوية حين أكون غريباً
تشبهين الهويّـه
وتساءلتُ :
ـ هل تكون الهزيمةُ أصلا
أم تكون الهزيمةُ ظـلّا
فأجابت :

— ليس قلبيَ قرنفلة
ليس جسمي حقلا .
— ما تكونين ؟
هل أنت أحلى النساء وأحلى المدنْ ؟
— للذي يتناسل فوق سطوح السفنْ
وأضافت :
بين شوك الجبال
وبين أماسيَ الهزائم
كان مخاضي عسيراً
— ذاك من قـَدَر العاشقات اللواتي
ينازلن ظُـلمَ الزمنْ ،
فلماذا تكونين سيّدةَ الليلة القادمه
— لأني سيدةُ الذكريات
— وهل عذّبوكِ لأجلي ؟
— عذّبوكَ لأجلي !.
— هل عرفتِ الندمْ
— ألنساءُ — المدنْ
قادراتٌ على الحب ، هل أنتَ قادر ؟
— أحاول حبّك
لكنّ كل السلاسل
تلتفّ حول ذراعيّ حين أحاولْ .
هل تخونينني ؟
— حين تأتي اليّ !.
— هل تموتين قبلي
سألتكِ : مُوتي !.
— أيُجديكَ موْتي ؟
— أصيرُ طليقاً
لأنّ نوافذ حبّي عبوديّةٌ

والمقابرُ ليست تثير اهتمام أحدْ .
وحــين تموتــين
أكملُ موتي .
— توقّفْ عن الحب .. يقتربِ الموتُ منك ، فحاول !.

— أموتُ — أحبك
إن ثلاثة أشياء لا تنتهي :
أنتِ — والحبُ — والموتُ .
أن تقتليني ،
وأن توقفيني عن الموت —
هذا هو الحب .

في الخريف ، أناديك .
أحملُ خاصرةَ الله ،
حنجرةَ الأنبيــاء ،
وأحذيةَ الشهداء ،
وأكتافَ كل العبيد ..

أناديك : هــذا هو البحرُ
هــذا هو الــبرُّ
لا مركبي ينتهي
ولا شاطئي يبتدىء

.. وانتهت رحلتي – فابتدأت
وهذا هو الوقت – ألا يكون لشكلك وقت
لم تكوني مدينه
الشوارعُ كانت قبلْ
وكان الحوار زيفاً
وكان الجبلْ
عسكرياً. وكان الصنوبر خنجرْ.
ولا امرأةً كنتِ
كانت ذراعاك نهرين من جُثَث وسنابلْ
وكان جبينك بيدرْ
وعيناك نار القبائل.
وكنتُ أنا من مواليد عام الرحيل
ونسل السلاسل!

يحمل الحلمُ سيفاً
ويقطع أعناق من يحلمون
بما سيكون –
هكذا أخبرتني المدينةُ حين غفوتُ على ركبتيها
لم أكن غائباً
لم أكن حاضراً
كنتُ مختفياً بالقصيدهْ
[إذا انفجرتْ من دمائي قصيده
تصيرُ المدينة وردا]
كنت أمتشقُ الحلمَ من ضلعها
وأحاربُ نفسي
كنتُ أعلن يأسي
على صدرها، فتصير امرأه
كنتُ أعلن حبّي

على صدرها ، فتصير مدينه .
كنت أعلن أن رحيلي قريب
وأنّ الرياح ، وأن الشعوب
تتعاطى جراحي حبوباً لمنع الحروب .

وانتهتْ رحلتي —
فابتَدأتُ
كما يبدأ الذاهبون الى المقبره
كما يبدأ العائدون من المجزره
— تَشَكّلْ
تحوّلْ
فإن المدينة أجملْ .

تغرّبْ
تشعبْ
فإن المدينة أقربْ

وحاولْ
وقاتلْ
فإن المدينة حامل .

وصرتُ تفاصيل تلك المدينة ،
صرتُ العلاقة بين الولادة والمشنقه .
عرفت مواعيد موتي وحبي
وأكملتُ دائرة الجرح والزنبقة

وانتهتْ رحلتي —
فابتدأت ...

عقدة ثيودور هرتزل :
بين العم توم ودون كيشوت

أ. ن. سعد

ان كاتبي سيرة ثيودور هرتزل يتغافلون عن معالجة او حتى ذكر بعض العناصر التي تشكلت منها نفسية مؤسس الصهيونية وساهمت ، وربما ادت بشكل حاسم ، الى توصله الى الصهيونية التي صاغ مخططا لها على طريقته الخاصة . فحرصهم على استنباط الصفات التي ارتأوا انها ايجابية في شخصية هرتزل ، مثل تمسكه بالقضية التي تبناها واندفاعه وراءها ، جعلتهم يتجاهلون الصفات الاخرى التي قد لا تكون ايجابية ولكنها ذات مغزى هام في تفهم العوامل النفسية التي حددت هوية شخصيته ومسارها الى الصهيونية . وكما هي حال كل ما يتعلق بالمشكلة الصهيونية في فلسطين ، قد يبدو ضروريا الخوض في مناقشة هؤلاء الكتاب وجميعهم من الصهيونيين او المؤيدين للصهيونية . ولكن اهتمامنا هنا لا يقع في مثل هذا المنهج المتبع تقليديا الى حد ما ، بل يستقتصر معالجتنا على طرح وتحليل بعض الوقائع التي يمكن ايجادها بكثرة في كتابات هرتزل نفسه وخاصة في مذكراته الشخصية التي نشرت مؤخرا بكاملها في اربعة مجلدات كبيرة(١)، والتي تحتوي على اشمل الدلالات والاشارات وادقها الى نوعية تفكير هرتزل وبنيان شخصيته . وسيجد القارىء في مجال هذه المقالة القصيرة ، ان استعمالنا لكلمة « عقدة » في العنوان أعلاه ليس من باب الاحكام المسبقة والشتائم التي قد يرسلها كاتب متحيز ضد الحركة التي يقال ان ثيودور هرتزل تزعمها . وان بدا ان البعض يمتنع عن النظر في حكم التعقيد على مؤسس حركة اثبتت تاريخيا قدرتها على تحقيق أهدافها بوجه جميع الصعوبات ، فعلينا التأكيد والتذكير بأن الانطباعات الحالية لا تحدد ، ولا ينبغي أن تحدد ، منظورنا لوقائع موضوعية تعود الى فترة ما قبل ثلاثة ارباع قرن من الزمن ، خاصة وان لدينا المصادر الوثائقية المباشرة والمتمثلة في اقوال هرتزل نفسه في مذكراته والتي هي بحد ذاتها ووحدها، أدت بنا الى الاستنتاج بأن توصل هرتزل الى الصهيونية مثل آخرين من الصهيونيين ، كان تجسيدا وانعكاسا للتخبط النفسي .

العم توم اليهودي

ان شخصية العم توم معروفة جدا في الغرب وخاصة في الولايات المتحدة ، الا انها قد لا تكون معروفة بهذا القدر لدى القارىء العربي . وعبارة العم توم رائجة جدا اليوم اذ تستعمل للاشارة الى السود الذين يجهدون في تأييد النظام القائم والمؤسسة الحاكمة في الولايات المتحدة وتبرير ممارساتها . وتعود هذه الشخصية التي أصبحت شبه ميثولوجية واسطورية الان ، الى رواية **((كوخ العم توم))** التي كتبتها الروائية الاميركية البيضاء ، هارييت بيتشرستو ، في شكل اقاصيص متسلسلة في احدى المجلات الاميركية في عامي ١٨٥١ ــ ١٨٥٢ قبيل الحرب الاهلية التي ادى انتصار الشمال فيها الى الغاء العبودية . وتحكي هذه الرواية قصة توم ، العبد الزنجي العميق الايمان بالمسيحية الذي يتفانى في خدمة سيده الابيض وفي الصلاة من اجله باستمرار الى ان باعه سيده عندما

واجهته صعوبات مالية فانتقل الى خدمة سيد آخر يقال انه كان ذا شخصية متعمقة وطيبة . فتفانى توم في حبه وخدمته وخدمة ابنته الطفلة التي كانت تحبه لانه علمها الالعاب والاغاني وأخبرها القصص الى أن توفيت وتوفي والدها فانتقلت ملكية توم الى سيد آخر كان سيىء الخلق فأخذ توم يصلي من اجله الى أن توفي نتيجة الضرب المبرح الذي تلقاه من سيده الجديد .

ثمة جانب آخر من رواية **كوخ العم توم** لا يسعنا تجاهلها نظرا لارتباطها وتشابهها نوعا ما بموضوعنا الحالي . فالى جانب العم توم تحكي الرواية قصة آخرين من العبيد الزنوج الذين كانوا مستعبدين في المزرعة الاولى التي خدم فيها العم توم: جورج وزوجته وابناؤهما الذين فضلوا الهرب على ان تتفتت عائلتهم عند بيعهم، فذهبوا الى الشمال الى أن انتهى بهم المطاف في كندا حيث لم يعرفوا ماذا سيحل بهم . وكانت في الولايات المتحدة آنذاك قد قامت حركة ، او بالاحرى ، اقيمت حركة سوداء بتأييد من الحكومة الاميركية ، سعت لتهجير السود المعتقين الى ليبيريا التي قامت البحرية الاميركية باحتلالها واقامة دولة « مستقلة » فيها يحكمها السود الاميركيون المستوطنون في خدمة الدولة الام التي تبنت حركتهم ومكنتها من تحقيق أهدافها . وقد ارتأت مؤلفة الرواية ان تنهيها بقرار جورج وعائلته الاستيطان بليبيريا . وبعدها ختمت روايتها بالشعارات التي اطلقتها عن الحضارة التي سينقلها المستوطنون السود الى أفريقيه بمساعدة وتشجيع من الكنائس البروتستانتية الاميركية .

لا بد ان القارىء قد يتحسس من عرضنا للخطوط العريضة لهذه الرواية أوجه تشابهها مع قصة هرتزل والصهيونية . فثيودور هرتزل كان بمثابة التجسيد اليهودي لشخصية العم توم اذ انه كان يتنكر لليهودية واليهود . وغالبا ما ردد في مذكراته الاقوال عن اعجابه بغير اليهود وخاصة ابناء الطبقات الرفيعة منهم من الالمان (خاصة البروسيين) والبريطانيين والفرنسيين الذين تطلع اليهم على انهم المثال الاعلى الذي ينبغي ان يحتذى من اجل التنميق والذوق الرفيع والحضارة . وقد قال اكثر من مرة انه لا يلوم اللاساميين من غير اليهود على اضطهادهم لليهود وسجل في مذكراته مرة واحدة على الاقل ان اللاساميين على حق كما ردد مرارا قوله ان اللاساميين سيكونون افضل حلفاء الصهيونية . وعلى نهج حركة ليبيريا كان هرتزل يتكلم عن اعتقاده بأن اليهود في « البلاد الجديدة » سينقلون معهم عناصر الحضارة الاوروبية الى الشرق المتخلف(٢) . ومن يعرف أوضاع دولة ليبيريا اليوم ، بما فيها من تمييز يلقاه الافريقيون السود من السكان الاصليين على أيدي المستوطنين الاميركيين السود الذين يشكلون العنصر الحاكم في البلاد ويديرون دفتها باتفاق دائم مع سياسة الولايات المتحدة الاميركية ، مع ما يقابله ذلك في اسرائيل من تمييز ضد السكان العرب الاصليين واليهود الشرقيين من اصل عربي على ايدي المستوطنين من اليهود الغربيين الذين يحكمون البلاد وفق سياسة تبعية لحكومة الولايات المتحدة ، يمكنه ان يرى وجه الشبه بين « الحل » الذي دعت مؤلفة شخصية العم توم اليه و« الحل » الذي اعتنقه هرتزل للمشكلة اليهودية .

ان المقارنة التي نحن بصددها بين ثيودور هرتزل وشخصية العم توم ، لم تأت تلقائيا او عفويا بل اقتبسناها من اشارة بهذا المعنى وردت في مذكرات هرتزل نفسه . فعند توصله الى الصهيونية في صيف ١٨٩٥ كان هرتزل يقيم في باريس حيث كان يعمل مراسلا صحفيا يكتب الاقاصيص والنوادر عن الاوساط السياسية الفرنسية التي كانت تنشر في صحيفة **نيو فراي برس** في فيينه بالنمسه حيث كانت تقيم عائلته . وقد كان هرتزل يكتب المسرحيات من آن الى آخر ، وهذا ، بالاضافة الى عمله الصحافي وكتابة الاقصوصة ، جعله على اتصال ببعض الكتاب الفرنسيين . ويبدو انه ، من بين هؤلاء ، كان على معرفة واتصال ، وربما صداقة وثيقة ، بالكاتب الصحفي الفرنسي ، **الفونس دوداي** ،

الذي كان يحرر في صحيفة **البارول لبر** الفرنسية والذي عرف هو وصحيفته باللاسامية والتحامل على الاقل . ولا حاجة لان يستغرب القارىء من صداقة هرتزل اليهودي مع هذا اللاسامي المتحيز ضد اليهود اذ ان الكثيرين ممن صادقوا هرتزل ورحبوا بأفكاره وربتوا له على كتفيه كانوا من اللاساميين كما نعلم من المذكرات . ويخبرنا هرتزل في بداية مذكراته اليومية التي باشر كتابتها فور توصله الى الصهيونية انه التقى يوماً بدوداي فجرى الحديث بينهما عن اليهود فأخبره دوداي انه لاسامي بالحرف الواحد ودون تردد . عندها يبدو ان هرتزل قال له انه ينوي تأليف كتاب يدور موضوعه حول اليهود فسأله دوداي : « رواية ؟ » . فأجابه هرتزل : « كلا ... كتاب رجال » . فلم يتحمس دوداي لذلك وقال له : « ان الرواية تصل الى آفاق اوسع ، فكر **بكوخ العم توم** » . وعندها اخذ هرتزل يشرح تفاصيل ما ينوي كتابته مما اثار اهتمام دوداي لدرجة انه قال : « كم هذا جميل ، كم هذا جميل » !

كان هرتزل قد كتب مسرحية بعنوان **الغيتو الجديد** كانت ، من جملة اشياء اخرى ، تعبيرا عن شخصية العم توم اليهودي اذ ان بطلها ، المحامي اليهودي ساموبل ، كان مثاليا يجهد في خدمة موكله الاريستوقراطي الصناعي المسيحي ويدافع عن مصالحه ضد ابتزازات شريكيه اليهوديين اللذين كان احدهما زوج اخت ساموبل . الا ان الرواية التي بطلها دون شك انعكاس لشخصية هرتزل قد حوت كذلك طابع الدون كيشوتية المأساوية خاصة وانها تنتهي باختلاف ساموبل مع موكله الاريستوقراطي حين يشك الاخير في اخلاص المحامي ويتهمه بالتواطؤ مع زوج اخته ويشتمه بكلمات مهينة لليهود فتقوم مبارزة بينهما ويصاب ساموبل بجرح قاتل ويلفظ مع انفاسه الاخيرة الكلمات التالية : « يا ايها اليهود ، اخواني ، لن يسمح لكم بالعيش بعد اليوم ، حتى تخرجوا من الغيتو » .

وهذه الرواية التي فسرت على انها استنكار المحامي اليهودي المنصهر في المجتمع الاوروبي لطريقة العيش اليهودية المنغلقة والتقليدية في الاحياء اليهودية ، كان هرتزل قد كتبها وسط تصاعد قضية الضابط اليهودي الفرنسي درايفوس الذي حوكم بتهمة الخيانة والعمل لالمانيه — اي قبل لقاء هرتزل ودوداي والذي ذكرناه اعلاه ، ببضعة اشهر . اما بعد هذا اللقاء ، فيبدو ان ذاكرة هرتزل عادت الى مسرحية كان قد بدأ بكتابتها منذ عام ١٨٩١ وأراد فيها اظهار التفاوت بين جماهير اليهود الفقراء وأثرياء اليهود من خلال إقتباس عن قصة شاب يهودي كان يعرفه هرتزل انتحر آنذاك في برلين . وعند عودته من لقاء دوداي راجع هرتزل ، كما يخبرنا باختصار في مذكراته ، الفصل الاخير من مسودة هذه المسرحية حيث يعالج المناخ السابق للانتحار اذ يذهب بطل الرواية ، واسمه ساموبل ايضا ، في جولة مسائية في احد الشوارع ويحس باحساس التعالي على الجميع علما منه بموته القريب ويسخر في ذهنه من ضباط الحرس الذين كان بوسعه ان يأخذ أي واحد منهم معه الى الموت . ورأى نفسه وكأنه قائد ، وراح يمشي بابهة وعجرفة حتى أصبح الجميع يخلون الطريق أمامه مما اكسبه الثقة والهدوء النفسي فذهب الى بيته وانتحر بهدوء .

قرر هرتزل بعد قراءته لهذه المسودة ، وربما بتأثير من دوداي ، ان يغير هذه المسرحية بحيث لم يعد ساموبل المنتحر بطل الرواية ، بل مجرد شخصية ثانوية فيها ، ويصبح البطل احد أصدقاء ساموبل الذي توصله حياته الى «اكتشاف او تأسيس ارض الميعاد» . ويسمع البطل بانتحار صديقه وهو على الباخرة برفقة مجموعة من الضباط المستكشفين البحريين معه ، فيمتعض كثيرا الا انه يتطلع بثبات الى الإفق باتجاه أرض الميعاد .

سرعان ما تخلى هرتزل عن فكرة كتابة الرواية التي نصحه دوداي بها وباشر كتابة برنامج عملي نشر فيما بعد (في العام المقبل) في كراس الدولة اليهودية . الا ان قراءة

دقيقة لهذا الكراس تكشف ، من خلال كلامه عن تفاصيل رحلة الاسطول الذي سينقل المهاجرين الى البلاد الجديدة لبناء الدولة ، مزيجا غريبا من الجدية الساذجة والروائية الخيالية . اما الرواية عن اكتشاف ارض الميعاد فلم يعد اليها هرتزل حتى عام ١٩٠٢ حين كتب روايته المشهورة **الارض القديمة الجديدة** والتي ضمن فيها رؤيته الخيالية لدولة المستقبل . وتحكي هذه الرواية قصة الشاب اليهودي الفييني الفقير الذي يتعرف الى مليونير اميركي سئم الحياة يقترح عليه مرافقته في رحلة الى المحيط الهادىء للابتعاد عن العالم الخارجي نهائيا . ولكن بعد ان يبحر اليخت المنمق المترف بقليل يذهبان لسبب ما لتضاء بضعة ايام في فلسطين فيجدانها بلادا يعمها الخراب والقحل والقذارة . فيستأنفان السفر الى المحيط الهادىء حيث يمكثان مدة عشرين سنة ثم يعودان عن طريق قناة السويس باتجاه اوروبه فيجدان ، باختصار ، ان فلسطين على أيدي اليهود قد اصبحت بلادا عامرة ، مركز المواصلات فيها المرافىء وخطوط السكك الحديدية . وحتى يهود أوروبه الشرقية الذين سبق واشمأز هرتزل من حياتهم في **الغيتو الجديد** ومسرحيات وكتابات اخرى ، ارتأى هرتزل ان يراهم في البلاد الجديدة في فلسطين متمدنين يجالسون الاريستوقراطيين البريطانيين ويشربون معهم الشاي !

وهكذا عبر هذه المسرحيات ومسودات المسرحيات انتقل بطل هرتزل من الانتحار ، الى خدمة الاريستوقراطي المسيحي في اوروبه ، الى المبارزة معه ، الى الابتعاد عن اوروبه، برفقة الضباط المستكشفين ثم برفقة المليونير الاميركي ، الى مجالسة الاريستوقراطيين . واذا بدا ان عنصر « العم تومية » لدى هرتزل ليس بارزا بروزا تاما من خلال مسحنا لهذه المسرحيات ، فان عودة منا الى ما قبل توصل هرتزل الى الصهيونية من شأنها ان توضح الامور توضيحا اضافيا .

يبدو من قراءة الفقرة الطويلة الاولى التي بدأ هرتزل بها تسجيل مذكراته ان المشكلة اليهودية بالمعنى الشخصي ــ اي يهودية هرتزل ــ كانت تشكل بالنسبة له موضوع قلق نفسي منذ أمد بعيد . ويقول انه ربما كانت هناك اوقات فكر خلالها بالابتعاد عن المشكلة النفسية التي عانى منها عن طريق اعتناق المسيحية . ولكن على أي حال فهو يخبرنا انه اثناء اقامته في باريس عام ١٨٩٣ كان قد توصل الى حل للمشكلة اليهودية بمساعدة الكنيسة الكاثوليكية . فقد استنبط مخططا للتوصل الى لقاء البابا من خلال رؤساء الكنيسة في النمسه كي يقول له : «ساعدونا ضد اللاسامية وأنا اتعهد بأن انشىء حركة كبيرة لتحقيق اعتناق اليهود للمسيحية بطريقة حرة ومحترمة » . واعتبر هرتزل ان حركته ستكون « حرة ومحترمة » نظرا لان زعماء الحركة ــ بمن فيهم هو نفسه ــ سيبقون على يهوديتهم بحيث يشجعون الاخرين على اعتناق المسيحية ــ ديانة الاغلبية . وارتأى هرتزل على طريقته الخيالية بأن تتم احتفالات اعتناق المسيحية بفخر في وضح النهار في كاتيدرائية كبيرة ايام الاحد وسط رنين الاجراس . وبهذا فقد اقتنع هرتزل بأن هذا الحل سيؤدي الى اعتناق جميع الاطفال اليهود للديانة المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد مما يؤدي الى اختفاء اليهود دون الضرورة الى تنصر جيله الحالي . وما ان اكتشف هرتزل هذا الحل حتى باشر بتدوين تفاصيل تنفيذه وراح يتأمل نفسه ماثلا امام رئيس اساقفة فيينه والبابا يعرض عليهما مشروعه ويرسل الشعارات عن تخالط الاجناس !

يبدو ان هرتزل كان قد اخذ مشروعه هذا بكامل الجد والحماسة وقرر ان يقنع محرري صحيفة **نيو فراي برس** التي كان يعمل لمصلحتها في فيينه على تبني المشروع والترويج له . الا انهم رفضوا مشروعه وقال له احدهم ، موريتز بندكت ، « ان مئات الاجيال بقيت على ديانتها اليهودية وأنت تريد ان تجعل من نفسك نقطة النهاية لذلك » . وربما فسر هرتزل هذا الرفض على انه نتيجة نظرة المحررين اليه على انه مجرد ثرثار وكاتب

اقاصيص تافهة . الا ان بندكت قال له كذلك : « وعلى كل حال فان البابا لن يستقبلك » .
ولا يمكننا البت نهائيا هل تخلى هرتزل عن هذا الحل ـ أي عن طريق تنصير اليهود ـ بعد توصله الى الصهيونية ، اذ انه اختتم كراسه **الدولة اليهودية** فيما بعد بالقول بأن اليهود في دولة المستقبل سيختفون كليا . كما ردد في مذكراته مرارا اصراره على رفض اللغة العبرية وتفضيله اللغة الالمانية في دولة المستقبل . وعلى أي حال فان العقدة اليهودية ، عقدة احتقار الذات اليهودية هذه ، رافقت هرتزل طوال فترة نشاطه الصهيوني ولازمته حتى وفاته .

كانت طبقة النبلاء الالمان وخاصة البروسيين هي المثال الاعلى لثيودور هرتزل . فهو قد سجل في مذكراته في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ مثلا : « ان كان هناك شيء اصبو اليه فهو أن أكون احد أعضاء طبقة النبلاء البروسية العريقة » . وعندما فكر بامكان اقامة دولة المستقبل تحت حماية المانيه ، سجل هرتزل في مذكراته يوم ٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ : « ان نعيش تحت حماية دولة المانيه القوية والعظيمة والاخلاقية والرائعة الحكم والوثيقة التنظيم ـ فهذا ليس من شأنه الا ان تكون له افضل الاثار في الشخصية القومية اليهودية » .

الا ان تطلع هرتزل الى المسيحيين الاوروبيين لم يقتصر على الالمان . فهو أراد ـ كما سجل في مذكراته ليوم ٩ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ ـ أن تنشأ المبارزات في دولته كي تسبغ « نوعا من التنميق الفرنسي على المجتمع الافضل » . كما سجل في اليوم نفسه ما يلي : « لكي اصبح في مركز احترام وتقدير في البلاطات الاوروبية ينبغي علي ان أؤمن لنفسي الحصول على جميع الاوسمة واسماها مبتدئا بالاوسمة الانكليزية » .

ومما يشير الى تطلع هرتزل الى طريقة العيش المسيحية الاوروبية المترفعة وتنكره لكل ما هو يهودي ، تسجيله لزيارته للضابط البريطاني من اصل يهودي ، الكولونيل غولدسميد في منزله في كارديف بانكلترا . ويسجل هرتزل عن هذه الزيارة شعوره بأنه قد وجد نفسه في عالم آخر في الجو البريطاني المنمق الذي احاط بحياة الكولونيل ومظهره ، وخاصة في الامسية التي دعي فيها عازف البيانو روزنثال الى منزل غولدسميد ، فلاحظ هرتزل ان زوجة الكولونيل وابنته كانتا تصغيان الى العزف بمظهر رشيق ، فراحت تتراءى في ذهنه النسوة اليهوديات الاريستوقراطيات في دولة المستقبل : مخلوقات فاتنات ، بلمسة شرقية ، لطيفات وحالمات . « حقا في عالم آخر » ... الى ان وقعت انظاره على قطعة تزيين فيها لفافة مخطوطة من التوراة اعادته الى عالمه الحالي .

في ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ حين كان هرتزل في زيارة الى اسطنبول ذهب الى المسرح في الهواء الطلق Les Petits Champs هناك فوجد أن فرقة تمثيل يهودية كانت تقدم احدى المسرحيات باللغة اليديشية فاغتاظ جدا ، وتذكر زيارته السابقة لهذا المسرح منذ ثلاثة اعوام حين كانت فرقة الاوبرا الخفيفة الايطالية La Morisana تؤدي غناءها فأعجبه المناخ الرقيق . اما الفرقة اليهودية اليديشية فقد انقبضت نفسه لدى رؤيتها وسجل في مذكراته لذلك اليوم : « انني احس بانطباع كئيب . فهذا الفن الحقير يشكل اعلى منجزات جماهيرنا التي تتكلم لغتها الهجينة ، ومستواها الحالي يجب تمييزه على انه في حالة هزيلة يرثى لها . فقد اشمأزيت » !

لا مجال لنا هنا لايراد المزيد من الامثلة الكثيرة في المذكرات التي تشير الى كراهية النفس اليهودية التي عانى منها هرتزل . وهذه الامثلة تظهر بوضوح ان هرتزل كان قد تقبل جميع ما قاله اللاساميون غير اليهود عن اليهود من أقوال مهينة لهم حتى انه كان يردد عددا منها في مذكراته . ونذكر فيما يتعلق بكراس الدولة اليهودية الذي اصدره ، انه لم

يتمكن من ايجاد ناشر يهودي يتعهد باصداره مما حدا به الى طبعه لدى اثنين من اللاساميين غير يهوديين في فيينه ممن رحبوا به . وفي لقاء له معهما قال له احدهما : « لقد آن الاوان لان يقف رجل ما بشجاعة ويقول الامور الواجب قولها » .

اما محرر صحيفة **نيو فراي برس** اليهودي، بندكت، فقد حذر هرتزل (في ٤ شباط(فبراير) ١٨٩٦) من نتيجة طرحه « لحله » الصهيوني في كراسه وقال له ان السيل الذي قد يبدأ تحريكه بناء على الاقتراحات التي أوردها هرتزل في كراسه سيؤدي الى الاضرار بالمصالح اليهودية كافة . واضاف : « اننا نتيجة لذلك سنخسر اوطاننا الحالية قبل ان ننال الدولة اليهودية » . الا أن ذلك ، وتحذيرات آخرين من معارف هرتزل الاخرين ، لم تثنه عن عزمه فمضى في اصدار الكراس .

وكان النائب النمساوي سيموناي اول من رحب بالكراس ، وكان هذا مشهورا باللاسامية في الصحيفة التي كان يصدرها ، فراح يكتب المقالات الواحدة تلو الاخرى يمدح فيها هرتزل ويصفه بعبارات الشهامة والحماسة لارائه . ولما التقى هرتزل بهذا الرجل في ٣٠ آذار (مارس) ١٨٩٦ كتب عنه في المذكرات ما يلي : « انه رجل في الستينات متقلب ماكر وثرثار يكن لليهود قدرا من العطف المذهل وحديثه خليط من المعقول والهراء يصدق قصة القتل الطقوسي الكاذبة عن اليهود ، ومع ذلك له ابهى الافكار واحدثها . انه يحبني » !

اما الرجل الاخر الذي تحمس لهرتزل ومكنه فيما بعد من التوصل الى لقاء دوق بادن والقيصر الالماني ، فقد كان القس وليم هشلر الذي سبق ان كان عضوا في « اللجنة اللندنية لنشر المسيحية بين اليهود » ، وجاء بعد سماعه بمشروع هرتزل ليرحب به ويقول له انه تجسيد لنبوءة كان قد توقع اقتراب تحقيقها . وفي اللقاءات اللاحقة بين هرتزل وهذا الرجل لم يمتنع الاخير على الاقل في احدى المناسبات المحددة (مذكرات ٢٦ ابريل ١٨٩٦) عن اطلاق العبارات اللاسامية المهينة لليهود على مسمعه . كما يبدو انه كان يسعى لاقناع هرتزل باعتناق المسيحية .

ان اصدار الكراس الذي كان مزيجا من الاقصوصة الروائية والبرنامج العملي قد قابلته الاوساط اليهودية في فيينه بالسخرية . ففي ١٨ شباط (فبراير) سجل هرتزل ان استاذ الجامعة الفيينية اليهودي ، فابليوغن ، جاء لزيارة هرتزل ليسأله ان كان الكراس مقصودا به الجد ام كان مجرد تقديم ساخر لاذع للصهيونية . وسجل هرتزل كذلك انه سمع ان ثمة « اشاعات » تسري بين الناس تقول ان هرتزل قد أصبح مجنونا . اما الصحافي اليهودي لوداسي فقد كتب مقالة سمع بها هرتزل في اول تموز (يوليو) ١٨٩٦ قال فيها مؤلفها « ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس » .

الواقع ، رغم وضوح عنصر « العم تومية » في شخصية هرتزل ومشروعه الصهيوني ، فهناك العنصر الاخر الذي لازم عقدته وساهم في تحديد التعبير عنها في توصله الى الصهيونية . وثيودور هرتزل لم يهد توجيه انظار الرأي العام الى مقترحات وآراء له فحسب ، بل شعر بأنه هو الذي سيقوم بتنفيذ هذه المقترحات والاراء ، وغالبا ما تكلم وكأنه هو الذي سيقوم بالعمل لتحقيق المشروع العظيم . ومن هنا نفهم قول جوليوس باور (الذي سجله هرتزل في ٢٣ شباط ــ فبراير) : « لا بأس بالنسبة لي ان ذهبنا الى فلسطين ولكن أريد جمهورية يرئسها هرتزل الاكبر » !

دون كيشوت اليهودي

كان هرتزل ، لكونه كاتب أقاصيص تافهة ، يأمل دوما بأن يرتقي الى مكانة لها تأثيرها في السياسة الدولية . ولذلك فقد كان يستنبط المشاريع الواحد تلو الاخر والتي كان يأمل بأن تتبناها الدول الاوروبية والفاتيكان . وتوصله الى الصهيونية عامل ١٨٩٥ بدا له

وكأنه اكتشاف عظيم على الرغم من ان كثيرين كانوا قد سبقوه الى الصهيونية . والمستوطنات اليهودية في كل من الارجنتين وفلسطين بتمويل من البارونين هيرش وروتشيلد كانت قد بدأت منذ عام ١٨٨١ . ويبدو ان هرتزل لم يكن يعلم بوجود المنظمات الصهيونية العديدة في جميع البلدان آنذاك كما لم يدرك ان ثمة من سبقوه الى « اكتشاف » الصهيونية وعلى رأسهم اليهودي الروسي ليو بنسكر الذي كتب كراسة عن الموضوع منذ عام ١٨٨١ . وعلى هذا فانه بدأ تسجيل مذكراته بقوله : « منذ فترة خلت وانا منشغل بعمل لا حدود لعظمته والان لست أدري ان كنت مما نفـذه ام لا . وهو يبدو لي حلما عظيما امتلكني اياما واسابيع وشغلني الى ابعد حدود افكاري . وهو يرافقني اينما ذهبت ويرفرف فوق احاديثي العادية وينظر من وراء كتفي الى عملي الصحافي التافه والمضحك فيضايقني وتسكرني نشوته في الوقت نفسه » .

وراح هرتزل يخط في مذكراته برؤوس الاقلام رؤيته للدولة اليهودية دون ان يكون قد قرر ما اذا كانت ستخرج في شكل كتاب عام او رواية . وجاءت كتاباته على مجموعة مذهلة من التفاصيل تراوحت بين سبل تنظيم العمال في دولة المستقبل وسبل اقامة الفرق الموسيقية والمقاهي فيها . وتطرق الى وصف الرحلات البحرية التي تقل المهاجرين الى الارض الجديدة (وربما ارتأى ان العبور سيتم في مرحلة واحدة) . ووصف رؤيته رأيه الدولة الجديدة ونظام الحكم فيها ومعاملة الصحافة ومزارع التبغ وجباية الضرائب وفرض الاحتكارات الحكومية على بعض السلع وتنظيم الجيش ... الخ . وليس هناك متسع في هذه المقالة القصيرة لمعالجة المغزى النفسي لهذه الاراء . الا ان رؤية هرتزل لدوره الخاص في عملية تنفيذ المشروع ذات اهمية خاصة في اظهار الدوافع النفسية لدعوة هرتزل الى مشروعه .

مضى هرتزل باكتشافه هذا المشروع في احلامه وامانيه الخيالية عن مستقبل العظمة الذي ينتظره في دولة المستقبل ولما ذهب في جولة الى حدائق التويلاري في باريس في احد ايام صيف ١٨٩٥ وصل الى تمثال غامبيتا ، فقال لنفسه : « آمل ان يقيم اليهود لي تمثالا اكثر رونقا من هذا » . ولم يكتف هرتزل بترقب المجد لنفسه بل راح يوزع المراكز على معارفه . وما أن فكر بموريتز غودامان ، كبير حاخامي فيينا ، حتى قرر ان يضعه في منصب « الاسقف الاول » في عاصمة دولة المستقبل . كما سجل هرتـزل ما يلي : « مبدأ : ان كل من يأتيني من معارفي السابقين ، قريبا كان أم بعيدا ، سيحصل على مركز مرموق » . وهنا يبدو ان هرتزل احس بالحاجة لتبرير مظهر السلطان الذي ارتآه لنفسه فكتب : « ان روسو قال بالواقع التعاقدي للمجتمع وهو خاطىء بذلك ... ففي الدولة قائم بالادارة فقط ... وهكذا سأقوم بادارة شؤون اليهود دون انتدابهم لي » . وعاد هرتزل الى التفكير بتوزيع المراكز في دولة المستقبل فقرر أن اباه سيكون السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وجاء القيصر الالماني على ذهن هرتزل فأثار آمال المستقبل لديه وقال لنفسه : « انني سأتعامل مع عظماء هذه الارض كمساو لهم » . كان هذا في ٨ حزيران ١٨٩٥ ، وفي اليوم التالي انشغل هرتزل في تسجيل ما سيكون لقبه الخاص فكتب : « لكي اتجنب تعريفي بلقب « مدير » في انكلتره ، وهو ذو منشأ تجاري ، فربما سأتبنى لقب مستشار (على النمط الالماني) أو شيء من هذا القبيل ... وسلامتي الشخصية ستكون موضع اهتمام جهاز فعال من البوليس السري ... وسأمتنع شخصيا عن قراءة اي صحف (...) وسأعطي الاوامر بألا يطلعوني على اي شيء مما يكتب عني في الصحافة سواء اكان ذلك مدحا أم ذما ، اذ من الان فصاعدا سيكون لي حق وواجب اللامبالاة تجاه اي تهجمات شخصية من اي نوع كانت . اما اذا بدا ان تيارا في الرأي العام قد نشأ ضد المشروع فينبغي اعلامي بالمسألة في الحال كي اتمكن من ضرب المعارضة » !

كل هذه السلطات الديكتاتورية ، قررها هرتزل لنفسه في دولة المستقبل قبل ان يكون قد قرر موقع هذه الدولة . ومن المرجح انه كان يفكر بالارجنتين . وقد ذهب في تسجيله لتنظيم دولة المستقبل الى التفاصيل الصغرى كافة (هذا مع العلم انه لم يفكر بالامور الجدية التي يتطلبها تحقيق المشروع) ويعود منها الى امانيه الشخصية . ووصل انفعاله الى اقصاه حين تذكر ابنه فكتب : « عندما فكرت بأنني سأقوم يوما ما بتتويج ابني هاس اميرا (دوج : القاضي الاول في جمهوريتي البندقية وجنوى الاريستوقراطيتين) واتوجه اليه بالكلام في المعبد امام رجالات الدولة واخاطبه « سموكم الملكي ابنـــي الحبيب » اغرورقت عيناي بالدموع » !

ان دون كيشوتية هرتزل لم تتوقف عند هذا الحد ، فبعد ان سجل تفاصيل الاجراءات التي ستتخذ للحؤول دون نشوب ثورة داخلية في دولة المستقبل استدرك نفسه وكتب : « ولكنني اريد أمة سعيدة ، وستشرب الانخاب الكثيرة فيها على شرفي » ! وراح هرتزل يفصل اسلوب الرحلة البحرية التي ستأخذ اليهود الى البلاد الجديدة فوصف تصنيف البواخر الى درجات تذهب فيها الطبقات المختلفة فابتهج كثيرا لهذه الافكار وقال : « ان الكثير من افكاري، مثل تلك التي اوردتها عن المبارزة والانتحار واعالة المخترعين واحتكار البورصة ، ولجنة التحقيق في شكاوى المسافرين خلال الرحلة ، جيدة بالنسبة لجميع الامم » . وخلص هرتزل في ١٤ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ الى التفكير بالعلم (الراية) لدولة المستقبل فقرر ان يكون باللون الابيض وعليه سبع نجوم بحيث يمثل اللون الابيض نقاوة الحياة الجديدة والنجوم عدد ساعات العمل السبع اليومية في دولة المستقبل . وقال : « تحت شعار العمل ورايته سندخل ارض الميعاد ... وسيكون ذلك حسن حظ كبير لي ينعش آمال ابوي في شيخوختهم ويكون بمثابة شرف عظيم لذريتي انني ابتكرت هذا المشروع العظيم » !

لكن هرتزل يعتقد ان الجميع ، من وجهاء اليهود ورجالات الدول الاوروبية ، سيرحبون بـ « اكتشافه » بحماسة . فهو شعر ان مشروعه سيكون اقل كلفة واكثر فعالية من مشاريع البارونين وان الحكومات سترحب به اذ سيخلصها مـــن الفقراء اليهود الذين كانوا ينضمون الى الاحزاب الثورية . واتصل هرتزل اول ما اتصل بالبارون هيرش فذهب اليه بباريس في ٢ حزيران (يونيو) ١٨٩٥ حاملا معه افكاره التي سجلها في تقرير طويل ليقنعه بتمويـــل المشروع . وقرأ هرتـــزل تقريره الى ان وصل الى الكـــلام عن « المستوى الخلقي لجيش دولة المستقبل » فقاطعـــه البارون ، ربما بعـــد ان ادرك سذاجته ، وسأله : « متى باعتقادك سيتم تحقيق المشروع ؟ » ولا حـــاجة بنا لادراج تفاصيل الحديث بينهما ، الا ان هرتزل لم ينل ما كان قد توقعه لمشروعه . وربما وصف هيرش مشروع هرتزل بأنه دون كيشوتي اذ ان هرتزل حنق كثيرا وعاد وكتب رسالة في ١٨ حـــزيران (يونيو) الى البارون قال له فيها فيما قـــال : « لا يهمني ان بديت مثـــل دون كيشوت ... ولكن حلولك التافهة ...،٢٠ مستوطن لك في الارجنتين او اعتنـــاق اليهود للاشتراكية ـــ لن أقبل بها اذ لست سانشو بانزا ايضا » !

يبدو ان هرتزل كان يتخيل انه كان هناك صراع بين عائلة هيرش وعائلة روتشيلد كبيري اثرياء اليهود . وقد سجل هرتزل ، بعد لقائه الفاشل مـــع هيرش في مذكراته ما يلي : « منذ اسبوع كان هيرش حجر الاساس لمشروعي ، اما اليوم فقد انحدرت قيمته الى دمية مهملة تماما . لقد ذهبت الى هيرش والان سأذهب الـــى روتشيلد مثلمـــا ذهب مولتكي من الدانمارك الى بروسيه » . الا ان هرتزل سرعان ما عاد ولان على «المسكين» هيرش فكتب : « اذا نجحت مع روتشيلد فلن أهمل المسكين هيرش كليا .. سأعطيه نيابة رئاسة ما اعترافا بخدماته السابقة ونظرا لانه سبق وتعرف الى خطتي ... » !

قرر هرتزل ـــ بأمله باستمالة روتشيلد ـــ اعادة كتابة مشروعه بشكل مفصل بحيث يكون

كراسا بعنوان : تقرير الى عائلة روتشيلد . الا ان هرتزل لم ينجح في مسعـه للقاء البارون روتشيلد لفترة عام ونيف ، مما حداه على اصدار الكراس تحت عنوان **الدولة اليهودية قبل اللقاء المنتظر** . وقد ذكرنا ان هذا الكراس كان خليطا من الكتابة الساذجة والاقصوصية الخيالية خاصة وانه يبدأ بالكلام عن الاكتشافات العلمية الحديثة واختراع الالات التي تحل مكان العمل اليدوي . ولم يتوصل هرتزل الى مقابلة البارون روتشيلد الا بعد رحلة مغامرة قام بها الى اسطنبول حيث اعتقد انه سيقابل السلطان كي يشتري فلسطين منه مقابل مليوني جنيه . وعلى الرغم من فشله المزري والتكاليف التي ابتزها منه مرافقه نيولنسكي خلال هذه الرحلة ، عاد هرتزل وسط الاشاعات التي اعتبرها مؤاتية والتي قالت ان هرتزل قابل السلطان . وانتهى هرتزل اخيرا الى لقاء البارون في ١٨ تموز (يوليو) ١٨٩٦ في مكتب الاخير في باريس . وخلال هذا اللقاء قام جدال عنيف حسب تعبيرات المذكرات بدأ باثارة البارون على هرتزل على انه نـوع جديد من برنارد الناسك . ويبدو ان هرتزل كان يصر طـوال المقابلة على قـراءة « التقرير الى عائلة روتشيلد » (أي كراس الدولة اليهودية) الا ان البارون كان يقاطعه باستمرار وقال له فيما قال : « لست بحاجة اليك لان تأتيني وتقول لي اننا الان لدينا الالات في متناولنا » . كما ان كلام هرتزل عن مشروعه الكبير في تنظيم الدولة بجيشها النظامي المنمق لم يلـق حماسة لدى البارون الذي كان يمول مستوطنات فلسطين ، فقال له : « ان العيون لا يجب ان تكون اكبر من المعدة » .

خرج هرتزل من هذا الاجتماع ولديه بعض الشعور بأنه ربما سيضطر الى تنفيذ المشروع بمفرده ــ اي دون مساعدة كبار المتمولين وربما بوجه عدائهم له . والواقع ان هرتزل كان قبل هذا اللقاء يردد في مذكراته القول انه يواجه معارضة كبار أثرياء اليهود . الا ان هذا الشعور كان من باب الدون كيشوتية ، يعطيه شعورا بالاهمية النفسية اكثر منه من باب الواقع . ولا شك في ان البارون لم يكن يريد ان يرتبط اسمه بالنداء العلني من اجل انشاء دولة في فلسطين حيث كانت المستوطنات برعايته تحت رحمة الحكومة العثمانية . الا ان هرتزل لم يفهم ذلك ، بل غالبـا ما شعـر وردد في مذكراته ان « معارضة » مشروعه كانت تأتي من اولئك الذين كانوا يحسدونه وينافسونه على السلطـة في قيادة الحركة ودولة المستقبل . ونذكر مثلا في هذا الصدد اللقاء الذي تم في ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) بين هرتزل وفانبرغ واحد العاملين في جمعية التوطين اليهودية التي مولهـا البارون هيرش ، في منزل الحاخام زادوك كاهن في باريس . وخلال هذا اللقاء توجـه هرتزل الى فانبرغ بالكلام المتعالي وقال له : « ان جمعيـات التوطين الحالية يجب ان ترضخ لقضيتنا ، واذا وجدنا معارضة فسنقضي عليها كليا » . عندئذ اجابه المضيف ، الحاخام اليهودي ذو الشأن في الاوساط اليهودية الثرية بالقول : « ولكن لم يجابهك احد بالمعارضة حتى الان » !

الواقع انه بعد خروج هرتزل مباشرة من اجتماعه بالبارون روتشيلد الذي ذكرناه اعلاه ، جاءه احد المقربين من البارون واسمه مايرسون كان قد حضر الاجتماع ليقول له ان عليه ان يبدأ عمليته على مستوى صغير وفيمـا بعد سيظهر البارون تدريجيـا عطفه نحو المخطط . وفعلا ، لما عاد هرتزل الى عمله في فيينه وجد نفسه في وسط الاحداث اذ ان الصهيونيين المارين في العاصمة النمساوية ، عادة في طريقهم من فلسطين او روسيه الى باريس حيث مكتب البارون ، كانوا دائمـا يتصلون بهرتزل ويجتمعون به ، ممـا جعله يحس بانه فعلا زعيم الحركـة الصهيونية . وعلى ذلـك ، ونظرا لتوصل هرتزل الى رئاسة المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في غضون عام من هذه الاحداث ، فان بعض دارسي الصهيونية اعتبروا ان هذه الحركة كانت قبل المؤتمر مكتملة تنظيميا وماليا ولم ينقصها الا من يتزعمها فجاء هرتزل يشغل مركز الزعامة . ولا شك ان في هـذا القول

بعض الدقة ، الا انه لا يكفي الا اذا اخذنا بعين الاعتبار مغزى دور الزعامة الذي انيط بهرتزل . وفي هـذا المضمار ، نجـد ان هرتزل وضـع بمثابة واجهة مؤاتية للحركـة الصهيونية يبعد الانظار عمن وقفوا فعليا وراءها ، في حين انه من وجهة النظر العالمية فان زعامته لم تكن سوى زعامة اسمية وشكلية .

الواقع ان دفع هرتزل الى واجهة الحركـة الصهيونية كان قـد بدأ قبل لقائه بالبارون روتشيلد . فما ان صدر كراس الدولة اليهودية منذ بداية عام ١٨٩٦ حتى بدأت تتوافد الى هرتزل اعداد بعض الصهيونيين المارين في فيينه وخاصة في شرقي اوروبه . وبالطبع لم يوافق الصهيونيون هؤلاء على الاراء الدون كيشوتية التي أوردها هرتزل (مثـلا نقل مقاهي فيينه الى المنطقة الجديدة واقامة متحف « لوفر » فيها وتحنيط جثث الذين يموتون خلال الرحلة ... الخ) ولكنهم وجدوا فيه على ما يبدو اداة مناسبة لاغراضهم . وكان من اهم الذين توافدوا لزيارة هرتزل ، زعيم جمعية احباء صهيون في روسيه مناحيـم اوشيشكين ، الذي كان مارا بمدينة فيينه في طريقه من روسيه الى باريس لمقابلة البارون روتشيلد الذي كان ممول احباء صهيون، فحثه الصهيوني الفييني القديم ، ناثان بيرنباوم، (الذي كان أول من استنبط عبارة « الصهيونية ») على زيارة هرتزل والتعرف اليـه . ولم يذكر هرتزل في مذكراته هذه الزيارة التي كان لها تأثير حاسم في مستقبله الصهيوني على الرغم من انه سجل جميع الاحداث الاقل اهمية بما في ذلك الاحداث التافهة ، ربما لانه لم يعتبر انها كانت ذات اهمية الا ان اوشيشكين نفسه وصف انطباعـه عن هرتزل في هذه المقابلة وذكر كيف انه بعد عودته من زيارة هرتزل سأله بيرنباوم عن انطباعاته عن هرتزل فقال : « انه سيؤدي خدمات كبيرة الى حركة فلسطين . فجاذبية شخصيته ستجتذب دون شك جميع اليهود الروس وربما يهود اوروبه الغربية ايضا . وعنده نقص كبير واحد ، ولكن هذا النقص من شأنه بالواقع ان يكون مفيدا جدا في الظروف الحالية . فهو لا يعرف شيئا على الاطلاق عن اليهود ، وهو لذلك يعتقد ان الصهيونية لا تواجـه سوى صعوبات خارجية وليس صعوبات داخلية . ويجب الا تتفتح عيناه وبذلـك يبقى ايمانه بقضيتنا كبيرا » !

وبناء على ذلك ، فقد وجد هرتزل نفسه يدفع الى رئاسة الحركة الصهيونية ، مع العلم ان قراءة اليوميات تظهر انه لم يقم على قيادتها فعليا بل كان « الزعيم الفخري » لها . ومـع مرور الزمن ، بات هرتزل يعتبر مؤسس الصهيونية مـع انه لـدى توصله الى الصهيونية كانت هذه الحركة بتمويل اثرياء اليهود وعلى رأسهم البارون روتشيلد قد قطعت شوطا كبيرا منذ أوائل ثمانينات القرن الماضي تنظيميا في أوروبه وماليا واستيطانيا في فلسطين . الا أن هرتزل اعتبر مؤسس الصهيونية على أساس ان انعقاد المؤتمـر الصهيوني الاول في بازل (وهو الذي تشكلت اكثريـة عضويته الساحقة مـن ممثلي جمعيتي التوطين الرئيسيتين : « احباء صهيون » التابعة لعائلة روتشيلد و« جمعيـة التوطين اليهودية » التابعة لعائلة هيرش بالاضافة الى ممثلي الاتحـاد اليهودي العالمي الفرنسي) ، لكن كان قد تم بأن قامت هذه المنظمات بالترتيبات اللازمة للمؤتمر في حين طلب من هرتزل الدعوة « الشكلية » اليه والاعلان « الرسمي » عنه . ولا شك في ان انعقاد هذا المؤتمر لو تم باسم ممثلي جمعيتي روتشيلد وهيرش (خـاصة وان الفترة اللاحقة شهدت اندماجهما عند تخلي الاخيرة عن عمليات الارجنتين) ، لكان اثار شكوك الحكومات الاوروبية المتنافسة على فلسطين وشكوك السلطنة العثمانية على مستوى عال وربما كان من شأن ذلك اعاقة نمو الحركة الصهيونية . اما انعقاده باسم هرتزل الذي اراد واعلن مرارا وبكامل الجد عن هدفه بشراء فلسطين قانونيا من السلطان العثماني مقابل مليوني جنيه ، فان من شأن ذلك الا يؤخذ بالجد الذي انطوى عليه مما حال دون قيام الشكوك المترتبة عليه . وهكذا ترأس هرتزل المؤتمر الصهيوني الاول والثاني والثالث

... وتزعم الحركة ظنا منه بانه يتكلم باسمها ويقيم « المفاوضات الديلوماسية » بصفته ممثلها في حين امتنع القادة الفعليون للصهيونية عن تفتيح عيونه على وقائـع الامـور فاستمر يعيش باحساس عظمته الدون كيشوتية حتى وفاته .

●●●

ان النظر في عواقب العم تومية لدى هرتزل واشكاله ممن اعتنقـوا الصهيونية يتطلب معالجة مطولة لما ادت الصهيونية اليه من تحويل القسط الاوفر من يهـود العالم الى خدمة الدول الامبريالية ومصالحها ، وهذا الموضوع يحتاج الى معالجة اطول مما تتسع لها هذه المقالة . وعلى ذلك فنكتفي بالقول بأن الصهيونيـة نجحت فعلا في اضعـاف الحركة الاشتراكية الثورية وصرفت اعداد اليهود عنها وخاصة بعد تبني الدول الاوروبية للصهيونية بعد قيام الثورة الاشتراكية الاولى في تشرين الثـاني (اكتوبر) ١٩١٧ في روسيه مباشرة . وبعد ذلك تحولت جموع اليهود في الغرب عن موقفها الراديكالي الى موقع واضح متمثل بمنطلق العم توم اليهودي والذي يجد افضـل تعبيـر عنه في دولة اسرائيل اليوم التي تتفانى في خدمة المصالح الامبريالية في حين انها تمني نفسها بالقول بانها انما تقوم بذلك دفاعا عن بقائها .

اما عواقب الدون كيشوتية فيمكن معالجتها في شخصية الصهيونية والدولة التي انشأتها في فلسطين بالاشارة الى مزاعم « المنجزات والمعجزات الجبـارة » التي حققتهـا هذه الحركة في أقوالها عن «صراعها ضد الطبيعة» لاستصلاح الصحاري وتجفيف المستنقعات في بلاد ليست اصلا شبيهة بالمناطق الصحراوية فيها وليس فيهـا الاراضي الشاسعة التي تغرقها المستنقعات . ولكن ما دمنا في صدد هرتزل على المستوى الشخصي . فلا حاجة لنا لمعالجة عواقب هذه العقدة على هذا المستوى الجماعي الاسطوري ، كما لا حاجة لتقييمها على المستوى السياسي البعيد الامد ، بل قد يكون من المناسب ايرادها باختصار على المستوى الفردي العائلي المصغر الذي طرحت به في مذكرات هرتزل نفسه وعلى الرغم من ان ذلك قد يبدو انه من باب الشماتة ، فان مثل هذا التقييم الفردي لا بد ان يتناول ما حل باحلام العظمة التي ارتقبها هرتزل لنفسه ولاقربائه . فقد نجح هرتزل في ان يصبح ، ولو اسميا فقط ، زعيم الصهيونية . الا انه بالطبع لم يصبح رئيس الدولة الاريستوقراطية التي فصل رؤيته لها ، كما انه لم يعش ليشهد تنظيم كتائب العمـال والجيش الاريستوقراطي والمبارزات الشجاعة فيه . وقد توفي ابوه عام ١٩٠٤ ولـم يصبح السناتور الاول في مجلس اريستوقراطية الدولة . وتوفي هرتزل بعد ذلك بقليل وهو يهذي في فراش المستشفى عن شراء المناطق هنا وهناك ظنا منه انه يعطي أوامره الى مرؤوسيه . وزوجة هرتزل توفيت بعد ذلك بثلاثة اعوام . اما ابناؤه ، فلم يهاجر احد منهم الى فلسطين . فابنته بولين ، توفيت في بوردو عام ١٩٣٠ . وابنه هانز الذي كان هرتزل يأمل بأن يتوجه اميرا في دولة المستقبل ، لم يرث حماسة ابيه للصهيونية ، بل يبدو انه ورث عقدة الانتماء لليهودية لديه ، فاثار ضجة عندما اعتنق المسيحية وانتحر بعد وفاة اخته بفترة وجيزة . وابنة هرتزل الثانية ، ترود ، فقـد لقيت حتفها في مخيم اعتقال نازي خلال الحرب العالمية الثانية فكانت بذلك واحدة من جموع اليهود الذيـن « خسروا أوطانهم التي اقاموا فيها قبل الحصول على الدولـة اليهودية » . وابنهـا الوحيد ، ستيفن ، مات بطريقة غامضة حـين « سقط » من بناية عاليـة في العاصمة الاميركية واشنطن في عام — انتهاء الحرب العالمية الثانية — ١٩٤٥ . وبهذا لم يبق من ذرية هرتزل احد « ليفخر بالمشروع العظيم الذي ابتكره» . . . هذه هي المأساة الشخصية لثيودور هرتزل والعقدة النفسية التي ولدتها فشكلت افضـل انعكاس فردي للعقـدة الجماعية التي ادت الى نشوء الصهيونية والمآسي الأليمة التي نتجت في فلسطين علـى

ايدي الحركة التي اعتبر هرتزل مؤسسها . من هنا صدق ما قال احدهم آنذاك فاوردناه اعلاه : « **ان الصهيونية جنون يتولد من اليأس** » .

---

١ — *The Complete Diaries of Theodore Herzl,* Edited by Raphael Patai, The Herzl Press, New York, 1960.

وهو المصدر الاساسي للمقالة التي اشير اليها وفق التواريخ التي سجلت بها المذكرات .

٢ — Israel Cohen, *Theodor Herzel: Founder of Political Zionism,* Thomas Yoseloff New York, 1959.

ســلاح الطيران الاسرائيلي

هشام عبدالله

قبل اكثر من شهرين صرح أحد المسؤولين الاسرائيليين « ان سلاح الطيران هو أكثر الاسلحة حيوية ، وقد حظي في السنة الماضيــة باكبر نصيب من ميزانيــة الدفاع الضخمة »(١) ويوم ٧٢/٥/٢٤ صرح موشيه ديان وزير الدفاع « بأن ٨٢ ٪ من الميزانية العسكرية ستخصص لدعم سلاح الطيران والسلاح المدرع » . مــن هنا نرى الدور الاساسي الذي يلعبه سلاح الطيران وأهميته في الجيش الاسرائيلي ، وربما لم يدخل في تصور قادة اسرائيل بأنه سيكون لهذا السلاح كل هذه الاهمية عندما انشىء عام ١٩٤٨ كسلاح تابع للجيش وليس كقوة أساسية منفصلة . لقد اندفعت اسرائيل نحو تعزيز سلاح الطيران ليصل الى ما هو عليه الان بسبب خبــرات عسكرية موروثة وأخرى اكتسبتها من حروبها الطويلة مع العرب ، ومن دراستها لاوضاعها الداخلية وأوضاع المنطقة عامة . فمن جهة ورثت اسرائيل النظام الاستعماري في المنطقــة حيث كانت القواعد الجوية البريطانية في المفرق والحبانية وقبرص والبحرين وعدن ، والامريكية في الظهران وويلس وتركيا هي عناوين السيطرة العسكرية الاستعمارية والعمود الفقري لقوتها العسكرية والسياسية . ومن نظام القواعد هذا استوحت اسرائيل عدة دروس. اولا ، ان الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين بقوة بشرية ضئيلة نسبيا وبالتالي بخسائر بشرية ضئيلة للغاية في حالة وجود عمليات عسكرية ، واهمية هذا بالنسبة لاسرائيل بغير حاجة الى تعليق . ثانيا ، المدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه ، وهذا مهم من عدة وجوه ، فهو يثبت يد اسرائيل الطويلة وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، وما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، وامكانيته ايضا في التأثير على الاقتصاد العربي اذا مــا أرادت قصف المنشآت الحيويــة او المواقــع الاستراتيجية . ومن جهة أخرى ضيق مساحة اسرائيل الذي يدفعها الى جر المعركة خارج حدودها وهذا أمر يسهله الطيران كثيراً . ثالثا ، أهمية الطيران ليس كقوة ضاربة فحسب بل وواسطة نقل في الحروب الخاطفة ، وتطــوره ليصبح ذا اهمية ايضا في العمليات الخاصة ، فالطيران عامل اساسي لتحقيق عناصر الحرب الخاطفة الرئيسية ، ونقصد سرعة الحشد وكثافة النيران . كما وان وضع اسرائيل الجغرافي واحاطة الدول العربية بها من ثلاث جهات يفرض عليها استخدام ما يعرف بالقتال على خطوط داخلية ، وضد عدة جبهات ، كما يفرض على العرب استخدام القتال على خطــوط خارجية ، والقتال على الخطوط الداخلية يحتاج بشكل عام الى جيش جيد التدريب قادر على القيام بحركات سريعة ، وتحقيق صدمة قوية تكفل حسم المعركة مع الخصم الاول بسرعة للانتقال بعد ذلك الى بقية الخصوم ، بالاضافة الى ارض تسهل الحركة بين مختلف الجبهات وتستند الى حدود ومواقع طبيعية قوية تساعد على الدفاع ريثما يتسنى تحقيق الحشد ضد الخصوم الآخرين . وتبرز أهمية الطيران هنا في قدرته علــى زيادة قوة الصدمة ، بل ان الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران في تحقيق صدمة تامة وحاسمة ، كما وان نمو سلاح النقل الجوي والهيلوكبتر خاصة قد كفل سرعة الحشد ،

وازدادت اهمية هذا السلاح بعد حزيران حيث احتلت اراض عربية جديدة وطالت بذلك الخطوط الاسرائيلية ، ولسنا بحاجة للقول ان الطيران لا يتأثر كثيرا بطبيعة الارض وبالتالي فان سهولة حركته مضمونة ، واخيرا فالمقاتلات والقاذفات عامل هام جدا في دعم المواقع الدفاعية ، وتحطيم القوات المهاجمة . ويقدم سلاح الطيران ميزات مستقاة من الوضع العربي والاسرائيلي عامة ، فالى ما قبل كسر احتكار السلاح كانت الدول العربية تعتمد اعتمادا كليا في تزويدها بالطائرات وفي تدريب الطيارين على الدول التي خلقت اسرائيل ، وبالطبع كانت تلك الدول تعمل ، وما زالت ، بشكل يضمن تفوق اسرائيل في هذا المجال . ومن جهة اخرى ، فقد وجدت الدول العربية المتخلفة اقتصاديا وثقافيا صعوبة في تطوير قواتها الجوية ، التي انشىء بعضها حتى قبل خلق اسرائيل ، وقد تنبهت اسرائيل الى ذلك منذ انشائها ، فعملت على جر العرب الى سباق كانوا الخاسرين فيه — على الاقل حتى حرب حزيران — فالاوضاع الاقتصادية العربية ، خصوصا للدول المحيطة باسرائيل ، لا تسمح بشراء أعداد مناسبة من الطائرات الباهظة الثمن ، وبتدريب أعداد كافية من الطيارين تدريبا جيدا ، كما وان التخلف الثقافي يخلق نقصا كبيرا في الكفاءات الفنية والتقنية اللازمة لصيانة هذه الطائرات . وهذه النواقص لا تشكو منها اسرائيل التي يتكون اكثر سكانها من الاوروبيين ، والتي تنهمر عليها التعويضات والتبرعات والمساعدات بلا حساب . ولا يتوقف هذا السباق عند تدريب الطيارين والفنيين ، والذي ، بحد ذاته ، يكلف مبالغ خيالية ، بل يتعداه الى بناء القواعد الجوية وضرورة متابعة التطور العلمي في جميع المجالات : الطائرات الاحدث ، المعدات الالكترونية الافضل ، التطور في انواع الذخيرة ، والاسلحة المضادة للطائرات ، وضرورة امتلاك القدرة على استخدامها بفعالية . كل هذا ستجد الحكومات العربية صعوبة في ملاحقته ، صعوبة ان لم تكن تقنية فهي حتما اقتصادية . وهكذا سيكون بامكان اسرائيل أن تكرس تفوقها في هذا المجال بحكم تفوقها الاقتصادي والثقافي وضمان الدول الغربية لها ، ومما لا شك فيه تأثير هذا على باقي الاسلحة العربية وعلى الروح المعنوية وارادة القتال العربية .

لجميع هذه الاسباب ، وللنتائج التي حققها الطيران في حرب حزيران ، من الحرب الخاطفة ، والخسائر البشرية القليلة نسبيا ، بالاضافة الى تحطيم معظم القوة العسكرية العربية ، اصبحت اهميته غير قابلة للنقاش ، واعطي الاولوية في جميع المجالات .

لقد تمكن الطيران الاسرائيلي من حسم المعركة فعلا في حرب حزيران ، لكن نجاحه لا يعود الى تفوقه الساحق والمطلق ، بل ساعد فيه بطء رد الفعل العربي ، ولبطء رد الفعل هذا اسباب فنية تتعلق بالقيادة ووحدات الخدمات الارضية والاسراب المقاتلة ، كما وان لها في بعض الاحيان خلفيات سياسية ، ولا بد لنا أن نشير الى توتر العلاقات بين الاردن وسوريا قبل ايام من حرب حزيران حين انفجرت عبوة ناسفة على الحدود الاردنية — السورية وفي بلدة الرمثا الاردنية بالذات ، اتهم الاردن على اثرها سوريا بتدبير الحادث وحشد قواته على حدودها، بالاضافة الى توتر العلاقات بين مصر والاردن أيضا . واهمية سوء العلاقات تكمن في عدم امكانية قيام تعاون جدي بين الاطراف ، وفي تكاسل ردة الفعل . بالاضافة الى التقاعس وعدم القدرة والارتجال التي أكدها الملك حسين بقوله عن دور الطيران الاردني في حرب حزيران « ... ان طيارينا لا يعرفون بالضبط ما ينبغي لهم عمله ... وذلك لان افتقارنا الى المعلومات الصحيحة يجعلنا عاجزين عن اصدار تعليمات مفصلة »(٢) .

والامثلة على عدم قدرة الطيران على حسم المعركة كثيرة ، ابتداء بالجزائر كنموذج لحرب العصابات ، ومرورا بكوريا كنموذج للحرب بمختلف اشكالها فمن حرب العصابات الى الحرب النظامية بين قوى متكافئة تقريبا ، حيث استعمل الطيران في جميع المجالات وعلى

اوسع نطاق ، وانتهاء بفيتنام كمثال حي لحرب العصابات والحرب النظامية بين قوات غير متكافئة واستعمال الطيران في قصف المدن والقرى والاهداف الاستراتيجية . ان بامكان القوات العربية ان تحقق نجاحا في حربها مع القوات الصهيونية مهما بلغت قوتها الجوية ، اذا اتبعت وسائل مناسبة ومدروسة آخذة بعين الاعتبار قدراتها ونقاط القوة لديها ، ونقاط الضعف لدى العدو .

عوامل الانتصار : الا أن تعزيز الطيران لم يتوقف عند تدريب الطيارين والحصول على طائرات ومعدات افضل ، بل ان هناك عوامل تؤكد السلطات العسكرية الاسرائيلية على توافرها وتسميها عوامل الانتصار وهي : أ ــ مخابرات متفوقة ، ب ــ التخطيط المدروس ، جـ ــ القدرة على الاستعمال والسيطرة والمراقبة ، د ــ القدرة على التنفيذ العالي والاستفادة من الطائرة والفني والطيار الى أقصى حد ممكن ، هـ ــ الروح القتالية العالية(٣) .

ولسنا بحاجة الى القول ان اسرائيل قد تمكنت من توفير جميع هذه العوامل قبل حرب حزيران ، فقد تمكنت من الحصول على طائرة ميغ ٢١ من العراق هرب بها طيارها منير روفه الى اسرائيل ، ومكنها هذا من معرفة جميع نقاط الضعف في الطائرة رقم واحد لدى ثلاث قوى جوية عربية محيطة باسرائيل هي سوريا ومصر والعراق ، وهكذا أحرز طياروها امتيازا على الطيارين العرب الذين كانوا يجهلون نقاط ضعف الميراج . وقد أثبتت حرب الايام الستة ان اسرائيل كانت تعرف الكثير مما يدور داخل اسلحة الطيران العربية ، كما وانها نجحت في الاستفادة من معارفها هذه وادخالها ببراعة في خطتها . ولا يخفى مستوى التدريب العالي للطيار الاسرائيلي ، بالاضافة للروح القتالية العالية والقيادة الجيدة التي وجهته ، فقد قامت الطائرات الاسرائيلية خلال حرب حزيران بأكثر من الف طلعة ، اي بمعدل ٥ طلعات للطيار الواحد ، وهناك طيارون قاموا بست وحتى ثماني طلعات(٤) وهذا يتطلب من الطيار روحا قتالية عالية بالاضافة الى خدمات ارضية ذات تدريب ونشاط عاليين ايضا ، وكانت وحدات الخدمات الارضية هذه تعيد تجهيز الطائرات وتسليحها خلال ثماني دقائق . واكثر من هذا كانت تقوم وخلال ساعتين في بعض الاحيان بترميم الثقوب التي تكون قد احدثتها وحدات الدفاع الارضي العربية .

ومرد تفوق الطيار الاسرائيلي ليست طينته الاسطورية(٥) ، كما قد يظن البعض فهناك عوامل خلقتها قيادته ، وعوامل اخرى ساعدت على تحقيق هذا التفوق دون ان يكون لهذه القيادة اي يد فيها ، مثل تدني مستوى الطيار العربي لاسباب اقتصادية ، بسبب تخفيض ساعات الطيران للتوفير في الوقود والذخيرة واستهلاك الطائرة ايضا ، عدم كفاءة القيادة العربية ، ضعف الانظمة العربية السياسي ، بسبب انعدام التلاحم بين الحكم والجماهير في بعض الاحيان ، او عدم وجود بناء سياسي سليم ، وطبيعة ضعفها لا تمكنها من خلق نظام عسكري قوي . وباختصار كان ينقص الطيران العربي كل « عوامل الانتصار » الاسرائيلية مضافا اليها الضعف السياسي والاقتصادي .

وعدا ما تقدم فقد استفادت اسرائيل من طائراتها الى اقصى حد فبالاضافة الى الطلعات العديدة التي قامت بها كل طائرة ، جهزت طائرات التدريب من طراز فوغا ماجستير برشاشين ثقيلين وبعشرة صواريخ عيار ٦٨ و٨٠ ملم لضرب أهداف ارضية . الا ان عامل الانتصار الاول الذي لم تذكره اسرائيل هو « روحها العدوانية » واستعدادها الدائم لانتهاز كل فرصة لضرب القوات العربية واضعافها ، دون ان تأخذ في الحسبان الاعتبارات الاخرى ، مثل الالتزامات الدولية ، والرأي العام العالمي ، وهي أمور ما زالت الدول العربية تضعها في المرتبة الاولى ، بالرغم من معرفتها الطويلة باسرائيل . ان كون اسرائيل هي البادئة دوما يعطيها الضربة الاولى والمفاجئة ، وهذه الضربة تكون في بعض الاحيان حاسمة ونجلاء كما في حرب حزيران .

شمشون المسكين : حتى ما قبل حزيران ، إعتمد الطيران الاسرائيلي على فرنسا لتزويده بالطائرات التي تفي باحتياجاته « الدفاعية » . ولم يلجأ الى الولايات المتحدة لان هذه كانت تتمنع عن تزويده بالطائرات كي لا يؤثر هذا على علاقاتها « الحسنة » — في ذلك الوقت — بالعرب . الا ان هذا لم يمنع قيام تعاون خاص وغير مباشر لتزويد اسرائيل بالسلاح ، فقبل حرب السويس عام ١٩٥٦ طلبت اسرائيل من فرنسا تزويدها بنحو ٦٠ طائرة من طراز ميستير ٤ سي ، ولما كانت هذه الطائرة قد صممت بأموال امريكية فقد كان اذن الولايات المتحدة ضروريا لكي تتمكن فرنسا من بيعها لاسرائيل ، وبالطبع لم تمانع الولايات المتحدة(٦). وحادثة اخرى روتها مجلة « افياشن ويك » الامريكية(٧)، عن كيفية حصول اسرائيل على ٢٤ طائرة هليوكبتر من طراز سيكورسكي اس — ٥٨ ، تم شراؤها من الولايات المتحدة بواسطة المانيا الغربية وكجزء من التعويضات الالمانية لاسرائيل ، وذلك خلال عشرة شهور بين عام ١٩٦٠ — ١٩٦١ ، وبموافقة من قسم الاشراف على تجارة الاسلحة التابع لوزارة الخارجية الامريكية ، أضيف الى هذا العدد سبع طائرات اشترتها مباشرة من الولايات المتحدة(٨).

وقد بدأت اسرائيل تتجه نحو الولايات المتحدة في أوائل عام ١٩٦٥ ، عندما زار افريل هاريمان ، السفير المتجول والمبعوث الخاص للرئيس جونسون ، اسرائيل وشاهد أعمال السوريين في تحويل روافد نهر الاردن ، وهو الامر الذي اعتبرته اسرائيل « عدوانيا ، ومهددا لامنها » . وقد اقنعه رابين يومها بأن اسرائيل يجب أن تكون قوية حتى يمتنع العرب عن « تهديد أمنها » ، وعلى اثرها رفع هاريمان توصية حارة بضرورة بيع السلاح علنا الى اسرائيل دون واسطة المانيا الغربية وفرنسا كما جرت العادة(٩). وبناء على توصية هاريمان هذا طلب من اسرائيل ان ترسل خبراءها الى واشنطن لكي يجروا محادثات حول قائمة الاسلحة المطلوبة ، خاصة الطائرات وقد أعد عيزر وايزمان قائد سلاح الطيران آنذاك قائمة بـ ٤٥ طائرة فانتوم و٦٥ طائرة سكاي هوك ، وبعد ان تشاور وايزمان واشكول حول كيفية الظهور بمظهر الاقوياء والضعفاء في آن واحد ، أقوياء كما هم وضعفاء بحيث تكون هناك ضرورة لتزويدهم بالسلاح ، عندها قال اشكول جملته المشهورة والتي هي صورة عن سياسة اسرائيل في جميع المجالات « **عليك أن تعرض اسرائيل كما لو كانت شمشون المسكين** »(١٠). وفي ايار ١٩٦٦ نشر نبأ رسمي عن ان الولايات المتحدة سوف تزود اسرائيل بطائرات تكتيكية « للاغراض الدفاعية » دون تحديد لنوع السلاح او كميته . وفي ٢٨ كانون الاول ١٩٦٨ أعلنت واشنطن رسميا بيع خمسين طائرة فانتوم لاسرائيل .

وقد رفعت صفقة الطائرات هذه الروح المعنوية في اسرائيل ، فلاول مرة تتزود بسلاح مجهز تجهيزا ممتازا ، ولاول مرة توافق الولايات المتحدة على ان تبيع لاسرائيل طائرة هي طائرة الصف الاول نفسها لديها ، ومعاني هذه الصفقة السياسية أكبر بكثير من معانيها العسكرية خاصة وانها تأتي في إعقاب حرب الايام الستة ، واحتلال اسرائيل لمزيد من الاراضي العربية . وبعد ذلك ببضعة اشهر قدمت اسرائيل طلبا ثانيا للحصول على ٢٥ طائرة فانتوم ومئة سكاي هوك ، وقد أجيب طلبها . ولم يتوقف تعهد الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بعدد معين من الطائرات بل تعداه الى قيام تعاون في ميدان صناعة محركات الطائرات ، وتعهدها بالحفاظ على « ميزان القوى » ، ولهذا عوضت اسرائيل عن خسائرها من الطائرات خلال حرب الاستنزاف . وزودتها بمعدات الكترونية خاصة للتشويش على اجهزة اطلاق الصواريخ المضادة للطائرات ، وبطائرات النقل الضخمة من طراز « هيركوليز سي ١٣٠ » ، وطائرات الهيلوكبتر الضخمة ، وطائرات الاستطلاع المتطورة والذخائر الحديثة . وجميع هذه المعدات والطائرات هي إفضل ما تملك

الولايات المتحدة من سلاح ، وهي اسلحة حلفاء امريكا الكبار نفسها : المانيا الغربية وبريطانيا واستراليا .

المقاتلات الاسرائيلية : ولتحقيق التوازن في الشرق الاوسط « وكي لا تتعجل اسرائيل بضرب العرب اذا ما شعرت بنفسها ضعيفة »(١١) كما قال عيزر وايزمان للمسؤولين الامريكيين في معرض محاولته اقناعهم ببيع طائرات لاسرائيل، فقد فتحت الولايات المتحدة مخازن أسلحتها على مصراعيها للدولة الصهيونية ، واصبحت المصدر الوحيد للطائرات من مختلف الانواع لاسرائيل ، وقد اضيفت هذه الطائرات لما تبقى من الطائرات الفرنسية الصنع لتكون القوة الجوية الاسرائيلية الحالية .

وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع استراتيجيته العسكرية الهجومية اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ، فجميع الطائرات الامريكية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم ، وان كانت تستعمل لجميع الاغراض ، مطاردة معترضة قاذفة ، إلا انها وبسبب حمولتها الكبيرة من المواد الحربية والتي تصل الى ٧٢٥٠ كيلوغراما ، ومداها الواسع « ١٦٠٠ كيلومتر »(١٢) هي قاذفة اكثر منها مطاردة معترضة ، وكذلك السكاي هوك القاذفة الهجومية الخفيفة ، والتي تستطيع حمل أكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، وقد فضلتها اسرائيل على طائرات نورثروب ف ٥ ، رغم ان سرعة هذه الاخيرة تزيد عن ١٫٥ ماك (الماك يعادل سرعة الصوت) بينما لا تزيد سرعة السكاي هوك عن سرعة الصوت ، وذلك بسبب حمولتها من القنابل ، وقدرتها الافضل على مهاجمة الاهداف الارضية . وطائرة الفانتوم قاذفة مطاردة معترضة بمقعدين صالحة للاحوال الجوية كافة ، ومجهزة بمدفع دوراني عيار ٢٠ ملم من طراز « فولكان » ، وتستطيع حمل اربعة صواريخ جو ــ جو من طراز « سايدوندر » واربعة صواريخ جو ــ جو من طراز « سبارو » وذلك لعمليات المطاردة والاعتراض ، ولعمليات الهجوم والقصف ١٤ قنبلة زنة ٤٥٣ كيلوغراما الواحدة ، او قنبلة واحدة زنة ٣ اطنان او ١٠ سبطانات اطلاق تحتوي كل واحدة على ١٨ صاروخا من عيار ٦٨ ملم ، او حمولات مختلفة لا يزيد وزنها عن ٧٢٥٠ كيلوغراما . والفانتوم طائرة جيدة من ناحية قدراتها عامة واجهزتها الالكترونية ، ويعطيها وجود ملاحين اثنين على متنها امكانية الاستفادة من هذه الاجهزة ، ودقة في التصويب والقصف .

اما السكاي هوك التي حملت العبء الاكبر في حرب الاستنزاف فهي طائرة هجومية خفيفة بمقعد واحد ، وقد أجرت اسرائيل عليها تعديلات كثيرة ، فاستبدلت مدفعها الاصلي عيار ٢٠ ملم بمدفع عيار ٣٠ ملم طراز « ديفا » (يصنع في اسرائيل بموجب ترخيص) وعدلت أجهزة الملاحة فيها ، وزودت بمعدات الكترونية أفضل(١٣) . وتستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية ، بينها صواريخ مضادة للرادار طراز « شرايك » وقنابل انزلاقية طراز Walleye وهي غير القنابل ذات الدفع الصاروخي الفرنسية التصميم ، والمخصصة لتدمير مدارج طائرات العدو . والسكاي هوك سهلة الحركة وقادرة على الانقضاض العمودي .

اما المقاتلات الاخرى فهي من صنع فرنسي وهي من طائرات الصف الثاني ، باستثناء الميراج ٣ سي ، وهي مطاردة معترضة جيدة ، اكتسبت سمعة اكبر من قدرتها بعد حرب حزيران ، فالميراج في مستوى الميغ ٢١ ، بل ان الانواع الحديثة مثل الميغ ٢١ م ف تتفوق على الميراج ٣ سي . والميراج هي العصب الرئيسي لقوات الدفاع الجوي الاسرائيلي ، والوحيدة التي لم تموه من بين طائرات سلاح الطيران ، وتبلغ سرعة هذه الطائرة ٢٫١٥ ماك ، وهي جيدة من ناحية قدرتها على الاعتراض والمطاردة ، والقتال سواء على ارتفاعات عالية ام منخفضة ، وتسليحها يتألف من مدفعين عيار ٣٠ ملم ، وبعضها مزود بصواريخ جو ــ جو طراز ماترا آر ٥٣٠ ، كما يمكن تزويدها بصاروخين جو ــ جو طراز

سايدوندر . ويمكن إستخدامها لعمليات الهجوم الارضي ، ولكن حمولتها متواضعة ولا تتجاوز قنبلتين من عيار ٤٥٣ كيلوغراما او ما يعادل وزنهما من المواد الحربية . وقدرات طائرات الصف الثاني متواضعة جدا بالنسبة للطائرات الحديثة سواء من ناحية السرعة او التسليح او الاجهزة التي تحملها ، فأسرع هذه الطائرات السوبر ميستير ، تتجاوز قليلا سرعة الصوت . اما الميستير فتبلغ سرعتها ٠،٩٤ ماك والفوتور ٠،٩ ماك ولا تزيد سرعة الاوريغان عن ٩٦٠ كم في الساعة .

وتزايد حجم القوة الضاربة في سلاح الطيران سيجعل منه مطرقة لضرب الاهداف العربية على مدى اكثر من ١٦٠٠ كيلومتر ، ولسنا بحاجة للقول ان اسرائيل ليست بحاجة الى مثل هذا النوع من الطائرات لاحتياجاتها « الدفاعية » ، فقوة الفانتوم الضاربة تعادل قوة اكثر من ٥ طائرات ميغ ٢١ . ومن هنا تتضح صعوبة المقارنة بالعدد بين الطائرات العربية والاسرائيلية وما تحمله هذه المقارنة من مغالطات(١٤)، فربما كانت الطائرات الاسرائيلية أقل من ناحية العدد ، الا انها اقوى من ناحية كثافة النيران والمدى الذي تستطيع العمل فيه ، كما وانها افضل من ناحية قدراتها عامة ، واجهزتها الملاحية والالكترونية . والجدير بالذكر ان الفانتوم هي صنف من الطائرات غير موجود في سلاح الطيران السوفييتي ، وبالتالي فهو لا يستطيع تزويد العرب به ، فالسوفييت يفصلون بين القاذفات والطاردات المعترضة ، ولا يجمعون هذه القدرات في طائرة واحدة كما في الفانتوم . كما ان القاذفات هي في أغلب الاحيان متوسطة او ثقيلة ، بالاضافة الى ان المصانع السوفييتية تركز على انتاج الطائرات المعترضة الدفاعية ، كما في قائمة طائرات الميغ كلها وطائرات السوخوي ٩ و١١ باستثناء السوخوي ٧ . والطائرات السوفييتية مصممة لتوافق الاستراتيجية العسكرية السوفييتية والتي تبلورت نتيجة للخبرات الضخمة التي حصلوا عليها في الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا .

ويزيد عدد المقاتلات وطائرات التدريب العاملة حاليا في الطيران الاسرائيلي عن ٤٥٦ طائرة مقسمة حسب الجدول رقم (١)(١٥).

جدول رقم (١)

المقاتلات		
فانتوم ٢	F-4E	٨٤
ميراج	111C	٦٠
سكاي هوك	A - 4 H A - 4 E	١٢٥
ميستير	IV A	٢٧
سوبرميستير		٩
فوتور		١٠
اوريغـــان		٣٠
المجموع		٣٤٥

الاستطلاع		
فانتوم	RF - 4 E	٦
المجموع		٦
التدريب		
سينرنا « سكاي واجن »		غير محدد
بوتزاير فوغا ماجستير		٨٥ *
بايبر « سوبر كوب »		٢٠ ؟
المجموع اكثر من		١٠٥

* ستنتج اسرائيل ١٠٠ طائرة من هذا الصنف.

ولا تشمل هذه القائمة الصفقات الجديدة والتي تتكون من ٤٢ طائرة فانتوم تسلمت اسرائيل منها ٩ طائرات بينها عدد من طائرات الاستطلاع و٩٠ طائـرة سكاي هوك آ ـ ٤ ام ، وهذا احدث طراز من طائرات السكاي هوك ، والتي تسلمت اسرائيل منها ٢٥ طائرة ، وقد يصل عدد الطائرات الى ١٤٠ سكاي هوك و٩٢ فانتوم في اواخر هذا العام . وبعد أن أصبحت الولايات المتحدة مصدرة للطائرات الى اسرائيل ، تمكنت هذه من الحصول ولاول مرة على طائرات خاصـــة للاستطلاع مجهـزة تجهيزا متطورا .

فبالاضافة الى معدات الاستطلاع العادية(١٦)، زودت بجهاز رادار متقدم للكشف الجانبي من طراز « جوديير » Goodyear ونظام ارسال مباشر للمعلومات الى محطات ارضية. ويلاحظ تناقص الطائرات الفرنسية باستمرار ، وذلك بسبب خسائر اسرائيل من هذه الطائرات وعدم قدرتها على تعويضها ، فمن ٧٥ طائرة اوريغان اشترتها قبل حرب السويس بقليل لم يبق سوى ٣٠ طائرة ، ومن اكثر من ٦٠ طائرة ميستير لم يبق سوى ٢٧ . ويختلف الامر بالنسبة للميراج التي تناقصت من ٧٢ الى ٦٠ طائرة ، وكانت قد راجت اشاعات في السابق عن تزويد حكومة جنوب افريقيا — والتي تنتج هذه الطائرة بموجب ترخيص خاص من فرنسا — لاسرائيل بعدد من هذه الطائرات(١٧). ان خسائر اسرائيل الكبرى من الطائرات لم تكن ابان حرب السويس ، او حرب حزيران ، بل في حرب الاستنزاف ، حيث خسرت ٩ طائرات فانتوم و١٠ سكاي هوك عوضتها عنها الولايات المتحدة(١٨). وتجدر الملاحظة هنا ان هذه الطائرات قد دخلت حرب الاستنزاف بعد الطائرات الاخرى . هذا عدا عن خسائرها في الميراج والطائرات الاخرى ، فقد ادعت اسرائيل بعد حرب حزيران مباشرة انها لم تخسر سوى اربع طائرات ميراج خلال الحرب ، فان صح هذا فانها خسرت ثماني طائرات خلال حرب الاستنزاف يضاف اليها الطائرات التي قد تكون حكومة جنوب افريقيا قد قدمتها لها . وعلى الجبهة الاردنية الضعيفة بالنسبة للجبهة السورية والمصرية خسرت اسرائيل ٦ طائرات جميعها من طائرات الصف الثاني(١٩): اوريغان ، ميستير ، سوبر ميستير وفوتور ، وذلك بالمدافع المضادة السورية والعراقية التي كانت ترابط هناك .

وتقول اسرائيل بأنها ستسحب طائرات الميستير والسوبر ميستير والفوتور من الخدمة(٢٠)، حين استلام الصفقة الجديدة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك ، اما الاوريغان فقد سحبت فعلا كطائرة قتال لتقوم بأعمال التدريب . الا ان هذا لا يمنع استخدامها في القتال عند الضرورة كما حدث خلال حرب حزيران عندما استعملت طائرات التدريب الماجستير في العمليات الحربية ، واستخدام هذه الطائرات الصغيرة في العمليات الحربية مشروط بتحقيق السيطرة الجوية ، او بوجود حماية لها ، والا فانها تصبح فرائس سهلة للمقاتلات المتفوقة .

ويستخدم الطيران الاسرائيلي طائرة البايبر « سوبر كوب » لتدريب المبتدئين ينتقل بعدها التلاميذ للطيران بطائرات الفوغا ماجستير للمقاتلين ، وطائرة سيزنا « سكاي واجن » للفروع الاخرى في الطيران . وتستعمل طائرة السيزنا هذه ايضا كطائرة مراقبة وارتباط للجيش — الذي لا يملك خدمات جوية خاصة به — ، اما بالنسبة لطياري الهيلوكبتر فبعد الحصول على اجازة الطيران على الطائرة الاولى — البايبر — يبدأون مباشرة في التدرب على الطائرات العمودية . وقد بدأ الطيران الاسرائيلي في استخدام طائرات الفوغا ماجستير المصنوعة بموجب ترخيص من فرنسا في اسرائيل ، في آب من عام ١٩٧٠ ، وتتمم طائرة الاوريغان مهمة طائرة الماجستير في التدريب وينتقل بعدها التلاميذ للتدرب على الطائرات المقاتلة العاملة .

خلاصة القول ان القوة الضاربة في سلاح الطيران الاسرائيلي قد تضاعفت بنسبة تزيد عن اثني عشر ضعفا منذ حزيران وحتى الان . ولاعطاء صورة عن حجم هذه القوة نقدم الارقام التالية : ان باستطاعة ١٠٠ فانتوم ومئتي سكاي هوك القاء اكثر من ١٥٠٠ طن من القنابل في الطلعة الواحدة ، فاذا قامت هذه الطائرات بخمس طلعات كما في حرب حزيران ، فان هذا يعني ٧٥٠٠ طن في اليوم تلقيها الطائرات فقط . ولكن مهما بلغت قوة القصف هذه ، فان هناك فرقا بين القصف وتحقيق الاهداف ، وتقول احدى الاحصائيات في هذا الصدد ، انه في « حرب التبذير » هذه فان القضاء على الجندي المعادي يحتاج الى اربعة اطنان من القنابل ، ولكن حتى هذه الارقام تبدو متفائلة جدا ، لانه لو صح ذلك

لكان قد قتل ٢٠٠٠،٠٠٠ جندي فيتنامي في عام ١٩٧١ ، من قصف الطائرات فقط ، اذ ان الطيران الامريكي قد أسقط في ذلك العام ٨٠٠،٠٠٠ طن من القنابل فوق المراكز الشيوعية(٢١) وهو أمر لو صدق لكان الجيش الفيتنامي الشمالي قد ابيد عدة مرات ومنذ زمن . وفي الحقيقة تلعب الوسائل الذكية التي يتبعها الفيتناميون في اتقاء الغارات الجوية ومقاومتها دورا كبيرا في تقليل الخسائر ، فبالاضافة الى عنف الدفاع الجوي الذي يمنع الطائرات الامريكية من الاقتراب، وبالتالي من تحقيق اصابات جيدة، يستخدم الفيتناميون كما استخدم الكوريون في حرب ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ الانفاق بكثرة. وفي المدن توسع استخدام الملاجيء لتصبح مدارس ومستشفيات بل ومنازل تحت الارض ، كما وأن عمليات التضليل البارعة للطائرات الامريكية جعلها توجه قنابلها في احيان كثيرة الى أهداف وهمية أو خاطئة . وبالرغم من وسائل الكشف الحديثة جداً التي يستعملها الامريكيون ، فان طبيعة الارض الفيتنامية تلعب دورا كبيرا في اخفاء الاهداف وتمويهها وبالتالي تقليل الخسائر .

النقل والهيلوكبتر : لم يقتصر اهتمام القيادة العسكرية الاسرائيلية على المقاتلات بل شمل ايضا سلاح النقل ، واهمية هذا السلاح راجعة في الاصل الى كون القادة العسكريين يشددون على المرونة في التكتيك والاستراتيجية ليضمنوا بذلك تفوقا ساحقا على القطعات العربية ، الامر الذي يدفعهم الى الحشد السريع لقواتهم في النقاط الملائمة ، بالاضافة الى عمليات الاختراق السريع ايضا للخطوط العربية . ويجب ان لا ننسى الاهمية التي بدأت تتبلور في استخدام طائرات النقل العمودية في عمليات عسكرية لساندة قوات أخرى ، او في عمليات عسكرية منفصلة ، بالاضافة الى استعمال الناقلات في مهمات كثيرة ، في الحرب الالكترونية ، وتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ... الخ . وتتكون طائرات النقل الاسرائيلية من طائرات فرنسية وامريكية سواء منها القديم او الحديث ، وقد كانت المانيا هي واسطة ايصال الكثير من هذه الطائرات الى اسرائيل ، ويضم سلاح الطيران الاسرائيلي حاليا اكثر من ١٢٨ طائرة نقل وطائرة هيلوكبتر مقسمة حسب الجدول رقم ٢(٢٢).

واضخم هذه الطائرات هي الهيركوليز سي ١٣٠ ، وقد اشترتها اسرائيل مؤخرا من الولايات المتحدة ، وهي من اضخم الناقلات الامريكية ، وقد استلمت اسرائيل بعضا منها

جدول رقم (٢)

طائرات النقل	
هيركوليز سي ١٣٠	٦
بوينغ ٣٧٧ ستراتوكروزر	١١
دوغلاس سي ٤٧	١٠
كورتيس سي ٤٦	٤
نور أطلس	٣٥
عزفه	غير محدد
المجموع أكثر من	٦٦

الهيلوكبتر*		
سيكورسكي	S-65C-3 (CH-53D)	١٠
اغوستابيل	AB-205	٢٥
سوبر فريلون	SA-321 K	١٢
الوبيت		١٠
بيل	47G-3B	٥
جيت رانجر	206 A	غير محدد
المجموع اكثر من		٦٢

* كانت اسرائيل قد باعت طائرات السيكورسكي اس ٥٨ التي تحدثنا عنها في اول المقال بعد حرب حزيران .

وتتسلم الباقي بمعدل واحدة في الشهر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٩٢ جنديا او اكثر من ٢٠ طنا من المواد المختلفة ، وقد اشترت عددا لم تفصح عنه ، ولكن قد يتراوح ما بين ٦ و٧ طائرات(٢٣) . واكثر هذه الطائرات عددا هي النورد اطلس ، وكانت اسرائيل تمتلك ١٥ طائرة من هذا النوع، ثم اشترت ٢٠ طائرة كانت لسلاح الطيران الالماني الغربي(٢٤)، وهي من صنع فرنسي ، وتقوم هذه الطائرة بالاضافة الى اعمال النقل الجوي وانزال المظليين بأعمال الدورية على طول الساحل الفلسطيني لاستطلاع القطع البحرية والغواصات . والبوينغ ٣٧٧ ستراتو كروزر هي اضخم هذه الطائرات بعد الهيركوليز ، وتزيد حمولتها عن ١٦ طنا . وتقوم هذه الطائرة بأعمال النقل المدني ، بالاضافة الى مهماتها العسكرية ، وقد جهزت لتقوم بمهمات مختلفة ، مثل تزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، بواسطة خزانين مثبتين تحت جناحي الطائرة ، وبعضها جهز بمعدات الكترونية معقدة للقيام بأعمال التجسس والتشويش الالكتروني . وقد أسقطت مصر احدى هذه الطائرات في اواخر عام ١٩٧١ بواسطة صاروخ سام ٢ ، عندما كانت تقوم بأعمال التجسس الالكترونية بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . ومثل الستراتو كروزر هناك الدوغلاس سي ٤٧ التي تستعمل ايضا لاغراض النقل المدني بالاضافة الى مهماتها العسكرية وسوف تستبدل بعض الطائرات من هذا الصنف وطائرات كورتيس سي ٤٦ بطائرات جديدة من طراز عرفه الإسرائيلية الصنع ، والتي ستجهز للقيام بمهام مختلفة كالقتال ضد الغواصات ، والتصوير الجوي والمراقبة ، وكمركز قيادة طائر . وتستطيع هذه الطائرة حمل ٢٠ جنديا ، او لنقل الجرحى حيث تستطيع نقل ١٢ جريحا على نقالة ، مع وحدة اسعاف . كما تستطيع الاقلاع والهبوط من مدارج قصيرة وشبه معبدة. وتعمل المصانع الاسرائيلية على تطوير هذه الطائرة لتستطيع نقل ٣٢ راكبا(٢٥) . وتطور صناعة هذه الطائرة سيجعل اسرائيل في غنى عن التزود بطائرات النقل الخفيفة من الخارج ، بل انها ستصبح مصدرة لهذا النوع من الطائرات . وتتكون قوة الهيلوكبتر من طائرات امريكية وفرنسية ، وتعتمد اسرائيل على الطائرات العمودية في عملياتها العسكرية القتالية اكثر من اعتمادها على طائرات النقل الاخرى .

وكما في باقي الاصناف فقد زودت اسرائيل بأفضل الطائرات واضخمها ، مثل السيكورسكي اس — ٦٥ (CH - 53 D) ، وهي الطائرة نفسها التي يستعملها مشاة البحرية الاميركيون ، وقد أجرت عليها القيادة الاسرائيلية بعض التعديلات(٢٦) ، كتركيب خزانات وقود اضافية لها ، ومصافي للرمل التي هي ضرورية جدا في الصحراء. وتستطيع هذه الطائرة حمل ٦٤ جنديا ، وذلك خلافا للنوع الاصلي (CH - 53) التي تنقل ٣٤ جنديا فقط ، ولا تعادلها من ناحية الحمولة الا طائرة ميل مي ٦ الروسية والتي تمتلك مصر عددا منها وتستطيع حمل ٦٥ جنديا . وفي الدرجة الثانية من ناحية الضخامة تأتي السوبر فريلون الفرنسية الصنع والتي تستطيع حمل ٢٧ — ٣٠ جنديا او ٤ — ٤،٥ طن من المواد المختلفة . وتلعب طائرات الهيلوكبتر دورا حيويا في العمليات الخاصة ، فخلال حرب الايام الستة قامت بانزال وحدات من جنود الكوماندوس خلف الخطوط المصرية في منطقة أبو عجيلة في شبه جزيرة سيناء ، وكذلك انزلت قوات مشاة من لواء جولاني خلف الخطوط السورية في هضبة الجولان ، وخلال حرب الاستنزاف قامت قوات مجوقلة بعدد من العمليات الخاصة ، هي جزء من الحرب النفسية التي تشنها ضد العرب مثل عملية مطار بيروت، وسرقت محطة متحركة للرادار المصري في ٢٦ كانون الاول ١٩٦٩ بواسطة طائرات سيكورسكي اس ٦٥ الضخمة ، وكذلك عملية ضد معسكرات القطيفة السورية ، كما قامت بعمليات عسكرية تساندها قوات من فروع اخرى في الجيش مثل عملية جزيرة شدوان ، والصرفند ، وبعض العمليات ضد قواعد الفدائيين . ويرجع تفضيل الجيش الاسرائيلي استعمال طائرات الهيلوكبتر في هذه العمليات الى عدة اسباب تتعلق بقدرة الطائرة نفسها ، فهي تستطيع انزال الجنود في مناطق لا تستطيعها

الطائرات المروحية ، والتحليق وانزال الجنود على ارتفاعات لا يستطيع الرادار كشفها وهذا يحقق للعملية ، والى درجة معينة ، عامل المفاجأة ، هذا عدا عن قدرتها على اخلاء الاصابات فور انتهاء العملية ، وكون الجندي المجوقل لا يحتاج الى اللياقة البدنية والتدريب العاليين اللذين يحتاجهما جندي المظلات . ولكن العمل الاكبر معنى بالنسبة للمعنويات الاسرائيلية هو اعمال الانقاذ والاسعاف التي تقوم بها هذه الطائرة ، بشكل يمكنها من تخفيض خسائرها البشرية بسبب سرعة الاسعاف ، « وقد قامت طائرات الهيلوكبتر خلال حرب حزيران بانقاذ ٨٦٣ جريحا وقامت طائرات النقل الاخرى بانقاذ ٢٣٠ جريحا ، بالاضافة لانقاذ ١٤ طيارا من بينهم ٤ تحت نيران العدو و٨ في الاراضي العربية مستخدمة الطائرات العمودية »(٢٧). ان تطور هذا السلاح وتضاعف قوة اسرائيل الضاربة سيمكنانها من القيام بعمليات واسعة ، وربما السيطرة على مناطق عربية واحتلالها ، خاصة اذا عرفنا انه بامكان سلاح النقل هذا نقل اكثر من ٣٥٠٠ رجل في الدفعة الواحدة ، اذا استخدمت الطائرات المروحية للمظليين وطائرات الهيلوكبتر للمشاة ، بجانب قدرة طائراته الضخمة على نقل السيارات المسلحة والمدرعات الخفيفة. ويزيد من خطورة هذا السلاح ضعف التغطية الجوية وضعف شبكة المواصلات العربية ، بالاضافة الى ان اعدادا كبيرة من القوات العربية ما زالت راجلة (غير ميكانيكية) وهذا سيمكن العدو من الاستفراد بنقاط ضعف عسكرية ومدنية يختلف حجمها باختلاف حجم القوة الضاربة ، اي كلما زاد عدد الجنود الذين يستطيع العدو نقلهم الى الهدف ، زادت امكانية عزل هدف اكبر وتدميره ، وذلك قبل ان تتمكن اي قوة من نجدة الموقع . « ولا تستخدم الهيلوكبتر في الجيش الاسرائيلي كأداة نقل او للمساعدة على المطاردات بل اداة قتال ايضا »(٢٨) وقد استخدمت طائرات الهيلوكبتر كأداة قتال في معركة الكرامة حيث كانت تقوم بكشف مواقع الفدائيين واطلاق النار عليهم . وقامت بأعمال الدورية المسلحة في غور الاردن .

وكما رأينا فقد توسعت القوات الاسرائيلية في استخدامها لطائرات النقل والهيلوكبتر ، فلم تعد هذه مجرد ادوات لنقل الجنود والاعتدة والجرحى ، بل طائرات تجسس وتشويش الكتروني وطائرات دورية ومراقبة وتصوير ، ومقاتلات مضادة للغواصات تستطيع حمل قنابل طوربيد وقنابل اعماق ، وطائرات لتزويد المقاتلات بالوقود في الجو ، ولتدريب طياري المطاردات ، بالاضافة الى المهام الاساسية ، وجميع هذه المهمات التي يستطيع سلاح النقل الجوي القيام بها ، بالاضافة الى قيمته في الحروب الخاطفة ، والحرب التقليدية ، والعمليات الخاصة ، تضعه في مكانة مرموقة ، بالرغم من انه ليس سلاح صدام مباشر .

الحرب الالكترونية : ظهر تعبير الحرب الالكترونية في فترة حرب الاستنزاف ، وكلمة حرب هنا لا تعني حربا بالمعنى المتعارف عليه ، بل هي اشبه ما تكون بحوار الارادات مع المنجزات العلمية ، هذا الحوار الذي تستخدم فيه معدات الكترونية بالغة التعقيد. فعندما انشأت مصر شبكة صواريخ سام على طول القناة ، لحماية اراضيها من هجمات الطائرات الاسرائيلية (وهذه الصواريخ توجه نحو اهدافها بواسطة الرادار) قامت الولايات المتحدة بتزويد اسرائيل بمعدات خاصة لرصد هذه المحطات والتشويش عليها ، وقد جهزت طائرات النقل الضخمة من طراز بوينغ بي ٩٧(٢٩)، لتقوم بهذه المهمة . والتشويش على الرادار من شأنه تضليل الصاروخ عن هدفه ، ولكن في هذه الحالة يمكن توجيه الصاروخ بوسائل اخرى ابسط لا يمكن التشويش عليها ، وان كانت اقل فاعلية ، لذلك فقد زودت طائرات الفانتوم بأجهزة انذار تنبه الطيار الى الخطر المحدق ، ليتمكن من الافلات بحركة مناسبة، ومن الجدير ان نذكر هنا ان مصر اتبعت خطة الاطلاق الجماعي للصواريخ ، حتى اذا ما تمكن الطيار من الافلات من احدها فلن ينجو من

الاخر . ومهما يكن من امر فان مجرد وجود هذه الشبكة ، يعني انه لن يكون في وسع القاذفات الوصول بسهولة الى اهدافها ، خاصة اذا كان الهدف يقع ضمن مجال هذه الصواريخ لذلك فلا بد من ضربها وتدميرها . ولهذا زودت اسرائيل بصواريخ «شرايك» المضادة للرادار ، وهو صاروخ جو ــ ارض يلاحق الذبذبات التي تطلقها اجهزة رادار الصواريخ المضادة للطائرات الى مصدرها ويدمرها . وقد تمكن الفيتناميون الشماليون من ابطال مفعوله باقفال اجهزة الرادار في الوقت المناسب فتوقف اصدار الذبذبات يفقد الصاروخ الهدف ، الا ان الامريكيين زودوه بذاكرة بحيث يواصل الاتجاه نحو الهدف بالرغم من اقفال الاجهزة . وتقول مجلة الطيران والبحرية الايطالية ان الاسرائيليين قد استعملوا هذا الصاروخ ، انتقاما لاسقاط طائرة التشويش الالكتروني بوينغ سي ٩٧ في اواخر عام ١٩٧١ ، في ضرب مواقع الصواريخ المصرية ، ولكن بنتائج طفيفة جدا(٢٠). وتستطيع الطائرات اطلاق صاروخ شرايك من مسافة تتراوح بين ١٢ ــ ١٦ كيلومترا ، وتبلغ سرعته ضعفي سرعة الصوت ، ومن الممكن تضليله باطلاق ذبذبات وهمية من اجهزة خاصة بعيدة عن اجهزة الرادار الحقيقية . وهناك مفاوضات لشراء اهداف طائرة ، وطائرات استطلاع بدون طيار من طراز رايان فايربي ١٤٧(٢١) وهذه الطائرة تحمل في داخلها اجهزة ملاحة دقيقة ، وتطير حسب خط مبرمج موضـوع في اجهزتها الداخلية ، وهي مزودة بنظام تصوير خاص للبث المباشر الى محطات ارضية . وتستطيع ان تطير لمدى ٤٠٠٠ كيلومتر دون التزود بالوقود وعلى ارتفاع ١٨٬٣٠٠ متـر . امـا الاهداف الطائرة فهي مستعملة في الاصل لتدريب طياري المطاردات ، ووحدات الدفاع الجوي ، الا ان هناك دراسات لجعل هذه الاهداف قادرة على حمل قنبلة زنة ٢٣٠ كيلوغراما تحت كل جناح وتوجيهها لضرب اهداف ارضية . ويعتقد الخبراء الامريكيون انها قادرة على ضرب اهداف تحميها صواريخ سام ٢، وسام ٣، او استعمالها لامتصاص جزء من قوة شبكة الصواريخ المضادة ، وذلك باطلاقها فوق هذه الشبكـة ، فتطلق الصواريخ عليها لاسقاطها ، ظنا منها انها طائرات مقاتلة ، وذلك تمهيداً لهجوم حقيقي تشنه طائرات يقودها طيارون . ويمكن اطلاق هذه الطائرات والاهداف من الارض ، او من طائرة أم ، وتستطيع طائرة هيركوليز الضخمة حمل اربعة من هذه الاهداف تحت جناحيها ، فوزن اثقل هذه الطائرات يبلغ ١٥٨٨ كيلوغراما اما طولها فيتراوح بين ٧ ــ ٨٬٨٠ متر . وتتمكن اسرائيل بطائرات التجسس هذه مـن القيام بعمليات استطلاع في عمق الارض العربية دون ان تخشى حدوث خسائر بشرية ، بالاضافة الى هذا فسوف تقل هذه الطائرات من خسائرها اذا ما حاولت خرق شبكة الصواريخ المصرية . ومن المؤكد ان لعبة الحرب الالكترونية هذه ليست بهذه البساطة، فاذا ما افلحت هذه الاهداف في خداع شبكات الرادار المصرية مرة فسوف يكون من الصعب ان تخدعها مرة ثانية ، واذا ما اكتشف المصريون وسيلة لاتقاء صاروخ شرايك ، فسوف يمضي وقت طويل قبل ان يتمكن الاسرائيليون من ايجاد حـل مضاد ، وبالطبع ، ففي حـالة وجود عمليات عسكرية ، فلن تتوقف هذه العمليات في انتظار ان يجد الاسرائيليون الحل .

ونذكر هنا بعض الوسائل والاسلحة التي يستخدمهـا الامريكيون في فيتنام لمواجهـة صواريخ سام ، حيث ان هذه الخبرات والاسلحة تصب فورا في جعبة العدو الصهيوني لتجربتها في المنطقة ، فقد استعمل الامريكيون في عملياتهم الاخيرة في فيتنام قنبلة جديدة سموها القنبلة الذكية "Smart Bomb" وهي تقودها اشعة لاسر (ليزر) ، وتضبطها كاميرا تلفزيونية "Telecamera" ، وقد حاز الامريكيون بواسطتها على دقة عالية في التصويب ، حتى على ارتفاعات عالية . ويعتقد بأن هذه القنبلة هي الصاروخ نفسه المسمى مافيريك "Maverick" من انتاج شركة هيوز ــ اريزونا ، وهو صاروخ جو ــ أرض ، والذي له نظام توجيه خاص ، مكون من كاميرا تلفزيونية موجودة في مقدمـة الصاروخ ، تمسح المنطقة المراد قصفها بحثا عن الاهداف ، وترسلها الى شاشة صغيرة

امام الطيار ، ويبدأ عمل الصاروخ وهو ما زال معلقا في الطائرة ، فعندما يشاهد الطيار الهدف المراد ضربه يوقف الصورة على ذلك الهدف ، ويطلقه فيتوجه الصاروخ مباشرة نحو الهدف الذي حمل صورته . وتستطيع طائرة الفانتوم حمل ستة صواريخ من هذا النوع على علاقتين وهو يعمل بالوقود الصلب ، ووزنه ٢٢٧ كيلوغراما وطوله ٢٤٤٤ متر وقطره ٣٠ سم .

الدفاع الجوي : ليس ثمة سلاح منفصل تماما اسمه الدفاع الجوي ، بل ان هذا السلاح يتكون من عدة اقسام ، تتجمع لتكون ما يعرف بالدفاع الجوي . ويتكون الدفاع الجوي الاسرائيلي من ١ ــ الطائرات المعترضة ، وتشكل الميراج ٣ سي عصبها الرئيسي ، وكما سبق وقلنا فهذه الطائرات مسلحة بصواريخ ماترا آر ٥٣٠ وصواريخ سايدوندر ، وتعاونها في ذلك طائرات الفانتوم التي تحمل ثمانية صواريخ جو ــ جو من طراز سايدوندر وسبارو(٣٢) وطائرة الفانتوم جيدة للقتال الاعمى والليلي ، وفي قدرتها الممتازة على الصعود والارتفاع بسرعة ٩ كيلو مترات في الدقيقة ، ولكن الميراج اكثر كفاءة في المطاردة النهارية وعلى الارتفاعات المنخفضة ، وتقوم بعض طائرات الصف الثاني ايضا باعمال الاعتراض مثل الميستير والسوبر ميستير ، وهذه مسلحة بمدافع من عيار ٣٠ ملم ، ولا تحمل صواريخ جو ــ جو . وباستثناء الطائرات المطاردة ، فان الدفاع الجوي الاسرائيلي لم يحظ بالقدر نفسه من الاهتمام الذي حظي به سلاح الطيران والاسلحة الاخرى ، ولكن هذا لا يعني انه اهمل كليا .

٢ ــ الانذار ــ ويتكون من شبكة جيدة من الرادار ، وتعمل اسرائيل حاليا على تجديد هذه الشبكة وتقويتها ، فقد ذكرت مجلة افياشن ويك الامريكية (عدد ١ آذار ١٩٧١) « ان شركة هيوز تضع دراسة تمولها اسرائيل لانشاء جهاز دفاع جوي يمكن السيطرة عليه بالالات الحاسبة الالكترونية ، وتحاول اسرائيل تحسين اجهزة دفاعها الجوي ، بشراء اجهزة رادار جديدة وزيادة بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات من نوع هوك » . ولا تتوقف عملية الانذار على اجهزة رادار الدفاع الجوي ، بل تتعداها الى اجهزة رادار البحرية . ويمكن تجهيز سفن الصيد الصغيرة بمعدات بسيطة لتقوم باعمال المراقبة والانذار ، بالاضافة لوسائل الكشف العصرية . وفي بلد عسكري مثل اسرائيل يستطيع كل جندي او مستوطن في الكيبوتسات ، شبه العسكرية ، ان يقوم باعمال المراقبة بالعين المجردة او المناظير ، والانذار ، تساعدهم في ذلك شبكة ممتازة من المواصلات السلكية واللاسلكية .

٣ ــ التصدي ، في العادة تكون المطاردات جاهزة دوما للتدخل لرد اي هجوم خارجي ، ولكن في حال عدم تمكن المطاردات من الدفاع عن بعض المناطق تتولى البطاريات ووحدات الصواريخ المضادة للطائرات القيام بهذه المهمة ، وقد سلحت اسرائيل بمدافع رباعية عيار ٢٠ ملم، وتطلق هذه المدافع النار من اربع فوهات في وقت واحد(٣٣) وتعطي كثافة نيران جيدة ، يضاف لهذه مدافع من عيار ٣٠ و ٤٠ ملم . وتستخدم المدافع عيار ٢٠ ملم لصد الطائرات التي تحلق على ارتفاعات منخفضة اما المدافع الاخرى فللطائرات التي تحلق على ارتفاعات اعلى .

والجزء الثاني من الوحدات المضادة للطائرات هي صواريخ هوك ، وكانت اسرائيل قد حاولت اكثر من مرة الحصول عليها ، الى ان تمكنت من ذلك عام ١٩٦١ ، مقابل اصوات الناخبين اليهود للرئيس كنيدي . والهوك صاروخ جيد ، وهو صاروخ الدفاع الجوي الرئيسي لدى قوات حلف شمالي الاطلسي ، الا ان الدول التي تملكه تحاول الآن ابداله بصواريخ احدث(٣٤) ولدى اسرائيل تسليح كتيبتين من صواريخ هوك(٣٥). وهو صاروخ متوسط المدى ، (مداه ٣٥ كيلو مترا) ويتتبع الحرارة التي يشعها عادم الطائرة . ومن الجدير بالذكر ان اصابة هذا الصاروخ تخفض بنسبة كبيرة في ايام الصيف الحارة ،

خاصة في منطقة صحراوية مثل سيناء حيث تزيد درجة الحرارة عن ٤٠ درجة مئوية في الايام العادية . وتتمركز هذه الصواريخ حول مدينة تل ابيب وفي جبهة قناة السويس . ونشير هنا الى ان الدفاع الجوي الاسرائيلي يبقى ضعيفا بسبب الوضع الجغرافي الاسرائيلي ، حيث تستطيع الطائرات العربية ، خاصة المرابطة في الجبهة الاردنية(٣٦) والسورية ، الوصول الى اكثر الاهداف حيوية في فلسطين المحتلة وضربها خلال دقائق معدودة ، فان ضيق مساحة الارض لا يعطي الدفاع الجوي الوقت الكافي للانذار والتصدي للغارة .

المطارات : عندما انسحبت القوات الانجليزية من فلسطين عام ١٩٤٨ تركت فيها ١٢ قاعدة جوية ومطارا عسكريا وثلاثة مطارات مدنية هي حيفا واللد وتل ابيب ، وقد عملت السلطات الصهيونية على زيادة هذه المطارات ، وحسن بعضها واهمل البعض الاخر ، وذلك تبعا لمقتضيات الدفاع الاسرائيلية الجديدة . وبالرغم من صعوبة اعطاء معلومات دقيقة في هذا المجال ، الا انه يمكن التأكيد بان هناك عددا جيدا من المطارات ، وعدا عن ذلك يمكن استخدام بعض الطرق العريضة والمرصوفة بشكل يسمح لها باستقبال الطائرات مثل طريق حيفا ـ تل ابيب ، كاراضي هبوط عند الحاجة . وقد عنيت السلطات الاسرائيلية بتحصين بعض المطارات المهمة مثل قاعدة رامات دافيد في شمال فلسطين ، حيث قامت بتحصينها على الطريقة السويدية ، بانشاء ملاجىء للطائرات والذخيرة والوقود ، تحت الارض(٣٧) . ولكن اذا كان التحصين قادرا على حماية الطائرات ، الا انه لا يكفي لتحافظ الطائرات على قدرتها على التحليق والتصدي ، فلا بد من وجود عدد كاف من المطارات . ويعتقد البعض ان لدى اسرائيل اكثر من ٦٠ مطارا ، ولكن هذا العدد مبالغ فيه ، فلا يمكننا اطلاق اسم مطار على كل طريق تستطيع ان تنزل فيه طائرة ، وهناك اعداد من المطارات الصغيرة التي لا يزيد طول مدرجها عن الفي متر ، معدة لاستقبال الطائرات السياحية الصغيرة ، او لاستعمال نوادي الطيران ، او للطائرات الزراعية ، ويمكن استخدام هذه المطارات لاستقبال طائرات النقل العسكرية من طراز عرفه ، الا انها غير قادرة على استقبال المقاتلات الحديثة او طائرات النقل الضخمة . وفي الواقع فان زيادة عدد المطارات يخفف تأثير الضربة الاولى ، او الضربة الانتقامية ويزيد من امكانية الاستفادة من الطائرات ، خاصة طائرات النقل . ولهذا فقد قامت القوات الاسرائيلية بانشاء عدد من مطارات الميدان ، بالقرب من خطوط وقف اطلاق النار . وقد استفادت في الضفة الغربية من المطارات الانكليزية القديمة مثل مطار الجفتلك وقامت باصلاح مناطق ورصفها لاستقبال طائرات النقل ، كما فعلت في منطقة بيت فوريك شرقي نابلس . وعادة لا تحتاج مطارات الميدان هذه الى رصفها بالاسمنت ، بل تكفي رصفة من الحجارة والرمل ، واحيانا يكفي تسوية الارض ، وبالطبع من الصعب اطلاق كلمة مطار على هذه المدارج التي تستعمل ايضا لهبوط طائرات الارتباط ، او طائرات المراقبة وضبط رماية المدفعية .

وقد استولت القوات الصهيونية على ثمانية مطارات مصرية في سيناء خلال حرب حزيران ، بالاضافة لمطار مدني اردني هو مطار قلنديا قرب القدس . ويتضمن الملحق المثبت في نهاية المقال قائمة بالمطارات الاسرائيلية حسب افضل المعلومات المتوفرة ، وباهم القواعد العسكرية مثل رامات دافيد ، وعاقر وحاتسور ، والمطارات المدنية مثل اللد وحيفا وايلات والقدس ، بالاضافة للمطارات المدنية والقواعد العسكرية الاصغر والمطارات التي قد تفيد المجهود الحربي الصهيوني ، حيث يمكن استخدامها في اعمال الامداد والتموين او لنقل الجرحى . وكذلك المطارات المستعملة كنوادي طيران او لاستقبال الطائرات السياحية . كما يتضمن الملحق قائمة بمراكز وحدات الرادار الثابتة والمتحركة التابعة للدفاع الجوي الاسرائيلي . ومما لا شك فيه ان مراكز وحدات الرادار

قد تغيرت بعد نشوء وضع دفاعي جديد في المنطقة . فقد انشئت مراكز جديدة للرادار على جبل الشيخ ، وفي سيناء وبالقرب من مضيق تيران .

صناعة الطائرات الحربية

عندما حصلت مصر على طائرات الميغ ١٥ و ١٧ زودت اسرائيل بطائرات الميستير . وعندما حصلت الاولى على طائرات ميغ ٢١ ، اشترت الثانية طائرات الميراج الفرنسية، ولكن لم يخل شراء اسرائيل للطائرات في كثير من الاحيان من الضغوط ، ولو ان هذه الضغوط كانت للتخفيف من سياستها العدوانية والتوسعية ، او لعدم استعداد الدول الكبرى للدخول في صراع بسبب من سياسة اسرائيل . ولذلك فقد عمدت السلطات الاسرائيلية الى انشاء صناعتها الخاصة للطائرات والاسلحة . وبعد الحظر الذي فرضه الجنرال ديغول على تزويد اسرائيل بالسلاح بعد حرب حزيران نشطت اسرائيل في تقوية صناعتها هذه ، ونشطت معها اجهزة المخابرات التي تمكنت من الحصول على تصاميم طائرة الميراج ٥ من سويسرا ، وعدا ذلك فقد سافر احد كبار مهندسي مصانع الطائرات الاسرائيلية الى الولايات المتحدة وبريطانيا وفي جيبه ٢٠ شيكا قيمة كل منها مئة الف دولار ، و ٢٠ عقدا لتقنيين في كل فرع من فروع الطيران واستغلت الحكومة الاسرائيلية فترة « الكرم » الامريكي للحصول على مصانع واجازة لصنع المحرك جي ٧٩ ، وهو احد المحركين العاملين على طائرة الفانتوم ، وبدأت هكذا في « تصميم » اول طائرة مقاتلة لها سمتها السوبر ميراج . وهكذا بدات مصانع الطائرات الاسرائيلية العمل في مشروعها الاول والذي اطلقت عليه اسم « سالفو » Salvo ، وهو لطائرة نفاثة تطير بمحرك من طراز جنرال الكترك جي ٧٩ ، وتزيد قوته عن قوة محرك طائرة الميراج ٥ بنسبة ٢٠٪ . وتصاميم هذا المشروع مأخوذة عن تصاميم الميراج ٣ سي والميراج ٥ ، ولكن العمل بهذا المشروع ما لبث ان جمد(٣٨) ليبدأ العمل بمشروع ثان هو « الستارة السوداء » Black Curtain (وقد سمي كذلك نظرا للسرية التي طور بها) وتعمل هذه الطائرة بالمحرك المذكور نفسه الا ان تصاميمها مأخوذة عن طائرة الميراج ٥ فقط وتدعي اسرائيل بانها ستجمد هذا المشروع ايضا في حال استلامها الصفقة الاخيرة من طائرات الفانتوم والسكاي هوك التي اوصت عليها(٣٩). ومما لا شك فيه ان انتاج اسرائيل للطائرات ذات الكلفة العالية لا يناسبها ، خاصة وانها تحصل في الوقت الحاضر على احتياجاتها من السلاح من الولايات المتحدة مجانا ، او بموجب قروض تنقلب الى مساعدات في المستقبل . ان الخطر الوحيد الذي قد يشكله انتاج الطائرات الحربية في اسرائيل هو انعتاقها تماما من « الضغط الاجنبي » المتعلق بسياستها في المنطقة ، وهو امر عرفت اسرائيل كيف تتخلص منه في معظم الاحيان . ومن المهم ان نشير الى ان مستوى طائرة « السوبر ميراج » لن يرتفع عن مستوى طائرة الميغ ٢١ مف ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار قوة دفع محرك الفانتوم المستعمل على السوبر ميراج الاسرائيلية (٥،٣٨٥ كيلو غراما) وقارناه بقوة دفع محرك الميغ ٢١ مف (٥،١٠٠ كيلو غرام) وعلاقة قوة الدفع بالوزن هي التي تقرر السرعة ، وعلى الرغم من اننا لا نعرف وزن طائرة السوبر ميراج ، الا انه من الصعب انتاجها لتكون اخف من طائرة الميغ ٢١ والتي هي من اخف الطائرات التي في مستواها وزنا .

وقد لاقى البدء في تصميم الطائرة الاسرائيلية معارضة شديدة في بعض الاوساط ، وحجتهم في ذلك ان معامل داسو لا تنتج سوى ٤٢٪ من الطائرة والباقي تنتجه اكثر من ٥٠ شركة ومصنعا ، ومعظم هذه المصانع المساعدة غير متيسرة لاسرائيل(٤٠). وفي الحقيقة فان هذا الامر قد يزيد من كلفة الطائرة ، حيث ستضطر الى شراء ما ينقصها من الخارج ، كما وان سرعة الانتاج قد تتأثر بسرعة تسليم المصانع الاجنبية للمعدات المطلوبة ، ولكنه لن يؤثر على انتاجها . ومن المهمات التي عهد بها الى مصانع الطائرات

الاسرائيلية ، اجراء التعديلات المناسبة على الطائرات التي يزود بها سلاح الطيران ، واعمال الترميم والصيانة للطائرات القديمة والمعطوبة . ومن المهم ان نذكر ان القادة العسكريين في اسرائيل كانوا يطلبون اجراء تعديلات كثيرة على الطائرات التي يوصون عليها ، وهي تعديلات لا يمكن القيام بها في اسرائيل لاسباب فنية ، واشهر مثال على ذلك ان عيزر وايزمان قد طلب من شركة داسو اجراء أكثر من ٥٠٠ تعديل على طائرة الميراج ٥ ، والتي كانت اسرائيل قد اوصت على ٥٠ منها في اواخر عام ١٩٦٦ ، مما دفع هذا الاخير الى القول في حفل عشاء في السفارة الاسرائيليـة في باريس وبحضور سيرج داسو ابن مصمم الطائرات المشهور « انها طائرة اسرائيلية الان » وقـد اثارت هذه العبارة استياء شديدا في الاوساط الفرنسية(٤١) . وكما قلنا تنتج المصانع الاسرائيلية حاليا طائرات التدريب النفاثة من طراز فوغا ماجستير(٤٢) بموجب ترخيص خاص ، وقد بدأت بانتاج طائرة النقل الخفيفة (عرفه) وبواقع ٤ طائرات في الشهر ، كما تنتج قطع الغيار لطائرات سلاح الطيران الاخرى . وقد برزت اهمية انتاج قطع الغيار بعد الحظر الفرنسي على تصدير الاسلحة الى اسرائيل وامكانية تعطيل الطائرات الفرنسية الصنع في الطيران الاسرائيلي . وتنتج مصانع اخرى جميع انواع الذخيرة المستعملـة علـى الطائرات ، باستثناء بعض الاسلحة والذخائر الخاصة ، كما وتنتج الصواريخ جو ــ جو من طراز « ماترا » الفرنسي والمدافع الرشاشة طراز ديفا وذلك بموجب ترخيص(٤٣) .

خاتمة ــ هذا هو سلاح الطيران ، وقد سبق وقيل بان اسرائيل هي جيش يمتلك دولة ، ويبدو ان هذا القول قد تطور اكثر بحيث اصبح سلاح طيران يمتلك دولة ، ومن الواجب ان نعترف بان النجاح الذي حققه الاسرائيليون بسبب هذا السلاح هو الذي دفعهم الى تنميته وتطويره ، ليصل الى ما هو عليه . ولكن ورغم كل شيء سيبقى سلاح الطيران قوة مساندة للقوات البرية وستكون هناك دوما وسائل للتغلب عليه او تخفيف مفعوله ، واكبر مثل حي على ذلك هو فيتنام رغم ان الاختلاف في القوة بيننا وبين العدو الاسرائيلي ليس هو الفارق نفسه بين فيتنام والولايات المتحدة ، وبالتالي فان امكانات النجاح لدينا اكبر بكثير . ويجب ان نعرف بان مصاعبنا مع اسرائيل ليس سببها سلاح الطيران او القوة العسكرية الاسرائيلية ، بل مصاعبنا في تخلفنا نحن في جميع المجـالات ، **فسلاح الطيران ليس الثقل الوحيد في الميزان** ، بل هو جزء من القوة العسكرية وهذه القوة هي محصلة لكل مصادر القوة في اي دولة ، ويقررها وضع البلـد الاقتصادي ، ونظامهـا السياسي والاجتماعي ، ومكانتها الدولية ، ووضعها الجغرافي والسكاني . ولو تمكنا من الاستفادة من هذه المصادر وتنميتهـا او تنظيمها لاصبح سلاح الطـيران ، والقوة العسكرية الاسرائيلية مسألة هينة لا يحتاج حلها الى الكثير من العبقرية . وكما قلنا في أول الموضوع ، فان اسرائيل تتجه لتصبح قاعدة جوية ضخمـة ، وهي تطور استخدام هذا السلاح يوما بعد اخر ، ليصبح الاداة العدوانية الاولى . فلم تستعمـل اسرائيـل سلاح الطيران خلف الخطوط العربية قبل عام ١٩٦٤(٤٤) ، وقـد استخدمته اول مرة في اواخر عام ١٩٦٤ ، وذلك للرد على القوات السورية التي قصفت مستعمرتي « دان » و « دفنه » كما ادعت السلطات الاسرائيلية ، وعندما لم يثر هـذا العمل ردود فعل دولية ، اعتمدته السلطات الاسرائيلية كوسيلة « لتأديب » العرب ، فبعد ضرب المواقع العسكرية بالطائرات بعد حرب حزيران ، وخلال حرب الاستنزاف ، قامت بقصف بعض القرى العربية بشكل خفيف كما فعلت بالقرى الاردنية من قبل واللبنانية الان ، وسوف تتجاوز الى تدمير هذه القرى تماما لتضرب بعدها المدن . وكما قلنا تنمو اسرائيل لتصبح قاعدة جوية استعمارية ، مثل القواعد الامريكية في الهند الصينية ، بفارق كون اسرائيل اشد رسوخا ، وكون مسؤوليتها اكثر استقلالا ، ومن المهم ملاحظة استخفاف اسرائيل بالروابط الدولية ، وهذا ما كانت لتستطيعه دولة صغرى لولا دعم المعسكر الامبريالي لها ، كمحافظة على مصالحه في المنطقة ، ولولا قوة مركز اسرائيل الاعلامي الذي يسمح

لها بتغطية كل افعالها الشنيعة . يؤكد هذا تطاولهم حتى عـلى « اصدقائهم » وليست ببعيدة محاولتهم سرقة طائرات ميراج ٥ من فرنسا ، وسرقتهم ايضا للزوارق الخمسة من ميناء شربورغ الفرنسي ، وسرقتهم لتصاميم طائرات الميراج ٥ من سويسرا وباخرة كاملة تحمل قطع غيار لطائرات الميراج من مينـاء انفيرس البلجيكي او حتى اختطافهم للطائرات من بريطانيا وامريكا اثناء حرب فلسطين ، كل هذا يجعل من اسرائيل قوة لا تلتزم بالحد الادنى من الارتباطات او الصداقة الدولية ، او القيم الخلقية الدولية .

ملحق

المطارات في اسرائيل

١ — رامات دافيد (نهلال)
٢ — عاقر (تل توف)
٣ — حاتسور (تسطينا)
٤ — كفار سركين (بتاح تكفا)
٥ — حاتسريم — قاعدة كلية الطيران
٦ — البصة — البمنة
٧ — اللد
٨ — تل ابيب (دوف هوز)
٩ — القدس الجديدة
١٠ — حيفا
١١ — ايلات
١٢ — مسادا (بار يهودا)
١٣ — عين شيمر
١٤ — هرتسليا
١٥ — الفالوجا
١٦ — بيت دراس
١٧ — روشبينا (الجاعونة)
١٨ — سان جين
١٩ — البروة
٢٠ — ابو رقيق
٢١ — مأجدو
٢٢ — ديمونا

المطارات العربية في المناطق المحتلة

١ — قلنديا — مطار مدني اردني
٢ — العريش
٣ — السدر
٤ — المليز
٥ — تمادة
٦ — ابو رديس
٧ — ابو زنيمه
٨ — الطور
٩ — شرم الشيخ

اراضي النزول في اسرائيل

١ — الرملة
٢ — كفار جلعادي
٣ — يفتئيل
٤ — جوليس
٥ — ساديه بوكر
٦ — كتسيعوت
٧ — عين حصب
٨ — ساديه ابراهام
٩ — متسابيه رامون
١٠ — عين جدي
١١ — كفار يروحام
١٢ — سدوم
١٣ — بير منوحا
١٤ — عـراد
١٥ — صرفند
١٦ — تمناع
١٧ — ويلهلما

محطات الرادار الاسرائيلية

أ — مواقع ثابتة

١ — صفد — معسكر جبل كنعان
٢ — جبل ميرون
٣ — حيفا
٤ — بات جاليم — داخل المعسكر
٥ — رامات دافيد — داخل المطار
٦ — اللد — داخل المطار
٧ — عاقر — داخل المطار
٨ — حاتسور — داخل المطار
٩ — اريحا — على جبل اريحا
١٠ — ميرار } يعتقد بان الاولى للانذار
١١ — جيديرا } والثانية لتوجيه المقاتلات

ب ــ مواقع مؤقتة

١ ــ سان جين
٢ ــ عسفيا
٣ ــ جعفات اولجا
٤ ــ تل ابيب ــ شمالي تل ابيب
٥ ــ القدس ــ غربي القدس
٦ ــ حاتسريم ــ داخل المطار
٧ ــ ايلات
٨ ــ صرفند

جـ ــ محطات الرادار داخل سيناء

١ ــ التل الاحمر
٢ ــ ام خشيبت
٣ ــ راس سله
٤ ــ متلا
٥ ــ رفح
٦ ــ بير العبد
٧ ــ ام رجام
٨ ــ جبل بغلق

---

١ ــ زئيف شيف ، **هآرتس** ، ١٩٧٢/٤/١٤ .

٢ ــ فيك فانس ، وبيار لوير ، **حربنا مع اسرائيل** (دار النهار للنشر ــ بيروت ١٩٦٨) ص ٥٤ .

٣ ــ سيف ، دان ، بن غورت ، **انشاء وتطوير سلاح الطيران الاسرائيلي**(دار العودة ــ بيروت) ص ٢١٠ .

٤ ــ **المصدر السابق** ، ص ١٤٦ .

٥ ــ قالت **هآرتس** عدد ١٩٧١/٦/١ (ان ثلاثة انتصارات حاسمة على الجيوش العربية منذ عام ١٩٤٨ ساهمت في خلق ثقة مبالغ فيهــا ...) ويبدو انه بسبب هذه الثقة يصاب الاسرائيليون « بشطحات » اسطورية عن تفوقهم ، فقد ادعى هؤلاء بان طائرة من طراز اوزيغان (سرعتهــا ٩٦٠ كم/ ساعة) قد تمكنت من اسقاط طائرة ميغ ٢١ (سرعتها ٢٣٣٥ كم / ساعة) تبــين فيما بعد انها ضربتها فيما كانت تهم بالاقــلاع اي في أسوأ حالاتها ، ويبدو انهــا تمكنت من الارتفاع بضعة امتار حين اصيبت فعدوا ذلــك مبارزة تامة .

٦ ــ مجلة **الاتا الدولية** Alata International الايطالية عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

٧ ــ عدد ٣١ اب ١٩٦٧ .

٨ ــ باعت اسرائيل هذه الطائرات بعد حــرب حزيران. **الاتا الدولية**، عدد كانون الثاني١٩٧٢.

٩ ــ سيف ، دان ، بن غورت، **المصدر السابق**، ص ٢٢٨ .

١٠ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٩ .

١١ ــ **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٠ .

١٢ ــ بالنسبة لقدرة طائــرات سلاح الطــيران الاسرائيلي على التزود بالوقود وهي في الجو ، كتبت مجلة القوات المسلحة في الولايات المتحدة: « بعد تطور القدرة على تزويد الوقود في الجو تستطيع اسرائيل الان ارسال طائرات ليــس لمهاجمة اهداف بعيدة في البلاد العربية فقط بل لمهاجمة سفن وطائرات مختلفــة في المتوسط ، وتستطيع مهاجمة اهداف مثل قاعدة ويلس في ليبيا من الجو ، وكذلك المناطق الداخلية مــن السودان والعراق وسوريا » ملحق **هآرتس** ، ١٩٧٢/٤/١٤ .

١٣ ــ مجلة **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثانــي ١٩٧٢ .

١٤ ــ قال زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ١٤/٤/ ١٩٧٢ « .. ففي السنة الماضية وفي اعقــاب تزود الــدول العربيــة بمئات طائرات الميــغ والسوخوي والتوبوليــف كــان ميزان القــوى العددي ما يلي ، طائرات مقاتلة لدى العــرب ٣،٥ ضعف ما لدى اسرائيل ... » هذه عينة عن المغالطــات التي يقدمهــا العدو ، فعــدا الاختلاف في قدرة الطائرات ، فهذه القائمة تضم حتى الطائرات التي يملكها السلطان قابوس ، والمغرب واللذان يبعدان بضعة الاف من الكيلو مترات عن الجبهة .

١٥ ــ هنــاك تضارب واضــح في الارقــام التي تقدمها مؤسسات الدراسات العسكرية ، وهذه الارقام اختيرت بحرص بعد الاطلاع علــى نشرة مؤسسة الدراســات الاستراتيجية للعام ٧٣/٧٢ من **المحــرر** اللبنانية ١٩٧٢/٩/٨ ، ونشــرة مؤسسة افياشن ستاديز انترناشنــال عــدد تموز ١٩٧٢ ، بالاضافة لمجلة **الاتا الدوليــة** عدد كانون الثاني ٧٢

١٦ ــ الفانتوم RF-4C تختلف قليلا عن الفانتوم RF-4E ــ تقوم بمهمات الاستطلاع الليلية وهي مزودة بالات تصوير وكاميرات سينمائية دقيقــة تغطي مساحات واسعة، وتبلغ قوة الاضاءة التي تستخدمها عند التصوير ٥ ملايين شمعة ممــا

يسمح لها بان تضيء في الليل اهدافا متحركة كقوافل السيارات وان تصورها بعد ذلك ، وفي الطائرة جهاز رادار حساس طراز (S.L.A.R.) يعطي الطيار صورة دقيقة لشريط عرضه ٢٠ كم من الارض التي يحلق فوقها . كما وان فيهـا جهازا من طراز (A.A.S.18) يستخدم الاشعة تحت الحمراء ويكشف منابع الحرارة كالسيارات المموهة ونيران اماكن الاقامة المختفيـة وسط الادغال .

١٧ — من الصعب اثبـات تزويد حكومـة جنوب افريقيا لاسرائيل بطائرات هي الطائرات نفسها المستعملة لديها ، وبامكان حكومة جنوب افريقيا انتاج عدد محدد من هذه الطائرات دون الاعلان عن ذلك .

١٨ — **الاتا الدولية** ، عدد كانون الثاني ١٩٧٢ .

١٩ — سيف ، دان ، بن فورت، **المصدر السابق،** ص ٢٤٥ .

٢٠ — نشرت مجلة **Air Enthusiast** البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ « انه تم تحويل طائرات الفوتور ذات المتعدين الـى طائرات استطلاع وتشويش الكتروني ... »

٢١ — **الاتا الدولية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٢ — نفس الملاحظة عن الجدول رقم (١) راجع **نشرة مؤسسة الدراسات الاستراتيجية ، مجلة الطيران والبحرية الايطالية** عدد شباط ١٩٧٢ ، **الاتا الدولية** عدد كانون الثاني ١٩٧٢ . Air Enthusiast البريطانية عدد كانون الاول ١٩٧١ .

٢٣ — **الطيران والبحرية الايطالية** ، عدد شباط ١٩٧٢ .

٢٤ — **المصدر السابق** ، عدد ايار ١٩٧٢ .

٢٥ — وليام غرين ، The Observers's Book of Aircraft ، نشرة ١٩٧٢ .

٢٦ — قالت مجلة **افياشن ويك** عـدد ٧٢/٣/٢٧ « تعمل اسرائيل على تطوير جهاز اسمه روتر ــ اور (Rotor-OR) يستخـدم في طائـرات الهيلوكبتر ، للانارة الليلية دون ملاحظتهـا من الارض ، وتعمل مصادر الانارة في هذا الجهـاز بواسطة غاز التريتيوم (Tritium) ويمكن هذا الجهاز طاقم الطائرة من الرؤية لمسافة ٣٠٠ قدم .

٢٧ — سيف ، دان ، بن فورت ، **المصدر نفسه،** ص ١١٧ (دار العودة ــ بيروت) .

٢٨ — زئيف شيف ، ملحق **هآرتس** ، ٧٢/٤/١٤ .

٢٩ — يجب الملاحظة هنا ان البوينغ سي ٩٧ هي الصنف العسكري للبوينـغ ٣٧٧ ستراتد كروزز المدنية ، ويطلق عليها في اسرائيل اسم انـاك Anak ايضا .

٣٠ — عدد كانون الثاني ١٩٧١ .

٣١ — زئيف شيف ، ملحق **هـآرتس** ، ١٤/٤/ ١٩٧٢ .

٣٢ — لاعطاء فكرة عن قدرات الصواريخ جو ــ جو ، نذكر قدرة صاروخ سبارو ٣ ، طوله ٣٦٦ مترا ، وزنه ٢٠٤ كيلو غرامات ، وسرعته اكثر من ٣٦٥ ماك ، ويبلغ مداه ١٣ كيلو مترا ، اما عبوته الناسفة فوزنها ٢٧ كيلو غراما ، ويوجه بشكل شبه فعلي بموجات متصلة .

٣٣ — زئيف شيف ، ملحـق **هآرتس** ، ١٤/٤/ ١٩٧٢ .

٣٤ — **الاتا الدولية** ، تشرين الاول ١٩٧١ .

٣٥ — *Military Balance* 1970-71

٣٦ — الوضع هنا مرضي ، فالكل يعرف مأساة « الجبهة الشرقية » .

٣٧ — سيف، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق.**

٣٨ — مجلة **الطيران والبحرية الايطالية** ، عـدد تشرين الثاني ١٩٧١ .

٣٩ — **المصدر السابق** .

٤٠ — سيف، دان ، بن فورت ، **المصدر السابق،** ص ٢١٩ .

٤١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٤ ، نقرا «وازعجت الاسرائيليين بصفة خاصة حقيقة ان الفرنسيين ينوون بيع طائرات الميراج (الميراج ٥) لليبيين — وهي الطائرة التي انتجت بالفعل بناء علـى طلـب اسرائيلي وحسب تفاصيل قدمها خبراء سـلاح الطـيران الاسرائيلي لمصانـع داسو الفرنسية » .

٤٢ — قالت مجلة (Military Review) عدد اذار ١٩٧١ ، « ان المصانع الاسرائيليـة تعمل على انتاج طائرة فوغا ماجستير بمقعـد واحد لمساندة القوات البرية » .

٤٣ — معاريف ، ١٩٧٢/٨/١٨ .

٤٤ — نقصد ان اسرائيل لم تستعمل الطيران خلف الخطوط العربية في اوقات الهدنة ووقف اطلاق النار .

سياسة استثمار رؤوس الاموال في القطاع الصناعي في اسرائيل

انطوان منصور

ان معرفة وضع الاستثمارات وحجمها في اقتصاد بلد ما ضرورية ومدخل لكل محاولة جدية للتعرف عن كثب على واقع تطور هذا البلد وامكاناته والآفاق المفتوحة امامه . ولما كانت الاختيارات التي تحدد وجهة هذه الاستثمارات تتداخل فيهـا ، بشكل اساسي ، عوامل سياسية ، فلا بد ان تتناول الدراسة العناصر السياسية التي تتحكم في واقع الاقتصاد المنوي دراسته . وان دراسة العوامل التي تتحكم بواقع الاقتصاد الاسرائيلي تزداد اهمية نظرا لاعتماده وبشكل كبير على الموارد الخـارجية (مساعدات وهبات ، دخول رساميل اجنبية) . ولكن لان حجم هذه الرساميل كبير بحيث يجعل اسرائيـل مرتبطة بالامبريالية فلا بد من معرفة مدى وكيفية استفادتها منها . هنا يبرز لنا القطاع الصناعي كهدف تسعى اسرائيل من خلال تطويره ودعمه الى خلق قاعدة اقتصادية متينة تكون الركيزة لانطلاقة استعمارية تتعدى حدودها لتشمل بلدان المنطقـة العربية . وتكتسب دراسة الاستثمارات في هذا القطاع اهمية كبرى لان امكانات ووجهة تطوير القطاع بأكمله مرتبطة بها ، بحجمها وتوزيعها على مختلف النشاطات وبالتالي فأي نوع من النشاطات الصناعية يعطى الافضلية ، لذلك لا بد من معرفة الوسائل التي تستخدمها الدولة للتأثير على الاستثمارات ولجعلها تتوظف في مجالات تنسجم ومخططاتها، كالقوانين التي اصدرتها .

ان تطوير وسائل الانتاج بتطبيق التكنيك الحديث ضروري لتطوير القطاع الصناعي الذي توليه اسرائيل اهمية قصوى ، لذلك فلمجالات البحث والدراسات اهميتها . وسنتعرف خلال الدراسة على الامكانات المفتوحة امام البحث والتطويـر والامكانات الحالية في قطاعي الصناعة المدنية والحربية .

يلعب القطاع المصرفي دورا مهما بتوفـير السيولـة والتسليف لمختلف النشاطـات الاقتصادية . ولا بد هنـا من التطرق لدور المصرف المركزي كأداة بيد الدولـة لتنفيذ مخططاتها ودفع القطاع الخاص باتجاهات محددة .

ان تدفق اليهود الهائل من انحاء العالم الى اسرائيل جعل نسبة اليد العاملة المتخصصة مرتفعة نسبيا نظرا الى ان البلاد التي هاجر منها هؤلاء متقدمة (المانيا ، الولايات المتحدة الاميركية . . .) وهذا يوفر للاستثمارات امكانات لا يمكن ان تتوفر في بلد آخر . لذلك فاستخدامها واستثمارها يشكل عاملا مهما ، هذا ، وان هـذه الدراسة لا تطمح الى تناول موضوع الاستثمارات من كامل وجوهه وبالتفصيل الدقيق . وعلى الرغم من ان المساعدات والهبات وتحرك الرساميل الاجنبية الى اسرائيل لها اهمية وتأثير كبير في الاقتصاد ووجهة تطوره ، فلن نتناولها بالتفصيل ، بل سوف ندرسها فقط من زاوية مدى تأثرها بقانون تشجيع الاستثمارات الذي اصدرته الدولة .

الاستثمارات الصناعية في الاقتصاد الاسرائيلي

واجهت اسرائيل عند انشائها مشكلات اقتصادية صعبة : منها استيعاب عشرات الالوف من المهاجرين اليهود ، ومقاطعة الدول العربية لها مما ادى الى عزلتها . وفي السنين الاولى من وجودها كانت اولى المشكلات التي واجهتها الحكومة الاسرائيلية تأمين الحاجات الغذائية للسكان ، فاولت اهتماما كبيرا للقطاع الزراعي مؤمنة استثمارات ضخمة حتى سنة ١٩٥٦ خصوصا وان ازدياد المهاجرين كان يطرح مشكلة زيادة الانتاج بنسبة زيادة السكان المرتفعة .

بعد ما تم تطوير القطاع الزراعي اتجهت الاستثمارات اتجاها متزايدا نحو القطاع الصناعي ، ففي حين بلغت الاستثمارات في الصناعة ٨٧ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٥٥ ، وصلت الى ٢٠٨ م.ل. (مليون ليرة) عام ١٩٥٩ و٤٣١،٩ عام ١٩٦٣ ، اي ان قيمتها تضاعفت كل ٤ سنوات ولكنها تعرضت لانخفاض كبير في الفترة الممتدة بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ : فبينما بلغت في العام ١٩٦٥ ٤٦٧،٢ م.ل. انخفض هذا الرقم الى ٢٤٨،٧ في العام ١٩٦٧ ، اي بنسبة ٤٦ بالمئة ، وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل : ارتفاع الاسعار ، بطالة ، ركود في النشاط الاقتصادي . ويعود سبب هذه الازمة جزئيا الى تدن في المساعدات والرساميل الاجنبية ، وخصوصا وقف « التعويضات » المتأتية من الحكومة الالمانية ، مما يدل على مدى اعتماد اسرائيل على الخارج . لقد قدمت حرب حزيران عام ١٩٦٧ مخرجا مؤقتا لهذه الازمة الاقتصادية اذ ازدادت المساعدات من اليهود في العالم ، وعقد مؤتمر في القدس عام ١٩٦٨ ضم عددا كبيرا من اغنى الرأسماليين اليهود وقرر استثمار مبالغ ضخمة في اسرائيل . فنتج عن ذلك ازدياد الاستثمارات في القطاع الصناعي عام ١٩٦٨ بنسبة ٨٧ بالمئة عما كان عليه في السنة السابقة ، وبلغت قيمتها ٤٦٦،٥ م.ل. ، وهي تعادل قيمة الاستثمارات لعام ١٩٦٤ . ثم عرفت هذه الاستثمارات تطورا سريعا في فترة ما بعد حرب حزيران : ٣٦ بالمئة في ١٩٦٩ و١٠ بالمئة في ١٩٧٠ .

ولكن الارتفاع الكبير للاستثمارات في الصناعة لم يتم على حساب القطاعات الاخرى اذ ان مجموع الاستثمارات عرفت هي ايضا تطورا مماثلا : في عام ١٩٥٥ كانت نسبة الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٨،٥ بالمئة من مجموع الاستثمارات، وفي العام ١٩٥٩ بلغت هذه النسبة ١٨،٩ بالمئة ولم تتغير في العام ١٩٦٣ . ولكن في اثناء الازمة انخفضت هذه النسبة الى ١٤،٢ بالمئة عام ١٩٦٥ والى ١٢،٧ بالمئة عام ١٩٦٦ . فكان القطاع الصناعي هو الاكثر تضررا .

ويبين الجدول الاول تطور الاستثمارات في الصناعة ونسبتها لمجموع الاستثمارات في الفترة ما بين ١٩٥٣ — ٧٠ .

الجدول الاول

الاستثمارات في القطاع الصناعي ١٩٥٣ — ٧٠

السنة	الاستثمارات في الصناعة (بملايين الليرات الاسرائيلية) (١)	الارتفاع(+) او الانخفاض(–) بالنسبة للسنة السابقة (بالمئة٪)	مجموع الاستثمارات (بملايين الليرات) (٢)	الارتفاع(+) او الانخفاض(–) بالنسبة للسنة السابقة (بالمئة٪)	نسبة (١)/(٢) (بالمئة٪)
١٩٥٣	٦٥		٣٠٤	—	٢١،٤
٥٤	٧٥	١٥،٣ +	٤١٩	٣٧،٨ +	١٧،٩

٥٥	٨٧	+ ١٦	٢٦١٢	+ ٤٩	١٨،٥
٥٦	١٣٧	+ ٥٧،٤	٦٥٥	+ ٧	٢٢،٤
٥٧	١٥٧	+ ١٤،٦	٨٦٨	+ ٣٢،٥	١٧،٤
٥٨	١٦٤	+ ٤،٤	١٠٠٠	+ ١٥،٢	١٥،٧
٥٩	٢٠٨	+ ٢٦،٩	١١٠٠	+ ١٠	١٨،٩
١٩٦٠	١٩٨	− ٤،٩	١٢٠٠	+ ٩،٩	١٦،٥
٦١	٢٧٤	+ ٢٨،٣	١٦٠٠	+ ٣٣،٣	١٧،١
٦٢	٣٦٠،٩	+ ٣١،٥	٢٠٦٧	+ ٢٩،١	١٧،٤
٦٣	٤٣١،٧	+ ١٩،٦	٢٢٨٤	+ ١٠	١٨،٩
٦٤	٤٦٧،٢	+ ٨،٢	٢٩٤٠	+ ٢٩	١٥،٨
٦٥	٤٢٨،٩	− ٨،٢	٣٠١٢	+ ٢	١٤،٢
٦٦	٣٢٠،٤	− ٢٥،٣	٢٥٠٤	− ١٧	١٢،٧
٦٧	٢٤٨،٧	− ٢٢،٤	١٨٦٣	− ٢٦	١٣،٣
٦٨	٤٦٦،٥	+ ٨٧،٦	٢٩٤٥	+ ٤٤	١٥،٨
٦٩	٦٧٣	+ ٣٦	٣٨٣٢	+ ١٥	١٧،٥
١٩٧٠	٧٣٥،٧	+ ١٠	٤٦٨٧	+ ٩	١٥،٦

المصدر : من ١٩٥٣ الى ١٩٦١ : كتاب دافيد هورويتز ، **اقتصاد اسرائيل** ، ص ٢٩ .
من ١٩٦٢ الى ١٩٧٠ : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ .

ان الاستثمار في القطاع الصناعي ومنحه اهمية كبيرة هو اختيار سياسي. والسؤال الذي لا بد ان نطرحه هو : لمصلحة من يتم الاستثمار في هذا القطاع ؟ لا بد للاجابة على هذا السؤال ان نتعرض للدور الذي تريد اسرائيل ومن هم وراءها أن تلعبه في الشرق الاوسط . فاسرائيل ، هذا الجسم الدخيل في العالم العربي ، قد خلقتها الامبريالية لتلعب دور الشرطي ولتحافظ على مصالحها في المنطقة . ليس هذا فقط ، فان ما تريده الامبريالية هو ان تجعل من اسرائيل « ولايات متحدة » جديدة ، اي ان تلعب الدور نفسه التي تلعبه الولايات المتحدة الاميركية بالنسبة لبلدان اميركا اللاتينية ، وهذا يعني سيطرة اسرائيل على الاقتصاد العربي وافتتاح الاسواق العربية الواسعة امامها . ولن يتم ذلك الا باستغلال الشعوب العربية وقهرها . ولكي تستطيع اسرائيل ان تلعب هذا الدور لا بد لها ان تبني اقتصادها وان تستعمل التكنيك الحديث . فبناء الاقتصاد يمر عبر بناء القطاع الصناعي ، وهذا ما يفسر التركيز على الاستثمار في الصناعة . لقد عبرت الطبقة الحاكمة في اسرائيل عن رغبتها في أن تشكل القاعدة الصناعية للمنطقة العربية لكي تستطيع ان تدخل اسواقها دون صعوبة وتهيمن عليها ، ولكن هذا التصنيع لم يكن ممكنا دون المساعدات والرساميل الاجنبية الآتية من الامبريالية والصهيونية العالمية .

تركيب الاستثمارات في الصناعة

لكي نستطيع ان نبحث تركيب الاستثمارات لا بد ان نوضح في البداية واقعها ، اي المصادر المتعددة التي تؤمن للصناعة حاجاتها من الرساميل ، ثم ننتقل بعدئذ لدراسة توزيع هذه الاستثمارات على مختلف الفروع الصناعية .

واقع الاستثمارات : تبين معرفة مصادر الاستثمارات حجم المساعدات والمنح المتوافرة للصناعات الاسرائيلية . والجدول الثاني يوضح لنا ذلك .

الجدول الثاني

توزيع الاستثمارات في العام ١٩٦٩

	بملايين الليرات	بالمئة (٪)
— اعادة استثمار الارباح وغيرها من استثمارات اصحاب المؤسسات الصناعية	٢٩٣	٪ ٤٦
— قروض من البنك الصناعي للانماء	٢٠٦	٪ ٣٣
— مساعدات من البنك الصناعي للانماء	٣١	٪ ٥
— استثمارات من بنوك او مصادر اخرى	١٠٠	٪ ١٦
المجموع	٦٣٠	٪١٠٠

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٨٠ .

ان اعادة استثمار الارباح المحققة في القطاع الصناعي لم تبلغ الا ٤٦ بالمئة (وهي تعادل ٢٩٣ م. ل.) من مجموع الاستثمارات في هذا القطاع ، وهذا المبلغ غير كاف للتعويض عن استهلاك وتدني القيمة الفعلية لرأس المال . فيجب ان تبلغ ٣٥٠ م.ل. على اساس تقدير استهلاك رأس المال بنسبة ٧ بالمئة من مجموع الاستثمارات (٥٠٠٠ × ٠،٠٧ = ٣٥٠ م.ل.) . هذا يبين ان الصناعة لم تستطع وحدها ان تؤمن هذا المبلغ . يبقى اذا ٣٥٠ — ٢٩٣ = ٥٧ م.ل. لسد النقص الذي يسببه استهلاك رأس المال ولا يمكن تأمين هذا المبلغ الا من مصادر خارجية .

اذا أردنا معرفة قيمة الربح نلاحظ التالي : تبلغ أرباح الصناعة المقدرة من مصادر الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٦٩ : ١٣٠٠ م.ل. وتبلغ الضرائب على هذه الارباح ٧٠٠ م.ل. (ان تقدير الحكومة الاسرائيلية لقيمة الارباح لا تتضمن قيمة استهلاك رأس المال) . والربح المتبقى لاصحاب المصانع : ١٣٠٠ — ٧٠٠ = ٦٠٠ م.ل. والربح الصافي الذي كان يجب تحقيقه : ٦٠٠ — ٣٥٠ = **٢٥٠ م.ل.** ولكن ما الذي يحصل في الواقع ؟ لم يستثمر اصحاب المؤسسات الصناعية الا ٢٩٣ م.ل. وليس ٣٥٠ م.ل. فالربح الصافي الذي يحققونه هو اذا : ٦٠٠ — ٢٩٣ = **٣٠٧ م.ل.** نستنتج من هذا كله ان الـ ٥٧ م.ل. المتأتية من الرأسمال الخارجي (والمعطاة من الحكومة الى اصحاب المصانع) تدخل الى جيوب اصحاب المصانع وتوضح مدى اهمية المساعدات والمنح المعطاة الى المصانع الاسرائيلية .

الاستثمارات حسب الفروع الصناعية : تتوزع الاستثمارات في القطاع الصناعي في الفترة ما بين ١٩٦٤ — ٦٧ على النحو المبين في الجدول الثالث :

الجدول الثالث

توزيع الاستثمارات في الصناعة : ١٩٦٤ — ٦٧ (بالمئة ٪)

الفروع	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧
المناجم	٢٢	١٥	١٣	١٤
المواد الغذائية والتبغ	١٥	١٨	١٥	١٤
النسيج والملبوسات والجلد	١٢	١٤	١٥	١٤
الورق والطباعة	٣	٦	٩	٦
الخشب والنجارة	٣	٤	٥	٣
المناجم غير المعدنية	١٠	٧	٩	٦
المواد الكيماوية ومشتقات البترول المكرر	١٣	٩	٦	٥

المطاط والبلاستيك	٤	٤	٤	٥
المعادن	٨	١١	١٢	١٠
الالات والمعدات الكهربائية	٦	٥	٦	١٢
معدات النقل	٤	٧	٦	١١
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢٦ .

لن يمكننا هذا الجدول من ان نستوضح تماما سياسة اختيار الاستثمارات في مختلف الفروع الصناعية ، فهو غير كاف لانه لم يتناول الا الفترة الممتدة ما بين ١٩٦٤ ــ ٦٧ وهي فترة الازمة الاقتصادية (وهذا ناتج عن عدم وجود احصاءات كافية عن توزيع الاستثمارات في القطاع الصناعي ، وعن فقدانها لفترة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ اي فترة التطور المهم في الاستثمارات) . يمكننا البحث في اهمية الاستثمارات في بعض الفروع الصناعية بدراسة الاولويات التي تعطيها الحكومة الاسرائيلية لهذه الفروع واهتمامها بها (انظر في ما يعد) .

في الفترة ما بين ١٩٦٤ ــ ٧٠ اعطيت اهمية كبيرة الى الصناعات الاساسية وهي الفروع المعدنية ، الالات ، آلات الكهرباء ومعدات النقل . لقد ارتفعت نسبة الاستثمار في هذه الصناعات من ١٨ بالمئة عام ١٩٦٤ الى ٢٤ بالمئة عام ١٩٦٦ والى ٣٣ بالمئة عام ١٩٦٧ . اما نسبة الاستثمارات في المناجم فقد انخفضت من ٢٢ بالمئة عام ١٩٦٤ الى ١٣ بالمئة عام ١٩٦٦ والى ١٤ بالمئة عام ١٩٦٧ .

من الذي يستثمر في القطاع الصناعي ؟ يحتل القطاع الخاص اكثر فأكثر اهمية في الاستثمارات الثابتة ، اي الالات والمعدات ، فنسبة مشاركته عام ١٩٥٤ بلغت ٥٠ بالمئة من مجموع الاستثمارات ولكن هذه النسبة ارتفعت لتصبح ٥٩ بالمئة عام ١٩٦٦ كما يبين الجدول الرابع .

الجدول الرابع

الاستثمارات الثابتة : ١٩٥٤ ــ ٦٦ (بالمئة ٪)

	١٩٥٤	١٩٥٨	١٩٦٠	١٩٦٢	١٩٦٤	١٩٦٦
القطاع العام	٥٠	٤٥	٤١	٤٨	٤٣	٤١
القطاع الخاص	٥٠	٥٥	٥٩	٥٢	٥٧	٥٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

المصدر : **تطور الاقتصاد الاسرائيلي** ، ص ١٠٣ .
Israel Economic Development, *Past Progress and Plan for the Future,* Jerusalem, March 1968.

ويبين تحقيق تم اخيرا في اسرائيل ان القطاع الخاص يملك ٩٣ بالمئة من المؤسسات الصناعية وهي تشغل ٧٦ بالمئة من اليد العاملة ، وبناء على تقرير من البنك الاسرائيلي (بنك الدولة) فان مجموعة مالية تتكون من « بنك ديسكنتو ، الشركة المركزية للتجارة والصناعة ، مجموعة ولفسون وبنك ليومي » تتحكم بأكثر من ثلاثة أرباع الانتاج وان ٩٦ بالمئة من المؤسسات الصناعية المنشأة خلال عشر السنوات الماضية يملكها القطاع الخاص(١) .

(١) **اسرائيل اكونوميست** ، آذار ١٩٦٧ ، ص ٦٢ .

سياسة اختيار الاستثمارات والاولويات

قانون تشجيع الاستثمارات : أصدرت الحكومة الاسرائيلية عام ١٩٥٠ قانونا لتنظيم استثمار الرساميل في الاقتصاد . الهدف من هذا القانون المسمى « قانون تشجيع إستثمار الرساميل » هو تشجيع أستثمار الرساميل « الوطنية » والاجنبية في قطاعات وفروع اقتصادية محددة ، وذلك باعطاء هذه الرساميل بعض الامتيازات . وقد عرف هذا القانون تطورا في الفترة ما بين ١٩٥٠ — ١٩٧٠ اذ اعيد النظر فيه عام ١٩٥٩ وعرف عدة تعديلات حتى اليوم ومنها التعديل الذي جرى عام ١٩٦٧ .

ما الهدف من هذا القانون وما هي المؤسسات الصناعية المستفيدة منه ؟ لكي تستطيع المؤسسات الصناعية الاستفادة من هذا القانون (الحصول على المساعدات والمنح والاعفاء من الضرائب) يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية : على المؤسسة ان تصدر نسبة مهمة من انتاجها ، ان تكون مقامة داخل « منطقة انماء » محددة من قبل القانون ، او الاثنان معا . وعلى المؤسسة الموجودة في أواسط اسرائيل ان تصدر على الاقل ٥٠ بالمئة من انتاجها اما المؤسسة الموجودة في منطقة النقب في الجنوب والمنطقة الشمالية الشرقية من البلاد وهي التي نرمز لها بالحرف (أ) ، والمنطقة التي تقع في جنوبي بئر السبع بقليل وحتى خط يمتد من شمال القدس الى شمال اسدود وهي ما نرمز اليها بحرف (ب) فعليها ان تصدر ولكن بنسبة اقل . وقد دعيت هذه المؤسسات الصناعية التي تتوافر فيها الشروط المحددة في القانون « المؤسسات المرخص لها » .

ان الهدف من تشجيع المؤسسات التي تصدر انتاجها هو تأمين حاجة اسرائيل للعملة الصعبة ولسد العجز الهام في ميزانها التجاري ، هذا العجز ناتج عن المصاريف والنفقات الضخمة غير المنتجة التي يتطلبها الجيش الاسرائيلي .

وقد امنت التعديلات التي اجريت على القانون عام ١٩٦٩ لمجموعة جديدة من المؤسسات الصناعية الاستفادة من بعض الامتيازات والحوافز الممنوحة وقد دعيت هذه الفئة الجديدة بالمؤسسات « المعترف بها » . وقد وضعت هذه التعديلات لتنشيط المصانع المنتجة للادوات الحربية ، ولتوسيع هذا الانتاج بتشجيع انشاء مصانع جديدة وذلك لمواجهة حاجة اسرائيل المتزايدة للاعتدة الحربية فضلا عن ان الانتاج المحلي يوفر عليها استيرادها . ومن جهة اخرى تضم المؤسسات « المعترف بها » ايضا مؤسسات صناعية تنتج مواد حيوية للبلاد كانت تستورد من قبل . اذا ليست المؤسسات « المعترف بها » ملزمة بتصدير انتاجها، لان الهدف من تشجيعها هو من ناحية تأمين تجهيز اسرائيل الحربي لكي تستطيع ان تلعب دورها في المنطقة العربية كقاعدة للامبريالية ومن ناحية اخرى لان انتاج هذه المواد محليا سوف يحقق وفرا في حجم مستورداتها وبالتالي يساهم بتخفيف العجز في الميدان التجاري .

ما هي الامتيازات التي يمنحها القانون ؟ يعطي قانون تشجيع استثمارات رؤوس الاموال امتيازات مهمة للمؤسسات « المرخص لها » و « المعترف بها » . وهي مساعدات وقروض وتخفيضات على الضرائب وتأجيل تحصيل بعض الرسوم .

المساعدات : يوجد عاملان يؤثران في حجم المساعدات الممنوحة : المنطقة التي يوجد فيها المصنع وهي منطقة « أ » و « ب » او مناطق اخرى ، واذا كان الاستثمار يحصل في الآلات وأدوات الانتاج او في مواد البناء . فتعطى الاولوية المطلقة للمؤسسات الصناعية التي بالاضافة الى وجودها في منطقة « أ » تستثمر رساميلها في الآلات وأدوات الانتاج اذ تحصل على أعلى نسبة من المساعدات ، تليها المؤسسات الصناعية الموجودة في المنطقة « ب » ثم المؤسسات الموجودة في مناطق اخرى من البلاد كما يبين لنا الجدول الخامس :

الجدول الخامس

نسبة المساعدات لمجموع الاستثمارات الثابتة (بالمئة)

الاستثمارات الثابتة	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الانماء «أ»	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في منطقة الانماء «ب»	المؤسسة الصناعية «المرخص لها» والمتواجدة في مناطق اخرى
ــ الآلات والمعدات	٣٣٫٥ ٪	٢٥ ٪	٢٠ ٪
ــ مواد البناء والتحسين العقاري	٢٠ ٪	١٥ ٪	١٠ ٪

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

القروض : القروض المهمة تعطى للمؤسسات الصناعية « المرخص لها » فحجم هذه القروض يزداد اذا كانت مقامة في المناطق التي تعطى الاولوية في الانماء ، ونلاحظ ان نسبة الفائدة مثلا في منطقة « أ » هي أدنى مما هي عليه في المناطق الاخرى .

الجدول السادس

القروض والفائدة (النسبة المئوية)

	«أ»	«ب»	مناطق اخرى
ــ القروض المعطاة بالنسبة للاستثمارات الثابتة	٥٥ ٪	٥٠ ٪	٤٥ ٪
ــ نسبة الفائدة	٦٫٥٠ ٪	٨ ٪	١٠ ٪
ــ مجموع المساعدات والقروض بالنسبة للاستثمارات الثابتة	٨٠ ٪	٧٠ ٪	٦٠ ٪

المصدر : **اسرائيل اكونوميست** ، ايار ١٩٦٧ ، ص ١٠٦ .

التخفيضات على الضريبة : الضرائب التي تطالها التخفيضات هي التالية : ضريبة الدخل والضريبة على الملكية والضرائب غير المباشرة وغيرها من الرسوم : ١) ضريبة الدخل : لا تدفع المؤسسة « المرخص لهـا » ضريبة الدخل ولكنها تدفع ضريبة علـى الارباح المحققة بنسبة ٣٣ بالمئة وذلك مدة ٥ سنوات ابتداء من السنة التي حققت فيها دخلا خاضعا للضريبة . ٢) الضريبة على الملكية : تستفيد المؤسسة « المرخص لها » مـن تخفيض بنسبة ثلثي قيمة الضريبة علـى الملكية مدة ٥ سنوات ابتداء مـن اتمام بنـاء المؤسسة ــ تخفض ايضا لمدة ١٠ سنوات بنسبة سدس قيمة الضريبة على الملكية اذا كانت هذه تضم المعدات وقطع الغيار . ٣) الضرائب غير المباشرة والرسوم الاخـرى : تعفى المؤسسة « المرخص لهـا » من الرسوم الجمركية والرسم عـلى القيمة المضافة وغيرها من الضرائب غير المباشرة على مواد البناء وعلى ادوات الاستثمار المحتاجـة لتجهيز المؤسسات . ولا تلغى هذه الاعفاءات اذا كانت المواد مستوردة من الخارج شرط ان لا تكون موجودة في السوق المحلية .

تأجيل بعض الرسوم : يعطى المشروع « المرخص » مهلة ٥ سنوات لدفع رسوم تسجيل المؤسسة او زيادة رأسمالها او تسجيله .

امتيازات اخرى : يحق للمؤسسة « المرخص لها » ان تعوض عن تدني قيمة رأسمالهـا بنسبة كبيرة ، وهي تبلغ ضعفي النسبة العادية ، وهذا يتم خلال ٥ سنوات من استعمال الالات والمعدات والبناء .

الامتيـازات التي يعطيها القانـون للمؤسسات « المعترف بها » : بخـلاف المؤسسات

« المرخص لها » فالمؤسسات « المعترف بها » لا تستفيد من مساعدات بل تمنح لها تخفيضات على الضرائب المباشرة فقط . اما الامتيازات الاخرى التي تخص الرساميل الاجنبية : فلتشجيع استثمار رأس المال الاجنبي ، يسمح القانون للمستثمرين الاجانب باخراج كل ارباحهم من اسرائيل . ليس هذا فقط بل باستطاعتهم ايضا وبعد فترة من الزمن أن يستردوا الرأسمال المستثمر بكامله .

وقد نص القانون على انشاء جهاز « مركز الاستثمارات » وانيطت به مهمة منح رخص العمل والتخفيضات ، الخ . . . ويقرر « مركز الاستثمارات » المؤلف من ممثلين عن مختلف الوزارات ما اذا كانت الاستثمارات المنوي القيام بها تفيد اقتصاد البلد وبالتالي يمنح القانون هذا « المركز » القدرة على توجيه الاستثمارات الخاصة نحو فروع اقتصادية محددة .

الرساميل الاجنبية ومؤتمر المليادرد : يعود حجم الاستثمارات الكبير في القطاع الصناعي، خصوصا خلال السنوات الاخيرة ، للرساميل الخارجية الضخمة التي تلقتها اسرائيل وللتسهيلات التي يمنحها لها « قانون تشجيع استثمار الرساميل » . وتجدر الاشارة هنا الى المؤتمر الذي عقد في القدس عام ١٩٦٨ بعد نكسة حزيران وضم كبار الرأسماليين اليهود وكان من جملة ما قرر استثمار رساميل ضخمة في اسرائيل .

الرساميل الاجنبية : تلعب المؤسسات المصرفية في اسرائيل دورا مهما في توجيه الرأسمال للاستثمار (بنك ليومي اسرائيل ، بنك الرهونات العام ، شركة استثمار ليومي) . وقد استطاعت هذه المجموعة المصرفية استقدام مبالغ طائلة من الخارج لاستثمارها في الصناعة والبناء والزراعة والسياحة وغيرها من الخدمات كقروض متوسطة وطويلة الاجل .

لا نهدف في هذه الدراسة ان نبحث في تحرك جميع الرساميل نحو اسرائيل وانما تبيان اهمية اثر قانون تشجيع استثمار الرساميل في الاستثمارات الاجنبية . وقد ارتفع حجم الاستثمارات الاجنبية خلال السنتين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ بالنسبة لعامي ١٩٦٧ و ١٩٦٨ بمعدل الضعف تقريبا ، فبينما لم تبلغ الـ ٢٤،٨ م. دولار عام ١٩٦٦ و ٢٦،٦ م. دولار عام ١٩٦٧ ، وصلت الاستثمارات الاجنبية الى ٤٦ م. دولار عام ١٩٦٩ و ٥٤ م. دولار عام ١٩٧٠ . ان الارتفاع في العامين ١٩٦٩ و ١٩٧٠ ناتج عن قانون تشجيع الاستثمار . وقد اجري تعديل مهم على القانون عام ١٩٦٧ قدمت بموجبه مساعدة تتراوح بين ٢٠ و ٣٣ بالمئة من القيمة المستثمرة في الالات والمعدات . وعلى الرغم من ارتفاع الاستثمار خلال فترة ١٩٦٩ ـــ ٧٠ فقد ظل منخفضا بالنسبة لفترة ما قبل الحرب، اذ تقدر الاستثمارات في ذلك الحين بمبلغ ٨٢،٥ م. دولار عام ١٩٦٦ و١٥٦،٧ عام ١٩٦٤ ، وهذا ناتج عن الوضع العسكري في المنطقة وعن الوضع الاقتصادي في اسرائيل نفسها ، اذ ان المستثمر يرفض المغامرة برساميله في فترة الحرب ويخشى من تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية في المستقبل .

لذلك نلاحظ ان الاستثمارات الثابتة (اي بالالات والمعدات) اخذت اهمية كبيرة في عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ لان قيمة هذا النوع من الاستثمارات لا تتأثر في حال قرار تخفيض الليرة الاسرائيلية في المستقبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يمنح قانون تشجيع الاستثمارات هذا النوع من الاستثمارات الثابتة تسهيلات كبيرة ، فبينما انخفض الاستثمار بالاموال السائلة من ١٢٠ م. دولار عام ١٩٦٤ الى مليون دولار عام ١٩٦٨ والى ١٢ مليون دولار عام ١٩٧٠ ، ارتفعت الاستثمارات الثابتة وازداد حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات فبينما كانت ٧ ـــ ٨ بالمئة من هذا المجموع في العامين ١٩٦٤ ـــ ٦٦ وصلت الى ٧٠ بالمئة عام ١٩٧٠ . (التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٧٠ ، ص ٧٣).

الجدول السابع

كانت الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل في الاعوام ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ و ١٩٧٠ بملايين الدولارات على الشكل التالي حسب تتابع السنوات المذكورة : **بالعملة الاجنبية** : ٣٢٫٦ ، ٥٦٫٤ ، ١٢٤٫٣ ، ١٢٢ ، ٦٤٫٥ ، ٥٨٫٦٠ ، ٧٫٧ ، — ١٫٥ ، ٣٫٧ ، ١١٫٧ ، منها الاستثمارات : ٣٥٫٢ ، ٦٣٫٥ ، ١٤٣٫٤ ، ١٣٩٫١ ، ٩٢٫٤ ، ٨٥٫٦ ، ٣٨٫٨ ، ٣١٫٢ ، ٤١ ، ٣٩٫٥ . ومنها ايضا الاستثمارات المستردة (أي التي خرجت من اسرائيل) : —٢٫٦ ، —٧٫١ ، —١٠٫١ ، —١٧٫١ ، —٢٧٫٩ ، —٢٧ ، —٣١٫١ ، —٧٢٫٧ ، —٣٣٫٧ ، —٢٧٫٨ . **وبالعملة الاسرائيلية** : ١ ، ٣٫٢ ، ٤٫٣ ، ٩٫١ ، ٤٫٨ ، ٣٫٧ ، ٤٫٩ ، ٢٫٦ ، —٠٫٥ ، —٠٫٧ . **وبالسندات المالية** (المباعة في الاسواق الخارجية) : ١٣٫٥ ، ١٣٫١ ، ١٠٫٥ ، ١٠٫٦ ، ٩٫٤ ، ٩٫٧ ، ٧ ، ٧٫١ ، ٤٫٧ ، ٤٫٨ . **والاستثمارات الثابتة** : ٩٫١ ، ١٢٫٩ ، ١٩٫٥ ، ١٠٫٦ ، ٨٫٣ ، ٥٫٣ ، ٣٫٩ ، ١٤٫٤ ، ٢٩٫٣ ، ٣٣ . وبذلك يكون **المجموع** : ٥٧ ، ٨٥٫٦ ، ١٥٨٫٦ ، ١٥٢٫٣ ، ٨٧ ، ٧٧٫٣ ، ٢٠٫٥ ، ٢٢٫٦ ، ٤٠٫٨ ، ٤٨٫٨ . **اعادة استثمار الارباح** : ٣٫٢ ، ٣٫٦ ، ٤ ، ٤٫٤ ، ٤٫٨ ، ٥٫٢ ، ٤٫٣ ، ٤ ، ٥٫٢ ، ٥٫٢ . وبذلك كله يصبح **المجموع الصافي للاستثمارات** : ٦٠٫٢ ، ٨٩٫٢ ، ١٦٢٫٦ ، ١٥٦٫٧ ، ٩١٫٨ ، ٨٢٫٥ ، ٢٤٫٨ ، ٢٦٫٦ ، ٤٦ ، ٥٤ .

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٧٠ ص ٧٢ .

وكان المؤتمر الاقتصادي الدولي الذي انعقد في القدس في نيسان عام ١٩٦٨ احد الاسباب التي ادت الى ازدياد حجم الاستثمارات — فقد قرر هذا المؤتمر الذي ضم اكثر من ٧٠ ملياردير يهوديا ، معظمهم من اميركا الشمالية ، استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . وبرهانا على ذلك انشأ المؤتمر شركة استثمار دعيت بـ « مصلحة اسرائيل » ومهمتها تنسيق وانجاز استثمارات يهود العالم في اسرائيل . وقامت اخيرا بشراء نصف رأسمال الشركة الوطنية للملاحة « تسيم » من الحكومة الاسرائيلية . ومن ناحية اخرى ، اعلن يعقوب سلمان المدير في السلطة العليا لشركات الدولة في مؤتمر صحفي ان الحكومة تفاوض الان لبيع « مصلحة اسرائيل » ٢٦ بالمئة من اسهم مصفاة بترول حيفا . واعلنت « الجروزلم بوست » ان سلمان لديه لائحة بثلاثين شركة (ما عدا « تسيم ») معروضة للجمهور ، برأسمال قدره ٢٥٠ مليون ليرة(١) .

الفروع التي استفادت من القانون : سوف نعالج الان حجم الاستثمارات «المرخص لها» في الصناعة بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » ونعني هنا بالاستثمارات « المرخص لها » تلك التي تستفيد من مساعدات الدولة ثم نتطرق لتوزيعها على مختلف الفروع الصناعية في البلاد .

أ — نسبة الاستثمارات الصناعية « المرخص لها » الى مجموع الاستثمارات « المرخص لها » : لعب « مركز الاستثمار » دورا بارزا في توجيه قسم كبير من الرساميل للتوظف في القطاع الصناعي اذ بلغت عام ١٩٦٥ مبلغ ٢٩٢٫٢٥٢ مليون ليرة . اي ما يوازي ٥٠٫٨ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » . حافظت هذه الاستثمارات على مستواها لكنها عرفت انخفاضا في القطاع الصناعي عام ١٩٦٧ اذ ان نسبتها وصلت الى ٤٧٫٢ ٪ . وهذا ناتج عن الازمة الاقتصادية التي مرت بها اسرائيل خلال هذه الفترة . وكما ذكرنا سابقا ، ساهمت حرب حزيران بتخفيف وطأة هذه الازمة مؤقتا . فازدادت المساعدات من الخارج « لتحمي » اسرائيل من « اعدائها » . ومن ناحية اخرى ، قرر مؤتمر المليارديرية استثمار اموال ضخمة في اسرائيل . لهذا تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٨ بالنسبة للفترة ١٩٦٥ — ١٩٦٧ كما تضاعف

(١) **جروزلم بوست** ، النشرة الاسبوعية ، ٢ آذار ١٩٧٠ .

أيضا مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الاقتصاد ، وبلغت ٥١٢،٤١٧ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما لم تبلغ الا ٢،٥٢،٦١٢ مليون ليرة عام ١٩٦٧ واصبح حجمها بالنسبة لمجموع الاستثمارات ٦٤ بالمئة وهي اكبر نسبة عرفتها ، كما يبين الجدول الثامن :

الجــدول الثامن

	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
مجموع الاستثمارات « المرخص لها » (بملايين الليرات)(١)	٤٣٧،٦٤١	٤٧٥،٩٧٢	٥٣٤،١٠٢	٨٠٠	١٠٠٠
الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي (بملايين الليرات)(٢)	٢٢٢،٢٥٢	٢٥٥،٧١٠	٢٥٢،٦١٢	٥١٢،٤١٧	٥٠٣،٠٤٢
نسبة (١)/(٢) (بالمئة ٪)	٥٠،٨	٥٣،٥	٤٧،٢	٦٤	٥٠،٣

المصدر : (١) ١٩٦٥ — ٦٦ — ٦٧ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، تموز ١٩٧٠ .

١٩٦٨ — ٦٩ : **اسرائيل اكونوميست** ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .

(٢) : ١٩٦٥ — ٦٦ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، نيسان ١٩٦٧ .

١٩٦٧ — ٦٨ — ٦٩ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

ولكن ليس حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة هو الذي يقرر وجهة التصنيع وآفاقه في اسرائيل . ان المقياس الوحيد هو الفروع التي تعطى الاولوية في التوظيف ، اي الفروع الاستراتيجية في الاقتصاد . وهذا ما سوف نحاول توضيحه .

ب — توزيع الاستثمارات « المرخص لها » في القطاع الصناعي : لمعرفة سياسة التصنيع المتبعة في اسرائيل وتقديرها ، لا بد من الاجابة على السؤال التالي : ما الذي يجعل من اسرائيل دولة صناعية ؟ هل الاهتمام بالاستثمارات في فــروع الصناعــات الغذائية والنسيج ، أم في الفروع الاستراتيجية او الاساسية وهي الفروع المعدنية والكهربــائية والكيماوية وفبركة الالات ؟ مما لا شك فيه ان اهمية الاستثمارات الاخيرة هي التي تقرر مدى قــدرة الاقتصاد الاسرائيلي ومتانته ، لان هــذه الفروع الاستراتيجيــة تؤثر في الصناعات الاخرى اذ تتيح لها أن تتطور كما انها تساعد على انشاء صناعات جديدة . لذلك فاهمية هذه الفروع تكمن في انها تفســح المجال امام تصنيــع البلد ، فصناعات الطيران مثلا وهي أهم شركة لبناء الطائرات في اسرائيل فسحت مجالات عمل لاكثر من ١٥٠ صناعة اخرى(١) . لهذا اهتم قانون تشجيع الاستثمار بهــذا النوع من الاستثمار بمنحه مساعدات وتخفيضات على الضرائب ، الخ . . . فاستفــادت الفروع الاساسية « المعدنية والكيماوية » اذ بلغ حجم الاستثمارات « المرخص لها » في هذين الفرعين ٤٣ بالمئة من مجموع الاستثمارات « المرخص لها » لعام ١٩٦٩ ، بينما لم تبلغ الـ ٢٩ بالمئة عام ١٩٦٥ . والجدول التاسع يبين لنا الاستثمارات « المرخص لها » في هذه الفروع .

نلاحظ ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع الاساسية تضاعف خلال سنة واحدة اذ بلغ ٦٤،٥ مليون ليرة عام ١٩٦٥ مقابل ١١١ مليون ليرة عام ١٩٦٦ .

(١) **اسرائيل اكونوميست** ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٩٣ .

الجـدول التاسع

الاستثمارات « المرخص لها »

	١٩٦٥		١٩٦٦	
	بملايين الليرات	بالمئة	بملايين الليرات	بالمئة
الفروع المعدنية	١٧	٪ ٢٩	٦٠	٪ ٤٣
الصناعات الكيماوية	٤٧،٥		٥١	
الصناعات الأخرى	١٥٧،٧٥٢	٪ ٧١	١٤٤،٧١٠	٪ ٥٧
المجموع	٢٢٢،٢٥٢	٪١٠٠	٢٥٥،٧١٠	٪١٠٠

المصدر : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** (مجلة صادرة عن وزارة التجارة والصناعة) ، نيسان ١٩٦٧ ، ص ٦ .

اذا وضعنا جانبا الصناعات الكيماوية يتبين لنا ان حجم الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والالات والتجهيزات الكهربائية والالكترونية تزداد اهمية ، فقد ارتفع بنسبة ٥٨ بالمئة عام ١٩٦٨ بالنسبة لعام ١٩٦٦ اي من ٨٨،٣٤٣ مليون ليرة في ١٩٦٦ الى ١٤٠،٠١١ مليون ليرة في ١٩٦٨ . وبلغ ٢١٠،٠٩٨ مليون ليرة عام ١٩٦٩ اي بزيادة ٥٠ بالمئة في سنة واحدة . اما بالنسبة لمجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة ، فكان لهذه الفروع « حصة » كبيرة ، فقد بلغت ٣٤،٦ بالمئة في ١٩٦٦ و ٤٨،٤٪ في ١٩٦٧ و ٤٦٪ في ١٩٦٩ ولكنها انخفضت عام ٦٨ الى ٢٧ بالمئة . وهذا يبين مدى الاهمية التي تعطيها اسرائيل لهذه الفروع والتسهيلات الكبيرة بالتالي التي تمنحها للرساميل التي توظف فيها . ويبين الجدول العاشر حجم هذه الاستثمارات .

الجدول العاشر

	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
(١) الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية والآلات والتجهيزات الكهربائية والإلكترونية (بملايين الليرات)	٨٨،٣٤٣	١٢٢،٣٥٧	١٤٠،٠١١	٢١٠،٠٩٨
(٢) مجموع الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة (بملايين الليرات)	٢٥٥،٧١٠	٢٥٢،٦١٢	٥١٢،٤١٧	٤٥٦،٦١٧
نسبة (٢)/(١) (بالمئة)	٪ ٣٤،٦	٪٤٨،٤	٪٢٧	٪٤٦

المصدر : ١٩٦٦ — ٦٧ — ٦٨ : **اسرائيل اكونوميست** ، كانون الثاني ١٩٧٠ ، ص ٣٠ .
١٩٦٩ : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

لقد تضاعفت الاستثمارات « المرخص لها » في الفروع المعدنية وحدها عام ١٩٦٩ بالنسبة لعام ١٩٦٨ اذ ارتفعت من ٣٢،٥٦ مليون ليرة الى ٦٢،٦٧٥ مليون ليرة . تضاعفت ايضا في المعدات والتجهيزات الكهربائية : فارتفعت في الفروع المعدنية من ٣٢،٦٥٠ (١٩٦٨) الى ٦٢،٦٧٥ (١٩٦٩) وفي التجهيزات الكهربائية من ٣١،٤٧١ الى ٦٢٦٩٥ (بملايين الليرات) حسب تقارير التجارة والصناعة الاسرائيلية (تموز ٧٠) .

يرجع تطور الاستثمارات في الصناعات الاساسية في فترة ما بعد الحرب الى ارتفاع انتاج الادوات الحربية . فمثلا ، ٦٥ بالمئة من انتاج الصناعات الالكترونية تذهب لتأمين

حاجات الجيش الاسرائيلي(١)، و ٨٠ بالمئة من مجهود صناعة الطائرات تستنفدها عقود مع الجيش(٢). وفي عام ١٩٧١ اعلن يشعياهو لافي، مدير عام وزارة الدفاع، في مؤتمر صحفي، ان الصناعة المحلية سوف تؤمن ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من المواد الحربية بينما سيبلغ الاستيراد ٧٠٠ مليون دولار من هذا المواد. تنتج اسرائيل اذن اقل بقليل من نصف حاجاتها للمواد الحربية. واضاف لافي ان الصادرات من المواد الحربية سوف تبلغ هذه السنة (١٩٧١) ١٦٣،٣ مليون دولار، وهذا يعادل ٣٢ بالمئة من مجموع الانتاج الحربي(٣)، بينما لم تبلغ هذه الصادرات الا ٢٥ مليون دولار فقط عام ١٩٦٧(٤) اي ان الزيادة بلغت ٦ اضعاف. ومما قاله لافي ايضا ان الصادرات الحربية سوف تصبح ثلاثة اضعاف ما هي عليه الان قبل عام ١٩٧٥ وسوف تنخفض الواردات. ان الـ ٧٥٠ مليون دولار من المواد وهو حجم الانتاج المحلي لعام ١٩٧٥ سوف يؤمن عملا اضافيا لـ ١٠٠،٠٠٠ عامل، هذا بينما يبلغ عدد العاملين في الصناعات الحربية الان ٩٠،٠٠٠(٥).

ان الحروب التي شنتها اسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى قد سببت نموا في الاقتصاد الاسرائيلي. وهذا الوضع مشابه من بعض وجوهه للتطور الذي حدث في الولايات المتحدة الاميركية والمانيا الغربية قبل فترة الحرب العالمية الثانية وخلالها. فطبيعة اسرائيل العدوانية ودورها في المنطقة، كما اوضحنا سابقا، يجعلانها باستمرار تهتم بتقوية جيشها وتطويره بادخال اساليب التكنيك العسكري الحديث، وهذا ما يفسح مجالات العمل والنمو امام الصناعات الاخرى ويؤمن بالتالي مجالات استخدام جديدة. لقد بلغت نفقات الجيش الاسرائيلي ٤٠ بالمئة من ميزانية الدولة عام ١٩٧١ و ٥٠ بالمئة عام ١٩٧٢ اي ما يعادل ٧ مليارات من الليرات الاسرائيلية من مجموع ١٤ مليارا ونصف المليار لذلك عرفت الاستثمارات في الصناعات الاساسية ازديادا مهما في الفترة التي تلت حرب حزيران.

ومما نلاحظه ايضا اهمية الاستثمارات في الصناعات الكيماوية والدواء، اذ بلغت ١٠٧،٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨ بينما كانت ٧٧،٢٧ مليون ليرة عام ١٩٦٧. كذلك ازدادت الاستثمارات في البلاستيك من ٣،١٦٠ مليون ليرة عام ١٩٦٧ الى ٢٠،٢٤٤ مليون ليرة عام ١٩٦٨.

التوزيع الجغرافي للاستثمارات « المرخص لها » عام ١٩٦٩ : كما راينا من قبل، يمنح قانون تشجيع الاستثمار امتيازات اكبر للاستثمارات في المنطقة « أ » تليها المنطقة «ب»، لذلك فان ٢٥ بالمئة من الاستثمارات « المرخص لها » في الصناعة عام ١٩٦٩ كانت في منطقة « أ » و٢٥ بالمئة في منطقة « ب » و ٥٠ بالمئة في وسط اسرائيل. وتأخذ الفروع المعدنية والبلاستيك اهمية كبيرة في منطقة « أ » اذ تضم ٥٠ بالمئة من المؤسسات « المرخص لها ». وتأتي المساعدات الممنوحة للمؤسسات « المرخص لها » لتؤكد ايضا الاهمية الكبرى لمناطق التنمية. اذ اعطيت لها (في « أ » و «ب») ٤٠ مليون ليرة بينما حصلت المؤسسات الموجودة في وسط اسرائيل على ٦٧ مليون ليرة فقط.

---

(١) ي. شامير : الصناعة الالكترونية في اسرائيل — المؤسسة الدفاعية « كمساعدة لتطور » الصناعة الالكترونية، في مجلة **مؤسسة التصدير الاسرائيلية**.

(٢) **لوموند** : ١٦ — ١٧ — ١٨ تموز ١٩٧١ (مقال دومينيك فركيز).

(٣) **لوموند** : ١٦ — ١٧ — ١٨ تموز (مقال دومينيك فركيز)، و**لوموند** ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢.

(٤) **اسرائيل اكونوميست**، آذار ١٩٦٧، ص ٦٣.

(٥) **لوموند** : ٣١ كانون الثاني ١٩٧٢.

الجدول الحادي عشر

الاستثمارات ((المرخص لها)) في الصناعة حسب الفروع : ١٩٦٧ ــ ٦٩ (بالوف الليرات)

الفروع	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٦٩
المنـاجم	٤١٥	٧٥٥	—
المواد الغذائية	١١٨٨٣	٤٣٨٣٩	٢٩١١٥
صناعة التبريد والثلج	—	١٦٠١	٣٥٥٠
النسـيج	٥٣٦٣٤	٦٢٤١٧	٤٥٩٩٩
الملبوسات والجلد	٣٠٦٨٦	٤٠٧٣٧	٣٦٧٠٥
الخشب والمواد الخشبية	١٥٤٥١	١٤٣٠٤	١٦٠٤٦
الورق والطباعة	٦١٦٠	٢٠٢٤٤	٢٢٢٩٣
البلاسـتيك	٤٣٤٦	١٢٦٠٥	١٩٣٥٠
المطـاط	٦٠٨٦	٢٨١٩٦	٣٦٤٥٣
المواد الكيماوية وصناعة الدواء	٧٧٢٧	١٠٧١٠٤	٤٠٣٩٩
الترابة ومواد البناء	—	٦٧٣٦	٨٥
الزجاج والخزف	٢٢٥٤	٧٥٩٨	١٢٢٥٤
المعادن	٢٦١٩٩	٣٢٥٦٠	٦٢٦٧٥
الآلات وآلات النقل	٦٠٧١٨	٧٣٣٩٨	٨٣٧٩٢
آلات التدقيق	٣٢٨٠	٢٥٨٢	١٩٣٦
المعدات الكهربائية	٢٢١٦٠	٣١٤٧١	٦٢٦٩٥
الصناعات الاخرى	٩٦١٢	٢٦٢٧٠	٢٩٦٩٦
المجموع	٢٥٢٦١٢	٥١٢٤١٧	٥٠٣٠٤٢

المصدر : **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تموز ١٩٧٠ .

٤ ــ **الاستثمارات في مجال الدراسات والابحاث** : تنفق اسرائيل اموالا طائلة في مجال الابحاث وتمنح مساعدات للمؤسسات التي تعمل في هذا الميدان . بدأ الاهتمام بهذا النشاط منذ عشرات السنين : في عام ١٩٢١ انشأت الحركة الصهيونية مؤسسة فولكاني للابحاث الزراعية ، ثم انشأت معهد التخنيون والجامعة العبرية في عام ١٩٢٥ ثم مؤسسة وايزمان عام ١٩٣٤ . وينصب الاهتمام الان على استقدام مهندسين وفنيين خصوصا من الولايات المتحدة الاميركية ولكن شروط العمل والتمويل الضخمة المتوفرة فيها جعلت القليل يهتمون بالمجيء الى اسرائيل . لهذا اهتمت الحكومة عام ١٩٧١ باستقدام خمسة عشر عالما من المع العلماء الاجانب الى اسرائيل اذ قدمت لهم شروط عمل مغرية جدا ، كما وضعت بتصرف كل واحد منهم مساعدا ومعدات يمكن ان تصل قيمتها الى ١٠٠ الف دولار . ويأتي هؤلاء العلماء للعمل في الفروع الاساسية والمتقدمة كالالكترونيك والفيزياء والعلوم الطبيعية . وقد بلغ عدد الباحثين عام ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ في القطاع المدني ٢٩٠٠ ، اما اليوم فيوجد في اسرائيل نحو خمسة الاف باحث ومهندس يعملون في هذا القطاع . اما عدد الذين يعملون في القطاع الحربي فهو يساوي هذا العدد ان لم يكن اكثر منه . وتنفق اسرائيل واحدا بالمئة من دخلها القومي للبحث والتطوير في القطاع المدني ، وبلغ مجموع ما انفقته ١٨٠ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ويأتي ٢٠ بالمئة من هذه المصاريف من الخارج كمساعدات وعقود منها ٢٥ الى ٣٠ مليون ليرة من الولايات المتحدة الاميركية . اذا قارنا هذه الارقام مع مثيلاتها في فرنسا ، نلاحظ ان مصاريف

الدولة الفرنسية للبحث في القطاع المدني يبلغ مليارا من الدولارات خلال عام ١٩٧١ لـ ٢١٥٠٠ باحث (اي اربعة اضعاف الباحثين الموجودين في اسرائيل فقط) . بينما لم تبلغ القروض للابحاث في القطاع المدني الا ٣٠ مليون دولار خلال عام ١٩٦٢ ـ ٦٣ ، وارتفعت هذه القروض بنسبة ٧٦ بالمئة خلال ٥ سنوات ، وتتوزع على ثلاث مجموعات من الاستثمار : ١ ـ الجامعات والمؤسسات الخاصة كمؤسسة ويزمان : ٦٠ بالمئة من مجموع الاستثمارات المخصصة للابحاث . ٢ ـ مؤسسات البحث الحكومية (مؤسسة فولكاني للبحث الزراعي ، مؤسسة بحث المناجم) : ٢٥ بالمئة من هذه القروض . ٣ ـ وحصلت الصناعة مباشرة على ١٤ بالمئة(١) .

ومن جهة اخرى ، تعطي الدولة الاولوية للابحاث الهادفة الى تحسين جهازها الحربي ، فتملك وزارة الدفاع عدة مختبرات ضخمة في البلاد وبينها « سلطة تطوير الاسلحة » الواقعة في شمال الارض المحتلة . ان الميزانية الرسمية المخصصة للابحاث ذات الاهداف الحربية تعادل الميزانية المخصصة للابحاث في المجالات المدنية ولكن فعليا تتجاوز هذا المعدل لتصل الى ١،٥ بالمئة من الدخل القومي(٢) . وفي عام ١٩٧٠ بحثت لجنة خاصة مؤلفة من ممثلين عن ادارة البحث الصناعي ووزارة التجارة والصناعة ١٠٧ برامج جديدة للبحث والتنمية الصناعية واجازت اللجنة هذه البرامج وهي الان في حيز التنفيذ ، وقد خصص لهذه الابحاث مبلغا قدره ١٦ مليون ليرة .

تشير دراسة خاصة من الوزارة ان اكثرية المشاريع في البحث الصناعي تتعلق بالالكترونيك وبالادوات العلمية ، وبالكيمياء وبالادوية . وتجدر الاشارة الى ان الابحاث تتناول ايضا تطوير نظام حفظ المعلومات الذي يستخدم في الاجهزة الالكترونية ، وكذلك الالات الطبية لقياس ضغط الدم ، والالات الكاتبة الخاصة بالذين فقدوا بصرهم وبلغات عديدة .

وخلال خمس السنين الاخيرة ارتفعت مساهمات وزارة التجارة والصناعة لتشجيع الابحاث في الصناعة ، وقد بلغ عدد البرامج التي قدمت لها مساعدات ٤٥٠ برنامجا في الفترة ما بين ١٩٦٦ ـ ١٩٧٠ ، ويقدر المبلغ الذي تطلبه هذه البرامج بـ ٦٠ مليون ليرة . وقد منح نصف هذا المبلغ كمساعدات وأمنت النصف الاخر المؤسسات الصناعية .

وتمنح المساعدات لتمويل الابحاث الصناعية ، بعد الموافقة عليها ، لجنة البحث التي يرئسها المدير الفني لوزارة التجارة والصناعة ، وتجري اللجنة تقييمها للبحث بعد تفحصه من مختلف نواحيه التقنية والعلمية والاقتصادية .

عرفت المؤسسات التي تعمل في البحث والتطوير ازديادا كبيرا خلال اربع السنوات الاخيرة : ففي حين كانت عام ١٩٦٦ ست مؤسسات فقد تجاوزت المئة عام ١٩٧٠ . ولكن على الرغم من الازدياد المهم للصناعات المعتمدة على البحث والتطوير ، فما زالت اسرائيل متخلفة عن البلدان المتقدمة (الولايات المتحدة الاميركية والمانيا ...) . ومن الصعب ان نجري مقارنة بين اسرائيل والدول الاخرى في هذا المجال لان تكاليف الابحاث التي تجري للاغراض الحربية لا تنشر .

٥ ـ **القروض المصرفية في القطاع الصناعي** : ليس قانون تشجيع الاستثمارات هو الوسيلة الوحيدة لتطوير القطاع الصناعي وتوجيهه ، فثمة وسائل اخرى من بينها القروض المصرفية التي تلعب هي ايضا دورا في هذا المجال . وقد تميزت السنوات العشر الاولى التي اعقبت انشاء اسرائيل بتطور الزراعة ، لذا فقد نال هذا القطاع ما

---

(١) **لوموند** ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ تموز ١٩٧١ (دومينيك فركيز) .

(٢) **التجارة والصناعة الاسرائيلية** ، تشرين الثاني ١٩٦٩ .

يوازي ربع القروض المصرفية للفترة ١٩٥٤ ـ ٥٨ . الا ان هـذه النسبة ما لبثت ان انخفضت انخفاضا كبيرا في الفترة التي تلت ، من ٢٥،١ بالمئة عـام ١٩٥٧ الى ١٥،٩ بالمئة عام ١٩٦٢ ، والى ١٢،٨٪ عام ١٩٦٥ والى ٨،١٪ عام ١٩٧٠ . وكان القطـاع الصناعي هو المستفيد من القروض المصرفية ، اذ ارتفعت حصته من ٢٦،٧ بالمئة عـام ١٩٥٧ الى ٣٥،٤ بالمئة عام ١٩٦٢ والى ٣٨،٨ بالمئة عام ١٩٦٥ والى ٣٦،٣ بالمئة عام ١٩٧٠ ، اي بمعدل يتعدى ثلث القروض . واذا حاولنا ان نتتبع التغيير الذي طرا على الحجم الفعلي للقروض المصرفية الممنوحة للزراعة نلاحظ انها انتقلت من ١٠،٤ ١٠ مليون ليرة عام ١٩٥٧ الى ٢٢٢،٢ عـام ١٩٦٥ والى ٥١٥،٥ مليون ليرة عام ١٩٧٠ ، امـا القروض الممنوحة للصناعة وفي الفترة نفسها فقد ارتفعت مـن ١٠٧،٩ مليون ليرة الى ٦٧٤،٣ والى ٢٢٩٤،٨ مليون ليرة . نسبة هذا الارتفاع لخمس سنوات من ١٩٦٥ الى ١٩٧٠ هي ٢٤٠٪ .

الجدول الثاني عشر

أهمية القروض المصرفية في القطاع الصناعي ١٩٥٤ ـ ١٩٧٠

السنة	القروض للصناعة (بملايين الليرات)	مجموع القروض للاقتصاد (بملايين الليرات)	نسبة القروض الصناعية الى مجموع القروض (بالمئة ٪)
١٩٥٤	٥٧،٣	٢٤٣،٤	٢٣،٥ ٪
١٩٥٥	٧٧،٢	٢٧٤،٨	٢٨،١
١٩٥٦	٩٢،٨	٣٢٧،٥	٢٨،٣
١٩٥٧	١٠٧،٩	٤٠٤،٣	٢٦،٧
١٩٥٨	١٣٠،٥	٤٧١،٨	٢٧،٧
١٩٥٩	١٦٣،٦	٥٧٥،٢	٢٨،٤
١٩٦٠	٢١٤،٦	٧١٠،٩	٣٠،٢
١٩٦١	٢٦٤،٤	٨٤١،٤	٣١،٤
١٩٦٢	٣٩٢،٥	١١٠٧،٩	٣٥،٤
١٩٦٣	٥١٧،٥	١٢٦٢،٨	٤١
١٩٦٤	٦٣٦،٢	١٤٨٢،٢	٤٢،٩
١٩٦٥	٦٧٤،٣	١٧٤٣	٣٨،٨
١٩٦٦	٨٤٥،٧	٢١٣٧،١	٣٩،٦
١٩٦٧	٩٩٧،٧	٢٧٦٨،٩	٣٦
١٩٦٨	١٢١٩،٦	٣٤٧٥،٤	٣٥،٢
١٩٦٩	١٨١٤،٩	٥٠٩٢،٥	٣٥،٦
١٩٧٠	٢٢٩٤،٨	٦٣٢٠،١	٣٦،٣

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٠ ص ٢١٧ ، ١٩٦٥ ص ٣٣٧ ، ١٩٦٨ ص ٣٤٤ ، ١٩٧٠ ص ٣٢١ .

ويساهم المصرف المركزي الاسرائيلي بتنفيذ مخططات الدولة ومشاريعها من خلال تأثيره في القطاع المصرفي ، وبالتالي في السيولة المتوفرة في هذا القطاع ، فهو يوجه قسما كبيرا من هذه السيولة ليوظفها في القطاعات المختلفة في شكل قروض . وقد تطورت نسبة هذه القروض وتوزيعها انسجاما مع الاهداف والاولويـات الاقتصادية التي تحددهـا الدولة ، فنلاحظ ان ٢٤٪ من هذه القروض كانت للقطـاع الصناعي عام ١٩٦٠ وقـد

ازدادت فبلغت ٥٣٫٣٪ عام ١٩٦٤ و ٦٣٫٣ عام ١٩٦٧ . يدفعنا هذا الازدياد السريع في القروض الى تقدير مدى الاهتمام الــذي توليه اسرائيــل لتطوير قطاعها الصناعي واهمية المساهمة التي يقدمها المصرف المركزي . فبينما كانت القروض الممنوحة بواسطة المصرف المركزي للقطاع الصناعي ٢٣ بالمئة من مجموع القروض الممنوحة للقطاع نفسه لعام ١٩٦٠ ، بلغت هذه النسبة ٤٠ بالمئة عام ١٩٧٠ . وهذا ما يبينه الجدول الثالث عشر .

الجدول الثالث عشر

القروض المصرفية حسب مصادرها واهميتها في القطاع الصناعي

	١٩٦٠			١٩٦٧		
	القروض للصناعة (بملايين الليرات) (١)	مجموع القروض (بملايين الليرات) (٢)	نسبة (١)/(٢) (بالمئة ٪)	القروض للصناعة (بملايين الليرات) (٣)	مجموع القروض (بملايين الليرات) (٤)	نسبة (٣)/(٤) (بالمئة ٪)
المجموع	٢١٤٫٦	٧١٠٫٩	٪٣٠٫٢	٤٠٨٫٢	٦٤٥٫٢	٪٦٣٫٣
القروض التي يراقبها البنك المركزي	٥٠٫٨	٢٠٩٫١	٪٢٤	٥٦٨٫٣	٢٠٨٧٫٦	٪٢٧٫٢
القروض غير المراقبة	١٣٢٫٥	٤٣٦٫٤	٪٣٠٫٤	٢٧٫٣	٦٦٫٩	٪٤٠٫٨
القروض المعطاة مقابل ودائع حكومية	٣١٫٣	٦٥٫٤	٪٤٧٫٨	١٠٠٣٫٨	٢٧٩٩٫٥	٪٣٥٫٩

المصدر : **التقرير السنوي لبنك اسرائيل** ، ١٩٦٠ ص ٢١٦ ، ١٩٦٧ ص ٤١٣ .

نتبين من هذه الدراسة الدور الحاسم الذي تلعبه الرساميل الاجنبية في عملية تطويــر الاقتصاد ، وبالتالي مدى اعتماد الاقتصاد الاسرائيلي على الخارج . كما نتبين الاهمية الكبرى التي توليها الحكومة للقطاع الصناعي منطلقة منه كما رأينا لتلعب دورا رئيسيا في المنطقة العربية ، فكانت الصناعات الاساسية هي المستفيــد الاكبر من الرساميــل المتدفقة ، فنمت بوتيرة هائلــة واستوعبت اليد العاملة الاسرائيليــة والعربية ايضا خصوصا بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧ لحاجتها اليها . فانخرط العمال العرب في غزة والضفة الغربية في عملية الاستثمار والتي اضافت للاستغلال القومي السياسي الذي يتعرضون له استغلالا رأسماليا بشعا .

سياسة النظـــام
والازمة الاقتصادية الراهنة في الاردن

حسن الجعنه

كان الاردن ولا يزال يفتقد الاسس الاولية لبناء اقتصاد مستقل قائم على قوى انتاجية محلية متنامية ، واتسم الوضع الاقتصادي بالعجز الدائم في ميزان المدفوعات وميزان التجارة الخارجية ، وبالاعتماد الاساسي على الانتاج الزراعي والموارد غير المنظورة وخدمات السياحة ومصادر التمويل الاجنبية والعربية لتغطية العجز . ومثلت الصناعة في الاردن الحلقة الاضعف في الاقتصاد الاردني وتمركزت الصناعة بالاساس في قطاعي البناء ــ الذي غطيت مصادر تمويله بنسبة كبيرة من تحويلات المهاجرين والمغتربين الى ذويهم ــ والمصنوعات الاستهلاكية الخفيفة . ويعطل القطاع الاول الدورة الصناعية ويجعلها القطاع الثاني قصيرة الاجل . باختصار يعـــاني الواقع الاقتصادي تاريخيـــا مجموعة من المشكلات والعوائق الاقتصادية والسياسية ابرزها : (١) ضعف الزيادة في معدلات التنمية الاقتصادية السنوية : نتيجة لضعف تزايد نمو الانتاج « الصناعي والزراعي » ومصادر التمويل المحلية (الادخار المحلي) ولعدم الاستخدام الامثل للمواد الاولية والاراضي الزراعية المتاحة ، ولهيمنة راس المال الفردي الخاص والاجنبي على الاقتصاد (القطاع الخاص) ، ولاعتماد الاردن على المساعدات الامبريالية في التمويل ولارتباطه بالسوق الامبريالية العالمية . (٢) تزايد هروب قوى العمل للخارج وهجرة الايدي العاملة المتخصصة نتيجة لانخفاض مستوى الاجور بالنسبـــة لتكاليف المعيشة ولتفشي البطالة بين صفوف الشغيلة والعمال ، والبطالة المقنعـــة بين افراد الاسرة . (٣) استيعاب الموازنة العسكرية ومخصصات الانفاق على القوات المسلحة والامن العام الجزء الاكبر من موازنة الانفاق العامة . (٤) العجز الدائم لميزان المدفوعات الاردني .

وعلى الرغم من تعدد الخطط الاقتصادية السباعية والخماسية التي وضعتها لجـــان التخطيط الاقتصادي الاردني ومجالسه الا انها لم تستطع تحقيق الاهداف الموضوعة لها وفشلت ــ باعتراف المسؤولين ــ في القفز عن اي من العوائق والمشكلات السابقة . وبعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ زادت حدة هذه المشكلات تعقيدا بخسارة الاقتصاد الاردني لقطاعات واسعة من عوامل الانتاج المحلية (مساحات واسعة من الاراضي الزراعية والمواد الخام ــ قوى العمل ــ الاسواق المحلية) بلغت « ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي و٣٥ ٪ من الانشاءات و٣١ ٪ من الكهرباء والمياه و٥٠ ٪ من خدمات النقل و٤٥ ٪ من التجارة و٤٠ ٪ مـــن اعمال البنوك والتأمـــين والصيرفة و٦٠ ٪ من الخدمات و٩٠ ٪ مـــن دخل السياحة و٩٠ ٪ مـــن تحويلات الاردنيين في الخارج »(١). وخسارة هذا القطاع الواسع في ظل المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها الاردن ، كان من الممكن ان تؤدي الى الانهيار الكامل لبنيان الاقتصاد الاردني ، لولا تدخل مجموعة من العوامل الطارئة التي لعبت دورا مؤقتا في اخفاء حدة

الازمة الاقتصادية او تخفيفها واهمها : ● فتح الجسور مع الضفة الغربية واستمرار التجارة بين الضفتين . ● المساعدات المالية العربية المقدمة للاردن بعد مؤتمر الخرطوم . ● مصادر التمويل ومصاريف الاستهلاك التي اغرقت الاقتصاد الاردني بالموارد الاولية الناتجة عن انفاق القوات العسكرية النظامية العربية التي دخلت للاردن بعد حزيران ٦٧ (القوات العراقية والسعودية) والقوات الفدائية لمنظمات حركة المقاومة الفلسطينية . هذا بالاضافة للمساعدات المالية النقدية والعينية المرسلة باسم النازحين والمنكوبين من جراء معركة حزيران .

وعملت هذه العوامل الثلاثة على دعم الموارد المالية للميزانية الاردنيـــة وساعدت في المعالجة المؤقتة للمشكلات الاقتصادية الا أن هذه العوامل مـــا لبثت ان انتهت بفعل مجموعة جديدة من الاسباب : (١) استطاعت السياسة الاسرائيلية استغلال الجسور المفتوحة لصالح مصلحتها الاقتصادية وعلـــى حساب اقتصاديات الضفة الشرقية . (٢) توقف المساعدات العربية الكويتية والليبية في أعقاب هجمـــة أيلول الرجعية . (٣) تحويل موارد البلاد نحو زيادة الانفاق على تسليح الجيش والبوليس ولتسرب الاموال لايدي الطبقة الحاكمة وكبار رجال الإدارة في الحكـــم . (٤) هروب رؤوس الاموال الوطنية للخارج نتيجة حالة عدم الاستقرار التي ولدتها سياسات القمع والارهاب ونتيجة اعتماد النظام على الصدقات الامبريالية بحكم تركيبته الطبقية الاقطاعية بديلا عن الطريق الوطني في توزيع ثروات البلاد وتشجيع الصناعـــات الوطنية والتنسيق الاقتصادي مع القوى الشعبية المواطنة والعربية . (٥) توجيه الانفـــاق نحو زيادة الخدمات للقطاع الموالي للحكم من البدو والعشائر .

عجلت مجموعة العوامل الجديدة في ابراز نتائج هزيمة حزيران الاقتصادية والاجتماعية في أعقاب حملة أيلول ١٩٧٠ وليجد النظام الملكي نفسه أمام واقع اقتصادي متداعي وازمة اقتصادية حادة لا يستطيع ايقافها على الرغم من المساعدات المالية التي قدمها له حلفاؤه الغربيون . وباتت الجماهير الشعبية الاردنية تعاني من ازدياد انتشار البطالة بين العاملين في كل القطاعات ، ومن ارتفاع مستوى المعيشة المتزايد . كما تناقص حجم التجارة الخارجية مع البلاد العربية التي تمثـــل المستورد الاساسي للانتاج الاردني . وبتدني حجم السيولة النقدية لتسرب العملة الى البنوك الاسرائيلية عبر الضفة الغربية . ومن التسريح الكيفي للعمال وتوقف وخسارة العديد من المصانع الرئيسية الانتاجية .

لذلك كله نستطيع أن نحصر العوامل الرئيسية التي أدت للازمة الاقتصادية الراهنة بما يلي : العامل الاول : ارتباط الاقتصاد الاردني بصورة متزايدة بالامبريالية العالميـــة والسوق الراسمالية العالمية ، وارتفاع النفقات والاعباء المالية الكبيرة والمتزايدة لتسليح القوات المسلحة . العامل الثاني : الغزو الاقتصادي الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لسياسة الجسور المفتوحة . العامل الثالث : المقاطعة الاقتصادية العربية وتجميد المساعدات المالية .

العامل الاول : على الرغم من ادعاءات وزير المالية الاردني عن زيادة معدل التنمية الاقتصادية في الاردن وعن زيادة الناتج القومي للفرد بمعدل ٤٫٧ ٪ عام ١٩٧٢/٧١(٢)، الا أن ذلك لا يدلل على تقدم حقيقي لحل الازمة الاقتصادية في البلاد . لان اية خطة للتنمية الاقتصادية تهدف الى زيادة الناتج القومي وتنمية وسائل الانتاج يجب ان تعتمد على الوسائل التمويلية الحقيقية للمجتمع (راس المال وتراكمه الواقع تحت تصرف المجتمع فعليا ــ الادخار القومي) ، وتتجنب الوسائل التضخمية بطبيعتها (التمويل الخارجي والقروض الاجنبية) . الا أن الوضع على العكس من ذلك تماما في الاردن . فضمن الاقتصاد الاردني يشكل الادخار المحلي « القومي » حجما صغيرا لا يعتد به حيث لا يؤثر الا بنسبة بسيطة في التنمية الاقتصادية ، ويستعاض عن الادخار المحلي ضمن

البنيان الاقتصادي الاردني عادة بتأمين التمويل من الخارج على شكل « مساعدات » و« اعانات » وقروض تمويلية خارجية من الدول الامبريالية وتحديدا من الولايات المتحدة الامريكية . وتمثل هذه الاموال المصدر الرئيسي للموازنة الاردنية وبالتالي المصدر الرئيسي للانفاق . لذا فان الاقتصاد الاردني يعتمد بصورة اساسية على التمويل الامبريالي .

بلغت تقديرات رؤوس الاموال الاجنبية الامبريالية حسب مشروع الموازنة لعام ٧٢/ ١٩٧٣ ما قيمته ٣٦،٣٥٠،٠٠٠ دينار اردني موزعة كالآتي : ٢١،٤٢٥،٠٠٠ دينار قيمة المساعدات المالية الأمريكية و ١٤،٩٢٥،٠٠٠ دينار اردني قيمة القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية . يمثل هذا المبلغ ما نسبته نحو ٣٠ ٪ من مجموع الواردات المالية المحتملة بمشروع الموازنة والبالغة قيمته ١٢٤،٨٦٠،٠٠٠ دينار . الا ان هذا المجموع يتضمن في تقديره أحتمالات تحصيل المساعدات الكويتية البالغة ٣٢،٥٦٠،٠٠٠ دينار المجمدة منذ هجمة ايلول والمتوقع حسب التقديرات استمرار توقفها خلال العام القادم كما يتضمن مبلغ ٤،٠٠٠،٠٠٠ دينار واردات محلية . وبذا تمثل المساعدات الخارجية من الايرادات شبه مؤكدة التحصيل ما يوازي ٤٠ ٪ من الايرادات الاجمالية بالاضافة للمعونات السرية غير المنشورة . ولعبت هذه الاموال دورا هاما في توجيه الاقتصاد الاردني على امتداد الفترة الماضية ، فقد فرضت الشروط الامبريالية توجيه الانفاق المالي نحو القطاعات غير المنتجة ، والتي لا تزيد من قدرة المجتمع على الانتاج . فشكل الانفاق في معظمه مدفوعات (رواتب الجيش والامن العام وشراء المعدات العسكرية) ـ بهدف قمع الحركة الوطنية الفلسطينية الاردنية ـ حيث بلغت تقديرات مخصصات القوات المسلحة والامن العام والتزامات القروض العسكرية ٤٣،٥ ٪ من اجمالي تقديرات الانفاق في مشروع الموازنة ١٩٧٣/٧٢ اي ما قيمته ٥٤،٤٧٥،٠٠٠ دينار أردني . كما تم توجيه كامل القروض والمساعدات الفنية الاقتصادية الخارجية والبالغة ١٤،٩٢٥،٠٠٠ دينار أردني نحو المشاريع الانمائية (المشاريع غير الانتاجية : محطات الاقمار الصناعية ، تجميل مدينة العقبة ، مطار العقبة ، طرق غير زراعية ، المدينة الرياضية .. الخ) ، وتخصيص مبلغ ٢٦،٤٢٨،٠٠٠ دينار للخدمات المدنية و ١٨،٩٧٧،٠٠٠ دينار للنفقات الرأسمالية ، و ١٠،٠٥٥،٠٠٠ للاغاثة والصمود والتعويضات .

ان هذا التوجيه لبنود الانفاق الذي فرضته الامبريالية كان عاملا مساعدا رئيسيا في تحقيق أهدافها التآمرية ضد الحركة الوطنية من خلال الحكومة الاردنية وأدواتها القمعية التي تولت عملية ضرب حركة الجماهير الوطنية وحماية المصالح الامبريالية في البلاد والتآمر على القضايا العربية وفي مقدمتها قضية فلسطين ، كما كانت عاملا إساسيا في تحويل المؤسسة العسكرية الاردنية الى مؤسسة اقتصادية كبيرة وبديلة ومنافسة للمؤسسات الانتاجية المحلية . فاستوعبت المؤسسة العسكرية العدد الاكبر من قوى العمل في البلاد وباتت مصدر التمويل شبه الوحيد للعديد من العائلات الاردنية(٤) وارتبط بها قطاع هام من السكان وبنسبة كبيرة سكان الريف والبادية . وتحقق الامبريالية هدفا مزدوجا في تشجيعها بناء المؤسسة العسكرية الاردنية ، وجهه الاول توفير أداة قمع الحركة الوطنية في الاردن وتمرير سياساتها في المنطقة بالتالي ، والوجه الاخر الحفاظ على مصالحها واستثماراتها في المناطق المجاورة للاردن (السعودية واسرائيل) امام اخطار قيام اي وضع ثوري في الاردن . فالامبريالية الامريكية لا تنظر للاردن كموقع للاستثمارات الامبريالية الكبيرة ، بقدر ما ترى فيه موقعا عسكريا استراتيجيا لحماية مصالحها في المنطقة . ومن هنا يمكن تفسير العناية الزائدة في بناء المؤسسة العسكرية وتزايد الامتيازات المادية والمعنوية وارتفاع رواتب الجيش والامن العام(٥) .

اما المساعدات الخارجية على شكل قروض فقد وضعت البلاد تحت سيطــرة الامبريالية ورحمتها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا . فأمام ضرورة تسديد هذه القروض « الديون » وفي ظل العجز المالي المستمر والمتزايد سنويا كانت الدولة ملزمة بتنفيذ شروط الولايات المتحدة الامريكية ومتطلباتها السياسية في البلاد لعجزها وعدم قدرتها على السداد عند الاستحقاق . فسداد الديون يتطلب ان يحقق الميزان التجاري فائضا (أي زيادة قيمة الصادرات وتخفيض قيمة المستوردات) كي يمكن الوفاء بالالتزامات. وهذا ما لا تستطيع حكومة الاردن تحقيقه لعدة أمور : (١) سيطرة الدول الامبريالية الدائنة « صاحبة القروض » على توجيه الانتاج والتجارة الخارجية . فالدول الامبريالية تمثل المصدر الرئيسي لمستوردات الاردن قيمة ونوعا . فقد بلغت واردات الاردن من بلدان السوق الراسمالية العالمية نسبة تتراوح بين ٥٠ ــ ٦٠ ٪ خلال أربع السنوات السابقة . فقد كانت مستوردات الاردن عام ١٩٦٨ من الولايات المتحدة ٦،٣٧٠،٠٠٠ دينار ، ومن المملكة المتحدة ٧،١٥٣،٥٠٠ دينار ، ومن المانيا الغربية ٥،٩٨٧،١٠٠ دينار ، ومــن اليابان ٢،٨٩٤،١٠٠ دينار ، ومن ايطاليا ١،٩٠٢،٧٠٠ دينار، ومن فرنسا ١،٦٦٢،١٠٠ دينار ومن هولندا ١،٤١٤،١٠٠ دينار ، ومن الصين الوطنية ١،٦٣٨،٦٠٠ دينار اي ما يساوي ٥٠،٤ ٪ من المجموع العام للمستوردات البالغ ٥٧،٤٩١،٧٠٠ دينار . وفي العام ١٩٧٠ كانت النسبة ٥٠ ٪ من المجموع العام اذ بلغت المستوردات من كل بلد من البلدان المذكورة اعــلاه بالتوالي : ٧،٣٨٠،٥٠٠ دينــار ، ٨،٨١٥،٩٠٠ دينــار ، ٥،٩١١،٥٠٠ دينار ، ٣،٨٦٨،٧٠٠ دينار ، ٢،٢٣٥،٤٠٠ دينار ، ١،٦٤٨،٠٠٠ دينار ، ١،٢٧١،٧٠٠ دينار ، و ١،٤٩٦،٧٠٠ دينار .

(٢) استمرار العجز في الميزان التجاري الاردني بمعدل متزايد سنويا ، نتيجة لسوء التخطيط الانتاجي للحكومات الاردنية المتعاقبــة ، وغياب أي توجيــه صناعي لسلع التصدير ، ولعدم استغلال المواد الاولية وقوى العمل المتوفرة في البلاد لبناء صناعات بديلة عن الصناعات المستوردة او صناعات انتاجية جديدة ، فقد بلغ العجز في الميزان التجاري للفترة ما بين السنوات ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ نسبة متزايدة سنويا تفوق المساعدات الامبريالية في قيمتها اذ تراوح العجز ما بين ٤٤ ــ ٥٣ مليون دينار اردني (الجدول ١).

الجدول ١

ميزان التجارة الخارجية للفترة ما بين ١٩٦٤ ــ ١٩٧٠ (٧)
بالدينار الاردني

السنة	المستوردات	الصادرات	العجز التجاري
١٩٦٤	٥٣،٥٥٨،٤٠٠	٨،٧٢٨،٠٠٠	٤٤،٨٣٠،٤٠٠
١٩٦٥	٥٦،٠٥٢،٢٠٠	٩،٩١١،٢٠٠	٤٦،١٤١،٠٠٠
١٩٦٦	٦٨،٢١١،٥٠٠	١٠،٣٩٩،١٠٠	٥٧،٨١٢،٤٠٠
١٩٦٧	٥٥،٠٤٧،٧٠٠	١١،٣٢٦،٨٠٠	٤٣،٧٢٠،٩٠٠
١٩٦٨	٥٧،٤٩١،٧٠٠	١٤،٢٦٢،٥٠٠	٤٣،٢٢٩،٢٠٠
١٩٦٩	٦٧،٧٥١،٨٠٠	١٤،٧٤٨،٦٠٠	٥٣،٠٠٣،٢٠٠
١٩٧٠	٦٥،٨٨٢،٠٠٠	١٢،١٦٩،٨٠٠	٥٣،٧١٢،٢٠٠

(٣) محاولة تسديد الديون عن طريق زيادة الضرائب : يغلب على النظام الضريبي في الأردن الضرائب غير المباشرة « أي زيادة اسعار السلع والخدمات » ، والنوع هذا من الضرائب تتحمله اوسع الطبقات الجماهيرية في الاردن عند الاستهلاك ، ويتحمله بشكل خاص أفراد الطبقات الفقيرة والمتوسطة الدخل والذين اما أن يخفضوا مــن مستوى

معيشتهم بتقليل شراء السلع او يغادرون البلاد بحثا عن العمل ، وكلا التصرفين لا يخدم الصالح العام ولا هدف الحكومة هذا . اما الضرائب المباشرة على الدخل (الافـراد والشركات) في ظل الازمة الاقتصادية الراهنة وغياب التصنيع المحلي وفقدان تشجيع الانتاج الوطني فترفع من مستوى الاعباء والتكاليف الانتاجية مما يعيق التنمية الاقتصادية ويجعل الدولة بحكم نهج تفكيرها الرجعي بحاجة مستمرة للتعويض عن الديون بطلب المزيد من المساعدات الامبريالية والرجعية الغربية . للاسباب السابقة تتراكم الديون الخارجية مضافا اليها قيمة الفوائد وهذا يعني انتقال الثروة القومية الى بلد آخر مستقبلا وعند السداد حتى الجزئي .

باختصار يمكن القول ان الاقتصاد الاردني ارتكز بشكل شبه كلي على تدفق الرساميل والمعونات من الخارج ولم يعد بامكان الحكومة ــ في ظل النظام الاقتصادي المتبع ــ التخلي عن ذلك الا باتباع سياسة وطنية اقتصادية وسياسية وطبقية . وهذه فرضية مستحيلة بحكم التركيبة الاقطاعية ــ البرجوازية للنظام الاردني ، مما يبقيها باستمرار في وضع تبعي للسوق الامبريالية العالمية، حتى يمكن الحفاظ على مستوى الانفاق المرتفع للاجهزة العسكرية .

ان عدم تشجيع الادخار القومي وهروب راس المال الوطني ــ نتيجة للحالة السياسية وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في البلاد ــ ولاعتماد الاقتصاد على القطاع الخاص واهمال القطاع العام وتوجيه استيراد المواد الاولية من الدول الراسمالية ــ بغض النظر عن الاسعار ــ وعدم اعتماد الحكومات الاردنيـــة سياسة تشجيـــع الصناعات المحلية وتنمية الزراعة وزيادة انتاجها أدت الى فقدان الثقة بين قوى الانتاج والدولة فربطت الدولة مستقبلها الاقتصادي بالتبعية للســـوق الراسمالية العالميــة ومستقبلها السياسي بقوى الامبريالية مما فرض عليها اتخاذ مواقف سياسية مضادة لقضايا الجماهير اليومية فبرزت نتيجة لذلك كله حالة اجتماعية واقتصادية مظاهرها الاساسية الاستغلال الكامل لجماهير الشغيلة والعمال وتقييد الحركة الاقتصادية العامة للبلاد . فارتفعت تكاليف المعيشة وانتشرت البطالة وازداد الوضع الاقتصادي تأزما ولم تجد الدولة أمامها للخلاص من هذه الازمة الا المزيد مـــن اللجوء لصدقات الامبريالية واعاناتها مقابل التنفيذ الكامل لسياسة الدول الامبريالية وبرامجها وشروطها السياسية .

العامل الثاني : يغزو الاقتصاد الاسرائيلي تدريجيا اسواق الضفة الشرقية من الاردن ، مستفيدا من التعامل التجاري وحركة مرور البضائع والاموال والافراد والخدمات عبر الجسور المفتوحة بين الضفتين ، مباشرة من خلال اعتماد منتوجات تصدير الضفـــة الغربية على المواد الاولية والخدمات الاسرائيلية والتي تمثل نسبة عالية مـــن تكاليف الانتاج ، وبشكل غير مباشر عن طريق احلال مستوردات الضفة الغربية من اسرائيل مكان المصدرات للضفة الشرقية بغرض الاستهلاك المحلي .

فبالنسبة لاعتماد منتوجات تصدير الضفة الغربية على المواد الاسرائيلية المنبع والانتاج ــ واذا ما استثنينا حركة الافراد عبر الجسور المفتوحة وما ينقلونه معهم مـــن النقد والاموال السائلة والتي تمثل مصدرا ايراديا للضفة الغربية يستخدم في عملية التبادل التجاري بين الضفة الغربية واسرائيل ــ فان المواد الاساسية التي تمر عبر الجسور المفتوحة وتشكل الميزان التجاري بين الضفتين هي البضائع الصناعية والزراعية . ومع ان المنتوجات الزراعية المستوردة من الضفـــة الغربية لا تحتوي علـــى مواد اولية اسرائيلية في تركيبها الظاهري ؛ الا اننا لا نستطيع ان نوافق على الحجة الاردنية التي تدعي بأن المنتوجات المستوردة من الضفة الغربية ذات تركيبة وتكاليف عربية مئة بالمئة. لان اسعار هذه المنتوجات تتحدد بالاساس في ضوء تكاليف انتاجها . واذا ما حللنا تكاليف انتاج بضائع الضفة الغربية لوجدنا ان نسبة عالية منها مشتراة من الاسواق الاسرائيلية

بأنواع مختلفة مثل اجرة او استهلاك آلات ، ثمن الاسمدة والمواد الكيماوية ، ثمن تشغيل الطاقة الكهربائية والمائية والبترولية . . الخ . فاذا علمنا ان اسرائيل تمنع تجار الضفة الغربية من استيراد الالات الزراعية والصناعية عبر الجسور المفتوحة (آلات الحراثة والحصاد والدراسة والعصر . . . الخ)، نستطيع القول ان قيمة استهلاك او اجرة الآلات المستخدمة في الانتاج والتي تحمل المنتوجات بها كجزء من التكاليف تدفع في الاصل الى مالك الآلة او بائعها الاساسي في اسرائيل . كما ان الأسمدة والمواد الكيماوية اللازمة لمعالجة الافات الزراعية تستوردها الضفة الغربية من اسرائيل ، وكذلك مصادر الطاقة المائية والكهربائية وبشكل أكثر وضوحا البترولية . انطلاقا من ذلك كله نستطيع أن نؤكد أن جزءا أساسيا من تكلفة الانتاج الزراعي للضفة الغربية تشترى من رأس المال الاسرائيلي . وفي الانتاج الصناعي تبرز هذه الناحية بشكل اكثر وضوحا . فبالاضافة لتكاليف استهلاك الآلة واجرتها وثمن الطاقة والادوات الصغيرة « التعليب » فان المواد الاولية تتسرب للسلع الصناعية الجاهزة المصدرة للاردن في ظل عدم توافر الخامات الاولية الكافية لمعظم الصناعات في الضفة الغربية ، واضافة لكل ذلك تدخل في تكاليفها أدوات التغليف الضرورية لحفظها ، كصفائح الزيت وأكياس الزيتون وأوراق اللف وصناديق الخشب والحديد التي تحمل بها البضائع . . الخ .

اذا ما استعرضنا المصانع الحالية القائمة في الضفة الغربية والتي تنتج سلع التصدير الصناعي للضفة الشرقية نستطيع أن نتبين كيفية تداخل الاقتصاد الاسرائيلي بالمنتوجات الجاهزة ، سواء بالمواد الاولية أم الخدمات الاساسية او المساعدة : (١) مصنع تعليب البندورة ــ الخليل : يعتمد على المشتريات التالية من اسرائيل : الصفائح ــ المواد الكيماوية اللازمة للتعليب ــ اسمدة انتاج البندورة ــ طاقة تشغيل الآلات بالاضافة للضرائب المدفوعة للحكومة الاسرائيلية . (٢) مصانع الزيوت النباتية في نابلس : الصفائح ــ المواد الكيماوية ــ الاسمدة ــ الطاقة ــ الضرائب . (٣) صناعة المشروبات الروحية في بيت جالا : الزجاج ــ المواد الكيماوية ــ الاسمدة ــ الطاقة ــ الضرائب . (٤) صناعة المفروشات في بيت لحم : الخشب ــ المواد الكيماوية « الغراء » ــ الدهان ــ العدد الصغيرة (مسامير ، براغي . . . الخ) ــ الطاقة ــ الضرائب . (٥) مصانع النسيج في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب ــ والآلات الجديدة . (٦) مصانع الاحذية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب ــ العدد الصغيرة ــ المواد الكيماوية . (٧) مصانع البلاط في غزة والضفة الغربية : الطاقة ــ المواد الكيماوية ــ الآلات الجديدة ــ الضرائب . (٨) مصنع الشوكلاتة برام الله : سلفانا والمصانع الصغيرة في القدس ونابلس : مواد أولية مستوردة من الخارج عبر اسرائيل (كاكاو ــ سكر) ــ مواد كيماوية ــ طاقة ــ ضرائب . (٩) مصانع الزجاج في الخليل : مواد كيماوية ــ طاقة ــ ضرائب . (١٠) الصناعات التذكارية والسياحية في بيت لحم : مواد كيماوية ــ ضرائب . (١١) مصانع البلاستيك في بيت ساحور والقدس : (وهي أكثر الصناعات تصديرا ليس للضفة الشرقية فقط بل للبلاد العربية كذلك ــ الكويت مثلا ــ واكثر الصناعات اعتمادا على البضائع والخدمات الاسرائيلية) ــ الآلات حديثة ومستوردة عبر اسرائيل ــ المواد الاساسية الاولية الكيماوية وكلها مواد مستوردة من اسرائيل كذلك الطاقة والضرائب وادوات التغليف . (١٢) مصانع الادوية في غزة والضفة الغربية : المواد الخام ــ الطاقة ــ الضرائب .

ويبقى خارج التعامل التجاري بين الضفتين مصنعان فقط : الاول مصنع التبغ والسجاير في القدس والثاني مصنع المرطبات في نابلس . اما الاول فلأهمية انتاجه للاسواق الاسرائيلية والثاني لعدم قدرته على منافسة الصناعات المماثلة في الضفة الشرقية .

واما بالنسبة لغزو الاقتصاد الاسرائيلي لاسواق الضفة الشرقية بشكل غير مباشر عن طريق استيراد الضفة الغربية للمتوجات الاسرائيلية ذات الصفة الاحلالية وليست المكملة للمنتوجات المصدرة للضفة الشرقية فتظهر بشكل واضح من خلال تحليل تطور ميزان التجارة بين الضفتين خلال السنوات الثلاث الاولى من الاحتلال .

على الرغم من أن الضفة الغربية مثلت ٤٠ ٪ من الانتاج الزراعي و٢٠ ٪ من الانتاج الصناعي فقط قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ من مجموع الانتاج الاردني السنوي(٨) الا أن ميزان التجارة الحالي بين الضفتين يميل وباتساع كبير لصالح الضفة الغربية وتتشكل بنوده من منتجات استهلاكية محلية في الضفة الشرقية اكثر منها سلعا تصديرية . فبينما بلغت قيمة ما صدرته الضفة الشرقية للضفة الغربية ٢٤،٩ مليون ليرة اسرائيلية نجد انها استوردت ما قيمته ٦٩ مليون ل. أ. من الضفة الغربية عام ١٩٦٩ . اي بفرق لصالح الضفة الغربية مقداره ٤٤،١ مليون ل. اسرائيلية تساوي نحو ٥،٥ مليون دينار أردني (الجدول رقم ٤) الا أن الخطورة لا تكمن بالقيمة الاجمالية هذه بل بنوعية السلع المتبادلة بين الضفتين حيث يغلب على سلع الاستيراد من الضفة الغربية السلع الصناعية . فعلى الرغم من سياسة الحكومة في عمان والتي عملت على مركزة اهم الصناعات الاردنية في الضفة الشرقية وعلى الرغم من أن الضفة الغربية كانت المستهلك الدائم وليس المصدر للصناعات في الضفة الشرقية اجمالا الا اننا نلاحظ ان ميزان التبادل التجاري الصناعي هو في صالح الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ ، مما قلب موازين حركة تنقل السلع الصناعية لصالح الانتاج الصناعي في الضفة الغربية وبالتالي اسرائيل . ومن هنا باتت اسواق الضفة الشرقية مركزا لتسويق البضائع الصناعية شبه الاسرائيلية مما ساعد على توقف أو خسارة العديد من المشاريع المشابهة في الضفة الشرقية كمصانع التريكو والاحذية والزجاج والمنسوجات والصابون في عمان والزرقاء .

ان التدقيق في ميزان التجارة بين الضفتين للسنوات ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ والذي امكن الحصول عليه من كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي لعام ١٩٧٠ (لغياب الاحصاءات الاردنية) يبين مجموعة من الظواهر والنتائج التالية :

١ ــ يميل ميزان التجارة لصالح الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ وبنسبة متزايدة سنويا مما يفسح المجال لتسرب المنتوجات الاسرائيلية لاسواق الضفة الشرقية نتيجة لتداخل المواد الاولية وتكاليف الانتاج الاسرائيلية في سلع الاستيراد الزراعية والصناعية ولان الاراضي العربية المحتلة تستهلك سلعا اسرائيلية بديلة للسلع التي تستوردها الضفة الشرقية خاصة وأن الضفة الغربية لا تعتبر بلدا صناعيا بل على العكس من ذلك لا تزال تستورد السلع الصناعية الاولية . فبالنظر لميزان التجارة بينها وبين اسرائيل نجد انها تستورد بالدرجة الاولى المنتوجات الصناعية الاسرائيلية . فمن اجمالي مستوردات الضفة الغربية البالغ ٢٩٥،٤ مليون ليرة اسرائيلية عام ١٩٦٩ هناك ٢٣٦ مليون ل. أ قيمة المستوردات من اسرائيل منها ١٩٧،١ مليون ل. أ سلع وبضائع صناعية(٩).

٢ ــ أن اسرائيل تركز على غزو اسواق الضفة الشرقية بالسلع الصناعية عن طريق تشديد القيود على المنتجات الزراعية وتخفيف شروط تصدير المنتجات الصناعية مما ادى الى تزايد تصدير الضفة الغربية الى الضفة الشرقية من البضائع الصناعية من ٢٣،٢ مليون ل. أ سنة ١٩٦٨ الى ٣١،٤ مليون ل. أ سنة ١٩٦٩ ، وتناقص في تصدير السلع الزراعية من ١٣ مليون ل. أ عام ٦٨ الى ١٢،٧ مليون ل. أ عام ١٩٦٩ (جدول رقم ٢) .

٣ ــ في الوقت الذي تعتبر فيه اسواق الضفة الشرقية اهم الاسواق لبضائع التصدير في الضفة الغربية فان الاقتصاد الاردني لا يستفيد من اسواق الضفة الغربية تصديرا الا بنسبة ضئيلة لا تتناسب مع القدرة الاستهلاكية للضفة الغربية او حركة الاستيراد منها .

فقد مثلت مستوردات الاراضي المحتلة من الضفة الشرقية للاردن ٨٪ فقط من مجموع المستوردات السنوية في المتوسط . حيث بلغت نسبة المستوردات من الضفة الشرقية ١٠٫٢٪ ، ٧٫٦٪ ، ٨٫٤٪ فقط في السنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ وشكلت السلع الزراعية الحجم الاكبر من هذه المستوردات فبلغت ٧٣٫٣٪ ، ٦٨٫٢٪ في السنوات ٦٨ ، ٦٩ . وفي المقابل كانت نسبة صادرات الضفة الغربية لاسواق الضفة الشرقية ٥٠٪ من مجموع الصادرات في المتوسط ، فقد بلغت نسبة التصدير ٧٩٫٤٪ ، ٤٦٫١٪ ، ٥٠٫١٪ من كل صادرات الاراضي العربية المحتلة بعد ٦٧ للسنوات نفسها ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ وكانت البضائع الصناعية تمثل الجزء الاكبر منها فبلغت ٥١٫٦٪ ، ٥٧٪ للسنتين ٦٨ ، ١٩٦٩ . (الجدول رقم ٢) . ان عدم التناسب الكبير في حركة التبادل التجاري بين الضفتين يكاد يجعل الاتجار من جانب واحد « استيراد كبير من الضفة الغربية وتصدير قليل القيمة لها » . واذا ما استخرجنا الفرق بين صادرات وواردات الضفة الشرقية مع الضفة الغربية لوجدنا أن العجز يساوي نحو ٢٠٪ من قيمة عجز ميزان التجارة الخارجية الاردني عام ١٩٦٩ حيث بلغ قيمة العجز نحو ٥٣ مليون دينار اردني (الجدول رقم ١) .

٤ ــ لم تساعد الجسور المفتوحة فقط الاقتصاد الاسرائيلي على غزو اسواق الضفة الشرقية بل ونتيجة لتطبيق السياسة الاقتصادية الاسرائيلية لحركة التبادل التجاري عبر الجسور فقد اغلقت في وجه البضائع الصناعية الاساسية الاردنية اسواق الضفة الغربية الواسعة : فقبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ كانت الضفة الغربية تستهلك ٦٠٪ من انتاج الاسمنت و ٤٠٪ من انتاج البترول والاقمشة وهذه السلع على رأس قائمة الممنوعات من اجتياز الجسور . وبذا تأثرت صناعة الاسمنت والصناعات المكملة (البناء والدهان . . . الخ) وصناعة الاقمشة بشكل كبير . وكان لعدم قدرة هذه الصناعات على التسويق في الضفة الغربية اثر رئيسي في تعطيل العديد من المصانع في الضفة الشرقية وتوقفها ، فقد ساعد ذلك على اغلاق شركات المقاولة والبناء المذكورة وتسريح عمالها مما ادى الى شل الدورة الصناعية وانتشار البطالة في الاردن .

الجدول ٢

الميزان التجاري لتجارة الاراضي العربية المحتلة مع الضفة الشرقية للاردن للسنوات ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٦٩ (١٠)

« بملايين الليرات الاسرائيلية »

السنة	البيان	التصدير	الاستيراد	فائق التصدير عن الاستيراد
الشهور الاربعة الاخيرة من ١٩٦٧	سلع صناعية	٢٢٫٩		
	سلع زراعية	١١٫٧		
	المجموع	٣٤٫٦	٠٫٨	٣٣٫٨
١٩٦٨	سلع صناعية	٢٨٫٠	٤٫٨	٢٣٫٢
	سلع زراعية	٢٦٫٣	١٣٫٣	١٣٫٠
	المجموع	٥٤٫٣	١٨٫١	٣٦٫٢
١٩٦٩	سلع صناعية	٣٩٫٣	٧٫٩	٣١٫٤
	سلع زراعية	٢٩٫٧	١٧٫٠	١٢٫٧
	المجموع	٦٩٫٠	٢٤٫٩	٤٤٫١

العامل الثالث : قطع بعض الدول العربية (سوريا وليبيا والجزائر ومصر واليمن الديمقراطية) علاقاتها الاقتصادية مع الاردن ، واعلن بعضها اغلاق الحدود في وجه التجارة الخارجية الاردنية . كما جمدت كل من الحكومة الليبية والحكومة الكويتية المساعدات المالية التي كانت تدفعها سنويا لدعم الاقتصاد الاردني ، بعد هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، احتجاجا على السياسة التي مارستها السلطات الاردنية ضد الشعب الاردني ، والحركة الوطنية الاردنية وقوى حركة المقاومة الفلسطينية ، وتحديدا بعد مجازر ايلول ١٩٧٠ ، واحداث جرش ١٩٧١ . وادى ذلك الى تفاقم الازمة الاقتصادية والى خسارة الاقتصاد الاردني لجزء مهم من موارده اهمها :

اولا : خسارة ميزان التجارة بنسبة تعادل ٣٣٪ من قيمة الصادرات الوطنية العامة و ١٥٪ من المستوردات الاجمالية اي ما يعادل ٤٤٪ من مجموع قيمة الصادرات للدول العربية و ٧٥٪ من المستوردات من الدول العربية(١١). فقد شكلت اسواق الدول العربية المجالات الاساسية الاكثر حيوية لتصريف المنتوجات الاردنية من سلع وخدمات . فقد بلغت نسبة الصادرات الاردنية للدول العربية ٦٤٪ ، ٦٧٪ ، ٧٠٪ من مجموع الصادرات و١٩٪ ، ١٩٪ ، ٢٠٪ من مجموع قيمة المستوردات للسنوات ١٩٦٦ ، ١٩٦٨ ،

الجدول ٣

التجارة مع أهم الدول العربية للسنوات ١٩٦٦ — ١٩٦٨ — ١٩٧٠(١٤)

(بالدينار الاردني)

القطر	١٩٦٦ الصادرات	١٩٦٦ المستوردات	١٩٦٨ الصادرات	١٩٦٨ المستوردات	١٩٧٠ الصادرات	١٩٧٠ المستوردات
مجموع الدول المقاطعة والمتاثرة بالمقاطعة						
سوريا	١،٣٠٨،١٧٦	٣،٣٤٨،٣٢١	٨٦٨،٤٢٨	٢،٨٦٧،١٦٥	١،٤٧٧،٥٤٩	٣،١٩١،٩٤٣
لبنان	١،١٤٣،٤٥٤	٣،٧٧٢،٩٨٠	١،٤٢٦،٨٣٦	٤،٢٣٠،٢٣٦	١،٤٣٣،٨٤٦	٤،٤٠٩،٠٦٤
مصر	٧٨٨	١،٢٨٥،٠٠٧	١٤،٩٨٩	١،١٢٠،١٤٥	٢١١،٤٠٠	٢،٠٥٢،٠٥٦
اليمن /الديمقراطية	٦٨٨	٥٧،٩٨٦	١١،١٧٥	٢٤،٧١٩	١٦،٦٢٥	٢،٢١٦
الجزائر	١١١	٥١،٥٥٦	—	٣٢٢	٥	٤٣،٠٤٠
ليبيا	٩١١	١٩٤	٢٧،٥٣٩	—	٩،٦٩٤	٣٥
المجموع	٢،٤٥٤،١٢٨	٨،٥١٦،٠٦٦	٢،٣٤٨،٩٦٧	٨،٣٤٢،٥٨٧	٣،١٤٩،١١٩	٩،٦٩٨،٣٥٤
الدول الأخرى						
السعودية	٧٩٤،٩٢٢	٢،٤٣٦،٢٠٠	١،٥٣٩،٥٩٠	٢،١٦٨،٩٧٢	١،٣٣٤،١٣٧	٢،٥٤٣،١٢٢
العراق	١،٢٨٦،٧٩١	١،٧٢٧،١٠٦	١،٧٩٦،٢٨١	٣٦٥،٤٣٣	١،٣١٢،٢٦٩	٣٦٩،٢٩٧
السودان	٤٤	٣٧٣،٦٠٦	١٩،٢٩٥	١٣٢،٥٦٨	٤٢	٣٢٩،١٧٨
الكويت	١،٠٧٧،٦٩٦	٢٨،٢٣٢	٢،٣٨٥،٤٩٩	٢١٢،٢٧٢	١،٣١٨،٣٥٤	١٩،٢٢٨
المغرب	٣	١٠،٤٧٩	—	١٠،٥٠٥	٢٠	١٤٦،٩٩٨
مجموع الدول العربية	٥،٦٤٦،٢٥٧	١٣،١٨٢،٤٣٤	٨،٢١١،٠٣٥	١١،٠٤١،٤٧٧	٧،١٧٠،٥٧٨	١٣،١٠٦،٣٨٦
نسبة الدول العربية للمجموع العام	٦٤٪	١٩٪	٦٧٪	١٩٪	٧٧٪	٢٠٪

١٩٧٠ على التوالي . وكان نصيب الدول التي اعلنت المقاطعة والتي تـأثرت بالمقاطعة (مثل لبنان)(١٢) ٦٤ ٪ ــ في الفترة الاولى واثناء اشتراك الحكومة العـراقية بقرار المقاطعة ــ و ٤٤ ٪ حتى حزيران ١٩٧٢ من مجموع الصادرات للدول العربية و ٧٤٪ من مجموع المستوردات العربية(١٣) وبنسب اكثر انخفاضـا في الفترة الحالية نتيجـة تراجعات بعض الدول العربية وتخفيف شروط المقاطعة الاقتصادية (الجدول رقم ٣) . ساهمت خسارة هذا القطاع من التجارة الخارجية بدرجة كبيرة في الازمة الاقتصادية الراهنة ، وترتب في ضوء ذلك مجموعة من النتائج :

النتيجة الاولى : زيادة قيمة العجز في ميزان التجـارة الخارجية وميزان المدفوعـات ، والفشل في تحويل الصادرات نحو اسواق جديـدة : تركيبة ونوعية السلع الصالحة للتصدير ، تتشكل في معظمهـا من المزروعات الطازجـة (خضار وفواكه) ، وتتطلب لتسويقها اسواقا قريبة وفترة زمنية قصيرة ، مما لا يساعد على تحويل الانتاج الزراعي الى الاسواق الخارجية البعيدة ، اضافة لتوفر سلع بديلة لسلع التصدير في الاسواق الخارجية وضعف قدرة البضائع الاردنية عـلى المنافسة في الاسواق العالمية لارتفـاع اسعارها نتيجة لزيادة تكاليف نقلها . ونظرة اولية لانواع سلع التصدير وقيمتها النقدية تبين لنا الى اي مدى يفقد نظام التصدير القدرة على الحركة والتحول الى خارج اسواقه العادية العربية . فاذا اعتمدنا جـداول التصنيف السلعي لتجارة الاردن ــ سوريـا (الجدول ٤) والاردن ــ لبنان (الجدول ٥) فاننا نخرج بالملاحظات التالية :

١ ــ تمثل السلع الصناعية ١٨ ٪ فقط من سلـع التصدير لسوريا و ٣١ ٪ من سلـع التصدير للبنان . كما أن نوعية السلع الصناعية استهلاكية في غالبيتها اولا ولا تتمتع باي ميزة احتكارية ثانيا ومن السلع ذات التكاليف المرتفعة للنقل ثالثا . ولا يمكن ان تتمتـع بالاسواق الاجنبية بالاعفاءات الجمركية وشروط التسويق التي نظمتها اتفاقية الترانزيت والتجارة العربية ، مما يولد صعوبات عديدة في تصريفها في الاسواق الخارجية الاخرى.

الجدول ٤

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/سوريا ١٩٧٠(١٥)و(١٦)

(بالدينار الاردني)

الصادرات		المستوردات	
الصنف	القيمة	الصنف	القيمة
السلع الصناعية :		أهم السلع :	
ادوية الطب البشري	٥٣،٤٦٨	أبقار	١٠٥،٣٣٧
الاسمنت	٣٦،١٦٥	ضان	٦٧٤،٥٦٣
السجاير	٣٥،٧٦٦	ماعز	٦٥٤،٦٦٩
ورق كرفت لاكياس التعبئة	٣٧،٣١٦	شعير	١٢٤،٨٣٥
جماعات كهربائية ٦ فولت	٢١،٩٥٨	منسوجات	٣٣٣،٧٧٦
جلود خام	١٩،٣٩٠	مواد اخرى	١،٢٩٨،٧٦٣
مركزات اعلاف واعلاف	١٩،٥٢٩		
فوسفات واحجار رملية وصوانية	١١،٥٨٨		
منسوجات وجوارب وصابون	٢٠،٤١٣		
مجموع السلع الصناعية	٢٥٥،٥٩٣		

الصنف	القيمة	الصنف	القيمة
بندورة	٤٦١،٩٩٣		
باذنجان طازج	١٥٥،٩٠٧		
فول اخضر	٢٥،٧٨٢		
بصل للاكل	١٣،٦٨٧		
كوسا طازجة	١٤،٥٧٧		
فلفل اخضر	١١،٠٤٩		
فاصوليا خضراء وزهرة وخضروات اخرى	٩،٩٨٣		
مجموع الخضروات	٦٩٢،٩٧٨		
برتقال	٣٥٠،٠٨٨		
موز	٧٣،٤٠٤		
ليمون حامض	٤٧،١١١		
بطيخ	٣٠،٦٤٠		
لوز	١١،٧٥٤		
مندلينا وكريبرفروت وكلمنتين ولوز مقشر وبذر يانسون	١٥،٩٨١		
مجموع الفواكه	٥٢٨،٩٧٨		
مجموع المواد الزراعية	١،٢٢١،٩٥٦		
المجموع العام	١،٤٧٧،٠٤٩	المجموع العام	٣،١٩١،٩٤٣

الجدول ٥

التجارة الخارجية حسب السلعة والبلد/لبنان ١٩٧٠ (١٧)

الصـــادرات		المســتوردات	
الصنف	**القيمة**	**الصنف**	**القيمة**
السلع الصناعية :		**أهم السلع :**	
فوسفات واحجار رملية وصوانية	٢٧٣،٤٩٣	بيض	٥٢٢،١٧٢
جلود خام	١٤٦،٧٩٨	بطاطا	٤١٧،٣٠٣
جماعات كهربائية ٦ فولت	٩،٦٣٨	عنب	١٠٩،٤٩٢
مواد صناعية اخرى	٢٤،٧٣٨	تفاح	٣٧٨،٨٣٤
مجموع السلع الصناعية	٤٥٤،٦٦٧	زيوت تشحيم	٢٧٠،٧٠٩
		مواد اخرى	٢،٧١٠،٥٥٤
السلع الزراعية :		« أسماك ، ومنتجات مخابز فاخرة	
بندورة	٢٠٦،٧٠٣	وزجاج وصفائح ومواسير وزجاج	
باذنجان طازج	٧٣،٤٥٨	طبي واجهزة صحية وكلـــس	
بصل للاكل	١٥،٧٩٠	واسمنت وكبريت ... الخ »	
خضروات وفواكه اخرى	٦٨٣،٢٢٨		
مجموع السلع الزراعية	٩٧٩،١٧٩		
المجموع العام	١،٤٣٣،٨٤٦	المجموع العام	٤،٤٠٩،٠٦٤

٢ ــ السلع الزراعية الطازجة تشكل ٨٢٪ من سلع التصدير لسوريا و ٦٩٪ من سلع التصدير للبنان ، كما ان هذه السلع لا يمكن حفظها بالبرادات لفترة طويلة (الخضروات)

اولا ، والفواكه الاردنية عاجزة عن دخول اسواق المنافسة الخارجية لتوفر الفواكـه الاكثر جودة واقل سعرا في هذه الاسواق (منتجات اسبانيا وايطاليا واسرائيل ...) ثانيا ، ومصانع تعليب وحفظ المنتجات الزراعية محدودة ، ثالثا. مما يؤدي بالنتيجة الى تلف المزروعات المنتجة ويخلق العوائق امام تسويقها .

٣ ــ تتميز السلع المستوردة من الـدول العربية بانخفاض الاسعار بالنسبة للاسعار العالمية لتمتعها بالاعفاءات التي نظمتها الاتفاقيات الجماعية والثنائية العربية واتفـاقية السوق العربية المشتركة ، ولانخفاض تكاليف النقل لقرب المسافة . فاسعار المواشي والحيوانات منخفضة بالنسبة للاسعار العالمية لقربها من المراعي التركيـة وتوفرها في الجمهورية العربية السورية وتمثل ٤٧٪ من المستوردات من سوريا (الجدول ٥) ، كما تتمتع اسعار البيض والصفائح والزجاج والاسماك والكلس والزيتون والتفاح والعنب المستوردة من لبنان بانخفاض الاسعار وتشكل ٧٥٪ من المستوردات في لبنان (الجدول ٣) . ان التحول نحو استيراد السلع نفسها من الاسواق الخارجية سيؤدي الى ارتفاع اسعارها في الاسواق الاردنية بنفس نسبة ارتفاع تعرفة النقل من الاسواق الخـارجية + قيمة الرسوم والاعفاءات الجمركية .

النتيجة الثانية : انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي ، وخسارة الشركات الصناعيـة وسيادة البطالة بين العمال :

١ ــ انخفض العائد على الانتاج الزراعي لخسارة المزارعين اثمان المنتوجات الزراعية المعدة للتصدير للدول العربية بعد تعديل نظام المحاصصة بين الملاكين والمزارعين الذي فرضه كبار ملاكي الاراضي بحيث يتحمل المزارع خسارة مالك الارض فقد « كان ملاكو الاراضي الزراعية في الاغوار منذ ما قبل عدوان ٦٧ وحتى العام الماضي ١٩٧١ يؤجرون اراضيهم للمزارعين الصغار (العاملين بالمحاصصة) بالنسب التالية : الارض السقي ــ للملاك ٤٠٪ من الانتاج وللمزارع ٦٠٪ منه ــ ، الارض البعل : للملاك ٢٥٪ ــ ٣٠٪ من الانتاج وللمزارع ٧٠ ــ ٧٥٪ منه غير ان ملاكي الارض هـذا العام فرضوا نسبة اخرى فأخذوا يتقاضون من الارض السقي ٥٠٪ من الانتاج ومن الارض البعل ٤٠٪ من الانتاج »(١٨) . اما ملاكو الاراضي الصغار فقد كثر اقبالهم على بيع اراضيهم والتوقف عن الانتاج والتحول نحو البناء في احسن الاحوال . فنشطت حركة بيع الاراضي وتجـارة شركات العقارات . وامتلأت الصحف باعلانات الشركات العقارية التي عرضت بيـع مساحات واسعة من **الاراضي الزراعية** وفي مناطق زراعية مختلفة من الاردن (انظـر مثلا صحيفة الراي من ٦/٣ ــ ١٩٧١/٧/٢١ حيث نعثر عـلى عشرين اعـلانا لبيع الاراضي في مناطق صويلح ، غور كبد ، وادي السير ، ناعور ، ابو علنـدا ، ماركـا ، الحمر ، البقعة ، وادي الضليل ، الفحيص ، اربد) .

ساهم الانتاج وتغـير نظام المحاصصة وبيـع الاراضي الزراعيـة في زيـادة حـدة الازمة الاقتصادية على الفئات الشعبية الفقيرة والمحدودة الدخل ، التي انخفض دخلها الحقيقي بارتفاع تكاليف المعيشة مـع تناقص الدخل ، وانتشرت البطالـة بين صفوف العمال الزراعيين الذين يشكلون نسبة كبيرة من قوى العمل في الاردن .

٢ ــ انخفاض العائد على رأس مال الشركـات الصناعية وتحقيق خسائـر كبيرة في موازناتها وتوقف بعضها عن الانتاج :

ان تراكم المخزون وعدم تصريف المنتوجات التصديريـة الصناعية في اسواق الـدول العربية والاراضي العربية المحتلة وارتفاع اسعار المواد الاولية المستوردة من اسواق الاحتكارات الامبريالية ادى الى تحقيق خسائر كبيرة نسبيا في موازنة معظم الشركـات الصناعية الكبيرة . فقد اظهرت ميزانية شركة الفوسفـات العمومية للسنة المنتهية في

٧١/١٢/٣١ خسارة محققة مقدارها ٤٦٣،٩٧١ دينارا اردنيا منها ٢٤٤،٣٠٢ دينار خسائر مرحلة من العام السابق(١٩). والميزانيـة العمومية لشركة التبـغ والسجائر الاردنية للسنة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ ٨٧،٦٩٩ دينارا اردنيا(٢٠). اما شركة الالبان الاردنية فقد اظهرت ميزانيتها العمومية المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٧٠ خسائر محققة مقدارها ٣٧٩١ دينارا اردنيا(٢١). واحيلت شركة الورق والكـرتون الى لجنة الامن الاقتصادي لدراسة اوضاعها المالية المتدهورة(٢٢). وصفت اكبر شركات المقاولات والبناء اعمالهـا وصرفت اكثر من ٩٠ ٪ مـن عمالهـا وتأثـرت جميع الشركـات المرتبطة بشركات البناء كشركات الدهان « شركة دهان الرصيفة » ومتاجر بيع ادوات البناء والنجارة والاثاث والحدادين بتوقف العمل في شركات المقاولات . وادى ذلـك كله بالضرورة الى ازدياد عدد العمال العاطلين عن العمل والمسرحين من العمال الصناعيين والعمال الحرفيين وبالتالي الى انخفاض دخول افراد الطبقة العمالية الفقيرة . فقد بلغ عدد العمال المسرحين من شركة البناء والمقاولات العربية ٤٩٥ عاملا من اصل ٥٠٠ عامل او في شركة شاهين للمقاولات ٦٦٠ عاملا من اصل ٧٠٠ عامل ، وفي شركة ريم للمقاولات ٤٨٥ عاملا من اصل ٥٠٠ عامل ، وفي شركة العماد « مظفر ابو السعود » ٩٨٠ عامـلا من اصل ١٠٠٠ عامل ، وفي شركة دلتا ٣٨٢ عاملا من اصل ٤٠٠ عامل(٢٣).

ثانيا : فقدت الموازنة الاردنية جزءا مهما من وارداتها المالية نتيجة لتجميد المساعـدات العربية الليبية والكويتية والتي تبلغ نحو ٢٦ مليون دينار اردني سنويا . وساعد ذلـك على خلق الازمة المالية والاقتصادية الراهنة التي تعاني منها الاردن . خاصة ان هـذه المساعدات كانت تغطي جزءا كبـيرا من بنود الانفاق في الموازنة لا تستطيـع الحكومة الاردنية تغطيتها بالواردات المحلية نتيجة لسياستها الاقتصادية غير الوطنية ، مما يؤدي الى زيادة العجز السنوي في الموازنات الاردنية التالية لقرار التجميد .

بناء عـلى مشروع الموازنة ١٩٧٣/٧٢ تشكل المساعـدات الكويتية المجمعة ما قيمته ٣٢،٥٦٠،٠٠٠ دينار اردنـي وتمثـل بذلك ٢٦ ٪ مـن مجمـوع بنود الانفـاق . ولضعف قدرات البلاد الانتاجية ومواردها المحلية عن تغطية قيمة هذا المبلغ ـ الـذي يمكن ان يبقى مجمدا إمام استمرار سياسة النظام الاردني الحالية ـ كما اعترف بذلك وزير المالية الاردني في خطابه امام مجلس النواب في معرض طرحـه لمشروع الموازنة ولتوقف المساعدات الليبية بشكل كامـل (الغيت قيمة المساعـدات الليبية من مشروع الموازنة) ، فاننا نستطيـع القول ان حالة الانهيار الاقتصادي ستتضاعف وستحـاول الحكومة مواجهة الانهيار هذا ـ كما عودتنا دائما ـ باللجوء الى المساعدات الامبريالية مقابل مزيد من الاستسلام لسياسات الامبريالية الامريكية ومخططاتها في المنطقة ...

---

١ ـ فؤاد حمدي بسيسو « الاثار الاقتصادية لسياسة الجسور المفتوحة » **شؤون فلسطينية**، العدد ٢ ايار ١٩٧١ .

٢ ـ **الراي** ، ١٩٧٢/٥/١٢ « تصريح انيس المعشر وزير المالية الاردني » .

٣ ـ **الراي** ، ١٩٧٢/٥/١٩ .

٤ ـ حول هذا الموضوع انظر كتاب **المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني** ، مركز الابحاث في م. ت. ف. ، ايلول ١٩٧١ قسم التعبئة في الريف وتشكيل الجيش الشعبي ص ١٣٢ .

٥ ـ **المرجع السابق** ، ص ١٢٧ .

٦ ـ كتاب **الاحصاء السنوي الاردني** ـ التجارة الخارجية ـ ١٩٧٠ .

٧ ـ **المرجع السابق** ـ التجارة الخـارجية ـ ١٩٧٠ .

٨ ـ فؤاد حمدي بسيسو « الاثار الاقتصاديـة لسياسة الجسور المفتوحة » **شؤون فلسطينية** ، العدد ٢ ، ايار ١٩٧١ .

٩ ـ كتاب **الاحصاء السنـوي الاسرائيلـي** ـ ١٩٧٠ .

١٠ ـ **المرجع السابق** .

١١ ـ استخرجت النسب باعتماد النسب المرجحة

لارقام الصادرات والمستوردات الظاهرة في الميزان التجاري الاردني للسنوات ٦٦ ، ٦٨ ، ١٩٧٠ .

١٢ — لم يعلن لبنان مقاطعته الاقتصادية للاردن، الا انه تأثر بالمقاطعة السورية التي منعت مرور البضائع التجارية عبر اراضيها ولعدم وجود حدود مشتركة بين لبنان والاردن ولضخامة تكاليف النقل الجوي وقد بلغ تأثر التجارة الخارجية مع لبنان ما نسبته نحو ٧٠٪ من الصادرات اي قيمة الصادرات الزراعية التي توقفت تماما بينما استمر التعامل بـ ٣٠٪ فقط وهي قيمة الصادرات الصناعية التي نصت عليها اتفاقية السوق العربية المشتركة والتي بحكمها لا تتأثر بعض السلع الصناعية « كالفوسفات » بالمقاطعة .

١٣ — اعتمدت النسبة على اساس سنة ١٩٧٠ اساس للنسب .

١٤ — كتاب **الاحصاء الاردني السنوي** — التجارة الخارجية — ١٩٧٠ بيان رقم ١ .

١٥ — **المرجع السابق** بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .

١٦ — تم اختيار سلع المستوردات التي تزيد قيمتها عن ١٠٠ الف دينار وجمعت ارقام الصادرات التي تقل عن ١٠ الاف في بنود موحدة .

٦٧ — كتاب **الاحصاء الاردني السنوي** — التجارة الخارجية — ١٩٧٠ بيان رقم ٥ وبيان رقم ٧ .

١٨ — **الجماهير** « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ ، العدد ١ — كانون الثاني ١٩٧٢ .

١٩ — **الراي** ، ٢٩ ايار ١٩٧٢ .

٢٠ — **الراي** ، ٢ حزيران ١٩٧١ .

٢١ — **الراي** ، ١٧ حزيران ١٩٧١ .

٢٢ — **الوطن** « نشرة شهرية تصدرها الجبهة الشعبية الديمقراطية — فرع الاردن » — السنة الاولى — العدد الثاني ١٩٧٢ .

٢٣ — **الجماهير** « نشرة تصدرها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني » السنة ٢٤ — العدد ١ — كانون الثاني ١٩٧٢ .

لانسكي وليبسكي
واستغلال قانون العودة

الدكتور اسعد رزوق

كانت « شؤون فلسطينية » قد طلبت من الدكتور اسعد رزوق استعراض قضيتي لانسكي وليبسكي في اسرائيل بهدف اظهار محاولات استغلال قانون العودة الاسرائيلي من قبل المجرمين والمحتالين . ورغم ان ايا منهما لم ينل ما حاول الحصول عليه بسبب افتضاح قضيتهما بشكل يلحق باسرائيل سمعة سيئة جدا في اوروبا واميركا ، الا ان مجرد لجوئهما الى اسرائيل واقامتهما كل هذه المدة الطويلة ، دليل على عيوب قانون العودة وعنصريته .

التحرير

تهدف هذه المقالة الى عرض قضيتين متشابهتين الى أبعد حدود التشابه ، لكي تضع كل قضية منهما في اطارها الصهيوني والاسرائيلي الاوسع . ونعني بهاتين القضيتين ما يلي : قضية ماير لانسكي ، الذي تلاحقه السلطات القضائية الاميركية بشتى التهم قبل ان يظهر بصورة مفاجئة في اسرائيل منذ تموز (يوليو) ١٩٧٠ ــ حيث لا يزال مقيما حتى الآن . وقضية رجل الاعمال اليهودي الفرنسي ، كلود ليبسكي ، الذي اختفى من فرنسا عقب افتضاح أمر النشاطات المالية الاحتيالية التي كان يمارسها عبر شركاته ومؤسساته ، لكي يتبين للسلطات القضائيــة الفرنسية انه وصــل الى اسرائيل بتاريخ ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ . فالقضية الاولى ما زالت « عالقة » رغم الادانات والاحكام الصادرة بحق بطلها ماير لانسكي ، والسلطات الاسرائيلية لم تشأ حتى الآن العثور على المسوغات القانونية لتسليم المطلوب الى سلطات بلاده أو اخراجه من اسرائيل . كما ان لانسكي لم يتع خياره على اللجوء الى اسرائيل عبثا ، بل جاء يحتمي في ظل « قانون العودة » الذي يمنح لكل شخص يهودي الحق في التوطن داخل اسرائيل وفي الحصول على الجنسية الاسرائيلية تحت ستار التأشيرة الممنوحة له بصفة « مهاجر عائد » . والقضية الثانية بقيت عرضة للجدل ، والاخذ والرد ، طيلة الشهور الماضيــة ، فلم تعمد السلطات القضائيــة الاسرائيليــة الى تسليــم كلود ليبسكــي الا بعــد ان ســارع مجلس الشيوخ الفرنسي الى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، حيث أعيد ليبسكي الى باريس في صبيحة الثالث والعشرين من آذار (مارس) ١٩٧٢ .

ولا بد لنا ، قبل الانتقال الى عرض الملابسات التي أحاطت بكل من القضيتين وما زالت تحيط بهما ــ وتنتظر القضايا المماثلة لهما ــ من التذكير بمضمون « قانون العودة » الذي أقره الكنيست الاسرائيلي في ٧ تموز (يوليو) ١٩٥٠ . فالمعروف ان البند الاول من بنود هذا القانون ينص على انه « يحق لكل يهودي المجيء الى اسرائيل بصفة مهاجر » . ثم يحدد البند التالي طبيعة تلك الهجرة على أساس التأشيرة التي تمنح لكل يهودي يعرب

عن رغبته في التوطن باسرائيل . على أن يعود لوزير الداخلية أمر البت بالطلب المقدم شريطة مراعاة الاعتبارات والتحفظات التالية : القيام بنشاط ضد الشعب اليهودي ، احتمال تشكيل الخطر على الصحة العامة او تهديد أمن البلاد وسلامتها ، الماضي الاجرامي الذي يمكنه أن يتهدد الأمن العام في البلاد(١).

والخلافات التي نشبت في اسرائيل بالنسبة لتطبيق القانون المذكور ، وادت بدورها الى قيام ازمات داخلية على صعيد التحالفات السياسية بين شتى الفئات والاحزاب ، كانت تدور في معظمها حول كيفية تفسير الصفات اللازمة لاعتبار الشخص يهوديا من زاوية الدين والقومية، على حد سواء. فالجدل المستمر داخل اسرائيل حول تعريف «اليهودي» والاجابة على سؤال « من هو اليهودي ؟ » يمت بصلة وثيقة الى قانون العودة ، مع العلم بأن النص الاصلي للقانون يتحاشى الدخول في مسألة من هذا القبيل . وقد جاءت التعديلات التي اقرها الكنيست بتاريخ العاشر من آذار (مارس) ١٩٧٠ على الصيغة الاصلية لقانون العودة — وابان نشوب أزمة متكررة الحدوث حول تعريف اليهودي — لتؤكد على الرابط العضوي بين القانون المذكور والتعريف الاسرائيلي — الصهيوني لـ « من هو اليهودي ؟ » . لذا نكتفي هنا بايراد المسائل التي استحدثتها التعديلات ، وعلى سبيل علاقتها بموضوع مقالتنا، لا سيما متى علمنا بأن لانسكي تقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية بموجب « قانون العودة » والحق الذي يمنحه هذا القانون لكل يهودي باعتبار نفسه مهاجرا عائدا الى اسرائيل . بينما أكد وزير الداخلية الاسرائيلي بتاريخ ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ ان كلود ليبسكي طلب الحصول على الجنسية له ولعائلته بموجب قانون « المهاجرين الجدد » ، لئلا يتعذر عليه أن يستفيد من قانون العودة وخوفا من عدم انطباق المعايير الرسمية لتعريف اليهودي على قضية انتمائه هو لليهودية(٢).

فالمقصود بقانون « المهاجرين الجدد » ليس الا الصيغة المعدلة لقانون العودة منذ أواسط آذار (مارس) ١٩٧٠ . والمواد التي جرى تعديلها في معرض التصديق على تعريف قديم — جديد لمن هو اليهودي تدل بوضوح على أمرين متلازمين بنظر المنطق الصهيوني لدولة اسرائيل : الامر الاول ينم عن الحرص على استرضاء الفئات والاحزاب المتدينة ، بحيث ينص التعريف « المعدل » على ما يلي : « طبقا لاغراض هذا القانون ، ان اليهودي هو المولود من أم يهودية او المهتدي الى الدين اليهودي ، والذي ليس على دين آخر » . لكن الامر الثاني يتجاوز حدود هذا التعريف وشروطه لكي يقدم التسهيلات للمهاجرين الذين يعتبرهم الشرع التلمودي غير يهود اقحاح . فقد اقر الكنيست في الوقت ذاته منح الجنسية الاسرائيلية بصورة آلية وعلى الفور لجميع أفراد الاسرة المهاجرة ، وبغض النظر عن يهودية الزوج أو الزوجة(٣). وهذا ما استند اليه ليبسكي عندما تقدم بطلب للحصول على الجنسية والحيلولة دون تسليمه الى السلطات القضائية الفرنسية .

إزاء هذه الخلفية السريعة التي يجدر بنا تذكرها في اطار القضيتين ، نستطيع الانتقال الى سرد الحقائق وابراز الوقائع بالنسبة لكل منهما . ولا غرو فان قضية لانسكي او ليبسكي ليست فريدة من نوعها بالنسبة الى احتماء المطلوبين من العدالة في ظل النص الحرفي لقانون العودة الاسرائيلي ولجوئهم الى الاستفادة من « التسهيلات » والخدمات التي يعرضها القانون المذكور على يهود العالم .

من هو ماير لانسكي ؟

مواطن يهودي اميركي ، ابصر النور في غرودنو (ماير سوخوفلانسكي) من اعمال بولونيا عام ١٩٠٢ ، وهاجر الى الولايات المتحدة لكي تقدر ثروته بعد ٦٩ عاما بما لا يقل عن ٣٠٠ مليون دولار . اعتبرته مجلة « وول ستريت » بمثابة « العبقري المالي في عالم

الاجرام » ، وسجلته بطاقات « مكتب التحقيقات الفدرالي » (« اف . بي . اي ») في جانب الاعضاء السابقين لاحدى شركات القتل المعروفة بـ Murder Inc. . ويبدو من معلومات الصحف عنه ، ومن أقواله بالذات ، ان لانسكي طويل الباع وذو ماض عريق في ميدان الجريمة والابتزاز . فالاوساط المقربة منه تطلق عليه شتى الالقاب والتسميات : « ماير الصغير » ، و« ماير البرغوث » و« جوني اغز » و« موريس ليبرمان » . والرجل الذي اختار « ميامي » لاقامته كان من أبرز الزعماء اليهود في عصابة المافيا الذائعة الصيت ، حتى ان مجلة « تايم » الاميركية نقلت عنه في معرض سردها لقصة الغلاف عن « عصابة المافيا ضد اميركا » بأنه « الساحر المالي الاكبر » داخل العصابة . ثم علقت على قوله « نحن أكبر من شركة الفولاذ الاميركية »(١٩٦٦) بقولها ان لانسكي أطلق هذا الكلام على سبيل التبجح ، بينما هو في الواقع يتمادى في تواضعه الى درجة الافراط(٤) .

ومما تجدر ملاحظته ان عراقة لانسكي في عالم الاجـرام والنشاطات المحسوبة عليه والمنسوبة اليه لم تترك للسلطات القضائية الاميركية فرصة توجيه الاتهامات الى أخذ كبار رجال العصابات او مجال ادانته . فلم يصدر بحق ماير لانسكي طيلة نصف قرن من النشاط الاجرامي سوى حكم واحد يقضي بسجنه لمدة ثلاثة أشهر لحيازته على قنبلة زمنية . وقبيل اختفائه من اميركا جرى اعتقال لانسكي في آذار (مارس) ١٩٧٠ بتهمة حيازة المخدرات من دون ترخيص ، ثم أطلق سراحه لقاء كفالة مـالية بقيمة ٥٠ الف دولار(٥) .

لكن مؤلف سيرة حياة لانسكي ــ هانك مسيك ــ يقدم التفسير التالي لاخفاق العدالة الاميركية في ملاحقة زعماء العصابات من أمثال لانسكي عن طريق لجوئها الى « السلاح السري » واتهام هؤلاء بالتهرب من دفع الضرائب والتحايل على دائرة الضريبة والدخل . يقول مسيك في كتابه عن لانسكي ما مفاده أن رجل العصابات هـو الذي « اكتشف ريتشارد نيكسون ، ذلك المحامي الشاب والطموح » . ثم يؤكد بأن كافة الاجراءات ضد لانسكي قد تم تجميدها ، بعد ان قام الرئيس نيكسون بتعيين ميتشل على رأس وزارة العدل الاميركية(٦) . ونحن ننقل هذه المعلومات من مصادرها بدون تعليق ، لكي نلاحظ أمرين :

اولا ــ في ٢٥ آذار (مارس) ١٩٧١ ، وبعد انقضاء عدة شهور على وجود لانسكي في اسرائيل ، ادين السائح الاميركي باتهامات تتعلق بنشاطات القمار غير المشروع في اوتيل فلامنغو بمدينة لاس فيغاس .

ثانيا ــ أعلن وزير العدل الاميركي بالوكالة ، ريتشارد كلايندينست ، في واشنطن خلال الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ بأن محكمة للتحقيق في ميامي وجهت الى كل من لانسكي و دينو تشلليني (البالغ ٥٧ عاما من العمر) تهمة تقديم بيانات كاذبة عـن ضريبة الدخل . وجاء في النبأ ان التهمة الموجهة الى الرجلين تتعلق بقبض حوالي ٢٠٠ الف دولار عن طريق احدى أندية القمار في لندن . كما وردت الاشارة الى اتهام لانسكي مرتين سابقتين بالتهمة اياها : التهرب من دفع الضرائب !(٧) .

ان هذه الادانات والاتهامات أخذت تتوالى بعد مغادرة لانسكي ومجيئه الى اسرائيل في صيف ١٩٧٠ بصفة سائح اميركي يهودي . ولم تتقدم السلطات الاميركية من اسرائيل بطلب تسليم لانسكي ، هذا مع العلم بوجود اتفاقية مبرمة بين البلدين لتبادل المجرمين . كما أن الدوائر المسؤولة في اسرائيل بشخص وزير الداخلية لم تتردد في تجديد اقامة لانسكي وتمديدها الا عندما امتنع الوزير يوسف بورغ بتاريخ ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩٧١ عن تمديد الاقامة للمرة السابعة . أي ان ماير لانسكي تمكن من تجديد اقامته مرات ست طيلة ١٤ شهرا قضاها في اسرائيل منذ دخوله الى البلاد كسائح . والقضية لم تنته عند

هذا الحد ، لان لانسكي بدوره أعرب عن رغبته في التوطن داخل اسرائيل وتقدم بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية . لنتابع هذه القضية من زاوية اخرى بغية تسليط الضوء على الجوانب الصهيونية والاسرائيلية منها .

السائح « المقيم »

مما لا ريب فيه ان لانسكي لم يتوجه عبثا الى اسرائيل . فقد سبقه الى هناك أحد زعماء المافيا اليهودية في نيويورك جو ستانتشر . ويعرف الجناح اليهودي في عصابة المافيا تحت اسم « كوشير نوسترا » تمييزا له عن التسمية الايطالية « كوزا نوسترا » . كما تجدر الاشارة هنا الى الخدمات المالية التي أسداها ماير لانسكي دون تباطؤ أو تقاعس بالنسبة لحملات جمع التبرعات والاموال من يهود أميركا . فقد جـاء في التحقيقات الصحفية التي كتبها المراسلون الغربيون من اسرائيل ان لانسكي « ابان وجوده في اميركا دلل على كونه من الاشخاص الذين دعموا الصندوق القومي اليهودي بكل اخلاص ، ولم تترك تبرعاته مجالا لطلب المزيد . كما انه استجاب علـى الدوام وفتح حافظة نقوده لطلبات ورغبات شتى المنظمات اليهودية في اسرائيل »(٨) .

ولدى وصول السائح الاميركي لانسكي ترافقه زوجته الثانية الى مطار اللد ، منحته السلطات تأشيرة اقامة مدتها ثلاثة شهور . فانتقل « صاحب الايادي البيضاء » الى شقة فخمة في احد الفنادق بمستعمرة هرتزليا ، ثم قام السائح بزيارة لقبور أجداده فوق منحدرات جبل الزيتون بالقدس ، وكأنه يتعمد اعطاء الدليل لمن يهمه الامر على صدق ولائه الصهيوني . وسرعان ما أخذ « السائح » يفتش عن منزل للاقامة الدائمة في احدى ضواحي تل أبيب ، فوقع نظره على شقة في العمارة التي يسكنها وزيـر المواصلات شمعون بيريز في رامات أفيف . كما بادرت الزوجة الى اقتناء سيارة ثمينة ، واستطاع لانسكي أن يشحن ما حمولته ست شاحنات من الفيللا الفخمة التي يملكها في ميامي الى اسرائيل .

لكن السلطات الاسرائيلية لم تحرك ساكنا طيلة ١٤ شهرا قضاها لانسكي في البلاد . فقد صدر أمر بالقاء القبض على لانسكي في اميركا يتعلق بتهمة العاب القمار الممنوعة (ربيع ١٩٧١) . وانتظر وزير الداخلية الاسرائيلي حتى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ لكي يمتنع عن تمديد اقامة الثري الاميركي واليهودي لمرة سابقة . بينما سارع لانسكي الى التقدم من جانبه بطلب للحصول على الجنسية الاسرائيلية ، في ظل قانون العودة واستنادا الى ماضيه في حقل التبرع المالي لحملات الجباية اليهودية . ومن الملاحظ ان الاسرائيليين — كما تقول مجلة « دير شبيغل » — تخوفوا لئلا يعمد لانسكي الى ممارسة اشغاله واعماله المعروفة انطلاقا من الشرق الاوسط . فسارعوا الى ابعاد ثلاثة مـن زملاء لانسكي ينتمون مثله الى عالم الاجرام عقب ظهورهم في تل ابيب بقصد « اجراء مباحثات مع لانسكي تتعلق بالاعمال » . وهؤلاء الثلاثة هم : بنجامين شبيغلبلوم ، برنارد روزا وجاكوب ماركوس(٩) . بينما تفيد انباء أخرى ان زملاء لانسكي لم يبارحوا مبنى المطار ، بل أعيدوا على متن أول طائرة من حيث أتوا . ومهما يكن الامر ، فان ماير لانسكي لم يبق مكتوف اليدين ازاء امتناع وزير الداخلية عن تمديد اقامته . لا بل سبق له في وقت مبكر ان تقدم بطلب الحصول على الجنسية الاسرائيلية طمعا في حمل السلطات المسؤولة على الاعتراف بحقه كيهودي في الاستفادة من قانون العودة والاحتماء خلف النص الحرفي للقانون المذكور . وعمد الى تحدي قرار وزير الداخلية متسلحا بالحق الذي يمنحه قانون العودة لكل شخص يهودي !

« تسييس » القضية

في مطلـع العام ١٩٧١ أشارت الانباء الصادرة عن اسرائيـل الى انهمـاك السلطات

المسؤولة بالبحث عن بند في قانون العودة يتيح لها فرصة ابعاد « السائح » الذي جاء يطلب حق التجنس بموجب انتمائه الى اليهودية واستنادا الى خدماته الجلى في حقول التبرع والجباية المالية . لكن بنود القانون لا يسري مفعولها على ماير لانسكي . فهو ليس مصابا بمرض يتهدد الصحة العامة ، ولا يشكل خطرا على أمن الدولة . وعندما اقدمت احدى الصحف الاسرائيلية (يديعوت احارونوت) على نشر سلسلة من المقالات عن لانسكي وماضيه الاجرامي ، وجد الهارب من قبضة العدالة فرصته الذهبية لرفع دعوى ضد الصحيفة مطالبا اياها بتعويض قدره مليون ليرة اسرائيلية لانها « مرغت سمعته الطيبة في الوحل ، واخذ الكثيرون منذ ذلك الحين يشهرون به »(١٠). فجاء رد الصحيفة يؤكد للمحكمة ان الدعوى التي تقدم بها لانسكي تنطوي على السخف ، لان سمعته سيئة بمعزل عن المقالات ولا يعقل ان تؤدي المقالات الى الحاق السوء بها .

بيد ان الدافع وراء دعوى لانسكي على صحيفة « يديعوت » ليس تغريمها بقدر ما هو « تنظيف بسجل » الرجل عن طريق محكمة اسرائيلية ، لكي يتسنى له الحصول على تمديد اقامته بواسطة وزارة الداخلية . فقد ظهر لانسكي في مقابلة تلفزيونية ليزعم انه « ضحية حملة تشن ضده » . واعلن ان هذه الحملة يرجع تاريخها الى عشر سنوات ، اذ شنها عليه الصحفيون الاميركيون ، وتحولت فيما بعد الى حملة تشهير واسعة النطاق . ثم قال « ... ولا ادري الى اي حد سوف يصل هذا الامر »(١١). وادعى انه « ضحية المناورات السياسية » . كل ذلك في سبيل اقناع المترددين بوجوب منحه الجنسية الاسرائيلية ، واخذ تبرعاته السخية للصناديق والمنظمات اليهودية بعين الاعتبار . ولم يكتف لانسكي بهذا القدر ، بل رفع قضية ضد وزارة الداخلية للحيلولة دون ابعاده ، واوكل امر الدعوى الى واحد من كبار المحامين في اسرائيل ، يورام آلروي(١٢).

وسرعان ما تمكن الثري الاميركي الذي جاء يحتمي بقانون العودة من استقطاب بعض الآراء المؤيدة لدعواه . فالانباء الواردة في اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ تقول ان وزير المالية ـ سابير ـ ووزير العدل ـ شابيرا ـ يضعان بثقلهما للحيلولة دون الاعتراف بكون لانسكي من فئة المهاجرين العائدين . وتؤكد ان وزير الداخلية الاسرائيلي ـ يوسف بورغ ـ انصاع لرغبة الزميلين وتمسك بموقفه المتصلب . لكن الاوساط المؤيدة لبقاء لانسكي سارعت بدورها الى تقديم التغطية اللازمة . فعمد الكاتب الساخر ، افرايم كيشون ، الى التعليق حول الموضوع في زاويته الاسبوعية بصحيفة « معاريف » مؤكدا ان ما قاله وزير العدل عن « انعدام الرغبة في تجميع حثالة اليهود داخل اسرائيل » هو امر يدحضه الواقع تماما . واشار الى ان التجميع غير المرغوب فيه قد حصل ، ثم راح يتحدث عن ازدهار الاجرام في اسرائيل ، مؤكدا للقراء ما يلي : « ان ماير لانسكي لا يستطيع البقاء داخل البلاد ، بسبب ما يشاع عن ماضيه السلبي . بينما يزدهر الاجرام المنظم في تل ابيب على الاقل » . وانتهى كيشون الى القول : « هل يعقل وجود عضو سابق للمافيا بين ظهرانينا ؟ ان خبراء الكسب السريع يرفعون انظارهم صوب السماء ، واسياد الرشوة في حوض البحر المتوسط يلوحون بسبابتهم محذرين ، والمدمنون على تعاطي الحشيش اصيبوا بصدمة مذهلة ، والحكومة تطلق الصوت من عليائها قائلة : يجب علينا تفسير قانون العودة وفقا لنصه الحرفي الدقيق »(١٣).

ويبدو ان كيشون لم يرفع لواء الدفاع عن لانسكي بمفرده . اذ سرعان ما تبين ان الدعوى التي تقدم بها محامي الرجل لها حظ وافر بالنجاح . ففي تشرين الاول (اكتوبر) كانت الحكومة الاسرائيلية على استعداد لحمل الكنيست على استصدار تشريع خاص ، بمثابة «قانون لانسكي» (Lex Lansky) ، بقصد الحيلولة دون « توافد المجرمين في يوم من الايام من كافة انحاء العالم على دولة اسرائيل »(١٤) (دير شبيغل ، ١١/١٠/٧١) .

معنى ذلك : السكوت عن بقاء لانسكي بحجة استصدار التشريع الكفيل بعدم اتخاذ هذه القضية كسابقة قانونية ، والسماح لزعيم الاجرام المنظم بتقديم المزيد من التبرعات والاموال ، وربما افساح المجال أمام توظيف أمواله والاستفادة من خدماته — دون ان يتنافى ذلك مع منطوق قانون العودة الاسرائيلي — الصهيوني .

فالادانة التي صدرت مؤخرا بحق ماير لانسكي في الاسبوع الاول من حزيران (يونيو) ١٩٧٢ لم تدفع السلطات الاميركية حتى الان الى المطالبة بتسليمه عملا بنصوص اتفاقية تبادل المجرمين بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان لانسكي قد استطاع خلال المدة التي انقضت على اقامته « السياحية » في اسرائيل ان يستقطب العديد من القوى وأصحاب النفوذ الى جانبه ، فضلا عن التذكير بما له من « أياد مالية بيضاء » على الصناديق القومية اليهودية .

لننتقل من لانسكي الى قضية ليبسكي ، التي شغلت السلطات القضائية الفرنسية طيلة الشهور الماضية ، وانتهت باحراج المسؤولين الاسرائيليين وحملهم على تسليم الرجل المطلوب الى سلطات بلاده .

ليبسكي يقتفي الاثر

ما ان شعر كلود ليبسكي — وهو المدير المالي لشركة عقارية فرنسية تدعى بـ "Patrimonie Foncier" — بأن القضاء الفرنسي على وشك اصدار مذكرة توقيف بحقه ، حتى بادر الى الاختفاء لكي يتبين للسلطات الباحثة عنه أن الهارب قد التجأ الى اسرائيل منذ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ . والمعروف ان التهمة الموجهة ضد كلود ليبسكي تتعلق بالاحتيال واساءة الامانة . كما يستفاد من التحقيقات التي تابعت صحيفة « لوموند » نشرها منذ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ وحتى اواخر شهر آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بأن الشركة العقارية التي يدير اعمالها المالية كلود ليبسكي ليست سوى واحدة بين مجموعة من الشركات التي تمارس مختلف الاعمال والنشاطات وتخضع كلها لادارة الرجل الهارب من وجه العدالة . والشركة ذاتها — كما كشفت التحقيقات — مسؤولة عن اختلاسات مالية تصل الى حدود الملايين وتلحق الضرر بما لا يقل عن ٨ آلاف شخص من المكتتبين في أسهمها . ثم أخذت القضية تتسع وتتشعب حتى بلغ نطاق الفضيحة حدودا تفوق التصور .

وتبين في معرض المراجعة لنشاطات ليبسكي وصفقاته المالية — على حد قول « لوموند » — انه ابتاع كميات كبيرة من مخلفات الجيش الفرنسي بعد حرب الجزائر لكي يقوم ببيعها الى كل من الجمهورية العربية المتحدة والاردن وليبيا وسوريا ويوغوسلافيا والارجنتين أو البرتغال(١٥) لكن الامر الذي يعنينا من زاوية هذه المقالة يتعلق بكيفية اقدام ليبسكي على الاستفادة بدوره من القوانين الاسرائيلية التي تفسح المجال أمام يهود العالم للحصول على الجنسية والتملص من الملاحقات القضائية في الخارج . فقد التجأ ليبسكي الى أحد أصدقائه الاسرائيليين في عسقلان ، حيث يملك مضيفه معملا لصنع الكراسي . وفي ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ ادلى بتصريح الى صحيفة « هآرتس » زاعما فيه بانه على اقتناع لوقوعه ضحية العداء للسامية(١٦) . اما السبب الذي حدا به الى اتهام السلطات القضائية التي تلاحقه بجرائم الاحتيال المالي وسوء الامانة فلا يعدو كونه محاولة للاستنجاد بقانون العودة تحت ستار الزعم بان الملاحقة تنم عن العداء لانتمائه اليهودي وبذلك يتسنى له طلب الجنسية الاسرائيلية والتمتع بالحماية والاقامة الدائمة . كما أنه يستطيع الاحتماء بالقانون الاسرائيلي الذي ينص على ما يلي : « لا يمكن تسليم اي شخص (لسلطات بلاده) متى توافرت اسباب وجيهة تحمل على الاعتقاد بانه سوف يحاكم على آرائه أو بسبب انتمائه العرقي أو الديني »(١٧) .

وعندما أحس المدافعون عن ليبسكي بسخف الذريعة التي لجأ اليها ، اذ انهم السلطات الفرنسية بملاحقته على صعيد العداء للسامية ، عمدوا الى التخفيف من هذه اللهجة واتهام الصحف بتحريف التصريحات وتفسيرها على محمل الخطأ . كما بادر ليبسكي الى الاعلان بقوله : « انا لا اعتقد بأن البوليس الفرنسي يحمل العداء للسامية » . واتجهت الانظار الى الاستعانة بمواد قانون المهاجرين الجدد ، طمعا بالحيلولة دون تطبيق المقاييس الدينية الصارمة على كلود ليبسكي بغية التأكد من يهوديته وفقا للتعريف الرسمي .

لقد زعمت السلطات الاسرائيلية ، مثلا ، ان مذكرة التوقيف الصادرة بحق ليبسكي في فرنسا تحمل تاريخ ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧١ ، وان الرجل وصل الى اسرائيل في ٢٩ منه ، قبل ان يتم تبليغها الامر عن طريق الانتربول . وحين تأكد للمحامين الذين تولوا الدفاع عن ليبسكي مغبة الادعاء بأن موكلهم هو ضحية الاضطهاد القائم على معاداة السامية ، وان السلطات الفرنسية جادة في ابرام اتفاقية تبادل المجرمين مع اسرائيل لكي تضمن الشروط الكفيلة بتسليمه الى القضاء ، عمدوا بدورهم الى الاستنجاد بقانون المهاجرين الجدد لتأمين حصول الرجل الملاحق قضائيا ، بعد ان التحقت به عائلته ، على الجنسية الاسرائيلية . ثم كان مثول ليبسكي في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أمام قاضي التحقيق الاسرائيلي في مدينة عسقلان ، لكي يطلب الهارب من وجه العدالة رفع الحظر عن مغادرته الاراضي الاسرائيلية . بينما صدر التأكيد في اليوم نفسه عن وزير الداخلية الاسرائيلي بأن ليبسكي طلب اعتباره من فئة المهاجرين الجدد وتطبيق مفعول القانون عليه وعلى زوجته واولادهما الثلاثة . لكن اشتداد المطالبة الفرنسية أدى الى حمل القاضي في عسقلان على اطلاق سراح ليبسكي لقاء كفالة مالية بقيمة ٢٥ الف ليرة اسرائيلية ، والاحتفاظ بجواز سفره لدى المحكمة بانتظار دفع الكفالة(١٨) . فاستجواب ليبسكي تم بناء على طلب السلطات القضائية الفرنسية ، والرجل الملاحق خرج من قاعة المحكمة ، كما دخلها : سائحا .

وفي العاشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ وافق البرلمان الفرنسي على معاهدة تبادل المجرمين التي بقيت معلقة منذ عام ١٩٦٠ ، بعد ان ردتها لجنة تابعة لمجلس الشيوخ . بينما أعلن ليبسكي في مقابلة اذاعية بثها راديو اسرائيل بتاريخ ١٩٧١/١١/٩ بانه كان دوما على استعداد للمثول أمام قاضي التحقيق شرط اطلاق سراحه ، بعكس ما هي عليه الحال في فرنسا . ولدى سؤاله عما ينوي فعله اذا ما جرى ابرام اتفاقية تبادل المجرمين بين فرنسا واسرائيل ، أجاب كلود ليبسكي بقوله : « سوف نرى ، لكنني آمل على أية حال في امكانية البقاء داخل اسرائيل »(١٩) . ثم راح المدافعون عن ليبسكي يبدون استغرابهم لهذا التصميم من جانب الحكومة الفرنسية على التعجيل في ابرام الاتفاقية والتقدم بطلب استرداد موكلهم . وحاول أحد المحامين الاسرائيليين الايحاء بوجود دوافع سياسية وراء الاصرار على استرداد ليبسكي مهما كان الثمن . فأدلى بتصريح الى صحيفة « هآرتس » مؤكدا فيه ان ملاحقة الرجل تتم لعوامل سياسية اكثر منها لاسباب تتسم بطابع الاحتيال المالي(٢٠) . واتضح للاوساط المعنية بملاحقة القضية ان المسألة لن تنتهي عند حد ابرام الاتفاقية ، والتقدم من الحكومة الاسرائيلية بطلب الاسترداد . بينما بادر أصحاب الاطلاع الى القول بأن الاتفاقية تنطوي على مفعول رجعي ، حتى ولو استحصل ليبسكي على الجنسية الاسرائيلية . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧١ أبرقت السلطات القضائية الفرنسية الى قيادة الشرطة في اسرائيل عن طريق الانتربول تطالبها بتوقيف « السائح » كلود ليبسكي على سبيل الاحتياط ، بانتظار وصول ملف استرداده من جديد .

ثم قررت محكمة الصلح في تل ابيب ، بتاريخ ٧١/١١/١٦ ، ترك ليبسكي يتمتع بحرية

مشروطة ، لقاء كفالة مالية قدرها ٧٥ الف ليرة اسرائيلية . فصادرت منه جواز السفر ، وطلبت منه اثبات وجوده مرة كل يومين لدى أقرب مركز للشرطة . بينما كان ليبسكي يرفض دوما الاجابة عن الاسئلة المطروحة عليه ، متذرعا بانه يفعل ذلك طالما انه يجهل محتوى الملف المتعلق بقضيته . وفي تلك الاثناء تبين ان والد ليبسكي ، موريس ، قد لحق به الى اسرائيل . واكتشف المشرفون على ملاحقة الفضيحة قضائيا بأن الاب يشغل مسؤوليات في شركتين من الشركات التابعة في رأسمالها الى كلود ليبسكي . فهو يشرف على « مؤسسات ليبسكي » عبر شركة تابعة للاسرة وتقوم على تعاطي تجارة المواد المعدنية المستعملة ، ولا سيما شراء مخلفات الجيش الفرنسي غداة انتهاء حرب الجزائر . وهذه الشركة يديرها ابنه كلود . كما هناك شركة اخرى مغفلة ، انشئت عام ١٩٦٥ برأسمال صاحبه كلود ليبسكي ، لبيع مواد البناء ومواقع الاشغال العامة(٢١) .

المماطلة وكسب الوقت

لجأ كلود ليبسكي بمساعدة محاميه في اسرائيل الى حيلة أخرى لاحباط طلب استرداده من جانب السلطات القضائية الفرنسية . فتقدم من محكمة العدل العليا باسرائيل طالبا تقديمه للمحاكمة أمام محكمة اسرائيلية قبل اتخاذ قرار بتسليمه الى القضاء الفرنسي . لكن المحكمة العليا رفضت هذا الطلب في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٧٢ ، وأشارت الى كون قرارات التسليم هي من صلاحية وزير العدل الاسرائيلي . فهو الذي يستطيع ارسال ملف القضية الى محكمة محلية مرفقا بطلب الاسترداد . واتخاذ القرار يرجع الى مثل هذه المحكمة بالذات . بينما يستطيع ليبسكي ان يستأنف قضيته أمام محكمة العدل العليا .

هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، بادرت الجمعية الاسرائيلية لمكافحي النازية الى اتهام المحامي الفرنسي الذي يدافع عن ليبسكي بالتعاون مع النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ومع حكومة فيشي . كما اتهمته بالعمل في حقل الدعاية المناوئة للسامية ، وتأليف كتاب عن اليهود بعنوان « الوضع العام والخاص لليهود في فرنسا » ، يؤيد فيه تطبيق القوانين النازية ضد اليهود في فرنسا . وطالبت الشرطة الاسرائيلية باعتقال المحامي الفرنسي لدى وصوله الى اسرائيل واحالته الى القضاء(٢٢) . مما أدى الى تخلي المحامي عن القيام بمهمة الدفاع عن موكله ، واعلانه ان القرار الذي اتخذه بالتخلي هو في مصلحة كلود ليبسكي . وهكذا تولى القضية عدد من المحامين الاسرائيليين .

لكن الضغوط الفرنسية وافتضاح امر القضية على صفحات الجرائد في كافة انحاء العالم حالت بدورها دون المضي في الارجاء والتسويف والمماطلة . ففي صبيحة السابع عشر من شباط (فبراير) ١٩٧٢ أمرت محكمة تل ابيب باعتقال كلود ليبسكي واعطته مهلة ٢٤ ساعة لاستئناف دعواه امام محكمة العدل العليا . وجاء هذا القرار نظرا لجلسة المحكمة التي سوف تخصص للنظر في طلب الاسترداد من جانب الحكومة الفرنسية ، ولئلا يستفيد ليبسكي من اطلاق سراحه للاختفاء والفرار . كما رفض القاضي استئناف محامي ليبسكي بالامتناع عن توقيفه بناء على وعد قطعه بعدم مغادرة البلاد . وابلغ ليبسكي ان باستطاعته اختصار الاجراءات لو اقدم على الرجوع الى فرنسا بملء ارادته .

بيد ان المحامي الاسرائيلي اخبر المحكمة ان موكله لا ينوي التهرب من المثول امام القانون أو الهرب من البلاد . فهو على استعداد للوقوف امام قوس المحكمة ، لكنه يخشى الا ينال محاكمة عادلة في فرنسا ، بسبب « اعتبارات سياسية ودينية وعرقية »(٢٣) . ورد النائب العام على مطالعة محامي الدفاع برفض الادعاء القائل ان ملاحقة ليبسكي في فرنسا تتم لاسباب سياسية ، مؤكدا ان الرجل لم يأت الى اسرائيل بحثا عن اللجوء السياسي . ثم اعلن أخيرا بأن كلود ليبسكي ليس مطلوبا في فرنسا لكونه يهوديا ، بل

هو ملاحق بتهمة الاحتيال على ٨٦٥٠٠ شخص بملايين الفرنكات(٢٤).

ثم عمدت محكمة العدل العليا في اسرائيل الى رفض الاستئناف الذي تقدم به محامي ليبسكي ، واخبرته بأن وزير العدل يملك الصلاحيات الكاملة لاصدار امر بمثوله امام محكمة محلية لمتابعة استجوابات الاسترداد . ولم تأخذ بادعاء المحامي القائل ان موكله يعتبر اصله اليهودي بمثابة الدافع الرئيسي وراء ملاحقة العدالة الفرنسية له . فقد درج كلود ليبسكي على « اشتراط » المعاملة بالمثل لكي يبادر على الفور الى مواجهة القضاء الفرنسي .

وفي مطلع آذار (مارس) ١٩٧٢ بعث ليبسكي برسالة الى لجنة الدفاع عن قضيته يقول فيها « ان الوضع الاقتصادي للشركة العقارية ــ المالية لحظة قيام الحملة الصحفية المغرضة التي وجهتها وزارة المالية الفرنسية ، كان على خير ما يرام » . كما تعهد بتسديد الاموال الموضوعة تحت عهدته بالامانة « فرنكا فرنكا » . بينما سارع محامي ليبسكي الى ابلاغ المحكمة الاسرائيلية ان موكله يرغب في اتمام معاملات استرداده لكي يعود الى فرنسا « من تلقاء نفسه » ويواجه التحقيقات ، بقصد انقاذ سمعته وتنظيف سجله ! وصرح المحامي اياه أمام بعض المراسلين بأن التخلي عن معارضة الاسترداد لا يعني مطلقا اقرار المتهم بذنبه . فالسيد ليبسكي ينوي تقديم الدليل على براءته في فرنسا . فما كان من وزير العدل الاسرائيلي الا التوقيع على طلب التسليم بتاريخ ٢١ آذار (مارس) ١٩٧٢ ، بانتظار وصول بعثة الشرطة القضائية الفرنسية التي رافقت ليبسكي الى باريس صبيحة يوم الخميس في ٢٣ آذار (مارس) من هذا العام . ومن عجيب المفارقات ان كلود ليبسكي لم يشأ الا الاعلان عقب استرداده من جانب السلطات الفرنسية « بانني لم أهرب مطلقا من وجه العدالة في بلادي » .

ان القضيتين المعروضتين فيما تقدم هما على سبيل المثال فحسب . اذ سبقتهما عدة قضايا مماثلة طيلة السنوات التي انقضت في ظل قانون العودة الاسرائيلي . فالسلطات المسؤولة في اسرائيل قد تعترف أحيانا بوجود ثغرات في « سياج » القانون المذكور ، لكن هذا الاعتراف لا يمنع من تشجيع كل شخص ينتمي الى الدين اليهودي في شتى انحاء العالم لحمله على الاستفادة من الامتيازات التي يمنحه اياها قانون العودة الصهيوني . خاصة متى كان الشخص الذي ينشد الاحتماء في كنف هذا القانون قادما من الولايات المتحدة الاميركية ، ويحمل معه ما فيه الكفاية من الاموال ، بالاضافة الى ماضيه ــ ليس في ميدان الجريمة ــ بل في حقل الاريحية اليهودية والتبرع دونما تردد لكافة الصناديق الصهيونية .

فالاشخاص الهاربون من وجه العدالة في بلادهم ، متى كانوا ينتمون الى الديانة اليهودية ، باستطاعتهم اللجوء الى حمى ذلك القانون والاستفادة من امتيازاته . ومن الصعب رد طلبهم بناء على الاعتبارات التي يشترطها القانون في بنوده وينيطها بوزير الداخلية . فرئيس عصابات الاجرام المنظم ، وصاحب الصيت الذائع ، ماير لانسكي ــ مثلا ــ يتحين الفرصة للتقدم بدعوى ضد صحيفة ما متهما اياها بتحقيره والتشهير باسمه ، لا لشيء الا لكي يستحصل على « براءة » من المحكمة في اسرائيل تؤهله للتبجح بسجله النظيف وتفتح أمامه ابواب الجنسية والاقامة الدائمة . وكلود ليبسكي يحاول الضرب على وتر العداء للسامية ، زاعما ان السلطات القضائية الفرنسية تلاحقه لاسباب تتعلق بأصله اليهودي ، وليس لمحاكمته على ما ارتكبه من الاحتيال وسوء الامانة بأموال الغير ، والبالغ عددهم ٨٦٥٠٠ مكتتب .

فالقضيتان الوارد ذكرهما أعلاه ــ قضية لانسكي وقضية ليبسكي ــ تظهران احدى النواحي البارزة في قانون العودة الاسرائيلي ، كما في قانون المهاجرين الجدد (١٩٧٠)

الذي جرى التصديق عليه كجزء من التعديلات التي ادخلها الكنيست على تعريف من هو اليهودي . وفي الحالتين — حالة التشدد والتمسك بالتعريف الشرعي للتهود ، وحالة التساهل مع المهاجرين الجدد لتشجيعهم على القدوم والاستفادة من « امتيازات » قانون العودة — نجد المجال رحبا أمام الفارين من وجه العدالة وأصحاب السوابق في عالم الاجرام ، متى كانوا ينتمون الى الدين اليهودي — سواء كان انتماؤهم لجهة الأب أو الام . ولا سيما متى بادر هؤلاء الى الاعراب عن ولائهم الصهيوني بواسطة السخاء في التبرع واستطاعوا استقطاب بعض القوى السياسية في اسرائيل الى جانبهم . فالمعروف ، مثلا ان « عصبة الدفاع اليهودية » التي يتزعمها الحاخام مئير كاهانا تقيم علاقات تعاون وثيق مع الهيئات الايطالية — الاميركية التابعة لعصابة المافيا . وتتلقى عصبة كاهانا في اسرائيل الدعم السياسي من جانب حركة « حيروت » وكتلة « غاحل » . مما يتيح المجال لتأمين عملية استقطاب على الصعيد الداخلي الاسرائيلي وضمان الحماية الكافية لكل شخص يستنجد بقانون العودة على غرار ما فعله ماير لانسكي . والسلطات الاسرائيلية لا تقع في الاحراج الا عندما تصر الدولة التي تلاحق الشخص على المطالبة بتسليمه واسترداده — رغم كل العراقيل والاساليب التي يبرع فيها المحامون الاسرائيليون أيما براعة بغية المماطلة والتأجيل ، طمعا في العثور على ثغرة يمكن النفاذ منها الى حمى « العودة » وظل « الجنسية » الممنوحة بصورة آلية لكل يهودي يعرب عن رغبته في اعتبار نفسه مهاجرا عائدا !

---

١ — انظر المصدر التالي :
H. E. Baker, *Legal System of Israel*, (Israel University Press, 1968), p. 39.

٢ — راجع صحيفة **لوموند** ١٩٧١/١١/٦ .

٣ — الملحق الاسبوعي لصحيفة **الجيروسالم بوست** (رقم ٤٩٠) ، ١٩٧٠/٣/١٦ .

٤ — مجلة **تايم** الاميركية ، ٢٢ اب (اغسطس) ، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .

٥ — انظر **دير شبيغل** ، عدد ٤٣ ، ١٠/١١/ ١٩٧١ ، ص ١٦١ .

٦ — نقلا عن **المصدر نفسه** .

٧ — راجع **الانترناشيونال هيرالد تريبيون** ، ١٩٧٢/٦/٨ . و **سود دويتشه تزايتونغ** (العدد ١٢٩) والتاريخ نفسه .

٨ — انظر المقالة التي بعث بها من اسرائيل مراسل صحيفة **سود دويتشه تزايتونغ** تحت عنوان « زعيم المافيا لا يهدأ له بال » ، بتاريخ ٢٥/٢٦ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ (العدد ٢٣٠) .

٩ — دير شبيغل ، **المصدر نفسه** .

١٠ — راجع صحيفة **سود دويتشه تزايتونغ** ، العدد ١٦٧ ، في ١٤ تموز (يوليو) ، ١٩٧١ .

١١ — **المصدر نفسه** ، ٦ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٧١ — العدد ٢١٣ .

١٢ — دير شبيغل ، **المصدر السابق** .

١٣ — **سود دويتشه تزايتونغ** ، ٢٥ — ٩/٢٦/ ١٩٧١ .

١٤ — دير شبيغل ، **المصدر السابق** .

١٥ — انظر **لوموند** ، ١٩٧١/١١/٢٦ .

١٦ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/١٠/١٩ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧١/١١/١٢ .

١٨ — **لوموند** ، ٧١/١١/٦ .

١٩ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١١/١١ .

٢٠ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١١/١٢ .

٢١ — **المصدر نفسه** ، ٧١/١٢/١٨ ، ص ١٥ .

٢٢ — **المصدر نفسه** ، ١٩٧٢/٢/١٥ ، ص ١٨ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ٢٠ — ٧٢/٢/٢١ ، ص ١٤ . وانظر ايضا **الدايلي ستار** ، ١٩ شباط (فبراير) ١٩٧٢ .

٢٤ — الدايلي ستار ، **المصدر السابق** .

القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

مايكل جانسن

هناك ثلاثة قرارات لاربعة رؤساء اميركيين مختلفين شكلت الاساس لاكثر من خمسين عاما من سياسة الولايات المتحدة تجاه المسألة الفلسطينية ، وقد وضعت هذه القرارات الرئيسية ، التي اتخذها ثلاثة رؤساء ديمقراطيين « متحررين » ورئيس جمهوري محافظ، اسس الدولة الصهيونية في فلسطين ، وحددت علاقتها باليهود المقيمين في مختلف انحاء العالم ، ومكنت الدولة الصهيونية من امتلاك السطوة العسكرية في الشرق الاوسط .

وقد اتخذ الرئيس ولسون عام ١٩١٧ اول وأهم هذه القرارات الاميركية الرئاسية الثلاثة. ولا يذكر ودرو ولسون بسبب عمله هذا تجاه القضية الفلسطينية بل يعتبر ، على العكس ، محررا عظيما للشعوب . فلقد كان ولسون هو الذي ارسى مبدأ حق تقرير المصير لشعوب الامبراطوريتين المنحلتين : النمساوية ــ الهنجارية ، والعثمانية . ومع ذلك وافق ولسون فيما بعد على الاقتراح القائل بان قاعدة حق تقرير المصير يجب ان لا تطبق على فلسطين . لقد قرر ولسون ان فلسطين يجب ان تعطى لليهود الذين كانوا يشكلون آنذاك اقل من عشرة بالمائة فقط من مجموع سكان البلاد .

واتخذ القرار الثاني فرانكلين دي. روزفلت عندما حث الحكومة البريطانية عام ١٩٤٣ ــ وهي السلطة في فلسطين آنذاك ــ على ان تسمح بدخول مائة الف لاجىء يهودي الى فلسطين . وكان هؤلاء هم مائة الف اللاجىء انفسهم الذين سبق ان رفض دخولهم الى الولايات المتحدة . وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين اليهود الاوروبيين بمستقبل فلسطين مصادقا بذلك على الادعاء الصهيوني بأن يحتفظ بفلسطين كملجأ نهائي ليهود العالم .

واتخذ الرئيسان هاري اس. ترومان ودوايت دي. ايزنهاور القرار الرئيسي الثالث . وعلى عكس الاعتقاد الشائع ، لم يكن ترومان هو الرئيس الاميركي الذي لعب الدور الاهم في تأسيس اسرائيل ، كما لم يكن قراره الرئيسي هو الاعتراف الفوري باسرائيل ، الدولة الصهيونية المعلنة ذاتيا في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ . لقد كان قرار ترومان الحقيقي هو ان الولايات المتحدة لن ترسل قوات اميركية مسلحة لمساعدة الصهيونيين على انشاء دولتهم في فلسطين ، وهو قرار لا يعتبر مؤيدا للصهيونية على الاطلاق . ولكن هذا لم يكن الا القسم الاول من القرار الاميركي الرئاسي الثالث . فقد اتخذ الرئيس ايزنهاور ، وهو المعتبر « صديق » العرب ، بسبب موقفه المعارض للعدوان الانجلو فرنسي ــ الاسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦ ، القسم الثاني المؤيد للصهيونية من القرار . فان الرئيس ايزنهاور ، بسبب عدم مقدرته على تزويد اسرائيل بضمانة لعون عسكري مباشر في حالة هجوم عربي على الدولة الصهيونية ، قرر عام ١٩٥٧ أن يزود اسرائيل بمعونة عسكرية لها وزنها بقصد اقامة عدم توازن استراتيجي في القوات لصالح اسرائيل في الشرق الاوسط . ان مثل هذا التفوق العسكري الاسرائيلي المسبق سوف يوفر الحاجة لعون اميركي عسكري مباشر ، ويجنب الرئيس الاميركي الصعوبات التي قد يخلقها

التدخل ، وخاصة منذ التجربة الفيتنامية .

لقد انبثق اول التزام للولايات المتحدة بالقضية الصهيونيــة في فلسطين اثر اتفاق بــين شخصيات اميركية مهمة شعرت ان السياسة يجب ان تبنى على تقدير موضوعي لمصالح بلادهم في الشرق الاوسط وبين صهيونيين (نافذين) قدموا رغبتهم في الدولة اليهوديـة على مصالح الولايات المتحدة. وهذه كانت القضية التي كان مسؤولا عنها ودرو ولسون. في حالة القرار الثاني الذي اتخذه فرانكلين روزفلت ، لم يكن هناك خلاف بين الصهيونيين والقوميين الاميركيين . ولكن الصهيونيين حصلوا في هذه المرة على ما يريدون ايضـا . واما في حالة القرار الثالث الذي اتخذه على خطوتين كل من ترومان وايزنهاور ، فيمكن القول ان الحالة السياسية الاميركية الداخلية (الرغبة في عدم التورط بحروب اجنبية) ، والالتزامات الرئاسية السابقة نحو الصهيونيــين هي التي قادت الى سياسة التفـوق العسكري الاسرائيلي .

وسوف تتفحص هذه الدراسة تلك القرارات ونتائجها . كما ستحاول ان توضح مفاهيم خاطئة شائعة للالتزام الاميركي باسرائيل ــ وخـاصة فيما يتعلق بالانحيـاز الاميركي الاولي للبرنامج الصهيوني في فلسطين ، والدور الحاكم لودرو ولسون الذي دشن خط الرؤساء روزفلت وترومان وايزنهاور ، بالاضافــة الى السياسة الاميركية الكلية التي نجمت عن ذلك ازاء فلسطين .

ولسون وسياسة الوطن القومي اليهودي

لقد انبثق القرار الحاسم للرئيس ولسون عن الاذعان للقوى المحيطة به لا عن ايمـان راسخ بخط معين للعمل . وحدث ذلك لان ولسون لم يكن في الواقع قائدا ديناميكيا لانه لم يكن مهتما بالعالم العربي ، ولانه كان ملتزما التزاما شخصيا عميقا تجـاه صهيوني فعال . لقد كان قرار ولسون الرئيسي يتألف في الحقيقة من ثلاثة قرارات اقل اهميـة كانت جميعها نتيجة لاذعان الرئيس المسالم .

كان قرار ولسون الاول ان يحدد كونه هو نفسه ــ والولايات المتحدة ــ في جانب تصريح الحكومة البريطانية الذي يحبذ اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين . ولم يتخذ الرئيس هذا القرار الا بعد تدخل احد مستشاريه الحميمين ، عضو المحكمة العليا القاضي لويس برانديس الذي كان صهيونيا متألقـا(١). ولقد كانت مساهمة برانديس بـدور فعال في الحركة الصهيونية مواكبة زمنيا لالتزامه بالحملة الرئاسية لولسون في العـام ١٩١٢ . وهكذا ارتبط برانديس ، الذي كان آنئذ محاميا لامعا و « ليبراليا » ومصلحـا اجتماعيا معروفا ، بولسون لزمن طويل بعد ذلك . يقول كريستوفر سايكس في كتابه « دراستان في الفضيلة »(٢) ان « ولسون كان مرتبطا مع برانديس بروابط وثيقة جدا لان مستقبـل الرئيس في اولى ايامه كان ، كما يروى ، قد انقذ على يدي برانديس وذلك بتلافي ظهوره بثوب محامـاة ممزق . وقد قبــل ان ولسون كان يعتبر برانديس الرجـل الذين لــه بمستقبله » . وقوبل تعيين ولسون لبرانديس كعضو في حكومته الاولى بمعارضة شديدة الى الحد الذي اضطر الرئيس الى سحب اسمه ، ولكن ولسون نجح عام ١٩١٦ في تأمين مقعد لبرانديس في المحكمة العليا ، وكان برانديس آنذاك هو رئيس اتحاد الصهيونيين الاميركيين .

في هذه الفترة كان الصهيونيون البريطانيون بزعامة وايزمن يتطلعون الى الولايات المتحدة والتجمع اليهودي الاميركي طلبا للمساعدة. فقد كان وايزمن قد حصل على رد فعل ايجابي للاقتراح المطروح آنذاك امام الحكومة البريطانيــة بصدد تعاون صهيوني ــ انجليزي يستهدف اقامة وطن يهودي في فلسطين . وكان وايزمن يحتاج الى دعم سيادة بريطانيه على فلسطين ليصبح البرنامج الصهيوني ممكن التنفيذ . كان وايزمن على اتصال مستمر

مع براندیس الذي كان يمكن باعتقاده ، وثبتت صحة ذلك فيما بعد ، ان يكون ذا نفوذ عظيم في الولايات المتحدة. ولم تكن وزارة الخارجية ووزيرها يؤيدان البرنامج الصهيوني، كما ان الرئيس رغم كونه « متعاطفا بشكل مبهم » لم يظهر « اي ميل لفرض نفسه» لجانب مصلحة الصهيونيين . في الثامن من نيسان (ابريل) ١٩١٧ كتب وايزمن الى براندیس طالبا منه ومن « سادة اخرين متصلين بالحكومة تصريحا مؤيدا لفلسطين يهودية تحت حماية بريطانيه » الامر الذي « سوف يقوي قبضتنا الى حد بعيد »(٣). وفي الثاني والعشرين من نيسان (ابريل) ١٩١٧ وصل وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور الى واشنطن . وخلال هذه الزيارة اجرى بلفور عدة محادثات مع براندیس اثرت على تقوية قرار بلفور بمساعدة الصهيونيين من جهة ، وعلى اقتناع براندیس بتنمية التحالف الصهيوني ــ الانجليزي في اميركه من جهة اخرى . وفي اوائل ايار (مايو) ابرق براندیس الى لندن بموافقته على البرنامج الصهيوني ، وتباحث مع الرئيس ولسون مرتين حول الموضوع خلال ذلك الشهر ، كما قدم نسخة من البرنامج الصهيوني الى وزارة الخارجية .

ولكن اهتمام ولسون بالصهيونية لم يكن قويا بما يكفي لدفعه لاتخاذ اية خطوات رغم ان ذلك لم يعن اطلاقا انه كان لا مباليا سواء ازاء مصير التجمع اليهودي الفلسطيني او تجاه التأثير الصهيوني بين اليهود الاميركيين . فقد كانت الولايات المتحدة قد ورطت نفسها في الواقع بشكل مباشر ، ولو عن بعد ، في حياة الطائفة اليهودية الفلسطينية الصغيرة عام ١٩١٤ حين طلب اليهود الفلسطينيون الحماية من المسؤولين القنصليين الاميركيين لان الولايات المتحدة غير مشتركة في الحرب . ثم عممت المساعدات السياسية لولسون ، خلال معركة الرئاسة لعام ١٩١٦ ، اهتمام الرئيس بالطائفة اليهودية الفلسطينية فوجه ، لاول مرة ، نداء الى الناخبين اليهود على اساس اهتمامهم المفترض بالصهيونية . وفي هذه الانتخابات ادخل ما يسمى بـ « التصويت اليهودي » في السياسات الاميركية الداخلية(٤).

في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ استطلعت الحكومة البريطانية وجهات نظر ولسون بخصوص نية بريطانيه في ايجاد تعاون انجلو ــ صهيوني في فلسطين . وكان رد فعل ولسون باردا . ويعتقد ليونارد شتاين ، وهو المرجع الاساسي حول تصريح بلفور ، انه من المحتمل ان براندیس لم يعلم بالتوجه الاول لولسون . ولكن من المؤكد انه لم يكن مطلعا فقط بل وضالعا ايضا في التوجه الثاني من قبل الحكومة البريطانية لولسون بعد بضعة اسابيع . في هذه المرة لم يذهب براندیس الى ولسون بل الى اقرب مستشاريه، الكولونيل هاوس ، وهو الذي كان ولسون قد تباحث معه قبل ان يرسل رده على الاستمزاج البريطاني الاول . وقد كان رد فعل ولسون ، الذي ارسل بواسطة هاوس ، ايجابيا هذه المرة . ومن الواضح ان براندیس قد اقنع هاوس ان تغييرا حقيقيا بالنسبة للاقتراح البريطاني سيكون عملا لصالح الرئيس سياسيا . ومن المثير ان نلاحظ ان الرئيس لم يقم بالاتصال الثاني مباشرة بل تم من خلال مستشاره . ولعل ولسون لم يكن سعيدا تماما بوجهات نظره الثانية . ويعتقد ليونارد شتاين ان رد الفعل الثاني لولسون كان حاسما الى درجة انه كان من المحتمل ان لا يصدر تصريح بلفور اطلاقا فيما لو حافظ ولسون على عدائه الاصلي للاقتراح .

في الثاني من نوفمبر ١٩١٧ كتب بلفور الى لورد روتشيلد الذي كان يمثل الاتحاد الصهيوني البريطاني قائلا ان الحكومة البريطانية تنظر « بعين العطف الى اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين » واعدا ان الحكومة البريطانية سوف « تبذل افضل جهودها لتسهيل هذه الغاية » . هذه الرسالة التي اصبحت تعرف بـ « تصريح بلفور » كانت حجر الاساس للدولة الصهيونية في فلسطين . وبناء على ذلك فان ودرو ولسون

يتحمل قسطا من المسؤولية في تأسيس هذه الدولة . كذلك فان دور برانديس يجب ان لا ينسى . ان الطريقة التي خاطب بها الصهيونيون البريطانيون القاضي برانديس ، وهو الذي لم يكن مقتنعا تماما بصواب التحالف الانجلو ــ صهيوني ، اكتسبته الى جانب وجهة نظرهم ، واقنعته باستخدام نفوذه لدى ولسون . ولقد كانت تلك الطريقة مقياسا لحسن تصرفهم وصواب محاكمتهم للامور . ومنذ ذلك الوقت اصبح برانديس « رجل الظل » الذي كان يبقي ولسون امينا لخطه الموالي للصهيونية حيثما كان الرئيس يبدو مترددا .

لم يتخذ ولسون اثر موافقته على تصريح بلفور في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ اية خطوة لجعل دعمه للبرنامج الصهيوني علنيا . وعلى المرء ان يتذكر ان التصريح كان في الواقع تفاهما عقد سرا بين الحكومة البريطانية والاتحاد الصهيوني الانجليزي (نشر الصهيونيون نص التصريح في ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧) . وقد وردت اول اشارة الى ان بريطانيه قد حصلت على موافقة الحلفاء على التصريح في البرلمان البريطاني في ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٧ وذلك حين سئل وزير الخارجية « فيما اذا كان هناك اتفاق [على سياسة التصريح] » بحيث يكون الحلفاء « عاملين معا في القضية » . وقد اجاب بلفور « اجل ، اننا نعمل باتفاق كامل »(٦) . ومع ذلك ، اعتبر الصهيونيون الاميركيون احجام ولسون عن ان يعلن وتوقفه علنا مع المشروع الانجلو ــ صهيوني مخيبا جدا للامال حقا ، وضغطوا عليه من اجل تصريح علني .

في ١٣ كانون الاول (ديسمبر) وجه وزير الخارجية لانسنغ رسالة الى الرئيس طالبا منه أن يتحاشى اي التزام علني نحو الصهيونيين . وقد كانت حجة وزير الخارجية ان الولايات المتحدة « لم تكن في حرب مع تركيه ، ولذا يجب ان تتحاشى اي مظهر للاستيلاء على قطعة من تلك الامبراطورية بالقوة . . . وليس اليهود ، بأية حال ، متحدين في رغبتهم لاعادة بناء جنسهم كشعب مستقل » ، كما ان « كثيرا من المذاهب المسيحية والافراد » سوف يعارضون اقامة وطن يهودي في فلسطين . واختتم لانسنغ رسالته بقوله « لست اظن اننا يجب ان نعطي اي سبب اخر غير السبب الاول ذلك انه يشكل اساسا كافيا لرفض اعلان اية سياسة بخصوص التخلي النهائي عن فلسطين » . واستنادا الى لانسنغ فان الرئيس اجاب على رسالته شفهيا في اجتماع لمجلس الوزراء في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) « قائلا انه مضطر ضد ارادته تماما لان يوافقني . ولكنه قال ان لديه انطباعا بانه قد وافق على التصريح البريطاني بخصوص اعادة فلسطين الى اليهود »(٧) . ويستطيع المرء ان يستنتج من هذا الحوار ان التزام ولسون بالصهيونيين لم يكن راسخا او قلبيا ، اذ انه كان مستعدا للموافقة مع لانسنغ على نصيحته بخصوص مسألة التصريح العلني حول القضية . وقد يكون ولسون قد عمل فعلا بنصيحة لانسنغ بهذا الشأن اذ انه اخر التصريح العلني بتأييده للبرنامج الانجلو ــ صهيوني مدة تسعة اشهر اخرى . وفي هذه الفترة من الموافقة السرية والصمت العلني اعلن ولسون مبادئه الشهيرة التي قامت عليها التسوية السلمية .

لقد صنع الرئيس شهرته الدولية في ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ حين قدم الى الكونجرس الاميركي « نقاطه الاربع عشرة » التي رفض فيها حق الحصول على المكاسب الاقليمية ، وادان عقد الاتفاقات السرية ، واعلن مبدأ حق تقرير المصير للشعوب . وقد نصت النقطة ١٢ بالتحديد على ان « القوميات غير التركية » للامبراطورية العثمانية يجب ان يضمن لها « فرصة كاملة غير منقوصة للتطور المستقل » . وفي خطاب موجه في ١١ كانون الثاني (يناير) قال الرئيس ان « الشعوب والاراضي لا يجوز ان تنتقل بالمقايضة من سيادة لاخرى كما لو كانت مجرد اثاث او احجار في لعبة حتى لو كانت اللعبة الكبيرة لتوازن القوى التي اصبحت شائنة الان . . بل على العكس ، فان كل

تسوية اقليمية تتعلق بالحرب يجب ان تكون لمصلحة السكان ذوي العلاقة وفائدتهم »(٨). وفي خطاب ثالث في « ماونت فرنون » في ٤ شباط (فبراير) ، نادى ولسون بتسوية سلمية مبنية على « القبول الحر للشعوب ذات العلاقة » مطبقا هذه القاعدة من مبدأ حق تقرير المصير على الشرق الاوسط كما على اوروبه(٩). وقد وعد الحلفاء بجعل مبادىء ولسون اساس التسوية .

ويصف ارنولد توينبي مكانة ولسون في اوروبه في ذلك الوقت بانها « مذهلة » ، واعتبرها « مقياسا لامال عالمنا »(١٠). اما شعوب العالم العربي التي كانت تنتظر مكافأتها الموعودة بالاستقلال مقابل القتال بجانب البريطانيين ضد تركيه ، فقد كانت تطفح حماسا وأملا بقدر شعوب اوروبه تماما . وهكذا سيطرت شخصية رئيس المدرسة السابق على مؤتمر باريس للسلام الذي افتتح في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . لقد كان لكلماته صدى عالمي وقوة ادبية وسياسية مهمة ، كما كان له تأثير كامن عظيم على نتائج محادثات باريس . ويمكن ان يثار ان ولسون ربما شعر ان التجاوب الحماسي العام مع نقاطه الاربع عشرة سيجرف جانبا المطالب القومية الضيقة للقوى الاوروبية المتحالفة في المناطق السابقة من الامبراطورية العثمانية ، كما سيجرف كذلك المطالب المتضاربة للرعايا العثمانيين السابقين بدول مستقلة . ولكن كلا من الحلفاء والوطنيين استغل تلك السنة ما بين اعلان النقاط الاربع عشرة وافتتاح مؤتمر السلام للبحث عن سند لادعاءاتهم ومطالبهم . ومن الحقائق الثابتة ان ولسون قد اذعن لتحركات مجموعتين من الاقليات هما : الارمن واليهود . وهكذا لعب ودرو ولسون ، وهو الاب الروحي لتقرير المصير ، دورا اساسيا في انكار حق تقرير المصير بالنسبة لغالبية الشعوب في المناطق التي ادعاها الارمن واليهود الصهيونيون .

لقد كان ولسون مهتما شخصيا بالقضية الارمنية ، وقليل من الاقناع كان كافيا لكسب دعمه لانشاء ارمينيا مستقلة في مساحة واسعة من الاناضول . اما الصهيونيون فقد كانت امامهم مهمة اصعب . وكانت هذه المهمة بالنسبة لهم مهمة عاجلة ذلك انهم ارادوا القبض على زمام الحالة قبل انعقاد مؤتمر السلام . ويبدو انهم قد ذعروا بشكل خاص من التقارير القائلة بان هيأة اميركية يهودية غير صهيونية قد اقامها هنري مورجنتو سفير الولايات المتحدة السابق الى تركيه ويهود اميركيون نافذون آخرون . وقد سعى ستيفان وايز رئيس اللجنة الاميركية المؤقتة للشؤون الصهيونية العامة (سابقا اتحاد الصهيونيين الاميركيين الذي خلف براندیس الذي استقال اثر تعيينه في المحكمة العليا واصبح رئيسا فخريا) الى استباق امتلاك المعادين للصهيونية ، وقام بتوجهات مبكرة نحو الرئيس . في ٢٧ اب (اغسطس) ١٩١٨ اجتمع وايز الى ولسون وتبع اللقاء تبادل رسائل . وقد حاول وايز ان يطمئن ولسون مذكرا اياه بان برنامج بازل الصهيوني « لا يتضمن اية اشارة الى طبيعة السيادة التي قد يوكل لها الامر » . وقال « ان تصريح بلفور كان بدوره صامتا حول هذه الناحية ، وهو لا يتضمن اي تحد للسيادة الراهنة بل يترك ذلك ليتقرر حول مائدة السلام »(١١). واذا اعتبرنا ان الصهيونيين قد شعروا انهم كانوا يملكون وعدا ثابتا بأرض في فلسطين ، فان وايز كان يحاول طمأنة ولسون بان شيئا لا يقف في طريق المناقشة والعمل بحرية في مؤتمر السلام لبحث مسألة السيادة لا مسألة تقرير المصير على الاقل ، ذلك ان تصريح بلفور واذعان ولسون كانا قد انهيا هذه القضية .

وقد رد ولسون على وايز برسالة بتاريخ ٣٠ اب (اغسطس) تحاشى فيها بدقة فائقة اي التزام رسمي لحكومة الولايات المتحدة بالبرنامج الانجلو ـ صهيوني ، ولكنه أعطى الصهيونيين تأكيدات عن « رضاه » الشخصي بشأن « تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة وبلدان الحلفاء منذ تصريح السيد بلفور بالنيابة عن الحكومة

البريطانية »(١٢) . وفي ليلة مؤتمر السلام نفسها في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، سعى الصهيونيون للحصول على تأكيدات نهائية من ولسون . وقد استقبل الرئيس وايزمن الذي انصرف من المقابلة مدركا ان الصهيونيين قد حازوا مساندته الشخصية(١٣).

لقد حاول ولسون دوما في تعامله مع القادة الصهيونيين ان يؤكد ان تأييده لقضيتهم كان تأييدا شخصيا بحتا ، وان مثل هذا الدعم لا يلزم حكومة الولايات المتحدة ، باي شكل من الاشكال ، بسياسة معينة . وكان موقف ولسون هذا ساذجا ومنافقا بآن واحد . لربما كان ولسون قادرا على اجراء هذا التمييز بين ودرو ولسون كمدير مدرسة سابق و ودرو ولسون كرئيس تنفيذي للولايات المتحدة فيما لو كان قد رفض ان يعطي في ايلول (سبتمبر) ــ تشرين الاول (اكتوبر) اي راي سواء ضد او مع تصريح بلفور . عندئذ كان بامكانه ان يبلغ الصهيونيين بضمير مرتاح ، « اني اهبكم تأييدي الشخصي بما يمثله هذا التأييد » . ولكن ولسون اختار ان يربط نفسه والولايات المتحدة بتصريح بلفور . وقد كان تصرفه هذا تصرفا شخصيا لا سياسيا . كان الصهيونيون واثقين ان عطف ولسون الشخصي يمكن ان يعني مكاسب سياسية افضل لقضيتهم ، ولهذا تتبعوا هذا الرجل المفلات بلا هوادة . ولم يثبت خطؤهم .

وجاءت موافقة ولسون على تصريح بلفور ، ورسالته الى وايز ، وتأكيداته لوايزمن ، والتي كانت قد اصبحت علنية في الوقت الذي افتتح فيه مؤتمر السلام ، لترفع من مستوى التزام رئيس الولايات المتحدة بالمشروع الانجلو ــ صهيوني في فلسطين . لقد كان مجرد قبوله بالتصريح خرقا لمبادئه الخاصة يناقض ادانته للمعاهدات السرية وينفي مبداه بان التسوية في الشرق الاوسط سوف تبنى «على القبول الحر للشعوب المعنية» . وبالزامه نفسه والولايات المتحدة بالصهيونيين حتى قبل انعقاد مؤتمر السلام ، فان ولسون قد ابعد فلسطين في الواقع عن دائرة البحث ، واكد ان الشعب الفلسطيني لن يعطى مطلقا حق تقرير المصير .

ولسون وسياسة فلسطين كدولة يهودية

حدث اذعان ولسون الثاني في مؤتمر السلام في باريس . فقد اثيرت مسألة التسوية التركية حالما وصل الوفد الاميركي الى باريس ، ذلك ان اغنام الحرب كانت موجودة في آسيا الغربية لا في اوروبا . وقد افتتح المؤتمر يوم ١٨ كانون الثاني (يناير) . وفي ٢١ منه قام مستشارو الرئيس في قسم الاستخبارات الملحق بالبعثة الاميركية الى مفاوضات السلام بتسليم الرئيس سلسلة من التوصيات . واقترحت التوصيات ، فيما يختص بفلسطين ، اقامة دولة منفصلة باشراف الانتداب البريطاني ، واوصت « بان يدعى اليهود للعودة الى فلسطين للاستقرار هناك على ان يضمن لهم المؤتمر بهذا الصدد كل مساعدة ممكنة تكون منسجمة مع حماية الحقوق الشخصية (وخاصة الدينية) وحقوق الملكية للسكان غير اليهود ، وان يؤكد لهم فضلا عن ذلك ان سياسة عصبة الامم ستكون الاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع »(١٤) . وقد اصبحت هذه التوصية هي برنامج عمل الوفد الاميركي والرئيس ولسون . وبصدد المسألة الفلسطينية اعطت المذكرة الصهيونيين كل ما ارادوا ــ واكثر بكثير . لقد كانت توصية صريحة باعطاء فلسطين هدية للصهيونيين بلا ادنى اعتبار لحق شعب فلسطين بموجب مبادىء ولسون نفسه حول تقرير المصير ، والتي كان الحلفاء قد قبلوا بها وشكلت التوصية بان يقدم « المؤتمر » للصهيونيين « كل مساعدة ممكنة » في الواقع اقتراحا بان يوسع التعاون الانجلو ــ صهيوني في فلسطين ليصبح تعاونا دوليا بين الحلفاء . ثم جاءت اكثر هذه التوصيات دلالة وهي القائلة بان فلسطين يجب ان يعترف بها « كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع » . وقد تجاوزت هذه التوصية تصريح بلفور

بناحيتين : الاولى ، انها اعطت الصهيونيين فلسطين باكملها بينما ترك تصريح بلفور الالتزام الاقليمي لليهود غامضا ـ « بان يبنى في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي » وثانيا ، اعادت المذكرة تعريف الهدف المحدد للصهيونيه في فلسطين فحولته من خلق « وطن قومي » الى بناء « دولة يهودية » . لقد جعلت هذه المذكرة امرا ملموسا ما كان تصريح بلفور قد تركه ، غامضا عن عمد .

وكانت الحكومة البريطانية قد اصرت على ان صياغة تصريح بلفور يجب ان تبقى غامضة لان البريطانيين لم يشاؤوا ان يلهبوا الراي العام العربي ضدهم ، ولم يشا البريطانيون ان يعدوا بشيء قد لا يكونون قادرين او مهيأين لتنفيذه في المدى البعيد . لقد كان على البريطانيين ان يفكروا دوما بمركزهم ومصالحهم في الشرق الاوسط ، بينما لم تكن الولايات المتحدة مضطرة لذلك ، وكان بامكانها بالنتيجة ان تقترح سياسات بعيدة الاثر ومكروهة ، سياسات موجهة ضد شعب الشرق الاوسط . ويبدو ان بلفور نفسه كان مستعدا لقبول الصيغة الصهيونية التي طالبت بـ « اعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود »(١٥) . بينما آثر بقية الوزراء الصياغة الاقل تجسيما والتي جرى تبنيها في النهاية ، وقد اعادت الحكومة البريطانية ، حتى الى ما بعد منتصف عام ١٩٢٣ ، تأكيد نيتها بخصوص مسائل المنطقة و « السيادة » على الوطن القومي اليهودي . وقد قال وزير المستعمرات آنذاك ، دوق ديفونشايو ، مخاطبا مجلس اللوردات « لقد ذكر المرة تلو الاخرى ان النية كانت منذ البداية ان يقام لليهود وطن قومي ، ولكن اتخذ كل احتياط للحيلولة دون تحوله ، بأية حال ، الى دولة يهودية تحت سيطرة يهودية »(١٦) .

وهذه المذكرة وثيقة ذات دلالة فهي اشارة الى المواقف والتوقعات التي تم التوصل اليها في البعثة الاميركية لمفاوضات السلام . فلم تكن هذه التوصيات فجة فحسب لان المؤتمر لم يكن قد قطع شوطا حين وضعت ، ولكنها كانت ايضا متحيزة بقوة ضد تقرير المؤتمر الموضوعي لقضية فلسطين . وقد اظهرت المذكرة ان الاميركيين لم يفكروا ضمن نطاق تشجيع خلق وطن قومي يهودي في فلسطين ، بل ضمن اطار سياسة تفضل « اعادة بناء » (حسب التعبير الصهيوني) فلسطين كدولة يهودية . ولان ولسون قبل هذه المذكرة كبرنامج عمل وفده ، فان نمط التفكير الكامن وراء التوصيات قد استمر وما زال هو اساس سياسة الولايات المتحدة اليوم . ولكن هذه لم تكن الا الحادثة الاولى التي سمح فيها ولسون لمثل ذلك التفسير المهم بان يمر بهدوء .

فقد خضع ولسون مرة ثانية مبيحا للصهيونيين ان يعطوا تفسيرهم الجديد الخاص ، الاكثر موافقة ، لتصريح بلفور . في ٣ اذار (مارس) ١٩١٩ استقبل ولسون ، بينما كان في زيارة قصيرة للولايات المتحدة ، ممثلي المؤتمر اليهودي الاميركي المؤيد للصهيونية ، الحاخام وايز ولويس مارشال . وعلى الرغم من ان الرئيس لم يصدر اي تصريح رسمي عن اللقاء ، فقد سمح بان ينقل عن لسانه قوله « انني مقتنع بان الامم المتحالفة متفقة ، بالرضا الكامل من حكومتنا وشعبنا ، بانه سوف توضع في فلسطين اسس كمنولث يهودي »(١٧) . وفي ١٣ نيسان (ابريل) استوضح وزير الخارجية لانسنغ الرئيس ولسون فيما اذا كان كلامه قد اقتبس بدقة . ورد ولسون على لانسنغ في ١٦ نيسان (ابريل) انه لم يستخدم « ايا من الكلمات المنقولة رغم انه استخدم جوهرها » . وقال ولسون ايضا ان التصريح المنسوب اليه قد ذهب ، حسب كلماته ، « ابعد قليلا مما كان ينوي » . لقد عنى (ان نعزز قبولنا المعلن بموقف الحكومة البريطانية بخصوص مستقبل فلسطين »(١٨) . اي ، بكلمات اخرى ، اعادة التصديق على تصريح بلفور . ويؤكد ستاين ان هذه الحادثة « توحي بان ولسون لم يكن يعطي المسألة الصهيونية تفكيرا جديا . والتفسير الواضح هو انه بحكم مشاغله السابقة بقضايا اخرى كانت تهمه اكثر ، كان مستعدا لان يسمح بأن توضع الكلمات في فمه »(١٩) . ومن الجائز ان ولسون

لم يستعمل كلمات « كمونولث يهودي » التي كانت خاصة بالصهيونيين ، بل انه صاغ تصريحه مستخدما كلمات مثل « دولة يهودية » ، او « الوطن القومي اليهودي » التي كانت شائعة بين الاميركيين في باريس . وأيا كان قول ولسون ، فلا شك الزم نفسه نهائيا بالموقف الصهيوني ولم ينكر او يبذل أي جهد لتصحيح الرواية الصهيونية لرسالة تأييده . وقد شكل هذا استسلاما كليا للصهيونيين . لقد فقد ولسون سيطرته على السياسة الاميركية حول المسألة الفلسطينية كنتيجة لخضوعه الثاني . ومن هنا فصاعدا اصبحت المبادرة مع اولئك الاميركيين الذين كانوا يفسرون المحاولة الصهيونية في فلسطين على انها اقامة دولة يهودية او خلق كمنولث يهودي . وقد أصبحت هذه هي السياسة الاميركية الرسمية لتحويل فلسطين الى دولة يهودية .

ولسون ومسألة تقرير المصير للفلسطينيين

ابان مؤتمر السلام اثير الموضوع المحرج المتعلق بتقرير المصير للشعب الفلسطيني ، وتعرض ولسون لضغوط مؤيدة ومعادية للصهيونية على حد سواء . وكان المعادون للصهيونية يؤلفون فريقا ذا نفوذ من الارساليات ورجال الاعمال الاميركيين الذين يملكون خبرة طويلة في الشرق الاوسط . وقد شعر هؤلاء الرجال ان التحالف الانجلو ــ صهيوني لم يكن من المصلحة الاميركية القومية اذ ان هذا التحالف سوف يجد معارضة قوية في النهاية من قبل شعب الشرق الاوسط .

في ٣٠ كانون الثاني (يناير) أقر المؤتمر ، من حيث المبدأ ، ان قوى معينة من الحلفاء (تحديدا بريطانيه وفرنسه) يجب أن تعطى الانتداب في المناطق العثمانية السابقة للسير بشعوب هذه المناطق نحو الاستقلال الكامل . وقد سعت بريطانيه بالطبع لان تعين الدولة المنتدبة على فلسطين . ولكن في ٢٠ آذار (مارس) اقترح ولسون ان تعين هيئة مشتركة من الحلفاء لاكتشاف رأي شعوب المناطق ذات العلاقة . واقترح ولسون ان تتألف هذه الهيئة من ممثلين عن بريطانيه وفرنسه وايطاليه والولايات المتحدة ، ولكن حين وصل الامر الى تعيين المفوضين فعلا لم يتقيد بذلك سوى الولايات المتحدة . واحساسا بخطر احتمال فقدان كل ما وعدوا به لم يضع الصهيونيون أي وقت . في ٢٦ آذار (مارس) زار البروفسور فيليكس فرانكفورتر من كلية القانون في هارفارد الكولونيل هاوس في باريس ممثلا للمنظمة الصهيونية . وكان هدف هذه الزيارة الحصول على تأكيدات هاوس حول موقف ولسون . كتب هاوس : « يعتقد اليهود ان بعثة الحلفاء المشتركة التي ستسافر الى سوريه تخدع يهود فلسطين » . وقد اعطى هاوس فرانكفورتر تأكيدات مفادها انه « ليس هناك مثل هذه النية » ، مشيرا الى ان تصريح بلفور لم يزل اساس السياسة الاميركية . وخرج فرانكفورتر من لقائه مع هاوس بالانطباع ان البعثة لم تكن سوى مجرد طريقة لتأجيل القرار(٢٠). وبعد تأخير كبير ومناقشة طويلة قرر ولسون ارسال الممثلين الاميركيين هنري تشرشل كينج وتشارلز كرين الى الشرق الاوسط . وكانت دوافع ولسون من وراء ارسال البعثة كما يلي : أولا ، تأجيل القرار النهائي حول الانتداب على فلسطين بتعيين بعثة استطلاع ، وهو تكتيك نموذجي مستخدم من قبل السياسيين . ثانيا ، الانحناء لرغبات الاميركيين النافذين المعادين للصهيونية . وثالثا ، اعطاء نفسه الرضا بأنه على الاقل قد استشار رأي شعب فلسطين .

زارت بعثة كينج ــ كرين فلسطين بين ١٠ و٢٥ حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، ثم تابعت زيارتها الى سوريه وتركيه . وكتبت البعثة تقريرها ابان آخر اسبوع من آب (اغسطس)، وفي ٣٠ آب ابرقت بخلاصة للنتائج التي توصلت لها . وبصدد فلسطين أوصت برقية كرين بأن فلسطين يجب أن لا تفصل عن سوريه (كما كان يريد البريطانيون

والصهيونيون) ، وبأن « البرنامج الصهيوني المتطرف » يجب أن « يعدل جديا » ، وبأن على اميركه ان تقبل الانتداب على سوريه الموحدة ، وبأن يعطى الانتداب لبريطانيه في حالة الرفض الاميركي(٢١) . وقد كان الممثلان في تقريرهما متشددين حول مسألة « تعديل البرنامج الصهيوني المتطرف بشأن فلسطين » والذي يتضمن « الهجرة غير المحدودة لليهود » بقصد « جعل فلسطين دولة يهودية متميزة » . وأكد المفوضان ان « وطنا قوميا للشعب اليهودي ليس معادلا لجعل فلسطين دولة يهودية ، كما لا يمكن تحقيق خلق مثل هذه الدولة اليهودية بغير افدح تعد على الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة ... » . ومن خلال لقاءات البعثة مع الممثلين اليهود ، تكررت بجلاء حقيقة ان الصهيونيين كانوا يتطلعون عمليا الى اخلاء كامل للسكان الراهنين غير اليهود في فلسطين وذلك بأشكال الشراء المتنوعة . وقد كان المفوضان واضحين تمام الوضوح بصدد رأي تسعة اعشار سكان فلسطين ، « السكان غير اليهود » ، الذين قال التقرير انهم كانوا « معادين بكل حزم للبرنامج الصهيوني »(٢٢) .

لقد أشعرت برقية كرين الرئيس ولسون مقدما بمحتوى توصيات البعثة . ولكن الرئيس لم يقرأ التقرير مطلقا ، وظلت هذه الوثيقة ، لاكثر من ثلاث سنوات ، مرمية في ملفات وزارة الخارجية في واشنطن . وقد شعر كل من كينج وكرين ان المعارضة الصهيونية ربما كانت عاملا في رفض ولسون اعلان التقرير(٢٣) . ومرة أخرى ترجمت عواطف ولسون الشخصية (أو متطلباته السياسية) الى سياسة أميركية قومية . ولكن يبدو انه لم تكن لدى ولسون النية لان ينظر جديا الى توصيات بعثته . ان مقابلة هاوس — فرانكفورتر التي حدثت قبل ثلاثة أشهر من ارسال البعثة الى فلسطين ، وقبل خمسة أشهر من اكتمال تقرير كينج — كرين ، قد أكدت بدقة ان نوايا الرئيس كانت : أن يتابع سياسته المؤيدة للصهيونية دون أي اعتبار للنتائج التي توصلت لها بعثة كينج — كرين . ومن الجلي أن ولسون لم يعتبر قط ان قاعدة تقرير المصير يجب أن تطبق على فلسطين . وهكذا كانت المقابلات التي نظمتها بعثة كينج — كرين في فلسطين وسوريه مجرد مسرحية أو مشهد للتأثير على « الوطنيين » في فلسطين ، ولتهدئة المعادين للصهيونية .

ودرو ولسون ، المحرر الاعظم أم المخادع الاكبر ؟

يمتلك الرئيس ولسون سمعة بأنه المثالي الاكبر بين الرؤساء الاميركيين . ولا شك أن ولسون لم يظهر بصدد المسألة الفلسطينية اية مثالية . فلم تكن لديه الرغبة في أن يطبق مبدأه في تقرير المصير على الشعب الفلسطيني ، وكان راضيا بأن يبيح لبريطانيه والصهيونيين ممارسة سياسة صممت بوضوح لحرمان الفلسطينيين من وطنهم بأكمله — فضلا عن حرمانهم حق تقرير المصير . وقد رأينا ، بالاضافة لذلك ، ان قرارات ولسون حول القضية الفلسطينية كانت مبنية على علاقته الشخصية مع برانديس (والصهيونيين) فضلا عن حقائق السياسات العملية في الولايات المتحدة . لقد كان طموح ولسون الاكبر ان يلعب دورا عالميا . وبحكم كونه « ليبراليا » فقد وجد فكرة أن يصبح حامي الاقليات والشعوب المضطهدة فكرة ذات جاذبية خاصة . وقد قادت هذه الاهتمامات الرئيس لان يورط نفسه في شؤون اقليتين شرق — أوسطيتين : الارمن في أناضول تركيه ، واليهود في فلسطين . وقد جر تورط ولسون في شؤون هاتين الطائفتين الى كارثة للشرق الاوسط : ففي حالة الارمن ، فان الاكثرية التركية في الاناضول ذبحت وطردت هؤلاء السكان من المنطقة ذات العلاقة ، وفي حالة فلسطين طرد الصهيونيون الفلسطينيين من موطنهم . وهكذا في الحالة الاولى انتهى الشعب الذي آثره ولسون الى كارثة ، بينما في الحالة الثانية سيق الشعب الذي نسيه ، الشعب الفلسطيني ، الى المنفى .

في أوروبه طبقت قاعدة تقرير المصير بنجاح على الرعايا السابقين للامبراطورية

النمساوية ـ الهنغارية والامبراطورية العثمانية . وأعيد رسم حدود أوروبه بحيث ان ٣ ٪ فقط من شعوب أوروبه أصبحت تعيش تحت حكم اجنبي . ولكن العكس كان هو الصحيح في الشرق الاوسط . لقد أعيد رسم الحدود ولكن لم تعط شعوب العالم العربي حق تقرير المصير بحيث يمكن القول انه حين وضعت التسوية في باريس كان كل الشعب العربي ، باستثناء ٣ ٪ ، تحت السيطرة الاجنبية . وفي الواقع فان مصير الرعايا العرب السابقين للامبراطورية العثمانية القديمة كان قد قرر حتى قبل اجتماع مؤتمر السلام : لقد أنكر عليهم ابداء اي رأي بمصيرهم وقسمت أراضيهم واحتلتها فرنسه وبريطانيه العظمى . ولكن اكثر نواحي تلك المناقشات التي جرت في باريس اثارة للدهشة كان استمرار الرئيس ولسون الشخصي في ربط نفسه مع ذلك الاتفاق « السري » الاخر ، تصريح بلفور ، والمشروع الانجلو ـ صهيوني في فلسطين .

ومن الممكن ان يجادل دفاعا عن ولسون انه لم يكن مطلعا علـى حقائق المسألـة الفلسطينية : ولكن لم تكن الحال كذلك . فالحجج ضد البرنامج الصهيوني كان قـد قدمها مباشرة وبشكل كامل الى الرئيس شخص في وزن روبرت لانسنغ وزير الخارجية ، وهنري مورجنتو وهوارد بليس رئيس الكلية السورية البروتستانتية (جامعة بيروت الاميركية فيما بعد) . واذا كان الرئيس يمكن ان يدعي الجهل في خريف ١٩١٧ حين اعطى موافقته على تصريح بلفور ، فلم يكن لديه مثل هذا العذر في يناير ١٩١٩ حين انتهك كل مبادئه لدعم الصهيونيين في فلسطين .

كذلك يمكن أن يقال دفاعا عن ولسون انه ، ببساطة، أذعن للامر الواقع المتمثل بالاحتلال البريطاني والفرنسي للمشرق وما بين النهرين . وقد قيل أن الحلفاء لم يكن أمامهم الخيار الا أن يسمحوا باقامة الدولة البولونية والتشيكية ودول أوروبية قومية أخرى لان القوى المتحالفة لم تكن في وضع يمكنها من رفض طلب اي من قوميات الامبراطوريات المقطعة الاوصال . اما في الشرق الاوسط ، فان القوات الفرنسية والبريطانية كانت في المنطقة منذ مدة ، ولم تكن شعوب المنطقة بقادرة على مقاومة الاحتلال . وبناء عليه يمكن ان يجادل بأن اعلان ولسون المثالي للنقاط الاربع عشرة لم يكن ليحدث اي تأثير على الوضع السياسي الذي ساد اثر الحرب العالمية الاولى ، وان التسوية السلمية باكملها قد املتها « السياسة الواقعية » اكثر مما أملتها المبادىء . فلكي نقبل مثل هذه الحجج ، علينا ان نضع جانبا واقع مكانة ولسون العظيمة بعد الحرب ، والذعر الواضح الذي أحدثه اعلان الرئيس عن تأليف بعثة الحلفاء المشتركة في المعسكر الصهيوني (والبريطاني والفرنسي) . وان تعليق الكولونيل هاوس على زيارة فرانكفورتر له بعد اسبوع واحد مـن اقتراح ولسون لتشكيل البعثة « ان اليهود يعتقدون ان بعثة الحلفاء المشتركة ... ستخدع يهود فلسطين » يظهر ما الذي كان يخشى الصهيونيون ان يفعله هذا الرئيس الاميركي المثالي ذو المبادىء السامية . ولم يكن الصهيونيون بحاجة لان يقلقوا في الواقع ، فقد كان ولسون مدينا بالفضل لبرانديس الصهيوني العميق الالتزام .

وهكذا ، بالنسبة للعرب ، لم تكن مبادىء ولسون الصداحة سوى كلام كثير ، كما جلبت سياسته الواقعية بالنسبة للفلسطينيين الكوارث . ان ولسون لم يكن في الواقع « المحرر الاعظم » بل « المخادع الاكبر » .

روزفلت وفلسطين كملجا نهائي لليهود

كان اثر تورط ولسون مع الصهيونيين ان ترك الولايات المتحـدة ملتزمة بالاعتـراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . كان على ولسون ان يتصرف ازاء المطلب الصهيوني من أجل الارض . وكانت الخطوة المنطقية الثانية ان يفي بحاجة الصهيونيين الى البشر للاستيطان في تلك الارض لكي يكون بامكانها ان تصبح « دولة

يهودية في الواقع » . وفي هذا الصدد كان الرئيس فرانكلين روزفلت مجبرا علــى ان يستسلم لمتطلبات الصهيونيين .

لقد نجم تورط روزفلت مع الصهيونيين عن عطفه الكبير علــى الضحايا اليهود نتيجة سياسات هتلر العنصرية . وبعد خمس سنوات من صعود هتلر الى السلطة في المانيه ، وقبل عدة سنوات من اكتشاف العالم للنتائج الرهيبة لسياسات هتلر ، اتخذ روزفلت المبادرة في الدعوة الى مؤتمر للبحث في كيفية التصرف ازاء مشكلة اضطهاد اليهــود في المانيه . ومتأثرا الى حد معين بــ «دعاية جودا ماجنيس (عميد الجامعة العبرية)»(٢٤). دعا روزفلت الى مؤتمر في حزيران (يونيو) ١٩٣٨ يحضره ممثلون مــن الاميركيتين وأوروبه ، باستثناء المانيه . وكان روزفلت آنذاك قليل الاطلاع علــى الصراع حــول فلسطين . وقد قدر ان المؤتمر « سوف يبين للعالم غير الاوروبي الحاجة الماسة للمهاجرة وبشكل رئيسي الى فلسطين »(٢٥). اما الحكومة البريطانية التي كانت منهمكة آنذاك بقمع تمرد فلسطيني عربي ، فقد اقلقها التفكير في كيف يمكن لمثل هذا المؤتمر ان يؤثر في أحداث فلسطين . وقد جادل البريطانيون بأن المؤتمر يجب ان يهتم بجميع اللاجئين لا يهود المانيه فقط ، وان الدعوة يجب ان توجه فقط لممثلــي البلدان المستعدة لقبــول مهاجرين ، وان فلسطين يجب ان لا تناقش . وقد وافق روزفلت على الشروط البريطانية وعقد المؤتمر في ايفيان في فرنسه يوم ٦ تموز (يوليو) ١٩٣٨ . . وباقتراح هذا المؤتمر انعش روزفلت آمال أقليات مضطهدة عديدة سعت للخلاص من الاضطهاد في مواطنها وللوصول الى الابواب المفتوحة للبلدان التي يمكنهم اللجوء اليها . وقد بدا ، لوهلة ، ان الولايات المتحدة اخذت تخرج من عزلتها وتهتم بمشاكل العالم . ولكن اتضح بعيد افتتاح المؤتمر ان معظم الممثلين الحاضرين بمن فيهم ممثلو الولايات المتحدة ، لم يكونوا مفوضين بتقديم أية مقترحات اساسية . وكان ممثل جمهورية الدومينيكان الشخص الوحيد الذي عرض ، بالنيابة عن حكومته ، دخول عدد كبير من اللاجئين . وقد وافقت بلاده على استقبال ١٠٠،٠٠٠ لاجيء يهودي من المانيه والنمسه . اما الدول الثلاثون الاخرى التي كانت تحضر مؤتمر ايفيان فلم تقترح سوى ان تضيف بضعة آلاف اخرى الى كوتا الهجرة لديها .

ونظر الصهيونيون الى مؤتمر ايفيان بــ « لا مبالاة عدائية » . لقد كان من الممكن ان يتحمسوا فيما لو بني المؤتمر على اقتراح روزفلت الاصلــي . ولكن ، حسب تعبيــر كريستوفر سايكس ، « الحقيقة ان ما جرت محاولته في ايفيان لم يكن متجانسا مع روح الصهيونية وليس السبب بخاف . فلو قامت الدول الواحدة والثلاثون بواجبها واظهرت حسن ضيافتها « لليهود الالمان المضطهدين » ، لكان التأكيد علــى الوطن القومــي والحماس المتصاعد للصهيونية قد خفا »(٢٦). لقد كانت حرية المهاجرة لليهود آخر شيء يريده الصهيونيون . فقد كان من المهم لمشروعهم ان لا تسمح أمم العالم الديمقراطية بالهجرة اليهودية . فالصهيونية تستند الى حاجــة اليهود المزعومة الى ملجأ . وكان البرنامج الصهيوني يتطلب ان تكون فلسطين البلد الوحيد الذي يستطيع اليهــود ان يذهبوا اليه ويشعروا فيه بالترحاب : « فاذا كانت سياستهم تستلزم العذاب فذلك هو الثمن الذي يتوجب دفعه لانقاذ الروح اليهودية »(٢٧).

وعلى الرغم من ان روزفلت كان قد تأثر بالصهيونيين في دعوته للمؤتمر ، الا انه لا يبدو ان الصهيونيين بذلوا اية محاولة للتأثير على نتيجة اجتماع ايفيان . ولم تكن بهم حاجة لذلك . فقد تسببت المصالح الانانية ، وليس الضغط الخارجــي ، للدول الحاضرة ، باستثناء جمهورية الدومينيكان بفشل مؤتمر ايفيان . ولم يذهب هذا الدرس هدرا بالنسبة لروزفلت الذي وضع كل وزنه وراء اجتماع ثان عقد في برمودا في ابريل ١٩٤٣ . « لقد كان واحدا من اكبر آمال روزفلت ان ترفع حواجز الهجرة ضد اليهود من قبل جميع الامم

بما فيها الولايات المتحدة »(٢٨)*

كذلك كان الرئيس قد اصبح اكثر تعقدا في تعامله مع المشكلة الشائكة للهجرة اليهودية الى فلسطين : « فقد بدا من غير الامانة بالنسبة لروزفلت ان يطلب من العرب امتيازات للهجرة بينما كانت الولايات المتحدة تحتفظ بقوانينها الانتقائية الصارمة للكوتا »(٢٩). وكان هذا طبعا مناقضا على خط مستقيم للادعاء الصهيوني بأن الحل الوحيد للتشرد اليهودي يكمن في خلق دولة يهودية في فلسطين . كان روزفلت يعرف جيدا متطلبات الصهيونيين ولكن كان على الرئيس روزفلت عام ١٩٤٣ ، بخلاف ولسون عام ١٩١٧ و١٩١٩ ، ان يأخذ بعين الاعتبار المصالح الاميركية في الشرق الاوسط . ولم يكن روزفلت ليستطيع ان يؤذي مركز الولايات المتحدة او بريطانيه العظمى في العالم العربي لكون هذه المنطقة مسرحا حربيا للحلفاء . بالاضافة الى ذلك كان قد أصبح للولايات المتحدة مصالح اخرى في الشرق الاوسط عام ١٩٤٣ : نفط ، تجارة ، سياسة ، وجغرافيا استراتيجية . ولم يشأ روزفلت ان يهدد ايا من هذه المصالح بكسب عداء العرب بشأن فلسطين .

لقد كانت مسألة الهجرة اليهودية الى فلسطين وثيقة الارتباط باستقرار الشرق الاوسط وبالمجهود الحربي للحلفاء . وقد جعلت الثورة العربية الفلسطينية الحكومة البريطانية تعدل ، الى حد ما ، برنامجها القائم على البناء التدريجي لاكثرية يهودية في فلسطين بقصد الوصول الى حق تقرير مصير يهودي في ذلك البلد . لقد حدد الاقتراح الاساسي للكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ الصادر عن الحكومة البريطانية كوتا مقدارها ٧٥،٠٠٠ لاجىء يهودي للسنوات الخمس التالية (كوتا اولية مقدارها ٢٥٠٠٠ لاجىء ثم ١٠،٠٠٠ مهاجر يهودي سنويا) . ونص على ان اية هجرة يهودية اضافية بعد ذلك يجب ان تنال موافقة عرب فلسطين . وقد كان تنفيذ مثل هذه السياسة يعني بالنسبة للصهيونيين انه لن يكون بالامكان بناء اية اكثرية يهودية ، وان فلسطين لن تصبح مطلقا «دولة يهودية في الواقع» . وقد وافق روزفلت على السياسة البريطانية (وتجسد ذلك في قبوله لاعادة تفسير بريطانيه للمذكرة قبل مؤتمر ايفيان) ، كما وافق ان سيلا من اللاجئين اليهود في فلسطين سيفرض تسوية نهائية في فلسطين (لقضية تقرير المصير اليهودي) قبل ان يتمكن الحلفاء من الجلوس في مؤتمر السلام وتقرير ما يتوجب عمله .

كان عدم التدخل في القضايا السياسية هو المبدأ الموجه لمؤتمر برمودا . فقد ادعي انه كان للمؤتمر دور انساني بحت يقوم به ، وبناء عليه لم يناقش الممثلون الذين اجتمعوا في برمودا قضية الهجرة اليهودية الى فلسطين ، فهي قضية سياسية جدا حقا .

ولكن نظرا لاهمية الهجرة اليهودية الى فلسطين بالنسبة للصهيونيين ، فان قرار القائدين روزفلت وتشرشل اللذين دعيا للمؤتمر لبحث مسألة اللاجئين اليهود في اوروبه كجزء لا يتجزأ من مشكلة اللاجئين الكلية ، كان قرارا سياسيا ذا أهمية حاسمة . كذلك كان تهديدا رئيسيا للصهيونيين . وهكذا تعرض المؤتمر لنقد مستمر مرير من الدوائر الصهيونية ، كما ان ادارة روزفلت نفسها انقسمت حول القضية .

---

* اتبعت الولايات المتحدة سياسة تقوم على حرية الهجرة من ١٩٢٣ — ١٩٢٤ حين اصدر الكونجرس قوانين هجرة جديدة قيدت الى حد كبير الهجرة ولا سيما بخصوص اليهود والشعوب الملونة . وقد فصلت قوانين الهجرة هذه للحفاظ على التوازن العنصري القائم في الولايات المتحدة عام ١٩٢٣ . آخذين هذه القوانين بعين الاعتبار من المثير ان نلاحظ انعدد التجمع السكاني اليهودي الاميركيارتفع بين ١٩٠٠ و١٩١٤ من١ الى ٣ ملايين ، وبين ١٩١٤ و١٩٢٨ (بعد اربع سنوات من التقييد) الى ٤،٢ مليون ، وبين ١٩٢٨ و١٩٤٣ الى ٢،٥ مليون . انظر

Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism*, Detroit, 1961, p. 47.

لقد شعر الرئيس بعد مؤتمر برمودا ان مشكلة المهاجرة اليهودية يمكن ان تحل فيما اذا رحبت القوى الكبرى بأعداد مهمة من اللاجئين . وأحس ان الامم الاخرى سوف تحتذي مثال هذه المبادرة الكريمة . ولكن روزفلت عرف ان الكونجرس الاميركي سيكون ضد ان تقدم الولايات المتحدة العرض الاول ، ولهذا ارسل موريس ارنست ، وهو نفسه يهودي ، مبعوثا الى لندن لتأمين موافقة تشرشل بشأن هجرة ١٠٠,٠٠٠ يهودي الى بريطانيه . وقد شعر روزفلت انه قد يكون بامكانه ، اذا وافق تشرشل ، ان يقنع الكونجرس بأن يصادق على دخول مئة الف آخرين الى الولايات المتحدة . فقد خمن الرئيس ان الكونجرس لا يستطيع التمسك بسياساته التضييقية بصدد الهجرة في وجه النية البريطانية الحسنة نحو اللاجئين اليهود . لقد كافح روزفلت من اجل رفع جميع حواجز الهجرة . وكان يعتقد ان جميع الناس يجب أن يقبلوا بغض النظر عن العنصر واللون والدين . « ولكن حين قرر روزفلت تنفيذ هـذا البرنامج اكتشف ان الصهيونيين كانوا ضده »(٣٠) .

ونجحت مهمة موريس ارنست ، فقد وافق تشرشل على قبول المائة الف ، ولكن روزفلت لم يستطع مجاراة العرض البريطاني واهمل الاقتراح . وقد ارجع ارنست فيما بعد فشل بادرة روزفلت الى الصهيونيين مباشرة : « ... ويبدو بالنسبة لي ان فشل المجموعات اليهودية [الاميركية] القائدة في مساندة برنامج الهجرة هذا بحماس ، ربما قد دفعت الرئيس آنذاك لعدم الضغط للسير قدما بذلك البرنامج »(٣١) . ويجب الافتراض ، على كل حال ، بأن روزفلت نفسه تأثر الى حد كبير بالمعارضة الصهيونية لاقتراحه . ففي هذا الموقف ، توافقت مصالح المشرعين الاميركيين في الكونجرس مع متطلبات الصهيونيين . فكلا الفريقين كان يريد استمرار القيود على الهجرة . ولو ان الصهيونيين اختاروا ، بدلا عن ذلك ، ان يمارسوا تأثيرهم في الكونجرس ، والذي لم يكن ليستهان به ، لمصلحة امتيازات اللاجئين اليهود ، لكان هناك فرصة كبيرة لان يدعم الكونجرس الرئيس . ولكن سياسة الصهيونيين كانت فلسطين أو لا شيء .

ومن الظلم القول ان اذعان روزفلت في مأزق الهجرة شكل « قرارا » بالمعنى الذي شكله اذعان ولسون في تصريح بلفور . فروزفلت انحنى لقوة كبرى ، بينما كان لدى ولسون افكار اخرى اثارها وحركها تدخل صهيوني نافذ . ولكن قبول روزفلت للحالة شكل قرارا لان روزفلت لم يثر بعد ذلك مسألة اصلاح قضية الهجرة في الولايات المتحدة ، ومسألة اتباع سياسة عامة دولية تقوم على الابواب المفتوحة فيما يختص باليهود . وتجسدت هزيمة روزفلت في سياسة فلسطين كملجأ نهائي للشعب اليهودي . وقد كانت هذه سياسة عالمية لا سياسة الولايات المتحدة فحسب ، وظهورها بسبب المصالح الانانية للدول المعنية ، كان ضربة كبرى لمصلحة الصهيونيين . ولا يمكن القول ، مع ذلك ، ان الصهيونيين هم الذين صمموا هذه الضربة بقدر ما انهم ساندوها فقط واستفادوا منها . ومنذ ذلك الوقت وما تلا اصبح بامكان الصهيونيين ان يقولوا ، بصدق ، ان فلسطين كانت هي الملجأ الوحيد لليهود ، المكان الذي يمكن ان يرحب بهم فيه بين ابناء جلدتهم . وقد كانت هذه هي « الرافعة الصهيونية » ضد القيود البريطانية للهجرة في فلسطين . وبالانجرار خطوة اخرى بدافع الصهيونيين (المدعومين من الدول التي كانت ما تزال لا تريد اعدادا كبيرة من المهاجرين اليهود) ، اصبحت تلك هي سياسة « فلسطين هي الملجأ النهائي لليهود » (الذين يمكن ان يتعرضوا للاضطهاد وهم يحتاجون مثل هذا الملجأ ما دام ليس هناك احد آخر يقبل بهم) . فبالنسبة للصهيونيين ومؤيديهم كانت الهجرة الى فلسطين تقدم ، آنذاك ، الحل النهائي « للمشكلة اليهودية » . ولهذا يشكل « قرار » روزفلت او اذعانه واحدا من القرارات الاميركية الرئيسية حول المسألة الفلسطينية .

وتدلل ارقام الهجرة اليهودية على مدى اهمية ذلك بالنسبة للصهيونيين من اجل بناء

دولتهم : فقد كانت الهجرة اليهودية الى فلسطين ادنى بكثير من مستوى رقم ١٠٠٠٠ سنويا الذي حدد في الكتاب البريطاني الابيض لعام ١٩٣٩ . فقد بلغت ٨٦٣٩٨ عام ١٩٤٠ ، و٥٦٨٨٦ عام ١٩٤١ ، و٣٧٣٣ عام ١٩٤٢ ، و٨٦٥٠٧ عام ١٩٤٣ (وهو عام هزيمة روزفلت) . ولكن عدد المهاجرين ارتفع بشكل ملحوظ الى ١٤٤٦٤ عام ١٩٤٤ و١٣٦١٢١ عام ١٩٤٥ ، و ١٧٦٧٦١ عام ١٩٤٦ ، و ٢-١٦٥٤٢ عام ١٩٤٧ . ثم ارتفعت الهجرة اليهودية بين ١ كانون الثاني (يناير) و١٤ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وهي الاشهر الاخيرة للانتداب البريطاني ، الى ١٧٦١٦٥ ، ثم اصبح الرقم بين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون اول (ديسمبر) ١٩٤٨ ، بعد اعلان اسرائيل ، ١٠١٦٨٢٨ . وان تدفق المهاجرين مباشرة بعد اقامة الدولة الصهيونية هو دليل على النجاح الذي حققته سياسات وضغوط المهاجرة الصهيونية . فما ان فتحت ابواب فلسطين (بينما ظلت الابواب الاخرى محكمة الاغلاق) حتى تدفق اليهود ، الذين لم يكن ليقبلهم احد آخر ، الى فلسطين . ولا شك ان ما حدث بعد ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ قد بدأ للصهيونيين كتزكية كاملة لسياستهم ، هذا بينما كان تدفق اليهود بالنسبة للفلسطينيين الذين طردوا من منازلهم يعني استبدالهم الدائم . (وجدير بالذكر ان الوسيط الدولي للامم المتحدة الكونت برنادوت كتب في تقريره في ١٩٤٨/٩/١١ محذرا من مثل هذه النهاية بعد طرد الفلسطينيين ١٩٤٨) .

روزفلت وسياسة فلسطين كدولة يهودية

تجاوزت مجابهة روزفلت مع الصهيونيين قضية الهجرة . فقد كان كذلك تحت ضغط متواصل لتصديق البرنامج السياسي للصهيونيين الاميركيين الذي تمثل « ببرنامج بيلتمور » كما دعي نسبة للمؤتمر الذي اصدر البرنامج وانعقد في ايار (مايو) ١٩٤٢ في فندق بيلتمور بمدينة نيويورك . تقول الفقرة الاساسية من هذه الوثيقة المهمة : « يحث المؤتمر على ان تفتح ابواب فلسطين ، وان تخول الوكالة اليهودية الاشراف على الهجرة الى فلسطين ، وان تزود بالسلطة اللازمة لبناء البلاد بما فيها اراضيها الشاغرة وغير المحروثة ، وان تبنى فلسطين ككمنولث يهودي يشكل جزءا ضميميا في بناء العالم الديمقراطي الجديد »(٣٣) . ومن المثير ان نلاحظ ان كلمات « الكمنولث اليهودي » كان الصهيونيون قد استعملوها عام ١٩١٩ عندما اصدروا بيانهم حول اجتماع وايز ومارشال مع الرئيس ولسون . لقد كان استخدام كلمة « كمنولث » ذا اهمية كبرى للفكر الصهيوني لان هذه الكلمة حددت الهدف الصهيوني في فلسطين على انه اكثر من اقامة دولة يهودية . هذا الهدف كان في الواقع تأسيس وطن قومي او دولة ترعى مصالح جميع اليهود او يمكن ان تكون القيم على رفاه الطوائف اليهودية عبر جميع انحاء العالم . وحين نقل عن لسان ولسون انه كان عام ١٩١٩ قد منح تأييده لفكرة الكمنولث اليهودي، فان النتائج المترتبة على استخدام الصهيونيين لهذه الكلمات لم تكن واضحة . في العام ١٩٤٣ ، ولا سيما اثر هزيمة اقتراح روزفلت للهجرة ، كان معنى تعبير « الكمنولث اليهودي » واضحا جدا حقا . وقد اكد الصهيونيون انفسهم في برنامج بيلتمور ان تأسيس فلسطين ككمنولث يهودي سوف يحل مشكلة التشرد اليهودي . وقد بدا بالنسبة للرئيس روزفلت الذي احس بشدة بالحاجة لرفع الالام عن اليهود اللاجئين في اوروبه ، انه ليس هناك خيار الا ان يخطو خطوة باتجاه الصهيونيين . ولان روزفلت لم يكن رجل انصاف حلول ، فقد ذهب الى اخر الطريق لتلبية مطالب الصهيونيين . ولكن قبل ان يصوغ اقتراحه لتسوية المشكلة الفلسطينية ، اعطى روزفلت تأكيدات للعرب .

في نيسان (ابريل) وايار (مايو) ١٩٤٣ ، كتب ابن سعود ملك العربية السعودية الى الرئيس يحذره من المترتبات التي سيخلفها في العالم العربي تبني الولايات المتحدة سياسة دعم الجهود الصهيونية في فلسطين . وطالب الملك الرئيس بان لا يتخذ اية خطوات بصدد المسألة الفلسطينية قبل ابلاغه مقدما . وقد وعد الرئيس بانه « لا يجب التوصل

لاي قرار يغير الوضـــع الاساسي في فلسطين دون تشاور كامـــل مع كـــل من اليهود والعرب »(٣٤). وقد رغبت وزارة الخارجية ان تتبع التزام روزفلت الخاص نحو الملـــك سعود بالتعاون مـــع الحكومة البريطانية في اصدار تصريح رسمي بأنه « لا يجوز ان يتخذ اي قرار نهائي بصدد فلسطين الا بعد الحرب ، والا بالتشاور الكامل آنذاك مـــع كل من اليهود والعرب »(٣٥).

ويبدو ان آمال روزفلت باتفاق عربي ــ يهودي انبثقت عن اجتماع كان قد عقده مـــع وايزمن وسرد فيه الاخير اقتراحا لسانت جون فيلبي ، المستشار البريطاني للملك ابن سعود ، كان قد نال موافقة تشرشل . كان مشروع فيلبي كما يلي : « تترك كل فلسطين لليهود ، ويوطن جميع العرب الذين اجلوا في مكان اخر على نفقة اليهود الذين يضعون عشرين مليون جنيه لهذا الغرض بتصرف الملك . ويعترف بجميـــع البلدان العربية في آسيه كبلدان مستقلة باستثناء عدن . وتقترح بريطانيه والولايات المتحدة هذه الترتيبات على ابن سعود وتضمنانها معا في حالـــة الموافقة العربية »(٣٦). وقـــد اعتقد فيلبي ان العرب سيخدمون مصالحهـــم كأفضل ما يكـــون اذا « ... استهدفوا تعويضا يمكن احرازه على حساب حق لا يمكن انكاره »(٣٧)، وهو حق الفلسطينيين بالعيش في وطنهم. ويبدو ان وايزمن قد فاتح تشرشل حين كان وزيرا للبحرية في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٩ ، كما ناقش القضية مع روزفلت في شباط (فبراير) ١٩٤٠ ، كذلك عرض فيلبي القضية على ابن سعود عام ١٩٤٠ . ولكن لم ينتج شيء عن ذلك الاقتراح لان زعمـــاء العالم كانوا اكثر انهماكا بادارة الحرب منهم بوضع تسويـــة لفلسطين ، ولـــم يبعث مشروع فيلبي بعد ذلك حتى عام ١٩٤٢ . وقد رفض ابن سعود المشروع مباشرة ، كما رفض الترحيب باقتراح روزفلت بان يجتمع مـــع وايزمن او مسؤول اخر في الوكالـــة اليهودية لمناقشة القضية . وقال الملك انه « لا يستطيع التحدث باسم فلسطين فبالاحرى ان لا يستطيع تسليم ذلك البلد لليهود »(٣٨).

ومرة ثانية وجد روزفلت نفسه عاجزا عن التصرف . وقد اعيد طرح اقتراح تصريـــح انجلو ــ اميركي يؤجل قضية فلسطين الى ما بعد انتهاء الحرب وبعد تشاور كامل مـــع كل من العرب واليهود . ولكن ايمانويل سيلر رجـــل الكونجرس الصهيوني النافذ من نيويورك اتهم المسؤولين في الادارة بانهم « ساهموا في خيانة فلسطين »، وهدد بالدعوة لتحقيـــق يقوم به الكونجرس « الا اذا اوقفت وزارة الخـــارجية معارضتها السخيفـــة لفلسطين كملجأ آمن لليهود » . ثم طالب سيلر بان يسعى روزفلت مع تشرشل في مؤتمر كوبيك (آب ، اغسطس ، ١٩٤٣) « من اجل فلسطين كموطن لليهود »(٣٩). وقد عاد تشرشل وروزفلت فتراجعـــا عما نويا التصريح به حـــول فلسطين وقررا ان يضعـــا سياساتهما على اساس احداث فلسطين من شهر لاخر .

وخلال عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ تعرض الرئيس لضغط صهيوني متواصل لاصدار بيـــان لصلحة برنامج بيلتمور . ولكن روزفلت كان ما زال يسعى لان يتقيد بالتزامه مع الملك ابن سعود بان شيئا لن يعمل قبل انتهاء الحرب وبدون تشاور مسبق مع الملك . وقد لعبت وزارة الخـــارجية دورا مهما في تأجيـــل اي قرار على الرغـــم من ان اثنين من مستشاري روزفلت المقربين وهما سمنر ولز وزير الخارجية ، وكوردل هل كانا كلاهما مؤيدين للصهيونية . خلال هذه الفترة حاول الرئيس جاداً « ان تكون كـــل الاشياء لكل الشعب » . ومهما يكن فان سياسته لـــم تنجح احيانا كما في حـــادثة الصهيونيين وايز وسيلفر حين صاغا تصريحا ليصدر عن الرئيس في اذار (مارس) ١٩٤٤ . وقد كـــان ذلك النص المقترح سيلزم الولايات المتحدة بالبرنامج الصهيوني كله بما فيه قبول فكرة الكمنولث اليهودي لو لم يتجاهل روزفلت البيان الصهيوني . وبـــدلا عن ذلـــك اصدر روزفلت تصريحا عاما عن اللاجئين الاوروبيين . ولكن هذا زاد فقط الضغط الصهيوني ،

كما بدا الصهيونيون يهـددون روزفلت بخسارة « الاصوات اليهودية » في انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٤ . وقد تجاوب كل من الحزبين الجمهوري والديمقراطي مع التحدي الصهيوني وذلك بأن ضمنا برامجهما الحزبية وعودا عريضة للصهيونيين في فلسطين . واحتذى روزفلت مثال حزبه فبعث في تموز (يوليو) رسالة الى السناتور واجنر من نيويورك كان عليه ان ينقل محتوياتها الى المنظمة الصهيونية : « سوف تبذل الجهود لايجاد طرق ووسائل ملائمة لتنفيذ [سياسة الكمنولث اليهودي] حالما تصبح ممكنة التحقيق . وانا اعلم منـذ متى وباي حمية عمل اليهود وصلوا من اجل جعل فلسطين كمنولثا يهوديا حرا ديمقراطيا . واني لعلى قناعة بان الشعب الاميركي يمنح تأييده لهذا الهدف ، واذا ما اعيد انتخابي فسوف اساعد على تحقيقه »(٤٠). ووفقا لفرانـك ايمانويل كان هذا البيان « ابتعـادا مهما عن التحيات الرئاسية السابقة للصهيونيين »(٤١). فهو لم يكن مجرد تعبير عن التحبيذ او المساندة للبرنامج الصهيوني بل وعدا بان يعمل على تحقيقه .

ومهما يكن ، فان روزفلت عاد بعد الانتخابات الى سياسته « المستقلة »(٤٢) السابقة . بل انه طلب من الصهيونيين ان يوقفوا قرارات الكونجرس المقترحة لصالح البرنـامج الصهيوني لفلسطين ، وفكر قبل ولايته الثالثة في « تقارب محتمل مع ابن سعود بخصوص مسألة فلسطين »(٤٣). وقد قابل الرئيس الملك بعد مؤتمر يالطا وقبل اسبوع واحد من وفاته حيث اعطى روزفلت تأكيدات اساسية جديدة لابن سعود . في ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٥ كتب روزفلت يقول انه « شخصيا كرئيس ، لن يفعل ابدا شيئا قد يكون معاديا للعرب » وان « حكومة الولايات المتحدة لن تجري اي تغيير في سياستها الاساسية في فلسطين دون تشاور مسبق وكامل مع كل من اليهود والعرب »(٤٤).

على الرغم من ذلك فلا يمكن ان نعتبر اعمال روزفلت « قرارات » حقيقية بالشكل الذي يمكن ان نعتبر فيه قبول ولسون لتصريح بلفور . لقد ساندت اعمال الرئيس روزفلت الخط الصهيوني القائل بانه يجب الاعتراف بفلسطين على انها الملجـأ النهائي لليهود وبناؤها ككمنولث يهودي . ولكن اثر انغماس روزفلت في المسألـة الفلسطينية لم يكن محسوسا ابان رئاسته بل بعد وفاته فقط ابان رئاسة هاري . اس . ترومان . والسبب في ان روزفلت لم يكمل قط اي شيء ابتداه لمصلحة الصهيونيين كان انه لم يكن مقتنعا بان المصالح الصهيونية والاميركيـة كانت متوافقة في الشرق الاوسط . ان كاتبا صهيونيا واحدا على الاقل ، هو جي . سي . هورويتز(٤٥)، يعتقد ان روزفلت لو عاش لاتبـع في الشرق الاوسط سياسة لا تهدد مصالح اميركه القومية في المنطقة . وهـذا كان يعني القول « لا » للصهيونيين . وبالنسبة للصهيونيين فيمكن ان يكون موت روزفلت من حسن حظهم .

عند هذه النقطة ، يجب ان نناقش بايجاز الرئيسين المتشابهين جـدا والمختلفين جدا : ولسون وروزفلت . لقد كان الاثنان « ليبراليين » ، و« ديمقراطيين » ، و« انسانيين » ، ومثاليين . وكان لكل منهما قوة ادبية عظيمة . وكلاهما اذعن للصهيونيـين في لحظات حاسمة من سعي الصهيونيين لاغتصاب فلسطين . وان ملاحظـة توينبي بأن ولسون شخص آمال عصر ما بعد الحرب العالمية الاولى تلخص بشكل فعال امكانية الرجـل . ولكن اذعان ولسون كان شخصيا اكثر منه سياسيا ، ويستطيع المرء ان يستنتج بـأنه كان رجلا يفتقد الجراة الادبية .

لقد حقق روزفلت ، الى حد ما ، قدراته الكامنة خلال حياته ولم تظهر آثار تورطه مع الصهيونية الا فيما بعد . وكان الصهيوني المخلص ، ايمانويل نيومـان ، حين كتب بعد بضعة سنوات من وفاة روزفلت هو افضل من استشف هذا السياسي « البراجماتي »،

ورجل الدولة البعيد النظر ، والانسان المتفهم . ذكر نيومان ان صداقة الرئيس الشخصية واهتمامه العطوف على « الشعب اليهودي » لم يعنيا انه كان لديه اي وقت للصهيونيين . وقال نيومان ان روزفلت كان لديه « شك عميق الجذور » بشأن «فلسطين يهودية » ، ووصف موقف روزفلت من المحاولة الصهيونية بانه « رأفة غير متورطة » . كذلك اعترف نيومان ان الصهيونيين لم يتجرأوا ان يعملوا ضد هذا الرئيس الاميركي القوي لسببين : الاول ، لان روزفلت كان بالنسبة « للشعب اليهودي » في جميع انحاء العالم « صديقه الكبير وبطله »(٤٦). والثاني ، لان روزفلت كان في السلطة وبدا انه سوف ينتخب وانه سيكون وجها بارزا في مؤتمر السلام . وهكذا كان على الصهيونيين في تعاملهم مع روزفلت ، ان يعملوا بحذر واع ، ولم يجرأوا على اثارة غضبه بمعارضة سياسته بصياح عال . فمن جهة اولى نجد ان خوف الصهيونيين من روزفلت واحترامهم له اعطاه المقدرة على متابعة سياسات كان يشعر انها تخدم كافضل ما يكون المصلحة القومية الاميركية . بينما نجد من جهة ثانية ان الصورة التي كانت عليها المتطلبات السياسية لروزفلت (ولحزبه) لم تمكنه من تجاهل مطالب الصهيونيين . ففي الميدان الاول الذي جابه فيه روزفلت الصهيونيين ، وهو سياسة الهجرة ، هزمته سياسة معادية للصهيونية نتجت عن عدم رغبة الكونجرس في تبديل قوانين الهجرة التقيدية ، لا عن معارضة صهيونية . وفي هذه الحادثة اقتصر عمل المعارضة الصهيونية على مساندة موقف الكونجرس فقط . اما في الميدان الثاني ، وهو الحملة السياسية ، فقد اذعن روزفلت مؤقتا للمطالب الصهيونية لكنه استأنف بسرعة سياسته المستقلة حالما اعيد انتخابه . والحادثة الغريبة المتمثلة بقبول روزفلت لاقتراح فيلبي الى الملك ابن سعود ، تظهر الى اي مدى يمكن ان يكون روزفلت مثاليا وساذجا . ومن الواضح ان الرئيس شعر ان ذلك المشروع يمكن ان يحل ، بآن واحد ، المشكلة الفلسطينية ومسألة اين يمكن ارسال المهاجرين اليهود . لقد كان برانديس هو المفتاح لسياسة ولسون ، ولكن روزفلت لم يكن ملتزما بالصهيونيين بروابط شخصية مماثلة . وهكذا كان روزفلت حرا في ان يبذل اقصى جهده على الرغم من ان حتى اقصى جهده لم يكن كافيا ، واصبحت الولايات المتحدة ملتزمة بسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » .

ان تنفيذ هاتين السياستين ، سياسة « فلسطين الدولة اليهودية » وسياسة « فلسطين الملجأ النهائي لليهود » ، ترك لـ هاري اس. ترومان الذي كان ، بخلاف ولسون وروزفلت ، مؤيدا راسخا للقضية الصهيونية . في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ابلغ الرئيس ترومان باقامة دولة اسرائيل في فلسطين ، وبعد دقائق كان قد اعترف اعترافا واقعيا بالدولة اليهودية . حقا لقد اعترف بفلسطين « دولة يهودية حالما اعلنت دولة يهودية » على الرغم من ان ثلث سكانها فقط كان يهوديا آنذاك . وبين ١٥ ايار (مايو) و ٣١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ دخل اسرائيل اكثر من ١٠٠،٠٠٠ يهودي ، وابتدأ بزخم، تنفيذ سياسة الدولة اليهودية كملجأ «الشعب اليهودي» .وقد قادت هذه السياسة الى الحلول محل الفلسطينيين في وطنهم ــ طردهم من قبل القوات اليهودية في ١٩٤٨ ــ ١٩٤٩ ــ والى اكثر من عشرين عاما من النفي الفلسطيني .

سياسة التفوق العسكري الاسرائيلي في الشرق الاوسط

لم يتنبأ قسم الاستخبارات في البعثة الاميركية لمفاوضات السلام في مذكرته بتاريخ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ بنتائج توصيته بان يعترف بفلسطين كدولة يهودية حالما تصبح دولة يهودية في الواقع . لقد تصورت المذكرة تنفيذ عملية استبدال السكان الفلسطينيين العرب تدريجيا باليهود المهاجرين وخلق دولة يهودية في النهاية على اسس ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين . ودفعت مقاومة الفلسطينيين لعملية اجلائهم التدريجية الصهيونيين الى اللجوء لاستخدام القوة للوصول الى هدفهم . ولان اسرائيل كانت قد ولدت بالقوة

على ارض فلسطين ، وجدت الدولة اليهودية انه يتوجب عليها حماية نفسها بالوسائل العسكرية في بيئة معادية . ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي تستطيع اسرائيل ان تفعل فيها ذلك هي اما ان تحصل على التزام من قوة كبرى ، تحديدا الولايات المتحدة ، يضمن استمرار وجود الدولة اليهودية بوسائل التدخل العسكري لتلك القوة ، واما ان تمتلك اسرائيل التفوق العسكري على الدول العربية . لقد جوبه الرئيسان ترومان وايزنهاور بهذه المشكلة واتخذا ، بخطوتين ، القرار ببناء اسرائيل وجعلها القوة العسكرية المسيطرة في الشرق الاوسط .

كان قرار الرئيس ترومان انه لا يستطيع الزام القوات الامريكية بالقتال من اجل الصهيونيين في فلسطين . ولم يكن الرئيس على اي حال في وضع يمكنه من الزام قوات بالكفاح الفلسطيني لان مثل هذه الخطوة كانت ستكون خطوة مكروهة جدا في الولايات المتحدة التي ارهقتها الحرب . وقد اضطر ترومان الى اتخاذ هذا القرار عام ١٩٤٥ بينما كان النقاش محتدما في الولايات المتحدة بشأن الهجرة اليهودية الى فلسطين : هل ان الولايات المتحدة مهيأة ام لا لان تتحمل مترتبات الدفاع عن دخول ١٠٠،٠٠٠ لاجيء يهودي الى فلسطين ، وهي خطوة ستؤدي قطعا الى صدام . وقد عبر الرئيس عن انطباعه علنا اثر عودته من مؤتمر بوتسدام ، بانه « يتطلب نصف مليون جندي اميركي لحفظ السلام في فلسطين »(٤٧). وفي النهاية لم تكن القوات الاميركية مطلوبة لاقامة الدولة اليهودية ، ولم تحل مسألة كيفية المحافظة على هذه الدولة الا في رئاسة دوايت دي. ايزنهاور .

عندما ابتدأ الجنرال ايزنهاور حملته من اجل الرئاسة ، كانت اهم مشكلة تواجه الولايات المتحدة هي الحرب الكورية . وقد خاض حملته على اساس انه سينهي الحرب في آسيه بأقصى سرعة ممكنة ويعيد الجنود الاميركيين الى وطنهم . ولم يكن هناك مجال لان يلزم ايزنهاور القوات الاميركية بأن تخوض حربا اخرى في آسيه ، ولو لمصلحة الصهيونيين ، على الرغم من ان الدولة الصهيونية الحديثة الولادة لم تكن تتطلب في الواقع تدخلا عسكريا مباشرا لصالحها ضد جيرانها . وعوضا عن ذلك طالب الاسرائيليون والنواب الصهيونيون الاميركيون ، باستمرار ، بمعونة من الاسلحة الاميركية .

وعلى اية حال ، فلم تبدأ حكومة الولايات المتحدة الاميركية تدرس جديا احتمال تزويد الاسرائيليين بكميات كبيرة من السلاح الا في عام ١٩٥٥ . حدث هذا في عام ١٩٥٥ عندما زود الاتحاد السوفياتي مصر بتجهيزات عسكرية بعد ان رفضت اميركة ان تفعل ذلك . وأرعبت صفقة الاسلحة السوفياتية ـ المصرية بشكل خاص وزير الخارجية الاميركية جون فوستر دالاس . ودفع هجوم القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية على مصر في اكتوبر نوفمبر ١٩٥٦ ، وزير الخارجية لان يعيد النظر في التوجه الاميركي بصدد عدم الاستقرار في الشرق الاوسط. في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٧، قدم الرئيس ايزنهاور في رسالته الى الكونجرس مقترحات لسياسة اميركية شرق ـ اوسطية جديدة. وطالب بقرار مشترك لمجلسي الشيوخ والنواب يخول الرئيس اتخاذ خطوات لمحاربة « الرغبات المفترسة للشيوعية الدولية » في الشرق الاوسط . اما الاقتراح المتعلق بالعلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية فقد اوصى بان تتكفل الولايات المتحدة بتقديم المعونة العسكرية لاي بلد يطلب مثل هذا العون . وقد وافق الكونجرس وظهر الى الوجود ما يسمى بـ « مبدأ ايزنهاور » . وبموجب مبدأ ايزنهاور بدأت الولايات المتحدة تزود اسرائيل بكميات هامة من التجهيزات العسكرية بقصد الحفاظ على « توازن القوى » في المنطقة، وهو التوازن الذي كان يعني في الواقع اختلالا في التوازن العسكري لصالح المليوني اسرائيلي ضد المائة مليون عربي في الشرق الاوسط وشمال افريقيه .

وقد اصبحت هـذه هي سياسة السيطرة الاسرائيلية العسكرية التي تابعهـا الرئيس جون اف. كينيدي الذي اعطى الاسرائيليين صواريخ « هوك » الاميركية فضلا عـن تجهيزات اخرى ، ثم تابعها الرئيس ليندون بي. جونسون الذي وعد اسرائيل بأحدث طائرات « فانتوم » الاميركية المقاتلة القاذفة ، ثم تابعها الرئيس ريتشارد ام. نيكسون الذي سلم حتى الان طائرات «الفانتوم» واعطى قرضا بـ ٥٠٠ مليون دولار للحفاظ على تفوق اسرائيل العسكري في الشرق الاوسط .

ولربما كان قرار ايزنهاور ـ دالس عام ١٩٥٧ بتزويد اسرائيل بالاسلحة اكثر القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين اهمية ، واكثرهـا خطورة قطعا . والـدول العربية لا تستطيع ان تسمح لاسرائيل ، وهي الدولة الغربية ، بالسيطرة على الشرق الاوسط ، كما لا تستطيع الشعوب العربية ان تنسى ان اسرائيل قد اقيمت على حساب الشعب الفلسطيني . وهكذا ، وما دامت اسرائيل موجودة ، فان عليها ان تكافح لان تعيش في بيئة معادية ، وسوف يندلع القتال من وقت لاخر ـ كما حدث في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ ، وسيكون عـلى الولايات المتحدة ان تحافظ عـلى السيطرة الاسرائيلية العسكرية في الشرق الاوسط .

لنتفحص الان بايجاز كيف اتخذ هذا القرار كي نقارنه بالقرارات المتخذة من قبل ولسون وروزفلت . لقد اتخذ قرار تنمية تفوق اسرائيـل العسكري على خطوتين تفصل بينهما عشر سنوات ، واتخذه رئيسان مختلفان كانا عضوين في حزبين سياسيين مختلفين . في حالة ترومان ، لم تكن مساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي نتيجة مساندته للقضية الصهيونية في فلسطين بل لانه لم يكن في وضع يمكنه من ارسال قوات اميركية للقتال في آسيه . ويمكن الجدال في الواقع بأن ترومان كان مـن الممكن ان يلزم القوات الاميركية بالقتال لصالح الصهيونيين فيما لو كان ذلك ممكنا آنذاك . اما في حالة ايزنهاور ، فقد جاء قراره ببيع الاسلحة لاسرائيل نتيجةخوف اميركه من تزايد قوة السوفيات ونفوذهم في الشرق الاوسط ، لا بسبب كون ايزنهاور مؤيدا لاسرائيل بشكل خاص . ومن الوقت الذي قام فيه بمساهمته في سياسة التفوق الاسرائيلي العسكري ، كان الرئيس ايزنهاور منهمكا في تأمين الانسحاب العسكري الاسرائيلي من سيناء المصرية . وهكذا يبدو ان النفوذ الصهيوني كان ضئيلا جدا في حالة القـرار الاميركي الرئيسي الثالث بشـأن فلسطين .

نتائج

حاولت في هذا البحث ان اصف القرارات الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين التي اتخذهـا اربعة رؤساء اميركيـين مختلفين ، وشكلت مقومـات السياسة الاميركية الفلسطينية . وبالنسبة لمراقبي الوضـع الراهن في الشرق الاوسط ، هناك نتيجتـان رئيسيتان تستخلصان من هذا التحليل للتورط الاميركي في مسألة فلسطين .

النتيجة الاولى ، هي ان التزام الولايات المتحدة بالدولة اليهودية يستند على فكرتـين : اولاهما ان فلسطين يجب ان « يعاد تشكيلها » كوطن قومي للشعب اليهودي ، وثانيتهما ان الحل الوحيد لمشكلة « التشرد اليهودي » يوجد في فلسطين . وقد ضمنت هـاتان الفكرتان في السياسة الاميركية من قبـل الرئيسين ولسون وروزفلت لاسباب مختلفة جدا : ضمنها ولسون لانه شعر انه كان مدينا لقاضي المحكمة العليا لويس برانديس الصهيوني الغيور ، وروزفلت لانه ظن انه لا توجد وسيلة اخرى لتخفيف آلام اللاجئين الاوروبيين اليهود الا بمساندة هجرتهم الى فلسطين . واتخذ ترومان الخطوة الاولى نحو بناء اسرائيل على انها القوة المتفوقة في الشرق الاوسط لانه ، مثل روزفلت في مسألـة الهجرة اليهودية ، ظن انه لا يوجد امامه خيار اخر . وكان ايزنهاور اكثر اهتماما بمعادلة

ميزان القوى السوفياتي ـ الاميركي منه بمتطلبات اسرائيل العسكرية .

هكذا يجب ان نفهم الالتزام الاميركي باسرائيل كما هو بالفعل : التزام خاص اتخذه رؤساء افراد تجاوبا مع مطالب اللحظة . بالنسبة لولسون كان برانديس هو القوة المقررة. بالنسبة لروزفلت كان المفتاح هو رجال الكونجرس الاميركيين من حماة العزلة. وبالنسبة لترومان وايزنهاور كان احجام اميركه عن القتال نيابة عن الشعوب الاخرى هو العامل الاهم . وفي اي من هذه الحالات لم تكن الكليشهات القديمة مثل « الاصوات اليهودية » و « النفوذ الصهيوني في اوساط الاعلام » و « الصداقات » في البيت الابيض هي القوى وراء القرارات المتخذة . وقد وضع التزام ولسون الاولي بالصهيونيين ، نتيجة للنفوذ الصهيوني المباشر، الولايات المتحدة على خطها الموالي للصهيونية في الشرق الاوسط ، وهو خط كان مستحيلا على الرؤساء اللاحقين تبديله . لقد كان النفوذ الصهيوني السياسي والمالي والاعلامي عاملا رئيسيا في ابقاء الرؤساء الاميركيين في المجرى الذي رسمه ولسون ، ولكن يجب ان لا ننسى ان الصهيونيين لم يكونوا هم القوة وراء جميع القرارات الاميركية المتعلقة بالسياسة الفلسطينية . والحقيقة البسيطة المتمثلة بان هؤلاء الرؤساء ، ثلاثة ديمقراطيين « ليبراليين » وواحد جمهوري محافظ ، قد انحازوا الى الجانب الصهيوني يجب ان تكون كافية لتجعلنا نتوقف ونلقي نظرة ثانية على السياسة الاميركية .

اما النتيجة الثانية ، فهي ان السياسة الاميركية ازاء فلسطين لم تكن سياسة حقيقية في الواقع ، وانها شكلت سلسلة من القرارات السياسية الآنية اتخذها رؤساء افراد ، وان هذه القرارات قد بنيت على مصالح قصيرة الاجل وحتى شخصية ، وان توجه الولايات المتحدة الكلي بصدد فلسطين كان ضد المصلحة القومية الاميركية . وقد عالج هذا البحث طبيعة القرارات التي اتخذها الرؤساء الاميركيون وحاول ان يظهر كيف ولماذا اتخذت هذه القرارات ، ولكننا لم نتفحص المصلحة القومية الاميركية . واهم نقطة في هذا الصدد هي انه لا يمكن خدمة مصلحة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط اذا ما كان الرؤساء الاميركيون يساندون الصهيونيين ضد رغبات شعوب الشرق الاوسط ومصالحها . هذه النقطة برهنت عليها نتائج تأييد الولايات المتحدة للصهيونيين في فلسطين : انتفاضات واسعة في فلسطين ، ثلاث حروب محلية في الشرق الاوسط منذ اقامة دولة اسرائيل ، نهب شعب كامل ونفيه ، عدم استقرار في البلدان العربية ، سباق تسلح شرق ـ اوسطي ، ظهور النفوذ الشيوعي السوفياتي والصيني في الشرق الاوسط . وهكذا لم يكن سجل السياسة الاميركية الفلسطينية سجل نجاح . وقد يبدو انه يتوجب على الولايات المتحدة ان تنمي السلام والاستقرار والتطور الاقتصادي والمؤسسات السياسية الشعبية في الشرق الاوسط ، بدل الحرب وعدم الاستقرار والمأساة والمجابهة بين القوى الكبرى . وبعد ، على الرغم من المحاولة التي بذلها روزفلت ، فان المصلحة القومية الاميركية لم تؤخذ ابدا بعين الاعتبار في صنع السياسة الفلسطينية .

---

١ ـ Leonard Stein, *The Balfour Declaration,* London 1961, pp. 194-97.

٢ ـ Christopher Sykes, *Two Studies in Virtue,* London 1953, p. 133.

٣ ـ شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٤٢٣ .

٤ ـ Frank E. Manuel, *The Realities of American - Palestine Relations,* Washington 1949, pp. 175-76.

٥ ـ شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٧ .

٦ ـ **المصدر نفسه** ، ص ٥٨٨ .

٧ ـ **المصدر نفسه** ، يشك شتاين في الحديث المتبادل بين ويلسون ولانسنغ ، كما ورد على لسان الاخير ، ولكنه يقر بالتأخير من قبل ولسون حول اصدار تصريحه العلني بتأييد البرنامج الانجلو ـ صهيوني .

٨ ـ Henry Cattan, *Palestine, the Arabs and Israel,* London 1969, p. 15n.

٩ — Quoted in Harry N. Howard, *The King-Crane Commission, An American Inquiry into the Middle East,* Beirut 1963, p. 13.

١٠ — Arnold J. Toynbee, *A Study of History,* Abridgement of Vols. 1-VI by D. C. Somervell, London 1946, p. 552.

١١ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٥ .

١٢ — مانويل ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٦ .

١٣ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٥ .

١٤ — هوارد ، **المصدر السابق**، ص ١١ — ١٢ .

١٥ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٥٣ .

١٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٥٦ .

١٧ — **المصدر نفسه** ، ص ٥٩٦ .

١٨ — هوارد ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

١٩ — شتاين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٦ .

٢٠ — هوارد ، **المصدر السابق** ، ص ٣٧ .

٢١ — **المصدر نفسه** ، ص ٢١٨ .

٢٢ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٥٠ .

٢٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٣٠٩ .

٢٤ — سايكس ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٥ .

٢٥ — **المصدر نفسه** ، ص ١٩٥ .

٢٦ — **المصدر نفسه** ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

٢٧ — **المصدر نفسه** .

٢٨ — Richard B. Stevens, *American Zionism and U. S. Foreign Policy (1942-1947),* New York 1962, p. 45.

٢٩ — **المصدر نفسه** .

٣٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٧١ .

٣١ — **المصدر نفسه** ، ص ٧١ — ٧٢ .

٣٢ — Samuel Halperin, *The Political World of American Zionism,* Detroit 1963, Appendix VI, p. 331.

٣٣ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٤ .

٣٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٣ .

٣٥ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ .

٣٦ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

٣٧ — **المصدر نفسه** .

٣٨ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٦ .

٣٩ — **المصدر نفسه** ، ص ٧٧ .

٤٠ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٣ — ٨٤ .

٤١ — مانويل ، **المصدر نفسه** ، ص ٣١٢ .

٤٢ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٨٥ .

٤٣ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٧ .

٤٤ — **المصدر نفسه** ، ص ٨٩ .

٤٥ — J. C. Hurewitz, *The Struggle for Palestine,* New York 1950.

٤٦ — ستيفنس ، **المصدر السابق** ، ص ٩٣ — ٩٤ .

٤٧ — **المصدر نفسه** ، ص ١٣٣ . الحاخام سيلفر في رسالة الى السناتور واجنر .

٤٨ — John C. Campbell, *Defense of the Middle East,* New York, 1960, p. 122.

عصبة مكافحة الصهيونية في العراق

عبد القادر ياسين

مع التهاب القضية الفلسطينية واندفاعها السريع الى السطح في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بادر الحزب الشيوعي العراقي بتكليف مجموعة من اعضائه اليهود بتكوين منظمة لمكافحة الصهيونية . وكي نتمكن من الالمام بملابسات تكوين هذه المنظمة ، والدور الذي قامت به ، لا بد من معرفتنا بموجز مختصر لتاريخ الحزب الشيوعي العراقي من جهة ، ووضع الطائفة اليهودية في العراق من جهة اخرى .

الحزب الشيوعي العراقي* : كانت أول حلقة ماركسية في العراق ، تلك التي ظهرت في بغداد عام ١٩٢٢ ، وهي عبارة عن حلقة ضيقة من الشباب ، التفت حول حسين الرحال ، الذي كان قد تلقى تعليمه في استانبول ، وزار روسيا القيصرية ، حيث شهد قيام الثورة البلشفية فيها . ودرس الرحال النظرية الماركسية . ونجحت تلك الحلقة من الشباب الماركسي في اصدار جريدة « الصحيفة » ، عام ١٩٢٥ ، واصدرت منها خمسة أعداد . ثم سرعان ما اختفت الصحيفة ، وهجر الأعضاء حلقتهم . وفي عام ١٩٣٢ ، بدأ يوسف سلمان يوسف في تنظيم بعض خلايا شيوعية في الناصرية . وفي مارس (اذار) ١٩٣٤ ، تأسست في بغداد « لجنة مكافحة الاستعمار والاستثمار » ، كتنظيم يجمع الشيوعيين العراقيين . واصبح عاصم فليح أول سكرتير للحزب الشيوعي العراقي . وفي يوليو (تموز) عام ١٩٣٥ ، أصدر الحزب الشيوعي « كفاح الشعب » كجريدة سرية للحزب . وقد تعرض الحزب ، منذ قيامه ، لضربات متوالية من الحكومات العراقية المتعاقبة . وأصبح « فهد » وهو الاسم السري ليوسف سلمان يوسف ، سكرتيرا عاما للحزب ، بعد ان هجر عاصم فليح العمل السياسي ، عام ١٩٣٦ . وتوالت الانقسامات في صفوف الحزب . ففي عام ١٩٤٢ تزعم ذو النون أيوب اول انشقاق في الحزب ، واصدر المنشقون جريدتهم السرية « الى الامام » ، في حين استمر الحزب في اصدار صحيفته السرية « الشرارة » والتي كان قد أصدرها بدلا من كفاح الشعب ، أعتبارا من عام ١٩٣٨ . وبعد ستة أشهر من هذا الانشقاق ، قاد عبد الله مسعود القريني ، الانشقاق الثاني عن الحزب . وأصدر المنشقون جريدة « الشرارة الجديدة » السرية . وفي أوائل ١٩٤٤ عقد الحزب مؤتمره الاول ، حيث اقر فيه ميثاقه الوطني ونظامه الداخلي . وعشية انعقاد المؤتمر ، انشق داود الصايغ عن الحزب مكونا « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، وأصدر صحيفة سرية باسم « العمل » . واستبدل الحزب اسم صحيفته السرية ، باسم « القاعدة » . وفي الاسبوع الاول من يناير (كانون الثاني) عام ١٩٤٧ ، القي القبض على مجموعة كبيرة من « رابطة الشيوعيين العراقيين » ، وبعدها بخمسة أيام اعتقل فهد وبعض اعضاء قيادة الحزب ، واصدرت المحاكم العراقية حكمها باعدام فهد وبعض اعضاء القيادة ، الا ان الحكم سرعان ما الغي تحت ضغط جماهير الشعب العراقي ، وان كانت الحكومة العراقية قد استغلت الاحكام العرفية التي كانت قد أعلنتها عام ١٩٤٨ ، بحجة حماية ظهر الجيش العراقي الذاهب

الى فلسطين ، واعدمت فهد ، واثنين اخرين من اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ، هما حسين الشبيبي ، وزكي بسيم . ونفذ حكم الاعدام في الثلاثة صبيحة الرابع من فبراير (شباط) عام ١٩٤٩ . وقد عادت للحزب وحدته عام ١٩٥٦ ، بفضل مبادرات السكرتير العام للحزب آنذاك ، حسين الرضى ، المعروف باسمه الحركي ، سلام عادل .

وللحزب الشيوعي العراقي تراثه النضالي سياسيا واجتماعيا ، وطنيا وطبقيا . وهو التراث الذي يعترف به حتى خصومه . ومنذ تكوينه ، كان للحزب الشيوعي العراقي موقفه الواضح العميق من القضية الفلسطينية ، وقد دأب الحزب على التفريق بين الصهيونية واليهودية ، وعلى المطالبة « بالغاء الانتداب البريطاني على فلسطين وجلاء الجيوش عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح »(١) .

وقد انشأ الحزب بعض المؤسسات العلنية كحزب التحرر الوطني ، ودار الحكمة للطباعة ، وصحيفة الاساس ، و « عصبة مكافحة الصهيونية » وصحيفتها « العصبة » . والمؤسستان الاخيرتان هما موضوع دراستنا هذه .

الطائفة اليهودية في العراق : كان اليهود يشكلون أقلية فعالة في العراق ، ساهمت في الانشطة السياسية والثقافية والاقتصادية للبلاد . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ، أولت بريطانيا وامريكا المزيد من اهتمامها ليهود الشرق الاوسط ، ومن بينهم يهود العراق ، بغية استخدامهم قاعدة استعمارية في المنطقة ، وكان هذا الاهتمام قد أتى بعد تطور الرأسمالية العالمية وتلهفها على الشرق الاوسط لاحتلاله واستنزاف موارده وخيراته ، واستغلال موقعه الاستراتيجي الهام في حراسة الطريق المؤدي الى المستعمرات البريطانية في الشرق الاقصى . وتحت ضغط بريطانيا وامريكا ، اصدرت الامبراطورية العثمانية تشريعات عديدة ، منح اليهود بموجبها ما يشبه الاستقلال الذاتي ، وتضمنت حق اليهود في التمثيل بمجلس المبعوثان العثماني . وقد كان لليهود وضع اقتصادي متميز في العراق . وبخروج العثمانيين من العراق ، بعد اندحارهم في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨) ، تبدل النظام السياسي في العراق ، ونصب فيصل بن الحسين ملكا على العراق . وشارك ممثلو الطائفة اليهودية في المجلس التأسيسي العراقي . ونص الدستور العراقي لعام ١٩٢٥ ، على ان لليهود ما لباقي طوائف وأفراد الشعب العراقي من حقوق وواجبات . كما نص الدستور على ان يكون لليهود اربعة اعضاء في مجلس النواب ، وعضو اخر في مجلس الشيوخ ، وزيدت هذه النسبة في وقت لاحق الى ستة نواب ، وظل هذا النظام معمولا به حتى الغي في عام ١٩٥٢ بقرار وزاري . وشاركت الطائفة اليهودية في بعض الوزارات العراقية ، واستوزر ساسون حزقيل في عدة وزارات . كما ساهم أبناء الطائفة اليهودية في النشاط السياسي في العراق ، وانضوت اقسام منهم تحت لواء الحزب الوطني الديمقراطي والحزب الشيوعي العراقي ، بعد ان جذبتهم مبادىء هذين الحزبين الداعية للتسامح ووحدة الشعب العراقي بكامل طوائفه ، دونما تفريق بين طائفة واخرى .

وحسب احصاء أجرته الحكومة العراقية عام ١٩٤٧ ، بلغ عدد افراد الطائفة اليهودية نحو ١١٨ الف نسمة . وبعد تكوين اسرائيل ، عام ١٩٤٨ ، وبالتواطؤ مع الدوائر الاستعمارية ، بدات حكومة نوري السعيد في ترحيل أبناء الطائفة اليهودية الى اسرائيل بعد أن أسقطت عنهم الجنسية العراقية ، بموجب القانون رقم ١ لسنة ١٩٥٠ ، الذي جاء فيه ، في مجال تبرير اصداره ، أن الحكومة العراقية قد اتخذته « للتخلص من طائفة بغيضة المشاكل » . أما اليوم فلا يتعدى حجم الطائفة اليهودية في العراق ٣٠٠٠ نسمة .

عصبة مكافحة الصهيونية

مارست الحكومات العراقية المتعاقبة ـ خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) اقصى ما يمكنها من اشكال القهر والارهاب ضد الشعب العراقي . واستمرت حكومة مزاحم الباجهجي في ممارسة ارهابها وكبتها للحريات العامة ، من خلال القوانين الاستثنائية والاحكام العرفية ، حتى بعد انتهاء الحرب . وفجأة خرج الامير عبد الاله ، الوصي على عرش العراق آنذاك ، على الاوساط السياسية العراقية ، بخطاب القاه في اعضاء البرلمان العراقي في السابع والعشرين من ديسمبر (كانون الاول) لعام ١٩٤٥ ، ضمنه سماحه بتأليف احزاب سياسية في العراق « التي لم يصح بقاء البلاد خالية منها »(٢). واستقالت حكومة الباجه جي ، في اعقاب خطاب الوصي ، وحلت محلها حكومة توفيق السويدي ، التي تعهدت في منهاجها بـ « الغاء الادارة العرفية ... وسد المعتقل والافراج عن المعتقلين ، ورفع الرقابة على الصحافة ... وفسح المجال لتأسيس الاحزاب السياسية »(٣). وقد استقبلت الاوساط الشعبية والسياسية العراقية حكومة السويدي ومنهاجها بارتياح ظاهر . وخلال عام ١٩٤٦ اجازت حكومة السويدي خمسة احزاب هي الوطني الديمقراطي ، والاستقلال ، والاتحاد الوطني ، والشعب ، والاحرار . ورفضت في الوقت نفسه السماح لحزب التحرر الوطني بممارسة نشاطه ، متذرعة باعتناقه المبادىء الشيوعية .

وفي هذا الجو وبمبادرة من الحزب الشيوعي العراقي ، جرى تأسيس « عصبة مكافحة الصهيونية » عام ١٩٤٥ . وقد أوكل الحزب مهمة تأسيس العصبة ليهودا صديق ، عضو اللجنة المركزية للحزب ، ويوسف هارون زلخة ومسعد قطان ، وابراهيم ناجي ، ويعقوب فرايم ، ونعيم شوع ، ويوسف زلوف ، وكلهم اعضاء في الحزب الشيوعي العراقي ، ومن ابناء الطائفة اليهودية في العراق . ويقول يهودا صديق بأن المذكورين عقدوا عدة اجتماعات صاغوا خلالها برنامجا ونظاما داخليا للعصبة . وعندما أجيزت العصبة من قبل الحكومة العراقية ، تألفت هيئة ادارية ، تراسها يوسف زلخة ، وهيئة رقابة برئاسة يهودا صديق ، وتنحصر مهمة الهيئة الثانية في مراقبة مقررات الهيئة الادارية ومتابعة تنفيذها(٤).

لقد كانت الطائفة اليهودية بحاجة الى تمتين صلتها وتحقيق اندماجها بالشعب العراقي . واقناع العراقيين بانعدام الرابطة والصلة بين الطائفة اليهودية في العراق والحركة الصهيونية . وبعد حظر العصبة ، واعتقال قادتها ، أكد يوسف زلوف ، في التحقيق الذي أجرته معه المباحث العامة العراقية ، على أهمية وضرورة التضامن بين جميع الطوائف الدينية ، التي تؤلف الشعب العراقي بما يعود بالفائدة على مجموع الشعب(٥). أما احتضان الحزب الشيوعي ، دون غيره ، لفكرة اقامة عصبة مكافحة الصهيونية ، فيردها زلوف الى كون الحزب الشيوعي « المنظمة الوحيدة العاملة في هذا الحقل »(٦). ويعني به حقل التضامن بين مختلف الطوائف الدينية .

اهداف ونشاط العصبة : اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية العديد من الكراسات والكتب ، كما نشرت برنامجها بشكل واسع . كما عقدت الكثير من الاجتماعات والمؤتمرات الجماهيرية في مقرها بالكرخ . واخذت تصدر جريدتها « العصبة » ، عن دار الحكمة للطباعة ، التي تمتلكها العصبة نفسها .

وقد نشرت جريدة « العصبة » مقالات متتابعة ، شرحت وعمقت فيها أهداف العصبة ، ثم جمعت هذه المقالات في كتيب ، واصدرته بعنوان « نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟ » وفي هذه المقالات فصلت العصبة الدين اليهودي عن الصهيونية ، وأكدت على ارتباط الثانية بالاستعمار العالمي ، وعلى رأسه الاستعمار الامريكي ، كما أشارت

العصبة في كتبها الى ان « ليس لليهود قضية منفصلة عن قضايا شعوبهم » . واعتبرت عصبة مكافحة الصهيونية ، الحركة الصهيونية عميلا للامبريالية واداة لها . كما اعتبرت « الفاشية والصهيونية توأمين لبغي واحدة هي العنصرية » . وأوضحت العصبة ان عداءها للصهيونية هو « في سبيل اخواننا اليهود » ، ولكون الصهيونية تخلق وتزرع الفتن والعداء والعنصرية بين اليهود والشعب العربي ، بما يصرف هؤلاء وأولئك عن النضال لانجاز القضايا الوطنية الكبرى « الاستقلال والسيادة الوطنية ، والجلاء ، وانهاء التدخل الاجنبي » . اما « الوطن القومي لليهود » فالعصبة تعلن عداءها له، لانه « يفرق بين اليهود ومواطنيهم في الوطن الواحد ، ولانه يستهدف شطر فلسطين العربية عن جسم البلاد العربية وأفناء شعبنا العربي » . وتحت عنوان « الصهيونية رأسمالية استعمارية » قالت العصبة في كراسها ، أن الصهيونية تتلون امام اليهود بما يلائم ويرضي كل فئة منهم « فهي دينية امام المحافظين ، وقومية امام الشباب المتحمس ، واشتراكية أمام العامل » . وتنفي العصبة كل هذه الصفات عن الصهيونية « فدينها نفاق ورياء ، وقوميتها عنصرية اعتدائية ، واشتراكيتها انتهازية » . وأكدت أن الصهيونية تطمع فقط في اغراق الاسواق بالبضائع ، لتضرب الصناعة الوطنية وتسيطر على التجارة . وفسرت العصبة في كراسها ، تبني الاستعمار للصهيونية ، لكون الاخيرة اداته في قلب الوطن العربي . واشارت الى أن الاستعمار الامريكي — الذي ينشط اوراثة الاستعمار البريطاني في فلسطين — يحتضن ، هو ايضا ، الصهيونية للغرض نفسه . واعتبرت العصبة غياب الديمقراطية عن بلدان الوطن العربي عاملا منشطا للصهيونية في البلاد العربية . وطالبت العصبة ، في كراسها ، بضرورة اشراك المنظمات الشعبية في الكفاح من اجل طرد الاستعمار البريطاني ، الذي أوجد الصهيونية في فلسطين(٧) .

وفي مصر استشهد أحد الكتاب المصريين بما كان قد ورد في بيان للعصبة ، من أن « الصهيونية لا تحل ، بالمرة ، مشكلة ستة عشر مليونا من اليهود ، بل ان المشكلة اليهودية ليست سوى جزء ، لا يتجزأ ، من نضال الشعوب كافة ، على اختلاف اديانها ، في سبيل حريتها وديمقراطيتها »(٨) .

وفي عدد اخر منها ، نشرت مجلة « الضمير » القاهرية خبرا عن اصدار « عصبة مكافحة الصهيونية » بيانا « كشفت فيه عن الاساليب التي يأتيها اليهود لجعل فلسطين وطنا لهم ، ومزاحمة العرب فيها والحلول التي يجب اتباعها لمحاربة هذه الاساليب ، حفظا لحقوق العرب في وطنهم الشرعي ، وهذه النشرة موجهة الى أبناء الجيل العربي والى الجامعة العربية لما فيها من الحلول العملية والسلمية »(٩) .

وفي الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٥ ، أصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا بمناسبة « يوم وعد بلفور » ، كما سمته ، واعلنت في بيانها « باسم يهود العراق استنكارها لهذا الوعد واحتجاجها عليه » . وأكدت العصبة في بيانها ان الامبريالية تهدف من وراء وعودها للشعوب الضعيفة الى « تثبيت نفوذها وزيادة امتيازاتها واثقال نيرها على رقاب تلك الشعوب » . وضربت العصبة مثلا بوعود بريطانيا للعرب ابان الحرب العالمية الاولى ، والمتضمنة عهدا بمنح البلاد العربية استقلالها ، كما أشارت العصبة الى معاهدة سايكس — بيكو ، المعقودة بين حكومتي فرنسا وبريطانيا ، والتي قسمت الدولتان الاستعماريتان ، بموجبها ، البلاد العربية فيما بينهما . وتنتقل العصبة للحديث عن وعد بلفور ، فترى أن الاستعمار يستطيع « أن يتكرم بفلسطين مئات المرات طالما أنها ليست بلاده ، وطالما انه يجد في ذلك ربحا له ومغنما » . وطالب بيان العصبة الشعوب العربية بالنهوض « لرد عاديات الاستعمار عنها » . وترى العصبة ان غاية الاستعمار وعميلته الصهيونية من وعد بلفور هي تحويل « نضال العرب الموجه ضد

الاستعمار نحو جماهير اليهود ، وبذلك تخلق منهم حاجزا يختفي وراءه الاستعمار ، فيحافظ على امتيازاته ويستمر في استغلاله ، وفي التطفل على دماء الشعوب العربية » .
وترى عصبة مكافحة الصهيونية في « الدموع التي يذرفها المستعمرون على مصلحة اليهود . . . دموع التماسيح ، لانهم لو كانوا حقا يعطفون على اليهود لعاملوهم معاملة طيبة في أوروبا » . وعادت العصبة لتؤكد في بيانها « أن حل المشكلة اليهودية يتم بحل مشكلة البلدان التي يعيش فيها اليهود . اما (حل) فلسطين ، فهو فضلا عن انه لا يحل المشكلة اليهودية ، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي » . واستنكر أعضاء العصبة في بيانهم ، باعتبارهم «يهودا وعربا في الوقت نفسه» وعد بلفور واحتجوا عليه . ودعوا مواطنيهم « الى النضال من أجل استقلال فلسطين استقلالا تاما ، وتأليف حكومة ديمقراطية عربية فيها ، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين ، وايقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة »(١٠).

وفي فبراير (شباط) عام ١٩٤٦ ، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا « الى الراي العام العربي والديمقراطيين جميعا» ذكرت فيه بما كانت قد رددته قبلئذ من « ان مشكلة فلسطين يجب أن تفصل عن المشكلة اليهودية ، لان المشكلة الاولى ما هي الا مشكلة شعب يناضل في سبيل حريته واستقلاله ، فاذا كانت المشكلة اليهودية لا تربط بمشاكل الشعوب المناضلة الاخرى ، فلماذا اذن تربط بمشكلة الشعب الفلسطيني العربي المناضل ؟! » كما أعاد البيان الى الاذهان ما كانت العصبة قد طالبت به من « استقلال فلسطين ومنع الهجرة . . . وان قضية فلسطين لا تحتاج الى تحقيق ، فهي واضحة وضوح الحق ، خصوصا وقد مر ما يزيد على ربع قرن والحكومة البريطانية دائبة على (لجان تحقيق) و(هيئات تحقيق) ولما ينته (التحقيق) » . وتؤكد العصبة في بيانها أن « هذا (التحقيق) لن ينتهي ما لم تأخذ فلسطين العربية ـــ تعاونها الشعوب العربية ـــ حقها أخذا ، وتنتزع استقلالها انتزاعا . لان الاستعمار البريطاني وكل استعمار آخر قد علمنا بأن سماءه لا تمطر غير النار والدمار » . وكرر البيان ما كانت الهيئة المؤسسة للعصبة قد ذكرته في مذكرتها للحكومة العراقية ، تلك التي طلبت فيها اجازة نشاط العصبة ، والتي جاء فيها « ان المشكلة اليهودية لا يمكن أن تحل الا بقيام نظم ديمقراطية في الاقطار التي يستوطنها اليهود في العالم » . وان « ليس يهود العراق وحدهم يناهضون الصهيونية ويقاومونها ، بل هنالك منظمات يهودية كثيرة في مختلف انحاء العالم تناهض الصهيونية وتقاومها أيضا » . ونددت العصبة في بيانها بقرار الحكومة البريطانية القاضي « بالسماح والهجرة لـ ١٥٠٠ مهاجر شهريا الى فلسطين » . ورأت العصبة في هذا القرار إستهتارا من الاستعمار البريطاني بوعوده وتعهداته ، كما « يعد استهتارا بوجود لجنة التحقيق نفسها واعترافا بعدم أهميتها » . وتقصد العصبة هنا لجنة التحقيق الانجلو ـــ امريكية ، التي شكلتها بريطانيا وأمريكا للتحقيق في امكانات فلسطين على استيعاب المهاجرين اليهود ، وفي أسباب الاضطرابات في فلسطين ، وتقديم ما تراه اللجنة مناسبا من الحلول ، وقد ندد بيان العصبة « بالاعمال الارهابية التي يقوم بها عملاء الاستعمار البريطاني والامريكان » . وترى العصبة ان هذه الاعمال الارهابية هدفها « ذر الرماد في العيون ، كي يقدموا حجة للاستعمار البريطاني ليحشد قوات كبيرة في فلسطين ، ظاهرها مقاومة هذه الاعمال الارهابية ، وجوهرها ضرب الحركات التحريرية في البلدان العربية كافة ، خصوصا وان المطالبة بجلاء القوات الأجنبية عن جميع البلاد العربية أصبح شعار العرب في العراق ومصر وسوريا ولبنان » . ودلل بيان العصبة على صحة هذا الاستنتاج بمقال كانت قد نشرته جريدة « دافار » الصهيونية بفلسطين ، جاء فيه « أن هذه القوى البريطانية لم تحشد في فلسطين من أجل الشعب اليهودي ، وقد اثبتت التجارب ان فرقة واحدة تكفي لاقتحام مستعمرتين في يوم واحد . ان هذه القوات البريطانية الكبيرة قد حشدت هنا لحاجات بريطانية ، ونحن نعترف بحق هذه

الحاجات ، ومستعدون للاهتمام بها ومساعدتها في تاديتها ، كما فعلنا اكثر من مرة ، لاننا نعترف بالعلاقة بين مصير الامبراطورية وبين مصيرنا ، ونعترف بهذه الشركة ونريدها . ولكن هذه لم تحتشد من أجلنا والحق يقال » . وأكد بيان عصبة مكافحة الصهيونية « ان العرب لا يمكن ان يحصلوا على حرياتهم واستقلالهم الا بالاعتماد على أنفسهم وبالتعاون مع قوى الشعوب المعادية للظلم والاستعمار » . وأنهت العصبة بيانها بدعوة رؤساء الحكومات العربية الى قضية فلسطين في مجلس الامن والمطالبة بالغاء الانتداب على فلسطين ، وبمنحها استقلالا تاما(١١) .

كما أرسلت العصبة مذكرتين ، أولاهما لرؤساء الحكومات العربية والثانية لامين الجامعة العربية العام ، ونددت العصبة في المذكرتين بلجنة التحقيق الانجلو امريكية ، مؤكدة انها « ما هي الا ستار مهلهل يختفي وراءه الاستعماران البريطاني والامريكي ، بقصد القيام بهجوم جديد لدعم الصهيونية وتثبيت أقدام الاستعمار في فلسطين وباقي البلاد العربية »(١٢) . ثم أصدرت العصبة بيانا الى الجماهير العربية حول اللجنة المذكورة ، أشارت فيه الى أن الاستعمارين الانجليزي والامريكي قد عمدا ــ قبل أن تنتهي لجنة التحقيق من (تحقيقاتها) ــ الى تنفيذ خططهما الاستعمارية « فقد اقر البرلمان الامريكي الهجرة الى فلسطين ونقضت بريطانيا كتابها الابيض ، وسمحت بالهجرة الى فلسطين » . ونبهت عصبة مكافحة الصهيونية الى المؤامرة البريطانية الرامية الى تقسيم فلسطين ، اذ يقول بيانها ان بريطانيا « تسعى الان لتشطر فلسطين ، لتقيم في شطر منها دولة صهيونية وقاعدة عسكرية لها في قلب البلاد العربية » . وأكدت العصبة عجز لجنة التحقيق الانجلو ــ امريكية « عن القيام بتحقيق عادل محايد في قضية فلسطين وعجزها عن اصدار حكم يمس جوهر القضية ، وهو وجوب الغاء الانتداب البريطاني ، وتأليف حكومة وطنية ديمقراطية في فلسطين » . ويشير البيان الى « ان يهود العراق يعتقدون اعتقادا جازما بأنهم جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي » وأنهم « يرون في الدعوة الصهيونية ، أداة تهديم لانها تدعو الى اثارة الحقد العنصري والمذابح » . وأشارت العصبة في بيانها الى « أن الزعماء الصهاينة كشفوا بشهاداتهم امام لجنة التحقيق الانكليزية ــ الامريكية عن صلاتهم الوثقى بالاستعمارين الانكليزي والامريكي ، وعن حقيقة رؤوس الاموال الاجنبية الهائلة التي تستثمر العامل اليهودي في فلسطين ، وعن استعدادهم ــ بل والحاحهم ــ بطلب استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين وبوعودهم بتوظيف رؤوس اموال اجنبية طائلة في المشاريع الصهيونية » وانهم بذلك « لم يستطيعوا اخفاء الصفة الطبقية الاعتدائية للصهيونية » . وأشار بيان العصبة الى ما كان قد صرح به العالم الامريكي اليهودي اينشتاين من أن اللجنة الانجلو ــ امريكية « ستار من الدخان يحجب وراءه الدسائس الاستعمارية الانكليزية الامريكية » . واتهم البيان الحركة الصهيونية بأنها تنظم الحملات الارهابية في فلسطين ، لخلق المبرر لبريطانيا كي تحشد قواتها في فلسطين بحجة المحافظة على الامن . وأنهت العصبة بيانها بدعوة الشعب العراقي الى مقاطعة لجنة التحقيق هذه . ويرى بيان العصبة « أن حل قضية فلسطين لن يتم الا عن طريق توحيد نضال الشعوب العربية ، واعتمادها بالدرجة الاولى على كفاحها الوطني المشترك ، وعلى رفع قضية فلسطين الى مجلس الامن للتحقيق في ١ ــ الغاء الانتداب ، واستقلال فلسطين استقلالا تاما . ٢ ــ تمكين الشعب الفلسطيني من تأليف حكومة وطنية ديمقراطية تضمن مصالح وحقوق جميع سكان فلسطين الحاليين دون تمييز في العنصر والدين »(١٣) .

وبعد صدور بيان اللجنة الانجلو ــ امريكية ، نظم الحزب الشيوعي العراقي ، وحزب التحرر الوطني وعصبة مكافحة الصهيونية تظاهرة نددت بالبيان الاستعماري ، واصطدمت التظاهرة بقوات الجيش ، التي جلبتها الحكومة العراقية لتفريق

المتظاهرين بالقــوة(١٤). وكــان ذلك في اواخــر مايو (ايــار) ١٩٤٦ . ممــا دفع الحكومة العراقيــة الى اصدار أمر بتعطيــل صحيفة « العصبة » لمدة سنــة . وفي مذكرة وجهتها عصبة مكافحة الصهيونية الى رئيس جمعية الصحفيين ببغداد ، اعتبرت العصبة قرار التعطيل هذا « بادرة سيئة لها عواقبها الوخيمة على الصحافة العراقية ». وأكدت مذكرة العصبة « ان للاستعمار والصهيونية دخلا قد حمل السلطات على اصدار قرار التعطيل ، استنادا الى الوشايات الملفقة التي روجها ويروجها أذناب الاستعمار والصهيونية ضد عصبتنا ، وضد جميع الصحف الوطنية الحرة ، لغرض ايقاف الحملة الوطنية المثارة اليوم في سبيل فلسطين العربية ، في سبيل طرح قضيتها على مجلس الامن ، في سبيل اتخاذ اجراءات فعالة ضد المعتدين ، وفي سبيل الجـلاء ، والقضايا الوطنية الاخرى ، وفي سبيل كشف المؤامـرات والدسائس التـي تحيكها الجهـات الاستعمارية ضد قضية التحرر العربية الوطنية » . ونددت المذكرة بقرار التعطيل ، مؤكدة « ان تعطيل الصحف الوطنية معناه كم أفواه الشعب . معناه تجريده من أداة فعالة توجه نضاله . معناه ترك البسطاء من ابناء شعبنا فريسة الدعايات الاجنبيــة الخبيثة التي تحاول صرف أنظار شعبنا عن قضاياه الملحة ــ التحررية والعمرانية ــ وتمزيقه بالتفرقة والمشاحنات الطائفية والعنصرية وغيرها » . وتشير مذكرة العصبة الى « النتائج السيئة التي تتعرض لها حركتنا الوطنية ... والخسارة المادية التـي تلحق بالصحفي من جراء التعطيل » وتستنكر المذكرة وقوع « هــذه الاهانة على الصحافة الوطنية » . وتنهي العصبة مذكرتها، بطلب تأييد جمعية الصحفيين العراقيين ومساعدتها « من أجل الغاء قرار التعطيل الجائر ... وفي سبيل وضع حد لمثل هذه الاحكام الادارية ضد الصحف الوطنية »(١٥) .

وسارعت الهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني العراقي بارسال مذكرة احتجاج الى رئيس وزراء العراق ، ضد تعطيل صحيفة « العصبة » وضد مهاجمة الشرطة العراقية للوطنيين ، وتنديدا بمنع الحكومة العراقية للاضراب السلمي الذي كان قد دعا اليه حزب التحرر الوطني العراقي ، تأييدا لفلسطين . وأشارت مذكرة حزب التحرر الــى أن الدستور العراقي قد صان الحريات الشخصية. كما أشارت الى اطلاق الوزارة العراقية الحريات ، وتستهجن المذكرة لكونها لا تجد من « هذا العهد سوى الرجوع الى الاساليب البالية في الحكم » . واستنكرت مذكرة الحزب العراقي مهاجمة الشرطة العراقية للهيئة المؤسسة لحزب التحرر الوطني التي كانت قد دعت « الهيئات الوطنية للتداول بشأن اقامة مظاهرة سلمية في سبيل فلسطين » . كما نددت المذكرة بهذه « الاجراءات غــير القانونية » وطالبت « بايقاف هذه الاجراءات التعسفية غير القانونية ، واطلاق الحريات الديمقراطية » . وقد حملت المذكرة توقيعات كل من سالم عبيد النعمان المحامي ــ محمد علي الزرقا ــ يوسف هارون زلخة ــ محمد حسين أبو العيس المحامي ــ مهدي عبد الرزاق المحامي ــ حسين محمد الشبيبي ــ علي شكري ــ وعبدالكريم الصفار(١٦) .

ماذا بقي منها للتاريخ ؟ تقاس أهمية الحدث أو العمل ــ أي حدث أو عمل ــ بمدى عمق تأثيره في الحياة الفكرية والمادية والسياسية للمجتمع . وتقول مجلة ماركسية مصرية ، في تقييمها لعصبة مكافحة الصهيونية ، ان العصبة قــد فضحت « بكفاحهــا السياسي الواعي ، وبالتأييد الذي نالته من الجماهير العراقية ، مواقف الحكومة العراقية المترددة ازاء مشكلة فلسطين »(١٧) .

وبعد اعتقال قادة العصبة ، في يونيو (حزيران) ١٩٤٦ ، كتب اثنان منهم ، هما يوسف هارون زلخة ــ رئيس العصبة ، ومحمد حسن ابو العيس عضو هيئتها الادارية ، كتبا احتجاجا ، منعت الحكومة العراقية زملاء المعتقلين من ارساله ــ برقيا ــ الى امين عام الجامعة العربية ومختلف الصحف والهيئات التقدمية في الاقطار العربيــة . وحصلت

« الفجر الجديد » القاهرية على نص المذكرة ، ونشرتها(١٨) . وتحوي المذكرة احتجاجا على تعطيل صحيفة « العصبة » وعلى اعتقال قادة عصبة مكافحة الصهيونية ، ومهاجمة مطبعة دار الحكمة واعتقال سكرتير العصبة ومحاسبها « لمجرد اصدارنا كراسا يفضح الصهيونية وسيدها الاستعمار » . كما تحتج « على اعتقال أربعة اعضاء من جمعيتنا لمجرد تقديمهم عريضة احتجاج على اعتقالنا » . ورأت المذكرة ان « عمل الحكومة العراقية هذا لا يفيد غير الصهاينة والاستعمار ، أرادت أم لم ترد » . وأشارت المذكرة الى« ان الاستعمار والرجعية استاءا من بعث الحياة الحزبية واستاءا من عصبتنا بصورة خاصة » . ثم استعرضت مذكرة قادة العصبة انجازات عصبة مكافحة الصهيونية ، التي تسببت في استياء الاستعمار والرجعية ، وحصرتها فيما يلي : « ١ ــ قاطعت لجنة التحقيق الانكلو ــ امريكية ، وفضحت الاغراض التي تألفت من أجلها هذه اللجنة ، وقد صرح لنا معالي وزير الداخلية السابق باستياء الحكومة من موقفنا من لجنة التحقيق . ٢ ــ طالبنا بعرض قضية فلسطين على مجلس الامن ، بينما يريد الاستعمار وتريد الحكومة العراقية حصر هذه القضية في ذمة الحكومة البريطانية ، صاحبة الانتداب وخالقة الصهيونية . ٣ ــ طالبنا بعدم الاعتراف بالانتداب على فلسطين ، وبالوعد الذي قطعته بريطانيا للصهاينة بشكل عملي ، وذلك بعدم الاعتراف بحكومة الانتداب وبقطع العلاقات معها ، وغلق الحدود في وجه الجيش البريطاني المتنقل بين العراق وفلسطين . ٤ ــ طالبنا ان ينظم الدفاع عن فلسطين على أساس شعبي ، يعتمد على قوانا الداخلية وعلى حقنا الدولي وأن تنبذ السياسة القديمة التي سارت عليها الحكومات العراقية وهي سياسة (حسن الظن بالمستعمرين) وانتظار حل مشاكلنا الوطنية على أيدي (لجانهم التحقيقية) وموائدهم المستديرة ! ٥ ــ طلبنا دعوة المنظمات الشعبية الديمقراطية في البلاد العربية جميعها الى عقد مؤتمر لتنظيم الدفاع عن فلسطين ، بشكل يضمن اشراك جماهير الشعب في النضال الفعلي المجدي من اجل تحرير فلسطين والبلاد العربية . ٦ ــ عقدنا خلال أقل من ثلاثة اشهر ، اجتماعات شعبية عامة من أجل تحرير فلسطين ، أكثر مما عقد في العراق خلال العشر سنوات الماضية . وحضر هذه الاجتماعات الالوف من المواطنين المتحمسين الذين اشتركوا ، فعلا ، في أكثر القرارات التي اتخذتها العصبة . ٧ ــ زعزعنا النفوذ الاستعماري والغمناه في أهم قاعدة اجتماعية يستند اليها ، وهي (الاقليات) الدينية والقومية التي طالما استغل وجودها للتفريق بين صفوف الشعب الواحد ولاستخدام طائفة ضد أخرى . فانبعاث العصبة من الوسط اليهودي ضربة للاستعمار الانكلو ــ امريكي ــ الصهيوني ، الذي نصب نفسه حاميا ومدافعا عن يهود العالم . ٨ ــ احتلت جريدتنا (العصبة) ، منذ أول صدورها ، منزلتها المحببة المرموقة عند جمهور القراء الذين ساعدوها وآزروها وعملوا على نشرها ، حتى أوشكت ان تحتل المكان الاول ــ ان لم تحتله فعلا ــ بين الصحف المحلية من حيث المادة وكمية المطبوع . ٩ ــ أوضحت (العصبة) في مقالاتها القضية الفلسطينية بشكل علمي واقعي ، وجردتها من جميع ما علق بها من تشويهات وتلفيقات المستعمرين ، وعرت الصهيونية واظهرتها على حقيقتها ، كحركة استعمارية عنصرية واداة للاستعمار الانكلو ــ امريكي . وفضحت أغراض الاستعمارين الامريكي والانكليزي ، والروابط التي تربطهما بالصهيونية . كما فضحت العوامل المساعدة والمشجعة للصهيونية . ودعت الى توحيد جهود المواطنين في جبهة موحدة لمكافحة الاستعمار والصهيونية » .

وبعد ، لعل من الامور غير المستهجنة أن تصدر حكومة نوري السعيد حكمها بالسجن المؤبد على يوسف هارون زلخة ، بدعوى انه يترأس عصبة للكفاح من اجل الصهيونية ، لا ضدها . نعم ، هكذا فسرت حكومة الطاغية إسم العصبة التي كافحت الصهيونية ، والى هذه الدرجة وصل الامر بالحكومة العراقية التي فعلت ذلك ، في الوقت الذي رحلت

فيه مائة وثلاثين الف يهودي من العــراق الى اسرائيل ، في عامــي ١٩٤٩ و ١٩٥٠ وتقاضت ــ فيما قيل ــ عشرة دنانير عن كل مهاجر يصل الى اسرائيل !

* لمزيد من التفاصيل راجــع **تاريخ الاحــزاب السياسية في العراق ١٩٤٦ ــ ١٩٥٨** ، رسالة ماجستير ، لعبد الرزاق المطلق الفهد ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٠ . وراجع مقالنا « الاحزاب الشيوعية العربية وقضية فلسطين » الصادر ضمن كتاب **المقاومة الفلسطينيــة ــ الواقــع والتوقعات** ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الاولى ، تموز (يوليو) ١٩٧١ .

١ ــ الشرطة العامة ، التحقيقات الجنائية ، **موسوعة سرية خاصــة بالحزب الشيوعــي السوري** ، ١٩٤٩ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ . ولمزيد من التفاصيل عن اوضاع اليهود في العراق ، راجع **يهود البلاد العربية** ، تاليف الدكتور علي ابراهيم عبده وخيرية قاسمية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧١ .

٢ ــ نشرت الصحف العراقية نص الخطاب يوم ١٩٤٥/١٢/٢٨ .

٣ ــ جريدة **الزمان** البغدادية ، ١٩٤٦/٣/٨ ، أوردها الفهد في رسالته ، ص ١٤ .

٤ ــ الفهد ، **المصدر السابق** ، ص ٤٦ .

٥ ــ الفهد ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

٦ ــ الشرطة العامة ، **المصدر السابق** ، ج ١ ، ص ٨ .

٧ ــ رسائل العصبة **نحن نكافح في سبيل من ؟ وضد من نكافح ؟** مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٤٦ ، ص ٣ .

٨ ــ مجلة **الضمير** القاهرية ، العدد ٢٧٤ ، ١٩٤٥/١٠/١٧ ، من مقال (لن تمروا) ، بقلم خيري محمود ، ص ١ .

٩ ــ **المصدر السابق** ، العدد ٢٧٥ ، ١٠/٢٤/ ١٩٤٥ ، ص ١١ .

١٠ ــ مجلة **الفجر الجديد** القاهرية ، العدد ١٣ ، السنة الاولى ، ص ٨ .

١١ ــ **المصدر السابق** ، العدد ٢٢ ، ٢/٢٠/ ١٩٤٦ ، ص ١٤ .

١٢ ــ **المصدر السابق** ، العــدد ٢٨ ، السنة الاولى ، ١٩٤٦/٤/٣ ، ص ٢ .

١٣ ــ **المصدر السابق** ، العدد نفسه ، والصفحة نفسها .

١٤ ــ **المصدر السابق** ، العدد الثامن والثلاثون ، السنة الثانية ، ١٩٤٦/٦/١٢ ، ص ٢٤ .

١٥ ــ مجلة **ام درمان** القاهرية ، العدد ٢٧ ، ١٩٤٦/٧/١ ، ص ١٨ .

١٦ ــ **المصدر السابق** ، العدد نفسه ، ص ٢ و١٨ .

١٧ ــ مجلة **الفجر الجديد** القاهرية ، من مقال (صوت العراق ــ في شرقنا العربي موجــات اضطهاد !) العدد ٤١ ، السنة الثــانية ، ١٩٤٦/٧/٣ ، ص ٧ .

١٨ ــ **المصدر السابق** ، العدد نفسه ، ص ١٨ و١٩ .

الطبقة العاملة الفلسطينية واليهودية وتنظيماتها (١٩١٨ — ١٩٣٩)

عمار الطالبي

على كثرة الدراسات والابحاث التي تناولت تاريخ القضية الفلسطينية وتطوراتها ، مع تعدد الكتابات التي انصرفت لدراسة هذا القطاع الجماهيري او ذاك من الشعب الفلسطيني ، وهذا الحزب او ذاك ، فان الطبقة العاملة العربية في فلسطين ، وتنظيماتها السياسية والنقابية ، لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي تاريخا وتقييما . واكثر من ذلك فان تاريخ الطبقة العاملة وتطورها وتعابيرها السياسية والاجتماعية والثقافية ، لم يكتب بعد . وما زال الغموض يكتنف قطاعا جماهيريا اخذ تاثيره بالاتساع سياسيا واجتماعيا وعدديا وخاصة في العقد الرابع من هذا القرن وحتى كارثة ١٩٤٨ .

وكانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العاملة العربية في فلسطين في عهد الانتداب » . وتنشر هنا مقالا اخر يتناول ذات الموضوع من جوانب اخرى . بيد ان « شؤون فلسطينية » ما زالت تعتقد ان هذا الموضوع بحاجة الى مزيد من الدراسة والمتابعة التاريخية ، ولا يمكن لمقالة او اثنتين ان تقول الكلمة الاخيرة فيه . لذلك تدعو المجلة النقابيين الفلسطينيين الذين كانت لهم تجربة عملية في النقابات العربية في فلسطين قبل ١٩٤٨ ، والباحثين والكتاب العرب الى متابعة كتابة تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية ومؤسساتها واوضاعها ، وبتقديم الوثائق والشهادات المتصلة بهذا الموضوع في هذه الفترة او تلك .

شكلت فلسطين والشرق الاوسط عموما جزءا من عالم المستعمرات ، نظرا الى ان التخلف كان يترجم نفسه في مستوى الانتاجية المنخفضة ، بالقياس الى انتاجية البلدان الصناعية ، ولم يبلغ متوسط دخل الفرد في الشرق الاوسط في عام ١٩٣٩ اكثر من ربع او سبع متوسط الدخل بالنسبة الى الغرب . هذا الفارق يتجلى ايضا في تراوح الاجور ، فالمهاجرون اليهود الغربيون يفرضون ويحصلون على اجور تتناسب مع مستوى الحياة في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، اي على اجور مرتفعة جدا قياسا الى الاجور المدفوعة في المنطقة . ان العمال اليهود الذين ينافسون اليد العاملة المحلية الاكثر رخصا ، كانوا مضطرين الى مقاومة استخدام العمال العرب في فروع النشاط الاقتصادي اليهودي ، الامر الذي ادى الى تشكل اقتصاد يهودي مغلق ، ومن ثم بدون منافسة فعالة من الاقتصاد العربي القائم الى جانبه .

بسبب مركزة رؤوس الاموال والنسبة المرتفعة من العمال المختصين في القطاع الاقتصادي اليهودي ، فان « اليشوف » كانت تساهم في عام ١٩٤٤ بـ ٥٩٫٧٪ من الدخل القومي في البلاد ، رغم انها تمثل اقل من ثلث السكان ، ان حصة التجمعات السكانية اليهودية كانت اكثر ارتفاعا في غالبية القطاعات الاقتصادية ، وخاصة القطاعات

الحديثة منها مثل الصناعة والتجارة والبناء والمواصلات . وبشكل عام كان متوسط الدخل للفرد قد وصل عام ١٩٤٤ الى ٣٠٠ جنيه فلسطيني عند اليهود مقابل ١٦٥ جنيها فقط عند العرب كما يبين ذلك الجدول رقم ١ (١).

جدول رقم (١)

متوسط الدخل للسكان العرب واليهود بالجنيه الفلسطيني (١٩٤٤)

الفـروع	اليهود	العرب
الزراعـة	٣٧٩	١٣٤
الصنـاعة	٣٦٤	٢٥٤
البنـاء	٣٠٠	١٤٥
الجيش	١٢١	١٢١
الاستخدام المدني والعسكري	١٧١	١٠٤
النقل والمواصلات	٤٠٠	٢٣٣
التجـارة والمـال	٣٧٠	٢٣٨
البوليس والادارة	٢٢٥	١٥٠
متفرقـات	١٢٤	١٨٢
المتوسـط	٣٠٠	١٦٥

وما من شك ان سلطات الانتداب البريطاني كانت تمارس تحيزا واضحا بصدد المطالب الصهيونية المتعلقة بمضاعفة معايير اجور العاملين اليهود . كما ان العمال اليهود من ذوي الاصل الاوروبي كانوا متجمعين في الهستدروت ، على العكس من العمال العرب وجزء من العمال اليهود الشرقيين الذين كانوا عموما غير منظمين وخاصة في فترات الانتداب المتقدمة . ومن ثم لم يكن الاخرون قادرين على الحصول على أجور معادلة . ان التفاوت الهائل في اجور كلا المجموعتين (العربية واليهودية) يماثل بشكل واضح مع التفاوت في الاجور بين الاوروبيين والسكان الاصليين في المستعمرات (راجع جدول رقم ٢) .

جدول رقم (٢)

الاجور اليومية المدفوعة للعمال الراشدين (ذكور) بالمليمات الفلسطينية لعام ١٩٣٥

نوع العمل	العرب واليهود الشرقيون	اليهود الاوروبيون
١ ـ العمل الزراعي		
عمال حراثة الارض	٨٠ ـ ١٢٠	٢٥٠ ـ ٤٠٠
قاطفو البرتقال	١٢٠ ـ ٢٠٠	٢٢٠ ـ ٢٢٥
٢ ـ العمل الصناعي		
عمال المحاجر (المهرة)	٢٠٠ ـ ٣٠٠	٤٠٠ ـ ٦٠٠
عمال المحاجر (غير المهرة)	١٠٠ ـ ١٤٠	٣٥٠ ـ ٤٠٠
عمال البناء (المهرة)	٥٠٠ ـ ٦٠٠	٦٠٠ ـ ٧٠٠
الفعلة	١٠٠ ـ ١٨٠	٣٥٠ ـ ٤٠٠
٣ ـ المصالح الحكومية		
عمال رصف الشوارع	١٢٠ ـ ٤٠٠	٢٥٠ ـ ٥٠٠
الفعلة	٧٠ ـ ٢٠٠	١٢٠ ـ ٤٠٠

Le Sionisme Contre Israël, N. Weinstock (Maspero, 1969, Paris), p. 185.

ظل هذا السلم المزدوج للاجور قائما طوال فترة الانتداب ، ففي عام ١٩٤٦ مثلا كان النجار العربي او اليهودي الشرقي يكسب ٨٥٠ مليما في اليوم ، بينما زميله الاوروبي ١١٠٠ مليم(٢). بيد انه من الضروري ان نسارع للقول بأن التقارب المغري لعقد مقارنة بين الصهيونية والاستعمار الكلاسيكي هو خاطىء ، نظرا للانعطافة الغريبة التي اتخذتها المغامرة الصهيونية بعيد الموجة الثانية من الهجرة — والتي كان شعارها العمل اليهودي — ، ذلك ان الانغراس الصهيوني في فلسطين اخذ شكل الاستعاضة عن السكان العرب بيد عاملة يهودية . لقد نتج عن ذلك ان الصهيونية بمفهومها ذاته تنطوي على عملية خلق طبقة عاملة صهيونية ومن ثم ترفض تشغيل البروليتاريا العربية . وبهذا المعنى تندرج الهجرة اليهودية ضمن النظام الاستعماري باعتمادها على عملية نزع املاك السكان العرب الفلسطينيين ، وهو الانتزاع الذي كان يتم على مرأى السلطات البريطانية المتواطئة ومسمعها . الا أن عملية النهب هذه لم تكن مصحوبة بفرز اجتماعي مشابه لما حصل في المستعمرات السكانية مثل الجزائر وافريقيا السوداء ، حيث يقوم اقتصاد انقطاع الاستعماري من الفه الى يائه على استغلال السكان الاصليين . ان اليهود في فلسطين قد شرعوا في التحول الى امة عبرانية جديدة على غرار النموذج الرأسمالي التقليدي : برجوازية سائدة وبروليتاريا .

ومن بين ٢١٢ الف مهاجر يهودي في البلاد عام ١٩٣٤ ، كان ٢٨،٨٪ منهم منخرطين في الصناعة والحرف ، اما عدد اجراء قطاع الصناعة العربية فقد كان ٢١ الفا(٣). وان مقارنة توزع السكان الناشطين اقتصاديا ، تعكس الطابع الصناعي والحديث للسكان اليهود ، والبنية الزراعية للمجتمع العربي (راجع جدول رقم ٣) .

جدول رقم (٣)

التقسيم المهني للسكان عام ١٩٣١

الفـروع	يهود	عرب
الزراعة	٪١٩،١	٪٥٩،٠
الصناعة	٪٣٠،٦	٪١١،٩
النقـل	٪ ٥،١	٪ ٦،٠
التجـارة	٪١٣،٨	٪ ٨،٤
الادارة	٪ ٢،٠	٪ ١،٣
المهن الحرة	٪١١،٦	٪ ٢،٣
الخدمـات الخاصة	٪ ٥،٣	٪ ٣،٢
متفرقـات	٪١٢،٥	٪ ٦،٩

ان الشكلين الجوهريين للاستعمار الصهيوني ، اللذين افصحا عن طابعهما المميز ، هما مبدأ تملك الاراضي عن طريق « الصندوق القومي اليهودي » ، وقاعدة « العمل اليهودي » . ومن ثم كان نمو الصناعة اليهودية مرهونا الى حد كبير بنشاط النقابات الصهيونية « الهستدروت » .

لقد اسست الهستدروت « الاتحاد العام للعمال اليهود في فلسطين » في حيفا سنة ١٩٢٠ ، وكانت يومذاك تعد ٤٤٣٣ عضوا . وقد مثلت منذ لحظة انطلاقها ملامح فريدة . وبهذا الصدد عبر احد قادة الحركة العمالية الصهيونية « **ان الامر لا يتعلق — بالنسبة للهستدروت — بتنظيم الطبقة اليهودية فقط ، بل بخلقها وتشكيلها وغرسها في فلسطين** » (٤) . وبكلمة اخرى ، فان هدف الهستدروت لم يكن الدفاع عن مصالح العمال اليهود فحسب ، بل ان هدفها الاكثر تحديدا والحاحا ، هو تحقيق الاستعمار الصهيوني

في فلسطين . فهي اذن نقابة قومية واداة طيعة وواعية في يد الصهيونية . وهي حسب عبارات نظامها الاساسي « تتخذ واجبا عليها تكوين نموذج جديد للعامل اليهودي ، كحصيلة لاستعمار فلسطين » . وضمن هذا الفهم ، وهذا التوجيه ، نمت الهستدروت بسرعة ، فانتقلت من ١٥٢٧٥ منخرطا في عام ١٩٢٦ الى ٢٥٣٧٨ منخرطا عام ١٩٣٠ ، ثم الى ٨٥،٨١٨ في عام ١٩٣٦ .

لقد مدت نشاطها الى كل المجالات الاقتصادية واصبحت العمود الفقري للمشروع الصهيوني ، ونظرا الى اهدافها الصهيونية فقد شرعت في ممارسة نشاط واسع ومتعدد الاشكال يستهدف خلق القاعدة الاقتصادية للدولة اليهودية المقبلة . وهكذا احاطت الحركة العمالية اليهودية نفسها بشبكة من المؤسسات والخدمات العامة : صندوق المرض والعجز ، بورصة العمل ، شركة مقاولات، شركة بيع المنتجات الزراعية، تعاونية البيع بالجملة ، شبكة مدارس عمالية الخ . لقد اوكلت عملية تنسيق جميع النشاطات الاقتصادية الى هيئة خاصة اسمها جمعية العمال . ان الخدمات الاقتصادية التي تقدمها الهستدروت لم تقتصر على ما مر ، فهناك عدد من الشركات والمؤسسات التابعة لها ، مثل شركة الاستيطان العمالي « نير » شركة تعاون عمالي متبادل ، تعاونية الاسكان ، شبكة من المصارف ، شركة تأمين كانت تعمل بفضل الاسهام المالي من الحركة الصهيونية في الخارج . دون ان ننسى ان الهستدروت كانت تشرف ايضا على منظمة الدفاع اليهودي « الهاجاناه » .

وقد استطاعت النقابة الصهيونية ، بفضل هذه النشاطات ان تحتل بسرعة مكان الصدارة ، ان لم نقل موقعا احتكاريا في الاقتصاد ، فالهستدروت هي المستخدم الاكثر اهمية بعد الحكومة ، ودفعت سياستها لتمكين الطبقة العاملة اليهودية التي بصدد التكون من قاعدة اقتصادية ضرورية فخلقت التعاونيات الانتاجية ، ووفرت فرص العمل للمهاجرين ، وضمنت شركاتها تسويق المنتجات اليهودية . ان سبب هذا التوسع الاخطبوطي للهستدروت في مجالات غريبة كليا عن النقابة والمفهوم النقابي يعود اساسا الى السياسة الصهيونية الاستعمارية .

وهكذا نجد الشعارات الملبية لهذه السياسة ، فشعار « العمل اليهودي » هو معادل لشعار « الانتاج اليهودي » . وهي الشعارات التي تهدف الى الترويج لبيع منتجات الاقتصاد الصهيوني في القطاع اليهودي على حساب الانتاج العربي وللاضرار به لانه كان ينافسه بأسعار كلفته المربحة . ولكن كما ان « العمل اليهودي » يعني عمليا طرد اليد العاملة العربية من المشاريع اليهودية ، فأن « الانتاج اليهودي » يترجم نفسه في الحياة اليومية بالمقاطعة المنظمة للبضائع العربية . لذلك ونتيجة لهذه السياسة ، فان مجرد اشاعة في عام ١٩٤٤ مثلا بأن احد المقاهي اليهودية في تل ابيب قد استخدم بعض العمال العرب تثير تجمعا يهوديا معاديا يعد الاف المتظاهرين ، ويجد الفلاح العربي ذات المقاومة ، اذا ما تحدى المقاطعة اليهودية وحاول بيع منتجاته الزراعية في السوق اليهودية ويطرد من هناك بعنف(٥).

كانت الهستدروت هي الاداة الاساسية للتمييز العنصري الاقتصادي الذي مارسته الصهيونية ضد الفلاحين العرب . وهذا يتطلب من كل عضو في هذه النقابة الصهيونية ، ان يلتزم بدفع ضريبتين اجباريتين : اولا : ضريبة من اجل « العمل اليهودي » تصب في صندوق تنظيم الاضرابات ، وتسهم في جهود الهستدروت الرامية الى منع تشغيل العمال العرب ، ليس في المؤسسات اليهودية فقط وانما في البريطانية والخدمات العامة . وثانيا : ضريبة من اجل « الانتاج اليهودي » ، اي من اجل تنظيم مقاطعة الانتاج العربي . ومن الامور الجديرة بالانتباه ان اي حزب من احزاب « اليسار» الاسرائيلي ، بما في ذلك حزب المابام ، لم يعترض ، حتى ولو شكليا ، على حرمان العمال

العرب من العمل ، ومقاطعة منتوجات الفلاحين العرب . ولم يمتنع أي من هذه الاحزاب عن دفع هاتين الضريبتين العنصريتين للهستدروت(٦) .

وهكذا فان منافسة اليد العاملة اليهودية لليد العاملة الفلسطينية ذات الاصول الريفية غير المنظمة ، والتي كانت من الخصاصة والبؤس بحيث تقبل بأجور شبه رمزية ، لم تكن منافسة حرة ونزيهة . بل ان شروطها كانت تمنع وتكبح اليد العاملة العربية الفلسطينية من ان تتكون وفق القوانين التاريخية لتشكل الطبقة العاملة في البلاد تقليديا .

وعلى هـذا النحو تكون سياسة التمييز العنصري ضد العمـال الفلسطينيين ، التي مارستها الهستدروت شبيهة تماما بالتمييز العنصري الاستعماري الذي مارسته نقابات الاممية الثانية في المستعمرات . لقـد سبق لمندوبي الاحـزاب العمالية في اكثر بلدان المستعمرات الاوروبية ان تحدثوا في مؤتمر الاممية الثانية ١٩٠٧ ، المعروف بمؤتمـر شتوتغارت عن « الخطر » الذي تمثله اليـد العاملة المحلية في منافسة اليد العاملـة الاوروبية والامريكية !

ان ممارسة الهستدروت العنصرية ضد العمال العرب لم تكن كما قد تبدو في الظاهر لصالح البروليتاريا اليهودية في الدرجة الاولى ، بل لصالح البرجوازية اليهودية الصناعية الناشئة في فلسطين بين ١٩١٨ ــ ١٩٣٩ بشكل اساسي . وبمعنى من المعاني تبـدو الهستدروت اقرب في ايديولوجيتها وسياستها العامة الى النسوية الطبقية التي توظف في التحليل الاخير لصالح البرجوازية اليهودية . فلقد كانت تمنع العمال اليهود في القطاع الاقتصادي اليهودي من شن اي اضراب مطلبي بحجة ان ذلك من شأنه الاضرار بالهدف النهائي للصهيونية . كما ان الراسماليين وخاصـة البريطانيين لم يدعوا الفرصة تفلت منهم ، لقد استغلوا ببراعة فائقة التمييز العنصري الاقتصادي ضد العمال الفلسطينيين ، ولعل ابرز مثل على هذا الاستغلال هو سلـوك شركة التبـغ الانجلو ــ امريكية التي عمدت الى وضع مشروعين منفصلين ، احدهما لتزويـد السوق اليهودية « ماسبرو » والاخر لتزويد السوق العربية « قرمان وديك وسلتي » ، وكان كلا المشروعين يربـط بديماغوجية بين بيع السجائر وتملق المشاعر القومية الصهيونية مـرة ، والعربية مرة اخرى ، حسب الظرف وشروط العرض والطلب(٧) .

ان العمال الفلسطينيين الذين استبعدوا قسرا من سوق العرض والطلب البشرية ، لم يكن امامهم الا ان يتزاحموا بالمناكب عـلى عروض الشغل الضئيلة التي كان يتيحهـا الاقتصاد الفلسطيني الضعيف ، خاصة في القطاع الزراعي . وبما ان العمال المستغلين بفظاظة لم يكونوا منظمين ، فأن المنافسة الفوضوية على العمل جعلت اجورهم تتدنى باضطراد . اما العدد الضئيل من النقابات المختلطة التي انشئت في العشرينات واقتصرت على قطاع الادارة والخدمات العامة في المدن المختلطة التي يتواجد فيها العرب واليهود بكثافة ، فانها ظلت هامشية وغير فعالة بتاتا لا في الدفاع عن مصالح العمال العرب ، ولا عن المصالح الحقيقية للعمال اليهود انفسهم(٨) .

ان الهستدروت في حالتين استثنائيتين قد قبلت في صفوفها عمالا عربا ، اذ حيث فشلت في مقاطعة العمال العرب عمدت الى انشاء فروع عربية لهـا لم تتجاوز على كل حال فرعين ، فقد اسس اولهما في حيفا عام ١٩٢٩ ، وثانيهما في القدس عام ١٩٣٤(٩) .

وقد استهدفت الهستدروت عمال البلديات والادارة والمشاريع ، المسيرة برأسمال غير يهودي ، وهي بالضبط أماكن العمل التي لم تنجـح الهستدروت تماما في منع العمال العرب الفلسطينيين من الدخول اليها . لقد ارادت بذلك ان تضرب عصفورين بحجر واحد ، اولا : سعت لتمويه طابعها العنصري ، ثانيا : فرض المبادىء الصهيونيـة التي هي جوهر هذه النقابة على العمال العرب الذين ينخرطون فيها . لكنها لم تنجح الا نادرا

وجزئيا ، لان غالبية العمال العرب كانت واعية الطابع العنصري الاستعماري لهذه النقابة الصهيونية التي ترفض حتى مجرد حقهم في منافسة اليد العاملة اليهودية في سوق العمل .

لقد غيرت الهستدروت خلال الحرب العالمية الثانية تكتيكها — دون ان تغير طبيعتها — بهدف مكافحة نفوذ النقابات الوطنية الفلسطينية . فاعلنت عن قبولها تشغيل نسبة معينة من العمال الفلسطينيين في الاشغال التي تنفذها فروعها . واستطاعت بالنتيجة ان تنشط فرعها العربي الذي اوكلت اليه احتكار تشغيل اليد العاملة العربية . لكن هذه الخدعة التكتيكية لم تصمد أمام الممارسة : فمشاريع الاشغال العامة التابعة للهستدروت المسماة (سوليل بونيه) مارست التمييز العنصري في الاجور بين العمال العرب واليهود(١٠) .

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وجدت ثلاثة احزاب يسارية صهيونية . « لكن لا يمكن اعتبارها تنظيمات عمالية مستقلــة بالمعنى الحقيقي للكلمة . وذلك بسبب تبنيها للبرنامج الصهيوني ، بل للمنظمة الصهيونية نفسهــا ، واندماجها بالمجتمع الصهيوني والعلاقات الوثيقة التي تشدها الى الهستدروت . مـا يمكن ان نتحدث عنه في افضل الاحوال هو عن اتجاهات عمالية في صلب جهاز صهيوني لا مركزي . ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية المصاب بالغارغرينا القومية يشارك بشكل دائم في الوحدة المقدسة مع البرجوازية »(١١) .

لم يتضمن برنامج أي حــزب من هذه الاحزاب الصهيونيــة اي مطلب يتعلق بالمصالح المستقلة للطبقة العاملة . لقد كان قادتها جميعا مشدودين الى قطار المنظمة الصهيونية لبناء الوطن القومي اليهودي .

ثمة ميزة اخرى تتشاطــر فيها الاحــزاب العمالية الصهيونية ، الاحزاب البرجوازيــة الصهيونية ، وهي الانتماء الى المنظمة الصهيونية العالمية ، حيث لم تكن هذه الاحزاب الا فرعا فلسطينيا لها . ان ما يفسر ارتباط الاحزاب اليسارية الصهيونية بهذه المنظمة هو واقع اعطائها الاولوية للاهداف القومية الصهيونية على الصراع الطبقي الفعلي ، كما ان واقع كونها مقصورة عــلى اليهود فقط ، يعبر بوضوح عن جوهرهــا الصهيوني الصارخ ، علماً بأن جميع الاحــزاب العمالية ، فضلا عن النقابات لا تعــير اية اهمية لجنسية العمال الذين ينضوون تحت لوائها . وهذا ليس الا مجرد برهان آخــر على اعطاء هذه الاحزاب الاولوية للايديولوجية الصهيونية على المبادىء الاشتراكية .

لقد كان اعتماد الحركة العمالية الصهيونية على الهستدروت ، التي تكونت عناصرها اساسا في المستعمرات الجماعية . ان الاوهام الاشتراكية التي ارتبطت بالكيبوتسات تبددها الوقائع والتطورات ، ذلــك ان حركة الكيبوتس « لم تكن ابدا تمثل اي تهديــد للبرجوازية الصهيونية ، وانما على العكس »(١٢) ، فقد استخدمتها البرجوازية الصهيونية كورقة دعائية في اوساط اليسار العالمي . وقد تكفلت الوكالة اليهودية ، المشكلة من كبار الرأسماليين اليهود في العالم ، بتمويل « هذه الواحات الاشتراكية في صحراء راسمالية » . ونجد ان المستعمرات الزراعية اليهودية قد شكلت اثناء الثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ كتائب الــدفاع الوقائي ، اي استهدفت العدوان عــلى القرى العربية بحجة التصدي سلفا لاحتمالات هجوم ثوار فلسطين . وهكذا اضطلعت هذه المستعمرات الزراعية بـدور ارهابي بارز تجلى ذلك في الوحدات المتحركة بقيادة اسحق صادي . « ان الجناح العمالي للحركة الصهيونية هو الذي مارس ضغوطا على الهاجاناه لكي تتخلى عن سياسة الدفاع السلبي ازاء ثورة ١٩٣٩ (...) ان نخبة المقاتلين في وحدات الهاجاناه كانت تشارك في الحملات اليهودية — البريطانية التي نظمهــا الكابتن وينجيت . ففي سنة ١٩٣٩ قامت وحدات خاصة من الهاجاناه بسلسلة من الغزوات ضد القرى العربية . لقد كانت فرق

وبحيث تقوم بشكل مستمر بتصفية العرب « المشبوهين » ، رغم ان مهمتها الاساسية كانت حراسة انابيب شركة بترول العراق ، لحساب الامبريالية البريطانية (...) وهكذا فأن تشويه النضال العربي الوطني التحرري المعادي للصهيونية ، من طرف الاخيرة ، والتصريحات الديماغوجية للاقطاعيين العرب قد أدت الى تعزيز تعاون العمال اليهود مع السلطات البريطانية »(١٣).

اسس العمال العرب في عام ١٩٢٥ بحيفا، جمعية العمال العرب الفلسطينيين، ولم تلبث ان امتدت فروعها الى عدد من المدن الاخرى . وقد سبق ان العمال العرب قاموا منذ ١٩٢٠ بجملة من النشاطات ذات الطبيعة التضامنية عندما بدأ عمال سكة حديد حيفا بجمع التبرعات لمساعدة العمال المرضى وعائلات المتوفين منهم . وفي عام ١٩٢٥ تقدم عمال سكة الحديد بطلب لتسجيل ناد خيري لهم . وفي آب ١٩٢٥ ، وبعد مضي ثلاثة اشهر على تقديم العمال طلب تسجيل جمعية العمال المذكورة آنفا استجيب لطلبهم . وقد تضمن النظام الاساسي للجمعية جملة من الاهداف النقابية والاجتماعية والحياتية وفقا للنظام والقانون وبدون اي تعرض للامور السياسية والدينية(١٤). وقد بقيت نقابة السكك الحديدية محور نقابات الجمعية ، اذ كان هذا المرفق (السكك الحديدية) موضع صراع مع السياسة النقابية الصهيونية الهادفة الى استخدام العمال اليهود في الادارة وفي الاعمال الفنية دون العمال العرب .

ولم تلبث الجمعية ان تمكنت من تحقيق بعض المكتسبات المادية للعمال مثل زيادة الاجور وتحديد ساعات العمل ، كما اسهمت في بعض النشاطات الثقافية والوطنية . وعقدت مؤتمرها الاول في ١١ كانون الثاني عام ١٩٣٠ في مدينة حيفا ، فشارك ٦١٠ اعضاء كمندوبين لـ ٣٠٢٠ عضوا من مختلف انحاء البلاد(١٥). وقامت فيما بعد بافتتاح مدرسة ليلية مجانية لتعليم العمال الاميين . وقد تميزت المرحلة عموما بكثرة الاضرابات التي استهدفت تحسين اوضاع العمال المعيشية . ولم تلبث ان اصبح لها فروع في عشر مدن فلسطينية توزعت أعضاء الجمعية الذين بلغ عددهم نحو أحد عشر الف عضو(١٦). اما العمال الزراعيون وخاصة العمال الموسميين ، فلم يكونوا منظمين على الاطلاق ، وكانت المنافسة شديدة بينهم وبين الحوارنة الوافدين من سوريا بحثا عن العمل بأدنى مستويات الاجور ، كما طرأت المنافسة ذاتها مع عمال التراحيل الاكثر بؤسا القادمين من الريف المصري .

مع انتفاضة العام ١٩٣٥ ، كانت اوضاع العمال الفلسطينيين تزداد بؤسا ، اذ ان سياسة « العمل اليهودي » أدت الى المزيد من التسريح للعمال الفلسطينيين ، ليس فقط من المؤسسات اليهودية وانما من المؤسسات العامة والخدمات . واصبح التسريح بالجملة مظهرا من الازمة الوطنية العامة لذلك كان لمساهمة العمال العرب في اضراب الستة الاشهر ١٩٣٦ ، طابع طبقي واضح بالاضافة الى طبيعة التحرك الجماهيري الوطني . لم تقف سلطات الانتداب ساكنة ازاء التسريح العمالي بالجملة فقط ، بل انها عملت الى اعتقال العديد من الكوادر النقابية العربية في جمعية العمال ، ولم تستجب الى اي من مطالبها . وهكذا اضطرت الجمعية الى اقفال ابوابها اثناء الاضراب العام . وهناك تقديرات ان الجمعية قد تأثرت جدا بسبب الاضراب ولم يتجاوز عدد اعضائها خمسة آلاف عامل عام ١٩٣٦ . ومن المؤكد أن الجمعية قد شلت تماما طوال عامين ، اي حتى عام ١٩٣٨ حين افرج عن قادتها النقابيين في ظروف انحسار الثورة وازدياد القمع ضراوة والاوضاع الاقتصادية في القطاع العربي سوءا . وقد بقيت الامور على هذه الحال حتى عشية الحرب العالمية الثانية اذ انخفض عدد اعضاء الجمعية في مطلع ١٩٤٠ الى ما يقرب المئتي عضو(١٧).

بيد أن ظروف الحرب الثانية عادت فأكسبت الحركة العمالية امكانات موضوعية وذاتية للنهوض مجددا ، ويعبر عن ذلك جليا مؤتمر عام ١٩٤٣ لعمال المعسكرات ، حيث كان مندوبو المؤتمر يمثلون ٢٨٠٠٠ عامل وقد تمكنت الجمعية من فتح ما يقارب الثلاثين فرعا لها في انحاء مختلفة من فلسطين وبلغ اعضاء هذه الفروع ٣٥٢١٧ عاملا(١٨).

ان الامور الاكثر دلالة هي ان جمعية العمال العرب استطاعت ان تشترك في مؤتمر نقابات العمال الدولي الذي عقد في السادس من شباط ١٩٤٥ ، بدلا من الهستدروت الذي كان عضوا يمثل الحركة العمالية في فلسطين . ان هذا الكسب السياسي قد سبب انزعاجا حقيقيا للهستدروت الذي حاول عبثا التقليل من شأن جمعية العمال العربية والتأثير ضدها بين أعضاء المؤتمر(١٩).

ان الانقسام العمودي بين العمال الفلسطينيين والعمال اليهود كان شبه كامل ، فالعمال العرب منخرطون في نقاباتهم الخاصة ما عدا قلة قليلة كانت منضوية في فروع الهستدروت المخصصة للعرب والمار ذكرها . فيما كان للعمال اليهود نقابتهم الخاصة الهستدروت واحزابهم الخاصة ، الاحزاب الصهيونية اليسارية .

التنظيم الوحيد الذي كان يجمع بين العمال العرب والعمال اليهود هو الحزب الشيوعي في فلسطين . ان الكوادر العليا لهذا الحزب كانت في معظمها يهودية . وهذا ما جعل اعضاء الحزب من العرب قليلي العدد جدا . كما أن الايديولوجيا السائدة ، القومية والدينية بين العمال الفلسطينيين كانت ايضا سببا اضافيا لابتعاد العمال الفلسطينيين عن الحزب الشيوعي . هذان العاملان كانا يجعلان الشيوعيين الفلسطينيين القلائل « معزولين » ومنبوذين(٢٠). اما العمال اليهود الذين ينتمون للحزب الشيوعي فانهم غالبا ما كانوا يهاجرون من فلسطين بمجرد ما يعون وضعهم الحرج كمستعمرين ، لكونهم قد هاجروا غالبا تحت تأثير الدعاية الصهيونية . فقد كانت عودتهم الى الاوطان التي هاجروا منها المخرج الوحيد لهم ، بصفتهم شيوعيين واعداء للاستعمار ، من التناقض الذي كانوا يواجهونه .

من جهة اخرى كانت حكومة الانتداب تهجر جبرا كل من يثبت لديها انه يهودي شيوعي . وكانت « تحرم دخول الاراضي الفلسطينية على المهاجرين المشبوهين بالبلشفية »(٢١). بيد ان قيادة الحزب الشيوعي لم تكن قيادة اممية ، لقد كانت خاضعة لتأثيرات الايديولوجية الصهيونية السائدة من جهة وللماضي الصهيوني لعدد كبير من مناضلي الحزب الذين غالبا ما مروا ، عبر مسيرتهم نحو الحزب الشيوعي ، بالاحزاب الصهيونية اليسارية . وهنا نجد علة عدم الاستقرار في حجم الشيوعيين ، هذا الاستقرار الذي كان ينخر باستمرار في قوة الحزب(٢٢).

ان نقطة الضعف الاساسية في الحزب الشيوعي الفلسطيني هي تكونه كنتيجة للاندماج في صلب الحزب العمالي الاشتراكي ، هذا الاندماج الذي حصل في سنة ١٩١٩ — ١٩٢٠ بين اقصى يسار البوعيلي تسيون في فلسطين ، وبين عدد كبير من الفرق الصغيرة التي كانت قد انفصلت عن البوعيلي تسيون في اوروبا الشرقية . كان الحزب العمالي الاشتراكي يعلن بأنه من انصار ايديولوجية « البروليتاريا الصهيونية » وهو لذلك لم يكن يختلف اختلافا جذريا عن برنامج الاحزاب الصهيونية اليسارية . وليس من باب الصدفة ان الحزب لم ينضم فورا للاممية الثالثة ، كما ان الحزب العمالي الاشتراكي ساهم في المؤتمر التأسيسي للهستدروت حيث حصل على سبعة مقاعد من مجموع ٨٧ مقعدا ؛ وكان يحبذ استخدام اليديش لكن مطالب دعائية فعالة قادته الى التخلي عن اليديش واستعمال العبرية .

لقد توصل القادة الصهاينة من جهة وسلطات الانتداب من جهة ثانية ، الى ان الحزب

العمالي الاشتراكي هو المسؤول عن حوادث اول ايار ١٩٢١ ، ومن ثم تم ابعاد قادته الاربعة عشر من فلسطين الى الاتحاد السوفيتي . ان ضعف تماسك الحزب النظري ، والتناقضات الداخلية غير المحلولة في صفوفه والقمع البوليسي الذي بدأ يتعرض له بعيد ابعاد قيادته خارج البلاد ، ادت الى عدم قدرة الحزب على الصمود امام أزمته العامة . وهكذا انهار الحزب كميا ونوعيا في اقل من ثلاث سنوات ، وهكذا اصبح اعضاء الحزب سنة ١٩٢٤ ٨٠ عضوا بعد ان كان عدد الشيوعيين (عربا ويهودا) في سنة ١٩٢١ قد ناهز ٣٠٠ عضو(٢٢) .

منذ ذلك التاريخ تحول الحزب الى السرية ، واصبح اعضاؤه ملاحقين . لكن بنية الحزب القومية المتنافرة (عرب — يهود) وتأثر الاعضاء العرب بالمشاعر القومية وخضوع عدد هام من الاعضاء اليهود لتأثيرات الصهيونية ، ثم خضوع الحزب ككل لسياسة ستالين المتقلبة ، كل هذه العوامل جعلت الخلافات الداخلية تتفجر بسبب هذا الحدث او ذاك ضمن سلسلة الاحداث التي كانت تهز فلسطين بعنف . واهم انفجار انجر اليه الحزب هو انشقاق ١٩٢٢ الذي انتهى في سنة ١٩٢٣ الى الوحدة مجددا وعلى اسس جديدة . فقد صادق مؤتمر الحزب في ١٩٢٣ على خط جديد معاد كليا للصهيونية . لقد رفض بيان المؤتمر « الصهيونية البروليتارية » التي كانت شعار الحزب في السنوات الماضية . وقطع كل علاقاته بيسار البوعيلي تسيون . وفي هذا المؤتمر تغير اسم الحزب : من الحزب العمالي الاشتراكي الى الحزب الشيوعي في فلسطين ، وبعد اعلان الحزب تغيير اسمه ، تم قبوله من طرف اللجنة التنفيذية للاممية الثالثة في موسكو كعضو فيها .

ادت هذه التحولات الايديولوجية الى توجه الحزب في سياسته الجديدة الى الجماهير العربية الفلسطينية ، بشكل اساسي ، تحت شعار « على الحزب ان يغادر الغيتو اليهودي »(٢٤) . وكان من الهستدروت ان طردت « الجناح العمالي » او المعارضة الشيوعية القائمة داخلها لخط الاخيرة المعادي للصهيونية ، والتي انتهت الى « تعريب » الحزب الشيوعي وانتمائه للاممية الثالثة . واعلنت الهستدروت عن تصديها في المستقبل لكل معارضة داخلية تتبنى خطا مشابها .

وهكذا اتجه الحزب الى العرب والى اليهود الشرقيين الذين ظلوا طوال السنوات الماضية مهملين وظلت لهم احزابهم ونقاباتهم الخاصة المنفصلة عن نقابات اليهود الوافدين من أوروبا الشرقية والغربية وأحزابهم . كما اتجه الحزب في دعايته نحو الفلاحين لتحريضهم على عدم بيع اراضيهم للصهاينة(٢٥) . بيد ان نقطة الضعف في الحزب بقيت قائمة ، وهي قلة الاعضاء العرب فيه .

ومع عام ١٩٢٨ انقسم الحزب من جديد . لكن هذا الانقسام لم يؤثر في الحزب ككل ، نظرا للازمة الاقتصادية الخانقة التي كانت تدفع الى صفوفه باعداد كبيرة . الا ان الانقسام الخطير جاء في العام التالي الذي كان تتويجا مباشرا لموقف الحزب من احداث ١٩٢٩ التي وصفها الحزب بأنها « ثورة معادية للامبريالية حولها اعوان الامبريالية الى فتنة ضد اليهود »(٢٦) . ومن الواضح ان هذا التقييم لاحداث ١٩٢٩ كان نتيجة لضغوط مكتب الاممية الثالثة على الحزب . ان الحزب قد هالته الاحداث في البداية الى حد انه اعطى الاوامر لمناضليه ليشاركوا في وحدات الدفاع الذاتي جنبا الى جنب مع الهاجاناه ، هذا القرار الذي اتخذ بموافقة القائد الشيوعي التشيكي سميرال ، مبعوث الاممية الذي كان ابان الاحداث مقيما في فلسطين(٢٧) . وقد ادان مكتب الاممية الثالثة ضمنا هذا الموقف ، عبر ادانته لموقف الحزب الشيوعي من الاحداث .

لقد اعتبرت الاممية الثالثة احداث ١٩٢٩ ثورة فلاحين حقيقية ، رغم ان بعض القوى الرجعية كانت على راسها في المرحلة الاولى لانطلاقها . وقد اشار مكتب الاممية الى

الشعارات التي كان على الحزب الشيوعي ان يرفعها مثل : « احتلال الارض ، تشكيل اللجان الثورية من الفلاحين والبدو ، الثورة الزراعية .. الخ » كما انتقد بيان الاممية الثالثة الحزب الشيوعي في فلسطين لعدم تمكنه من الانغراس بين جماهير الفلاحين الفلسطينيين العرب . وقد اكدت الاممية الثالثة على ان هذا العجز الذي اصاب الحزب ناتج عن سوء نية قيادة الحزب ، ووجهت مجددا تعليماتها الى القيادة بـ « تعريب الحزب من اسفل الى اعلى »(٢٨) .

ومن المعروف ان لينين في مؤتمر باكو ١٩٢٠ للاحزاب الشيوعية في افريقيا واسيا قد وجه النقد المرير للحزب الشيوعي المصري لان قيادته لم تكن نابعة من الاغلبية ، بل من الاقليات الطائفية . وطالب لينين الاحزاب الشيوعية في آسيا وافريقيا بأن تحمل على رأسها قيادات من الاغلبيات القومية لا من الاقليات القومية . لان ذلك هو اجد الشروط التي تجعل هذه الاحزاب جماهيرية ، لا احزابا طائفية او اقلية معزولة عن أوسع الجماهير الشعبية .

ومن جهة اخرى حذرت وثيقة الاممية الحزب الشيوعي في فلسطين من التعاون مع البوعيلي تسيون الذي « اندمج بالفاشية » واشارت الاممية الى ضرورة تشكيل اتحاد يضم جميع الاحزاب الشيوعية في جميع الاقطار العربية(٢٩) . ومنذ هذه الحقبة اصبح الحزب الشيوعي الفلسطيني يدعم باستمرار الحركة الوطنية الفلسطينية الى حد أنه اصبح ذيلا لحزب الاستقلال الذي كان يمثل الاتجاه الاكثر تقدما في الحركة الوطنية الفلسطينية رغم ان قيادته ، كان يغلب عليها الطابع الاقطاعي العائلي .

اثناء ثورة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ رفع الحزب الشيوعي شعار « التحقوا بحركة التحرر العربي » . وكان اعضاء الحزب يعدون الالف . وقد دعم الحزب بدون ادنى تحفظ نقدي ، المفتي وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية . ودعا الحزب اليشيف (التجمع البشري اليهودي في فلسطين قبيل تكوين اسرائيل) الى المشاركة في الثورة ضد المهاجرين الصهاينة . واكثر من ذلك قام مناضلو الحزب انفسهم بمحاولات تخريب لمبنى الهستدروت في حيفا وتل أبيب . وقد جاء في تعميم صادر عن اللجنة المركزية للحزب في عام ١٩٣٦ « ان القنابل التي قذفت على نقابة العمال في حيفا ، القاها اعضاء من الحزب الشيوعي الفلسطيني حسب اوامر صدرت اليهم من اللجنة المركزية للحزب »(٣٠) .

ان هذا الخط الجديد للحزب ، قد دفع بالشيوعيين اليهود الى الانسحاب من الحزب بكثافة ، خاصة عام ١٩٣٧ حيث اثار دعم الحزب للحاج امين الحسيني ، انشقاقا خطيرا داخل الحزب . وادى فيما ادى اليه الى تمرد فروع بكاملها عن الحزب كما هي الحال مع فرع تل ابيب وقد تم فصلها من الحزب بتهمة عدم الانضباط . كما ادت السياسة ، غير النقدية للحزب ازاء الاحزاب القومية ان عدد كوادره العربية ، تخلت عنه وانضمت الى حزب الاستقلال . اما السلطات البريطانية فقد واصلت بدورها نفي اعضاء الحزب من اليهود الى خارج البلاد ، في الوقت الذي لم تر أي مبرر لتقوم بذات الشيء ازاء اي قائد صهيوني اشتراكي .

عشية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كان عدد اعضاء الحزب من اليهود نحو ٣٠٠ عضو ، يضاف اليهم حفنة من الكوادر العربية(٣١) .

ان الصورة الاجمالية لمسيرة الحركة العمالية الفلسطينية واليهودية فيما بين الحربين العالميتين (١٩١٨ ــ ١٩٣٩) تتميز بالضعف العددي والنوعي ، الكفاحي والتنظيمي . لكن برغم كل ضعفها تبقى النقطة اللامعة للطبقة العاملة الفلسطينية مشاركتها الفعالة في اضراب عام ١٩٣٦ المجيد الذي دام ستة شهور .

الحواشي :

١ — N. Weinstock, *Le Sionisme Contre Israël,* (Maspero, 1969), p. 183.

٢ — لاخذ صورة اكثر تفصيلا راجع : **النظــام الاقتصادي في فلسطين** (بيروت ١٩٣٩) ، الفصل الخامس . جدول رقم ٢٧ صفحة ٣٧٣ .

٣ — شؤون فلسطينية ، العدد الخامس (تشرين الثاني ١٩٧١) « ملاحظات حول اوضاع الطبقة العربية العاملة في فلسطين في عهد الانتداب ». لهاني حوراني ص ١١٩ — ١٢٤ .

٤ — Tony Cliff, *The Struggle in the Middle East,* International Socialism Pamphlet, (London, 1967), Richard Williams - Thompson, *The Palestine Problem* (London 1946), p. 81.

٥ — **نفس المصدر السابق** ص ٨١ .

٦ — **نفس المصدر السابق** ص ٨١ .

٧ — *Le Rôl du Sionisme ou le Moyen Orient au Carfour.* (Paris, 1968), p. 19.

٨ — **نفس المصدر السابق** ص ٣٣ .

٩ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٠ .

١٠ — **المصدر السابق** ، ص ١٨٩ .

١١ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٠ .

١٢ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

١٣ — **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

١٤ — علي عنـاد خريس ، **الحـركة النقابيـة العمالية في الاردن** ، (عمان ١٩٥٧) ، ص ٤٣ — ٤٤ .

١٥ — **المصدر السابق** ص ٤٦ ، كذلـك راجع المقالة المنشورة في مجلـة **شؤون فلسطينية** في العدد المذكور انفا .

١٦ — **المصدر السابق** ، ص ٤٦ .

١٧ — **المصدر السابق** ، ص ٤٧ — ٤٨ .

١٨ — **المصدر السابق** ، ص ٤٩ .

١٩ — راجع **المصدر السابق** ص ٤٩ ، كذلـك مجلة **شؤون فلسطينية** العدد الخامس .

٢٠ — W. Z. Laqueur, *Communism and Nationalism in the Middle East,* (London, 1956) p. 73.

٢١ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٦ .

٢٢ — لكويز ، **نفس المصدر** ، ص ٧٣ .

٢٣ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٦ .

٢٤ — لكوير ، **نفس المصدر** ، ص ٧٦ — ٧٧ .

٢٥ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٧ . راجـع ايضا الـدراسـة الهامة : الاستعمار الزراعي اليهودي وثورة ١٩٢٩ في فلسطين بقلم ا. شلشتر ترجمة ريـاض يونس في **دراسات عربية** ، السنة السادسة العـدد العاشر اب ١٩٧٠ ، ص ٢ — ٣٩ .

٢٦ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٨ .

٢٧ — Joseph Berger, *La rupture avec les Communistes.* (Ed. les Nouveaux Cahiers, Paris) Vol. 13-14, pp. 34-38.

٢٨ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٨ . راجع ايضا الوثيقة الصادرة عن المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفلسطيني « مهمات الحزب الشيوعي الفلسطيني في الارياف » والتي جاءت استجابة وصدى لتوصيات مكتب الاممية الثالثة (الكومنترن) والمنشورة في : **الاممية الشيوعية والثورة العربية وثائق ١٩٣١** (دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٠) ص ١٢١ — ١٧٣ .

٢٩ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ١٩٩ .

٣٠ — كلف ، **نفس المصدر** ، ص ٢٣ .

٣١ — فاينشتوك ، **نفس المصدر** ، ص ٢٠٠ .

الأدب العبري المعاصر وتكريس التوسع الصهيوني

رشاد الشامي

في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧ ، والانتصار المفاجىء الذي أحرزته اسرائيل ، وحققت بفضله توسعا اقليميا جديدا في الاراضي العربية عبر كل من مصر وسوريا والاردن ، عمت الحياة الثقافية في اسرائيل ظاهرة جديرة بالملاحظة والمتابعة والتحليل ، حفلت بها صفحات الملاحق الادبية الاسبوعية للصحف العبرية ــ وقد كانت هذه الظاهرة هي وضع الادب العبري ، ان جاز القول ، في قفص الاتهام ومحاكمته بقصد أخذ ما يجب أن يؤخذ عليه ، واضافة ما يجب أن يضاف لصالحه ، وكان موضوع المحاكمة هو : « كيف حدث في الواقع الاسرائيلي المعاصر انه بدلا من أن يسير الشاعر أمام الجندي أن سار الجندي أمام الشاعر ؟ كيف حدث أن الشحنة من الرغبة العميقة لدى الشعب نحو التوسع وراء الحدود الخضراء ، وهي الشحنة التي طغت اليوم على السطح ــ كيف حدث أن هذه الشحنة لم تظهر من قبل ولم تجد لها صدى وتعبيرا في انتاج الكثيرين من أدباء اسرائيل ؟ » .

وقد حاولت هذه الاسئلة التي طرحها المدعي العام الادبي ضد الادب الاسرائيلي ان تبحث عن اجابة للسبب الذي جعل « قانون الشاعر » الذي يتلقى وحيه من حقيقة هي فيما وراء مصالح الساعة لا يفرض نفسه على « قانون الديبلوماسي » الذي يتحدد وفقا لمتطلبات الساعة ، وانما حدث العكس ، وهو استجابة الشعراء والادباء لما حققه « قانون الديبلوماسي » ، و « قانون الحرب » ، وبدأوا يهللون للقدس والخليل ونهر الاردن والجولان وسيناء مهبط الوحي الموسوي من واقع أن ذلك قد فرض عليهم، ولكنهم لم يسبقوا العسكريين اليه بخيالهم ، وذلك فيما عدا نفر قليل منهم .

لقد كانت الاحتجاجات صارخة لان بعض الادباء الاسرائيليين وضعوا فواصل بين الروح والمادة ، وبين الموضوعات الابدية والموضوعات الوقتية . لقد كان المطلوب من الاديب أو الشاعر الاسرائيلي أن يستجيب تماما لمتطلبات التوسع الصهيوني ، وكما يسير القائد أمام جنوده ودباباته ويصيح صيحته العسكرية « ورائي » ، كان على الشاعر أن ينطق بنفس المعنى في منظومات تخترق حدود الارض التي اغتصبتها اسرائيل قبل ٥ حزيران الى المناطق الجديدة التي احتلها جيش الدفاع الاسرائيلي ، والتي يتضمنها « المزمور القديم » ، الذي تغنى بتلك الحدود ، وربما بما هو أبعد منها ، وتخطى بذلك ، حسبما يعتقد من عقدوا هذه المحاكمة ، رؤوس الكثيرين ، ومن هم ممتازون من بين أدباء اسرائيل ، وجعل قصائدهم في المؤخرة .

وقد كانت صحيفة « معريف » الاسرائيلية المسائية والواسعة الانتشار من أولى الصحف التي أولت هذا الموضوع اهتماما خاصا ، وأفردت له الصفحات . وقد عقدت المحررة جئولا كوهين مع نخبة من أدباء وشعراء اسرائيل ممن يشكلون تيارات الادب العبري المعاصر تمثيلا حقا لانهم هم الذين يحددون ملامحه واتجاهاته ، حلقة مناقشة نشرتها الصحيفة في أعدادها الاسبوعية : ١٩٦٨/١٠/٦ ، ١٩٦٨/١٠/١٣ ، ١٩٦٨/١٠/١٨ ،

٢٥/١٠/١٩٦٨، ١/١١/١٩٦٨، ١٨/١١/١٩٦٨ . واشترك في هذه الحلقة من ادباء وشعراء اسرائيل المعاصرين ، ابراهام شلونسكي ، وحييم جوري ، والبروفسور باروخ كورتسفيل* ، وعاموس عوز ، وموشي شامير ، وايسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي ، وموشي دور ، وموشي براجر ، ويعقوب اورلاند ، وعزرا زوسمان . ونشرت المناقشة تحت عنوان : « هل قال أدبنا هو الاخر « ورائي ! » » ، ووجهت خلالها لهذه المجموعة عدة اسئلة ضمنتها كل ما أثارته الدعوى ضد الادب العبري في اسرائيل قبل ٥ حزيران ، وضد المناخ الادبي العام في اسرائيل .

وأول هذه الاسئلة وأهمها ، ذلك السؤال الذي اخترنا تناوله لما يحويه من دلالات كثيرة بالنسبة لدور الادب العبري في الحياة والمجتمع الاسرائيلي ، من ناحية ، وبالنسبة لموقف الادب العبري من قضايا التوسع الصهيوني ، من ناحية أخرى . يقول السؤال : كيف حدث في رأيك أن الادب في اسرائيل لم يقل — ان جاز لنا أن نستخدم بالمفهوم الرمزي جدا ذلك الاصطلاح الشعبي الشائع — «ورائي!» ؟ كيف حدث — فيما عدا أ.ص.ج. (أوري تسفي جرينبرج)(١) وقليلين آخرين — ان وصلنا الى أجواء طبيعية قديمة حديثة في حياتنا دون أن يسبقنا أو يواكبنا اليها شعر شعراء اسرائيل ؟ وهذا السؤال على هذه الصيغة يكرس نية العدوان والتوسع المسبقة عند اسرائيل لتحقيق أطماعها التوسعية في العالم العربي مرحلة اثر مرحلة . فالسؤال يحوي في فحواه مأخذا على الادب العبري ، ليس في عمومه ، ولكن بالنسبة لبعض تياراته ، لانه لم يكن متسقا مع حدود هذه الاطماع التوسعية ، ولم يسبق بخياله آلة العدوان المحققة للتوسع ، ولم يتغن بتلك المناطق التي تم احتلالها الا بعد أن أصبحت واقعا ملموسا محققا بقوة السلاح . وهــذا الموقف هو استمرار طبيعي للسمـــة التي ميزت الادب العبري الحديث منــذ بداية مواكبته لمرحلة الاحياء القومي اليهودي ، وهي سمة الادب المجند . فقد كان الادب العبري منذ عصر الاحياء القومي اليهودي في نهاية القرن التاسع عشر في أساسه ادبا قائما على الدعوة الايديولوجية الصهيونية ، وكانت الصفة الاساسية له هي انه أدب مجند يخدم أهــداف الفكر التوسعي والعدواني الصهيوني ويخضع لمتطلباته. وعلى هذا الاساس فان أي انتاج ادبي ، شعري او نثري ، لاي اديب يهودي او اسرائيلي ، كان يحكم عليه بهذا المعيار ، وكان يعتبر أدبا قوميا بقدر ما يحققه في سبيل العودة الى صهيون (في مرحلة الهجرات) ، أو بقدر ما يكرس اغتصاب فلسطين العربية وقيام الدولة اليهودية (ابان قيام الدولة) ، أو بقدر ما يكرس التوسع الصهيوني في البلاد العربية (بعد قيام الدولة) . وعلى هذا الاساس مثلا إعتبر الشاعر اليهودي الروسي حييم نحمان بياليك (١٨٧٣ — ١٩٣٤) شاعرا للقومية اليهودية ، لانه ثار في شعره على الشتات اليهودي ، وعلى حياة المنفى ، وحفز في احــدى قصائده ، وهي قصيدة « في مدينـــة الذبح » اليهود الى اقــامة حركة « الــدفاع الذاتي » بعد مــذابح كيشنيف عام ١٩٠٣ ، واحيــا كنوز التراث العبــري الكلاسيكي ووضعها في خدمة الاحياء القومي الصهيوني . ومن بعده ظهر جيل كامل من الادباء والشعراء الذين ساروا في خط تكريس قيام الدولة ، وأطماع التوسع الصهيوني أمثال : ابراهام شلونسكي(٢) ، وناتان الترمان ، وأوري تسفي جرينبرج وغيرهم ممن سبقوا بخيالهم طلقات المدافع ، وصنعوا العنصرية بأحرفهم ، والتوسعية بكلماتهــم ، والعدوانية بقصائدهم .

واذا عدنا الى هذه الحلقة من المناقشة حول السؤال المطروح لوجدنا أمامنا ان أدبــاء اسرائيل يكادون يمثلون تيارا واحدا ، مع بعض الاختلافات هنا او هناك ، ولكنها ليست اختلافات جذرية تصل الى حد تقسيمهــم الى معسكرين . ان الاديب عاموس عوز(٣) ،

---

* توفي في أواخر شهر اغسطس ١٩٧٢ .

على سبيل المثال - يرفض فكرة ان يكون « الادب المجند » كنوع من انواع الادب الشرعي والحيوي ، هو النوع الوحيد ، ويحتج على ما يسميه « التفسير العدواني الذي يريد ان يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث هما غير موجودين ، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح، او في ادخالها الى داخل النص فانه يرفضه».
واستنادا الى هذا فانه يأخذ موقفا جديدا من تفسير كل ما اصطلح على تسميته بأنه « أدب قومي » او «أدب دعوة صهيوني» . فهو مثلا يرى ان القضايا التي تناولها بياليك في شعره وفسرت على أنها قضايا قومية ، هي في الحقيقة « احتجاج شخصي ضد نظم العالم . . » . ويرى كذلك ان برينر الذي مالوا الى اعتبار قصصه مرآة للجيل أو صرخة غضب وشق طريق ، « يحكى عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر » . وقصص س. يزهار التي تقدم حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية العربية ، يراها عوز باعتبارها « مجرد قصة عن يهود ويهود »، واكثر من ذلك « عما بين يهودي شاب ونفسه الممزقة » .

وعوز بتفسيره هذا انما يرفض توظيف الادب لخدمة غرض أو أيديولوجية ، ويرى أن كل ما ينطق به الشاعر او يكتبه الاديب ، انما هو انعكاس لذاته ، ولذاته فقط ، وليس لاي شيء اخر . وعلى هذا الاساس فانه يرى « ان القصيدة او القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة ، اولا وقبل كل شيء ، من كلمات ومن جمل » . وفي مواجهة السؤال المطروح يحدد موقفا قاطعا يرفض به أن يخضع لمتطلبات الادب المجند ، فيقول : « انني لم أظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني اقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان أتحدث باسمه لكنت مزيفا » . وهكذا يحدد عاموس عوز موقفه باعتباره ممن تجاوزوا في الادب العبري التعبير عن « النحن » ، وانتقلوا الى الاهتمام « بالأنا » ، بالفرد وصراعاته ومأساته مع نفسه ، رافضا بذلك أن يكون مزيفا ، وهو بذلك يعكس اتجاها كاملا بدأ يظهر في الادب العبري المعاصر منذ الستينات تبرز فيه أسماء لادباء مثل ابراهام بن يهوشع ، وعماليا كهنا كرمون ، ويهودا عميحى وغيرهم .

أما موشي شامير(٤) فهو يرى ان الادب العبري « ساعد كثيرا ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلادة دون ارتباط بحدود هذه البلاد » ، ويرى كذلك أن « المناقشة الدائرة بين رجال « أرض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان الحق في الخليل بل هو ما اذا كان لنا الحق في تل ابيب وحولده ومشمر هاعيمك . . » . وهنا يقف موشي شامير موقفا يحاول فيه التوفيق بين توظيف الادب لتخطي الحدود الراهنة بعد التوسع ، وبين اقتصاره على تكريس ما هو واقع والتغني به وتأصيله في النفس الاسرائيلية . وعلى هذا الاساس فانه يرى ان وظيفة الادب هي أن يقول « هنا » و « هنا هو » و « الان » . ولكن هذه المحاولة التوفيقية لا تتضمن أي نوع من الرفض لما يحققه العمل العسكري من توسع اقليمي ، لان شامير لا يرى ان هناك أي تعارض او تناقض بين ما يحققه الجيش الاسرائيلي انطلاقا من النداء « ورائي » ، وبين دور الادب العبري في « خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد » .

وبعد ذلك فان مجموعة الادباء الذين تحدثوا بعد موشي شامير وهم : اسحق شيلاف ، وبنيامين جلاي(٥) ، وموشي دور(٦) ، وموشي براجر ، يشكلون تقريبا خطا فكريا ومنهجيا واحدا . انهم جميعا يتفقون على ان « التاناخ » (العهد القديم) هو مصدر الوحي الذي يستقون منه ارتباطهم بأرض فلسطين وفق حدودها التاريخية التي حددها لهم الوعد الالهي الوارد فيه ، ولذا فهم ليسوا في حاجة بعد ، ولا يرون ان هناك حاجة الى أي مثير شعري اخر يتخطى بهم الحدود الخضراء نحو حدود التوسع الجديدة المرسومة في الخريطة الصهيونية وفقا لما حدده لهم مغني المزامير وصاحب المرثيات . وهؤلاء الادباء

هم من ممثلي ادب الدعوة او الادب المجند » وبصفة خاصة اسحق شيلاف ، عضو حركة « ارض اسرائيل الكاملة » واشد المتعصبين لتحقيق التوسع الصهيوني فيما يسمى بحدود اسرائيل التاريخية .

واخيرا فان النص الكامل لموقف هؤلاء الادباء والشعراء من هذه القضية يلقى ضوءا اشمل على اتجاهات الادب العبري المعاصر وعلى التيارات المختلفة التي توجد فيه وعلى موقف هذه التيارات من قضية الخضوع لمتطلبات الايديولوجية الصهيونية وفكرها التوسعي ومواكبة منطق العدوان الاسرائيلي وتغلغله في الارض العربية دون سند من الحق او القانون .

النص الحرفي لردود الادباء على السؤال
« مغنى التاريخ يهمني أقل مما يهمني الافراد »

عاموس عوز :

طوال فترة طويلة جدا ، وطوال كل سنوات جيل الاحياء ، وفترة الاستيطان في البلاد ، سادت لدينا وجهة النظر المؤمنة بأن الادب هو قوة تسير أمام المعسكر ، ووجهة النظر المؤمنة بأن الاديب هو وريث النبي . ومعنى هذا أنه الشخص الذي يناجي القوى التي لم يعتد عليها البشر العاديون مثل « روح الامة » و « حتمية التاريخ » و « حلم الاجيال » .. الخ . وقد استمدت وجهة النظر هذه أسسها من أن الاشخاص العلمانيين بيننا قد نموا من خلال ثقافة دينية لم تعرف من الادب سوى الادب الديني ، ولم تعرف من الادباء سوى أولئك الادباء الذين يتوجهون الى روح القدس بالصلاة والتوسل والاجلال والمديح . ومن الغريب انه حتى الثوريين الماركسيين واخرين من الذين كانوا بيننا كانوا شركاء في وجهة النظر هذه التي تتبناها الثورية الماركسية هي الاخرى وهي : أن الاديب هو مبعوث ومرشد . وحتى يومنا هذا ما زال بيننا أشخاص يتجادلون مع القصيدة كما لو كان في المنظومات تحريض ما ، ويتجادلون مع الرواية كما لو كانت خطابا سياسيا في حفلة ... وفي خلال جيل البعث القومي كان هناك أدباء تحدد موقفهم الادبي على هذا النحو وكان هناك أدباء وشعراء تحدد موقفهم على نحو غير هذا ، ولكن مفسريهم فسروهم على اعتبار انهم كتبوا من اجل الجدل الفكري . وسوف أقدم ثلاثة نماذج منهم : قصيدة « في مدينة الذبح » التي كتبها بياليك ظللنا لمدة جيلين ننظر اليها باعتبار انها صرخة من الشاعر من أجل « الدفاع الذاتي » وكوعظ ضد « حرب الفئران واختباء البق » . ولكنني حينما اقرا هذه القصيدة اليوم وحينما ادرسها كمدرس للادب فانني أجد فيها احتجاجا شخصيا ضد نظم العالم ، ذلك العالم الذي فيه : « أشرقت الشمس وازهرت الشجرة وذبح الجزار » ، وهذا من طبيعة الامور . والمثال الثاني : قصص برينر(٧) التي مالوا الى اعتبارها مرآة للجيل او صرخة غضب وشق طريق . والحقيقة ان برنار يحكي عن يهودي ممزق الى قطع واسمه برينر .

و « خربة خزعة » التي كتبها « يزهار » تقدم الينا حتى اليوم على انها مقدمات لبحث العلاقات الاسرائيلية — العربية . وفي الحقيقة فان هذه القصة ليس فيها اي اشارة لذلك ، وهي مجرد قصة عن يهود ويهود ، واكثر من ذلك : عما بين يهودي شاب ونفسه الممزقة . والحقيقة هي أنه في جيل الاحياء كانت الحلقة التاريخية الاجمالية والحلقة البيوجرافية تشكلان حلقة واحدة لا انفصال فيها ، وذلك لان الثورة المثيرة التراجيدية التي مرت على معظم الشعب اليهودي — مرت على الفرد ، وبالاخص على الفرد الحساس . لذلك فقد اعتدنا جميعا على أن نعتبر الادب « المجند » أو الادب الذي « يعكس وجه الجيل » هو النوع الوحيد من الادب ، وربما كنا بذلك شركاء في وجهة النظر الثقافية لكثير من الشعوب في أوقات الثورة .

والشيء الذي أقوله هو أن « الادب المجند » هو نوع أدبي شرعي وحيوي ، ولكنه ليس النوع الوحيد . وأنا أعارض التفسير العدواني الذي يريد أن يعثر على « روح العصر » أو « روح الامة » حيث هما غير موجودين، وحينما لا يفلح هذا التفسير في العثور على هذه الارواح أو في ادخالها الى داخل النص فانها ترفضه .

الى أي مدى يتخلل أي انتاج روح عصره — ان هذا الامر من الممكن أن نحدده فقط من خلال ثقب فكر الاجيال. ففي أوائل القرن التاسع عشر اهتزت الارض في روسيا وكتبت عشرات الروايات . وقد وجد دستوفيسكي انه

من الصواب ان يحكي ، على سبيل المثال ، عن طالب مهتز الفكر من الدرجة الثالثة في ضاحية منعزلة من الدرجة الرابعة ، يرتكب جريمة قتل من الدرجة الخامسة — وبالرغم من هذا فقد استوعب وشكل روح العصر اكثر الف مرة من أولئك الذين تناولوا القياصرة والثوريين . ومن الممكن أن نقول هذا ايضا عن « فلوبير » وعن قصته « الام بوفاري » . وقد أمسك تيار ادبي في النثر العبري في السنوات الاخيرة بطرف الخيط الذي تركه له ادباء مثل جنسين وبرينر وعجنون، ووفقا لتفسير ليس حقيقيا بالذات و « ايديولوجي جماعي » لكتابات هؤلاء الكتاب كان هناك اتجاه نحو « ضواحي الواقع » ، واهملت محاولة امساك « الثور الواقعي » من قرنيه .

لقد خلع الاديب رداء النبي وكف عن تناول الامة واختار تناول الاشخاص ، وكف عن تناول التاريخ والكينونة القائمة ، واختار تناول قوى الفرد وحالات الوجود المقررة والثابتة والتي لا تتكرر . لقد كف الاديب عن أن يكون مجرد عارض واختار أن يكون قصاصا . الى اي مدى نجح هؤلاء الادباء في استيعاب كل سلسلة الجبال في العصر حسب انعكاسها في شظية زجاجية لركن واحد من أركان الحياة — من الممكن أن تكون الاجابة على هذا السؤال من اخر الاجيال . لست اعتقد أن العصر يمكنه أن يكتشف « روح عصره » . لقد كنت أريد أن أؤكد انه ليست هناك على هذا النحو أية ثورة في الادب العبري ، ولكن ما يوجد فيه هو كشف واعادة تفسير لما كنت أسميه « الخيط الرفيع » في شعر بياليك و أ. ص. ج. السابق وشتيانبرج(٨) وفوجل ونثر برينر وبرديتشفيسكي(٩) وجنسين وعجنون . واذا كان هناك تجديد في النثر وفي الشعر في السنوات الاخيرة بالمقارنة بالشعر والنثر في « جيل البالماخ » على سبيل المثال فان هذا قد حدث في المجال الذي كنت اطلق عليه : مسئولية جديدة للكلمات . لقد ساد بين مجموعة من الشعراء والادباء الشبان الاحساس بأن القصيدة او القصة ليست مصنوعة من أفكار ولا حتى من حادثة ، ولكنها مصنوعة أولا وقبل كل شيء من كلمات ومن جمل .

ولم يكن هناك « سير أمام المعسكر » لان هؤلاء الادباء والشعراء تخلوا مدركين وواعين عن الحث على السير أمام المعسكر . انهم ربما يكونون قد احسوا بأنهم لا يعرفون الى اين يجب على المعسكر أن يسير وفضلوا ان يسيروا وسط المعسكر وربما في ذيله . وانا نفسي لا اسير امام اي معسكر لانني « لا اسمع أصواتا » او « أوامر » . انني لم اظهر مع مغني التاريخ لانه يهمني أقل مما يهمني الافراد ، ولو حاولت ان اتحدث باسمه لكنت مزيفا .

موشي شامير : الادب لا يقول ورائي بل يقول هنا وها هو والان ويجب ألا نطلب منه أكثر من ذلك

ان هذا السؤال يثيرني من حيث المبدأ لانه قائم على الخطأ في فهم العلاقة بين الادب والحياة . ومما يؤسف له انه يفسر تفسيرا غير صحيح كذلك مغزى النداء الذي يقول « ورائي » الذي يميز الفرد في جيش الدفاع الاسرائيلي . وسوف أبدأ بهذا . ان النداء الذي يقول « ورائي ! » مرتبط بالعلاقات بين القائد ومأموريه في التدريبات وفي واقع الجيش وأساسا بالطبع في ميدان القتال . ومعناه : التمسك والأخلاص من جانب المقاتلين في أعقاب قدوة شخصية مثالية من قائدهم . ومما يبعث على سعادتنا أن هذا النداء (حتى في نطاق جيش الدفاع الاسرائيلي) لا يتضمن آراء سياسية وعقيدة دينية ومغزى خاص في غمار الحياة او وجهة نظر في الموضوعات الثقافية.. الخ. ان قوته وقيمته تكمنان — مثل قوة جيش الدفاع الاسرائيلي وقيمته — في انه داخل مجتمع ديموقراطي مفتوح ومتعدد الالوان يمكن من التركيز الاقصى لكل القوى في ساعة الضرورة وفي وقت الخطر — لدرجة التضحية بالنفس — من أجل حرب الدفاع عن الشعب . وليس أكثر من هذا ولا ينبغي أن يكون أكثر من هذا .

وبنفس القدر الذي نقول به أن لدينا « كل الشعب جيش » فانه صحيح كذلك وبنفس القدر أن نقول — وهو مما يثير الغبطة — أن كل الجيش عندنا شعب .

والادب العبري لا يمكنه بالطبع الا يكون عاملا اجتماعيا مثله مثل اي أدب في العالم . والادب العبري يوجد أمامه طريق واحد فقط ونسبة تأثيره الروحي تنطوي هنا على كيفيته الفنية — والطريق هو اعطاء حرية مطلقة وطبيعية للتعبير الحقيقي والاصيل لكل هذا القوس المتعدد الالوان من حياة الانسان من المجتمع الاسرائيلي .

واذا كان هناك في هذا الادب شاعر او شاعران يدفعهم الحماس النفسي الداخلي الحقيقي عندهم الى التغني بنبوءة نداء « ورائي ! » — فان هذا الامر يكون ملموسا في نوعية نتاجهم . انه لا بد من قوة شاعرية هائلة

ـ مثل تلك التي عند أ. ص. ج ـ حتى يمكن أن تخرج قصيدة كهذه بسلام من محنة الاتزان وان كانت في نهاية الامر ستكون على قدم المساواة ـ في قلب القارىء ـ مع قصيدة غنائية منطوية على نفسها ومتدثرة بألم الوجود وحيرة الكينونة .

وما هو أهم من هذا اننا لن نتمكن ابدا من تحديد اي الاثنين « سيرتفع » اكثر الى الكيان الروحي للمجتمع الذي أنتج فيه ومن أجله .

هل « العمود السابع » الذي يكتبه « ناتان الترمان »(١٠) فعل من اجل تعليم الجيل وتشكيل الشكل الخاص الاصيل للشاب الاسرائيلي اكثر مما فعله باب « بهجة العيون » على سبيل المثال ؟

وبالنسبة للادب الفني ـ أعتقد انه فعل ما هو ربما أهم من تحديد هذه الاهداف أو غيرها لتقدم جيش الدفاع الاسرائيلي خلال حرب دفاعه : لقد ساعد كثيرا ، وفق أحسن قوته ، على خلق الاحساس بالارتباط الجذري للجيل ببلاده دون ارتباط بحدود هذه البلاد . وهذا الامر لم يتم وفق خطة منظمة ـ بل وفق مضمون طبيعي للحياة على ما هي عليه . وهنا من الممكن التحدث عن مجموع شامل ، بالتأكيد ، لتأثير جيل كامل في الادب ـ وان كان يشمل انتاجات مختلفة تماما للمؤلفين الذين يناقض كل منهم الاخر احيانا في طابعه ووجهة نظره .

هذه هي قوة الادب ـ وهذه هي عقدة تأثيره ـ حيث أنه دون قصد وبميزان عناصر مختلفة ومتباعدة ودون خط أيديولوجي موجه ـ يكشف رويدا رويدا عن الاسس الخفية للعامل المشترك وللعامل الدائم ـ وهو يكشف بواسطة ذلك عن العامل صاحب التأثير .

ان الشيء المشترك العميق في الادب العبري لابناء الجيل هو الاحساس بالوطن . ان هذا الاحساس لا يمكن لاحد أن يسلبه اياه . ان هذا الاحساس هو احساس التبعية المتبادلة بين اليهودي وبلده ـ الاحساس الذي يمكن لكل التبريرات الايديولوجية أن تتقدم وتفسره وتؤيده ـ ولكنها لا يمكن أن تدعى حق الابوة عليه .

ان حقيقة انه ليس لدي اليوم أي احساس بالغربة تجاه أرض حبرون (الخليل) ـ هذه الحقيقة نابعة من انه لم يكن عندي احساس بالغربة تجاه تل أبيب . حتى في المجال السياسي فانني اعتقد ان المناقشة الدائرة بين رجال « أرض اسرائيل الكاملة » والمدافعين عن الانسحاب ، ليست حول مسألة ما اذا كان لنا الحق في الخليل بل حول ما اذا كان لنا الحق في تل أبيب وحولداه ومشمر هاعيمك . ولنأخذ على سبيل المثال انتاج س. يزهار . انه من الناحية الايديولوجية يعتبر من كبار المتشككين عندنا . ولكننا جميعا نعرف السر ، لان البطل الرئيسي في انتاجه ليس الفتى ذا الشكوك الشخصية وليس كذلك بالطبع النموذج المتشكك في حد ذاته ـ بل طبيعة البلاد . ان التطهر والوضوح الذي يحدث في القصة العادية بواسطة الحادثة ـ يحدث عند يزهار بواسطة السير نحو الطبيعة ، نحو الوجود ، نحو السماء ـ وهي الاشياء التي يعود منها البطل شخصا اخر . وحينما ينتهي شخص من قراءة قصة ليزهار ـ ربما تبقى فيه همهمة من الشك ، ولكن تبقى فيه وبقوة أكبر بكثير نداوة حب طبيعة البلاد واماتها والسعادة النابعة من الامتزاج بها . ان الادب لا يقول حينئذ : « ورائي ! » ، بل يقول « هنا » و « ها هو » و « الان » . ووفق رأيي يجب الا نطلب منه أكثر من ذلك .

اسحق شيلاف : الادب لم يحقق هدفه وهو :
المحافظة على جذوة الاشواق الى اسرائيل الكاملة

يكفيني أن أذكر هنا ما قلته في « المائدة المربعة » التي عقدت منذ حوالي خمس سنوات حول موضوع « كيف نتحدث مع العرب » والذي تناولت فيه مع المشتركين في المناقشة مشكلة الحدود .

لقد كتبت حينئذ وقلت « علينا أن نعلم الشباب على أساس أرض اسرائيل الكاملة . وهذا الامر لا بد وأن يتم بواسطة الآباء ، ورياض الاطفال ، والمدرس ، والموجه في حركة الشباب ، والقائد في الجيش . وقد استطاع أن يقوم بهذا الدور أحسن من كل هؤلاء الادب العبري . ولكن هنا حدث شيء غريب ومحطم . لقد اجتمعت في ذلك الحين لجنة خططت الحدود على الورق ، وهي الحدود التي أخذت في الاعتبار الفرد اليهودي والامكانيات ، وقد بدأ أدبنا العبري يتلاءم مع خريطتها . ومن المحتمل أن تكون هناك حتمية سياسية تفرض علينا حتى الان ، الا يسير أي يهودي الى الجنوب من رامات راحيل والى الشرق من جبل صهيون ، ولكن كيف لا تسير أية

قصيدة او اي قصة في هذه الاتجاهات ـــ هذا ما لا افهمه على الاطلاق. ان اتفاقية الهدنة اصبحت عندنا بمثابة الكلمة الاخيرة ليس فقط في المجال العسكري بل كذلك بالنسبة لحركة الخيال الادبي . لقد اصبحت حدود الهدنة هي الحدود المحركة لنا وحدود اشواقنا ورغباتنا . وفيما وراء هذه الحدود ــ ليست لنا اي مطالب وأي اشواق وأي أحلام وأي قصيدة .

ان هدف الادب يجب ان يكون مختلفا تماما . ان عليه أن يحافظ على جذوة الاشواق تجاه كل ما فقدناه وتجاه كل مناظر الشرق التي يحكى عنها في « عهدنا القديم » . على الادب أن يشعل نار المعارضة لهذا الاستئصال المريع الذي فرضوه على جسد البلاد رغما عنها ورغما عن طبيعتها .

ان على الادب ان يعلم ابناء يهودا شريعة البلاد الكبرى والكاملة وأن يعدهم بالتغيير الحاسم في الايام القادمة . »

لقد كنت مقتنعا من قبل بأن « التغيير الحاسم » (أي الجولة الثالثة وتحرير البلاد) سوف يأتي حتما ، وسعيت من اجل ادخال الوعي بهذا التغيير في القلوب . وقد كتبت الاشعار التي اعتبرت في حينها من قبيل الخزعبلات والتي يسخرون منها الان . وانني اذكر انهم اتهموني بأنني داعية حرب ، ولكن اتضح أنني لم احرض بما فيه الكفاية . حقا ، أكثر مما أثرت هنا الاشعار اثر الرب الذي أثقل قلب فرعون وقلب سيحون وعوج للمرة الثانية في التاريخ . وأحيانا يستولي علي الفزع من فكرة : ماذا كان سيحدث لو أن الملك حسين استجاب لطلب اشكول ولم يتدخل في الحرب ؟

لقد كنا حينئذ سنصعد مرة اخرى على سطح نوتردام من اجل أن نطل من هناك على المدينة القديمة ونستمر في تلقي سيل القناصة الشهري من رجال الفيلق الاردني الذين على الاسوار ، ولم تكن أية قصيدة او اية قصة لتغير من الموقف .

وليس في هذا بالطبع اي تعد على اولئك الذين لم يكتبوا قصائد وقصصا عن البلاد التي وراء الحدود . وإذا كانوا وفق أقوالهم قد اجتازوا البلاد طولا وعرضا حينما كانوا في « البالماخ » وأحسوا تحت أقدامهم ببلاد واحدة كاملة وغير مجزأة وغير محظورة على أحد ـــ فأين كانت ذكرياتهم عن هذه البلاد ؟ وأين كانت أشواقهم اليها ؟ ان الاماكن الواردة في أشعارهم وقصصهم هي من الاماكن الموجودة دائما في المجال المتاح وليست وراء الحدود . اننا نجد في هذه المؤلفات اسماء الكثير من « الكيبوتسيم » (الحقيقية والوهمية) ، وذكريات الطفولة في أحياء المدن المتاحة وفق القانون الخاص بتوطين اليهود ، ولكننا لا نكاد نجد اسماء مثل حبرون (الخليل) واريحا وشكيم (نابلس) ... والان ، الان فقط اكتشفوا فجأة هذه الاماكن في خريطتهم النفسية . ان هذا الأمر لم يحدث قبل أن يفرضها جيش الدفاع الاسرائيلي في خرائط الـ ١٠٠،٠٠٠ والـ ٥٠،٠٠٠ (مقياس الرسم) الخاصة به ... واذا كان أحدهم قد تقدم ووصل في انتاجه حتى « الحدود » ـــ فانه في هذه اللحظة لا يصف الا الجانب التراجيدي الذي في الحدود وعدم المنطق الذي فيها دون أن يثير الرغبة الواضحة لعبور الحدود والقضاء على المأساة وعدم المنطقية .

بنيامين جلاي : المحرك الاول هو العمل ومن بعده يأتي الشعر

انني أعتقد أنه توجد كل الانواع من « ورائي ! » ، ومثلما توجد سبعة أنواع وطبقات من السموات فربما كانت هناك سبعة أنواع من « ورائي ! » . وربما كانت « ورائي » السابعة هي تلك التي تقال بالكلمات ، وهي « ورائي » الفلسفية الادبية التي ليس لها غطاء من القدوة الشخصية ، ومن أجل « ورائي » كهذه ربما لا يجب حتى التحرك من على الكرسي أو مغادرة السرير ، لان الانسان يمكنه أن يقول بصورة رمزية : « ورائي بمحبة اسرائيل » و« ورائي بالانسانية » ... الخ .

و« ورائي » الاعلى او الاولى هي تلك الخاصة بالقدوة الشخصية . ومثال ذلك ما يقوله بن جوريون : « ورائي الى النقب » ـــ وقد سار « في المقدمة » . وورائي الاكثر علوا هي تلك التي تقال في اللحظة الحقيقية من الصدام مع الموت ، وفي المحنة التي لا تتكرر ولا تعود ، والتي ربما يكون من المستحيل ان يقال فيها « ورائي » مرتين ، ولذلك فان المقارنة بينها وبين « ورائي » الخاصة بالشعراء هي مثل المقارنة بين الوقوق الذي في الساعة والوقوق الذي في الغابة .

واذا سألنا : ما الذي يسبق الآخر — العمل البطولي أم القصيدة ؟ حينئذ سنرى : لقد كان هناك البطل اليوناني أخيلس ، ثم جاء هوميروس الشاعر وكتب قصة أخيلس . وبعد ذلك يقولون ان الكسندر المقدوني لم يتحرك بدون انتاج هوميروس لانه أراد أن يكون هو أخيلس الثاني . وبعد ذلك جاء بلوتراك وكتب حياة الكسندر المقدوني . وبعد ذلك جاء نابليون — الذي أحب بلوتراك للغاية ... ما الذي نراه حينئذ ؟ نوع من التتابع . الشعر يأتي في أعقاب العمل ، والبطل والعمل البطولي يأتيان في أعقاب الشعر وهلم جرا . ولكننا اذا سألنا مع كل هذا ، ما هو المحرك الاول ؟ — فانني أقول : ان البطولة تأتي أولا ، والتضحية والاصالة — وبعد ذلك يأتي الشعر والدليل على ذلك قصيدة « دبورة » (قصيدة تمجد البطولة في العهد القديم) وكل القدوات الكبيرة .

وأنا أعتقد أن شبابنا ليسوا — حسبما قال ذات مرة أوري تسفي جرينبرج ، بحق ، ولكن عن موضوع آخر وبمناسبة موضوع آخر — مثل أولئك « الذين يقفزون الى وسط التاريخ » كما لو كان لا يوجد شيء قبل هذا ولا شيء بعده . ان شبابنا قد تعلم أولا وقبل كل شيء على « العهد القديم » وعلى تقاليد بطولة المكابيين ، وعلى أعياد اسرائيل وكل الشعر والبطولة التي تحويها ، وكذلك على الشعر الحديث ، وقد أعطى كل هذا لشبابنا المثل ، ولكن لا بد من أن نفترض انه ستأتي انتاجات أكبر بكثير في اعقاب اعمال هذا الشاب .

واذا كان الحديث عن أجواء طبيعية فان هناك أجواء طبيعية في الجغرافيا وفي التاريخ وكذلك في الادب وحتى اللغة هي الاخرى عبارة عن منظر طبيعي ، كذلك فان الادراك اليهودي هو جو طبيعي ، كما أنه توجد أجواء طبيعة انسانية . لقد نقل الادب العبري القارئ العبري عبر كل هذه الاجواء الطبيعية . لقد نقله عبر الاجواء الطبيعية لفلسطين والقدس — والشاعر « قرني » ، على سبيل المثال هو اللا — تروبادور لشعر القدس ، وفي شعر شعراء « البالماخ » كذلك يوجد الكثير من الاجواء الطبيعية للبلاد .

« هل عدنا اليوم الى أجواء جديدة — قديمة ؟ — ولكن من ذا الذي يعرف حقا متى يعود ، أو متى بالتحديد سيكف عن العودة في أي مرة ... انني اذكر قصيدة تغيث بها لكنعان منذ ٢٥ سنة اثناء الحرب العالمية الثانية . والقصيدة تسير على النحو التالي :

كنعان أيا كنعان ،

في نابلس وفي بيت لحم ،

أشجار الزيتون القديمة تصدر خشخشة

وهناك في الجنوب

هبت العواصف ،

وتنبأ العرافون .

طرق كثيرة تؤدي الى روما

وطرق كثيرة توجد للقلب

وضيف البيت هو واحد أوحد

ومن يحل عليه — يهاجر

لذلك يعوي هناك ابن آوى في وحشية

ونتسلق في كل يوم قمة التل

ونطلق الدخان في حلقات لا حصر لها

ونتطلع نحو طريق بئر سبع .

من أجل أي شيء ولماذا أعود تاشتاق في هذه القصيدة لهذا الجو ؟ ربما كان هذا بسبب الجو « التاناخي » (نسبة الى « العهد القديم ») الموجود في داخلي ، ولكن هذا يثبت انني ايضا لست من ابناء ارض اسرائيل الكاملة ، لانه في اللحظة التي لا يوجد فيها جبل جريزيم وعيبال في الحدود الاقليمية للدولة — فانهما يكونان موجودين في داخل قلبي وسيظلان كذلك دائما ابدا في ارض اسرائيل الخاصة بي .

موشى دور : هل صاح مؤلف سفر أيوب قائلا : « ورائي ! » ؟
ان الادب يهتم باتجاه الفرد

سأتدرج في الاجابة حسب تسلسل الصعوبات : هل من وظائف الادب عامة — اذا كانت له وظيفة سوى مهمة « أن يكون طيبا بقدر الامكان » — ان يقول « ورائي ! » أهل يلقى على عاتق الادب هدف اجتماعي — سياسي محدد ، عليه أن يحققه ؟ وهل من المحتمل أن نجعل المشكلة على النحو الذي تعرض به الان ، بعد كل الدروس التي تعلمناها مما يجري في البلاد الديكتاتورية ؟

لست أعتقد ان الاديب يجب أن يرفرف على أجنحة السحاب معفى من أي اتصال بالعالم الخارجي . ان انفصالا كهذا عن عالم الانسان يؤدي في نهايته الى أدب أنيمي مصاب بفقر الدم ، ويتغذى فقط على الحدود الذاتية للاديب . ولكن في الوقت نفسه محظور على الادب ألا يقدم رقبته لاي نوع من الاملاء . ان الفن الخلاق — من ناحية تناوله الجهات «الرسمية» او «الحزبية» بأشكالها المختلفة — هو منه ذو سيادة ومستقل تماما . انه يجب ألا يتلقى اوامر أو توجيهات من جانب أي شخص خارج نطاقه . ان قضية عدم عزل الاديب عن خضم الحياة ، هي قضية يجب أن يعرضها هو على نفسه ، والاديب نفسه هو الذي يحكم الى مدى يستجيب لها (اتجاهات الانتاج الحقيقية بالطبع المنفصلة والبعيدة عن « المؤثر » الخارجي) . ان اي سياسي من المحظور عليه أن يدخل بأحذيته الى مجالات حرية الفن سواء كان « يساريا » او « يمينيا » او متوجا باطارات أخرى. ان هذه الحرية لا تقل في قدسيتها عن حرية الجامعات ، وان كان هناك شك في أن عدد الادباء الحقيقيين كبير الى الحد الذي يتيح تنظيم موكب احتجاجي معقول واحد .

وبالنسبة لصلب الموضوع : لست أعرف ما اذا كان للادب اليوم تأثير مبدئي (أساسي) قوي للدرجة التي يجعل بها الكتائب تقف على أقدامها ويساعدها في التشكيل القتالي الى ميدان الحرب . ان تأثير الادب معروف، أولا وقبل كل شيء ، في المجال الفردي ، وعمله يتم بواسطة أدوات ملتزمة . انه يبتعد عن الدعاية (البروباجندا) : ليس من المحتمل عمل كيفية مثالية مع الاستعانة بأساليب « التلطيف الشعري » . ان الشعر سيضعف بمرور الوقت وسيتخلى التلطيف . وهنا أصل الى أ. ص. ج (أوري تسفي جرينبرج) ، الذي يقوم على اعتبار انه الشاعر الذي قال « ورائي » بقوة والكل يمدحه على ذلك . انني اعتبر نفسي من بين مقدري ومبجلي الشاعر « أوري تسفي جرينبرج » الذي يعتبر من نطاحل الشعر العبري ، ولكنني بأي حال من الاحوال ، لست أعد من بين مقدري الايديولوجي والدعائي أ.ص.ج. ان هذا من حقي كمواطن في دولة حرة. ويبدو لي أن أولئك الذين تربوا في أحضان شعر أ. ص. ج. من بين الجمهور اليهودي وينظرون اليه باعتباره موجها ورائيا ، قد تأثروا أساسا من تلك المجموعات الشعرية الخاصة به والتي تعتبر في نظري مجموعة فكرية أساسا . لقد تعلموا على أسس المنشورات السياسية المنقوطة التي كتبها ، ولم يتعلموا على أساس شعره الحقيقي . وبالطبع فان أ. ص. ج يتميز بمقدرة كبيرة كرجل دعائي — وهي تلك المقدرة نفسها التي تراءت له حينما أراد التعبير عن افكار وخلجات « بو علي تنيون » (عمال صهيون) — وكل من يقرأ ثمرة مقدرة هذه الدعاية لا يمكنه أن ينكر العبقرية التي يقدمها للعالم ، ولكن هذا ليس شعرا ، بل دعاية — دعاية براقة ، مليئة بالقوة ، وفياضة ، وعنيفة ، ولكنها أولا وأخيرا ليست الا دعاية .

ومن يحب شعر أ. ص. ج — دون التنكر للاسس الفكرية الموجودة به ، حسبما هي موجودة في محصوله الدعائي ، وأن كانت النسب مختلفة هناك تماما — ليس هو بالذات ذلك الشخص الذي يتخلل حياته نداء « ورائي » الموجود في شعر أ. ص. ج لدرجة انه يقوم ويقول مجيبا : « ها أنذا » . ان الامور معقدة ، وصور الوجود في الشعر والحياة هي الاخرى معقدة ، وليس من السهل عمل عمليات تصنيف ووضع فواصل. ان الادب لا يصل حتى « الخطوط الخضراء » ويقف عندها . ان الادب لا يأخذ في الاعتبار الحدود المادية وذلك لانه نتيجة روح الانسان ، ولذا فليس من مهامه أن يصرخ في الدبابات . ان الادب قائم على الانسان الفرد ، وينبع منه ويتحرك من داخله ونحوه . ان محبة البلاد (فلسطين) هي أولا وقبل كل شيء ، موضوع الفرد كما أن المجموع من المستحيل أن يكون مجموعا ما لم يتجمع افراده معا ويشكلوه . واذا لم يشعر الفرد بهذا الحب الذي يعتبر فعلا متعديا لما أطلق عليه تشرنحوفسكي (شاعر عبري ١٨٧٥ — ١٩٤٤) : « الانسان هو خلاصة جو وطنه » فان أي أصوات نفيرية او عمليات قرع للاجراس من « الادب المجند » (او بأسلوب آخر :

الادب المخول من السلطة) لن تحركه من مكانه .

ان اسرائيل بالنسبة لي ، هي أولا وقبل كل شيء وجود نفسي وجسماني (مادي) عميق لانني على أرضها رأيت نور العالم وفي أجوائها تربيت وكذلك نضجت وليس لي وطن غيرها ، ليس على شكل علة الحنين للوطن فيما وراء البحار ، وليس على صورة « الشرائع اليهودية » التي تعبر عن الاشواق الطبيعية لمن استأصلوا او استؤصلوا من هناك وتخرب بيت ابيهم . ان أرض اسرائيل بالنسبة لي هي بلد واحد لانها لم تكن على شاكلة أخرى اطلاقا . ولم يكن أ. ص. ج هو الذي طبع لي هذا الاحساس المضموني . انها الارض هي التي فعلت هذا . ان اصحاحات « التاناخ » (العهد القديم) التي خلقت الحلقات الروحية التي ربطتني بماضي شعبي هي التي زودت الرباط العقلاني المطلوب لابن قطر معين من البلاد من أجل تمييز آثار آبائه في الرمال . ولكن عملية الولادة والنمو والتشكيل قد سبقت البناء العقلاني .

وفي « العهد القديم » توجد اصحاحات شعرية رائعة ، ولكن قوتها تنبع أولا وقبل كل شيء من كونها انتاجا فنيا كبيرا وذا صفات انسانية عميقة . وتوجد في « العهد القديم » كذلك أجزاء أخرى سيئة من الناحية الفنية — وكذلك من الناحية الانسانية — وتأثيرها على نفس القارئ أقل بكثير جداً . هل صاح مؤلف سفر أيوب قائلا « ورائي ! » . هل جاء شاعر « نشيد الانشاد » بالجموع الى مهد محبوبته ؟ ألم يرق مؤلف مراثي داود على يهوناثان دماء قلبه على صديقه الاوحد الذي لا شبيه ولا مثيل له ؟ وهل تأملات « الجامعة » الحكيمة في يأسها واليائسة في أدراكها ، ألفت بناء على أوامر من السلطة ومن المبايم (اتباع حزب المباي) في حقل الثقافة ، أم طغت وارتفعت من خلال التبصر الصافي والهادئ والتراجيدي لرجل عبري خلال تجربة حياته هو وتجربة حياة الآخرين من خلال زاوية تأمله الخاصة به ؟

وتوجد في « العهد القديم » بصراحة فصول أخرى من التاريخ السياسي ولكنها ليست هي التي استولت على قرائه في كل عصر على وجه البسيطة . لقد ظلت تلك الفصول على ما كانت عليه منذ بدايتها — مجرد تاريخ سياسي لا أقل ولا أكثر من هذا — ولست أستهين بأهميتها . انها تكمل بالنسبة لي ما وضعته وتناولته الفصول الاخرى بواسطة اللمحات الانسانية الفنية التي تحويها ولكنها لا يمكن ان تحل محلها . ومن المفهوم بالنسبة للقارئ العبري ان « العهد القديم » هو دائما بمثابة « وايضا » : وثيقة فنية وانسانية سامية المكانة هي بطاقة الهوية التاريخية الخاصة به ولو لم تكن به الصفات التي حافظت عليه عبر كل دورات الزمن ، وهي تلك الصفات الفنية الانسانية العجيبة ، لما أمكن الحفاظ على بطاقة الهوية الا في المتاحف الاثرية . وعلى أي حال من الاحوال فانه لم يكن هناك ميثاق متقد في الحياة الابدية له أبعاد واقعية ندية مثل ذلك النواح على الاجواء القديمة وعلى أجواء تجددنا .

وهذه الحياة الابدية — لم تأت من « توجيهات » ولا من « منشورات » ولا من « ورائي ! » .

وبالاضافة الى هذا : فان وعيي في عصارة عظامي بوحدة أرض — اسرائيل — وراء حدود هذا الواقع الراهن أو غيره — لم يحجب عن عيني رؤية وجود الامة الثانية بفضل أحفاد الاحفاد ، وليس بفضل السيادة على أرضها . لقد اعتقدت وتلقيت هذا الاعتقاد بالقبول ، بأن الحق ، ولو حتى حق آبائي الذي هو أقدم وأعمق من جميع الحقوق لا يلغي حقا . ومن أجل ذلك لم اكن في حاجة الى نظريات تدلل على أن أولئك المقيمين هم أحفاد آبائي الذين امتزجوا بالمحتلين وطمست معالمهم ، ان قوتي تكمن في قدرتي على صد الذين ينقضون لابادتي ، ولكن قوتي تكمن في الوقت نفسه في قدرتي على الحفاظ على صورة الانسان بداخلي ، وعلى المحافظة على الارث الانساني المتمثل في الكتب القديمة . هذه هي ميزتي ، وهذه أيضا هي حكمة الحياة وحكمة الدولة وحكمة الشعب .

موشى براجر : هناك كتاب واحد فقط وهو ((التاناخ)) (العهد القديم) الذي قال ((ورائي!)) وقد رد عليه الواقع وسيرد عليه قائلا ((آمين !))

ان السؤال الخاص بنداء الأمر : « ورائي » مرهون من أساسه بمعرفة صلاحية ومقدرة فرض سيادة صاحب النداء — وهذا يعتبر في نظري بمثابة المحك لنفس موقف الادب العبري المعاصر .

ان اليهودية الاصيلة تميز بين اصلاحين منفصلين هما : « التوراة » و« الحكمة » . وقد قيل عن ذلك : « هناك

حكمة بين « الجوييم » (الشعوب الكافرة) ... في هذا ــ أما انه توجد «توراة» بينهم ــ فلا تثق في هذا ».
ان كلمة « توراة » مصدرها وكذلك أصلها اللغوي جاء من « تعليم » : و « لتعليم بني اسرائيل » . ان غاية التوراة وهدفها هما : « التعلم والتعليم ، والمحافظة والعمل والتنفيذ » . هذه هي الصفة المميزة لشعب اسرائيل عبر التاريخ : التوراة المرتبطة بالحياة والتي تشكل وتصوغ الحياة اليومية ، « الخطوات » مع « الشرائع النظرية » (الهالاخوت) مندمجة معا .

ومن هنا فان الاستنتاج الذي يكون وفقا لمفاهيم اليهودية هو انه لا يوجد بالفعل رجل ــ توراة ، حتى ولو كان هذا الرجل عبقريا في التوراة ما لم ينفذ بالكامل مبدأ التحقيق الذاتي ولا يوجه اعماله واخطاءه وفق شرائع وأوامر التوراة .

و« الحكمة » في مقابل هذا تتميز بالتعامل الحر المحبب نحو المعقول ، فمن الممكن ان تؤخذ في الاعتبار على أنك « حكيم » واضح وان تعيش عكس كل مبادىء « الحكمة » . ومضمون الحكمة غير محدد هنا بالمرة : هل هي تشتمل على صفات المعرفة والمنطق والبصيرة النافذة أم انها عبارة عن مستوى من المعرفة والخبرة في المجالات الروحية ، ام ان الحكمة تبلور تجربة علمية ــ اختبارية لا دعوى لها .

في كل هذه النماذج لا يرى « صاحب الحكمة » نفسه على الاطلاق باعتبار انه مأمور بأن يتصرف وفق توجيهات كل « الحكم » التي ينادي بها . يكفي الحكمة ان تعتبر (ثلاثية المغزى) كتسلية ذهنية وكمصدر للمتع الروحية وكأداة لاثراء الحياة ولاستغلال ظروفها لاقصى حد .

ولذلك فان هناك تحذيرا يقول : « الحكماء هم للشر » . ولا داعي لان نذكر حكماء الاخلاق من بين الشعوب لان من بينهم من هم في المرتبة الاولى في تاريخ الحضارة بينما كانت حياتهم الشخصية نموذجا لعدم الاخلاق ، واكثر من هذا فانهم بالذات من خلال الانغماس في متاهات الانحلال والتدهور وتدمير الاسس والمعايير قد استقوا « الحماس الاخلاقي » المقنع للغاية .

وبالنسبة للادب الاسرائيلي وأبعاد تأثيره ، فان الاختبار الحاسم هو ، من أين يستلهم وحيه ومعرفة قيمته : هل من مصادر التوراة والايمان أم من آبار الحكمة والمعرفة المحترفة ؟

اذا كان هناك كتاب يقول « ورائي » وسيظل يقولها ، وسار الواقع بالفعل وراءه وما زال يسير ، فان هذا الكتاب هو « كتاب الكتب » (التاناخ) وكل الادب اليهودي الذي ولد حوله ومشبعا بروحه . ان جذور المشكلة تكمن حينئذ من صورة تعامل الادب الاسرائيلي مع « التاناخ » (العهد القديم) والعلاقة بينهما . والخيار واحد ولا يقبل التأويل : أما التاناخ ــ كالكتب المقدسة وكمصدر وحي لقدسية الحياة (ومنه ايضا : سمو الحياة ، ومعنى الحياة ، وسرور الحياة) ، وكصك للنسب الخاص بالشعب المختار ، وكصك لشراء الارض الموعودة ، وكأداة توصية ، وكجسر للرسالة الروحية اليهودية من « بداية الخلق » حتى « نهاية الايام » ، أو معاذ الله ، العكس من ذلك ، أي « التاناخ » ــ كتجميع ليست فيه قدسية الانتاجات الادبية المختلفة والمتنوعة كذلك والنسبية الى حد ما في قيمتها المؤكدة ، وكمجموعة شهادات وتاريخات تاريخية موثوق بها أقل أو أكثر ، وكخلفية « لنصوص » قديمة موضوعة تحت تصرف « ناقدي العهد القديم » الذين يعينون انفسهم ويتوجون انفسهم من أجل تنفيذ التدريبات الجدلية كافة بما فيها الكفاية ، وعمليات الحذف والتعديلات ، وكذلك التحليلات الجائرة الغريبة للغاية لهذه « النصوص » .

أن هذا التناول العلماني « للتاناخ » وهذا التناول المدروس لكتاب الكتب هو كل خطأ الادب العبري منذ ايام « الهسكلاه » (حركة التنوير اليهودية) حتى أيامنا هذه . لقد اعترفت كل الشعوب بأن الشعب اليهودي هو « شعب الكتاب » ، وليس معنى هذا انه الشعب « الذي يحب » الادب او « الذي ينتج » الادب ، لان هذه الاشياء وجدت كذلك بين سائر الامم الحضارية . ان معنى « شعب الكتاب » أنه الشعب الذي يعيش وفقا للكتاب ، وان الكتاب والامة يشكلان مضمونا واحدا . وليس هناك شعب أكد اتصاله بالكتاب ، وبمتعة التفكير مثلما عبر عنها صاحب « المزامير » : « اصبحت قوانينك لي مزامير » ــ هذا هو « لحن الجمارا » الذي لا مثيل له في العالم .

ان علاقة اليهودي بالكتاب قد تجلت في القبلة المرتعشة لصفحة ممزقة قطعت من الكتاب وسقطت على الارض ،

ورسمها يهودي بأصابع الحب وحافظ عليها الى ان اخفوها في احتفال الدفن معه في مقبرته، كما يدفنون الانسان الذي خلق على نفس المثال . ان كتابا كهذا ، كل مضمونه وغايته كان : « ورائي ! » ، وهذا هو الاختلاف الخارق بين « التوراة » و« الحكمة » : أن التوراة تقدم « المعرفة » و« طريقة الحياة » لان لها الصلاحية العليا لذلك ، و« الحكمة » تعرض « رواية » للقراءة ، و« مقالة أدبية » للمتعة ، ودراسات الطبيعة للفائدة العملية ، واذا تجرأت على صياغة وجهات نظر فلسفية خلقية — فان القارىء المتطوع يمكنه ان يسأل — في اللحظة التي لا يحلو له أن يتصرف وفقا لمبادىء علم الاخلاق — : « من نصبك قيما ؟ » .

واذا لم يكن هناك على الاطلاق مصدر للوحي الاخلاقي غير « العهد القديم » — فان لنا ولشعب اسرائيل ، يعتبر « العهد القديم » هو مصدر الوحي الروحي الذي يضم كافة الحياة ، وكافة الشرائع التي بين الانسان والهه وصديقه وشعبه وبلده والعالم كله . ان الادب اليهودي المنعزل عن جذور « العهد القديم » يكون منعزلا كذلك عن جذور الواقع اليهودي المتصل بالحاضر أيضا ، وبالتالي فانه لا يمكن ان يقول « ورائي ! » .

---

١ — **أوري تسفي جرينبرج** : شاعر اسرائيلي . ولد عام ١٨٩٤ في جاليسيا ، وما زال على قيد الحياة . من أشهر قصائده قصيدة « مافيستو » التي تعبر عن خراب العالم بقيمه . هاجر الى فلسطين ١٩٢٣ ، وكان من المقربين الى « كتيبة العمل » . وفي نهاية العشرينات حدث تحول في وجهة نظره الايديولوجية ، وأعرب عن خيبة أمله في هدوء الزعامة الصهيونية واليشوفية ، وتقرب من الحركة الاصلاحية (حركة جابوتنسكي) . كان عضو الكنيست الاول عن حزب حيروت الارهابي . مشهور بأنه فاشيستي ، وهو من زعماء حركة « أرض اسرائيل الكاملة » التي تعارض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، وتطالب كذلك بالمزيد من الاحتلال حتى استكمال « ارض اسرائيل » بحدودها التاريخية المزعومة .

٢ — **ابراهام شلونسكي** : شاعر ومترجم . ولد في ١٩٠٠/٣/٦ في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩١٢ . بدأ النشر في مجلة « هشيلواح » عام ١٩١٩ . عاد الى فلسطين مرة اخرى بعد جولة في الخارج عام ١٩٢١ ، وعمل عامل طرق وعامل بناء . انضم وترأس تيارات شابة في الادب العبري المعاصر تركزت حول المجلات الادبية « كتوفيم » (كتابات) و« طوريم » (سطور) . رئس تحرير الملحق الادبي لصحيفة هاآرتس خلال السنوات ١٩٢٨ — ١٩٤٢ . من مؤسسي مجموعة الشعراء الشبان «يحداف» (سويا) عام ١٩٤٢ . مؤسس ورئيس تحرير دار نشر « هشومير هتسعير » ، و« مكتبة العمال » ، ورئيس تحرير مجلة «عتيم» (أزمنة) الملحق الادبي لصحيفة «عل همشمار» (الصحيفة الصهيونية اليسارية) ، ورئيس تحرير « اورلوجين » المجلة الادبية . نشر الكثير من المجموعات الشعرية ، وترجم الكثير من إنتاج جوركي وبلوك ودنكان وهوجو وانسكي وتروتسيكي وبرخت وجوجول وشولوخوف وبوشكين وشكسبير وغيرهم . نال العديد من الجوائز الادبية .

٣ — **عاموس عوز** : من مواليد القدس عام ١٩٣٩ . درس في الجامعة العبرية الادب والفلسفة وتخرج عام ١٩٦٤ . حصل على الماجستير من جامعة اكسفورد عام ١٩٧٠ . عضو كيبوتس حولداه منذ عام ١٩٥٧ . يعمل مدرسا في المدرسة الثانوية في الكيبوتس . خدم في « الناحال » (شباب الطليعة) ، ومن الاعضاء العاملين في كيبوتس « من هينود » ٦٢ — ١٩٦٤ . عمل استاذا زائرا في كلية سانت كروز بجامعة اكسفورد عام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ . نشر مجموعة قصص قصيرة بعنوان « بلاد ابن آوى » (١٩٦٥) . صدرت له الروايات : « مكان آخر » (١٩٦٦) ، و« ميخائيل الخاص بي » (١٩٦٨) ، وعشرات من الكتابات والمقالات في الصحافة الاسرائيلية وخارج البلاد .

٤ — **موشي شامير** : أديب ، وكاتب مسرحي وصحفي . عضو اكاديمية اللغة العبرية . مندوب قسم الاستيعاب التابع للوكالة اليهودية في انجلترا . ولد في ١٩٢١/٩/١٥ في صفد . عضو كيبوتس مشمر هاعيمك . خدم في البالماخ . مؤسس المجلة الناطقة بلسان الجيش الاسرائيلي « بمحنيه » . عضو تحرير صحيفة « أومر » عام ١٩٥١ . كان له عمود خاص في صحيفة

«عل همشمار» وبعد ذلك في صحيفة «معاريف» (رئيس تحرير الباب الادبي في « معاريف ») . مؤلف الروايات : « ذاهتب في الحقـــول » (جائزة اوسشكين عام ١٩٤٨) ، و« بكلتا يديه » (جائزة برينر) ، و« ملك اللحم والدم » ، و « حروب بن أور » (جائزة بيالك ١٩٥٥) ، و« نهاية العالم » ، و« العجلة الخامسة » ، و« منزل في حالة جيدة » و« الوريث » . وبعد حرب ١٩٦٧ كتب كتابا بعنوان « حياة شعب اسماعيل » عن العلاقات بين العرب واليهود . مثلت له مسرحيات عديدة .

٥ ـ **بنيامين جلاي** : أديب ، ولد في ١٩٢١/٤/١٠ في روسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٦ ، تعلم في تل أبيب . خدم في سلاح الطيران البريطاني في الحرب العالمية الثانية ، وعمل مستشارا للصحافة ، في بلدية حيفا عام ١٩٦٢ . وله عمود دائم في صحيفة معريف بعنوان « عن فنجان قهوة مقلوب » . من كتبه الشعرية : « الشعب الروحي » (١٩٤٦) ، و« الماكرين » (١٩٤٩) ، و« العودة الثالثة » (١٩٥٣) ، و« على شاطىء الرحمة » (١٩٥٨) ، و« رحلة الى الشمال » (١٩٦٨) ، و« جدل الخمر في فناء ارميلوس السابع عشر ملك « فيليبو » (١٩٦٨) . حصل على جائزة برينسر ، وجائزة فيخمان ، وجائزة أنا فرانك ، وجائزة لدان لادب الاطفال . كتب بعض القصص والروايات للاطفال .

٦ ـ **موشي دور** : صحفي ، عضو تحرير صحيفة « معريف » منذ عام ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ . ولد في ١٩٣٢/٢/٩ في تل أبيب . درس في جامعة القدس ، وتل ابيب قسم العلوم السياسية . صاحب عمود أدبي في صحيفة حزب المابام « عل همشمار » . عضو نقابة الادباء ونقابة الصحفيين . رئيس جمعية الملحنين والمؤلفين (أكوم) .

٧ ـ **جوزيف حييم برينر** : كاتب وروائي عبري (١٨٨١ ـ ١٩٢١) . تتخلل جميع رواياته شخصية واحدة تلقى مصيرا واحدا على الدوام : بدايات فاشلة في معترك الحياة تتبعها المساعي الخائبة التي تترك مرارة في النفس ونقمة على العالم أجمع . صور الحياة الفلسطينية بأسلوب واقعي . مزج في حياته بين الحركة العمالية ومطامع الاستعمار الصهيوني .

٨ ـ **يعقوب شتاينبرج** : (١٨٨٧ ـ ١٩٤٣) . شاعر وأديب اجتماعي وسياسي .

٩ ـ **ميخا يوسف برديتشفيسكي** : (١٨٦٥ ـ ١٩٢١) . كان من المتأثرين بفلسفة نيتشه ، وطالب بتغيير القيم اليهودية والتخلص من نير الماضي اليهودي بكل ما يمثله من تخلف وخنق لغرائز الانسان وروحــه . اعتبر ان العودة للطبيعة والفرد خلاصة للثورة القومية .

١٠ ـ **ناثان الترمان** : (١٩١٠ ـ ١٩٧٠) . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٥ . انضم الى جماعة شلونسكي التي اشاعت روحا جديدة في جيل الشعر التالي لعصر بياليك . نشر كتابه الاول « كواكب في الخارج » عام ١٩٤١ ، وبالرغم من أنه استقبل بصمت الا انه غير مؤخرا ، ربما أكثر من اي كتاب آخر ، وجه الشعر العبري في فلسطين . اشتهر الى جوار الترمان الشاعر ، الترمان الاجتماعي السياسي الذي كان يعبر عن نفسه مرة كل اسبوع في منظومات « العمود السابع » في دافار . بعد قيام الدولة اصبح شاعرها القومي ورجل المؤسسة الحاكمة .

مراجعـــات

الدكتور يهوشافاط هاركابي ، **تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد حزيران ١٩٦٧** ، (دار النشر العربي ، تل ابيب ١٩٧١) .

من المعروف ان سلطات الاحتلال تحاول القيام بنشاط اعلامي و « تثقيفي » في الضفة الغربية وقطاع غزة (على جميع المستويات) بين صنوف السكان العرب لخدمة اهدافها ، وكان اخر عمل في هذا الميدان صدور كتاب من وضع الخبير الاسرائيلي في الشؤون العربية ي. هاركابي تحت عنوان « تيارات في السياسة والاجتماع العربي بعد حزيران ١٩٦٧ » . وقد وجدنا انه من المفيد اطلاع القارىء العربي على انموذج هام لهذا النوع من النشاط الذي تقوم به الدوائر الاسرائيلية في الاراضي المحتلة . كما هو معلوم كان هاركابي مديرا عاما للمخابرات العسكرية الاسرائيلية وهو يشغل الآن منصب استاذ في الجامعة العبرية . والكتاب من اصدار دار النشر العربي في تل ابيب وهي مؤسسة تابعة للهستدروت . يضم كتاب هاركابي مجموعة مختارات من الكتابات العربية التي صدرت بعد حزيران ١٩٦٧ حول موضوع الهزيمة العربية واسبابها وطبيعة الصراع العربي الاسرائيلي ، بالاضافة الى مقدمة طويلة بقلمه مكرسة لدراسة ما يسميه بالتيارات الفكرية العربية التي برزت في تفسير الهزيمة وتحليلها وفهمها واقتراح السبل لتخطيها . وكان هاركابي قد نشر الترجمة العبرية لمعظم هذه المختارات مع مقدمته المذكورة في كتاب عنوانه « العبرة التي استخلصها العرب من هزيمتهم » اما في الطبعة العربية فقد ادخل هاركابي بعض التعديلات واضاف ملحقا قصيرا موجها للقارىء العربي ، كما اضافت دار النشر مقدمة خاصة بها تحت عنوان « التيار السادس » قاصدة بذلك الاشارة الى ما تسميه بوادر ظهور تيار عربي جديد ازاء الصراع مع اسرائيل غير التيارات الخمسة التي حددها هاركابي في مقدمته . والمقصود بذلك هو التشديد على الاصوات الداعية للتفاهم مع اسرائيل والاعتراف بها والعمل معها على « ازدهار المنطقة » في المستقبل .

ان اول ما نلاحظه حول هذا الكتاب هو انه يريد تقديم صورة معينة للقراء العرب تحت الاحتلال لموجة النقد والنقد الذاتي التي حمل لواءها عدد من الكتاب والمثقفين في العالم العربي (من اتجاهات سياسية وايديولوجية متعددة) بعد هزيمة حزيران وذلك من خلال منظار اسرائيلي يشدد على ان الموجة ليست الا مسألة تيارات متعددة تتنازع فيما بينها وتحاول شد المجتمع العربي باتجاهات متضاربة ومتعاكسة وكان كل تيار منها يقف على قدم المساواة مع غيره من التيارات من حيث الاهمية والتأثير والمقدرة على التعبير عن الحركة الموضوعية للعوامل الفاعلة باتجاه تخطي واقع الهزيمة وتجاوزه . ومن ناحية ثانية نجد ان تحليل هاركابي لا يرتبط بصورة واضحة بالنصوص التي يوردها من مؤلفات الكتاب العرب، اي ان المقدمة ليست محاولة لتحليل هذه النصوص بل تركز على تصنيف التيارات الفكرية السائدة (من وجهة نظره) في الفكر العربي السياسي بدون الاشارة بالضرورة الى علاقة هذا التصنيف بالنماذج التي يقدمها في صلب الكتاب . على سبيل المثال لا يذكر هاركابي فيما اذا كان يعتبر ما اورده من كتابة ادونيس حول الهزيمة العربية داخلا في التيار الثوري او الاصلاحي ، والشيء نفسه ينطبق على ما اورده من كتابات ناجي علوش . كذلك يستشهد هاركابي في مقدمته بعدد من الكتاب والكتب (مثل سعد جمعة وفاضل الجمالي واحمد بهاء الدين وجبران شامية ...) بدون ان يورد لهم اية مقتطفات في كتابه . وهنا لا بد من تعريف القارىء بالمختارات التي انتقاها هاركابي ليعرضها في مؤلفه : جزء كبير من كتاب صلاح الدين المنجد « اعمدة النكبة »،

اجزاء من كتابي « النقد الذاتي بعد الهزيمة » وكتاب قسطنطين زريق « معنى النكبة مجددا » ، « بيان ٥ حزيران » لادونيس (مجلة «الاداب» ، آب ١٩٦٧) ، مقال ناجي علوش « جدل الهزيمة والنصر » (« دراسات عربية » ، ٢ ايلول ١٩٦٧) ، قطعة لعبد الرحمن البزاز بعنوان « كيف يربح العرب العرب ! » (في مجموعة حول النكبة الحاضرة) ، مقال لابراهيم عامر « الدعايات العربية في الميزان » (الاداب ، تشرين الاول ١٩٦٧) ، ومقالان لكل من سيسيل وجورج حوراني عنوان الاول « لحظة المصارحة » (« النهار » ، ١٢ آب ١٩٦٧) وعنوان الثاني « العرب واليهود في فلسطين : نظرة اخلاقية » (« القضايا المعاصرة » ، صيف ١٩٦٩) . ولا اعتقد انه من قبيل الصدفة ان تكون اطول المقتطفات التي اختارها هاركابي مأخوذة من كتاب « اعمدة النكبة » للمنجد الذي يضمه هاركابي ضمن الاتجاه الاسلامي المحافظ ويبدي اهتماما كبيرا بمؤلفه على الرغم من انه ، ضمن حدود معلوماتنا ، لا يوجد اية اشارة تبين ان كتاب المنجد قد استقطب اهتماما خاصا في الاوساط الثقافية والسياسية (رسمية كانت ام شعبية) الفاعلة في الحياة العربية او انه مارس تأثيرا مهما من اي نوع كان في صفوف الانتليجنسيا العربية تجلى في مناقشات حول الاراء الرجعية المحض التي طرحها المنجد في كتابه . وينطبق هذا الاعتبار على عدد لا بأس به من المقتطفات التي ضمنها هاركابي في كتابه مثل مقالة سيسيل حوراني « لحظة المصارحة » التي خرجت على سطح الفكر السياسي العربي مثل الفقاعة وتبددت بسرعة ولم تترك اي اثر او تستقطب اي اهتمام وطواها النسيان بسرعة ليعود الان هاركابي الى احيائها وتقديمها الى القراء في الضفة الغربية وكأن ما جاء فيها من آراء مطروح بصورة جدية وملحة على الفكر العربي .

يستخلص هاركابي من متابعته لحركة الفكر السياسي العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ وجود خمسة تيارات متنازعة هي :

(١) التيار الاصلاحي (اي الليبرالي) الذي يرجع الهزيمة الى ضعف المجتمع العربي وتخلفه ويدعو الى ادخال تعديلات جذرية وعميقة عليه (اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا) والى انظمة حكم ليبرالية . كما يرى اصحاب هذا التيار ان التغيير المطلوب لا يمكن ان يأتي الا بصورة تدريجية وبطيئة وعلى اساس تراكم الانجازات عبر عدة اجيال متعاقبة . ولا يوضح هاركابي اي من المقتطفات في كتابه تمثل التيار الاصلاحي الا انه بامكاننا الاستدلال الى أنه يعتبر قسطنطين زريق والاخوين سيسيل وجورج حوراني من المنتمين اليه . اما الاسماء المحددة التي يذكرها في مناقشته لهذا التيار فهي احمد بهاء الدين وجبران شامية . ويبدو ان اهتمام هاركابي بالتيار الاصلاحي نابع من كونه ينقد واقع المجتمع العربي بمنطق من لا يرى مخرجا من المازق الراهن الا عبر مرحلة طويلة من البناء على طريقة النماذج الغربية والرأسمالية في التقدم ، مما يعني على الصعيد السياسي (ولو ضمنا) انه لا بد من ايجاد صيغة تفاهم وتعايش مع اسرائيل الى ان يتم اصلاح المجتمع العربي واعداده اعدادا كافيا لمواجهة اسرائيل في المستقبل البعيد وغير المحدد . بعبارة اخرى تجميد كل نضال وكفاح ضد العدو الى أجل غير مسمى حتى تتحقق هذه المشاريع الطوباوية . كذلك يهتم هاركابي بهذا التيار بسبب معاداته للشيوعية وللفكر الاشتراكي ولانتشار الوعي الثوري في المنطقة ، وبسبب عدم تصديه للامبريالية واصراره على الفصل بين المعركة ضد اسرائيل من جهة وبين المصالح الامبريالية في الوطن ومصالح الطبقات الرجعية المحلية المرتبطة بها من جهة ثانية .

(٢) التيار الثوري الذي يقول عنه هاركابي بانه يدعو الى ضرورة قيام ثورة شاملة تؤدي الى اجراء تغيير جذري في جميع مجالات الحياة العربية ، وبانه لا يقيم وزنا كبيرا للثورة الرسمية التي يمثلها بعض انظمة الحكم العربية ولا يقبل بفكرة التغيير الاصلاحي التدريجي للمجتمع . وفي معرض مناقشته لهذا التيار يذكر هاركابي اسم كل من نديم البيطار والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واسمي انا . يقوم هاركابي بعملية تسفيه وتشويه لافكار وآراء من يسميهم باصحاب التيار الثوري بصورة فجة وبدائية وبدون اية محاولة لتغطية محاولته بشيء من « الرصانة » او « العلمية » او « العقلانية » ولو كانت كلها من النوع المزيف . مثلا لا يذكر هاركابي شيئا عن الانتماء السياسي والايديولوجي لبعض الاطراف (على اقل تعديل) في التيار الثوري بهدف اظهار « ثوريتهم » على انها نوع من الغضبة المثالية الكبيرة التي تريد حل المشاكل والمعضلات دفعة واحدة ومن خلال حدث سحري

اسمه (الثورة) ، وعلى انها لا تنتمي الى اية وجهة نظر او برامج ايجابية ممكنة التطبيق . لذلك يتكلم هاركابي عن التيار الثوري بصورة جوفاء تبقى معلقة في الهواء مع تعمد عدم الاشارة الى الالتزام العلني لقسم كبير من هذا التيار (كما يحدده هو) بالماركسية اللينينية لان مثل هذه الاشارة سوف تعطي التيار هوية من نوع معين يريد هاركابي تجريده منها ليتمكن من تسفيهه وتتفيهه بصورة بدائية وفجة) . على هذا الاساس يشدد هاركابي في القول على ان اصحاب التيار الثوري يريدون احداث التغييرات السياسيــة والاجتماعيــة والاقتصادية والثقافية كافة في المجتمع العربي ، بالاضافة الى تحرير فلسطين وهزيمة الاستعمار فورا ودفعة واحدة بفضل حدث تاريخي رائع هو الثورة (ص ٤٤) . حتى لو سلمنا بقدر من السذاجة في تفكير بعض المنسوبين الى التيار الثوري فان احدا منهم لم يصل الى هذا الحد من الاسفاف في تصوير الثورة على انها زلزلة سحرية ضخمة تحل المشاكل والمعضلات كافة بضربة واحدة فورية تتحقق بواسطتها كل « الاهداف معا » على حد تعبير المؤلف . هذا تشويه متعمد من قبــل هاركابي لانه يعرف قبل غيره ان ما من طرف يشدد على اهمية النضال الطويل المدى علــى طريق الثورة ، واهمية الكفاح المستمــر علــى أسس استراتيجية من اجل بناءالمجتمع الاشتراكي الجديد وهزيمة الامبريالية مثل الطرف الثوري الذي يتهمه مؤلفنا بالبحث عن الحلول الفورية للمشاكل . ومن المآخذ التي يسجلها هاركابي على التيار الثوري في العالم العربي (أ) قوله (أي التيار) بأن بقاء انظمة الحكم الرجعية يمنع اي تعاون عربي حقيقي ضد اسرائيل بسبب ارتباط هذه الانظمة بالاستعمار القيم على اسرائيل وخضوعها لضغوطه (ص ٤٤).
(ب) قوله بأن مسؤولية الهزيمة تقع الى حد بعيد على عاتق القيادة الطبقية للبورجوازية الصغيرة وليس على عاتق الجماهير الشعبية عامة (ص ٤٩) .
(ج) وضع جميع الاعباء والمشاكل على اكتاف « الثورية » و« قوى الجماهير » و« الحتميــة التاريخية » دون اختبار هذه العناصر اختبــارا فعليا (ص ٥١) .

نكتفي هنا بالقول ان هاركابي بالتأكيد لا يخادع نفسه وانما يخادع القراء العرب في الارض المحتلة لان اكتاف « الثوريــة » و« قوى الجماهــير » و« الحتمية التاريخية » قد تم اختبارها فعلا في ساحات عديدة للكفاح وبرهنت عن قدراتها وطاقاتها القتالية والنضالية في وجه اعتى عتاة المستعمرين ، كما ان « الحتمية التاريخية » بمعناها الثوري لا تعني ـ كما يحاول انيوحي هاركابي ـ الاستسلام لنوع من القضاء والقدر الذي سيجلب معه النصر المحتم ، بل تعني ، من جملة ما تعنيه ، ان الاتجاه التاريخي الذي سيسود المستقبل هو حتما لمصلحة كفاح الشعوب وانتصارها ضد سيطرة الاقليات الطبقية الحاكمة والاحتكارات الامبريالية المستغلة. من الطبيعي جدا أن يلاقي التيار الثوري معاملة تشويهية من هذا النوع على يد هاركابي .

(٣) التيار الاسلامي الذي يدعو الى اصلاح الامة عن طريق الدعوة السلفية في العودة الى القيم الاسلامية القديمة . والممثل الرئيسي لهذا الاتجاه في النصوص الواردة في الكتاب هو صلاح الدين المنجد . اما الاسماء التي يوردها المؤلف في شرحه لمواقف التيار الاسلامي فهي فاضل الجمالي وسعيد جمعة وا. طيباوي . ويهتم هاركابي بهذا التيار من حيث معاداته الشرسة للاشتراكية وحركة التحــرر العربي عامة ، ونظرته الاستعلائية للجماهير (الغوغاء حسب تعبيرهم) وموالاته الصريحة للعالم الرأسمالي ، والولايات المتحدة خاصة . على سبيل المثال يقول هاركابي في وصف التيار الاسلامي : « يمتاز هذا التيار بميلــه الى وجهــة النظــر الارستقراطية فهو لا يتملق الشعب تحت ستار من الشعبية . ورواده يتذمرون من ان الغوغاء من الناس قد سيطروا على المجتمع العربي ومن ان الديماغوجية المتطرفة قد سادت وطغت . ويرى هؤلاء انه يجب منح الشعب قيادة جديدة ومثلا اخلاقيا يحتذى به » . (ص ٥٤) .

(٤) التيار الحاكم . يشير هاركابي بهذا الصدد الى النزعة الرسمية في التقليل من اهمية الانتصار الاسرائيلي وفي تفسير الهزيمة العربية على اساس عوامل طارئة وعرضية لا تمس جوهر انظمة الحكم نفسها والاسس الاجتماعية القائمة عليها . وليس في مناقشة هاركابي لهذا التيار اي جديد يضاف الى ما قاله النقاد العرب انفسهم (خاصة من اصحاب المدرسة الثورية) في تفنيد مزاعم هذا الاتجاه .

(٥) تيار فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية الذي ينسب اليه هاركابي القول بأن وجود اسرائيل هو سبب الضعف العربي كله وانه طالما بقيت اسرائيل

قائمة بان كل علاج للاصلاح الداخلي يقوم بـه العرب هو عبث في عبث (ص ٢٧) . واقتح ان هذا الاسلوب في عرض وجهة النظر الفلسطينية التي تمثلها فتح مغرق في التبسيطية والفجاجة . اذ انه صحيح ان اسرائيل هي سبب رئيسي (وليس السبب الوحيد) من اسباب الضعف العربي الا ان فتح لا تستنتج من ذلك بان كل محاولة لمعالجة الوضع العربي واصلاحه ، كي يصبح بمستوى التحدي الذي تطرحه اسرائيل ، هي عبث في عبث . يريد هاركابي عرض وجهة نظر فتح بشكل يوقعها في حلقة مفرغة لا مخرج منها : اسرائيل هي سبب الضعف العربي ، كل محاولة لاصلاح هذا الضعف بدون ازالة اسرائيل فاشلة لا محالة ، لكن مـن المستحيل ازالة اسرائيل والضعف العربي قائم على حاله ، فاذن اسرائيل باقية والضعف العـربي باق معها ، فلا حول ولا ... ولا لزوم لان نكرر بأنه لا فتح ولا غيرها يلتزم بمثل هذا المنطق في فكـره وعمله . وبطبيعة الحال لا يدخل هاركابي في مقتطفاته المختارة اية كتابات تمثل اتجاه فتح ومنظمة التحرير في الفكر السياسي العربي الراهن .

اما التيار السادس الذي تتكلم عنه مقدمة الناشر فلا يتعدى كونه محاولة لمخاطبة القارىء العربي في الارض المحتلة على اساس القول له ان التيارات الخمسة السائدة في العالم العربي ، كما عرضها هاركابي ، فاشلة ولا أمل يرجى منها ، فلا بد اذن من البحث عن تيار جديد يتخطاها باتجاه البحث عن امكانات التفاهم مع اسرائيل والتعاون معها على اسس جديدة مع التشديد على دور الفلسطينيين في احقاق هذا التقارب . ويذكر الكتاب اسمـاء شخصيات مثل محمد الجعبري وحمدي كنعـان وحمدي التاجي الفاروقي وعزيز شحادة وانور نسيبه ومحمد ابو شلباية واحمد برهم باعتبارها اخذت تتجه نحو تصور جديد للقضية الفلسطينية (أي التيار السادس) لانها لا ترى اي جدوى من مواصلة النزاع المسلح وتفضل الحل السلمي الذي يعترف بوجود اسرائيل وفي حقها بالبقاء بشكـل مستقل . عندما نذكر ان معظم هذه الاسماء في الضفة المحتلة برزت في مجال الدعوة للتفاهم مع اسرائيل على اساس قيام الدولة الفلسطينية يتبين لنا ان كتاب هاركابي ليس بعيدا في مراميه عن اعداد الجو لقيام هذه الدولة ان شعرت اسرائيل بأن الحاجة تدعو الى ذلك للخروج بالنزاع في المنطقة من مأزقه الحالي .

صادق جلال العظم

David Ben-Gurion, **Israel: A Personal History** (Funk and Wagnalls, New York, 1971).

ان هذا الكتاب مؤلف ضخم ، وذلك لاسباب كثيرة. فهو كبير وطويل جدا اذ يضم ٨٢٨ صفحة . وهناك شخصية المؤلف الذي هو احد المؤسسين الرئيسيين لدولة اسرائيل ، وبكل تأكيد الرجـل الذي بنى اسرائيل منذ قيامها اكثر من اي شخص آخر . وهناك حقيقة ان بن غوريون لا يكتب عن موضوع غريب كدراساته الفلسفية مثلا وانما هو يكتب عن العاطفة التي هيمنت على حياته والاحداث التي شارك فيها عادة كشخصية قيادية بارزة . وهناك أخيرا الموضوع البارز وهو الحركة الصهيونيـة الغريبة والسرية تقريبا التي برزت مـن غيتوات أوروبه الشرقية والتي مدت اطرافها وأمسكت بأرض فلسطين وفي الوقت ذاتـه امتصت ولاء الجماعات اليهودية وثروتها في العالم بأسره . انه موضوع ضخم ، وربما كان اعظم قصة جريمة كتبت اطلاقا . انها قصة صحيحة برمتها . وفوق هذا وعلى الرغم منه فليس الكتاب عملا ضخما ، بل هو ابعد ما يكون عن ذلك .

وليس من السهل قراءة الكتاب بأكمله ولا شك ان قلائل من الناس يقرأونه فعلا من أوله الى آخره ، وكاتب هذه المراجعة ليس مـن هؤلاء القلائل . وهناك عدة اسباب لصعوبة قـراءة الكتاب . إلا ان قراءته ضرورية لاي شخص مهتم حقا وجديا بالقضية الفلسطينية ، وعلى الاقل تقرأ الصفحات الاربعمئة الاولى بانتباه ، وتصفح البقية . ان ترتيب الحقائق عند بن غوريون ، ومعظمها جديد ، مهـم ، وكذلك وجهة نظره شكلا ومضمونا . ولكن الاهم مـن ذلك هو الصورة

الشاملة التي يعرضها عن التفاني التام والنهائي لقضية ما مدى الحياة ليس من جانبه فقط بل من جانب العشرات والمئات من الصهيونيين الاخرين ايضا . ان شرطه للنجاح في مهمة الاستيلاء على بلد وبناء دولة فيه بسيط جدا : ليس العمل عمل هواة جزئيا وانما هو تفرغ تام للعمل الدؤوب الذي لا يعرف الكلل ، واخضاع تام للعديد من الوسائل في سبيل هدف واحد بعيدا من المسائل الاخلاقية . وافضل عنوان كان يجب ان يطلق على هذا الكتاب هو : « أهمية الا تكون انسانا لطيفا ومهذبا » .

وهناك عدة اسباب تحول دون نجاح الكتاب في ان يكون عملا ضخما : في المقام الاول ، فان اسلوبه مربك ، فهو « كتاريخ شخصي » عبارة عن رواية شخصية ولكنها مكتوبة في صورة غير شخصية . وكونه كذلك لا يحقق لنفسه النجاح لا كرواية تاريخية ولا كسيرة ذاتية . ومما يثير الضجر والملل ان بن غوريون يشير الى نفسه باسم « رئيس الوزراء » . وحسب ما اذكر ليس هناك اي زعيم كتب سيرته الذاتية مستخدما ضمير الغائب لان ذلك يثير السخرية . وسبب آخر من اسباب فشل الكتاب انه طويل جدا ، فقد ضمنه بن غوريون نصوص الخطابات المهمة وغير المهمة التي القاها وكذلك كل مذكرة كتبها. ولان بن غوريون يجعل ، في شكل مختلط ، من دولة اسرائيل او بالاحرى من حكومتها موضوعا لكتابه بقدر ما يجعلها موضوعا لسيرة حياته فاننا نجد عشرات الصفحات المملة التي تبدو وكأنها صفحات من الكتاب السنوي للحكومة الاسرائيلية : فنحن لسنا بحاجة الى شخص مثل بن غوريون ليعطينا ارقام الهجرة للعام ١٩٥٨ او ليخبرنا عن عدد البيوت الجديدة التي بنيت في العام ١٩٥٦ . كما انه لم يكن منطقيا ان بن غوريون (الذي يصرح باحتقاره لتعدد الاحزاب السياسية في اسرائيل) يضيع صفحات كثيرة في وصف مناورات تلك الاحزاب التي لا تنتهي وبتفصيل دقيق .

الا أن هناك موضوعا واحدا يعالجه الكتاب ويبدو فيه شخصيا جدا ، ذلك ما يسمى « فضية لافون » التي وقف فيها بن غوريون الى جانب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ضد لافون وزير الدفاع آنذاك وليفي اشكول . وكتب بن غوريون مطولا عن هذه الحادثة ولكن بطريقة تكشف فقط ان بن غوريون السياسي العصري استطاع ان يتغلب على بن غوريون النبي الصغير ورجل الدولة الكبير .

ولا يرجع فشل الكتاب الى انه يحتوي على حقائق كثيرة جدا وانما الى كونه لا يضم الكتابة منها والى كونه يغفل حقائق كثيرة أخرى . ان الموضوع الذي يعالجه بن غوريون بأعظم تفصيل هو أحداث ١٩٤٧ و١٩٤٨ . ولكن ما هي القيمة التاريخية لرواية تقدم وصفا منفصلا للهجوم العربي على القافلة اليهودية المتجهة الى جبل سكوبس ولا تقول كلمة واحدة عن المجزرة التي ارتكبها الصهيونيون ضد سكان قرية دير ياسين العربية ؟ وما هي القيمة التاريخية لرواية يسردها احد المحركين الرئيسيين للعدوان على السويس في العام ١٩٥٦ عن ذلك العدوان دون ان تقول كلمة واحدة عن الترتيبات السرية التي قام بها بن غوريون في التواطؤ البريطاني — الفرنسي آنذاك ؟ وليست رواية بن غوريون حول هذا الموضوع غير تامة فحسب بل انها ساذجة الى حد اثارة الضحك . ففي حين يخصص ٥٣ صفحة للحديث عن فضيحة لافون يترك ٣٥ صفحة فقط للحديث عن مسألة السويس . ولا توجد ايضا كلمة واحدة عن محاولات بن غوريون المتكررة والفاشلة لدخول منظمة معاهدة شمالي الاطلسي أو لتحقيق تحالفات ثنائية مع بريطانيه ثم مع فرنسه وبعد ذلك مع الولايات المتحدة . ولا يقول كلمة واحدة كذلك عن محاولته الناجحة في احكام الصلات مع ايران والحبشة والتي أصبحت عاملا من أعظم العوامل اهمية في سياسة اسرائيل شرق الاوسطية .

وبما ان بن غوريون غير صادق الى حد كبير من حيث طمسه للحقيقة فانه لا يثير استغرابنا أن يكون غير صادق الى الحد ذاته من حيث طرحه أمورا بسيطة خاطئة . وهكذا فانه يكرر الكذبة الفاضحة بأن الفلسطينيين تركوا بيوتهم في ١٩٤٧ — ١٩٤٨ وفقا للاوامر التي صدرت اليهم من الهيئة العربية العليا . وهو يكرر حتى الكذبة الصارخة بأن اسرائيل انما قامت بهجوم مضاد فقط للدفاع عن نفسها في الخامس من حزيران ١٩٦٧ لان القاذفات والدبابات المصرية شوهدت وهي تتقدم لمهاجمة اسرائيل . وبسبب هذه الاخطاء التاريخية في الاثبات والالغاء يكاد كتاب بن غوريون يصبح مجرد واجهة دعائية مؤثرة جدا . ويجب ان يعلم بن غوريون قبل أي انسان آخر ان هذه هي حقيقة كتابه .

لماذا اذن يقوم شخص واقعي وعملي مثل بن غوريون بوضع مثل تلك التلفيقات التي حفل بها كتابه ؟ ربما يكون سبب ذلك ان بن غوريون يعتقد ان الكثير من الحقيقة قد قيل في سيرته « الرسمية » التي وضعها ميخائيل بار زوهار في كتاب « النبي المسلح » وانه يشعر ان الوقت قد حان لمزيد من الاطراء . وقد يكون من الطبيعي ايضا لبن غوريون « كوطني اسرائيلي » ان يحاول اعطاء انطباع جيد عن بلده قدر استطاعته وبكل ما لديه من سلطان . ان ذلك يشكل رغبة طبيعية لدى بن غوريون واسرائيل لا كوسيلة لغاية وانما كغاية في حد ذاتها . انه جزء من مبرر وجود اسرائيل التي لا ترى في الدعاية المناسبة أمرا ثانويا وانما ضرورة قومية .

ان ما ترتكز عليه الدولة اليهودية من ظلم ولا انسانية يمكن التغاضي عنه او اغفاله او تناسيه اذا امكن فقط تبيان ان اسرائيل هي دولة من نوع خاص جدا وان الاسرائيليين شعب خاص جدا لا يخطئون ابدا ويجب ان يغفر لهم اذا أخطأوا . وهناك طبعا الخرافة القديمة القائلة بأن اليهود هم شعب الله المختار ، الا أنها لا تجد كثيرا من الاذان الصاغية في عصرنا الحاضر والبعيد عن الايمان الديني . وعليه فان الاسرائيليين ليسوا مجرد شعب مختار وانما يجب اظهارهم ، لضرورات سياسية ، على أنهم نوع جديد من « الشعب المختار » . ولقد قيل ان اسرائيل لا يمكن ان تكون دولة مثل باقي الدول ، بل يجب ان تكون استثنائية لان لها رسالة خاصة تحققها وهي بمثابة النور للعالم وخاصة العالم الافرو ـ آسيوي . وكان بن غوريون دوما من دعاة هذه الفكرة الرئيسيين ، فقد قال في كانون الثاني ١٩٤٩ وبعد اسبوع من وقف القتال : « سنستطيع انجاز هذه الرسالة فقط اذا عبأنا الى ابعد حد الميزة الوحيدة التي نتمتع بها وهي فرادة الشعب اليهودي الادبية والفكرية » . ولاحظ استخدامه كلمة « الادبية » . وفي الجزء النهائي من الكتاب حول المستقبل وميراث الامة الفريدة يشير بن غوريون مرارا وتكرارا الى فكرة الفرادة والتفوق اليهوديين . فهو يتحدث عن « الميزة المتفوقة للامة العبرية » ويقول « ان مستقبل اسرائيل سيعتمد على الحفاظ على هذا التفوق وتعزيزه اكثر من اعتماده على اي شيء آخر » .

ويحاول بن غوريون في هذا الكتاب اقناع الاسرائيليين وغيرهم بهذا التفوق العنصري الفريد . ولذلك فانه من المستحيل ، لاسباب تتعلق بوجود الدولة والوجود القومي ، ان يعترف بن غوريون بأن اليهود الاسرائيليين اذنبوا بارتكابهم اعمالا وحشية مثل مجزرة دير ياسين وطرد الشعب الفلسطيني من ارضه . ويستحيل ان يعترف بأن اليهود الاسرائيليين يمكن ان يكونوا مخادعين وخائنين بحيث يلعبون دورا حقيرا في خدمة المعتدين البريطانيين والفرنسيين وفقا لمعاهدة سرية . ويستحيل ان يصف بن غوريون « اشتراكية » اسرائيل في الوقت الذي تتحالف فيه مع قوتين محليتين خاضعتين لحكم امبراطورين يرتكزان على القمع ومعرضين للتداعي والسقوط . ومن المستحيل ان يعترف بأن اسرائيل ربحت حرب حزيران ١٩٦٧ بسبب « هجوم تسللي جبان » . واذا اعترف بن غوريون بهذه الحقائق لما بقي هناك سبب للمجيء باسرائيل الى الوجود ما دامت دولة مثل سائر الدول بل هي اكثر وحشية وقسوة من غيرها . اما اذا اغفل الظلم الذي ترتكز عليه اسرائيل فانه يترتب على ذلك اظهار الاسرائيليين على انهم شعب خاص ، بلا خوف او شعور باللوم او الخزي ، واقناع الاسرائيليين انفسهم وغيرهم بذلك وتلك كانت هي الامور التي حذفها بن غوريون . ان القول بأن لاسرائيل عيوبها المعنوية لا يعتبر نقدا غير اخلاقي فقط بل خيانة عظمى بالنسبة لشخص مثل بن غوريون .

ان اكاذيب بن غوريون وغيره من رجال الدعاية الاسرائيليين والصهيونيين ليست مجرد اكاذيب دعائية تريد ان تضفي بريقا على الاشياء وانما هي اكاذيب اساسية تحمي صميم الوجود الصهيوني ذاته . ان تبيان الحقيقة قد يلحق العار بالدعائي العادي ولكنه يقضي على الصهيوني . ولهذا السبب يغالي الاسرائيليون والصهيونيون في التأكد من ان حقيقتهم لن تظهر ابدا . وهذا الخوف الصهيوني الفعلي من الحقيقة هو احد اقوى مصادر الامل في مستقبل هذا الجزء من العالم . لان الحقيقة سوف تظهر .

جودفري هـ. جانسن

شاهد من هذا العصر : يوميات شهيد قتل في مجزرة الاردن ـ ايلول ١٩٧٠

رسوم ضياء العزاوي (بغداد ، ١٩٧٢) .

من قلة قليلة من الفنانين التشكيليين العرب ، تشغل اعمال ضياء العزاوي مساحة كبيرة من الهواجس والهموم العربية الراهنة ، التي وهي تنتقل الى اصبغة والوان ، اي الى لغة التشكيل، تكتسب حضورها من ابتعادها بضع خطوات عن المباشرة واللازمات والهوامش والتفاصيل التي تغلف وتحيط بهذا الشكل او ذاك لوحة الحياة العربية . اي انه باقترابه منا ، لا تستهويه سهولة تقبل الاشياء كما تعلن عن نفسها ، انه يختبرها ، يمحصها ، ينتحها ، وأحيانا كثيرة يرفضها ، ليس لانه يستنكف معايشتها كأمور واقعية ، بل لانه يدرك عن تمرس ، طابع الوهم والادعاء ، احيانا التشكل الطارىء للاشياء في اللحظات الراهنة ، وهو هنا يبتعد عن الخفة والاستسهال والتملق ، ويتسلح بحس تجريبي تجعل معالجاته تقترب من الجوهري ومن العام في الحياة العربية المعاصرة ، هموما ووجودا ، نافيا ولافظا الاجزاء الميتة منها ، غير حافل بما تتسربل به اشياؤنا المعاصرة من ادعاءات او نيات او اشكال لم يثبت له صحة تحقيقها . لذلك تبدو اعمال ضياء العزاوي مثيرة لنوع من الشعور والحدس المباشر بأنه يمتد في الماضي اكثر مما هو يرى في الحاضر ، وبتعبير آخر انه يدرس اكثر مما يحس ويعاني ويعايش . ان هذا الشعور ازاء اعمال ضياء لا يخلو من مبرر موضوعي . انه فعلا ولاسباب جد محقة ، يفعل ما يوحي بهذا الشعور عن تصميم واع . ان الانسان العربي الراهن ، ليس هو كليا الذي يقدمه لنا المجتمع المشهدي القائم ، اي مجتمع السوق والبضاعة وتقسيم العمل ، ففي داخل الانسان العربي الراهن يمتد التاريخ اكثر مما يبدو لنا فعل الحاضر ، وهو اذن حصيلة ذلك الامتداد في الماضي وهذا الولوج في الحاضر ، ومن ثم تتشكل حقيقة الانسان العربي بمقدار التفاعل الجارية فعلا بين ما هو تاريخي وراهن ، وهي الحقيقة التي لا تقدمها النظرة الساكنة في لوحة الحياة العربية ، والتي يبدو فيها الانسان العربي فاقدا لذاكرته . وواقع الامر ان ضياء العزاوي يحقق معالجاته التشكيلية ، عبر هذه النظرة الصارمة للواقع . وكثيرون هم الذين توقفوا في تعاملهم مع انتاج ضياء عند المعالجة التشكيلية فحسب ، التي تمتاز بجمالية خاصة . وكثيرون هم النقاد الذين تحت وطأة ثقافة وتقاليد فنية سائدة مارسوا مواقف انبهار امام صنعة ضياء وتقنيته . واعتقد انهم — اي جمهور صالونات العرض والنقاد — ظلوا أسرى الفهم الدارج للوحة الفنية ، كبضاعة وكحلية . مضافا الى ذلك ان ابجدية ضياء العزاوي الفنية تنتمي الى اصول الارث الشرقي العريض الكامن في المنطقة . لذلك يفهمون لوحاته كصدى معاصر لهذا الارث .

ما من شك ان جزالة لوحات ضياء العزاوي اللونية والشكلية تتضمن قدرة لا يستهان بها على اغواء المتفرج . وبالنسبة لي شخصيا استهوتني لغة ضياء العزاوي الى حد كبير ، وأجد من الصعب علي أن أفصل اعجابي التقني بانتاجه عن ذكريات الطفولة مع كل رموز الشرق التي مثلتها عندي قطعة سجاد قديمة .

ان الكتاب الذي نحن بصدده ، والذي يتضمن رواية ضياء العزاوي لمذكرات تركها مقاتل اثناء احداث ايلول ١٩٧٠ في عمان ، نموذج لحركته في الحياة والثقافة العربية المعاصرة ، وكشف لرؤيته فيها . فقد تضمن الكتاب نحو ٧٠ تخطيطا يرافق السرد النثري لاحداث القتال في احد جبال عمان « الحسين » من زاوية رؤية مقاتل وشاهد على ما حدث في أيلول . بيد ان هذه الرسوم ليست مجرد Illustrations لهذه المذكرات . وليست مجرد سرد تقليدي يواكب السرد النثري ويقف على هامشها . انها رواية جديدة بريشة ضياء العزاوي تغني اليوميات التي تركها المقاتل وتقف الى جانبها. والواقع ان المذكرات التي تركها المقاتل تتضمن عناصر الاثارة الحسية ، رغم عيوبها وركاكاتها الانشائية ، فهي قد خضعت الى شيء من الفبركة لاغراض صحفية أفقدتها شيئامن عفويتها وطزاجتها كانطباعات مباشرة على الاحداث .

وعلى النحو الذي يسلكه السرد النثري تتتابع تخطيطات ضياء ، مقدمة تكوينات منوعة لمقاتلين في حالة انتباه ، واستعداد لحدث مرتقب . ان هذه التكوينات تتضمن اوضاعا منتخبة لمقاتلين متأبطين أسلحتهم الفردية ، أو هم يشرعونها ، ويمتزج التخطيط بالكتابة اللغوية ، المشتقة من مادة

اليوميات ، التي تعطي التكوين العام للوحة جمالية الحرف العربي بالاضافة الى الدلالة اللغوية للكلمات المقتبسة .

ومع انتقال اليوميات الى الصدام بين الجيش والسلطة من جهة والمقاومة والجماهير من جهة اخرى ، تنقل رسوم ضياء لحظات الكمون للمدرعات ، ضحايا القصف الرجعي ، الاشتباك مع الاليات وقصفها بأسلحة الار. بي. جي.

وتتتالى صور يتعايش داخلها الموت والجثث الممزقة مع قامات المقاتلين المديدة وصمودهم . ان الجثث الممددة ، واطراف الاليات ، والازهار ، وكتابات مثل « وكنت أسمع انينا في كل مكان حين طلب مني ان اعود الى .. » و« فجاة يفقد الموت معناه وينتاب المرء شعور بأن الناس انما يرتاحون على قارعة الطريق .. » تصبغ رسوم ضياء بسواد المأساة . وتتكرر في كثير منها ثنائيات الموت والصمود : الجثث المتراكمة والمقاتل المنتصب بيقظة . مع تصاعد القتال ، وازدياد الاوضاع سوءا ، فان صور الاطراف المبتورة ، الاجساد الممزقة ، القصف العشوائي ، والضحايا من المدنيين والاطفال تقطع تواصلها لحظات البطولة والصمود من المقاتلين حتى نهاية اليوميات .

والواقع انه من الصعوبة بمكان ان نعطي هذا الكشف التصويري لليوميات حقه ، اذ يحول دون ذلك محدودية التعبير النثري عن احتواء التعبير التشكيلي ، وهي الصعوبة التي يعاني منها النقد عموما . وأكتفي بأن اشير الى ان ضياء العزاوي قدم عبر الكتاب صورة عن تجاربه وتنقيحاته الاسلوبية ، التي نعهدها فيه . فكثافة انتاجه وتنوعه ، تعكس سعيه الدائب للتجربة والتنقيح ، وهو هنا يختار موضوعا قريبا من اهتماماته ، فالانسان في إنتاج العزاوي له مركز الاستقطاب ، ومأساة كتلك التي عرفها الشعب في الاردن في ايلول ١٩٧٠ تعطيه فرصة تفجير الدفق الدافىء والحزين الذي يكتسي تصويره . ان الموت ، كما الحب ، عند العزاوي موضوع حميم يقربه من البؤس العام الذي يظلل الانسان في المنطقة . وهو حتى في اكثر لوحاته اشراقا ينطوي عن هاجس خوف وعن حدس مطبوع بنذر غامضة تدفعه الى جعل اجساده مؤتلفة ومتعانقة او مشدودة الى بعضها البعض بنوع من التقية والعزاء ازاء العالم الراهن . من هنا اجد في رسوم الكتاب اكثر التصميمات التي تداولت المقاومة والفدائي جمالا ، وابعدها عن الافتعال وعن الكليشيه . واكثرها حبا للانسان المقاتل . ان جماليتها ، ليست تحصيلا لتقنية متمكنة ، فقط ، انها ترجيع وتجل شعري لمشاعر حب الجماهير تشف عن بنية نضالية ، اكتسبت صياغتها وابجديتها من موقف متقدم ومن احساس بمادة القضية التي يعالجها ، لذلك فان رسوم العزاوي تنطوي على اضافات شكلية وعلى جمالية خاصة مستمدة ، بدون مباشرة فجة ، من هيئة المقاتل ، كوفيته ، ملابسه ، سلاحه . فيما وجهه يختصر — كما هو متوقع — في عينين فحسب .

ولا ارغب — اخيرا — في ان يفوتني التنويه بالنص الانجليزي لليوميات النثرية الذي كتبه جبرا ابراهيم جبرا ، الذي تمتع برقة وسلاسة اضفت على اليوميات ، متانة مباشرة وتماسكا عفويا . وان الاخراج الطباعي ، وبعض التضمينات النثرية ، كمقاطع من اغاني المقاومة ومقتطفات من التقارير الصحفية عن مجزرة عمان ، منحت الكتاب مزايا اخرى تستحق التسجيل .

هاني حوراني

تيسير النابلسي ، حركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ ، (مركز الابحاث في م. ت. ف. ، بيروت ، ١٩٧٢) .

يتوقع المرء ، بعد القاء نظرة على عنوان كتاب السيد تيسير النابلسي ، احد امرين : الاطلاع على دراسة احصائية منظمة لاعداد اليهود المهاجرين الى اسرائيل واعداد النازحين (الهجرة المعاكسة)، او دراسة تحليلية لاوضاع الهجرة والهجرة المضادة من والى اسرائيل ، واسبابهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ولكن جاء بحث السيد النابلسي لا علاقة له بالدراسة الاحصائية ، او بالدراسة التحليلية العلمية التي كنا نتوخاها من الكتاب . فالنابلسي يقول في مقدمة بحثه « ان اهمية المواجهة في ميدان الهجرة كانت الحافز لهذا الكتاب ليسهم في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية وقضاياها في المرحلة الراهنة » . فهل اسهم المؤلف ، حقا ، في بحث الجوانب المختلفة للهجرة اليهودية ، وهل بحث في قضايا مرحلتها الراهنة ؟

عند الحديث عن حركة الهجرة الى اسرائيل بعد عدوان ١٩٦٧ يبدأ المؤلف بالقاء نظرة عامة على حركة الهجرة ، ويعرض ارقام المهاجرين الى اسرائيل منذ عام ١٩٦٧ الى عام ١٩٧٠ ، ويعرض لنا ايضا الارقام التي تنشرها الجهات الاسرائيلية الرسمية بالاضافة الى تصريحات الرسميين المتعلقة بهذه الهجرة . وينتقل المؤلف بعد هذا التمهيد ليعرض الارقام نفسها بصورة تفصيلية ، موزعة في جداول مختلفة ، وذلك حسب البلاد التي قدم منها المهاجرون وحسب المهنة والجنس والعمر .

ومن قراءة الفقرات المخصصة في كتابه لمعالجة دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية ومن دول اوروبا الغربية الاخرى ، ولمعالجة « عوامل ضعف الهجرة من الولايات المتحدة الاميركية وكندا وعودة المهاجرين ثانية الى الولايات المتحدة » ، يفهم من هذه القراءة انه لا خطر من هجرة يهود الولايات المتحدة الى اسرائيل ، وان دور هذه الهجرة في تقوية بناء الدولة الاسرائيلية ودعمه ضعيف ومحدود . فالمؤلف يقول — بعد اخفاق الحركة الصهيونية في احاطة اليهود في الولايات المتحدة الاميركية بجو نفسي للمدى الذي يدفعهم للهجرة — يقول ان دوافع الهجرة من الولايات المتحدة الى فلسطين المحتلة « تبقى محدودة ببعض البواعث الدينية والسياسية والعسكرية » ويعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من ابرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة ... حيث يضمن هؤلاء المهاجرون لانفسهم ولاولادهم ان يظلوا يهودا مخلصين » . ما دامت نسبة المهاجرين الى عدد اليهود في الولايات المتحدة الاميركية « تعتبر اقل نسبة هجرة من اي قطر اخر ، اذ انها تقل عن (٠٫٠٣ ٪) من يهود الولايات المتحدة » فليس هناك ما يدعو الى القلق والخوف . ويلفت المؤلف الانتباه الى ارتفاع نسبة الهجرة من الدول الاخرى ، مثل اميركا الجنوبية والاتحاد السوفياتي ودول اوروبا الغربية والدول العربية ، وبعض الدول المتخلفة الاخرى من شمال افريقيا . وتبدو اهتمامات المؤلف محصورة في دراسة الهجرة كميا ، وليس في دراستها نوعيا . فعلى الرغم من ذكر الكاتب لكفاءات المهاجرين الدائمين او المؤقتين من الاميركيين ، فهو لا يحلل ابعاد الدور الذي تقوم به هذه الكفاءات المهاجرة في بناء الهيكل الاقتصادي والعسكري لدولة اسرائيل . فهو يذكر ان (١٢٥) اسرة اميركية هاجرت الى اسرائيل بعد عام ١٩٦٧، « وان ٢٦ من افراد هذه الاسر متخصص في شؤون الطيران الحربي ، و ٢٦ منهم من الطيارين العسكريين السابقين ، و ١٨ من مهندسي الرادار» بالاضافة الى عدد لا بأس به من خبراء عمليات التشويش على الرادار . ويذكر المؤلف ايضا ان « من بين مئات المهاجرين من الولايات المتحدة عددا من الفنيين والمهندسين الذين هاجروا بسبب تخفيض برنامج الفضاء الاميركي » ، و « ان المشروع الذري والصناعات الهندسية والالكترونية بجانب مطار اللد قد طعمت بكثير من الخبرات الاميركية » . على الرغم من كل ذلك يعتبر المؤلف ان الدافع الديني « من ابرز دوافع الهجرة الحالية من الولايات المتحدة » الى اسرائيل .

تحت عنوان « الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي » يذكر المؤلف ان هجرة يهود الاتحاد السوفياتي قبل عدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، كانت « تتم بشكل محدود جدا وفي نطاق برنامج جمع شمل العائلات بالنسبة للمتقدمين بالسن ... » . ويذكر المؤلف ايضا ما تردده الصحف الاسرائيلية احيانا من اخبار « مفادها ان الاتحاد

السوفياتي سيسمح بهجرة يهود روسية الى اسرائيل بعد انسحاب اسرائيل الى حدود الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧ » . يمكن القول ان كلمات المؤلف هذه هي كل ما خصصه للحديث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، وان القسم المتبقي من معالجته لموضوع هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي اتى على شكل (ريبورتاج) صحفي ، جمع فيه المؤلف ما تنشره الصحف اليومية من تصريحات وتعليقات للمسؤولين ، وجاءت معالجته لهجرة يهود الاتحاد السوفياتي سردا لحملات الصحف الاسرائيلية على الاتحاد السوفياتي ولردود الاتحاد السوفياتي على هذه الحملات . والمؤلف ، بذلك ، لم يتحدث عن هجرة اليهود من الاتحاد السوفياتي ، ولا كيف تتم ؟ وتحت اية ظروف ؟ وما هي الدوافع والاسباب ؟ وما هو مستقبل الهجرة ؟ وما علاقة هذا المستقبل مع التسوية السياسية لازمة الشرق الاوسط نظرا للدور الكبير الذي يقوم به الاتحاد السوفياتي فيها ؟

يفرد المؤلف من كتابه فصلا كاملا لمعالجة حركة الهجرة المعاكسة (النزوح) ودوافعها . وجاء هذا الفصل ، كغيره من الفصول ، ناقصا ومشوها . فعلى الرغم من ذكر المؤلف لاعداد النازحين من اليهود بعد عام ١٩٦٧ ، فهو يصر على تخصيص عدة صفحات من هذا الفصل للحديث عن حركة النزوح خلال الفترة من ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ ، بينما موضوع بحثه هو حركة الهجرة اليهودية بعد عام ١٩٦٧ . ونعني هنا انه من الافضل لو تحدث عن حركة النزوح قبل عام ١٩٦٧ بشيء من الايجاز والتلميح . ويوجز المؤلف في نهاية الفصل اسباب الهجرة المعاكسة باسباب ثلاثة : « اسباب امنية : الخطر من نشوب قتال وعدم استقرار الدولة الاسرائيلية ، اسباب اقتصادية : ابرزها توفر فرص اقتصادية افضل في الخارج ، اسباب اجتماعية : تتعلق بفشل استيعاب المهاجرين واندماجهم في المجتمع الجديد اسكانا ولغة وثقافة » . مما لا شك فيه ان هذه الاسباب جوهرية واساسية ، الا ان المؤلف وقع في مغالطات عديدة في اثناء بحثه لهذه الاسباب بالتفصيل . اذ بعد ان وضح للشعوب العربية فشل الاعلام العربي قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ — وهذا لا يعني انه ناجح في يومنا هذا — نجد من يقر ويعترف « بايجابيات الاعلام العربي » . فيقول المؤلف بهذا الخصوص ان من « ايجابيات الاعلام العربي الموجه ضد العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ، رغم سلبياته العديدة ، انه ركز الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية والسكان واثار فيهم اشد القلق ، وكان هذا دافعا لمزيد من الهجرة المعاكسة » . فاذا ركزت « ايجابيات الاعلام العربي » الشعور بالخطر على مصير الدولة الصهيونية فسلبيات هذا الاعلام ركزت الشعور بالخطر على مصير الدول العربية منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . واذا كان من نتائج « ايجابيات الاعلام العربي » انها اثارت القلق في نفوس السكان اليهود مما دفعهم الى المزيد من الهجرة المعاكسة ، فحرب حزيران ونتائجها زادت من معدلات الهجرة الى اسرائيل وخفضت معدلات الهجرة المعاكسة . ولنر معا اقتراح السيد المؤلف بالجهاز الاعلامي المطلوب ، فهو يرى « ان قيمة اي عمل اعلامي » بخصوص التأثير في حركة الهجرة اليهودية من فلسطين الى الخارج « تعتمد اولا على استمرار الكفاح المسلح ضد الوجود الصهيوني الغاصب على ارض فلسطين » . ولكن ، هل غاب من ذهن المؤلف ان يذكر دور الاعلام المهم في خلق الكفاح المسلح وزرعه في ارض فلسطين ؟ لعل في نظرة خاطفة على النتائج التي حققها الاعلام العربي بشأن المقاومة المسلحة في غزة اجابة على هذا السؤال . وعلى الرغم من حديث المؤلف عن « توفر فرص اقتصادية افضل » خارج اسرائيل ، فهو لا يخبرنا بالفرص الاقتصادية الاسوأ داخل اسرائيل .

القسم الثاني من بحث المؤلف النابلسي يتعلق بقضايا الهجرة ، يتحدث فيه عن قضايا استيعاب المهاجرين وتنظيم الوزارات والدوائر التي تشرف على الاستيعاب ، وعرض المشاكل الرئيسية التي تواجه عملية استيعاب المهاجرين الجدد وانجازات دوائر الاستيعاب ونفقاتها ، الى ان يخلص المؤلف الى الحديث عن « الاساليب المختلفة لاستجلاب المهاجرين » . وجاء معظم حديثه في هذا الفصل لا علاقة له بالبحث موضوع الكتاب . فالمؤلف يتحدث في معظم كتابه عن الاساليب المختلفة لترغيب وترهيب يهود العالم للهجرة الى اسرائيل منذ نشأتها . وهذا ليس له علاقة « بحركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ » وهو عنوان الكتاب. وعلى الرغم من تكرار المؤلف للمواد والمعلومات في اكثر من موضع في كتابه ، فهو لا يشرح لنا اسباب اسكان المهاجرين في مناطق مختلفة ودوافع هذا

الاسكان » ، فهو يذكر مثلا استيطان « ٦٦٪ من المهاجرين الجدد في المنطقة الساحلية واستوطن الباقون مناطق التنمية وفي مدينة القدس ، وتم توزيع الـ ٣٤٪ الباقية في مناطق اخرى » ، الا انه لا يذكر لنا اسباب هذا التوزيع ودوافعه الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

يختتم المؤلف بحثه بتحليل العوامل التي تساعد على الهجرة لاسرائيل ، ويربط تصاعد ، او هبوط ، الخط البياني للهجرة « باستمرار حالة الحرب او قيام حالة هدوء في هذه المنطقة » . هذا صحيح الى حد بعيد ، الا ان يستبعد المؤلف « الدافع الاقتصادي » للهجرة الى اسرائيل فهذا ما لا نوافق عليه . فهو يعتقد ان اغلبية اليهود الساحقة تعيش مستوى معيشيا عاليا ، « ولهذا فمن المستبعد ان يكون للعامل الاقتصادي اي تأثير في تحريك هجرة واسعة » الى اسرائيل . بينما ، في رأينا ، ان الاضطهاد الذي تعاني منه الطبقة العمالية — ومنها العمال اليهود — في البلدان الرأسمالية ، تلتقطه الايديولوجية الصهيونية في البلدان الرأسمالية لتحوله في اذهان العمال اليهود الى اضطهاد عنصري موجه ضدهم بالذات . وتطرح الصهيونية امام هؤلاء بأن الحل الوحيد يكمن بالخلاص النهائي من الاضطهاد والتوجه الى اسرائيل حيث يستعيد اليهودي مكانته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على ارضه . هذا ويمكن ان نضيف ان البطالة المنتشرة في الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية بنسب متفاوتة بالاضافة الى ارتفاع مستوى الاسعار ومستوى المعيشة في هذه البلدان ، يمتد تأثير ذلك حتى يمس الحالة المعيشية ليهود البلاد الرأسمالية ، مما يقوي حافز الهجرة عندهم . ويمكن ان نضيف ايضا ان الحروب العسكرية الاقتصادية غير المجدية التي تقودها الولايات المتحدة الاميركية في فيتنام ، تدفع يهود الولايات المتحدة الى الهرب من الجندية في الجيش الاميركي الى كندا ومن ثم اللجوء الى اسرائيل خلاصا من ويلات الحرب الفيتنامية . هذا عن العامل الاقتصادي في دفع هجرة اليهود الى اسرائيل من الدول الرأسمالية (الغنية) . ولم يتحدث المؤلف عن دور العامل الاقتصادي وراء الهجرة اليهودية من البلدان المتخلفة ، اذ لا يمكن تغافل ذلك على الاطلاق . فالاضطرابات السياسية والعسكرية في البلدان المتخلفة تؤدي الى احد امرين : اما الى قمع الجماهير واستغلال قوى العمل وفوضى الانتاج وعدم الاستقرار المعيشي والحياتي والتخلف الثقافي والفكري والفقر الصحي والايديولوجي والمالي للسكان ، مما يدفع اليهود من سكان هذه البلاد الى البحث عن الاستقرار والتخلص من كل ذلك بالهرب خارج البلاد وبالهجرة الى اسرائيل بتشجيع من الانظمة الحاكمة في تلك البلاد ، او تؤدي الى انتصار القوى الوطنية في البلاد المتخلفة ، اذ تبدأ الصهيونية باستغلال حالة التخلف الثقافي والسياسي لنسبة كبيرة من السكان اليهود في تلك البلاد ، فتصور لهم انتصار الحركات الوطنية والاشتراكية على انه مؤشر لمزيد من الفوضى ، فتعمل على دفعهم للهجرة بسرعة كبيرة .

ولا يرى المؤلف في الدافع الديني اي اثر على حركة الهجرة ، « وحتى الانتماء للفكرة والعقيدة الصهيونية .. لم يستطع ان يحرك هجرة اليهود على نطاق واسع » . بل ان الذي يحرك هجرة واسعة في رأي المؤلف ، « هو عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد والشعور بالعداء والاحتقار » . ليس المهم ان نعرف اذا كانت الهجرة تتم على نطاق واسع او ضيق ، فالاهم ان نحلل الهجرة الحاصلة نوعيا وليس كميا . وبما ان المؤلف لا يرى الا « عامل الضغط والاكراه والخوف من الاضطهاد .. » وراء حركة هجرة اليهود الى اسرائيل ، فهذا ليس كل الحقيقة . فهناك عوامل عديدة اخرى تساعد على الهجرة الى اسرائيل : اولها ، الدعم الصهيوني العالمي الذي تقدمه الصهيونية الى اسرائيل عبر مؤسساتها الاقتصادية القائمة في العالم ، وعبر نفوذها السياسي العالمي ، وعبر ما تملكه من اسهم ضخمة في وسائل الاعلام التجارية العالمية (صحف ، وكالات ، اذاعات محلية) ، اذ تعمل الصهيونية على تصوير اسرائيل في ذهن اليهودي على انها الدولة النموذجية الوحيدة . ثانيها ، الانتصارات العسكرية الاسرائيلية ، حيث ان نشوة الانتصار في اعقاب كل حرب تدفع بالعديد من اليهود للهجرة الى اسرائيل لتأكدهم اليقين من القوة والقدرة العسكرية الاسرائيلية . فاعداد المهاجرين في الاعوام التي تلت حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ زادت بنسب ملحوظة وبلغت عام ١٩٧٠ ما يزيد عن نسبة عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ معا . وثالثها ، دعم الدول الرأسمالية لاسرائيل ، حيث تعتبر اسرائيل موطنا اقتصاديا خصبا للاحتكارات والشركات الرأسمالية العالمية ،

وتمثل الاستثمارات الراسمالية الاجنبية جزءا مهما من القطاع الخاص الصناعي الاسرائيلي . فالرهان على استمرار الدعم الراسمالي والاطمئنان الى القوة التي تمثلها الدول الراسمالية يشجع يهود العالم على الهجرة والسكن في اسرائيل .

دراسة المؤلف جاءت بعيدة كل البعد عن النظرة التحليلية لواقع الهجرة اليهودية ، كما انها ليست دراسة احصائية منظمة لحركة الهجرة اليهودية بعد عدوان ١٩٦٧ . ان الدراسة ليست اكثر من جمع لتصريحات وبيانات اطلقها مسؤولون في اسرائيل ، ونشرتها الصحف والنشرات الاسرائيلية الرسمية حاول المؤلف ربطها ببعضها بعضا، فجاءت دراسته متناقضة في اكثر من موضع ، واكثر من مكان .

مصطفى كركوتي

عبد المنعم سعد ، **السينما والتواجد العربي في المؤتمرات الدولية** (القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للسينمائيين ، ١٩٧٢).

يحاول المؤلف في هذا البحث مناقشة اهمية الفيلم السينمائي واهمية الارشيف لسينما القضية الفلسطينية . كذلك ما يمكن ان يلعبه فيلم القضية في مجال مهرجانات السينما . انه لمن المفيد جدا تنبيه مؤسسات القطاع العام في عالمنا العربي الى تخصيص جانب من نتاجاتها السينمائية لقضية فلسطين . ولكن تقديم بحث وتعميمه يحتاج في ذات الوقت للتوغل في سبيل توضيح نوعية الافلام واساليبها ، بمعنى اي الافلام اكثر ملاءمة للتعامل مع الواقع ومنحه بعداً يحتوي وجهات نظر حركة المقاومة الفلسطينية .

في مقدمة الكراس الذي يقع في ٣٥ صفحة من القطع المتوسط (رونيو) يوضح المؤلف وبشكل تقريري ، الصراع المتصاعد بين الدول العربية واسرائيل ، وان هذا الصراع يستلزم تصدي الامة العربية للاعلام الصهيوني عبر الفيلم السينمائي ، كذلك يعتقد المؤلف ان الشعب العربي هو في صراع ضد الامبريالية والصهيونية العالمية، دون أن يشير الى خطورة الرجعية العربية ودورها الخطير في تفتيت القوى الوطنية واضعاف دورها في المعركة ، لان نضال الشعب العربي هو نضال ازاء ثالوث الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . يقول المؤلف « .. وبصرف النظر عن اشتراك الدول العربية في بعض المهرجانات السينمائية الدولية بالافلام الروائية التي تجسد المستوى الحضاري والثقافي للامة العربية ، فان ما يهمنا في هذه المرحلة ، التركيز على انتاج الافلام التسجيلية والقصيرة ، التي تستطيع جميع الدول العربية بلا استثناء — حتى التي لا تنتج الافلام الروائية ، او التي لا يوجد بها صناعة سينما بالمفهوم الفني — ان تشترك بها في هذه المؤتمرات » . يبدو ان المؤلف واقع في اعتقاد سهولة الفيلم التسجيلي ، وانه لا يعدو كونه تسجيلا لما يدور في الواقع . الفيلم التسجيلي هو الفيلم الذي يتعامل مع الواقع لا الذي يصوره فحسب . وهو ايضا انتقاء وتأطير ضمن وجهة نظر علمية مدركة ضمن موضوع يخضع للتنامي ويوجد حالات من الانتباه ويدعو لاتخاذ موقف ازاءها ، موقف منحاز كليا . ان اي مؤسسة من مؤسسات القطاع العام لا يمكنها ان تقيم صناعة سينما روائية متقدمة دون ان يكون لها اساس تسجيلي متين ومتطور . يعود المؤلف فيقول في صفحة ٤ « ولا شك ان احسن وسيلة سريعة فعالة هو الاشتراك في هذه المهرجانات بالفيلم التسجيلي ، اذا ما تعذر وجود فيلم روائي يصلح او يساهم عرضه في خدمة اهداف القضية الفلسطينية » . في هذا يعتبر المؤلف ان الفيلم الروائي هو الاهم ، وفي حالة تعذره لا بأس من المساهمة بالفيلم التسجيلي ، في حين يدرك كل المعنيين بشؤون السينما في العالم اهمية الفيلم التسجيلي ليس في عكس واقع حركات التحرر فحسب بل في اضافة معنى جديد للواقع من خلال عملية الانتقاء والفرز والتعليق . ثم كيف تنتج سينما القطاع العام العربية افلاما تسجيلية عن القضية

الفلسطينية ، وبالسهولة التي اعتقدها المؤلف !؟ ان تقديم اعمال تسجيلية عن القضية الفلسطينية تتطلب مغادرة أروقة الاستوديوهـات ومعايشـة القضية في مواقعها والاندماج كليا فيها والا فـان الاشرطة ستأتي باهتة وعابرة .

بعد ان يستعرض لنا المؤلف مهرجانات السينمـا التي تعنى بالافلام التسجيلية يوضح وجهة نظره في اهمية الفيلم ضمن القضية الفلسطينية . لنقـرأ ما يقوله بالنص « قبل الحديث عن دور الفيلـم السينمائي في قضية فلسطين ، ينبغي الاشارة — في لمحة سريعة — الى ماهية الفيلم التسجيلي بمفهومه الفني .. وتطوره . بين الفيلم التسجيلي والفيلم الروائي اختلاف جوهري متشعـب النواحـي ، فالفيلم الروائي غايته اولا — وقبل كـل شيء — الربح المادي ، والعكس تماما مع الافلام التسجيلية والقصيرة فلم يكن الربح يوما اساس تلك الافلام . ومن ثم نجد ان الدول في جميع بقاع الارض هـي التي تقوم بانتاج مثل هذا النوع من الافلام » . لا ادري اي فهم لدور السينما عبر الفيلم الروائـي يدور في ذهن المؤلف واية قناعة دعت مؤسسـة السينمائيين في مصر لتعميم مثل هذا الرأي . اذا كان الهدف من انتاج الفيلم الروائي هو الربـح المادي فان ذلك يتعلق بانتاج مؤسسات القطـاع الخاص كونها مؤسسات تجارية ، اما مؤسسات القطاع العام فانها تنشأ بدوافع واهداف فكرية بحتة ، وان كل قرارات التأسيس في الاسبـاب الموجبة لتشريع قوانين مؤسسات القطاع العـام السينمائية تشير الى أهمية الفيلم السينمائي واستخدامه كوسيلة فكرية واعلامية ، اما اذا ما در هذا الفيلم او ذاك ايرادات جيدة لشباك التذاكر فانما بسبب قدرة الفيلم على التعبير عن تطلعـات اوسع الجماهير ومدى امكـانية كـادره الفني في تحقيق شريط متماسك الوحدات . فالتوجه الفكري في السينما هو الاساس وليس شباك التذاكـر ، لذلك فان اكداس الاشرطة من تلك التي استهدفت الشباك قد اخفقت في هدفها ، وما اندماج كثير من كبريات شركات الانتاج العالمية في بعضها البعض الا الدليل على هذا . لقد حاول الكثير انتاج افلام روائية عن القضية الفلسطينية لحساب القطـاع الخاص وفي فترة اندلاع الثورة المسلحة وتلاحـم الجماهير العربية مع الانطلاقة ، لكن كل ما انتج من افلام قد اخفق فيما استهدفه لانه لم يكن قد عبر عن القضية الفلسطينية بصدق ولان كل هذه الافلام قد شوهت شخصية الفدائي ضمن اجواء لا تمت الى واقع الشعب الفلسطيني وواقع حركة المقاومة بشيء .

يشير المؤلف في صفحة (٨) الى قادة حركة الفيلم التسجيلي ، ونسى ان يذكر الهولندي (يوريـس ايفانس) الذي جال العالم في تحقيق افلام تسجيلية اذ اخرج اول افلامه عام ١٩١١ عندما كان عمره ثلاثة عشر عاما فقط . والسوفياتي (دزيجا فيرتوف) مكون جماعة (سينما — عين) الذي اعلن في بيانه عن ضرورة هجرة الاستوديو والتوجه الى الحياة . كما اشار الى ان (كافالكانتي) هو فرنسي بينما هذا المخرج برازيلي ولد عام ١٨٩٧ ويعتبر من أهم السينمائيين المعاصرين في العالم . لكنه عمل فترة في فرنسا كمهندس ديكور ثم تحول الى مخرج عام ١٩٢٦ بفيلم (لا شيء سوى الساعـات) قصة (جي دي موباسـان) . كمـا اعتبر بودوفكـين وازنشتاين من التسجيليين بينمـا هما مخرجـان روائيان معروفان .

وفي محاولة من المؤلف لتحديد ابعاد النظرة للموقف العربي الاسرائيلي لجأ الى نشر النقاط العشر التي حددها عبد الناصر في مؤتمر البرلمانيـين الدولي المنعقد في القاهرة بين (٢ — ٥ شباط ١٩٧٠) ، وبعد ان ينشر هذه النقاط يعود الى القول « ان اسلوب الدعاية بالافـلام هو الذي يحدد مصـير الحروب » . لا يمكن ان يعتقد اي انسان ضمـن عالم التكنولوجيا والصراع القائم بين الشعـوب المكافحة والامبريالية ان مصـير الحروب يتحـدد باسلوب الدعاية بالافـلام والا لوجدنـا نسبـة الاعتمادات في ميزانيات كل الدول تزيد في مجـال السينما عن اعتمادات الوزارات العسكريـة ! السينما ليست اكثر من اداة تسهم في بث الوعي وفي عملية التنبيه وفي فضح العلاقات الزائفة وتأكيد حالة الصراع الطبقي وتصعيده لتسهم بدورها عبر هذا في عملية التغيير والتطور . ولكن اشارة المؤلف بخصوص التهيئة الاعلامية للصهيونية قبل حـرب يونيو (١٩٦٧) كـانت ذكيـة . يقول المؤلف في صفحة (١٧) « قبل معركـة يونيو ١٩٦٧ غزت اوروبا افلام عن اضطهاد النازية لهم ... مما ساعد على تكوين رأي عالمي يساندهم ويتعاطف معهم ... بل ان اسرائيل تنهج في سياستها الاعلامية عـن طريق السينمـا ، نهج المانيـا النازية وتسير في خطاها . فقبل ان يجتاح الالمان الترويج ، ابـان

الحرب العالمية الثانية ، بفترة قصيرة دعوا علية القوم في اوسلو الى عرض سينمائي خاص حيث شاهدوا الفيلم الالماني عن الحملة البولندية ، وعرضوا جزءا من هذا الفيلم في نهاية الفيلم الامريكي ، الاعداء الذين ننتظرهم ، وأوحى الفيلم بفكرة عن اثر الحرب على النرويجيين الآمنين المحبين للسلام . هذه هي الطريقة النازية في استغلال السينما في الحروب ، وهي الطريقة التي تتعامل بها اسرائيل اليوم » .

يحاول المؤلف ان يحدد عشر قضايا كمادة للفيلم التسجيلي عن القضية الفلسطينية : القضية الاولى (تطور القضية الفلسطينية) ويقترح فيها عرض الموضوع بدءا من مؤتمر بال ١٨٩٧ حتى ١٩٤٨ ، ويريد المؤلف تصوير الشعب الفلسطيني ونضاله المسلح من اجل تحرير الارض من الاستعمار الصهيوني المتحالف مع الامبريالية العالمية ولاقامة الدولة الديمقراطية . القضية الثانية ــ شرعية المقاومة الفلسطينية ــ فيلم يتناول شرعية الكفاح المسلح من خلال تعرية التآمر الذي حدث ضد الشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى قرار الامم المتحدة عام ١٩٤٧ لمعارضتها لحق الشعوب في تقرير المصير . القضية الثالثة ــ نظام الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية المحتلة منذ عدوان ١٩٦٧ ــ يتناول هذا الفيلم ما انتهجته اسرائيل من اجراءات ادارية ضمن الاراضي المحتلة في عدوان ١٩٦٧ ومخالفة ذلك للاتفاقات والقوانين الدولية وذلك باصدارها مثلا قانون الاحكام الادارية والمحاكم المدنية وانشاء المستعمرات لاستيطان رعاياها على حساب تشريد عشرات الالوف من المواطنين ونسف المنازل ضمن اجراءات ارهابية . القضية الرابعة ــ قرارات الامم المتحدة عن اللاجئين الفلسطينيين ــ فيلم يتناول قرار الجمعية العامة بالسماح للاجئين الراغبين في العودة الى منازلهم ، ورفضهم للعودة دون الاعتراف بحقهم الكامل ، وتوضيح موقف اسرائيل من قرارات هيئة الامم المتحدة . القضية الخامسة ــ آثار اغلاق القناة على اقتصاديات عدد كبير من الدول ــ فيلم يوضح اهمية القناة كشريان مائي للتجارة العالمية بين الشرق والغرب، خاصة البترول بين مصادر انتاجه واسواق استهلاكه ، وشرح اهمية هذه القناة منذ افتتاحها في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ حتى اغلاقها في ٥ يونيو ١٩٦٧ وتأثير ذلك على الصناعة في اوروبا الغربية والدول النامية في آسيا وافريقيا . القضية السادسة ــ حرب يونيو ، ودلالتها وتطوراتها ــ فيلم عن جوانب حرب يونيو ودوافعها وكونها ليست صراع حدود بين دولتين ، انما هناك اولويات مهيأة للعدوان وضحت في التوتر والاستفزاز في عام ١٩٦٦ على سوريا والاردن . القضية السابعة ــ اثر الاوضاع الناتجة عن حرب يونيو على السلام العالمي ــ فيلم يوضح الانتهاك الذي قامت به اسرائيل للقانون الدولي ولميثاق الامم المتحدة ولاتفاقيات الهدنة ، ومن خلال هذا الخرق يوضح الفيلم الموقف الحتمي والطبيعي للمقاومة، الامر الذي سيدفع الى مواقف لاطراف خارج الصراع المباشر مما يشكل تهديدا للسلام العالمي . القضية الثامنة ــ سياسة اسرائيل من وجهة نظر القانون الدولي والاعلان العالمي لحقوق الانسان ــ فيلم يعرض استيلاء اسرائيل على مساحات واسعة من اراضي العرب بأساليب العنف وطرد السكان العرب وراء خطوط الهدنة كما حدث في مذبحة كفرقاسم التي راح ضحيتها ٥١ عربيا بينهم ١٢ امرأة وعشرة اطفال . واستعراض السياسة التي انتهجتها اسرائيل ما بين ٤٨ ــ ١٩٦٧ في خرقها القانون الدولي ومبادىء حقوق الانسان . القضية التاسعة ــ العدوان تهديد للسلام العالمي ــ فيلم عن طبيعة عدوان ١٩٦٧ باعتباره حصيلة مؤامرة الامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية باعتبارها احدى فصائل حركة التحرر الوطني . وعلى اثر هذا العدوان وعقب الرفض الاسرائيلي لتنفيذ قرارات الامم المتحدة فان الوضع في الشرق الاوسط صار يهدد السلام العالمي من خلال الصراعات الدولية وموقفها من الاطراف المتصارعة . القضية العاشرة ــ سياسة اسرائيل في ضوء القانون الدولي ــ يتعرض هذا الفيلم الى انتهاكات الاسرائيليين للقوانين والعرف بجرائمهم واعتبارهم المقاومة لحركة غير شرعية خلافا للقوانين والمقررات الواردة في معاهدة لاهاي عام ١٨٩٩ ومعاهدة جنيف عام ١٩٤٩ في حق الشعوب باللجوء الى الكفاح المسلح ضد اي غزو .

هذا المنهاج السينمائي المطروح للعمل والذي يحتاج انتاجه دون شك الى دراسات ووثائق وارشيف سينمائي ، متناول من وجهة نظر رسمية يبغي المؤلف من ورائها مخاطبة الرأي العام العالمي من وجهة قانونية لادانة اسرائيل وادانة الامبريالية

بقيادة الولايات المتحدة . والمنهاج المقترح على العموم لا بأس به اذا مـــا نفذتـــه مؤسسات القطاع العام السينمائية العربية لانه كمـــا ارى اعلى طموح يمكن ان تلتزم بها انطلاقا من طبيعـــة بنيتها الطبقية . اما السينمائي الثوري الذي يعيش ازمة الصراع داخل وطنه ويدرك أبعاد القضيـــة الفلسطينية ضمن الواقع الطبقي في المنطقة فـــان رؤيته السينمائية تأخذ ابعادا واضحة لا تحدهـــا مواثيق جنيف وقرارات الامم المتحدة المرمية خارجا ضمن ما هو حاصل في المنطقة . ان ثمة اشرطـــة بموضوعات كثيرة يجب تحقيقها عن علاقة حـــركة المقاومة الفلسطينية ، باعتبارها حركة مسلحة ، بالواقع السياسي العربي وكذلك بالجماهير العربية واساليب نضالها والتحامها بحركة المقاومة ، كذلك الشخصية الفلسطينية التي تناثرت في اقطار عـــدة وتكاد تفقد ملامحها وعاداتها وتقاليدها وتراثهـــا ولغتها . فالفلسطيني الذي يعيش في العراق صار يكتسب بمرور الوقت ملامح الشخصية العراقية ، وفي سوريا ملامح الشخصية السورية ، وهكذا ، وفي هذا عملية اغتيال انسانية بشعة . هنا تأتي اهمية الفيلـــم السينمائي في تسجيـــل خصائـــص الشخصية الفلسطينية ، وعرض مثل هذه الافلام يعني تأكيد هذه الخصائص عند المشاهدالفلسطيني. ان سعة القضية الفلسطينية وجزئياتهـــا تتطلب تجنيد امكانات السينمائيين الشباب واتاحة الفرصة لهم لتحقيق الاشرطة وتعميمها . ولكن الواقع يمكن في بعض الحالات ان يتجه (موضوعيا) بعكـــس التيار المتقدم فيبعثره ولو لفترة وحتى يتم التفاعل بينهما . المطلوب مثلاً من مؤسسات القطاع العام عمل دورات تدريبية في السينما للشباب الفلسطيني. هذه مسألة قد تبدو بسيطة وسهلة التحقيـــق ، ولكن ما هو حاصل ان مجال السينما ضمن المعركة يكاد يخلو من الشباب الفلسطينين . الارشيف السينمائي المركزي ، المفروض ان يكون قد تحقق منذ زمن لا سيما وان قرارات عدة قد اتخـــذت بهذا الشأن ، ولكن ما هو حاصل ان اي سينمائي شاب يحتاج الى وثيقة سينمائية فانه يتعذر عليـــه الحصول عليها الا عبر مكاتب الارشيف الاجنبية . وفي هذا الخصوص يشير مؤلف الكراس (او كاتب التقرير) الى ما جاء في توصيات لقاء السينمائيين والتلفزيونيين العرب المنعقد في مهرجان لايبزيغ في شهر نوفمبر ١٩٦٩ — العمل على ايجاد ارشيـــف سينمائي عربي مركزي يضم موادا من الوطن العربي ومن خارجه عن القضية الفلسطينية ويكون مفتوحا أمام السينمائيين والتلفزيونيين العرب —. ويواصل المؤلف اقتراحاته في تجميع الافـــلام المنتجـــة عن القضية والاحتفاظ بنسخ منها (٣٥ و ١٦ ملـــم) والاتصال بالهيئات والمؤسسات السينمائية الاجنبية التي صورت افلاما او لقطات عن القضية وشرائها بغية ايداعها في الارشيف . وينهي تقريره بضرورة تنسيق عرض الافلام الخاصة بالقضية الفلسطينية في مهرجانات السينما . وكما اوضحنا فان عـــدد المهرجانات يبلغ ٧٣ مهرجانا في العام اي بمعـــدل مهرجان واحد كل خمسة ايام . ومفيد ان نجد في نهاية الكـــراس اسماء المهرجانـــات وعناوينهـــا ومواعيد انعقادها . في الختام نقول انـــه رغـــم وقوع المؤلف باخطاء وارباكات فكرية الا ان جهـــده في كتابة التقرير يعتبر على الاقـــل عملية تنبيـــه لمؤسسات القطاع العام السينمائية في ادراك اهمية التوجه نحو القضية الفلسطينية عبر افلامها التي كانت مغرقة بفهـــم مثالي للواقـــع وعبر اشكـــال سينمائية مستهلكة وتقليدية .

قاسم حول

رسالتان

كانت « شؤون فلسطينية » قد نشرت في العدد الماضي ثلاثة آراء حول المؤتمر الاخير لاتحاد الكتاب والصحافيين الفلسطينيين .. وبينما كانت طباعة العدد الحالي على وشك الانتهاء ، وصلنا رأي آخر من الاخ عبد الرحمن غنيم . وعملا بحرية النشر ، وبضرورة عرض مختلف وجهات النظر الاساسية حول هذا الموضوع الهام ، ننشر هذا الرأي الجديد الذي يمثل ، كما بالنسبة للآراء السابقة ، وجهة نظر صاحبه . وتامل شؤون فلسطينية ان يتبلور الحوار الدائر حول اتحاد الكتاب الفلسطينيين في نتائج ايجابية مثمرة وان يتجاوز الحساسيات والعواطف الشخصية والتنظيمية . هذا وقد أبحنا لانفسنا اجراء بعض التعديلات على ما كتبه الاخ عبد الرحمن غنيم بالنظر الى وصول المادة متاخرة جدا فنرجو العذر من الاخ غنيم .

شؤون فلسطينية

الرسالة الاولى

رأي آخر في المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين

تضمن العدد الماضي من « شؤون فلسطينية » ثلاثة آراء حول مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ساهم فيها الاساتذة : بلال الحسن وشفيق الحوت وناجي علوش . ولقد تباينت الآراء حول المؤتمر ، وطرحت وقائع ، بعضهـا صحيح ، وكثير منهـا — وخاصة مما ذكره ناجي علوش — لا يمت الى الحقيقة بصلة . مثلما طرح ناجي علوش آراء ، اقل ما يمكن ان توصف به هو أنها محاولة لتبرير كل المخالفات التي يتحمل هو شخصيا الجزء الاكبر منها . وكانت أول مظاهر هذه المحاولات ، محاولة تفضيل « المؤتمر العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين » على المؤتمرين الاول والثاني للاتحاد العام لكتاب فلسطين ، كتبرير للدور الذي لعبته « اللجنة التحضيرية » دونما سند قانوني ، مستندا في هذا التفضيل الى أمرين : اولهما ، ضخامة مؤتمر الكتاب والصحفيين الذي عقد في بيروت مقارنا بمؤتمر اتحاد كتاب فلسطين في غزة والقاهرة . وثانيهما ، ان المؤتمر الذي عقد في بيروت ضم أدباء وصحافيين ، بينمـا ضمت المؤتمرات السابقـة — حسب زعمه — أدباء فقط !

ان التفوق العددي ، والذي نجـم عن اعطـاء العضوية في المؤتمر لمن يستحق ومن لا يستحق ، ومن التسهيلات المالية التي أعطيت لوفود بعض المنظمات في المؤتمر ، بالاضافة الى المبالغ الكبيرة التي وضعت تحت تصرف اللجنة التحضيرية ، لا يمكن أن يكون مبررا لاضفاء صفة الشرعية على مؤتمر دعت الى عقده ، وأشرفت على عقده لجنة غير شرعية ، يشكل تكوينها اعتداء على اتحاد قائم له نظامه الاساسي ومؤسساته . ويعرف السيد ناجي علوش انه يضم أكثر من مائة وعشرين كاتبا لا مجال للتشكيك بحقهم في عضويته ، وان مسؤولية ضمنه لا تقع على أمانته العامة وهيئاته الادارية ، وانما تقع على الجهة المسؤولة في المنظمة ، والتي حجبت كل عون عن الاتحاد ، ولم تمنحه امكانية عقد مؤتمر جديد ، بينما كان المرحوم خيري حماد ورفاقه في الامانة يناضلون من أجل تطوير الاتحاد ، وعقد مؤتمر جديد موسع له. ولقد كان ناجي علوش واحدا ممن أسهموا في اضعاف الاتحاد ، حين راح يبرر تلك المخصصات الهزيلة للغاية التي سمحت بها اللجنة التنفيذية لعقد مؤتمر ثالث للاتحاد ، فاحتجت الامانة العامة بأنها لا تغطي نفقات المؤتمر ، وطلبت زيادتها ، فلم تستجب اللجنـة التنفيذية

لطلبها ، اذ كان ناجي علوش في مقدمة الذين يطلبون من الامانة العامة ان تقبل بالمبلغ الرمزي لتغطية نفقات المؤتمر، وان تعقد المؤتمر في مخيم الوحدات، والا عد مؤتمرا بورجوازيا مترفعا على الجماهير .. وكنا نود لو انه ضرب المثل على صدق تلك الحملة الظالمة على المرحوم خيري حماد وصحبه ، بعقد مؤتمر الكتاب والصحفيين في أحد مخيمات اللاجئين في لبنان أو سوريه بدلا من عقده في بيروت ، ولكنه لم يفعل !

ثم ان ضعف الاتحاد السابق — اذا كان ضعفه ذاتيا حقا لا نتيجة مضايقته ومحاصرته — لا تتحمل مسؤوليته أمانته العامة ، وانما تتحمل مسؤوليته هيئاته الادارية ، والتي كان على رأسهـا ناجي علوش (في الاردن) ، وعبدالله الحوراني (في دمشق) ، وعابدين بسيســو (في الكويت) ، وهارون هاشم رشيد (في القاهرة) .

فليعترف هؤلاء بأسباب ضعف الاتحاد ، بدلا من ان يتحامل بعضهم على الامانة العامة بغية الدفاع عن الجهة التي شلت الاتحاد ، وحالت دون تطويره عامدة متعمدة ، حين فشلت في احتوائه بالطـرق الدستورية .

اما الحجة الثانية ، فمردود عليها ، اذ ان اتحاد الكتاب الفلسطينيين كان يضم في صفوفه الكتاب الصحفيين ، وكان نظامه الاساسي ينص على ذلك صراحة . ولكنه لم يكن يضم مدعي الكتابة ، او تقبل أمانته العامة لنفسها بأن تمنح العضوية لمن لا تنطبق عليه الشروط ، بينما كان البعض يتقدم بعشرات الطلبات التي تضم من يستحق ومــن لا يستحق ، فاذا اعترضت الامانة العامة على أحد هذه الطلبات ، عد اعتراضها جريمة ، لان عليها أن تقبل بها دون نقاش .. مثلما قبلت اللجنـة التحضيرية بعضوية من وردت أسماؤهم في برقيات من مكاتب المنظمة أو معتمدي بعض هذه الجهات دون أن تتوقف عند أي اسم من الاسماء . وكان من الطبيعي أن يكتشف الذين حضروا المؤتمر ، أنه كان مؤتمر كتاب وصحفيين وقراء ايضا .. الا ناجي علوش الذي يصر على أنهم كانوا كتابا وصحفيين ، وان الايام ستؤكد « أن عـدد الادباء والكتـاب والصحفيين الفلسطينيين اكبر مــن المشاركين في المؤتمر كثيرا » ، بعد أن مهد بالقول ان أحدا من الكتاب والصحفيين في ليبيـا وتونس والجزائـر والمغرب لم يأت الى المؤتمر ، وبعد أن استبعـد السعودية من عداد الاقطار التي جاء منها كتاب وصحفيون .. للدلالة على فكرته ، مع ان هذا التمهيد لم يكن صحيحا ، بدليل اننا نعرف انه جاء من ليبيا مثلا : ياسر محمود وعبد المجيد عامر ، وجاء من السعودية نواز عيد .. فحتى في مثل هذه المسألة يخفي ناجي علوش الحقائق !

ان شهادات الاثبات التي يتقدمها ناجي علوش يبدو انها جميعا غير صحيحة ، حتى تشكيلة اللجنـة التحضيرية كما قدمها ، وعقب عليها لم تخل طريقته في التحدث عنها من التزييف المقصود ، حين حرص على تعداد أسماء أعضائها ، وأضاف أنها « تمثل أجيالا مختلفة ، واتجاهات مختلفة » وتضم « عددا من كتابنا وصحفيينا الكبار » . فهذه الصفات تخفي حقيقة أن كتابنا وصحفيينا الكبار قد قاطعوها ، وان تمثيل الاتجاهات المختلفة لم يكن منسجما بحيث اعطيت احدى التنظيمات من البداية اغلبية مطلقة، لتصبح اللجنة تحت سيطرتها المطلقة ، وهي أمور عاد ناجي علوش ليفضحها ، من حيث هو يحاول الدفاع عن لجنته التحضيرية . فكم هو مثير اعترافه القائل « حين بدأت اللجنـة التحضيرية تجتمـع اكتشفنا ان نصابنا لا يزيد دائما عن النصف زائد واحد » .. فالنصف زائـد واحد ، نستطيـع استخلاص أسماء ثمانيـة منهم كانوا يجتمعـون باستمـرار ، ويضاف اليهـم واحـد او اثنـان مــن الاخرين ، الذيـن حضـروا اجتماعـا او اثنين ثم انفضوا عن اللجنة ، بينما قاطع ثلاثة آخرون اللجنة مقاطعة تامة . فما هي انتماءات المجتمعين والتزاماتهم؟ ولماذا قاطع الاخرون اللجنة، او حضروا اجتماعا أو اثنين ، وذهبوا ؟! ألم يكن ذلك بعد ان أكتشفوا اتجاه النوايا من جهة ؟ وبعد أن عرفوا ان تكليفهم تضمن أكذوبة سافرة حين ورد في مطلعه أن اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية لمنظمـة التحريـر الفلسطينية دون أن يكون هناك اي قرار؟ لكن ناجي علوش يتهم هؤلاء جميعا بالاهمال .. وهذا الاتهام ضروري بالطبع ، لتبرير الفرمان اللاحق الذي صدر عن رئيس دائرة الاعلام والتوجيه القومي والثقافي باعتبار قرارات اللجنة نافذة مهما كان عدد الاعضاء الذين يحضرون اجتماعاتها !

ورغم موقف الكتاب السلبي من اللجنة ، استمرت اللجنة في عملها ، زاعمة انها تمثل ارادة الكتاب ، وكان من المستحيـل الا يقود هـذا المنطق الى

الانشقاق . فقد كان تشكيل اللجنة التحضيرية بحد ذاته عملا انشقاقيا في اتحاد الكتاب . لكن ناجي علوش لا يريد الاعتراف بهذه الحقيقة ، وانما يسوق الاتهام للاخرين ، بأنهم يتفرجون وأن اللجنة التحضيرية (المصغرة طبعا) ولجنة العمل المنبثقة عنها (وهي جميعا من « فتح ») « تحس انها وحدها تعمل » . وكأنما موقفهم السلبي ناجم عن اهمالهم واجتهاد لجنته ، لا عن تحفظهم على الدور الذي تمارسه اللجنة ...

فالآخرون لم يكونوا متفرجين ، بل كانوا قسمين : قسم يدافع عن الشرعية المعتدى عليها ، وقسم يرفض محاولة الاحتواء التي ركبت اللجنة التحضيرية لتنفذها . ولقد توج القسم الاول تصديه بمفاجأة اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث لاتحاد كتاب فلسطين في القاهرة في مطلع آب ١٩٧٢ ، هذا المؤتمر الذي بلغت حساسية الساعين الى السيطرة على اتحاد الكتاب من خلال لجنتهم التحضيرية تجاهه حد محاولة اقتحامه بالقوة ، واستخدام العنف في تشتيته ، لولا أن تدخلت سلطات الامن المصرية لحمايته !

وبالنسبة للصاعقة ، فلقد حددت موقفها منذ الاعلان عن تشكيل اللجنة التحضيرية بأنها مع الشرعية وضد محاولة الاحتواء . وبوسع من يريد التأكد من اعتراض الصاعقة على طريقة تشكيل اللجنة التحضيرية العودة الى العدد (١٣١) من مجلة « الطلائع » الصادر يوم ٢٩/٥/١٩٧٢ ، بعد أقل من اسبوع من تشكيل اللجنة التحضيرية ، رغم اننا لم نكن قد عرفنا بعد ان الذين ابتدعوا هذه اللجنة اطلقوا أكذوبتين تستوجبان المحاسبة ، أولاهما أن اللجنة التنفيذية قررت حل الاتحاد القائم ، وثانيهما ، ان اللجنة التحضيرية شكلت بناء على قرار من اللجنة التنفيذية ، وذلك بغية تجريد المعارضين من أسلحتهم . لكن الامور ما لبثت ان توضحت .. وأصبح على المعارضين للاعتداء على الشرعية النقابية ، ومحاولة احتواء الاتحاد وتركيب مؤتمره ان يفعلوا شيئا .. ولقد تحركوا بالفعل .. حين سلك السيد عودة بطرس عودة الطريق القانوني ، الذي يفاجىء في نهايته اللجنة التحضيرية بعقد المؤتمر الثالث للاتحاد من الاعضاء الذين سددوا اشتراكاتهم فعلا بعد اعطائهم المهلة القانونية المحددة في النظام الاساسي .. وحين تحركت الصاعقة لتضغط باتجاه الحيلولة دون تكريس الانشقاق الذي قاد اليه تشكيل اللجنة التحضيرية ، فحصلت على موافقة الامانة العامة الجديدة للاتحاد على عقد المؤتمر الموسع في بيروت الذي كانت تعد له اللجنة التحضيرية ، شريطة أن يمول من قبل منظمة التحرير الفلسطينية (والجدير بالذكر ان المؤتمر الذي عقد لم يمول من المنظمة) وان تمارس الامانة العامة صلاحياتها القانونية في قبول طلبات انتساب الاعضاء الجدد ، وفي الدعوة للمؤتمر ... واخذنا نبذل الجهود لدى دائرة الاعلام والتوجيه القومي ، ولدى اللجنة التحضيرية ، لايجاد مخرج من الازمة . لكننا لم نقابل أي تجاوب ، بل راح « اعلام الوحدة الوطنية » — المشروع منه وغير المشروع — يشن حملة قاسية من الافتراءات على المؤتمر الثالث للاتحاد ، ويزعم عدم شرعيته ، وفي هذه المرة اطلق هذا الاعلام أكذوبة جديدة يحاول بها اضفاء صفة الشرعية على اللجنة التحضيرية ، حين زعم ان اللجنة شكلت بناء على مقررات مجلس الاعلام المركزي . ولم نعمد الى الرد على الحملة الظالمة الكاذبة المفترية بمثلها ، بل تحملنا وتحملنا لعلنا ننقذ وحدة الاتحاد من التمزق .

فماذا كانت نتيجة تعنت اللجنة التحضيرية ؟ يعترف ناجي علوش ان الاعتراض على لجنته التحضيرية أصبح عاما ، وانها أصبحت على وشك الفشل ، حين يقول : « وحين اقترب موعد المؤتمر بدات المنظمات الفدائية ترمي بثقلها . قال بعضهم ان فتح تعمل للسيطرة على المؤتمر ، وطالب آخرون بضمانات تقنعهم بأن اللجنة التحضيرية غير متحيزة ، واخذت اللجنة التحضيرية تواجه الصعوبات ، وبدأت تحس ان المؤتمر سيجهض قبل أن يبدأ » . إن هذا الاعتراف يفسر سر المناورات اللاحقة . فبعد ثلاثة اسابيع من التجاهل المطلق لمحاولات الصاعقة لايجاد مخرج من الازمة يحول دون انشقاق الاتحاد ، جرى لقاء بيننا وبين ناجي علوش ، اتفق فيه على مخرج من الازمة على النحو التالي :
١ — تشكل لجنة خماسية من المنظمات الفدائية الممثلة في اللجنة التنفيذية تكون لها صلاحيات البت النهائي في طلبات الانتساب الجديدة للاتحاد ، وبرنامج المؤتمر. ٢ — توافق الامانة العامة للاتحاد تلقائيا على ما تقره اللجنة الخماسية ، وتتولى الدعوة الى المؤتمر وفق ما ينص عليه النظام الاساسي للاتحاد .

ورغم انه تم التوصل الى الاتفاق على هذه الصيغة

قبل ثلاثة عشر يوما تقريبا من انعقاد المؤتمر ، فقد أخذت اللجنة التحضيرية تتهرب من تنفيذها ، وتزعم ان الصيغة التي أبلغت بها ووافقت عليها مختلفة عن الصيغة التي ذكرناها آنفا ، ولم يبلغنا ناجي علوش بالموافقة النهائية على هذه الصيغة الا قبل ثلاثة ايام من انعقاد المؤتمر بغية وضع اللجنة الخماسية امام الامر الواقع ، وافقادها زمام المبادرة . ومن هنا يتضح لنا مدى الخطأ فيما ساقه ناجي علوش حول اللجنة الخماسية ، حين قال بانه « كان من نتيجة هذه الاتصالات ان نشأت لجنة خماسية تمثل المنظمات الخمس ، مهمتها مساعدة اللجنة التحضيرية ومراقبة أعمالها ، كي لا تنحرف او تتحيز . ولقد لعب انشاء هذه اللجنة دورا في بلبلة اللجنة التحضيرية وفي عرقلة اعمالها، وفي اجبارها على اتخاذ مواقف وقرارات كانت اللجنة التحضيرية لا تريدها » .

هنا .. من المناسب ان نتوقف لنعطي القارىء صورة عن الحقيقة بتفاصيلها .. وبيننا وبين ناجي علوش شهادة ثلاثة من اعضاء اللجنة يمكن اللجوء اليهم ، وهم ممثلو الديمقراطية والشعبية وجبهة التحرير العربية .

أولا ، ان القول بأن مهمة اللجنة الخماسية مساعدة اللجنة التحضيرية ، ومراقبة اعمالها مخالف لصيغة الاتفاق الذي تم الالتقاء على أساسه ، لان معناه ان اللجنة الخماسية ليست المرجع النهائي في اتخاذ القرارات .. وانما ستذوب ارادتها في ارادة اللجنة التحضيرية التي أمنت فيها اغلبية من « فتح » .. اذ ان قبول صيغة ناجي علوش يعني ان يكون لفتح عشرة مقابل اربعة من أعضاء اللجنة الخماسية ، بينما العكس يعني ان صلاحيات اللجنة الخماسية هي صلاحيات مطلقة بالنسبة للجنة التحضيرية .

ثانيا ، لقد اجتمعت اللجنة الخماسية ، وراجعت كشوف اسماء المنتسبين الى الاتحاد التي كانت اللجنة التحضيرية قد أقرتها ، وناقشت الاسماء المجهولة من بينها ، وأقرت القوائم رافضة بعض الاسماء . وبدا ان كل شيء يسير على ما يرام ، الى ان جاء اجتماع المساء ، لنجد أن اللجنة التحضيرية تحفظت على اسماء حوالي الاربعين من مقدمي طلبات الانتساب من سوريه ، بحجج اوهى من أن تقبل .. فالشاعر أو الاديب ان لم يكن عاملا في الصحافة تحفظوا عليه، والكاتب او الاديب ان كان عسكريا تحفظوا عليه . وفي حالة من الحالات تحفظوا على واحد بدعوى انه في السجن وهو ليس سجينا !! وناقشت اللجنة الخماسية هذه الطلبات ، وأقرت من بينها ثلاثين طلبا واحالتها الى اللجنة التحضيرية للتنفيذ ، فجاء الصباح لتثور ثائرة اللجنة التحضيرية ، وتتمرد على قرار اللجنة الخماسية .

فوفق القوائم التي تم اقرارها من اللجنة الخماسية ، ليقفل باب الانتساب في نهاية ذلك اليوم قدرت اللجنة التحضيرية انه يمكن لتحالف الصاعقة مع المستقلين او اي فصيل فدائي آخر ، ان يفشل خطة اللجنة التحضيرية في احتواء الاتحاد .. وهذا هو سر البلبلة التي تحدث عنها ناجي علوش، وسر القرارات والمواقف التي أجبرت اللجنة التحضيرية على اتخاذها حتى لا تفلت اللعبة من يدها .. والا ، فليحدد لنا السيد ناجي علوش على وجه التحديد هذه القرارات والمواقف ...

اما نحن ، فنستطيع تحديدها بكل جلاء ، وقد فضحناها امام المؤتمر ، ولم يملك ناجي علوش امكانية الرد :

١ — عمدت اللجنة التحضيرية الى عدم توجيه الدعوة الى أعضاء الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين الاصلاء رغم قرار اللجنة الخماسية بتوجيه الدعوة فورا لهم وتأمين سفرهم ، ورغم تزويد اللجنة التحضيرية بأسمائهم ، فحرمت بذلك عددا كبيرا من الكتاب المستقلين من حضور المؤتمر . ٢ — عمدت اللجنة التحضيرية الى طلب كشوف احتياطية من بعض المكاتب بأسماء اشخاص يمكن ادخالهم المؤتمر اذا اقتضى الامر للمشاركة في التصويت ، وحرصت على ادراج اسمائهم في القائمة التي قدمت الى رئاسة المؤتمر . وقد زاد عدد هؤلاء على المائة مما ادى الى رفع عدد المنتسبين في كشوف اللجنة التحضيرية الى حوالي ٤٧٥ عضوا ، بينما لم يتجاوز عدد من أقرتهم اللجنة الخماسية الثلاثمائة عضو . ٣ — كان هناك تعمد واضح في عدم تمكين البعض من الحضور الى المؤتمر ، وذلك بتوجيه الدعوة اليهم متأخرة ، أو عدم تأمين بطاقات السفر لهم .

ثالثا ، لقد اعتبرنا تمرد اللجنة التحضيرية على اللجنة الخماسية ، اخلالا بالاتفاق .. لا نستطيع معه الحضور الى المؤتمر ، لكن ميل المنظمات الفدائية الاخرى الى التئام بأي شكل ، والحيلولة

دون انعكاس موضوع اتحاد الكتاب على قضية الوحدة الوطنية ، ثم تاكيدات « فتح » بالالتزام بقائمة ائتلافية يلتزم بانتخابها الجميع ، جعلتنا نذهب الى المؤتمر . فمسالة الامانة العامة ، اذن، أصبحت محور المؤتمر ، لان اللجنة التحضيرية ركبت المؤتمر ، بشكل تستطيع فيه « فتح » ان تحقق سيطرة مطلقة على المؤتمر اذا شاءت ، وذلك بتمردها على اللجنة الخماسية على النحو الذي ذكرنا . ومررنا على حقول الالغام في المؤتمر .. مررنا عليها ضابطين اعصابنا ، محاولين الحيلولة دون تفجيره رغم ان كل شيء في خط سيره كان يستدعي هذا التفجير .. لاننا نشعر بانه من العار ان يبدأ كتاب شعبنا وصحفيوه الانشقاق .

.. وكان موضوع « القائمة الائتلافية » التي يلتزم بها الجميع ، هو وحده الذي يجعلنا نحتمل الاستمرار في المؤتمر . الى ان جاءت معركة تشكيل القائمة الائتلافية .. ونقول معركة لان ناجي علوش ، رغم دعواه بانه لا يرى موضوع الامانة العامة مهما ، وانه شخصيا ضد نظام الكوتا التنظيمية ، استنكف عن الحوار عند البحث في تشكيلها اكثر من مرة ، وانسحب اكثر من مرة ، وامتدت احدى هذه المرات اكثر من ساعة .. لان هناك اسماء معينة اراد فرضها في القائمة بأي شكل من الاشكال ، رغم ان الضعف البادي في القائمة جاء نتيجة فرض هذه الاسماء ..

اذن ، فقد كان ناجي علوش ولجنته ، يعبثون بنا طوال الوقت .. وكانوا يناورون طوال الوقت .. فهذا هو مدلول كلماته .. فالمؤتمر الذي يمكن ان ينفجر في اية لحظة بسبب عدم شرعيته ، ولقد اقر ناجي علوش داخله بانعدام هذه الشرعية ، يجب ان ينجح بتحويل موضوع القائمة الائتلافية الى طعم للاخرين ، يجعلهم يتنازلون امام التجاوزات الى ان تتم الانتخابات .

وهكذا جرت اللعبة المرسومة ، فالقائمتان الاضافيتان اللتان رشحتا الى جانب القائمة الائتلافية ، انطلقت احداها من موقف الصدق ، ومحاولة طرح قائمة نموذجية تتجاوز عيوب القائمة الائتلافية ، وكانت تلك هي القائمة التي طرحها الاستاذ شفيق الحوت .. ولو كانت ارادتنا حرة عند التصويت ، ومتحللين من التزامنا كما فعل غيرنا ، لما انتخبنا غير تلك القائمة . اما القائمة الاخرى ، فقد جرى دفعها من قبل اللجنة التحضيرية بقصد اختراق اللائحة بأسماء معينة .. ولا تنقصنا الدلائل على اثبات صحة هذا الامر رغم محاولات ناجي علوش لنفي ذلك . واخترقت القائمة الائتلافية بثلاثة اسماء .. اسماء من ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ هنا يتهرب ناجي علوش من توضيح الحقيقة .

ان المؤتمر يجب ان ينجح .. وناجي علوش يجب ان يصبح امينا عاما ! هذا هو الجواب ... ولكن الذين يريدون للمؤتمر ان ينجح لان نجاحه معجزة، لم يستطيعوا ان يلتزموا بأي عهد قطعوه على انفسهم ، فخرجوا على الالتزام بالقائمة الائتلافية، وزيفوا عملية التصويت ، مثلما زيفوا عملية الفرز. وكان على رئيس لجنة الرقابة ، بعد ان كشف للرئاسة عن وجود التزييف ان يسكت ، باسم الوحدة الوطنية وباسم سمعة ثورتنا المصانة . وكان على الاستاذ رئيس المؤتمر ، الذي لم يستطع الا ان يكشف في الليل عن التزييف ، الا ان يسكت في اليوم التالي ، من اجل الوحدة الوطنية ، ومن اجل سمعة ثورتنا المصانة .. وكان علينا نحن ايضا ان نطمئن الضارعين بنا الا نفجر الجلسة الختامية ، وان نسمح بلفلفة المؤتمر ، وفي مقدمتهم ناجي علوش ، اننا ندرك ان الموقف لا يحتمل ، واننا سنبارك للفائزين بفوزهم ... ولكننا نرفض التسوية المقترحة والتي تقضي بحلول عبد الرحمن غنيم محل ماجد ابو شرار (لان هذا هو الإسم الذي طرحوه لاجراء التسوية) ، ونطلب فقط ان يكون الامين العام وامين السر مستقلين . وكان رد ناجي علوش ان الامانة ستستقيل ، لتسمي اللجنة التنفيذية امانة مؤقتة تدعو لعقد مؤتمر جديد بعد ستة اشهر .. وقلنا له هذا هو الحل الامثل ، وما زلنا نطالبه واعضاء الامانة بالاستقالة لافساح المجال امام الحل الامثل الذي اقترحه علينا هو قبل الجلسة الختامية ، حتى لا نفجر المؤتمر .

وتدليلا على حسن نوايانا غادرنا الجلسة قبل الختام .. لنفاجأ بتتويج لسلسلة المناورات باعلان امانة تسوية رغم رفضنا لها من حيث المبدأ، وباقالة الدكتور انيس صايغ رغم انفه ، ليوضع مكانه عبد الرحمن غنيم رغم انفه ايضا ..

واذا كانت طاقة احتمالنا قد استوعبت كل المناورات السابقة ، فليس بمقدورنا ان نحتمل اكثر ، حتى ولو انطبقت السماء على الارض .

لقد فهمناها على انها تحرك ، يرمي الى الايقاع بين الصاعقة والمستقلين ، والى تحطيم سمعة ممثل الصاعقة الذي احل محل الدكتور انيس صايغ الذي اصبح بنجاحه في عمله ، وبتضحيته ، رمزا يعتز به شعبنا كله . لقد رفضنا ان ينسحب ماجد ابو شرار لصالحنا ، فكيف احلوا لانفسهم ان يسحبوا الدكتور انيس صايغ ليحل محله ممثلنا !! وأعلنا عدم اعترافنا بأمانة التسوية ، وما زلنا عند ما أعلناه .. وسنبقى عنده ..

اننا نقولها بكل وضوح: ان احتمال عودة الصاعقة غير وارد مطلقا .. والحل الوحيد هو ان ينفذ ناجي علوش وعده بالاستقالة ، لتسمي اللجنة التنفيذية أمانة مؤقتة من المستقلين ، تضع كل شيء في نصابه ، خاصة وانه يوجد اليوم اتحادان: احدهما هو الشرعي والمعترف به منا ، ومن اتحاد الكتاب العرب واتحاد الكتاب الاسيويين الافريقيين ، وثانيهما غير شرعي ، وجاء نتيجة سلسلة من المخالفات .

ولا يمكن لنا الا ان نكون مع الشرعية ، ومع الصدق الثوري ، ومع الوحدة الوطنية .

عبد الرحمن غنيم

الرسالة الثانية : وداعا يا فلسطين !!

كان آخر ما اكتحل به ناظري من غزة ، في زيارة تمت بها مؤخرا ، نظرات خاطفة القيتها عليها من سيارة الجيب العسكرية الاسرائيلية التي كانت تمضي بي مسرعة في الطريق الى عسقلان ، حيث اخذت « للتحقيق » معي . وقد بترت زيارتي بغتة في الساعة الخامسة من صباح ٦ تشرين الاول (أكتوبر) عندما انتهرتني من وهدة سبات عميق طرقات شديدة متلاحقة ، على باب غرفتي في « بيت المنار » . وكنت قد قدمت الى غزة من القدس في صباح الرابع من تشرين الاول لامضي في القطاع فترة أربعة أيام أو خمسة . وكانت منطقة القطاع قد عادت مؤخرا ، بعد فترة من الهدوء غير المعهود ، الى روتينها اليومي المعتاد من هجمات الفدائيين المسلحة ، وفرض منع التجول على بعض الانحاء ، وتفتيش المساكن ، والاعتقالات ، وتشديد اجراءات الامن بصورة عامة . ولم أتمالك نفسي من الشعور بالدهشة والاستغراب عندما فتحت الباب ووجدت أنني قبالة ثلاثة من رجال الامن الاسرائيليين وبصحبتهم احدى المجندات . وبادروني قائلين : « لدينا اوامر بالتفتيش !! » . وسرعان ما اندفعوا الى داخل الغرفة ، وشرعوا على الفور في التفتيش والتنقيب والتنبيش في الادراج والخزائن وتحت السرير وحتى بين طيات المخدات والفراش والبطانيات . وكانوا في غاية اليقظة وعلى قدر غير ضئيل من الفظاظة في تلك الساعة المبكرة من الصباح . وعندما اقتادتني المجندة الى الحمام لاجراء تفتيش جسدي دقيق القيت نظرة عابرة من النافذة واذا بصري يقع تماما على وجه جندي منتصب على سطوح الكاراج مصوبا سلاحه الرشاش باتجاه غرفتي .

وقد أثارت كل هذه المظاهر التي احاطوني بها في نفسي مزيجا من مشاعر السخف والاشمئزاز . فما الذي كان هؤلاء الرجال يبحثون عنه ؟ وماذا كانوا يخشون ان تصنع امرأة ، عزلاء ما زالت برداء النوم تعاني من النعاس ، من نافذة في الطابق الثاني تطل على حديقة مسورة علما بأن اثنين من الرجال الذين في الغرفة كانا مسلحين ، وحتى لو لم يكونوا مسلحين فماذا كان بوسعي ان اصنع ضد اربعة اشخاص اشداء كهؤلاء .

وقد خطر ببالي والمجندة التي تأتزر بتنورة ميني تتفحص جسدي تفحصا دقيقا انهم ربما ظنوا انني اخبىء في غرفتي بعض القنابل او المتفجرات .

فهل كان يدور بخلدهم أن بوسع المرء أن يجتاز محنة الخلاص من اجراءات الامن والجمارك المزدوجة — الاردنية والاسرائيلية — ويعبر جسر اللنبي الى المناطق المحتلة وبحوزته اسلحة فتاكة ؟ لقد انتهى التفتيش ، وامرت بان ارتدي ملابسي ، سيأخذونني معهم الى عسقلان للتحقيق معي .

لقد كان لدي موعد في قطاع غزة الساعة التاسعة صباحا ، وهو موعد كنت أود أن لا اتخلف عنه .

وكنت في تلك الساعة المبكرة أعاني من النعاس ، واشعر بالبرد ، وتتوق نفسي الى فنجان من القهوة . ولكن في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الثامن من تشرين الاول (اكتوبر) ، ناولني ضابط الامن الاسرائيلي جواز سفري بينما سيارة الباص تتحرك من موقع التفتيش على الجانب الاسرائيلي من جسر اللنبي . لقد « أبعدت » الى الضفة الشرقية . وفي الصباح التالي ، في عمان ، تلقيت تأكيدا لامر كان قد نقل لي شفهيا وهو انني غير مرغوب في وجودي في الاردن .

اما في مقر قوات الامن العام في عسقلان فقد تعرضت لتحقيق مطول وقد نمت نبرة المحقق بأنه ضابط عالي الرتبة في المخابرات الاسرائيلية . وقد قال وهو يغادر غرفة التحقيق أنه سيطلب سيارة لتنقلني عبر الجسر الى شرق الاردن . ولكن بعد انقضاء ساعتين ، أخذت الى مكتب آخر حيث كتب ضابط الشرطة شيئا باللغة العبرية على بطاقة ، وأبلغني أنني سأظل موقوفة في النظارة مدة يومين او ثلاثة لاجراء المزيد من التحقيق .

— « وما هي تهمتي ؟ » سألته . — « اتصالات مشبوهة مع ارهابيين » . — « وأين سأوقف ؟ » — « في زنزانة ، هنا » . لقد كان التحقيق طويلا ، مضجرا ، عقيما ، وبلا طائل . وكان اجمالا بمثابة تكرار للتحقيق الذي تعرضت له قبل عشرة ايام من ذلك التاريخ في مقر الامن العام الاردني في عمان .

وقد انتهت كلا جولتي التحقيق بذات التهمة الغامضة : « اتصالات مشبوهة مع ارهابيين » . لقد اعتبر المحققون في كلا الطرفين أن هناك ما يثير الشبهات في قيام صحفية مقيمة في مصر بزيارة الاردن و« اسرائيل » من حين الى آخر ... وأظهر كلا الطرفين المحققين تصميما على اثبات ان لي اتصالات مع « الارهابيين » وأيلول الاسود ونشاطات تتصل بالارهابيين . وكلا الطرفين حظرا علي حق الرجوع بسبب التهمة الملفقة عن اتصالاتي وارتباطاتي المزعومة مع العرب والفلسطينيين . وفي كلتا الحالتين لم تورد اسماء احد من هؤلاء « الارهابيين » الذين زعموا انني اتصل بهم ، كما لم يجر التحقيق معي حول نشاطات او اتصالات معينة او محددة أجريتها خلال زياراتي . ولم تظهر المخابرات الاردنية أيّ اهتمام ، ولو من ناحية شكلية ولذر الرماد في العيون ، بتحري امكانية وجود اتصالات لي مع اسرائيليين او اية « علاقات مشبوهة » مع عدو الاردن !!.. لقد بدا لي ان مخاوف الاردن وهواجسها لا تعدو كونها امتداد لمخاوف اسرائيل وهواجسها ... ولقد بدا لي ان التحقيق لدى كلا الطرفين متفاهم عليه في عملية تنسيق مشتركة .

ولم أندهش كثيرا عندما قال لي ضابط الامن العام الاسرائيلي انه حالما نفرغ من التحقيق معك «سوف نتصل بالاردنيين لنرى ان كانوا يسمحون لك بالرجوع عبر جسر اللنبي » !! وعندئذ تمتمت في نفسي ، لا غرابة ان يعج العالم العربي بهمهمات واشاعات عن وجود تواطؤ بين اسرائيل وأنظمة عربية معينة ، وعن وجود خيانات وصفقات بيع بالجملة الخ ... وقد بدا لي ان الاسرائيليين منطقيون وصادقون مع انفسهم على الاقل من حيث تحديدهم لهوية عدوهم ، وتسخير كل جهودهم في ملاحقة هذا العدو ومطاردته والحق الهزيمة به .

وقد كانت زيارتي للقدس والضفة الغربية وقطاع غزه ، وان بترت عنوة ، كافية لتكوين صورة عن الاوضاع فيها تختلف في جوانب أساسية عن الصورة البهيجة المشرقة التي يعرضها الاسرائيليون والتي تردد صداها في الغرب ، على نطاق واسع ، الوفود الزائرة للمناطق المحتلة من بعثات تقصي الحقائق وجماعات السواح والحجاج الذين يتحركون وفق برنامج تعده لهم السلطات وتحت اشرافها ... ان الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية يصيبهم الملل والضجر الى حد التقزز والغثيان عندما يقرأون ويسمعون بأنهم قد ركنوا الى الطمأنينة والهدوء قانعين راضين بالعيش تحت الحكم الاسرائيلي . فالسجون الاسرائيلية المكتظة « بالارهابيين » الفلسطينيين ، ومئات المنازل التي يجري نسفها وطرد سكانها ، وآلاف المبعدين الى شرق الاردن ، وآلاف الافدنة من الاراضي العربية المصادرة ، والمستوطنات اليهودية شبه العسكرية التي أقيمت في الاماكن الاستراتيجية من المناطق المحتلة لتقطيع أوصالها ، والاحياء التي تشبه القلاع التي اقامها الاسرائيليون على الاراضي العربية في ما يدعونه « القدس الكبرى » ، والدوريات الاسرائيلية المسلحة المتنقلة الفظة والمنتشرة في كل مكان — كل هذه ومئات غيرها من الشواهد التي لا يلحظها عابر السبيل تروي حقيقة « قبول » الفلسطينيين « بهدوء » و« رفق » حكم

واحدة من أعتى الالات الحربية في عالمنا اليوم !!

لقد ورد في الصحافة الأسرائيلية ان اسرائيل قد أصيبت « بصدمة » عندما تبين لديها ان سكان المناطق المحتلة قد شعروا بالابتهاج لحصيلة عملية ميونيخ الفدائية . ولكن الفلسطينيين يوضحون موقفهم قائلين : « اننا لم نبتهج لمقتل الرياضيين الاسرائيليين **بحد ذاته** ، بل ان مبعث ابتهاجنا هو موقف رجالنا الذين عندما ايقنوا أنهم تعرضوا للخديعة رفضوا ان يذبحوا ذبح الخراف . لقد أطلق رجالنا النار دفاعا عن النفس بعد ان حصد الالمان ثلاثة من الفدائيين » .

وكان الابتهاج قد شاع بين سكان المناطق المحتلة في وقت سابق من هذه السنة عندما أقدم اربعة من الفدائيين على اختطاف طائرة الى مطار اللد في محاولة لتأمين الافراج عن عدد من آلاف الفلسطينيين المحتجزين في السجون الاسرائيلية . ولكن الفرح سرعان ما انقلب الى غيظ وأسى عندما خدع الاسرائيليون الفدائيين ، مستغلين راية الصليب الاحمر الدولي ، وقتلوا اثنين منهم . وكذلك عندما قام ثلاثة من المسلحين اليابانيين ، بعد اسابيع قليلة من حادث طائرة السابينا ، « بالانتقام لفدائيينا » في الموقع ذاته عم الابتهاج مرة اخرى السكان ، وان كان قد شاب هذا الابتهاج « شعور بالاسف لان بعض الضحايا كانوا من غير الإسرائيليين » .

هذا ، ولم يخف سكان القدس الشرقية شعورهم بالارتياح والرضى عندما انفجرت قنبلة في مخزن « السوبر سول » في القدس الغربية في اليوم التالي لوصولي القدس في زيارتي الاخيرة هذه .

وعندما أقام الاسرائيليون في عيد رأس سنتهم الجديدة صلوات الاستسقاء داعين لهطول المطر كانت ردة فعل الفلسطينيين : « فليعم الجفاف ويشتد ، حتى وان لحق بمواسم محاصيلنا القحط » . وقد قال لي محام من القدس : « اننا نقبع تحت حكم الاسرائيليين مثلما رضخت جميع الشعوب المقهورة والمستعمرة عبر التاريخ ، شأن الاوروبيين تحت الاحتلال النازي ، والهنود في ظل الحكم البريطاني ، وسكان أفريقيا الجنوبية السود تحت وطأة سيطرة البيض » .

ومن ناحية اخرى ، تستمر في القدس العربية وفي المدينة القديمة عملية التحويل والتهويد بخطوات محمومة ودون وازع من حياء او خجل ، اذ تجري على قدم وساق عمليات مصادرة الممتلكات والاراضي واخلائها من سكانها عنوة ، وتسف الممتلكات العربية وتشييد عمارات مكانها وفق طراز « الاستعمار الجديد » . وعندما يرفض العرب بعناد تسليم بيوتهم التي تقرر مصادرتها ، وعندما يرفضون استلام التعويض المقرر عنها ، ويصرون على حقهم في مواصلة العيش في القدس ، تتحرك فرق التسف عندما تعطى لها الاشارة ، لتعمل في البيوت المصادرة هدما وتدميرا . فهذا ما حدث مؤخرا قبل اسابيع معدودة من زيارتي هذه مع محمد عبدالله الصواف الخباز في ما يدعونه الحي اليهودي داخل المدينة القديمة . فقد تلقى الصواف أمرا باخلاء بيته الذي يشاركه السكنى فيه ٢٦ من افراد عائلته ، فرفض الامر بالاخلاء واحتج عليه لدى السلطات الاسرائيلية . وقد ابرز لي رسالتين تلقاهما من المسؤولين الاسرائيليين ، احداهما من وزير الدفاع موشي دايان والثانية من رئيسة الوزراء غولدا مئير ، وكلا الرسالتين تؤكدان له انه ما من احد لديه الحق في طرده هو واسرته من منزلهم . ولكن بعد انقضاء زهاء اربع وعشرين ساعة جرى طرده هو وعائلته من بيتهم العربي العتيق الذي استحال في دقائق معدودة الى كومة من الركام .

وفي منازل اخرى في تلك المنطقة ابرزت لي العائلات العربية رزما من الاشعارات التي تلقوها من السلطات الاسرائيلية للحضور الى دار البلدية « ليتلافوا اتخاذ العقوبات القانونية بحقهم » . وقد جرى اشعارهم باخلاء بيوتهم في بادىء الامر في عام ١٩٦٨ عندما تم اتخاذ القرار بمصادرتها . ولكنهم تجاهلوا ذلك الامر كما تجاهلوا ما تلاه من اشعارات واستدعاءات للمثول امام السلطات المختصة . فهم متشبثون ببيوتهم وبحقوقهم آملين أن يحل السلام أو أن تحدث معجزة ما لتنقذهم قبل ان تهوي المقصلة على رقابهم !! وهم يقولون انهم لن يخلوا بيوتهم الا اذا طردوا منها بالقوة .

الكآبة والتجهم ... الصمت الذي ينم عن الخوف او الشعور بالعجز ... والغيظ المكتوم ... والتعاون المحدود مع العدو فيما يقيت أودهم ويحفظهم على قيد الحياة ... هذه جميعها قد يعتبرها الاسرائيليون وأعوانهم او بعض الزوار الاغرار او المغرضين المتحاملين على انها كناية عن قبول سكان المناطق المحتلة بالاوضاع ورضاهم عنها

وانها امارة على تواطؤهم وتعاونهم مع السلطات ومظهر للتعايش السلمي بينهم وبين الاسرائيليين . بيد انه لا يمكن خنق الحقيقة خنقا تاما ، اذ كثيرا ما تنفلت التعابير عنها في ردود الفعل التلقائية للاحداث ، كما تبدو للمراقب شواهد عليها في كل لحظة في شوارع المناطق المحتلة ، اذ يلمسها المرء في الابتسامات الساخرة ، وفي النظرات ، وفي الشتائم المكتومة ، كما يتم الاعراب جهارا عن هذه الحقيقة اثناء المناقشات والاحاديث مع الاصدقاء الموثوق بهم ، كما انها تبدو من خلال مظاهر المقاومة السلبية من أولئك الذين يتجاهلون أوامر قوات الاحتلال ولا ينصاعون لها الا تحت طائلة التهديد بالحبس والتوقيف .

ما زال قطاع غزة مستعص على السلطات الاسرائيلية . فرغم الشبكة الدقيقة من اجراءات الامن الصارمة التي اقامها الاسرائيليون في القطاع، والتي ما انفكوا يدخلون عليها التعديلات والتحسينات طوال السنوات الخمس والنصف التي انقضت على الاحتلال ليبلغوا بها حد الاتقان التام والكمال في ميدان ضبط الامن والسيطرة على الاوضاع ، ما زال الفدائيون قادرين على اثبات وجودهم في القطاع ، سواء بالقاء القنابل اليدوية ، او بمهاجمة السيارات والدوريات المسلحة الاسرائيلية او بالقيام بأعمال التخريب . وكل الاجراءات والخطط الجهنمية التي نفذها الاسرائيليون في القطاع لم تفت في عضد المقاومة وفشلت في تحقيق الغاية التي توختها السلطات الاسرائيلية الا وهي استئصال النشاط الفدائي من قطاع غزة كليا . ولم يجد السلطات الاسرائيلية نفعا كل ما اقدمت عليه من اجراءات سواء كانت تعزيز قوات الامن والشرطة او اللجوء الى اضطهاد السكان بقسوة وفظاظة او حملات الابعاد والنفي الجماعي او عمليات الاعتقال والحبس والعقاب الجماعي ، وتفريق السكان وتشتيتهم داخل القطاع ، ومصادرة الاراضي لتقام عليها الكيبوتزات والمستوطنات اليهودية العسكرية منها وشبه العسكرية ، والقيام بقطع الاشجار والاسيجة لتعرية سطح الارض ، واشغال الالاف من سكان قطاع غزة بالعمل خارج القطاع سواء في الضفة الغربية او في اسرائيل ذاتها... كل هذه الاجراءات فشلت في تحقيق الغاية المنشودة ... صحيح انه تم حصر نطاق اعمال المقاومة المسلحة في القطاع والتخفيف من حدتها بصورة ملموسة ، بيد ان اعمال العنف ما زالت تحدث من حين الى آخر بصورة تكفي لابقاء قوات الامن الاسرائيلية في القطاع في حالة استنفار دائم طوال ساعات النهار والليل كما انها جعلت من القطاع منطقة محرمة على الزوار الاسرائيليين والاجانب . فقد حدث في الليلة السابقة لوصولي الى قطاع غزة هجوم بالقنابل اليدوية في شارع عمر المختار . وتلا هذا الهجوم اعلان حظر التجول وعمليات تفتيش من بيت الى بيت ، واعتقال من وقعت عليهم القرعة للتحقيق معهم . وفي اليوم التالي فرض حظر التجول على مخيم الشاطىء ، فاستنادا للشائعات التي سرت في مدينة غزة ، قام أحدهم بخط عبارة « ايلول الاسود » على زوارق الصيد الراسية على الشاطىء . وفي اليوم التالي دوى صوت انفجار في شارع عمر المختار فمزق السكينة المخيمة على المكان عند ساعة الافطار . وقد صادف ان كنت في بيت قريب من موقع الانفجار حيث كنت ازور بعض الاصدقاء . واعقب الانفجار اطلاق زخات من نيران الاسلحة الرشاشة، ووقع خطوات مكتومة لمشاة كانوا يسرعون الخطى نحو بيوتهم خوفا من التعرض للقبض عليهم وبالتالي المعاناة من الاجراءات المألوفة وهي استدعاؤهم الى مقر الامن العام لاستنطاقهم . وخرجت سيدة تعدو مسرعة من بيت مجاور ، اذ ان زوجها أصيب بجراح وحمل الى المستشفى . وقد اخبرني مضيفي ان الرجل المصاب هو بائع الخلوف المسن في شارع المختار .

وقد سألنا شابا كان يقف عند عتبة بيته « هل اصابته شظية » ، فاجابنا قائلا : « كلا ، لقد ضربه احد الجنود الاسرائيليين على وجهه بعقب بندقيته » .

تتعاقب الطلقات ، ثم تظهر رؤوس تطل خلسة خلال خيوط النور المتسرب من الابواب التي كانت تفتح بحذر وتقوم سيارات الجيب والشرطة الاسرائيلية بسد منافذ الزقاق . ويهمس رجل وهو يمر مسرع الخطى : « لقد حاصروا شارع المختار » . سكون ، ثم يجتاز رجل الزقاق بخطى وئيدة قادما من جهة شارع عمر المختار .

ويتحرك الرجل كمن يمشي في نومه ، وتشخص عيناه باتجاه نهاية الزقاق حيث ينعطف في اتجاه المقبرة . وكان يحمل بين يديه رزمة صغيرة مجللة بشال . انه طفل ميت . وكان يلحق بالرجل فتى

يحمل مصباح علاء الدين وآخر يحمل معولا ومجرفة.

وعدت بخواطري الى مشهد دارت حوادثه في مقبرة أخرى بغزة حيث تسنى لي مراقبة ذاك الحدث صباح يوم وصولي . كنت في أحد مخيمات اللاجئين وقد تحلقت حولي جمهرة من الاطفال الممتلئين حماسة وانفعالا . وزعق الاطفال من حولي بأصواتهم الحادة : هل شاهدت « القبور المتحركة » ، « اعجوبة مقبرة الشجاعية » ، « انهم الفدائيون ... قبورهم تتحرك . اذهبي الى المقبرة » .

انا لست ممن يؤمنون بالمعجزات . غير اني ذهبت، برفقة بعض الاصدقاء من القدس ، الى مقبرة الشجاعية من باب اولى لان المعجزة ، أيا كان أسلوب صنعها وتحقيقها هي متنفس مرغوب فيه لكسر حدة رتابة الحياة اليومية القاتمة في ظل الاحتلال . كانت هنالك حشود من الناس تحيط بالأضرحة الحجرية الاربعة المتباعدة والتي كانت تتسامق فوق مستوى صفوف القبور الكثيرة الاخرى المتواضعة التي لم تعد كونها اكواما ترابية مسواة باليد . وارشدنا غلامان الى اول تلك « القبور المتحركة » فشققنا طريقنا خلال جموع الزائرين ، الذين اصبحوا يحجون الى هذه القبور . وقد اوضحوا لنا قائلين : « شواهد القبور تتحرك » ، « سوف ترون » كنت اقرأ إسم الشهيد المنقوش على شاهد قبره — حسين محمد سلمان ابو حنتوش — عندما ادركت ان شاهد القبر كان يميل قليلا من جهة الى اخرى . وانتقلنا بعدها من قبر الى آخر ، فتبين لنا ان القبور الاربعة جميعها « تتحرك » متمايلة كبندول الساعة تارة نحو اليمين واخرى نحو اليسار ، وفي احدى الحالات الى الامام والخلف. وكان الزوار والحجاج يقطعون صلواتهم وتأملاتهم واحاديثهم الهامسة ليسألوننا اذا كنا « قد شاهدنا » وليتناقشوا في سر هذه الظاهرة .

وقد رووا ان صبيا صغيرا كان اول من اكتشف ظاهرة تحرك شواهد القبور قبل نحو ثلاثة اسابيع، وسرعان ما ذاع الخبر ، واخذ الناس يتوافدون الى المقبرة من مدينة غزة في باذىء الامر ، ثم من القطاع بأجمعه وحتى من القدس والضفة الغربية. وفسر البعض تلك الظاهرة على انها معجزة . فالفدائيون الاربعة يتململون في قبورهم «ويتكلمون» انهم يحاولون ان ينقلوا الينا رسالة ما . اما البعض الآخر ، فقد خالها أمارة او رسالة من الله . وتساءلت عما كان يقوله الفدائيون أو الله، فاجابوني قائلين : ان الفدائيين يحثون الناس على مواصلة النضال وتأدية الرسالة او لعلهم كانوا يقولون « آن اوان العمل » . كما قالوا : ان الله بهذا يطمئن الناس بأن الفدائيين لم يموتوا وان الخلود هو نصيب اولئك الذين يضحون بأرواحهم . وان الله يحث الناس على الصمود والمقاومة .

ولم يكن عنصر الاعجاز الخارق للطبيعة في هذه الظاهرة هو الذي استأثر بالقسط الاوفر من اهتمامي — وهي ظاهرة ناتجة عن خدعة بصرية تسببها الظلال المتحركة للاغصان المتدلية فوق القبور — بل ان ما استأثر باهتمامي هو التأويلات التي يسبغها أهالي غزة على هذه الظاهرة . فتلك التأويلات انما تعكس حقيقة مشاعر سكان المناطق المحتلة وحالتهم النفسية . ففقدان الثقة بعالمنا هذا بما فيه من قوى وهيئات دنيوية ، وفقدان الثقة بالانظمة العربية وجيوشها ، وبالدول الـ... وهيئة الامم المتحدة ، مثلما ان هذه التأويلات هي الهام لمشاعر الايمان والامل بالانتصار المحتوم « للانسان المستضعف » والقومية والنضال والتضحية . ومضت سيارة الجيب مسرعة في شارع المختار في طريقنا الى عسقلان : سبات، وهدوء، ولا اشارة تنبىء باعمال العنف التي جرت في الليلة السابقة . وتساءلت لدى مرورنا بمقر الامن العام : ترى كم من الناس قد سيقوا الى هذا المقر لاستجوابهم ومن ثم احتجزوا واوقفوا؟وكم من الغزاويين قد أمضى ليلة مشهدا قلقا على مصير احد ابنائه او والديه او ذويه او بسبب ترقبه طرقة على الباب قد تعني تفتيشا روتينيا او زيارة لمقر الامن العام للتحقيق معه — وهي قد تنتهي بالافراج عنه بعد احتجازه بضعة ساعات ولربما امتدت اياما او شهورا او سنينا . وعندما مررنا بنهاية الطريق المؤدية الى مقبرة الشجاعية ساءلت نفسي هل ما زال الفدائيون يتململون في قبورهم ؟ ترى هل سيتسنى لهم يوما ان يخلدوا الى السكينة هانئين مطمئنين ؟

أيرين بيسون

شــــهريات

(١) المقــاومة الفلســطينية

على امتداد الشهر الماضي (١١ ايلول — ١٠ ت ١) عاش العمل الفلسطيني اصداء عملية ميونيخ ، وخاصة الاصداء المقصودة الهادفة الى استغلال العملية ، لتنفيذ مهمات اخرى تحت غطائها . واتخذت هذه الاصداء طابع حملة دولية ضد العمل الفدائي ، وضد « العرب » في بعض البلدان ، سنتناول منها ما يمس حركة المقاومة بشكل مباشر.

اصداء عملية ميونيخ : بعد مضي ايام على عملية ميونيخ ، نشرت في الولايات المتحدة واسرائيل ، وفي وقت متقارب ، معلومات عن منظمة ايلول الاسود ، كان من الواضح تماما ان الهيئات الرسمية العليا تتعمد نشرها ، وذلك لربط منظمة ايلول الاسود بقيادات المقاومة الفلسطينية بشكل مباشر ، ولدرس ردود الفعل التي تظهر تعليقا على هذه المعلومات ، لاختبار مدى صحتها . ففي ١١ ايلول نشر الصحفي الامريكي « جاك اندرسون » مقالا في صحيفة « الواشنطن بوست » عن منظمة ايلول الاسود اعترف ان المعلومات الواردة فيه مأخوذة من الاستخبارات الامريكية ، وذكر في هذا المقال ان هدف المنظمة الاول هو اغتيال الملك حسين ، وان زعيمها يدعى فخري العمري ، وهو يقيم في محلة صبرا ببيروت تحت حراسة مشددة . وبعد يومين (١٣ ايلول) ، نشر الصحفي نفسه مقالا لخص فيه تقريرا مقدما من السفير الامريكي في لبنان الى وزارة الخارجية الامريكية حول اوضاع الفدائيين . ويبرز تقرير السفير بشكل واضح الرغبة في تحريض السلطة اللبنانية على الفدائيين اذ يقول ان هدف نشاط الفدائيين تحريض اسرائيل على ضرب القرى اللبنانية لاثارة الاهالي ضد الجيش . وان السلطات اللبنانية لا تستطيع دخول اي مخيم من مخيمات اللاجئين الخمسة عشر . ويضيف ان لبنان لا يستطيع التصرف كالملك حسين تجاه الفدائيين ، وان المسؤولين فيه ينتظرون حلا بطريقة ما ، ولكنه قدم في تقريره صورة « كاريكاتورية » عن وضع الفدائيين في لبنان توحي بأن ضربهم والتخلص منهم امر ممكن .

وبعد هذه المعلومات الامريكية ، بدأت صحف اسرائيل بنشر اخبار تضرب على الوتر نفسه ، فنشرت صحيفة « يديعوت احرونوت » معلومات تقول (١٤ ايلول) ان علي سلامه هو الذي ينسق نشاطات ايلول الاسود ، يعاونه في هذه المهمة كل من ابو اياد ، ابو يوسف ، ابو جهاد ، ابو مازن، من كبار قادة فتح . وفي اليوم التالي (١٥ ايلول) قالت صحيفة معاريف ان زعيم منظمة ايلول الاسود هو غازي الحسيني ابن القائد الفلسطيني الشهير عبد القادر الحسيني .

وفي الوقت الذي كانت تنشر فيه هذه المعلومات ، اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بدمشق واصدرت بيانا سياسيا (١٤ ايلول) أكدت فيه عدم مسؤوليتها عن اعمال منظمة ايلول الاسود ، ولكنها قالت انها تلفت نظر العالم الى ضرورة تفهم دوافع الشبان الذين قاموا بالعملية . كما اصدرت منظمة ايلول الاسود نفسها بيانا نفت فيه ما نشر عن اسماء قيادتها ، داعية الصحف واجهزة الاعلام ، الى عدم تضخيم دورها ، والالتزام بالموضوعية فيما ينشر عنها . ولكن هذين البيانين لم يسكتا رغبة الدوائر الامريكية والاسرائيلية في اقامة صلة مباشرة بين قيادات المقاومة ومنظمة ايلول الاسود ، واستمرت الحملة الاعلامية والاجراءات العملية التي تلتها ، على أساس هذا الربط بين الجهتين . وعلى اساس ذلك قامت المانيا الغربية باتخاذ اجراءات شديدة ضد العرب المقيمين في اراضيها ، او الراغبين في زيارتها . فلاحقت عددا كبيرا من الطلبة ، وطردت ديبلوماسيين عربا عاملين في أجهزة الجامعة

العربية (عبد الله الافرنجي) ، واغلقت فرعي اتحاد الطلاب واتحاد العمال الفلسطينيين هناك ، ومنعت المسافرين العرب من الدخول الى اراضيها. ورد الطلاب العرب على هذه الاجراءات بالاعتصام، وبتنظيم تظاهرة شاركت بها قوى المانية يسارية . كذلك جرت في الوقت نفسه اعتصامات في فرنسا وبيروت تجاوبا مع اعتصام المانيا واحتجاجا على الاجراءات المتخذة .

اما في الولايات المتحدة ، فبالاضافة الى الاجراءات المماثلة لاجراءات المانيا الغربية ، قامت السلطات الامريكية بتخطي قواعد القانون الدولي ، حين منعت ديبلوماسيين عربا من دخول الولايات المتحدة ، لحضور الدورة الحالية للامم المتحدة. وطبقت ذلك على نائب رئيس الوفد السوري، وعلى مدير مكتب الجامعة العربية في مدينة دالاس .

اما في الامم المتحدة نفسها فقد تقدم فالدهايم في الثامن من ايلول بمشروع قرار حول الارهاب ، داعيا الى ادراجه على جدول اعمال الجمعية العامة . وقد رفضت الدول العربية ومجموعة الدول الافريقية مشروع القرار ، لانها رأت في صياغته ، تأييدا لاسرائيل من جهة ، ومساسا بحق حركات التحرر في النضال من جهة اخرى . وأمام الجدل الواسع الذي اثاره الموضوع ، عقدت تسوية من بندين : البند الاول ان يعدل مشروع القرار بحيث لا يقتصر على بحث عمليات الارهاب ، بل يبحث ايضا الاسباب التي تنتجها . والبند الثاني ان يحول بحث الموضوع من الجمعية العامة الى اللجنة القانونية . وهذا يعني حسب تقاليد الأمم المتحدة ، ان البحث لن يأخذ صفة الاستعجال ، وذلك حتى تستوعب الاجتهادات كافة حول تعريف الارهاب وتحديد انواعه ، والفروقات بين دوافعه .

العدوان الاسرائيلي على لبنان : في الوقت الذي كانت فيه الدوائر الامريكية والاسرائيلية تسرب معلوماتها وشائعاتها الى الصحف ، كانت الاجواء العربية الاسرائيلية مليئة بالتوتر ، وبرزت دلائل عديدة تشير الى اعتداءات اسرائيلية محتملة على سوريا ولبنان . ابرز هذه الدلائل التي اجمعت عليها الدوائر الصحفية والرسمية ، ومن بينها الدوائر الفلسطينية :

١ — الحشود والتحركات العسكرية الاسرائيلية غير الاعتيادية على الحدود مع سوريا ولبنان ، وتكرار تحليق الطائرات في القرى والمدن اللبنانية.

٢ — ابراز الصحف الاسرائيلية لانباء حالة التوتر، ولانباء منع المدنيين وسياراتهم من الاقتراب من مناطق الحدود .

٣ — الفيتو الامريكي في مجلس الامن الذي افشل مشروع القرار الداعي لادانة اسرائيل بعد غاراتها الوحشية على القرى ومخيمات اللاجئين يوم ٨ أيلول . وقد فسر الفيتو الامريكي ، على انه بمثابة ضوء اخضر لاسرائيل للتحرك في المنطقة .

وكعادة اسرائيل الدائمة اثناء التحضير لاي عدوان ، بدأت في ابراز نشاطات الفدائيين وتسريب انبائها لوكالات الانباء العالمية ، بينما تفرض على هذه الانباء حظرا شبه كامل حين يكون من خطتها ان تبقى الحدود هادئة . ففي ١٤ ايلول قال ناطق عسكري اسرائيلي ان اشتباكا مع الفدائيين وقع عند حدود لبنان اصيب فيه جنديان اسرائيليان بجراح . وفي اليوم التالي قال الناطق ان جنديين اسرائيليين قتلا وجرح ثالث في اشتباك مع الفدائيين في الجولان . ثم سربت المصادر العسكرية لوكالات الانباء في الوقت نفسه اخبارا عن خمسة حوادث في منطقة الجولان ، ارفقت بتعليق يتوقع حدوث « تطورات خطيرة جدا » على الحدود مع سوريا . ولم يكد يمضي على تسريب هذه الانباء اربع وعشرون ساعة ، حتى بدأت اسرائيل فجر السادس عشر من ايلول هجوما واسعا على جنوب لبنان تغلغل الى مسافة ٢٠ كلم ، وهي ابعد مسافة تغلغلت اليها القوات الاسرائيلية حتى الان . وقد دام هذا الهجوم اربعين ساعة ، وشاركت في صده قوات حركة المقاومة والجيش اللبناني . خسرت فيه المقاومة ٢٠ شهيدا ، وخسر الجيش اللبناني ١٨ شهيدا ، و ٤٦ جريحا ، اضافة الى ٨٠ شهيدا مدنيا . وقد اعلنت اسرائيل في البداية ان هدفها تمشيط قرى جنوب لبنان من الفدائيين ، ولكنها ما لبثت ان قالت بصراحة ان هدفها من الهجوم الغاء اتفاق القاهرة المعقود بين المقاومة والسلطة اللبنانية .

حين بدأ الهجوم الاسرائيلي اصدر مجلس الوزراء اللبناني قرارا اعلن فيه فرض حالة الطوارئ . وعلى ضوء هذا القرار ، اصدرت قيادة الجيش اللبناني سلسلة من التعليمات يشمل تنفيذها العمل الفدائي . وخلق ذلك حالة متوترة بين السلطة والمقاومة ، جعلت احتمال الاصطدام واردا بقوة.

لقد اعتبرت المقاومة تعليمات الجيش اللبناني بمثابة انذار ، وقامت اذاعة المقاومة التي تبث من سوريا بمهاجمة هذا الانذار الذي كان ينص على ما يلي كما نقلته وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » في ١٩٧٢/٩/١٧ :

« بلاغ خاص

الى جميع قوى الامن :

— المديرية العامة لقوى الامن الداخلي

— المديرية العامة للامن العام

والى اللجنة السياسية العليا الفلسطينية في لبنان

عملا باحكام المرسوم رقم ٣٩٩١ تاريخ ١٩٧٢/٩/١٦ وعملا باحكام المرسوم الاشتراعي رقم ٥٢ عن اعلان حالة الطوارىء او المنطقة العسكرية الصادر في ٥ آب ١٩٦٧ تبلغ قيادة الجيش بموجب السلطات المعطاة لها وفقا لاحكام المرسومين المنوه عنهما اعلاه ما يأتي :

تمركز فصائل المقاومة :

اولا : في القطاعات الحدودية : يمنع تمركز فصائل المقاومة .

١ — في القطاع الشرقي « العرقوب »

١١ — جنوبي طريق شبعا — حاصبيا

١٢ — داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٢ — في بقعة راشيا الوادي :

— داخل القرى وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٣ — في القطاع الاوسط :

٣١ — يمنع دخول القطاع الاوسط لاية عناصر جديدة من فصائل المقاومة .

٣٢ — تخلى جميع قرى هذا القطاع من عناصر فصائل المقاومة الموجودة فيها وحتى مسافة ٢ كلم منها كحد ادنى .

٤ — في قطاع النبطية :

يحافظ على الوضع القائم بوجود عناصر فصائل المقاومة داخل المخيم .

٥ — في القطاع الغربي :

— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة وجنودهم في القطاع الغربي وخارج المخيمات فيه .

٧ — في منطقة البقاع :

— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة ووجودهم في منطقة البقاع وخارج المخيمات الموجودة فيها .

٨ — في منطقة جبل لبنان :

— يمنع تمركز عناصر فصائل المقاومة ووجودهم في منطقة جبل لبنان وخارج المخيمات الموجودة فيها .

ثانيا — التجول :

١ — في القطاعات :

— يمنع التجول بالسلاح واللباس المرقط او السير الا لعناصر الكفاح المسلح وبعد التنسيق مع مركز ارتباط الاركان العامة لشؤون الفلسطينيين العسكرية .

٢ — خارج المخيمات كافة : مماثل لاعلاه .

ثالثا : الاجراءات : — يتعرض للتوقيف والاحالة امام القضاء العسكري كل من لا يتقيد باحكام هذا البلاغ .

رابعا : — التنفيذ :

يعمل بهذا البلاغ اعتبارا من الساعة السادسة من صباح نهار الاحد الموافق في ١٩٧٢/٩/١٧ . وتكلف جميع قوى الجيش والامن الداخلي والامن العام تنفيذ أحكام هذا البلاغ .

التوقيع

العماد غانم قائد الجيش »

ولكن السيد صائب سلام ما لبث ان نفى بسرعة أن يكون الجيش قد وجه اي انذار للفدائيين . ثم تكرر هذا النفي في مناسبات عديدة لاحقة . ولكن كل ذلك لم يلغ حالة التوتر السائدة التي ارتفعت حدتها الى درجة استدعت قيام أكثر من جهة عربية بالتدخل لتهدئة الوضع ، ومع تكتم الطرفين ، المقاومة والنظام اللبناني ، في الحديث عما دار في الاجتماعات المغلقة ، الا انه من الممكن تسجيل الملاحظات التالية :

١ — لقد خلت الصحف اللبنانية طوال الفترة التي اعلنت فيها حالة الطوارىء (الغيت في ٤ ت ١ باستثناء منطقة الجنوب) من اي اشارة الى العمل الفدائي ، وشمل ذلك جميع نشاطات ومظاهر وجود العمل الفدائي في لبنان ، ومن ضمنها نشاطاته وانباء تشييع شهدائه ، في معارك التصدي للهجوم الاسرائيلي .

٢ — اقدام حواجز السلطة المقامة على الطرقات بمراقبة تنقلات الفدائيين واحتجازهم .

٣ — انتشار جو من القلق العام دفع رئيس

الوزراء الى نفي وجود انذار موجه للفدائيين (١٧ ايلول)، وقيام وزير الخارجية بابلاغ السفراء العرب ان حالة الطوارىء ليست موجهة ضد المقاومة (١٨ ايلول) . ومن جهة اخرى دفع هذا الجو القلق مشيعي جنازة شهداء المقاومة في بيروت (١٥ الفا) الى رفع شعارات تطالب بالغاء حالة الطوارىء ، كما دفع مشيعي جنازة شهداء المقاومة في صيدا الى رفع شعار يقول « لا ، لا ، للانذار » (١٩ ايلول) .

٤ — وصل محمود رياض ، الامين العام للجامعة العربية ، الى بيروت ، وعقد اجتماعات متواصلة مع المسؤولين اللبنانيين ، ومع قادة المقاومة ، انتهت باجتماع ثلاثي ، في ٢٠ ايلول ، قال محمود رياض على اثره للصحافيين ، انه يسافر وهو متفائل .

٥ — ظهر اثناء ذلك كله بوضوح ، ان الطرفين اللبناني والفلسطيني حريصان على عدم الاصطدام. فقد اعلن صائب سلام اكثر من مرة ، انه لن يكون هناك اي صدام . واعلنت المقاومة اكثر من مرة أنها تتفهم خصوصية الساحة اللبنانية ، والظروف التي تحيط بلبنان .

٦ — كانت اوضح اشارة فلسطينية لجو التوتر القائم ما ورد على لسان السيد زهير محسن عضو اللجنة التنفيذية حين قال ان هناك توترا بين الدولة والمقاومة « اتخذ طابعا اكثر حدة وتأزما اذ ترافق مع محاولات لفرض اجراءات وقيود لا يمكن قبولها » واضاف ان « المقاومة ستظل تحرص الى ابعد الحدود على معالجة كل الاشكالات الطارئة بالحوار الايجابي والاتصالات الودية ... واننا نتفهم واقع لبنان ، ونطلب من لبنان ان يتفهم واقع الفلسطينيين » (٢٠ ايلول) . وعلى اثر هذه الوقائع اعلنت مصادر مطلعة للصحافة يوم ٢١ ايلول انه تم التوصل الى صيغة تعاون بين المقاومة والنظام تقوم على اساس الاستمرار في تجميد النشاط الفدائي ، وتمركز القوات الفدائية خارج المدن والقرى . ولكن يبدو ان استمرار فرض حالة الطوارىء ، واستمرار اعمال الحواجز على الطرقات ، ابقت جو التوتر قائما بالرغم من الاتفاق الذي تم التوصل اليه . ولذلك فقد استمر الحوار ، واستمرت اللقاءات حتى ٢٥ ايلول ، حيث اعلن ان جو التوتر قد انتهى ، وان لجنتين فنيتين قد انتقلتا الى الجنوب لوضع الاتفاق موضع التنفيذ .

وعلى اثر ذلك برز حادثان كان لهما دلالة سياسية واضحة ، الحدث الاول قيام السيد صائب سلام بجولة في مناطق جنوب لبنان ، جرى فيها اعداد استقبالات « رسمية » له ، ابلغ اثناءها بان الاهالي يرغبون ببقاء الجيش وبخروج الفدائيين !! والحدث الثاني قيام السيد ياسر عرفات على رأس وفد فلسطيني بزيارة عدد من الشخصيات السياسية اللبنانية المعروفة برفضها لاتفاق القاهرة (شمعون — اده — الجميل) ، كما قام ايضا بزيارة كل من السيد كامل الاسعد ، وموسى الصدر ، والمفتي حسن خالد . وقد كان اهم هذه اللقاءات الاجتماع الذي تم بين الرئيس فرنجية وياسر عرفات ، وسعد العبد الله وزير الدفاع الكويتي ، وذلك بناء على وساطة كويتية ، قيل انها كانت معنية بازالة فجوة كانت موجودة ، اضافة الى ازالة التوتر العام في العلاقات . وبذلك انتهت جولة جديدة من جولات التأزم بين المقاومة الفلسطينية والنظام اللبناني ، في ظل ظروف سياسية وعسكرية صعبة ومعقدة .

حكومة المنفى : في الخطاب الذي القاه في الذكرى الثانية لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ، فاجأ الرئيس السادات الجميع بدعوته الى تشكيل حكومة فلسطينية مؤقتة ، وباعلانه استعداد مصر للاعتراف بهذه الحكومة اذا ما شكلت . وعلى الفور برزت اسئلة عديدة حول ما اذا كان الرئيس السادات قد اقترح هذا الموضوع بمبادرة منه ، ام بناء على بحث مسبق مع قيادات المقاومة . وبينما اعلنت معلومات صحفية ان السادات بحث اقتراحه مع بعض القيادات ، قالت مصادر المقاومة ، ان احدا من قادتها لم يكن على علم مسبق بالاقتراح ، وانها كانت تفضل لو احاطها الرئيس السادات علما بالموضوع قبل اعلانه . وحول الموقف الرسمي الذي سيتخذ قالت هذه المصادر انه من الضروري التشاور مع بعض الانظمة العربية قبل الاعلان عنه .

وقد لوحظ ان اللجنة التنفيذية ، وفصائل المقاومة كافة ، اتبعت تكتيكا سياسيا يتلخص بنقطتين :

١ — التمهل في رفض الاقتراح .

٢ — صياغة الرفض بطريقة لا تفتح جدلا او معركة سياسية مع القاهرة .

وكان وراء هذا الموقف كما يبدو رغبة المقاومة في تجنب الاجواء التي ساءت بينها وبين النظام المصري عشية الموافقة على مبادرة روجرز عام ١٩٧٠ ، وقناعتها بأن المبادرة مصرية محضة ، لا تعكس اجواء دولية تسعى بالاتجاه نفسه ، ويمكن بالتالي حصر الموضوع وحله ضمن هذا الاطار .

وبالفعل فقد تأخر صدور اي موقف رسمي عن منظمة التحرير حتى ٢ ت ١ ، حيث صدر بيان بعد اجتماع للجنة التنفيذية رفض الاقتراح بشكل غير مباشر حين قال ان اللجنة قررت دعم الكيان الفلسطيني المتمثل بمنظمة التحرير الفلسطينية. وفي الوقت نفسه الذي اذيع فيه هذا البيان وصل الى القاهرة وفد رسمي برئاسة السيد خالد الفاهوم وعضوية خالد الحسن وسامي العطاري وحامد ابو ستة ، وعقد اجتماعين ، الأول مع سيد مرعي الامين العام للاتحاد الاشتراكي ، والثاني مع الرئيس السادات (٧ ت ١) ، وصدر عن هذا الاجتماع بيان جاء فيه ان الرئيس المصري اكد « ان الشعب الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير هو صاحب الحق في تقرير مواقفه » . وقد فسرت هذه الاشارة الى منظمة التحرير ، على انها تتضمن موافقة الرئيس السادات على موقف اللجنة التنفيذية . وكان قد سبق للرئيس السادات ان اعلن في مقابلة مع مجلة الحوادث اللبنانية انه اقترح حكومة المنفى قبل الاتصال بالفلسطينيين . وبذلك اعتبرت المسألة منتهية ، دون ان تولد اي حساسيات .

اما ما يتعلق بالمناقشات الداخلية ، فقد كان هناك اجماع بين الفصائل الفدائية على ضرورة الالتزام بالتكتيك الذي اعلن ونفذ . وحين انفردت الجبهة الشعبية ، باذاعة بيان صحفي (٣٠ ايلول) يعلن رفضها لحكومة المنفى قالت انها لمست « من خلال اتصالاتها الاولية بفصائل المقاومة الاخرى ان هناك اجماعا على رفض المشروع » .

الرسائل الملغومة : وعلى صعيد اعمال العنف ، شهدت هذه الفترة وصول عدد كبير من الرسائل الملغومة الى السفارات الاسرائيلية في الخارج ، والى داخل اسرائيل نفسها . وكشف النقاب عن هذه الرسائل حين انفجرت احداها في يد موظف كبير في سفارة اسرائيل بلندن ادت الى مقتله ، واصابة موظف اخر بجراح يوم ١٩ ايلول . وأعلن في الوقت نفسه ان هذه الرسالة واحدة من تسع رسائل كانت موجهة الى موظفي السفارة ، وعلى أثر ذلك بدأ الاعلان عن وصول رسائل اخرى الى السفارات الاسرائيلية شملت مساحة واسعة من العالم قدر عددها بأكثر من ستين رسالة ، جرى كشف معظمها بعد الاحتياطات الواسعة التي اتخذت .

هذا وقد أعلنت المصادر الاسرائيلية ان الرسائل الملغومة التي اكتشفت كانت تحمل رسائل موقعة باسم منظمة ايلول الاسود ، ولكن المنظمة لم تصدر اي بيان يعلن مسؤوليتها عن الرسائل .

وبالمقابل وقع انفجار في مكتبة متخصصة ببيع الكتب المتعلقة بالقضية الفلسطينية في باريس (٤ ت ١) أحدث اضرارا طفيفة ، واعلنت حركة صهيونية تدعى « حركة مسادا للعمل والدفاع » انها مسؤولة عن الحادث . وفي ٨ ت ١ القيت في بيروت متفجرتان على مكتب منظمة التحرير وعلى مكتب فدائي بمخيم شاتيلا ، احدثا اضرارا طفيفة، وعلق مصدر فلسطيني قائلا ان الاسلوب يكشف عن الفاعلين ، وفهم ذلك على انه اتهام للمخابرات الاردنية بتدبير الحادث .

أما داخل الاراضي المحتلة فقد وقع انفجار كبير يوم ٢٩ ايلول في اكبر مخزن للتموين (سوبر ماركت) في مدينة القدس ، ادى الى اصابة ثلاثة اشخاص بجراح ، واعتقل على اثر الحادث ١٣٠ عربيا للتحقيق معهم .

بلال الحسن

ملحق : تقرير عن معركة القطاع الاوسط

امام التعتيم الاعلامي الذي صاحب ، واعقب ، معارك الاربعين ساعة التي ابتدأت صباح (الساعة الخامسة) ١٩٧٢/٩/١٦ في القطاع الاوسط في جنوب لبنان ، لا بد من وقفة تتناول تلك المعارك من ثلاث زوايا : الزاوية السياسية ، والزاوية العسكرية ، والزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية

اولا : **الزاوية السياسية** : لقد كان طابع الغزو العسكري الصهيوني على القطاع الاوسط ابعد ما يكون عن طابع العمليات العسكرية ضد القوات العسكرية المقابلة . ويستند هذا الرأي على الحقائق التالية : (أ) عدم ترجل قوات العدو من آلياتها لمطاردة الفدائيين او التوجه الى مواقعهم ، الا في الحالات التي كانوا يدخلون فيها قرية اخلى الفدائيون ضواحيها (المرجع : مقابلة « مع آمر الفصيل الذي تصدى للهجوم على مجدل سلم » — كراسة « حرب الاربعين ساعة » — منظمة التحرير الفلسطينية —) ، (ب) تركيز النار على الاهالي ، وعمليات تمشيط لمساكن المدنيين مصحوبة بمختلف الاجراءات الارهابية (المرجع السابق) ، (ج) معارك الصدام مع الفدائيين تمت بمبادرة القوات الفدائية (المرجع السابق) .

كان العدو يعرف سلفا انه لن يستطيع مفاجأة الفدائيين بهجوم يقوم به في ذلك التاريخ ، فقد كانت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قد اصدرت بيانا ، عقب اجتماعها في ٧٢/٩/١٤ ، تعلن فيه عن توقع العدوان ، وتدعو الى اتخاذ الاحتياطات اللازمة . ولهذا ، فمن غير المنطقي ان يكون العدو قد هدف من عدوانه الظفر بالفدائيين وضربهم ، ما دام الغزو اصبح متوقعا ، وما دامت القوات الفدائية المحدودة العدد في القطاع الاوسط قد استنفرت وانتشرت . وفي هذه الحالة ، من غير الممكن القيام بعمليات عسكرية بالقوات البرية الا عن طريق ترجلها من آلياتها لصعود الجبال ونزول الاودية بحثا عن الوحدات الفدائية الغوارية وهذا الذي لم يحدث ، اذ توجهت الاليات الى القرى حيث السكان العزل من السلاح ، لتوجه ضرباتها ، فالمقصود ، اذن ، الهدف السياسي الذي يرمي الى ارهاب اهالي القطاع الاوسط وتحريضهم ضد العمل الفدائي ، اي وضع الجماهير بين خيارين اما التعاطف مع العمل الفدائي والنزول تحت سيف ارهاب اسود بيد جيش العدو الصهيوني ، واما التحرك ضد العمل الفدائي والمطالبة باخراجه من الجنوب نهائيا بل من ارض لبنان كلها ، تحت التهديد بعودة ذلك الارهاب — بكل ما تحمل الكلمة من معنى . هذا من جهة ، اما من الجهة الاخرى ، فممارسة ضغط على السلطات اللبنانية لتتخذ الموقف نفسه .

ثانيا : **الزاوية العسكرية** : يلاحظ من مختلف البلاغات العسكرية التي صدرت عن المقاومة وتلك التي صدرت عن الناطق العسكري اللبناني ، ان الملامح الاساسية للحركة التكتيكية لقوات العدو ، خلافا لعملياته السابقة ، تبدو في عدم استخدامه نيران الطيران بصورة رئيسية كمقدمة للحركة التكتيكية للقوات البرية وكجزء منها ، وذلك راجع لسببين رئيسيين : (١) طابع القوات الفدائية المتواجدة في القطاع الاوسط (محدودة عددها ، انتشارها ، حسن تمويهها ، وكثرة حركتها — وبالمناسبة ، لم تتعرض قوات الفدائيين في القطاع الاوسط منذ عام ١٩٦٩ لاية غارة جوية) . (٢) طابع الهدف الذي تحركت الحملة الصهيونية لتحقيقه . في الواقع ، لم يقصف الطيران خلال تلك الغزوة سوى اربعة مواقع وهي : (١) بيت ياحسون (٢) الجمجمة (٣) بير السلاسل (٤) سيارة تحمل مدفع ١٠٦ بين السلطانية وبير السلاسل . وكانت هذه النقاط كلها للجيش اللبناني تصدت لاليات العدو بمدافع ١٠٦ . ومن هنا يكون دور الطيران في هذا الغزو قد تحدد في تأمين حماية لتقدم الاليات ، ولكن لم تكن نيرانه الشرط المسبق لتقدمها ، فضلا عن دوره الاستطلاعي والتوجيهي . ولهذا يمكن الاستنتاج ان تخطيط العدو ارتكز على توقع دخول منطقة خالية من مواقع دفاعية محددة تحتاج لقصف جوي مركز يمهد لهجوم الاليات .

لقد اتاحت هذه الظروف لقيادة القطاع الاوسط امتلاك زمام المبادرة في نصب كمائن لا يتوقعها العدو ، راحت تفاجئه بمدافع (ب ٧) المضادة للدبابات ، وذلك من مسافات لا تزيد على خمسين مترا مما عطل امكانية اشتراك الطيران في حماية الدبابات من الكوارث التي حلت بها . ولقد اتقنت الوحدات الغوارية المؤلفة من ٥ — ٧ فدائيين مسلحة بمدفع ب ٧ هذا التكتيك وقد اصابت نجاحات اكبر بكثير من احجامها ومستوى تسلحها . ان دراسة تجربة هذه المعركة من ناحية نصب الكمائن ثم الانسحاب السريع بعد الصدام مع الدبابات المتقدمة ثم العودة لنصب كمائن جديدة او مطاردة أطراف من قوات العدو ، دون ان يتاح للعدو الافادة من طيرانه .. ان دراسة هذه التجربة سوف تسهم في اغناء فن التكتيك الغواري في ظروف التصدي لقوات آلية مدعومة بطيران نشط ودقيق ، اي ظروف التطورات التقنية الجديدة وسرعة

الحركة التكتيكية للقوات الآلية البرية وللطيران .

يقول الاخ القائد العسكري لقوات الثورة في القطاع الاوسط في جوابه على سؤال مراسل « فلسطين الثورة » ـ الاربعاء ، ٢٧ ايلول ١٩٧٢ ، صفحة ١٠ ـ : « لم يعد سرا ان وجودنا العسكري في القطاع الاوسط كما تنص عليه اتفاقية القاهرة والتفسيرات الملحقة به هو **وجود محدد** من حيث العدد ومواقع التواجد ، وبأن تسليح هذا القطاع لا يتجاوز الاسلحة الفردية الصغيرة وهو لهذا ليس قطاعا عسكريا يستطيع ان يقوم بمهمات دفاعية عن القرى او المنطقة ... مثل هذه المهمة تحتاج الى اعداد وتسليح وتكتيكات مختلفة . ولهذا فان خططنا لا تقوم على اساس الدفاع (الكلي) بل على اساس الدفاع (الموضعي) بهدف ايقاع اكبر خسائر ممكنة بالعدو ثم الانسحاب وشن غارات فدائية على مواقع وتحركات قوات العدو ، وهكذا فعلنا .

الذين يطالبوننا بالدفاع عن القطاع الاوسط ومنع العدو من دخوله لا يعرفون معنى حرب العصابات ، ولا يعرفون وضع القطاع كما تحدده اتفاقية القاهرة . ثمة ثلاث موضوعات في هذا التصريح : (١) اعداد الفدائيين محدودة جدا ، كما ان الاسلحة فردية خفيفة فهو لهذا ليس قطاعا عسكريا دفاعيا بالمعنى المحدد للكلمة (دفاعي) ، (٢) الدفاع هو من طراز الدفاع الغواري ـ الموضعي المتحرك ، (٣) التكتيك الهجومي هو شن غارات غوارية الطابع على مواقع العدو وتحركاته . وتعني هذه السمات الثلاث ان القوات الفدائية في القطاع الاوسط ، خلافا لمواقع اخرى ، ذات طابع الوحدات الغوارية المتحركة التي تتجنب المواجهة الواسعة وتقصر دفاعها على الدفاع « الموضعي » الجزئي المتنقل الذي يأخذ شكل الكمائن الدفاعية ـ الهجومية ، كما تقصر هجومها على الهجمات بوحدات صغيرة متفرقة تقررها كل وحدة غوارية زمانا ومكانا واسلوبا في اثناء سير المعركة .

ثالثا : **الزاوية الخاصة بالحقيقة التاريخية** : كان باستطاعة قوات الثورة الفلسطينية ، نظرا لمحدودية عددها وخفتها ، ولمعرفتها المسبقة بالهجوم ، ولطبيعة الارض في القطاع الاوسط ، ان تستخفي تماما من وجه العدو ، وتتجنب اي صدام معه ، ولكنها قررت نصب الكمائن وشن الهجمات الغوارية طوال اربعين ساعة ، وحافظت على وتيرة تكتيكاتها الهجومية حتى مغادرة اخر آلية معادية ساحة المعركة ، وكانت نتيجة هذه الكمائن والهجمات « تدمير واعطاب عدد كبير من الدبابات والدروع ، امكن احصاء ١٣ منها احصاء دقيقا » (المصدر السابق ص ١١) فضلا عن اعداد من القتلى والجرحى ، لا تقل عن السبعين ، عدا الاليات التي دمرها الجيش اللبناني .

رغم كل ذلك ضرب ستار من الظلام على المعارك التي خاضها الفدائيون في تلك الحملة المعادية ، ولم يعرف الراي العام الا بمعركة جويا ، بسبب وجود مراسلين اجانب في القرية في اثناء الاشتباك ، ولكن الحقيقة ان معركة جويا التي وصفها المراسلون الاجانب بانها « جهنم فتحت نيرانها » على قوات العدو الصهيوني ، لم تكن قمة ما خاضه الفدائيون من معارك في تلك الحملة المعادية ، فقد كانت معارك عيناتا ومجدل سلم ، وتبريخا ، والرمادية ، وصدقين لا تقل عنها ان لم تكن معركتا مجدل سلم وتبريخا اشد وطأة على العدو . مثلا لقد كانت معركة عيناتا اشتباكا مع قوات العدو دام ثلاث ساعات ونصف الساعة (من الساعة الثانية والنصف حتى السادسة من صباح اليوم التالي) وقد شلت الكمائن المتقدمة خارج عيناتا قوات الكوماندوز المعادية ودمرت آليتين . اما معركة تبريخا فقد دمرت فيها آليتان في مشارف القرية . ثم فوجئت قوات العدو بعد دخولها ساحة البلد بحرب شوارع حقيقية دمرت فيها دبابة ثالثة .

السؤال الآن ، الا تستحق تلك البطولات تمزيق ستار التعتيم الاعلامي ، لتسلط الاضواء على تلك المعارك التي تؤكد امكانية القتال ، وتكرس ارادة القتال ، وتدفع بجماهيرنا الفلسطينية والعربية الى التحقق ، اكثر فاكثر ، من صحة استراتيجية حرب الشعب في مواجهة العدو الصهيوني الذي يريد تركيع وطننا العربي بالهراوة ؟

منير شفيق

١ ـ عدوان ١٦ ايلول على لبنان :

كانت الصحف قد اعلنت يوم ٩/١٥ بأن هناك عدوانا واسعا مرتقبا على لبنان ، استنادا الى معلومات « وفا » ، وكالة الانباء الفلسطينية . كما حملت الصحف ، في اليوم ذاته تصريحا لكمال جنبلاط ، ادلى به ، بعد لقاء مع السفير السوفياتي ، جاء فيه : « أبلغنا السفير ان الحالة خطرة جدا بالنسبة للبنان وسوريه والدول العربية . وخصوصا لبنان وسوريا » (المحرر ٧٢/٩/١٥). وكان ابا ايبان في هذا الوقت بالذات يرسل مذكرات شخصية الى نحو اربعين وزير خارجية في العالم يلقي فيها مسؤولية « الارهاب » على سوريه ومصر ولبنان (النهار ٧٢/٩/١٦) . وهذا الاسلوب ، اسلوب تحميل الدول العربية مسؤولية ما يحدث ، ليس جديدا . انه اسلوب قديم ولكن القادة « الاسرائيليين » ما زالوا يعتبرونه الاسلوب الوحيد الناجع في ملاحقة المقاومة الفلسطينية ، وفي اخضاع الدول العربية . لقد أكد دافيد اليعازر هذه الحقيقة ، معتبرا ان « ... تحميل الدول والحكومات العربية ... المسؤولية » جزء اساسي من استراتيجيته . وكان دايان اكثر وضوحا ، فلقد قال : « اما ان تتولى الحكومة اللبنانية مراقبة الفدائيين ومنعهم من العودة الى ارض فتح ... واما ان تتولى اسرائيل ذلك ، وفي هذه الحال فان ارض العرقوب ستمر فيها دوريات عسكرية اسرائيلية في شكل منتظم » . واشارت جولدا مئير الى القضية ذاتها قائلة : « ... ان اسرائيل مصممة على ضرب لبنان « مرة بعد مرة » اذا لم يلغ الوجود الفلسطيني من ارضه ... لن ننتظر كي يضربونا ... اننا سنهاجمهم حيث نعثر عليهم » (الجديد ، ٣٠٣ ، ٧٢/٩/٢٩). وكانت آخر « النظريات » التي اعلنت في هذا المجال نظرية حاييم هرتزوغ المعلق الرئيسي في اذاعة العدو . وترى هذه « النظرية » : « ان مجرد وجود الفلسطينيين في جنوب لبنان ، ولو لم يقوموا بأي نشاط كاف كي تدخل اسرائيل الاراضي اللبنانية وتهاجمهم » نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/١٢) .

وهدف دولة الاحتلال من هذه التصريحات والحملات الدعاوية واضح ومحدد : انه دفع الدول العربية الى تصفية المقاومة الفلسطينية تحت وطأة التهديد باجتياح اراضيها واحتلالها . الدول العربية مطالبة بأن تتحول الى أداة قمع وتصفية . والمثل الذي تتغنى به دولة الاحتلال هو مثل الاردن . لماذا لا يفعل لبنان مع المقاومة ما فعله الاردن ؟ ودولة الاحتلال لا تحتاج الى مبررات : فليس من الضروري ان يكون هناك « مبررات » لعدوانها ، انها تعتدي ساعة تشاء ، وهي تعتدي حسب استراتيجيتها ووفق اهدافها . وما تريد سحقه الآن ليس قاعدة مقاومة هنا او مركز قيادة هناك . انها تريد سحق ارادة القتال في المنطقة ، ليجد الاستسلام طريقه الى النفوس ، ومن ثم الى الواقع . ولكي يتحقق هذا لا بد من أن تصبح دولة الاحتلال سيدة المنطقة بلا منازع ، تحكمها من تل ابيب دون ان تحرك طائرة او جنديا ، تأمر فيمتثل الآخرون ، تومىء فيستجيبون .

ولقد اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى هذه الحقيقة قائلا : « ... مغزاه ان اسرائيل اصبح لها من السطوة في المنطقة ما يجعلها تستطيع باشارة من اصبعها ان تؤثر في تطورات داخلية تماما ، خاصة باقطار عربية شتى » . وذكر في هذا المجال رادارا لبنانيا طلبت دولة الاحتلال ايقافه عن العمل فتوقف ، كما ذكر مشروع اده في استثمار مياه الانهر اللبنانية ، وكيف ان المشروع مجمد بسبب الخشية من دولة الاحتلال . ويضيف الاستاذ احمد بهاء الدين : « ان ارادة اسرائيل وارادة اميركا كلتيهما اصبحتا في وضع يتيح لهما أن يسمحا بهذا ولا يسمحا بذاك ، وان يؤثرا في مجريات الأمور ، حتى الداخلية في هذا القطر العربي او ذاك . ومع مرور الزمن سوف تتسع الدائرة التي يمكن التأثير فيها على هذا النحو » (الأهرام ٧٢/٩/٢٤).

وما فعلته دولة الاحتلال صبيحة يوم ٧٢/٩/١٦ لا يخرج عن اطار هذه الاستراتيجية التي تستهدف اخضاع الارادة العربية من خلال التهديد ، فان لم ينجح فبالعدوان .

وما كاد العدوان « الاسرائيلي » يبدأ حتى بدا رد الفعل اللبناني يأخذ ابعاده . وتمثل رد الفعل اللبناني فيما يلي :

اولا : اعلان حالة الطوارىء . ثانيا : توجيه انذار الى المقاومة ، يلغي اتفاق القاهرة عمليا . ثالثا : التركيز على دور الجيش اللبناني واغفال اية اشارة الى دور المقاومة . رابعا : فرض الرقابة على الصحف ووسائل الاعلام ومنعهـا من الاشارة الى كلمة المقاومة ، او كل ما يدل عليها .

وبدا واضحا ان هذه الاجراءات السريعـة ، وخاصة اعلان حالة الطوارىء وتوجيه الانـذار الى المقاومة ، جاءت ضمن خطة مبيتة ، وبالاتفاق مع اوساط دولية ، وانها أعدت سلفا ، وبهدف تصفية المقاومة في لبنان . وزاد من القناعة بهذا تركيز السلطة على دور الجيش ومقاومته وصموده واغفال دور المقاومة نهائيا ، ومحاولتها الغاء المقاومة من ذهن المواطن العادي بشطب كل ما يدل عليها من قاموس الاستخدام اليومي . كما لعب انتشار الحواجز العسكرية والحصار الذي فرض على قواعد المقاومة دورا كبيرا في تأزيم الموقف وايصال الامور الى حافة الصدام .

هل كانت السلطة تريد صداما في هذا الوقت بالذات ؟. ان السلطة كانت تريد تقليص حجم المقاومة في هذه المرحلة . وارادت ان تلجأ في ذلك الى : أ ــ استغلال ظروف العدوان والتهديـد باحتلال اراضي الجنوب . ب ــ الضغط السياسي على المقاومة ، باستخدام وسائل الضغط المختلفة، ومنها التهديد بالصدام . جـ ــ الصدام المحدود ، او الاشتباكات المحدودة ، اذا اقتضى الامر ، ويعود ذلك الى ان الصدام الشامل يحتاج الى تعبئة سياسية وعسكرية اكبر ، والى جو عربي اكثر ملاءمة ، والى مناخ داخلي اكثر تهيؤا ، وحتى يتهيأ كل ذلك يجري تقليص حجم المقاومة ودورها في لبنان عن طريق سلسلة من الضغوط ، ثم سلسلة من الاتفاقيات مع قيادة المقاومة .

وتركز اهتمام السلطة في هذه الجولة عـلى قضيتين : الاولى ــ عدم استخـدام الاراضي اللبنانية منطلقا لعمليات الحدود . الثانية ــ خروج قواعد المقاومة من القرى والمدن .

واهمية القضية الاولى تنبع من ان هذا الاتفاق يجمد قواعد المقاومة ، ويتركها فريسة الشـعور بأنها مجمدة ، لا تفعل شيئا . واذا كان هذا الوضع سيمزق المقاتل الرابض في قاعدته ، فانه سيترك المواطن يحس ان هذه القوات المجمدة لا جدوى من وجودها . اما فيما يتعلق بالقضية الثانية ، فان الخروج من المدن والقرى يزيد من عزلة المقاتلين ، ويضاعف من فرص الاستفراد بهم وضربهم . ان هدف الخروج من القرى والمدن في لبنان ، لا يختلف عن هدف نقل المقاتلين في الاردن الى احراج جرش وعجلون ، الخالية من السكان . وقد جرت تغطية القضية بستارين : الاول يبرز ضعف لبنان وعدم قدرته على المجابهة ، وعجز الدول العربية عن انتهاج سياسة دفاعية ناجعة . والثاني ، يبرز رغبة السكان في الجنوب في ان يعيشوا آمنين ، وان يكونوا في منجى من الانتقام الاسرائيلي .

وهكذا اصبح وجود « العمل الفدائي » في لبنان هو المشكلة . ولذلك فقـد اخذ بعض الاصوات يطرح الحل . وها هو غسان تويني في افتتاحية للنهـار يبـادر بعد العدوان مباشرة الى طرح استراتيجية جديـدة للمقاومة الفلسـطينية تقوم على الاسس التالية : ١ ــ القوات العسكرية للمقاومة تتحول الى جزء من القوات النظامية العربية ، وتعمل ضمن استراتيجيتها . ٢ ــ تنتقل المقاومة الى العمل السري على طريقة ايلول الاسود . ومع ان هذه الافكار ليست جديدة ، اذ انها تمثل خطا معروفا داخل المقاومة وخارجها ، فقد بدأت تطرح من جديد طرحا وإلحاحا ملحا . وكان بيير الجميل من الذين خاضوا غمار الحديث عن القضية في مؤتمر حزب الكتائب (النهار ، ٢٣/٩/٧٢) . وقد ركز الشيخ بيار الجميل على ثلاث قضايا اساسية : الاولى : ان تفرق المقاومة بين العمل الفدائي والعمل العسكري « على اساس ان العمل العسكري ليس اوانه ، ولهذا السبب كان « العمل الفدائي » وليس من مبرر للعمل الفدائي ، سوى هذا السبب تقريبا . بمعنى انه اذا استحال العمل الفدائي عملا عسكريا ، فقد مبرره الاساسي الوحيد ، وكان وبالا على نفسه وعلى قضيته وعلى العرب جميعا » . الثانية ــ ان لبنان هو الذي يحدد نوع مساعدته للمقاومة وحجمها « وينبغي ان تقبل المقاومة بالمساعدة التي يقدمها لبنان الى كفاحها العادل ، بنوع هذه المساعدة ومقدارها ، قبولا يكون اقرب الـى الاقتناع منه الى التسليم بالامر الواقع ... دور لبنان في المعركة لا يحدد قياسا على حاجات المقاومة وهي كثيرة وحجمها يفوق حجم امكانات لبنـان بأشواط » والمقاومة عندما تطالب مثلا بالعمل من

حدودنا « ... انما تفرض علينا نوعا من انواع الاحتلال ، وتقودنا الى معركة بل الى معارك غير متكافئة مع اسرائيل نتيجتها خسارة الارض والكرامة وآخر ملاذ للمقاومة نفسها » . الثالثة : ان لبنان لا يريد التورط في صراع مع المقاومة . « واذا كانت اسرائيل تتوخى من انتقاماتها استدراجنا الى هذا الصراع فعبثا تحاول » . هذا ما يقوله الشيخ بير . ويضيف : « لاننا، بين هذه الانتقامات وبين حرب أهلية في بلادنا يكون الفلسطينيون طرفا فيها ، نفضل الحالة الاولى ، وهي شر كبير لكنه أهون الشرين ! واتفاق القاهرة ما كان الا تحت ضغط هذه الضرورة او هذا الاختيار الصعب » . ولكن الشيخ بير يضيف قائلا : « لكنا نأمل الا تحاول المقاومة استغلال نقطة الضعف هذه بهذا الشكل او ذاك . أي ان تتخذ من خوفنا من الحرب الاهلية أداة لكي تنتزع منا ما تريده . لان حرصنا على الوحدة الداخلية يكون حرصا لا معنى له ، ساعة يصبح مدرجة الى التسليم بانهيار تام ! »

وبعد ان يؤيد الشيخ الجميل اجراءات الدولة يحدد ما يسميه « التزاماتنا تجاه القضية وابنائها ، أيا كان تصرف المقاومة ، ومهما تمادت في تورطها واخطائها » . وهذه الالتزامات في رايه « ... اما ان تكون حلقة في خطة عربية شاملة متكاملة ، نشترك نحن في وضعها ، واما ان نتولى نحن تحديدها بأنفسنا ، بالتفاهم مع المقاومة اذا أمكن وأرادت هي نفسها هذا التفاهم طبعا ، اذ نكتفي باستيحاء ضميرنا ووجداننا وطاقات البلاد وأمكاناتها وسلامتها » . ويلتقي هذا الخط مع الخط الذي طرحه غسان تويني ، وهو خط يريد ان يحدد للمقاومة طبيعة وجودها على الاراضي العربية اولا . وهو ثانيا يريد ان يقرر لها شكل عملها ونوع عملياتها . ثم — ثالثا — ان هذا الخط يريد ان يقنع المقاومة بأن لكل بلد عربي دورا هو يحدده على ضوء امكاناته . رابعا : وفوق هذا كله ، فان لبنان مستعد ان يمضي الى الحرب الاهلية ، اذا لم تتكيف المقاومة مع متطلبات وضعه .

ويستهدف هذا الخط تكييف ارادة المقاومة مع وضع الانظمة واخضاع قواها العسكرية الى خطة عربية شاملة ، وجعل قواها السياسية اقرب الى التمثيل الدبلوماسي منها الى التنظيم الشعبي . ويستر هذا الخط نفسه بالحديث عن ضرورة « العمل الفدائي » ، وبالتغني بالسرية وبالبول الاسود . ولكن هذا الشعار يخفي وراءه حقيقة مهمة وهي ان هذا الخط يرفض العمل السري في الحقيقة ، وما تغنيه به الا من باب الخديعة . وهو اذا كان يسعى للاستفادة من عملية كعملية ميونيخ ، فما ذلك الا للضغط على القوى العالمية من اجل حل عاجل للقضية الفلسطينية . ولكن مثل هذا الحل يتطلب ان تتنازل المقاومة الفلسطينية عن مواقعها ومكتسباتها ، وان تدمر اعمدة قوتها . وهو ما تعمل من اجله قوى مختلفة عربية وغير عربية . لان المقاومة اذا فعلت ذلك دخلت حلبة الحل الاستسلامي . وهو ما يراد لها . هذا ما طلبه لبنان الرسمي من المقاومة ، وما أيدته فيه قوى لبنانية معروفة . وبالمقابل كان هنالك موقف القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية والجماهير المساندة لها .

واليوم وبعد مرور شهر ، تبدو الازمة هادئة ، مع ان الوضع استمر كما كان . فهل يعني هذا ان الازمة قد انتهت ؟ لا طبعا .

ان ما حصل لا يعدو ان يكون عملية « تهدئة » . واذا كانت قد حصلت اجتماعات ولقاءات « ... فحصيلة هذه اللقاءات لم تكن اكثر من « حوار » منع الصدام « مؤقتا » وجرى فيه استعراض « لوجهات النظر » دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، وهذا يعني ان التوتر قد يعود في أية لحظة ، بالرغم من « النوايا الحسنة » و« الثقة المتبادلة » . ويعني أيضا — وبصراحة — ان المساعي التي بذلت ، بما في ذلك مساعي الكويت كانت مساعي تهدئة اكثر منها مساعي تسوية او حل نهائي . اذا فالوضع كله قابل للانفجار في أية لحظة ، وكل ما حدث حتى الان هو « تجميده » مؤقتا ريثما يجري البحث عن حل نهائي » (الحوادث ٦/١٠/٧٢) .

ولكن ما هو هذا الحل ؟ انه احد اثنين ، فاما ان تبقى المقاومة وتصبح طليعة وطن عربي مقاتل ، او ان تتكيف وتصبح جزءا من واقع الاستسلام الحالي . وبما ان تحول الوطن العربي الى وطن مقاتل قضية بحاجة الى الكثير من النضال والعرق والدم ، فان المقاومة ستواجه ازمات مقبلة اكثر حدة .

ان العدو يعرف نقاط ضعف السياسة العربية ، وهو لذلك سيعمد الى مزيد من الهجمات ، والى مزيد من التهديدات والضغوط . وسيزداد عدد

الذين يتظاهرون ، لانهم لا يريدون الفدائيين (الجريدة ١٥/١٠/٧٢) ، وستزداد صراحة الانظمة في اعلان عجزها عن مقاومة العدو . وستزداد الصراحة ، الى جانب ذلك ، في مطالبة المقاومة بالرحيل ...!

ان الاشهر الستة المقبلة اشهر خطرة ، ستعمل دولة الاحتلال خلالها على فرض امر واقع جديد ، جغرافي او سياسي او الاثنين معا ، لانها تريد ان تقدم لرئيس الولايات المتحدة الجديد خارطة جديدة يباركها . لقد انتهى عدوان السادس عشر من أيلول ، وهو يبدو الان ، وبعد شهر ، عدوانا فاشلا . ولكنه في الحقيقة بداية مرحلة جديدة من مراحل الصراع العربي — الإسرائيلي تريد لها دولة الاحتلال ان تنتهي بالاستسلام الكامل . ولكنها تريد لها ان تمر قبل ذلك ، عبر مقبرة المقاومة .

٢ — حكومة منفى فلسطينية :

بادر الرئيس السادات الى طرح موضوع حكومة المنفى . وحين سئل عن الاسباب اجاب :

« ... سبب الاقتراح ان غولدا مئير تنكر وجود الفلسطينيين . ومن الضروري ان نرد على هذا التحدي . فعندما تريد اسرائيل الغاء الشخصية الفلسطينية لا بد ان نؤكد هذه الشخصية ونعترف بها رسميا » . وحين سئل عما اذا كان أخذ رأي المنظمات الفلسطينية في الموضوع اجاب : « ... لم يحدث اي اتصال مع الفلسطينيين حول هذا الموضوع » (الحوادث ٦/١٠/٧٢) . فالاقتراح اذن لا يعدو ان يكون رداً على دولة الاحتلال التي تلغي الشخصية الفلسطينية . وهو من هذا الباب، وفي رأي الرئيس السادات ، خدمة للقضية الفلسطينية وللشخصية الفلسطينية المهددة بالالغاء.

ولكن الطابع الجديد للشخصية الفلسطينية طابع نضالي . ونستطيع ان نقول بأن انطلاقة يناير سنة ١٩٦٥ هي التي بعثت الشخصية الفلسطينية واعطتها محتواها ووجودها الحالي ، وعليه فان استمرار هذا النضال هو الذي يبلور هذه الشخصية ويحميها . وبما ان هذا النضال يتعرض للتآمر والملاحقة ، فان حمايته ، هي الوسيلة الوحيدة لمنع دولة الاحتلال وغيرها من الغاء الشخصية الفلسطينية . وماذا يمكن ان تفعل حكومة منفى لشعب الفلسطيني اذا ضربت قواه المنظمة والمسلحة ؟

لذلك فان المحافظة على الشخصية الفلسطينية تتطلب : ١ — حماية المقاومة الفلسطينية ومكتسباتها وانجازاتها ، وعلى راسها قواها المنظمة والمسلحة . ٢ — حماية حق المقاومة الفلسطينية في الحركة ، وحقها في التنظيم والتسليح والتعبئة . ٣ — مساندتها ماديا ومعنويا ، لتكون قادرة على تصعيد نضالها ، وعلى احباط المؤامرات التي تحاك ضدها .

وحكومة المنفى عندما تطرح بعيدا عن هذا كله تقود الى « ... اقناع الفلسطينيين بدخول عالم الواقعية ، وهو العالم الذي تتحرك ضمنه الان الانظمة العربية المعنية مباشرة بالنزاع مع اسرائيل» (النهار ، العالم يكتشف الفلسطينيين ، عبدالكريم ابو النصر ، ١٠/١٠/٧٢) . ان الحرص على الشخصية الفلسطينية والقضية الفلسطينية يعني الحرص على طابعهما النضالي الثوري ، لانهما لا تتبلوران ولا تبرزان الا بالنضال عموما وبالنضال الشعبي المسلح خصوصا .

ناجي علوش

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

جاءت عملية أيلول الاسود في ميونيخ ، التي تابعها على شاشات التلفزيون مئات الملايين من المتفرجين في انحاء العالم ، لتزيد اهتمام الاوساط العالمية (والغربية منها بشكل خاص) بقضية فلسطين والشرق الاوسط . وبادرت المانيا الغربية باتخاذ اجراءات تعسفية ضد المواطنين العرب ، فحدت من حرية تنقلهم ودخولهم ، وطردت المئات منهم من العمال والطلبة ، وخلقت هذه الاجراءات والحملة الصحافية الرجعية جوا من العنصرية ضد العرب جعل احد المعلقين الفرنسيين يشبه بين وضع العرب الان في المانيا ووضع اليهود بعد امتطاء هتلر سدة الحكم عام ١٩٣٣ . وفي هذا الجو المشحون بالعنصرية والحقد ، والذي يرافق فترة الاعداد للانتخابات النيابية حيث يتبارى الحزبان الرئيسيان الاشتراكي الديموقراطي والديموقراطي المسيحي في اعلان « حرصهما على الامن الداخلي » ، اتخذت الحكومة الفيدرالية قرارا بمنع اتحادي طلبة وعمال فلسطين في المانيا بتاريخ ١٩٧٢/١٠/٤ ، وقامت شرطتها بمداهمة مقرات الاتحادين في جميع انحاء المانيا وباعتقال وطرد اكثر من مئة كادر من كوادرهما ، وازاء حملة القمع هذه، أعلن عدد من الطلبة الفلسطينيين يوم ٩/٢٩ الاضراب عن الطعام في مقر الجامعة العربية في بون احتجاجا ، وشاركهم فيما بعد في الاضراب عدد من الطلبة الايرانيين . واستمر الاضراب عشرة ايام ، قامت خلالها عدة تظاهرات تضامن نظمتها الحركات اليسارية الالمانية والاجنبية كان أهمها تظاهرتي فرانكفورت يوم ٩/٢٩ ودورتموند يوم ١٠/٨ . وامتدت حركة الاحتجاج الى فرنسا حيث قام أكثر من ثلاثين طالبا عربيا وايرانيا بمبادرة من فرع اتحاد طلبة فلسطين بالاعتصام مضربين عن الطعام في مقر الجامعة العربية في باريس وذلك ابتداء من يوم ٩/ ١ ، وشاركت الحركات اليسارية الفرنسية في حملة الاحتجاج هذه . وقد عم السخط العالم العربي ازاء هذا الجو الارهابي ، وطالبت الاوساط الشعبية وبعض الحكومات باتخاذ اجراءات مقاطعة ضد الواردات الالمانية ومعاملة مواطني المانيا الغربية بالمثل .

وقامت دول أوروبية اخرى كبلجيكا وهولندا وسويسرا باتخاذ اجراءات للحد من دخول المواطنين العرب ومراقبة تحركات منظماتهم النقابية خاصة بعد ان وردت السفارات الإسرائيلية في أوروبا والقارات الاخرى رسائل متفجرة نسبت الى أيلول الاسود وأدت الى مقتل ملحق زراعي اسرائيلي في لندن ، وبعد جرح ملحق اسرائيلي في سفارة بروكسل اطلق عليه النار مواطن مغربي . وحاولت الاوساط الاسرائيلية ان تصبغ هذا الجو بصبغة عنصرية ، فانتشرت تهديدات مزورة ضد الممتلكات اليهودية في أوروبا وشبت الحرائق المشبوهة في بعض البنايات التي يمتلكها يهود فرنسيون في باريس . والهدف من ذلك هو محاولة جديدة للخلط بين المقاومة الفلسطينية واللاسامية في اذهان المواطن الاوروبي الذي ما زال متأثرا بذكرى المجازر النازية ضد اليهود ، بالاضافة الى عملية ضغط على سلطات اوروبا الغربية لاتخاذ اجراءات قمعية ضد المواطنين الفلسطينيين والعرب اسوة بحكومة برانت في المانيا ، للتوفير على نفسها مشقة الرد بالمثل الذي لن يسمح لها بالاستفادة كلية من الحملة . ورغما عن ذلك فقد قامت احدى المنظمات الصهيونية السرية (التي قيل انها مرتبطة بحزب حيروت) والتي تحمل اسم « مساده » بوضع عبوة متفجرة امام « مكتبة فلسطين » في باريس محدثة بعض الاضرار المادية ، ومثيرة احتجاجات خبيثة (على حد تعبير المنظمة نفسها) من قبل المنظمات الصهيونية الفرنسية والحكومة الاسرائيلية .

ويبدو ان لهذه الحملة علاقة بالمحاولات العربية الرسمية الرامية الى اقامة جسر مع دول السوق المشتركة ، على أمل ان تلعب هذه دور الوسيط في أزمة الشرق الاوسط للضغط على امريكا لتغير موقفها المؤيد بتشنج لسياسة الاحتلال الاسرائيلية وربما كانت فرنسا التي هي الحلقة الرئيسية في مجموعة دول السوق هي المقصودة أساسا في العملية هذه ، الا أن الحكومة الفرنسية على ما يبدو مدركة لابعاد العملية الاسرائيلية وما زالت تطمح الى لعب دور أكبر في ايجاد مخرج لما تسميه « الازمة الحالية في مشكلة الشرق الاوسط » ، في اطار طموحها للعب دور اساسي في حوض البحر المتوسط . وقد ركزت بعض التعليقات المصرية والفلسطينية على هذا الجانب. وتجلى هذا الطموح

الفرنسي والاوروبي في تصريحين رئيسيين احدهما لجورج بومبيدو في مؤتمره الصحفي في ٩/٢١ الذي رد على سؤال حول عملية ميونيخ بالتأكيد على ان العملية وما سماه « الارهـــاب » الفلسطيني التي أدانتها الحكومة الفرنسية بشدة « لا يمكن أن ينتهي ما لم يوجد حل للمشكلة الفلسطينية » . والتصريح الاخر لوزير خارجية بلجيكا هارمل في الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ١٠/٥ الذي أكد على ضرورة مساهمة « المجتمع الدولي في ازالة الاسباب التي تدفع الى اعمال يائسة » وطالب بتحطيم الجمود الخطير الذي يحيط بقضية الشرق الاوسط وأبدى « استعداد اوروبا للمساهمة » في حالة التوصل الى اتفاق سياسي » في حل المسألة الاليمة للاجئي فلسطين » . الا ان الشعور يسود المحافل الاوروبية بأن أي تغيير في الموقف الامريكي لن يحدث قبل انتخابات الرئاسة الامريكية، وبالتالي أي ضغط على اسرائيل لا يمكن ان يتبلور الا في مطلع العام القادم ، رغم بعض الشائعات التي ترددت في القاهرة حول وجود مخطط امريكي جديد حائز على موافقة دول اوروبا ابلــغ الى محمد حسنين هيكل اثناء اقامته الاخيرة في المانيا الغربية (وقد نفت القاهرة وجود مثل هذا المخطط) .

ومع اقتراب افتتـــاح الدورة السنوية للجمعيـــة العمومية للامم المتحدة ، انتقلت أصداء عمليـــة ميونيخ الى محافل المنظمات الدولية . فبعد الفيتو الامريكي على مشروع قرار صومالي — غيني — يوغوسلافي يدين اعتداءات اسرائيل علـــى سوريا ولبنان بعد عملية أيلول الاسود مباشرة (وقد حاز المشروع على ١٣ صوتا وامتنعت باناما وصوتت الولايات المتحدة ضده) ، طالب كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة بتسجيل ما سماه «موضوع الارهاب» على جدول اعمال الدورة . ودار النقاش مباشرة بعد افتتاح الدورة يوم ٩/١٩ حول هـــذا الاقتراح الذي عارضته الدول العربية وبعض الدول الافريقية والاشتراكية . لكن لجنة التوجيه المكونة من ممثلي ٢٥ دولة ، اقرت اقتراح فالدهايم بعد ان تنازل الاخير عـــن طرح الموضوع على الجمعيـــة العمومية واكتفى بأن يطرح على اللجنة القانونية . وقد صوتت ١٥ دولة الى جانب التسجيل ضد ٧ دول وامتناع ٢ وعدم مشاركة رئيس الدورة (الذي هو نائب وزير خارجيـــة بولندا تربشنسكي) في التصويت، وحين احالة جدول الاعمال على الجمعية العمومية ، اقرت الاخيرة أيضا تسجيل موضـــوع « الارهاب » في نص مخفف صوتت الى جانبه ٦٦ دولة مقابل ٢٧ دولة معارضة وامتناع ٣٣ دولة . والدول المصوتة الى جانب التسجيل هي دول اوروبا الغربية كافة (بما فيها فرنسا واسبانيا واليونان) ودول أمريكا الشمالية والجنوبية (باستثناء كوبا وتشيلي) وعدد قليل من دول آسيا وافريقيا (بينها تركيا وايران) الى جانب اسرائيل بالطبع ودولة عربية واحدة هي الاردن . وصوتت ضد التسجيل معظم الدول العربيـــة الى جانب بعض الـــدول الافريقية بالاضافة الى البانيا والصين وكوبا . وامتنعت عـــن التصويت دول اوروبا الشرقيـــة والتشيلي وعدد من دول افريقيا وآسيا واربع دول عربية هي : البحرين ولبنان والسعودية وقطر .

وظهر منذ البدء ان الولايات المتحدة التي تزعمت حركة التشديد على موضوع « الارهاب » كانت تبتغي تحويل الأنظار عن قضايا التحرر الرئيسية في العالم (وخاصة في فيتنـــام وفلسطين) حيث يمارس العنف الثوري ردا على العنف الامبريالي الرجعي ، والتركيز على مظهر هامشي من مظاهر الرد متمثل في عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن . وفي الوقت الذي تحـــاول فيه تغطيـــة التناقض الرئيسي في العالم بين الامبريالية وحركات الشعوب الثائرة ، تبدو وكأنها حريصة على أمن المدنيين والاطفال وكأن مئات المدنيين والاطفال الذين يموتون يوميا تحت قنابلها في الهند الصينية ، ومئات المدنيين والاطفال الذين ماتوا ويموتون تحت قنابل عميلتها اسرائيل ليسوا من الفصيلة البشرية . ولا شك ان الحملة الامريكية الاسرائيلية الاخيرة تستهدف في النهاية استغلال هذا الموضوع للجم اية حركة تحررية في العالم ومن هنا تكمن خطورتها وضرورة التصدي لها بحزم . وجانب آخر خطير يكمن في تشديد بعض الاوساط الامبريالية (بما فيها امريكا نفسها) والرجعيات المختلفة على اهميـــة ايجاد حل سريع « لمشكلة اللاجئين » التي تشكل اساس ظاهـــرة الارهاب على حـــد تعبير هـــذه الاوساط . اي ان هذه الحملة تحمل في طياتها نوايا تصفوية ذات غلاف « انساني » خبيث .

وقد تجلت مواقف الدول كافة في خطابات ممثليها في الجمعية العمومية التي تعرضت معظمها « لقضية الشرق الاوسط » وموضوع « الارهاب » . وافتتح روجرز التدخلات بخطاب دار في ثلثيه (حسب تقدير صحيفة بريطانية) حول الموضوع الاخير ، وطالب

الوزير الامريكي بعقد اتفاقات دولية تقضي بمعاقبة مرتكبي عمليات اختطاف الطائرات واحتجاز الرهائن والتنسيق بين الدول في قمع « الارهابيين » . وتكلم اندريه غروميكو وزير خارجية اتحاد الجمهوريات السوفياتية عن « تأييد بلاده للنضال المشروع للشعب العربي الفلسطيني » لكنه اعرب عن عدم موافقته على « الاعمال الارهابية التي يقوم بها بعض العناصر في الحركة الفلسطينية والتي يستغلها الاسرائيليون لتبرير سياسة القرصنة التي ينتهجونها ضد الدول العربية » . وطرح موريس شومان وزير خارجية فرنسا فكرتين اساسيتين ، على حد تعبيره ، في مشكلة الشرق الاوسط هما « الجلاء عن الاراضي المحتلة ما عدا بعض التصحيحات الطفيفة » الى جانب « تقيد الدول المعنية كافة بالاصول المتعارف عليها في التعامل بين الدول ذات السيادة » . وعلق على عملية ميونيخ معلنا « رفض فرنسا للارهاب وتأييد كورت فالدهايم في محاولته وضع حد للعنف الاعمى » . وتكلم دوغلاس هيوم عن « اخراج السوفيات من مصر » وطالب اسرائيل بأن « تستفيد من هذه الخطوة التي تقرب المشكلة من الحل » . وجاءت التدخلات الاخرى في اطار موقف كل دولة من مجمل القضية الفلسطينية وتعرض الدولة ذاتها لحركات معارضة مسلحة . وتكلم مندوب الصين بين آخر المتكلمين يوم ١٠/٣ وشدد على تبني الصين « لاستعمال العنف الثوري من قبل الشعوب المضطهده في نضالها ضد عنف الامبرياليين والاستعمار القديم والجديد والعنصرية والصهيونية الاسرائيلية » واعلن وقوف الصين الى جانب المقاومة الفلسطينية لكنه اشار الى عدم موافقته على الاغتيالات والاختطافات كاسلوب نضال سياسي يسيء الى قضايا التحرر الوطني . ومن المتوقع الا يؤدي النقاش في اللجنة القانونية وفي الجمعية العمومية الى أي قرار عملي نظرا لمعارضة عدد كبير من الدول للتنسيق على المستوى العالمي .

وعلى صعيد العلاقات العربية ـ السوفياتية ، تبلورت عناصر جديدة خلال شهر ايلول : أهمها توثيق العلاقات السوفياتية مع العراق وسوريا والمقاومة الفلسطينية ثم الاتجاه نحو اعادة الحوار السوفياتي المصري على امل تحسين العلاقات التي ساءت بشكل اكثر علانية منذ اخراج الخبراء السوفيات من مصر في شهر تموز الماضي .

ففي ٩/١٤ ، وصل احمد حسن البكر رئيس الجمهورية العراقية الى موسكو في زيارة رسمية دامت خمسة ايام تميزت بحرارة خاصة وانتهت ببيان مشترك يشمل القضايا المحلية والعالمية . ولوحظ في البيان الفقرة الخاصة بالمقاومة الفلسطينية التي اشارت اليها الصحف الغربية على انها تطور نحو تأييد اكبر من جانب السوفيات . وقد جاء في هذه الفقرة « ان الجانبين أعلنا دعمهما المطلق لكفاح الشعب الفلسطيني لاستعادة حقوقه المشروعة ، ويعتبران حركة المقاومة الفلسطينية جزءا يرتبط عضويا بحركة التحرر الوطني العربية ، واعلنا استمرارهما في تقديم الدعم المادي والمعنوي والمساندة السياسية والمعنوية لهذه الحركة » . واشار مراسل لوموند في موسكو معلقا على هذا البيان ان دعم الاتحاد السوفياتي قد ازداد بشكل ملحوظ للمقاومة الفلسطينية وخاصة لفتح والجبهة الشعبية . وكان تزايد الدعم السوفياتي الاكثر وضوحا لسوريا على اثر الشائعات الاخيرة التي توقعت عدوانا اسرائيليا على الاراضي السورية بعد اجتياح الجنوب اللبناني . ففي ٩/٢٤ نشرت جريدة النهار خبرا مفاده ان جسرا جويا قام بين الجنوب السوفياتي ودمشق لنقل المعدات الحربية بما فيها الصواريخ . واضافت المصادر نفسها ان وفدا عسكريا وصل الى سوريا بهدف ابرام معاهدة عسكرية بين سوريا والاتحاد السوفياتي الا ان الاوساط الرسمية السورية نفت هذا النبأ . واعرب وزير الحربية الامريكي ملفين ليرد على اثر هذه الشائعات عن « قلق اميركا المتزايد ازاء تدفق الاسلحة السوفياتية الى سوريا » . وقد اكدت جريدة البرافدا السوفياتية بتاريخ ٩/٢٩ خبر ارسال الاسلحة والخبراء وقالت « ان سوريا تتلقى الاسلحة الاكثر تطورا ، كما تتلقى مساعدة لتكوين كوادرها العسكرية » كما ذكرت ان الاتحاد السوفياتي يشارك في توسيع مرفأ اللاذقية وامتدحت بالمناسبة قادة حزب البعث في العراق وسوريا . وفي هذا التاريخ نفسه كان الفريق حافظ الاسد يقوم بزيارة سرية لموسكو عاد بعدها الى القاهرة مما دعا المراقبين الى اعتبار هذه الزيارة اسهاما من الرئيس السوري في تحسين العلاقات المصرية السوفياتية .

وقد تبلورت محاولات التحسين هذه في اكثر من بادرة . فرغم بعض التصريحات الانتقادية لبعض

الاوساط الرسمية والصحفية المصرية الى جانب حملة العقيد القذافي المستمرة ضد الاتحاد السوفياتي واتهام النائب الناصري اللبناني نجاح واكيم بعد زيارة للقاهرة للسوفيات « بانهم افسدوا السلاح قبل مغادرتهم لمصر » و« بأن بين الخبراء بعض اليهود » (النهار ٩/١٣ وكريستشن ساينس مونيتر) ، توالت الوساطات وبوادر الانفراج . فقبل الفريق الاسد ، كان كمال جنبلاط قد مر بالقاهرة في طريقه الى موسكو لتسلم جائزة لينين للسلام وفسر هذا المرور بانه محاولة من النائب اللبناني للتوسط . وعاد السفير المصري بعد غياب دام اكثر من شهرين الى موسكو في ٩/٢٧ (الا ان السفير السوفياتي لم يعد الى القاهرة حتى كتابة هذه الكلمات) ، وقام عبدالقادر حاتم بزيارة رسمية الى موسكو لحضور احتفال ثقافي ، تقرر بعده ان يقوم رئيس الوزراء المصري عزيز صدقي بزيارة موسكو في ١٠/١٦ . وتناقلت بعض الصحف الاوروبية انباء تقول ان نجاح مهمة صدقي قد يؤدي الى لقاء بين السادات وبريجنيف في دمشق . كما قبل الرئيس السادات دعوة لزيارة براغ . وقد فسرت الدعوة بأنها جزء من المحاولات الرامية الى اعادة تحسين العلاقات المصرية — السوفياتية .

ويبدو ان السوفيات سيستمرون في سياستهم الحذرة التي تعتمد علىاستمرار التعاون الاقتصادي وتوفير قطع الغيار ، في الوقت نفسه الذي ينتقدون فيه تزايد نفوذ اليمين في العالم العربي (دون التعرض بشكل مباشر للحكومة المصرية) ويحذرون من اية اوهام قد تتولد حول امكانية طرح امريكا لحل عادل للمشكلة .

داود تلحمي

(٤) المناطق المحتلة

برزت في الاونة الاخيرة موضوعات في المناطق العربية المحتلة معظمها نابع من الطبيعة التوسعية لاسرائيل مثل حركة الاستيطان وقضية مشارف رفح وقضية الحرم الابراهيمي في الخليل ، وبعضها ناجم عن متطلبات ملحة مثل الدعوة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، واخر نابع من واقع نضالي مثل بعث المقاومة من جديد في القطاع بعد حملة الاقتلاع والتشريد والتهجير التي بدأت بها قوات الاحتلال في شهر تموز من العام الماضي .

لم يطرأ تقدم على التسوية السياسية التي تكشفت في شهر تموز الماضي بين سلطات الاحتلال والنظام الاردني ، والتي قام بدور الوسيط بها رجالات من الزعامة التقليدية في الضفة والقطاع ، مثل انور الخطيب حاكم القدس سابقا ورشاد الشوا رئيس بلدية غزة ، فقد عاد الوسيط الثاني الى غزة ليجد من يطلب منه الحساب على شكل القاء قنبلة وعيارات نارية على سيارته في محاولة لتصفيته ، اما الاول الذي استقبل « استقبال الملوك » في عمان فقد عاد هو الاخر بعد ان انهى المهمة الموكلة اليه دون ان يلاقي من يحاسبه الا الاسرائيليين الذين تلقوا منه تقريرا عن وساطته . وخلال ذلك كانت النقاشات تحتدم في اسرائيل حول « الثمن » الذي يمكن لاسرائيل ان تدفعه مقابل عقد اتفاق سلام مع الاردن او الدول العربية الاخرى ، وقد تضاربت المواقف حول «حجم الثمن» ففي حين تكتفي التيارات الفاعلة في حزب العمل بابقاء ثلث مساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الاسرائيلية نجد ان الحزب الوطني المتدين «مفدال» وهو شريك في الائتلاف الحكومي يدعو الى ابقاء الضفة الغربية ككل تحت السيطرة الاسرائيلية اما الشريك الثالث في الائتلاف الحكومي (حزب مبام) فانه يكتفي بالقدس وبشريط امني على امتداد النهر وبتعديلات طفيفة على خطوط الهدنة (بالنسبة للضفة الغربية) . وقد افصحت رئيسة الوزراء غولدا مئير عند اشتداد الحوار حول السلام عن رأيها به قائلة : « هنالك مبادىء غدت معترفا بها من قبل الجميع وهنالك مبادىء اقرتها الحكومة بشكل واضح : العودة الى حدود الرابع من يونيو، لا ، لن يتم ذلك ، لن نعود ! حدود جديدة ، حدود سلام مع تعديلات طفيفة — لا ، لا للتعديلات الطفيفة ! هنالك اماكن وخطوط ينبغي ان تكون التعديلات عليها كبيرة ، وهنالك اماكن لا تكون التعديلات عليها كبيرة ، ولكن ليست تعديلات طفيفة ... من الحماقة ان نقوم بلطرون هنا ولطرون هناك . ان الحكومة لم تعين الحدود ، ولكن الانسحاب من الجولان لن يتم ابدا ... اما التعديلات مع الاردن فينبغي ان تكون كبيرة ،

تعديلات كبيرة » (معاريف ٧٢/٩/٨) . ويبدو ان من بين العوامل التي وقفت عثرة إمام التسوية السياسية ، « التعديلات الكبيرة » التي تصر عليها رئيسة الحكومة الاسرائيلية .

حركة الاستيطان : سارت حركة الاستيطان في ثلاثة اتجاهات ، تعزيز المستوطنات القائمة ، واقامة مستوطنة جديدة ، واعداد مخططات لاقامة مستوطنات اخرى ، ففي مجال تعزيز المستوطنات القائمة ودعمها اقرت « لجنة المدراء العامين لشؤون المناطق » اقامة معامل جديدة في ضاحية كريات اربع في الخليل ، وفي العريش ، من بينها اقامة مطبعة اوفست في كريات اربع تصل تكاليفها ١٤٤ مليون ليرة ، كما وسيقام معمل حدادة كبير في العريش . وهنالك خطة لتطوير مستوطنة « دي زهاف » في سيناء ، حيث ستضاف الى المستوطنة ٢٥٠ غرفة جديدة لاستقبال السياح كما وستقام منشآت اخرى تصل تكاليفها ٥،٥ مليون ليرة ، كما جاء على لسان وزير السياحة موشيه كول اثناء الاحتفال بمرور عام علـى تأسيس المستوطنة . ومن الجدير بالذكر ان احد شيوخ القبائل في سيناء ويدعى بـراك ابو عبـد الله قد اعلـن في هذه المناسبة « اننا باركنا المستوطنين اليهود ورحبنا بهم في واحة دهب وان دولة اسرائيل هي دولتنا ونحن مواطنوها » . وفي مجال خلق معالم جديدة ، اقيمت بتاريـخ ٧٢/٨/٢٤ مستوطنـة ناحـال جيتيت في اراضـي قرية عقربة الواقعـة في منطقة نابلس بالقرب من الاغوار ، بعد ان قامت سلطات الاحتلال بالسيطرة على اجزاء واسعة من اراضي القرية ، ورش حقولها بالمواد السامة بواسطة طائرات سلاح الجو الاسرائيلي . اما في مجال المشاريع ، فقد ذكرت الاذاعة الاسرائيلية انه ستقام في هضبة الجولان وغـور الاردن وشمـال سيناء ست مستوطنات جديدة ، اثنتان معدتـان للمهاجرين القادمين من الاتحاد السوفييتي .

قضية مشارف رفح : ما زالت قضيـة مشارف رفح تشغل بال سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، ففـي اعقاب رفض سكان المنطقة الذين اجلوا عن منازلهم بالقوة ومنعوا من العودة الى اماكنهم بعـد ان تم تسييجها من اجل اقامة مستوطنـات اسرائيلية هناك ورفضهم تلقـي تعويضات عـن اراضيـهم وممتلكاتهم ، قامت سلطات الاحتلال بتعيين ضابط كبـير برتبة عقيـد « عوفيد بن دافيد » الحـاكم العسكري السابق لمدينة الخليل من اجل دراسة مشاكل بدو مشارف رفـح وايجـاد الحلول لها ، وتتمثل الحلول في دفعهـم للموافقة على قبـول التعويضات وتوطينهم من جديد في اماكن اخرى ، وقد بذل عوفيد جهودا من إجل «كسر مقاومة البدو» واخذت جهوده تسير في ثلاثة اتجاهات لحل القضية لمصلحة سلطات الاحتلال (١) بذل محاولات لاقناع شيوخ القبائل بالتعويض ، وذلك بعقد اجتماعات متكررة معهم بالتلويح بمبالغ كبيرة (٢) اتبـاع سياسة فرق تسد والعمل على تعميق الخلافـات بين شيوخ القبائل مع ترويج اشاعات بأن سلطات الحكم العسكري تعتزم تنحية الشيخ سليمان الحاو كبير شيوخ القبائل ورمز مقاومة مشاريع سلطـات الاحتلال في مشارف رفح ، الذي اكتسب هيبـة وسمعة وطنية في تصديه الجريء لهذه المشاريع ، كل ذلك من اجل بذر الشكوك في نفوس الشيـوخ وابناء القبائل بغـرض تطويعهم والحصـول على موافقتهم على الامر الواقع . (٣) التخطيط لبناء مساكن دائمة للبدو في اماكن جديدة في الجنـوب الشرقي لرفح ، سيتم في المرحلة الاولى بناء ٦٠ وحدة سكنية ، واذا ما نجحت سلطات الاحتلال في اقناع بعض السكان لقبول هذه الوحدات السكنية كبديل عن منازلهم واراضيهم ، ستقوم بانشـاء وحـدات سكنية اخـرى ، هـذا مع بذل نشاط لاستيعاب الايدي العاملة من بـين صفوفهم فـي المزارع الاسرائيلية وفي مجال البناء ، والانكى من ذلك كله هو اعتماد سلطات الاحتلال شبه الكلي على العمال البدو في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في اراضيهم التي أجلوا عنها بالقوة بغرض خدمـة المستوطنين الجدد ، ولعل هذا الامر هو احـد التعابير الحادة عن الحركـة الصهيونية ، سلب الارض وسيلة الانتاج الكبرى وتسخير ما تبقى من اهلها الاصليين لخدمة السكان الجدد ، هذا مـع العلم ان سلطات الاحتلال اتخذت اجراءات مشددة لمنع دخول ابناء المنطقة الاصليين الى مزارعهم ، وبلغت هذه الاجراءات ذروتها عندما قامت طائرة اسرائيلية بمطاردة الفلاحين من ابناء المنطقة الذين تسللوا الى مزارعهم لجني ثمار حقولهم ، حيث قامت بهدم عرشهم التي تقيهم حرارة الشمس . ومن المعروف ان اهالي مشارف رفح كانوا قـد بعثوا برسائل إحتجاج الى « محكمة العدل العليا » في اسرائيل والى رئيس الدولة زلمان شازار والـى رئيسـة الحكومة ، طالبين فيها انصافهم واعادتهم

الى اراضيهم ، الا ان « محكمة العدل » تماطلت وتهربت من الموضوع على اساس انــه موضوع امني ، اما رئيس الدولة فانــه « لا يرى مكاناً لتدخله في القضية » وفيما يتعلق برئيسة الـوزراء فانها « توافق على ما يفعله الجيش الاسرائيلي » . وازاء هذا الضغط ضمد ابناء القبائل في رفضهم للتعويضات المقترحة التي يزداد حجمها يوما بعد يوم بغرض امتصاص النقمة ، ولا يزال الشيـخ سليمان الحلو متمسكا بالمطلب العادل : العـودة ورفض التعويض « وحتى لو مرت مئة سنة » كما يقول الشيخ الحلو « فاننا لن نتخلى عـن الارض ولن نوافق على التعويضات »(دافار ٧٢/٩/٢٤) .

المستوطنون والحرم الابراهيمي : تفجرت خـلال شهر سبتمبر قضية ابطالها مستوطنون وضحيتهـا كالعادة عرب ، وحكمها سلطات الاحتلال ، وقـد وصلت هذه القضية من الشدة لدرجة ان وجـدت الحكومة الاسرائيلية ضرورة ادراجها في جلســة مجلس الوزراء لتداولها وايجـاد الحلول لهـا . والسبب الرئيسي الذي يكمن وراء هذه القضية هو السبب نفسه الذي يكمن وراء قضية مشارف رفح : التوسع والسلب ، اقامة وقائع جديدة وازالــة معالم قديمة .

تعود اصول القضية الى قصة الاستيطان الاسرائيلي في الخليل والى الترتيبات التي تمت الموافقة عليها بين سلطات الحكم العسكري من جهة وبين رئيس بلدية الخليل ورجال الدين الاسلامي من جهة اخرى بشأن القيام بالشعائر الدينية لمسلمي المدينة العرب ولمستوطني المدينـة والزوار اليهـود في الحـرم الابراهيمي ، او كما يسميه الاسرائيليون « مغارة المكبيلا » . وبموجب هذا الاتفاق اصدر جهاز الحكم العسكري تعليمات تتطرق الى اوقات فتح الحرم امام المصلين المسلمين واوقات فتحه امام المصلين والزوار اليهود (سبع ساعات خلال اليوم) وكذلك الى سلوك الزوار في الحرم مـع المحافظة علـى الهدوء بما يتلاءم وقدسية المكان ، وعـدم حمـل السلاح وعدم تناول الطعام داخله ، كما نصت التعليمات على منع ادخال الحيوانات داخل الحرم . ومن الواضح ان هذه التعليمات موجهة بشكـل خاص الى الزوار اليهود وليس الى رواد المسجد من المسلمين .

وتضمن الاتفاق ايضا تخصيص مكان داخل الحرم لليهود وتخصيص مكان اخر للمسلمين ، وقد وافق المستوطنـون اليهود في ذلـك الوقت على هـذه الترتيبات ، الا انهم في الاونة الاخيرة اصيبوا بحمى التوسع واخذوا يشكون من ضيق المكان المخصص لهم ويطالبون بتوسيعه ، وبما ان الاتفاق يحـول دون ذلك ، قام المستوطنون بتجاوز الاتفاق وانتهاكه حين اخذوا يتوسعون في المسجد لخلق وقائع جديدة ، الامر الذي ارغم سلطات الاحتلال على التدخل في القضية ، بيد ان المستوطنين لم يرتدعوا واخذوا يلجأون الى اساليب مخزية ومشينة ، فقد بدأوا باعمال السلب فاقدموا على سرقة بسط المسجد المعدة للصلاة واحذية المصلين المسلمين والمتاكات الموجودة في الحرم الابراهيمي ، كما اعترف بذلك المتحدث الرسمي باسم الحكم العسكري في الضفة الغربية ، ولم يكتف هؤلاء بالاعمال المشينة التـي جعلت الكثير من المصلين يعودون الى بيوتهم حفاة ؛ بل الحقوا اعمال السرقة والسلب بسلسلـة من الاعتـداءات المشفوعـة بالغطرسة مثل السـب بأحذيتهم في الاماكن المعدة للمسلمين ، والاعتداء على شيخ المسجد الشيخ عاطف الجمودي مـع توجيه الشتائم اليه . ولم يقتصر طيش المستوطنين وغطرستهم على الاحياء بل وصل الى درجة انتهاك حرمة الموتى ، فمن المعروف ان المسلمين يصلون على موتاهم داخل الحرم الابراهيمي ، غيـر ان ذلك لم يرق بعين المستوطنين «وقد هدد المستوطنون اكثر من مرة ، بقلب جنازات الموتى للمسلمين في اثناء طقوس الجنازة » (هآرتس ٧٢/٩/٥) .

عند ذلك وجد الحاكم العسكري نفسه مضطـراً للتدخل وبذل محاولة لايقاف المستوطنين عند حدهم ، خشية ان تنتشر اخبارهم المخزية وتسيء الى سمعة « الاحتلال الليبرالي » ، معترفا « بحدوث تجاوزات متكررة بواسطة مجموعة من بين المستوطنين » في الحرم الابراهيمي ، وعند ذاك برزت القضيـة ، ليست كقضية بين العرب والمستوطنين ، بل كقضية بين الحاكم العسكري والمستوطنين ! وقد اتخـذ نشاط المستوطنين من اجل الاستيلاء على الحرم مسارين له : الاول يتمثل في ارسال مذكرات الـى الجمهـور الاسرائيلـي والى اعضاء الحكومـة والكنيست والثاني يتمثل في محاولة خلق وقـائع جديدة لامتلاك الحرم الابراهيمي وجعله يهوديـا صافيا لا نزاع حوله ، وتعترف صحيفة (هآرتس ٧٢/٩/١٢) بذلك بقولها : « حاول المستوطنون برئاسة الحاخام ليفنجر تدريجيا خلـق امر واقع

لامتلاك اليهود الكامل للمكان بدون أية تحديدات او اعتبار للمسلمين » . وعندما ادرك القائمون على الحكم العسكري انـه من المنتظر ان تقـع اصطدامات في الحرم شرعوا في الحفاظ بدقة على جميع الاتفاقات التي اتخذت ، ورأى المستوطنون بذلك مساسا كبيرا بحقوق اليهود في المكان وبدأوا باعمال مضادة مقصودة ، فعندما كان يطلب منهم خفض اصواتهم في الصلاة فعلوا العكس تماما ، كما حاولوا تجاوز المكان الضيق الذي خصص للصلاة » .

وكان من نتيجة صراع المستوطنين مع جهاز الحكم العسكـري ان تحرك الحـزب الوطني المتديـن « مفدال » واخذ يطالب ويدعو الى ايجاد تسويات جديدة تاخذ بعين الاعتبار الحقوق المتساوية لليهود والمسلمين ، وهذا يعنـي حسب مطالب المفدال اعادة النظر في تخصيص الاماكن داخل الحـرم ، وتسليم الحرم لليهود خلال اعيادهم ، وتسليمـه للمسلمين خلال اعيادهم !! بيد ان « المساواة في الحقـوق » في مكان يعتبر مـن ممتلكات الوقف الاسلامي ، ما هي الا سياسة مرحلية تمهيـدا للسيطرة على الحرم كله .

جامعة في الضفة واخرى في القطـاع : اشتـدت الدعوة في الاونة الاخيرة لاقامة جامعة في الضفة الغربية واخرى في قطاع غزة ، وكانت هذه الدعوة قد برزت بشكل قوى للمرة الاولى في بداية عـام ١٩٧١ بسبب الاوضـاع القاسية التي يمر بهـا خريجو المدارس الثانوية لعـدم وجود جـامعـة تأويهم ، الامر الذي يضع امامهم خيارات بعضها ليس سهلا مثل دخول الجامعة العبرية في القدس حيث انتسب عدد قليل اليها ، ودخول الجامعات العربية ، ولم يكن الامر سهلا بسبب عدد المقاعد المخصصة سلفا لابناء المناطق المحتلة ، ودخـول الجامعات الاجنبية التي تتطلب عبئا ماليا . وكان من نتيجة ذلك وبمرور الزمن على الاحتلال ان اصبح عدد خريجي المدارس الثانوية كبيرا وغدا بمثابـة قضية تبحث عن حل . وازاء ذلك ظهرت ثلاثـة مواقف بارزة (١) موقف دعاة فكرة اقامة الجامعة ويقف وراءه بعض الشخصيات من الزعامة التقليدية مثـل حمـدي كنعان ومحمد علـي الجعبـري ، وشخصيات اخرى من انصار الكيـان الفلسطيني (٢) موقف السلطة الاردنية الذي كـان يتسـم بالرفض المطلق لاقامة الجامعة خشية ان يؤدي هذا

الى بلورة الكيان الفلسطيني (٣) موقف سلطات الاحتلال الذي يتسم بالتأرجح والتذبذب بين قبول الفكرة ومعارضتها (للتوسع في هـذا الموضوع انظر شؤون فلسطينية العـدد الثـالث ص ١٧٢) ، وكحل لهذه المواقف المتضاربة عقـد مؤتمر في ١٩٧١/٤/١٥ في دار المعلمات في رام الله بحضور ٢٥ شخصا من افراد السلـك التعليمي « لبحث المكان الذي ستقام فيه الجامعة ومصادر التمويل » وبعد مداولات استغرقت ٤ ساعات خرج المؤتمرون بقرار ينص على تشكيل لجنة مكونة مـن ١١ شخصا للعناية بشؤون التعليـم في الضفـة الغربية دون التطرق الى موضوع الجامعة ! ومن ثم خفت الاصوات المطالبة باقامة الجامعة ، الا ان وضع خريجي المدارس الثانوية ازداد سوءا فظهرت الدعوة من جديد في الفترة الاخرة ، ولم تقتصر هذه المرة على اقامة جامعة في الضفة الغربية فحسب بل ايضا في قطاع غزة . وقد طرأ تغير على الموقف الاردني حيث اصبح يدعم الفكرة حسب ما جاء على لسان انور نسيبه احد اركان النظـام الاردني في الضفة ، اما موقف سلطات الاحتلال فغدا اقرب الى الايجاب منه الى السلب .

ففي الضفة الغربية قدمت مجموعة من الشخصيات تتكون من رؤساء بلديات وعاملين في السلك التعليمي مذكرة الى جهاز الحكم العسكري من اجل السماح باقامة الجامعة ، وقد تشكلت لجنة تحضيرية مـن بين هذه الشخصيات برئاسة محمد الجعبري لمتابعة الموضوع . وستمول الجامعة حسب ما جـاء على لسان الداعين لاقامتها باموال عربية حيث سترسل وفود الى دول الخليـج والعالـم العربي لهذا الغرض ، الا ان الجعبري صرح بانه « من المتوقع ان تساهم الحكومة الاسرائيلية بقسط كبيـر مـن الاموال اللازمة » وفيما يتعلق بالمكان الذي ستبنى فيه الجامعة فانه لا يزال قيد الدرس ، ومع ذلك فقد اعلن رئيس بلدية رام الله كريـم خلف بـان « المجلس البلدي في المدينة قد اقر بالاجماع فكرة اقامة الجامعة في رام الله لانها تقع في مركز الضفة الغربية ... وان البلدية خصصت قطعـة ارض مساحتها ٢٠٠ دونم سيقام عليها هذا المشروع » وهنالك اتجاه اخر تؤيده سلطات الاحتلال يرمي الى اقامة جامعة تحتوي على اربعة اقسام ، قسـم الدين في الخليل وقسم الاداب في رام الله وقسم الزراعة في طولكـرم وقسم العلـوم الطبيعية في نابلس .

وفي قطاع غزة تدم كل من الدكتور حيدر عبدالشافي، ومدير كلية غزة شفيق طرزي، والمحامي ابراهيم ابو ستة مذكرة الى وزير الدفاع موشيه ديان بشأن اقامة جامعة في القطاع، موضحين بانها ستقام باموال عربية «وانها على استعداد لقبول التبرعات من كل جانب على ان لا تكون مشروطة» وان الجامعة ستكون مستقلة، وستقام في المرحلة الاولى فروع علمية — هندسة وطب وزراعة — وستبلغ التكاليف في المرحلة الاولى ٥ ملايين ليرة اسرائيلية. ويعتقد المبادرون انه اذا ما وافقت اسرائيل على مذكرتهم فان الجامعة ستقام خلال عامين.

عودة الروح والقبور الطائرة : اخذت المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة تبرز هنا وهناك بعد نحو عام من محاولات التصفية الرهيبة التي قامت بها سلطات الاحتلال ضد جماهير القطاع في اواخر شهر تموز من العام الماضي. وقد عبرت المقاومة عن انبعاثها من جديد في عمليات وجهت ضد قوات الاحتلال سواء بوضع عبوات ناسفة في الطرق ام القاء قنابل يدوية ام اطلاق عيارات نارية على السيارات العسكرية. وربما كان التعبير القوي عن ظهورها من جديد هو محاولة تصفية رئيس بلدية غزة رشاد الشوا الذي كانت سلطات الاحتلال قد عينته في منصبه في شهر ايلول من العام الماضي تتويجا لسياسة الهدم والاقتلاع والتشريد بغرض خدمة اهدافها. وقد التجأ الشوا بعد هذه المحاولة الى الصمت، ثم قرر تقديم استقالته في اليوم نفسه الذي كان قد تربع فيه على كرسي رئاسة المدينة في ٧١/٩/٢٣ تلافيا لما يخبئه المستقبل و« لكيلا يعرض حياته للخطر بسبب وظيفته ». وبالفعل قدم استقالته الى اعضاء المجلس البلدي الا ان هؤلاء بذلوا جهدا لثنيه عن قراره ولكنه اصر عليه فما كان من اعضاء المجلس الا ان قرروا بدورهم تقديم استقالتهم. وعند ذلك تخوفت سلطات الاحتلال من تردي الوضع لغير مصلحتها واجتمعت مع الشوا واقنعته بالبقاء في منصبه والعدول عن خطوته التي « ستفسر كمساعدة للفدائيين ».

وفي هذا الجو التي اخذت تبرز فيه المقاومة في القطاع، اخذت في المقابل تبرز اساطير حول شهدائها تصل بهم الى مرتبة القديسين فقد نقل الصحفي الاسرائيلي عزرا ينوف خبرا في صحيفة معاريف (٧٢/٩/٢٦) مفاده ان اشاعات اخذت تتردد في قطاع غزة حول تحرك قبور اربعة شهداء من رجال المقاومة كانوا قد استشهدوا في معركة مع القوات الاسرائيلية قبل عام، واضاف ينوف « ان عشرات من حي الشجاعية اقسموا بانهم شاهدوا بأم اعينهم حجارة القبور وهي تتحرك وان صخرة احد القبور صعدت الى ارتفاع عشرة امتار » وان قسماً اخر من السكان شاهدوا « حجارة القبر وهي تطير نحو الشمس، ثم عادت عند الاصيل وسدت القبر » ويقول ينوف ان خبر تحرك قبور الشهداء انتشر في القطاع بسرعة البرق واصبحت مقبرة الشهداء تستقبل خلال ثلاثة ايام فقط — الالاف من سكان القطاع من اقصى الجنوب الى اقصى الشمال، وان الاشاعات ارتقت الى درجة اليقين، ويضيف « انه يوجد هناك من يطالب بتحويل القبور كمكان مقدس » وينهي الصحفي الاسرائيلي الخبر بقوله ان هنالك اعتقادا بأن « الاعجوبة » كان وراءها بعض الشبان الذين يسعون من وراء ذلك الى تثوير القطاع واستئناف العمل الفدائي في المنطقة. الى هنا تنتهي رواية الصحفي الاسرائيلي. واذا كان هنالك من تعليق حول اسطورة قبر الشهيد الطائر، فيمكن القول انها تدل قبل كل شيء اخر، برغم الخيال الخصب الذي يحيط بها، على مدى مكانة الفدائي الشهيد في قلوب الجماهير، ولا يعيب الاسطورة الخيال الخصب الذي يحيط بها، خاصة اذا كانت نابعة من واقع نضالي خصب، فهؤلاء الشهداء الاربعة وكثير غيرهم من شهداء القطاع تحولت مسيرة جنازتهم قبل عام الى تظاهرة ضد قوات الاحتلال التي حاولت التدخل في الجنازة، وتصدت النسوة العربيات لهذا التدخل ورشقن رجال الدورية الاسرائيلية بالحجارة، ثم تحولت الجنازة الى معركة بين الفدائيين وقوات الاحتلال.

ع.م.

(ه) الاقتصاد الاسرائيلي في النصف الأول من العام ١٩٧٢

تميزت الشهور الستة الأولى من العام ١٩٧٢ بارتفاع كبير في مستوى الاسعار وفي نفقات المعيشة وبنشاط غير عادي في قطاع البناء نتيجة لتدفق عدد جديد من المهاجرين اليهود . كما ان قطاع السياحة شهد نشاطا ملحوظا نتيجة للاستقرار السياسي والعسكرية على الجبهات العربية ، في حين ان القطاع الزراعي لا يزال يعاني نقصا من اليد العاملة . وتقول مجلة اسرائيل ايكونوميست انه نتيجة لتوظيف ٤٠ الف عامل عربي من الاراضي المحتلة في القطاع المذكور ، فان الضفة الغربية وقطاع غزة بدأتا تشعران بنقص في اليد العاملة لديها . وتركزت السياسة الاقتصادية في اسرائيل على محاولة السيطرة على ارتفاع مستوى الاسعار عن طريق تخفيف معدل زيادة كمية وسائل الدفع ، غير ان هذه السياسة لن تظهر نتائجها قبل نهاية العام . فالارتفاع الكبير في مستوى الاسعار الذي حدث في النصف الاول من العام ١٩٧٢ هو نتيجة للزيادة الكبيرة في كمية وسائل الدفع التي حدثت في النصف الثاني من العام ١٩٧١ على اساس ان هنالك عادة فترة زمنية مدتها حوالي ستة اشهر تفصل بين الوقت الذي يتم فيه تنفيذ السياسة النقدية وبين الوقت الذي تترك فيه هذه السياسة اثارها على الاقتصاد ومستوى الاسعار .

وفيما يلي عرض موجز لاهم النشاطات في بعض قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي :

الزراعــة : تقدمت الحكومة الاسرائيلية بطلب الحصول على قرض من البنك الدولي للانشاء والتعمير في حدود ٣٥ مليون دولار بقصد تمويل مشروع خمس السنوات للقطاع الزراعي . وتهدف السلطات الحكومية الى رفع قيمة التثميرات في الزراعة ومصادر المياه الى بليوني ليرة اسرائيلية خلال خمس السنوات بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٦ . اما الهدف الرئيسي من الخطة فهو رفع قيمة الانتاج الزراعي من ١،٦٩ بليون ليرة اسرائيلية الى ٢،٨ بليون ، اي بزيادة قدرها ٤١٪ . وقد رسمت الخطة على اساس زيادة الصادرات الزراعية بنسبة قدرها ١١٠٪ او ما يوازي ٨٦ مليون دولار سنويا . وتأمل السلطات الاسرائيلية في تحقيق الاهداف المحددة التالية : أ — زيادة انتاج الحمضيات بنسبة ٢٣٪ اي ما يساوي ١١٣ مليون ليرة اسرائيلية على اساس الاسعار الحالية . ب — زيادة رقعة الارض المخصصة لاشجار الفواكه ١٢٪ وزيادة المنتوج بنسبة ٢٤٪ . ج — زيادة انتاج الخضراوات بنسبة ٣١٪ . د — التركيز على زيادة انتاج الالبان والدواجن بنسبة كبيرة .

ويلاحظ فيما يتعلق بالسياسة الزراعية ان الاهتمام ينصب حاليًا على زيادة الانتاج من الاراضي المستصلحة حاليا وعلى تنويع مصادر هذا الانتاج، في حين ان السياسة الزراعية في فترة الستينات كانت تتجه اساسا الى زيادة رقعة الاراضي الزراعية ؛ ولا شك ان ذيول حرب حزيران قد فتحت افاقا جديدة امام القطاع الزراعي . فبعد ان كانت القوى العاملة تمثل العامل الانتاجي الاكثر ندرة بالنسبة للمعدات والالات الزراعية انقلب الوضع واصبحت القوى العاملة متوفرة اكثر من قبل وبأجور منخفضة اذا قورنت بمستويات الاجور في اسرائيل قبل الحرب . فقد ادى تشغيل عدد كبير من العمال العرب في القطاع الزراعي الى زيادة الانتاجية الحدية بنسبة كبيرة بعد ان شارف القطاع الزراعي خلال الفترة التي سبقت حرب حزيران الى الوصول الى حالة من التشبع مما يؤدي في النهاية الى تناقص في الانتاجية الحدية عملا « بقانون الغلة المتناقصة » . وعلى ضوء ما تقدم فان القطاع الزراعي بدأ يحتل اهمية متزايدة في الخطة الانمائية الاسرائيلية وهذا يفسر توجيه مزيد من الموارد الاقتصادية صوب هذا القطاع .

القطاع الصناعي : لعل اهم التطورات التي حدثت خلال النصف الاول من العام ١٩٧٢ هو ما اعلنه « بنحاس سابير » وزير المالية عن الخطة الخمسية لتنمية الصناعة في اسرائيل خلال الفترة ١٩٧٢ — ١٩٧٦ . وقد صممت الخطة على اساس ان يكون مجموع الاستثمارات في حدود ٨،٥ بليون ليرة اسرائيلية . اما الاهداف المعلنة فهي زيادة الانتاج بمعدل ٧٠٪ وامتصاص حوالي ٧٥،٠٠٠ عامل اضافي .

وقد شرح سابير الخطة مؤكدا انها تهدف الى ما يلي : أ — زيادة حجم الصادرات الصناعية وتقوية وضعها التنافسي في الاسواق العالمية . ب —

زيادة اليد العاملة وتنوع مهاراتها . ج ـ تصنيع الاماكن النائية في اسرائيل المحاذية للحدود العربية . د ـ زيادة حجم التثميرات الموجهة الى الابحاث والتطوير في الصناعة الاسرائيلية . هـ ـ تحسين الانتاجية الفردية للعامل الاسرائيلي . و ـ زيادة الانتاج الصناعي .

واذا ما قدر للخطة المشار اليها ان تنجح فان ذلك يعني تحقيق زيادة سنوية في الانتاج الصناعي قدرها ١١،٢٪ سنويا . اما الصادرات فان الهدف لتحسينها اكثر طموحا حيث تهدف الخطة الى زيادتها من ٧٥٠ مليون ليرة اسرائيلية الى ١٥٠٠ مليون ليرة . وحيث ان السياسة الصناعية الراهنة تهدف الى انتاج السلع التي تتطلب مهارات عالية فان ٥٠٪ من الـ ٨٠٠٠ عامل جديد هم من المهندسين والعلماء واصحاب الاختصاص الرفيع . ولا يزال القطاع الصناعي وخصوصا الصناعات التصديرية تستأثر باهتمام السلطات الاسرائيلية وبالتالي فانها تحتل الاولوية بالنسبة لتوزيع الاستثمارات الجديدة . على ان اكثر التقديرات تفاؤلا تشير الى ان الزيادة المرتقبة خلال هذا العام لن تكون بنسبة الزيادة التي تحققت في العام الماضي ، وان كانت هنالك زيادة مطلقة لا يستهان بها . فصادرات اسرائيل في خمسة الشهور الاولى من العام ١٩٧٢ بلغت ٤٨٣ مليون دولار موزعة على النحو التالي : الصادرات الصناعية ٢١٣ مليون دولار ، صادرات الماس ١٤٤ مليون دولار ، والصادرات الزراعية ١١٠ ملايين دولار و ١٦ مليونا سلع معاد تصديرها . وكما ذكرنا في مقال سابق عن صناعة الاسلحة في اسرائيل ينتظر ان تصل صادرات اسرائيل من الاسلحة والصواريخ والذخيرة والمعدات الاخرى الى ٨٥ مليون دولار .

السياحة : بعد الهدوء الذي خيم على الجبهات العربية وتقلص حجم العمل الفدائي نسبيا داخل الارض المحتلة تحت وطأة الظروف الحالية ، ركزت السلطات الاسرائيلية جهودها على تنشيط الحركة السياحية في اسرائيل . ولاعطاء فكرة موجزة عن اهمية السياحة المتزايدة بالنسبة للاقتصاد الاسرائيلي نذكر ان دخل اسرائيل بلغ خلال العام ١٩٧١ حوالي ١٨١ مليون دولار من العملات الصعبة وان القيمة المضافة بلغت ٧٩ ٪ وهي أعلى نسبة على الاطلاق اذا قورنت بأي صناعة تصديرية أخرى في اسرائيل . وسجلت الحركة السياحية زيادة في عدد القادمين مقدارها ٤٩ ٪ بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ اذ ارتفع عدد السياح الوافدين من ٤٤١،٠٠٠ الى ٦٥٧،٠٠٠ موزعين على النحو التالي : الولايات المتحدة ٢٥٦،٠٠٠ ، فرنسا ٦٨،٠٠٠ ، بريطانيا ٦٤،٠٠٠ ، المانيا ٣٤،٠٠٠ ، اسكندنافية ٣٠،٠٠٠ ، اسيا ٤٢،٠٠٠ ، افريقيا ٢٢،٠٠٠ ، بلدان أخرى ١٤٧،٠٠٠ . وبهذا يبلغ المجموع ٦٥٧،٠٠٠ .

ومن اجل استيعاب وتوفير وسائل السكن والراحة للسياح فقد ارتفع حجم الاستثمار في الفنادق الجديدة الى ١٠٠ مليون دولار موزعة بين مناطق تل أبيب والقدس والجليل الغربي خصوصا في « نهاريا » وهي مستعمرة قديمة تقع على شاطىء البحر الى الشمال من عكا . وتسعى السلطات الاسرائيلية الى اجتذاب المزيد من الرساميل الاجنبية عن طريق منحها اعفاءات ضريبية واعفاءات جمركية . كما تقوم بمد القطاع الخاص بقروض بفائدة منخفضة وشروط دفع سهلة لكي يزيد من حجم نشاطه في قطاع السياحة . والى جانب ذلك تقوم التعاونيات الزراعية « الكيبوتز » بتأجير منازل أعدت خصيصا للسياح الذين يرغبون في مشاهدة هذه التعاونيات .

ان المتتبع للنشاط السياحي في اسرائيل في العامين الماضيين يلاحظ نشاطا متزايدا في هذا القطاع ومخططات لتوسع اكبر في المستقبل . ويبدو ان الحكومة الاسرائيلية مقتنعة بأن حالة اللاحرب واللاسلم ستستمر فترة طويلة وعلى هذا الاساس فان تشجيع السياحة يصبح هدفا ممكنا ومرغوبا من حيث انه يوفر مصدرا رئيسيا للعملات الصعبة .

التجارة الخارجية : تدل الاحصائيات التي نشرت مؤخرا عن حجم التجارة الخارجية ان حجم الصادرات الاسرائيلية خلال العام ١٩٧١ بلغ ٧٩٧ مليون دولار . وهذا الرقم اكبر من مثيله في السنة السابقة بـ ٢٣،٥ ٪ . اما اهم الصادرات فهي البوتاس والمصنوعات النسيجية وعصير البرتقال وآلات التسجيل واطارات السيارات والالبسة المطرزة . اما الصادرات التي سجلت هبوطا فهي النحاس والفوسفات والانابيب والبلاستيك . ويلاحظ من استقراء توزع التجارة الخارجية ان حجم التبادل التجاري مع اليابان في ازدياد مستمر . وتتألف الصادرات الرئيسية من الاحجار الكريمة والفوسفات والنحاس . وتحاول

السلطات اليابانية التوفيق بين زيادة حجم تبادلها التجاري مع اسرائيل وبين محاولاتها لزيادة صادراتها الى الاسواق العربية . وقد نسبت مجلة «اسرائيل ايكونوميست» الى رئيس شركة «سوني» الاليكترونية قوله انه « لا يجد اي تعارض بين ازدياد صادراتنا الى الاسواق العربية والسوق الاسرائيلي ذلك ان السلعة الرفيعة الجودة تتمتع بحصانة ضد اي ضغط سياسي » .

وتدل آخر الاحصائيات ان اسرائيل تعتبر الآن المنتج الاول للماس في العالم كما انها تحتل المرتبة الثانية بعد بلجيكا كمركز لبيع الماس . فقد ارتفع حجم المبيعات من ٧٧ مليون جنيه استرليني في العام ١٩٧٠ الى ١٠٠ مليون جنيه في نهاية العام ١٩٧١ . ولم يطرأ أي تغيير أساسي على نمط توزع التجارة الخارجية . فلا زالت السوق الاوروبية المشتركة خصوصا بعد انضمام بريطانيا تشكل المجال الحيوي والاكثر اهمية للسلع الاسرائيلية حيث تمتص حوالي ٥١ ٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية . وتحاول السلطات الاسرائيلية تعويض الخسارة التي منيت بها بسبب اغلاق سوق اوغنده في وجهها. ويلاحظ ان العلاقات التجارية مع المانيا الغربية ازدادت توثقا ، فقد ارتفعت بنسبة ٣٩ ٪ عما كانت عليه في العام ١٩٧٠ .

الدين العام : لا يزال حجم الدين العام المطلق والنسبي يشكل مصدر ازعاج مستمر للسلطات المالية في اسرائيل . فقد ارتفع مجمل الدين العام الداخلي والخارجي من ١١٤٣ بليون ليرة اسرائيلية في أوائل العام ١٩٦٨ الى ٢٦٤٦ بليون ليرة في ديسمبر من العام ١٩٧١ ، غير ان الملاحظ بالنسبة لتركيب الدين العام ان معظم الزيادة جاءت نتيجة للقروض الداخلية التي حصلت عليها الحكومة الاسرائيلية عن طريق طرح سندات الخزينة .

اسرائيليات متفرقة : — أجلت الحكومة الاسرائيلية تنفيذ الخطة الانمائية مدة ستة اشهر في محاولة لامتصاص جزء من السيولة في الاقتصاد الاسرائيلي خوفا من ارتفاع كبير في مستوى الاسعار والاجور.
— بدأت اسرائيل في تنشيط السياحة في منطقة سيناء خصوصا في المنطقة المحاذية لخليج العقبة والبحر الاحمر عن طريق بناء فنادق جديدة ومنتزهات بحرية لاستقبال السياح .

الدكتور يوسف شبل

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٩/١٣ — ١٩٧٢/١٠/٢

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر	تاريخه
١	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٣	—	حي هاتيكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	الحاق اضرار ببناء ليلي	—	—	—	وفا	٩/١٣
٢	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٣	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مستودع للخشب	—	—	—	ف٠ث٠عدد١٣ ص٦	٩/٢٠
٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٤	—	قرب بانياس	كمين	غير محدد	قتل وجرح افراد دورية	—	—	—	—	ف٠ث٠عدد١٣ ص٦	٩/٢٠
٤	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٥	٨٠٠	تل ابو السقي	تسف	مدفعية الهاون	غير محدد	تدمير عدد من المنشآت في مشروع انشائي(١)	—	—	—	وفا	٩/١٦
٥	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٥	١٧٠٠	ابو خيط	تفجير	شبكة الغام	افراد دورية	اعطاب آلية	—	—	—	وفا	٩/١٦
٦	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٥	٩٤٥	بين رويسة الحمراء وسحيتا	تفجير	الغام	غير محدد	ناقلة جنود نوع تي٠ تي٠ آر٠	—	—	—	وفا	٩/١٧
٧	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٥	—	الخليـــل	هجوم	اسلحةمختلفة	افراد دورية	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٦
٨	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٥	—	بتاح تكفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير عدة متاجر وبنايات في شارع شتاينر	—	—	—	وفا	٩/١٦
٩	ق٠ع٠ق٠ث٠	١٦—١٧/(٢)		جنوب لبنان	اشتباك،كمين،هجوم	اسلحة مختلفة	٦٠—٧٠ اصابة	١٧ آلية وطائرة سكاي هوك	—	—	—	وفا	٩/١٧
١٠	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٦	٢٤٠٠	تل ابو الذهب	تصف	مدفعية الهاون	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٧
١١	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٦	٢٠١٥	منطقة القنيطرة	قصف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٩
١٢	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٧	—	بين بتاح تكفا وتل ابيب	تفجير	عبوات حارقة	غير محدد	حرق مستودعاتكريات حوليم	—	—	—	وفا	٩/١٨
١٣	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٧	—	منطقة القنيطرة	قصف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	ف٠ث٠عدد١٣ ص٦	٩/٢٠
١٤	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٧	١٣٠	جبين	قصف	صواريخ	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٧
١٥	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٨	٧٣٠	جبين	هجوم	اسلحةمختلفة	افراد دورية هندسة	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/١٨
١٦	ق٠ع٠ق٠ث٠	٩/١٨	٢٤٠٠	بين القنيطرة والخشنية	تفجير	عبوات ناسفة	—	نسف جسر	—	—	—	وفا	٩/١٨

١٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	—	بين مجيدو وحيفا	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير المصنع الحربي لرشاشات عوزي	—	—	—	وفا	٩/١٩
١٨ — ق.ع.ق.ث.	٩/١٨	٢٣٤٥	مسعدة/القنيطرة	قصف	صواريخ	غير محدد	اصابةعدد من المنشآت	—	—	—	ف.ث،عدد١٤ ص٤	٩/٢٧
١٩ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٠	٨٣٠	تل ابو الذهب	تفجير	الغـام	غير محدد	تدمير آلية	—	—	—	وفا	٩/٢١
٢٠ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٠	٢٤٠٠	الجولان	قصف	قذائف صاروخية	غير محدد	غير محدد	—	—	—	وفا	٩/٢١
٢١ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٢	٢٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	١ —	تدمير سيارة واصابة عدد من المباني باضرار	—	—	—	ف.ث،عدد١٤ ص٤	٩/٢٧
٢٢ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٥	١٩٢٠	دير البلح/غزة	كمين	القنابل اليدوية والرشاشات	غير محدد	اعطاب سيارةعسكرية	—	—	—	وفا	٩/٢٩
٢٣ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٦	٢٠٣٠	معسكر البريج/غزة	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غير محدد	اعطاب سيارةعسكرية	—	—	—	وفا	٩/٢٧
٢٤ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	١١٢٠	القـدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير واصابة اقسام من السوبر ماركت	—	—	—	وفا	٩/٢٩
٢٥ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	١٣٣٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير احد مصانع(٣) مكتب الجديد	—	—	—	وفا	٩/٢٩
٢٦ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	—	غزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	اعطاب سيارة	—	—	—	وفا	٩/٣٠
٢٧ — ق.ع.ق.ث.	٩/٢٩	٢١٠٠	طولكرم	هجوم	اسلحة رشاشة	غير محدد	اعطاب سيارة	—	—	—	وفا	٩/٣٠
٢٨ — ق.ع.ق.ث.	١٠/٢	١٨٠٠	غـزة	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	غير محدد	اعطاب سيارة عسكرية	—	—	—	وفا	١٠/٣
٢٩ — ق.ع.ق.ث.	١٠/٢	٩٠٠	القـدس	تفجير	عبوات ناسفة	غير محدد	تدمير مصنع الكرتون في حي موشتيرم	—	—	—	وفا	١٠/٣

١ — كان هذا المشروع نفسه قد تعرض لتصف بتاريخ ٧٢/٩/٨ ادى الى تعطيل العمل فيه حتى ١٩٧٢/٩/١٣ .

٢ — حول تفاصيل المعارك يمكن مراجعة نشرة وفا بتاريخ ١٦ ، ١٧ ، و١٩٧٢/٩/١٨ .

٣ — اعترف العدو بالحادث بنشرته الاخبارية بتاريخ ٧٢/٩/٢٩ الساعة ١٧٠٠ . راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٥٣ ، ص ٤ .

الرقم	التنظيم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١ —	ق.ث.ف.(١)	٩/١٣	—	هاردوف/جبل الشيخ	قصف	تذائف واسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن.(٢) عدد٣٩ ص٦	٩/١٤
٢ —	ق.ث.ف.	٩/١٥	—	هاردوف/جبل الشيخ	اشتباك	اسلحة مختلفة	—	٢	—	—	—	—	ن. عدد ٤٠ ص ٨	٩/١٥
٣ —	ق.ث.ف.	٩/١٥(٣)	—	ناحال جولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٠ ص ٨	٩/١٥
٤ —	ق.ث.ف.	٩/١٥	٧٣٠	حصفين/الجولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٥ —	ق.ث.ف.	٩/١٥	١٦٣٠	رامات مجشيميم الجولان	تفجير	الغام	—	—	اصابة الية عسكرية	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٦ —	ق.ث.ف.	٩/١٥	—	الخليل	اطلاق رصاص	رشاشات خفيفة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤١ ص ٦	٩/١٦
٧ —	ق.ث.ف.	٩/١٦—٩/١٧		جنوب لبنان	اشتباك وكمين	اسلحة مختلفة	٣	٣(٤)	غير محدود		غير محدود		ن. عدد ٤٢ ص ٤	٩/١٧
٨ —	ق.ث.ف.	٩/١٧	—	القنيطرة وناحال جولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٢ ص ٧	٩/١٧
٩ —	ق.ث.ف.	٩/١٩	—	ناحال جولان	قصف	تذائف	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٤٤ ص١٠	٩/٢٠
١٠ —	ق.ث.ف.	٩/٢٦	—	معسكر البريج/غزة	اطلاق رصاص	غير محدد	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٠ ص ٤	٩/٢٧
١١ —	ق.ث.ف.	٩/٢٩	١١٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	—	٣	اصابة مبنى «السوبر سول» في القدس	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٥	٩/٣٠
١٢ —	ق.ث.ف.	٩/٢٩	١٨٤٥	غزة	القاء تنبلة	تنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٦	٩/٣٠
١٣ —	ق.ث.ف.	٩/٢٩	٢١٠٠	بنارية/طولكرم	اطلاق رصاص	اسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٣ ص ٧	٩/٣٠
١٤ —	ق.ث.ف.	٢ /١٠	١٩٠٠	غزة	القاء تنبلة	تنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن. عدد ٥٥ ص ٣	٣ /١٠

١ — ق.ث.ف. : قوات الثورة الفلسطينية .

٢ — ن. : نشرة **رصد اذاعة اسرائيل** اليومية ، التي تصدر عن مركز الابحاث في م. ت. ف.

٣ — كما اعترف العدو في البيان نفسه بان دبابة قد دمرت بلغم قبل بضعة ايام في هذه المنطقة .

٤ — اسماء القتلى : الملازم ابني سعدون ، الجندي الاول ميليخ منستر ، الجندي دانيد ربلر .

تعريف بالمصطلحات والنشرات الوارد ذكرها

١ — ق.ع.ق.ث. : القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

٢ — وفا : نشرة يومية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

٣ — ف.ث. : فلسطين الثورة ، مجلة اسبوعية تصدر عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

في غضون الفترة الممتدة من اخر اب وحتى منتصف ايلول الماضي جرت انتخابات الاتحاد الوطني الاردني ، حيث تم اختيار ثلثي أعضاء مجلس الاتحاد الجديد ، وفي ٢٧ ايلول عين الملك حسين الثلث الاخر من أعضاء المجلس ، وبذلك جرى تكوين مجلس الاتحاد الجديد وهو الهيئة التمثيلية لاعضاء الاتحاد الوطني ، ومن مهام هذا المجلس ، كما تحددها اللائحة الداخلية ، اقرار السياسة التفصيلية للاتحاد ، واقرار اللوائح والتنظيمات ، ومتابعة نشاطات الاتحاد ، والاعداد للمؤتمر العام . ومن حقوقه اجراء تعديلات على الميثاق وعلى النظام الاساسي للاتحاد . ومن مجلس الاتحاد يجري انتخاب ٢٤ عضوا للجنة التنفيذية ، فيما يعين الملك ١٢ عضوا آخر فيها من أعضاء المجلس نفسه . ويختار أعضاء اللجنة التنفيذية الستة والثلاثون « مكتب قيادة الاتحاد » وهي القيادة اليومية التي تصرف الامور المتصلة بالمالية وسياسة الاتحاد والشؤون الاقتصادية والاجتماعية، والتوعية والعلاقات العامة، والدراسات ... الخ، وهي مهام تضطلع بها مكاتب خاصة فرعية يشرف عليها اعضاء « مكتب قيادة الاتحاد » . اما ادارة اعمال ورئاسة جلسات مكتب قيادة الاتحاد فتكون للامين العام الذي يعينه الملك بنفسه .

ووفقا للنظام الاساسي فان مجلس الاتحاد يتكون من ٣٦٠ عضوا ، يجري انتخاب ٢٤٠ عضوا منهم على اساس التوزيع الجغرافي ، ويراعى التوزيع بين المحافظات نسبة عدد الاعضاء المنتسبين فيها . وكما مر ، فان الملك يعين ١٢٠ عضوا آخر في المجلس الذي يتقاسمه ابناء الضفتين بالتساوي ويقول النظام الاساسي للاتحاد أن مبدأ التعيين يظل قائما الى ان تزول اثار العدوان . وبعيد طرح الملك حسين مشروعه حول « المملكة العربية المتحدة » ، طرأت على النظام الاساسي بعض التعديلات التي تتيح تمثيل عرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، وبدو فلسطين وابناء قطاع غزة المقيمين في الاردن بحصص متفاوتة من مقاعد مجلس الاتحاد ، حسب نسبة تواجدهم في الضفة الشرقية .

ومن الامور الملفتة للنظر ، الطريقة التي تمت بها الانتخابات لمجلس الاتحاد . ذلك ان اعضاء الاتحاد من الضفتين ينتخبون ممثليهم بالمشاركة ، أي ان ابناء الضفة الشرقية من اعضاء الاتحاد ينتخبون ، بالاضافة الى مرشحيهم شرق الاردنيين في المحافظة التي ينتمون اليها ، ١٠٠ مرشح يمثلون الضفة الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، (حيث هناك ٢٠ مرشحا عن رام الله وبيت لحم فازوا بالتزكية) ، كما ينتخب اعضاء الاتحاد الفلسطيني بالاضافة الى مرشحيهم عن الضفة الغربية والقطاع وعرب الاراضي المحتلة لعام ١٩٤٨ ، مرشحيهم شرق الاردنيين على مستوى المحافظة . وعلى الرغم من ان قادة الاتحاد الوطني يفسرون هذه الطريقة الانتخابية على انها تؤكد وحدة الضفتين ، فانها في الواقع ادت الى ان يتوجه أعضاء الاتحاد لانتخاب مرشحين لا يعرفونهم. والاهم من ذلك ادت هذه الطريقة الى حصول مقايضات بين المرشحين من الضفتين لتبادل الاصوات ، كانت تشبه الى حد كبير بيع وشراء الاصوات بصورة علنية كما سيمر معنا بعد قليل . ان مجرى الانتخابات الاخيرة ، ونتائجها ، ثم تعيينات الملك لثلث اعضاء مجلس الاتحاد تقدم جملة من الملاحظات حول طبيعة الاتحاد واية تعديلات جدت عليه ، ومن هذه الملاحظات :

١ — بات الاتحاد حقيقة سياسية في نهج النظام ، ولم يعد موضع جدل ما اذا كان الاتحاد سيبقى المؤسسة التي تفسح امام فئات النظام واطرافه ممارسة حياتها السياسية . الامر الذي يؤكده سعي رؤوس النظام لتوسيع اطار الاتحاد ليشمل فئات اجتماعية عليا يجري الآن استقطابها، وخاصة الرموز الوجاهية والاسرية التقليدية والبرجوازية الفلسطينية ، ممن لا زالت تحتفظ بنفوذها التقليدي في الضفة الغربية او عرفت بارتباطها التاريخي بالادارة الاردنية . ويرتبط هذا الاستقطاب الجاري الان بمشروع الملك حسين ، وبالمساعي الجارية للوصول مع اسرائيل الى اتفاقية سلام .

وبدون تناسي استمرار رهان النظام على البيروقراطية ، وبقاء الجسم الاساسي للاتحاد ممثلا للبرجوازية في الادارة والقطاعات المرتبطة بها ، فان عملية الاستقطاب الجارية تحدث تعديلا ملموسا ، بدخول رموز فئات لم تكن يوما مقتنعة بتوجهات الاتحاد الوطني وبرنامجه المعلن ، ان لم

تكن معادية له . ولذلك يلمس من وصول رموز اجتماعية مغايرة لتركيب الاتحاد الوطني القديم ، واقع التعديل الذي جد على جسم الاتحاد ، والذي يفقده تجانسه النسبي السابق ، ويحمل علـى التكهن بتنامي الصراعات بين البرجوازية في الدولة والبرجوازية التجارية والمتوسطة (المهنيين) ذات المنشأ الفلسطيني علـى السلطة وعلـى برنامج النظام . ان ابتعاد رموز الاتحاد الاساسية مثـل مصطفى دودين وابراهيم الحباشنة عن البروز في الفترة الاخيرة يعكس بدايـة الصراع حول بنيـة الاتحاد الوطني ، كما ان تعيينات الملك لـ ١٢٠ عضوا في مجلس الاتحاد ، بالاضافة الى الاعضاء المنتخبين تشير الى وصول رموز اجتماعيةوسياسية كانت موضع عداء وصفي التل ، بل كان قد تم بعزلها من اجهزة الدولة . وعلى صعيد الضفـة الشرقية فقد جرى تمثيل اكبر للمهنيين والتجـار والصناعيين ولرموز عشائرية . بيد ان التمثيـل الاكبر بقي لرموز لها صلاتها التاريخية بالادارة : وزراء ووزراء سابقون، موظفون كبار وتكنوقراطيين ورؤساء بلديات وتربويون .. الخ .

٢ — ان رغبة النظام في توسيـع اطار الاتحـاد الوطني ، ورغبة الفئات والشرائح العليا المبعدة عن الحكم منذ زمن ، في العـودة الى مواقعهـا السابقة ، عكست نفسها في المنافسة الشديدة التي شهدتها انتخابات مجلس الاتحاد الوطني .

وفيما عدا منطقتي رام الله وبيت لحم التي اوصلت مرشحيها العشرين بالتزكية ، وفيما عدا ٩ مقاعد متفرقة في محافظـات الضفة الشرقيـة احتلهـا المرشحون بالتزكية ، فقد شهدت جميع المحافظات والمناطق في الضفتين منافسة شديدة وصراعـات حادة حول مقاعد مجلس الاتحاد ، وهو ما تعكسه مقارنة اعداد المرشحين باعداد المقاعد المخصصة لكل منطقة : ففي محـافظة عمـان تنافس ١٦٤ مرشحا على ٣٤ مقعدا ، و ١٩ مرشحا من بـدو الوسط على اربعة مقاعـد ، و٢٨ مرشحـا في محافظة البلقاء على ١١ مقعدا ، و ٦٧ مرشحا في محافظة الكرك على ٢٠ مقعدا ، و ٢٧ مرشحا من بدو الجنوب على اربعة مقاعد . امـا المرشحون الفلسطينيون ، فقد بلـغ عددهـم ٢١٨ مرشحا تنافسوا لاحتلال ١٢٠ مقعدا .

٣ — سادت انتخابات الاتحاد الوطني الاجو ، ذاتها المحيطة باية عملية تمثيلية في البلاد ، ولازمتهـا الظواهر ذاتها ، كالانتخابات البلدية او انتخابات مجلس النواب ، اذ جرى تسجيل المواطنين كاعضاء في الاتحاد الوطني وفقا لاعتبارات شكلية ، وغايتها الاساسية كسب المرشحين مزيدا من الاصوات ، وتعزيز مراكز النفوذ في الاتحاد . وبسبب هـذه المنافسة ارتفع عدد الناخبين من اعضاء الاتحـاد الوطني الى ارقام خيالية ، وذلك كما اوردتهـا الصحف الاردنية : محافظة اربد وبدو الشمال : ٣٣ الف ناخب ، محافظة عمان وبـدو الوسط : ٥٧ الف ناخب ، محافظة البلقاء ١٧ الف ناخب ، محافظة الكرك : ٩٤٥٠٠ ناخب ، محافظة معان ٤٤٠٠٠ ناخب ، بدو الجنوب : ٥٤٠٠٠ ناخب . وبهذا يكون المجموع ١٢٥٤٥٠٠ ناخـب . ان في الارقام المارة دلالة واضحة على الطابع التنظيمي الشكلي للاتحاد .

٤ — احيطت الانتخابات في المحافظات والمناطـق باجراءات امنية واسعة وساد جو من التخـوف والحـذر ، حيث وقعت صدامـات بين انصـار المرشحين ، كتلك التي شهدتها الانتخابات البلدية مؤخرا . لذلك بادر الحكام العسكـريون باصدار اوامر دفاع تقضي بمنع نقل الاسلحة النارية اثناء الانتخابات وحتى اشعار اخر . كما جرى الاجتماع الى الاعيان والوجهاء ونواب المحافظات لحثهم على ضبط سير الانتخابات . ومن جهة اخرى احيطـت مراكز الاقتراع ومراكز الفرز باجـراءات امنيـة وحراسة مشددة .

٥ — تحدثت بعض الصحف الاردنية عن الاجـواء التي احاطت انتخابات الاتحاد الوطني والاساليب التي استخدمت للحصول على الاصوات . فتحدثت جريدة « الصباح » الاسبوعيـة (١٩٧٢/٩/٤) فقالت : « حدثت مفاجآت مذهلـة في المعـركة الانتخابية الدائرة حاليـا في محـافظة العاصمـة لانتخاب اعضاء مجلس الاتحاد الوطني ، فقد خرج مرشحون عديدون من القوائم التي التزمـوا بها اصلا وخاضوا المعركة على اساس فردي او بكتل اخرى ... واسفرت هذه العملية — الخدعة — عن حدوث انشقاقات كثيرة في اكثر من قائمة ظهر يـوم امس . وقد شجعت هـذه الانشقاقـات حدوث انقسامات اخرى في جميع القوائم وهيأت الجـو لحدوث انقسامات في انتخابات المحافظات الاخرى . ويسود اوساط الناخبين شعور بالقرف والاشمئزاز لتصرفات بعض المرشحين الذين نكثوا بعهودهـم

التي قطعوها على انفسهم لزملائهم مما يوحي بأن وعودهم التي منوا بها المواطنين لن تكون بأفضل من عهودهم لزملائهم ... »

« ولوحظ ان كل مرشح كون لجنة تسمى لجنة المبادلات هدفها عقد صفقات تبادل بين اصوات ناخبي الضفة الغربية والضفة الشرقية (....) كان صوت الناخب فيها هو السلعة التي يجري التقايض على اساسها ، وقد اشتدت المعركة الانتخابية في المخيمات عامة ، لا سيما في مخيم ماركا حيث استقطب المخيم عشرات السيارات القادمة من جميع انحاء المحافظة لاجراء المبادلات بين اصوات الناخبين بالجملة (...) ويتوقع حدوث مفاجآت مذهلة في نتائج الانتخابات ما دام صوت المواطن اصبح سلعة تباع وتشترى علنا وبدون اي حرج قانوني » .

وعادت الصحيفة ذاتها للحديث عن الظواهر التي رافقت الانتخابات فقالت في عددها الصادر في ١٩٧٢/٩/١١ : « اكثر من ظاهرة برزت في انتخابات مجلس الاتحاد الوطني العربي في محافظة العاصمة استرعت انتباه المواطنين وكونت لديهم قناعات ترسخت في اذهانهم وتجذرت بصماتها واصبح من الصعب ازالة آثارها . من هذه الظواهر الاسلوب الذي تميزت بها المعركة الانتخابية والمساورات التي شهدتها وتبادل الاصوات التي اتسمت بها . اتضح للمواطن ان المرشحين للاتحاد قد سلكوا مسالك كثيرة في سبيل نجاحهم ، فمنهم من استغل سيارات الدولة للدعاية الشخصية ، ومنهم من استغل العاملين بالمؤسسة التي يديرها او يعمل ضمنها مما يوحي للمواطن بأن من لا يحرص على اموال الدولة ليس اهلا لتمثيله » .

٦ ــ قبل صدور تعيين الملك لعدنان ابو عودة وزير الاعلام السابق امينا عاما للاتحاد الوطني ، صدرت تكهنات صحفية عديدة شملته بالاضافة الى مرشحين آخرين مثل مضر بدران احد رجالات المخابرات الاردنية-البارزين سابقا ، وفضل الدلقموني نائب اربد والوزير السابق لاحتلال منصب الامين العام للاتحاد . ولم تشر هذه التكهنات الى مصطفى دودين الامين العام السابق ، او الى ابراهيم الحباشنة ، وزير الداخلية السابق ، واحد اقطاب الاتحاد الوطني البارزين ، الذي اعلن عن موته اثر نوبة قلبية وسط شائعات قوية عن صراعات بينه وبين رموز اخرى في السلطة يعززها التغطية الاعلامية الضعيفة لانباء تشييع جنازته في جنوب الاردن ...

أ. م.

اسرائيليـــات

هل تكون المرأة نصف حبلى ؟!

● لا تزال الاوساط الصحفية والفكرية الاسرائيلية تشغل نفسها ، في مناقشة حادة وطويلة ، حـول تقييم الجانب « الاخلاقي » من الصهيونية . فمـا هي الدوافع التي قادت الاسرائيليين الى الانقسام حول هذا السؤال الـذي يعتبر مجرد طرحـه ، بالنسبة اليهم ، تشككا بقدس اقداسهم ؟ وان اكثر ما هو ملفت للنظر في هذا الموضوع هو ان المناقشة يديرها اشخاص لا يدنو الشك من اخلاصهم العميق للصهيونية وحرصهم الشديد على توفير اكثر السبل ضمانة لتطبيقها الاسرائيلي . ولكن اختلافهم ينحصر في البحث عن هذه السبل .

لقد رأى بعض الصهيونيين الاسرائيليين ان بعض الممارسات الحكوميـة في السنـة الخامسة مـن الاحتلال الاسرائيلي الجديد تعتبر تجاوزا للقيـم الصهيونية و « طهارة » هذه القيم . لانهم يـرون في هذه الاجراءات « انحراف » اسرائيل عن الحلم الذي راود الصهيونية بأن تكون « دولة يهوديـة مثالية » الى ميل من التطور يحولها الى « دولـة كولونيالية » . ومن هنا نشأ السؤال : هل يتعارض الاستيطـان الاسرائيلي الاستعمـاري مع القيـم الصهيونية ؟ أم ان هذا الاستيطان هو تسلسـل منطقي وطبيعي لطبيعة نشوء الصهيونية ؟ . عند هذا السؤال ، افترقت الاراء ، وانفجرت المناقشة بعدما اتضـح ان السياسة الاسرائيلية الرسمية تمارس عمليات الضم التدريجي للاراضي العربية المحتلة معتمدة على مرور الزمن وغياب عوامـل الضغط السياسي الدولي والمقاومة العـربيـة المسلحة .

هذا من ناحية .. ومن الناحية الاخرى ، لعل بعض الاحـداث التي جرت داخـل الاراضي العربية المحتلة ، قديما وحديثا ، قـد اعطت الاسرائيلي شرعية طرح السؤال حول طبيعة الصهيونية ، وهل التطبيق الاسرائيلي البالغ الظلم والعنف هو امتداد للعقيدة الصهيونية التي كان يحرص ، امام الناس، على اظهارها بمظهر « الاخـلاقية » ؟ من هـذه العمليات : ما جرى عند مداخل رفح ، حيث قام الجيش الاسرائيلي بترحيل البدو القاطنين هنـاك بعملية بالغة الوحشية ، وبتدمير بيوتهم وتخريـب آبارهم ، كمقدمة لانشاء مدينة يهودية على أرض العرب وعلى انقاضهم .

وكانت العملية الثانية ـــ مصادرة أراضي قريـة عقربة في منطقـة نابلس ، حيث قـام الجيش الاسرائيلي برش حقول القرية بالمواد السامة ، وأقام مستوطنة يهودية على ارض العرب وعلـى انقاضهم .

وكانت العملية الاخيرة ، الضجة التي ثارت حول قضية قريتي كفربرعم واقرت ، حيث منعت الحكومة الاسرائيلية عودة اهالي القريتين الى اراضيهم التي طردوا منها قبل ربع قرن ، بلا سبب !

ولقد اكتفى ، رد الفعل الاسرائيلي المعارض علـى العملية الاولى والثانية بالاعتراض الكلامي الخاضع لحسابات سياسية وحزبية . ولكن الاعتراض على العملية الاخـرى تجاوز الحدود المتوقعـة الى الاشتراك في تظاهرات احتجاج في قلب الشوارع اليهودية،وكان الكثيرون من المعترضين الاسرائيليين على الجريمة الصهيونية ـــ الاسرائيلية المرتكبة ضد اهالي كفربرعم واقـرت يرون أن عـدم السماح لاهالي القريتين بالعودة يعتبر انتهاكا للقيم والتعاليم التي نادت بها الصهيونية ، ويعتبر وصمة عـار في جبين اسرائيـل وتشويها لسمعتهـا . ومضى بعضهم الى القول ان القوة الاسرائيلية ستكـون خالية من المعنى اذا ما انتهكت العدل وتخلت عن المضمون الانساني . ومن هنا ، فلا بد « للضمير اليهودي » من أن يصحو ويتهم .

وكان المدافعون عن موقف الحكومة يضمنون دفاعهم

دفاعا عن الصهيونية . ويرون ان الدفاع عن « الحق اليهودي على فلسطين » يقتضي الدفاع عن اجراءات طرد العرب ومصادرة اراضيهم . ومن هنا ، يكون موقف السلطة الاسرائيلية في عمليات رفح وعقربة وكفربرعم واقرت وغيرها من عمليات اجلاء العرب واقامة الاستيطان اليهودي موقفا منسجما مع الدعوة الصهيونية الى تحقيق الحق اليهودي المطلق على فلسطين . هكذا قامت اسرائيل التي كان من المستحيل ان تقوم لولا مثل هذه العمليات . وكتب كاتب سياسي في صحيفة « يديعوت احرونوت » (يهوشع بن فورات ٧/١٤) : « ان تقدير الامن باللغة الاسرائيلية ليس فقط في وضع مدافع في مكان ما للدفاع عنه ، بل وفي فترات معينة ــ وقد يكون ذلك الجوهري فيها ــ خلق امتداد اقليمي يهودي ، او خلق واقع صهيوني واضح . وهذا يعني بلغة اخرى ــ تخليص البلاد عن طريق الاستيلاء على اراضيها بأساليب عسكرية وأمنية . وما جرى في مشارف رفح لا يختلف ، في ماهيته ، عما جرى في أماكن اخرى من أرض اسرائيل ودولة اسرائيل منذ بدأ تطبيق الصهيونية ، وذلك يشمل اجلاء مواطنين عرب من قراهم » .

والخلاصة ، كما يراها الكاتب : « ليست هناك صهيونية ولا استيطان ، وليس هناك دولة يهودية بدون اخلاء العرب ومصادرة اراضيهم » .

وهكذا ، يعود المدافعون عن استمرار الظلم والسلب الاسرائيليين الى الطريقة التي قامت بها اسرائيل ، مما يجعل الاستمرار بها شرعية صهيونية ، والتوقف عن ممارستها تخليا عن اهم مقومات الوجود اليهودي في فلسطين .

وكتب اليعيزر ليبنه في (هآرتس) (٨/٦) عن معادلة الصهيونية والسلب « ان مواطنين عربا نقلوا من اماكنهم كي تتمكن المستوطنات اليهودية من الحلول مكانهم ، فاذا وصفت هذه العملية بالسلب ، فان مجرد عودة اليهود الى بلدهم ممزوجة بالسلب » .

وقد لاحظ أوري افنيري (هعولام هزه ٩/٦) ان السنة الاسرائيلية الاخيرة كانت سنة تحول في ميدان « الاستيطان الاستغلالي » ، اذ ادلى الجنرالات والسياسيون والمعلقون ، باقوال ما كانت تصدر قبل الان الا عن اعداء اسرائيل والحكام العرب ، هذه الاقوال التي كانت توصف بأنها دعاية تحريضية عربية قد اتضح الان انها حقيقة اسرائيلية . واضاف افنيري : « يقولون ان هدف الصهيونية هو الاستيطان في كل انحاء البلاد ، باجلاء المواطنين العرب . ويقولون ان النهب كان وسيكون دائما جزء لا يتجزأ من العملية الصهيونية . ويقولون ان الكلام الاخلاقي الذي قاله الاجداد لم يكن الا تغطية ضرورية ايام الضعف ، ولا مكان له ايام القوة . ولم تنحصر الأمور في منطقة معينة ، ولا في مناطق ارض اسرائيل الغربية من ايام الانتداب . فكل الشعارات التي رفعت هذه السنة لتبرير الاستيطان واجلاء المواطنين في الجولان والضفة الغربية وسيناء قد تنطبق غدا على جنوب لبنان ووسط سوريا والضفة الشرقية ، اذا ادت الصدفة السياسية ــ العسكرية الى احتلال الجيش الاسرائيلي لهذه المناطق » . وعلق افنيري على ذلك بقوله : « عمليا ، كانت هذه هي النظرية التي وجهت المستوطنين البيض في امريكا الشمالية حتى وصولهم الى شاطىء المحيط الهادىء . النظرية التي وجدت تعبيرها الفظيع في المطالبة الالمانية بمجال حيوي » .

ويقول محرر هعولام هزه ان كثيرين في اسرائيل وقفوا ضد هذه الاعمال وهذه النظريات لانهم رأوا فيها « تجاوزا وتشويها للقيم المقدسة » ، ويرون ان هذا التجاوز جاء بالصدفة . فان احتلال المناطق هو الذي حرف الصهيونية عن الطريق المستقيم . ويحدد افنيري انه كان للصهيونية هدفان : الاول ــ دولة يهودية يسيطر فيها اليهود . والثاني ــ استيطان يهودي في كل انحاء البلاد . وعندما تبلور هذان الهدفان ، لم يتبلور الى جانبهما حل للقضية الرئيسية التي ينطوي عليها تحقيق الهدفين : وجود مواطنين عرب طيلة ثمانية قرون . فكيف تحل هذه القضية مع المحافظة على التفرد اليهودي لدولة اسرائيل ؟ يقول افنيري : كان من الممكن حل القضية لو هرب سكان المناطق في حرب الايام الستة كما أجلوا عن المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ٤٨ . وكان من الممكن حلها بطرد السكان بعد الحرب . لقد بذلت مثل هذه المحاولات ، ولكنها فشلت . وعلى الرغم من أن اسرائيل لم تسمح لمئات الالوف من لاجئي حرب الايام الستة بالعودة الى المناطق المحتلة ، فقد بقي تحت الحكم الاسرائيلي ١٫٤ مليون عربي يشكلون حوالي ٣٥٪ من السكان . الزيادة الطبيعية لهؤلاء السكان تزيد ضعفين عن زيادة اليهود ، والهجرة اليهودية تسد هذا الفارق ولكن بصعوبة . هذا الوضع يمكن

من ايجاد حلين عمليين فقط : اعادة المناطق للمحافظة على الطابع اليهودي والديمقراطي لاسرائيل ، أو الاحتفاظ بالمناطق مع سلب السكان العرب حقوقهم القومية والمدنية . ان الحل الثاني يتطلب استيطانا يهوديا ينطوي على سلب العرب ، وانتهاج حكم لا ديمقراطي تجاههم ، وتحويلهم الى حطابين وسقاة ماء . وهذا هو الحل الكولونيالي . وفي هذا العام تم حسم المسألة — لصالح هذا الحل الكولونيالي » .

فهل تستطيع الصهيونية ان تقدم حلا غير الحل الكولونيالي ؟

ستكون المناقشة ، كما هي الان ، عقيمة ما دامت محصورة في اطار الحل الصهيوني . ويبدو بؤس المنطق جليا في دفاع بعض افراد الجيل الاسرائيلي الحالي عن التطبيق الصهيوني السابق لحرب الايام الستة كذريعة جوهرية للاعتراض على بعض التطبيقات الاسرائيلية التي تلت حرب الايام الستة. فالسلب الراهن لا يدحض بالسلب السابق . من هنا ، لا تكون وسائل البحث عن حل ذات نفع عملي ولا فكري اذا حصرت نفسها في النطاق الصهيوني، الا اذا كان السعي نحو الحل ضربا من ضروب تسجيل دقات ضمير أفاق في ساعة مزاج ليبرالي ، أو اذا كان السعي نحو الحل محاولة لاحاطة السلب بأسماء جميلة ، والحرص على ممارسة الظلم بأقصى درجات اخفاء معالم الظلم .

لنأخذ على سبيل المثال المناقشة التي دارت في ندوة صحيفة « يديعوت احرونوت » ٩/٨ . قال عاموس كينان وهو كاتب من المعترضين على دعوة « أرض اسرائيل الكاملة » ردا على سؤال : ما هي أرض اسرائيل ؟. أجاب : « انني اوافق على أن كل من يدعي ان دير البلح او الجولان ليست أرض اسرائيل — لا مكان له أيضا في تل ابيب »!! ومن هذا المبدأ الصهيوني الاولي ، اقترح ان تتم مناقشة اخلاقية الصهيونية على أساس الانقطاع التاريخي ووضع الفواصل بين الممارسة الصهيونية قبل حرب ٦٧ وبعدها . اي — أن الصهيونية لم تتحول الى حركة كولونيالية الا بعد حرب ٦٧ . وكانت ملاحظة الكاتب ابيعيزر غولان ذكية حين قال : ان صهيونية عام ١٩٧٢ لم تبدأ في هذا العام ، ولكنها تطور لما كان .

واذا عدنا الى آباء الصهيونية في نظرتهم الى المسألة العربية نرى أن نقطة انطلاقهم تبدأ من ان فلسطين هي وطن الشعب اليهودي كله ، وان الحق اليهودي عليها لا يتزعزع على الرغم من الفاصل الزمني الذي يبلغ الالفي عام . واذا اصطدم « الحق » اليهودي ، بأي حق اخر ، فان الاولوية تكون « للحق » اليهودي لضرورة ايجاد اكثرية يهودية في فلسطين ، تستولي على الارض العربية اما بالمال واما بالسلاح ، وكلا الاسلوبين سلب . ولم يتورع زئيف جابوتنسكي عن مساواة الصهيونيين بالمستوطنين البيض في الولايات المتحدة ومساواة العرب في فلسطين بالهنود الحمر والزنوج . ونص دستور « هشومير » على الفقرة التالية : « بالدم والنار سقطت يهودا . وبالدم والنار تقوم يهودا » .

ومن هنا ، سيكون من السخرية والسذاجة ان يجتهد المرء كثيرا في البرهنة على ان العنف والسلب الصهيونيين لم يكونا عملا طارئا بعد حرب ٦٧ . كما سيكون من السذاجة ايضا أن يقول أريه اليائف وغيره ، في ندوة يديعوت احرونوت ، ان الممارسة الصهيونية في فلسطين لم تكن بالعنف والسلب حتى عام ١٩٤٨ بل .. بشراء الارض . وانه بعد هذا التاريخ طرأ « التحول الكبير » : من شراء الارض بالمال الى شراء الارض بالدم . ويضع المسؤولية على العرب الذين حاولوا الحيلولة دون ضياع ارضهم !.. وقد اقترب عاموس كينان من الحقيقة حين تساءل : لا فارق بين الشراء والاستيلاء . فان تشتري ارض وادي الحوارث مثلا هو عملية سلب من الدرجة الاولى تماما كما تخلي السكان من مشارف رفح . ان شراء ارض قاحلة هو عملية سلب وان شراء ارض مهجورة هو عملية سلب أيضا .

ويخرج الكاتب من هذه المعادلة الصعبة بقوله :- عندما تقولون اننا سلبنا وادي الحوارث ، فانكم تريدون أن تشرحوا لماذا نسلب غزة اليوم . وعندما تريدون الا نسلب غزة اليوم ، فانكم تدعون اننا لم نسلب وادي الحوارث . وأنا اقول : نعم . سلبنا وادي الحوارث ، ومع ذلك يجب الا نسلب غزة . لانني اريد ان اضع حدا .

معنى هذا الكلام الصريح هو أن اسرائيل قامت على السلب والعنف . وان هذه البداية لا تبرر استمرار السلب والعنف في اتجاه المزيد من التوسع ، وذلك لكي يكون السلب السابق « شرعيا » . ان هذا الموقف هو الذي يميز ما

يتمتع بالاوساط المتزنة في الدائرة الصهيونية الاسرائيلية : الاكتفاء بما سلبته اسرائيل في الماضي ، دون الخضوع لديالكتيك التطور الصهيوني كما ينادي به انصار التوسع الجشع الذي لا حدود له . من هنا ، يكون الاسرائيلي العاقل صهيونيا على الرغم منه ، لان شرعية دعواه مهما اتسمت بالليبرالية قائمة في اساسها على سلب مر عليه الزمن فصار « شرعيا » يستحق الدفاع عنه أمام أصحاب الحق السابقين — وهم العرب . وامام من يهددون هذا الحق بالضياع — وهم الصهيونيون المتطرفون . ومن هنا ، يكون هذا الاسرائيلي اسير تناقضه الذي لا تسهل النجاة منه في اطار الحل الصهيوني . انه يدعو الى كبح جماح الصهيونية والى وقف اندفاعها المتوسع عند نقطتها من الانتصار ، لا الى الغائها . ومن هنا تسقط دعاوي المدافعين عن التوسع الجديد بذرائع التوسع القديم . وتسقط كذلك دعاوي الذين ينكرون وجود توسع قديم لكي يبرروا رفضهم لتوسع جديد .

وقال يشعياهو بن فورات ، في الندوة الصحفية ذاتها ، وهو يدحض النفاق الصهيوني الذي يضفي على الصهيونية اخلاقيات غريبة عنها : « ان الحريات الصهيونية اللاعنيفة واللاعسكرية ، لم تثقفني على الصهيونية الاخلاقية التي تتحدثون عنها . فمنذ السابعة من عمري تربيت على العمل العسكري لاحتلال البلاد . لقد نموت في النمسا مع الاحساس بأنه سيجيء يوم نحتل فيه البلاد بقوة الذراع . وعلموني على الاستهتار بالمواطنين العرب . وعلموني على ان ارض اسرائيل لنا ، وان بوسع العرب المقيمين هناك ان يستمروا في العيش بشرط الا يزعجونا . واذا ازعجونا فسنطردهم . وعندما هاجرت الى البلاد وعشت في الكيبوتس لم يربوني على احترام العربي ، ولم يربوني على ان العرب واليهود سيعيشون معا . كان التفكير الخفي ، والواضح احيانا ، هو ان العرب سيذهبون ونحن نبقى . ومنذ عام ١٩٤٥ كان واضحا لنا جميعا أن حربنا ليست لطرد البريطانيين فقط وانما لطرد العرب . وكنا ، في الكيبوتسات ، ننظر الى القرى العربية المجاورة ونقسم اراضيها في ما بيننا » .

ومن المفارقات الغريبة ، في هذه المناقشات حول اخلاقية الصهيونية ، أن تجد الاكثر تطرفا في اتجاه المزيد من التوسع ينفون عن مرحلة التطبيق الصهيوني بعد حرب/ حزيران ١٩٦٧ صفة السلب والنهب ويحصرون هذه الصفات في المرحلة السابقة . فقد كتب اليعزر لبنه في هارتس (٨/٦) :

« لقد حدث تغير في الاستيطان الصهيوني اليوم بالنسبة لاساليبها قبل حرب الايام الستة ، ففي عهد الانتداب تركز الاستيطان اليهودي بالاساس في المناطق الماهولة نسبيا . وتطلبت اقامة مستوطنة او مدينة يهودية او كيبوتس طرد قرية عربية سابقة . وليس المقصود فقط المدن والقرى والكيبوتسات التي قامت مكان القرى العربية المهجورة ، بل مستوطنات قامت على انقاض قرى عربية مهجورة . والان بعد حرب الايام الستة يختلف الامر من اساسه . فالمناطق في سيناء وفي غور الاردن ، وفي المناطق الشرقية من الضفة الغربية ، وفي هضبة الجولان وجبل الشيخ خالية من السكان . والغريب في الامر ظهور القلق الان من سلب العرب . السبب ليس في الارض ، بل في الشعور الذاتي : أفكار كانت تميز العناصر المعادية كليا للصهيونية ، أخذت تتغلغل في المعسكر الصهيوني » .

ولكن محاولة هذا الكاتب لتبرئة الصهيونية من السلب ، بحجة ان مسرح السلب خال من السكان ، تتعثر عندما يفسر اهداف الصهيونية ، في حديثه بندوة يديعوت احرونوت ، بقوله : « اننا نعود الى هذه البلاد لنركز فيها الشعب اليهودي كله وحين يواجه بسؤال صعب : لمن هذه البلاد ؟ يجيب بسهولة شديدة : « ان ارض اسرائيل ، سواء كانت خالية ام ماهولة ، هي للشعب اليهودي » . وحين يجابه بسؤال صعب اخر : وما هي حقوق العرب ؟ يجيب بسهولة شديدة : « للعرب حقوق شخصية وطائفية ، ولكن البلاد لليهود . واذا كان من الممكن الاتفاق مع العرب ، فيجب ان يتم الاتفاق » . اي — يجب ان يتم الاتفاق مع العرب على اساس اعترافهم بأنهم طارئون على فلسطين ، وان الحق اليهودي مطلق وغير قابل للمناقشة .

ويختتم النائب شموئيل تمير المناقشة حول الصهيونية عام ١٩٧٢ بقوله : « انها في احسن احوالها منذ ولدت . في أيدينا الان اكبر منطقة ، واقوى جيش يهودي . والهجرة تأتي من الغرب ومن الشرق . والولايات المتحدة الامريكية تنظر الينا كحليف ، والسياسيون الامريكيون يهتمون بما يقال في القدس أكثر من اهتمامهم بما يقال في باريس عشية انتخابات الرئاسة » .

في مثل هذا المناخ تجري المناقشة حول « اخلاق »

الصهيونية . ومن الواضح ، ان الصهيونية الاسرائيلية لم تعد ترى حاجة الى التظاهر باللامبالاة تجاه اتهامها بالعنف والسلب واللااخلاقية . وان ما كانت تسميه دعاية عربية ضدها ، صارت تستخدمه ذرائع علمية لتواجه به بعض ابنائها الذين يتساءلون عن النهاية ، ويسعون بمشقة بالغة الى « تعقيم » الظلم وحصره في نطاق الاحتلال السابق ، لئلا يؤدي جشع الاحتلال اللاحق الى اضاعة كل شيء .

انهم يخافون ...

● ما هو التأثير الحقيقي الذي يتركه النشاط الفلسطيني المسلح على معنوية الاسرائيلي ؟ وما هو الحجم الحقيقي للقلق الاسرائيلي ، العادي والرسمي ، الناتج عن هذا النشاط ؟ وكيف يقيم الخبراء العسكريون الاسرائيليون حجم وخطورة النشاط الفلسطيني المسلح على اسرائيل وعلى علاقاتها — باليهود في العالم ، وعلى الدول الاوروبية ؟ وكيف يقيم الاسرائيليون الانتصارات التي تحرزها القضية الفلسطينية نتيجة هذا النشاط المسلح ؟ واخيرا .. ما هي الخطة التي تعدها اسرائيل للرد على هذا النشاط على الصعيدين العربي والعالمي ، وهل تفكر اسرائيل بممارسة دور الرد ام المبادرة ؟

لقد اجمع الاسرائيليون ، هذه المرة ، على عدم الاستهانة والاستهتار بتطور النشاط الفلسطيني المسلح وانتقاله خارج حدود المنطقة الى المجال الدولي . وما زالت اجهزة الاعلام الرسمية ، منذ حادث ميونيخ ، مشغولة بتحليل ابعاد هذا النشاط وخطره على الاسرائيلي ، جسديا ومعنويا ، وبمراقبة دوره في عرقلة حلول الامر الواقع وفي افساد حس الامان لدى الاسرائيلي رغم انتصاراته العسكرية المتلاحقة . وفيما يلي ننشر ملخصا لندوة بالغة الاهمية عقدتها صحيفة « يديعوت احرونوت » (٩/٢٩) حول هذا الموضوع ، باشتراك مجموعة من كبار الخبراء العسكريين الاسرائيليين هم : الجنرال يشعياهو غبيش الذي كان قائد الجبهة الجنوبية في حرب الخامس من حزيران وبعدها ، والجنرال حاييم هرتسوغ الذي كان رئيس دائرة لمخابرات الجيش الاسرائيلي ، وايتان ليبني الذي كان ضابط العمليات في ايتسل ، ويتسحاق شمير الذي كان قائد ليحي .

سأل محررو « يديعوت احرونوت » عن الاتجاهات التي قد يتطور فيها « الارهاب » وماذا سيكون تأثيره على اسرائيل — على معنوياتها الداخلية وعلى هيبتها ، وعلاقاتها مع دول العالم من ناحية ، وعلى الدول العربية من ناحية اخرى .

يشعياهو غبيش : يجب ان نتذكر ان الارهاب كان دائما جزء لا يتجزأ من حرب العرب ضد اسرائيل . ولكنه وجد تعبيره ، في الاساس ، منذ هزيمة الجيوش العربية . فعندئذ بقي « المخربون » وحيدين في ساحة القتال . وقد تبلور التحول نحو اوروبا بعدما فشلوا في اشعال نار التمرد داخل اسرائيل ، وبعدما ابعدوا عن قواعدهم على الحدود . وكان هنالك دافعان لنقل الجبهة الى اوروبا ، فهناك يجدون انفسهم متحررين من الجيش الاسرائيلي ، ويملكون فرص نشاط غير محدودة . وأعتقد ان لهم هدفين من وراء ذلك : ان يذكروا العالم بشكل مستمر بأن الحرب مستمرة ، وأن يلحقوا الاذى بدولة اسرائيل . وينبغي ان نتذكر انه من اجل تحقيق هذين الهدفين ، لا يجب ان يضربوا اهدافا اسرائيلية بالذات . فمن الممكن ان يصيبوا شركات اقتصادية غير اسرائيلية ، وحركة الطيران الدولي ، والحركة البحرية والسفارات . ومن الممكن ان يخطفوا سفراء اجانب ويقولوا لاسرائيل : « أطلقوا سراح « مخربين » والا ... » . انه مجال نشاط بالغ الاتساع . ومن شأن مثل هذه الحرب ان تؤثر على المعنويات في اسرائيل . لقد بدأ الارهاب في تشكيل خطر على الاسرائيليين خارج البلاد وعلى المصالح الاسرائيلية هناك . ومثل هذه الاصابة يؤثر على المعنويات في اسرائيل . ولكن كيان دولة اسرائيل نفسها لا يتربص به خطر من جراء الارهاب . بالعكس ، فان الارهاب يزيد من عطف العالم علينا .

سؤال : الا تخشى ان يبهت عطف العالم ، بمرور الوقت ، فيرى في اسرائيل مصدر قلق لا يتيح له العيش بهدوء بال ؟

جواب : لا ريب في ذلك . وها نحن نرى مثل هذا التوجه من جانب حكومة فرنسا التي تقول :

« القضية ليست فقط محاربة المخربين » بل يجب حل النزاع الاسرائيلي العربي » . وفي اعقاب مثل هذا التوجه تأتي ضغوط سياسية .

ان الارهاب لا يهدد بالخطر كيان اسرائيل ، ولكن يشكل خطرا على الاسرائيليين ، ويجلب علينا ضغوطا سياسية ، ويمس المعنويات داخل الدولة. حتى اليوم كنا نتلقى الضربة لا نوجهها . وينبغي ان نوجه الحرب بشكل نكون فيه موجهي الضربة.
يتسحاق شمير : الارهاب العربي هو ، عمليا ، التعبير المتطرف لما يسمى حركة المقاومة الفلسطينية . وعلينا ان نأخذ بالحسبان خاصتين جوهريتين لهذه الحركة . الاولى — من ناحية امكانية التسليم والتسوية ، فان المقاومة الفلسطينية هي ألد أعدائنا . يمكن ان نفترض ، نظريا ، قيام علاقات سلام وجوار مع دول عربية في الشرق الاوسط ذات يوم . ولكن لا يمكن الافتراض، بأي شكل من الاشكال ، ان نسلم بحركة المقاومة. لان تحقيق اهدافها يتطلب ابادة دولة اسرائيل . ان معركتنا معهم ليست على مواقع ولا على مناطق وحدود — بل على الوجود او العدم . انها حرب حياة او موت . نحن او هم . اذا كنا نريد العيش — فيجب ان نسحقهم .

والخاصة الثانية — ليست في نشاطهم اي منهج سياسي ، اعتدنا ان نجده في حركات تحرير في العالم . ماذا كان التفكير السياسي الذي استرشدنا به في عملياتنا ضد البريطانيين ؟ لقد اعتقدنا اننا بعمليات التخريب سندفع البريطانيين الى الاعتراف بأن ثمن سيطرتهم في فلسطين سيكون غاليا . ولكن كان للبريطانيين مكان ينسحبون اليه. ولكن ليست هنالك اية امكانية لان يترك الشعب اليهودي ارض اسرائيل تحت ضغط عملياته الارهاب ، سواء كانت داخل البلاد ام خارجها . من هنا ، فان حرب المخربين العرب ليس فيها تفكير سياسي ، ولانها كذلك فانها لا تنطوي على خطر ملموس على كياننا . ولانها كذلك ايضا فان هذه المنظمات خطرة ، ويتوقع منها اشد الاعمال تطرفا وقسوة . ان هدفها هو أن تذهل العالم ، وتلك احدى الصعوبات في مكافحتها .

ان نشاطهم في الخارج ، على الرغم من انه لا ينطوي على خطر عسكري على كيان اسرائيل ، يمس الدولة بهيبتها ومواطنيها . انني لا اوافق على الرأي القائل بأن الارهاب يزيد العطف علينا ، فذلك انطباع شديد السطحية . كنت في اوروبا وقت قضية ميونيخ ، في اليوم الاول كانت صدمة ، ولكن احتل مكان الصدمة بعد ايام قليلة نوع من التقدير للمخربين على استعدادهم للتضحية بحياتهم. وفي المقابل قل التقدير لاسرائيل وتحطمت خرافة جهاز المخابرات الاسرائيلية القادرة على كل شيء. لم يكن من الضروري ان نسمع تصريح بومبيدو لكي نعرف الى اين تهب الريح . ان مثل هذه التصريحات انتصار ضخم للارهاب العربي . وبوسعك ان تسمع مثلها في شتى البلدان . يقول الناس « نحن لا نقر الارهاب — ولكن يتحتم ايجاد حل » والحل معناه التسوية . ولكن اية تسوية يمكن ان تتم مع الفلسطينيين ؟.

وأريد ان أتوقف عند نقطة اخرى : لقد مس الارهاب معنويات اليهود في الخارج بشكل بالغ الخطورة . لقد اهتز فيهم الامان بأن اسرائيل لا تغلب . فالامن في اسرائيل كان اساس حسهم بالامن هناك ، وقد اهتز هذا الاساس . ان يهود كثيرين في الخارج يتحاشون الاتصال بالاسرائيليين خوفا ، وفي تلك الايام تحاشوا الذهاب الى الكنيس . والسبب واضح . انهم يخافون . فعندما اهتز الايمان بقوة اسرائيل صاروا يخافون على جلودهم.

سؤال : كيف نحارب الارهاب ؟
يشعياهو غبيش : ان ذلك يكلفنا مالا ، ويتطلب جهازا غير صغير وترتيبات — ولن يكون الامن مطلقا . ولكن ذلك لا يعفينا من وسائل الدفاع . وذلك يتضمن ايضا ارشاد الاسرائيليين لان يشعروا ويتصرفوا في الخارج كأنهم في جبهة ، واقناع دول العالم بأن هذه القضية قضيتها . ولكن لكي نحل القضية في يوم من الايام ، يجب علينا ان ننتقل الى الهجوم في اتجاهين — مهاجمة « المخربين » في قواعدهم ، لا ردا او انتقاما ، بل حربا مستمرة . لقد كانت العملية في لبنان مفيدة ولكن في اللحظة التي تتوقف فيها ولا يتبعها استمرار — فانها تخلق انطباعا بأنها عملية انتقامية، يجب الاستمرار في محاربة « المخربين » في لبنان وسوريا وكل مكان يتواجدون فيه . معنى ذلك — عمليات خاصة وعمليات نظامية وعمليات غير مباشرة .

الاتجاه الاخر للهجوم يجب ان يكون في البلدان التي يعملون فيها ضدنا . قد تكون هذه حربا اصعب ، ولكن من الممكن شنها بوحدات صغيرة وعدد غير كبير من الرجال . هدفها يجب ان يكون مزدوجا —

ضرب «المخربين» وايجاد وضع لا يمكنهم من حرية العمل والحركة هناك . وينبغي التعاون مع بلدان العالم ، ولكني اؤمن بالاعتماد على النفس . يجب ان تشكل هذه القوة بدون تأجيل .

ويجب ان يدخل في وعي « المخربين » حس المخاطرة . فاذا ادركوا ان الخليل ضمت الى دولة اسرائيل نتيجة عمل معين قاموا به ، سيكون للامر تبعات بعيدة المدى على ما قد يحدث للشعب الفلسطيني نتيجة استمرار الارهاب .

لا أقول ان ضم الضفة وقطاع غزة هو السيف الوحيد الذي نستطيع التهديد به فوق رؤوسهم ، فهنالك تهديدات سياسية اخرى . ولكن يجب ان نكون في وضع يمكننا من ان نقول لهم : « انكم بأعمالكم تعرضون الشرق الاوسط للخطر ، ومن يعرف كيف ستكون خارطة الشرق الاوسط بعد ٥ — ١٠ سنوات » . انهم يتكلمون اليوم عن تحرير المناطق وتحرير فلسطين . ويجب ان نوصلهم الى الحديث عن تحرير شيء لم يفقدوه حتى الان .

اتيان ليبني : يجب ان نضرب مراكز « المخربين » التي يتلقون منها الاوامر . لا اقصد بذلك جنوب لبنان ، فليس هناك مركز « ايلول الاسود » او فتح . يجب ان نضرب المراكز ، ولا يدهشني اذا اقتضى الامر عملية في القاهرة او طرابلس او بنغازي او دمشق .

حاييم هرتسوغ : كلنا نوافق على ضرورة عدم الاكتفاء بالدفاع في هذه الحرب . ومن واجبنا أن نبين لكل اسرائيلي انه يشكل حدود اسرائيل . وعلينا ان نعود الى ضرب « المخربين » عندما يعودون الى جنوب لبنان ، حتى عندما لا يقومون باستفزاز . يجب ان يكون العمل ضدهم عملا مستمرا ، والا نسمح لهم بالتنظيم ، ومن واجبنا ان نعود الى أخذ زمام المبادرة ، وان نحولهم من مطاردين الى مطاردين فورا على طول الحدود ، وفي مراكزهم بالبلدان العربية وفي مناطق نشاطهم في الغرب .

محمود درويش

وائل زعيتر
قديس آخر يموت في روما

داود تلحمي

كان وائل — على حد تعبير مناضلة في عقدها الثامن من أصدقائه — احدى شخصيات روما . الا أن هذا التعبير الكبير لا يفي وائل حقه ، لان وائل لم يكن يطمح لحمل أوصاف كهذه : كان متقشفا حتى الزهد ، نكاد نعرفه من بعيد من لون سترته التي لم تتغير منذ سنوات ، ويكاد لا يجد أحيانا في جيبه ثمن وجبة . وكان متواضعا حتى الانسحاق ، فكانت حياته البوهيمية موضوع تندره المفضل الذي يخلق حوله جوا من المرح الدائم . وكأنه في تعففه هذا ، كان يريد ان يبقى قريبا — حتى في حياته الشخصية — من حياة غالبية شعبه ، الذي كرس في خدمته كل أوقاته ، منذ ان استعاد الشعب مرة اخرى سلاح التمرد . وكانت صداقات وائل متعددة وواسعة : من البرتو مورافيا الى بائع الخضار في حارته وسائقي التكسي في روما مرورا بمسؤولي ومناضلي مختلف الاحزاب والقوى التقدمية الايطالية . وأوصل وائل من خلالها صوت شعبه الثائر ، بلهجته النابلسية التي دخلها ايقاع ايطالي .

مات وائل كما عاش قديسا (ثوريا) برصاصات الوحيدين الذين يمكن أن يكرهوه ويحقدوا عليه : أعداء شعبه . وكأني به وهو يواجه أعزل باسما في ليلة سوداء أخرى من ليالي « المدينة الابدية » ، قتلة لا يرون فيه الا انعكاس بشاعة جرائمهم المستمرة منذ عشرات السنين والتي يريدون أن يبيدوا كل شاهد عليها ، صورة مثالية أخرى لصراع الخير والشر .

* * *

سنحبس دموعنا يا وائل ، رغم ما يحتشد به قلبنا من حزن وغضب ...

سنحمل ، مثلما حملت ، ابتسامة التحدي والثقة بعدالة النضال ...

ولن يرهبونا ...

وسنستمر يا وائل ،

حتى ترتسم ابتسامات السعادة على وجوه اطفالنا فوق أرض فلسطين الحرة .

وائل زعيتر
مناضلا وانســانا

منير شفيق

وائل المناضل :

فجأة انتقل اسم الشهيد وائل زعيتر ليتصدر الصحف ونشرات الاخبار ، وراح يتردد على الالسن . ولا شك في أن الكثيرين داخل الثورة الفلسطينية وخارجها ، جعلوا يتساءلون من هو وائل زعيتر ؟ ولماذا اختارته أجهزة العدو الصهيوني الارهابية ليكون أول أهدافها في أوروبا ؟ وبدأت الاجوبة تنهال متفرقة من الذين عرفوا وائل . لقد انهالت الاجوبة متفرقة لان ما من فرد يعرف كل شيء عنه . وهذا ما يحدث عادة بالنسبة للكوادر الثورية التي تعمل بصمت حتى تكاد يدها اليمنى لا تعرف ما تفعله يدها اليسرى ، فهي ان قامت بعمل ، ومهما يكن مثمرا وهاما ، تنساه فورا ، فلا تتخذ منه اعلانا عن النفس ، وتباهيا أمام الاخرين ، او وسيلة للارتقاء والانتفاع . انها تنساه فورا لتبدأ رحلة جديدة مع عمل ثوري جديد. وهكذا تتصل الحلقات فيكون الاعداء اول من يشعر بهذا الكادر وخطورته. لانهم يلمسون اثر جهوده عليهم وعلى مخططاتهم . فالصهاينة الذين قرروا اغتيال وائل كانوا يعلمون انه لم يمارس عملا مسلحا ضدهم لا مباشرة ، ولا بصورة غير مباشرة ، لا تنفيذا ولا تخطيطا . حقا انه لم يمارس النضال المسلح المباشر عن هروب منه نجــاة بجلده ، بل على العكس فقد كان وائل دائم الاصرار على قيادة حركة فتح ان تعفيه من مهامه الاعلامية والسياسية داخل ايطاليا ، وتأذن له بالعودة الى ارض الصراع المباشر، في الاردن او تحت الاحتلال . ولكن الجواب كان يأتيه دائما ان يبقــى حيث هو ، ولعل السبب الرئيسي في ذلك ان نتائج عمله الاعلامي ، وما حققه من نجاحات في اقامة اوثق العلاقات بين الثورة الفلسطينية وبين القوى الثورية والتقدمية والانسانية في ايطاليــا كانت فوق ما يمكن ان ينجزه انسان بمفرده . لقد كان قبول انخراطه في الكفاح المسلح هنا يعني نشوء حاجة تتطلب ان يحل محله عشرة من الكوادر الجيدة والقديرة جدا ، حتى يكون بالامكان الاستمرار بالعمل الذي كان يقوم به وائل ، دون ان يطلب تطويره .

ان هذه الاسباب نفسها هي التي دفعت الارهابيين الصهاينة لاغتيال هذا المناضل الثوري الرائع . فقد شعر الصهاينة في ايطاليا منذ اول يوم بدأ فيه بالعمل في حقــل الاعلام والعلاقات الخارجية في الثورة الفلسطينية ، ان الارض في ايطاليا بدأت تهتز من تحتهم ، وكان باستطاعتهم ان يحصوا مخاسرهم بدقة متناهية ، وهم يرون مواقع لهــم اخذوا يفقدونها الواحد بعد الآخر . ثم يرون جبهة عريضة تتألف في ايطاليا لمناصرة الثــورة الفلسطينية وبأهدافها الخاصة بتحرير فلسطين كلها واقامة دولة ديمقراطية ، وبقبول استراتيجيتها الثورية في حل التناقض العدائي بين جماهيرنا وبين العدو الصهيوني عن طريق حرب الشعب طويلة الامد . لقد اتسعت تلك الجبهة لتشمل الحزب الشيوعي الايطالي ، وحركة المانيفستو (حركة ثورية ماويــة) ، وحزب البسوب (الحــزب

البروليتاري الاشتراكي الموحد) ، واتحاد العمال وعشرات من الحركات الطالبية والثورية ، فضلا عن اجنحة يسارية في الاحزاب الاشتراكية والحزب الديمقراطي المسيحي ، الى جانب شخصيات أدبية وفنية وسياسية وصحفية مرموقة على نطاق عالمي مثلا البيرتو مورافيا وجوليانا وغيرهما .

لقد استطاع وائل أن يبني في فترة قصيرة من الزمان علاقات حميمة بين الثورة الفلسطينية وبين القوى السياسية والعمالية والتقدمية في ايطاليا وكان السر في ذلك ، رغم انه ابتدأ في جو معاد ، يعود الى مثابرته وصبره وثقافته ، وقدرته على معرفة الناس والتأثير عليهم دون ان يشعروا ، فهو لم يكن من ذلك الطراز من الناس الذي يحاول فرض آرائه على الآخرين ، او تقديم اهداف الثورة بأسلوب تبشيري خطابي ، كان اسلوبه بسيطا متواضعا يعكس حقيقته البسيطة المتواضعة ، فهو يحاول ان يفهم الآخرين قبل أن يطلب منهم ان يفهموه ، ويعمد الى تقديم ما يمكن ان يقدمه لهم قبل ان يسألهم تقديم شيء للثورة الفلسطينية . انه اسلوب اعتمد على المعرفة السياسية الواسعة ، والثقافة الرحبة ، والعطاء الثوري وبعد ذلك كان يقدم الوثائق والحقائق بعد ان يلح الآخرون على طلبها ، ثم يترك لهم طلب التعاون مع الثورة الفلسطينية ، وعرض طاقاتهم لمساندتها . وهنا كان يتجلى وائل بتلك الموهبة التي امتلكها ، وهي ايجاد عمل لكل انسان حسب امكاناته وفي المكان الذي يناسبه ، يمكن اعطاء صورة صغيرة على ديناميكيته مقتبسة من رسالة مؤرخة في ٧١/٥/١٠ كان قد بعثها الى مكتب اعلام حركة فتح في بيروت جاء فيها :

« ... سبق وارسلت لك العدد الاول من الطبعة الايطالية لمجلة فتح الانجليزية لقد طبعناها مرة أخرى اذ نفدت الطبعة الاولى وكانت حوالي ٦٠٠٠ نسخة والثانية كانت اربعة آلاف نسخة . المجلة نبيعها ١٠٠ ليرة (ايطالية) للنسخة الواحدة، وتباع بواسطة الطلاب الايطاليين والنقابات والاولاد وطلاب المدارس المتوسطة وغيره ... الخ . لقد كلفنا عمل الكليشهات كثيرا ، كما ولقينا صعوبات أخرى . لذا فآمل ان تساعدنا بالنقاط التالية :

١) ارسال ما تختارونه من مقالات بالانجليزية اولا بأول حتى عندما تطلع الانجليزية (يقصد مجلة فتح بالانجليزية) تكون الترجمة عندنا حاضرة ، ولا نضيع وقتا عليها فتصبح بعض الشيء . out of date

٢) اذا امكن أن ترسلوا لنا الكليشهات او الافلام أولا بأول — كما وعدتم ابو ..... — فهذا يجعل الطبع افضل ويوفر علينا فلوس . اما بالنسبة للعدد الثاني — اي عدد ١٢ ابريل — فلقد ترجمناه ، وسنرسله غدا للمطبعة . واعتقد اننا سنطبع منه عشرة آلاف نسخة ، فاذا ما أرسلت لنا الافلام بالاكسبرس والبريد الجوي فستوفر علينا كثيرا بالاضافة الى وضوح الصور . فهل لك ان تفعل ذلك فسنكون لك من الشاكرين ؟

— هذا ولقد حكم على عدد نيسان بأنه اغنى من عدد ١٢ ابريل بما فيه من documents ، على كل فسأخبركم بالتعليقات التي تصدر عندما تنظم انفسنا . ولقد اخذنا مكتبا مؤقتا وسننظم امور الطبعة الايطالية ونعلمكم بذلك . »

وفي فقرة وردت في الرسالة الثانية المؤرخة في ٧١/٥/٢٥ يقول وائل :

« ما هي أخبار العدد القادم ؟ أرجو افادتنا بخصوصه .

« كنتم ترسلون لي بالسابق كمية وافية من الاعداد وهذا ما احتاجه لاجل توزيعه على المترجمين وعددهم حوالى ٢٠٠٠ . »

تدل هذه الفقرات على الديناميكية التي كان يعمل بها المناضل الثوري وائل . واذا اخذنا

بعين الاعتبار ان كل الذين تعاون معهم كانوا من الايطاليـين (مثلا ٢٠ مناضلا عملوا بالترجمة فقط) ، الذين يعملون تبرعا وعن قناعة ، يمكن ان ندرك قيمة هذه الطاقة الاستثنائية التي كانت تستطيع اعطاء عمل ثوري للعشرات ، وتستطيع ان تعمل بكفاءة وسرعة ، وتحقق نجاحات في ظروف كانت قاسية وصعبة (الشهر الخامس من عـام ١٩٧١) .

وائل الانسان :

ولد وائل عام ١٩٣٤ في مدينة نابلس وتوجه الى العراق بعد اتمام دراسته الثانويـة لدراسة الهندسة في جامعة بغداد . ولكنه سرعان ما اكتشف ان طريقه الى الحيـاة ليست طريق مهندس ، يوقف عمره سعيا وراء المال ، وفي خدمة الشركات واصحاب الاستثمارات . فترك مقاعد الدراسة ليعمل عاملا في مد طريق جنوبي العراق في منطقة صحراوية ، وكان هدفه ان يتعرف على ريف وطنه العربي ، وان يعيش مع عماله ويكدح معهم ... وهناك قضى سنتين يعيش في خيمة وتحت أقسى الظروف ... ولكنه عوض ذلك بمشاركته خلية من عمال الحزب الشيوعي العراقي نضالاتهم الطبقية والوطنية ضد حكم نوري السعيد . وكان معه الى جانب ذلك اصراره الذي رافقه منذ مطلع شبابه ، على دراسة التراث العربي مع اهتمام خاص بدراسة اللغة الايطالية ليتفهم الاوبرا من احدى منابعها ، وهو بهذا وحد في نفسه وحياته صفة المناضل البروليتاري الثوري ، والمثقف العربي الاصيل والذواقة للموسيقى الكلاسيكية ، وبشكل خاص للاوبرا .

ثم راحت الاسفار تتقاذفه مشردا سياسيا ، بعد أن فر من العراق حوالي العام ١٩٥٦ لينتقل الى الكويت ثم الى المانيا ، واخيرا لينتهي به المطاف في ايطاليا حيث كان يطمح في تطوير ثقافته الموسيقية ، والكلاسيكية الادبية ، ما دام لا يستطيع ان يعود الى ارض الوطن بسبب أفكاره السياسية . الكثيرون لا يستطيعون ان يتصوروا ان وائل كان يحفظ آلاف ابيات الشعر العالمي ــ مثلا كان يتلو غيبا مقاطع برمتها من « الكوميديا الالهية » لدانتي ، واكثر منها لابي العلاء وابن الفارض .

بعد حرب حزيران ١٩٦٧ وجدت حركة فتح ان وائل اخذ يفرض نفسه ممثلا لها ، دون أن يدفع باسمه الى الشهرة ، او ان يطلب مساعدة ، فقد اعتبر ان الثورة ثورته وله الحق في ان يعطيها كل شيء . وراح يعمل ليل نهار بصمت ودون ضجة ويصرف كل ما في جيبه من أجل القضية ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح وائل كادرا مسؤولا في حركة فتح بعد ان تأكدت الحركة بأنها عثرت على كادر قيادي يشكل ثروة بحد ذاته .

وهنا يمكن ان نقف على جانب آخر من جوانب شخصيته الفذة ، وهو حياته البسيطة المتقشفة ، فقد كان يعمل مترجما في السفارة الليبية في روما ، ولا يصرف على نفسه من راتبه غير النزر اليسير اليسير ، في حين كان يدفع بالباقي كله للصرف على حاجات العمل النضالي . ولعل الكثيرين لا يصدقون انه كثيرا ما كان يقضي يومين او ثلاثة في الشهر جائعا دون أن يكون في جيبه ما يشتري به رغيف خبز ، وما كان ليأكل في تلك الظروف الا اذا ساقته الصدف الى بيت صديق بسط مائدة طعام . اما لباسه فكان مزريا وكذلك غرفته التي ينام فيها . انه لم يفكر قط في ان يفيد من مدخوله المادي في تحسين احواله ، ولو في الحدود الدنيا ، لقد كان هذا ديدنه حتى قبل الثورة . فمثلا كان يذهب بمثل هذا اللباس الى اوبرا روما حيث كان مشتركا مداوما لعدة سنوات ــ وهنالك تعرف على الكاتب الايطالي الشهير البيرتو مورافيا اذ صدف ان كان جاره في المقعد المخصص له في قاعة اوبرا روما ، وقد لفت نظر الكاتب ثم حاز على اعجابه الشديد وصداقته الحميمة بعد ان تعرف على مزاياه النضالية الاخرى ــ عدا الموسيقى ، والثقافة .

كان وائل قبل الثورة متقشفـا متصوفا يذهب براتبـه في شراء الكتب والاسطوانات

الموسيقية وارتياد المسارح الثقافية ودور الاوبرا ، فضلاً عن مقاسمة رغيفه مع كل مشرد سياسي ثوري يلتقيه ويتعرف عليه . اما عندما انضم للثورة الفلسطينية ، فقد تخلى عن كل شيء عدا بساطة حياته وتقشفه وتحويل معظم راتبه لخدمة القضية الثورية .

طلبت حركة فتح منه في أوائل ١٩٧٠ الاستقالة من عمله والتفرغ كليا لنشاطه الاعلامي ــ السياسي ، وظل كذلك حتى ما بعد ١٩٧١ ، عندما قرر ان يعود للعمل كمترجم بسيط في السفارة الليبية في روما ، اعتقادا منه أن من الضروري الاعتماد على نفسه ماديا واعفاء الثورة من اعبائه المادية رغم انها كانت ادنى من الحدود التي يعيشها طالب متقشف .

وائل المفكر والاديب :

لم يكن وائل كادرا عمليا ينفذ المهام النضالية فحسب ، ولم يكن انسانا حقيقيا فحسب ، ولم يكن مثقفا واسع الثقافة فحسب ، وانما كان ايضا مفكرا واديبا شاعرا (لم ينشر قصائده وهذا ما يحتم على الثورة الفلسطينية ، وعلى فتح بشكل خاص ، انقاذ كل الاوراق التي استولى عليها البوليس الايطالي في غرفته) .

لقد اهتم في الاونة الاخيرة بتأسيس مكتبة للثقافة العربية في روما ، وراح يسعى لتشكيل جمعية صداقة عربية ــ ايطالية تجمع عددا من الفنانين والادباء والشعراء والمثقفين الايطاليين والعرب . وعندما توجهت رصاصات الاجرام الصهيوني لتوقف قلبه الكبير عن الخفقان كان المشروع لا يحتاج الا للمسات اخيرة ليخرج الى النور بكل قوة ، وكان هذا هو السبب الذي حال دونه ودون حضوره مؤتمر الكتاب والصحفيين الفلسطينيين الاخير الذي هو عضو فيه . عندما جاء الى لبنان قبل سبعة اشهر تقريبا صرفت له مخصصاته المتأخرة ، فما كان منه الا ان اشترى بها كلها كتبا عربية بعضها ذو طابع معاصر واغلبها من الكتب العربية الكلاسيكية مثل « مسالك العرب » والطبري . وعاد الى ايطاليا بجيوب خاوية الا من الكتب والتصميم على النضال .

اما مشروعه الاخر الذي لم يتمه فكان اشتراكه مع المستشرق الايطالي الكبير فرانسيسكو غابريلي في ترجمة « الف ليلة وليلة » الى الايطالية وكان هذا المشروع باكورة مشاريع مماثلة ، كان يخطط لها ، وكلها تهدف الى تمزيق ستار التعتيم الفكري الذي يفرضه الغرب على الثقافة العربية التي يعتبرها واحدة من اعظم الثقافات العالمية الحضارية . وقد يعجب البعض حين يعلمون انه كان يتساءل دائما ماذا سيتمخض عن الثورة الفلسطينية من مساهمة في الثقافة العالمية ؟ لم يكن وائل يطرح هذا السؤال واشباهه الكثير من الاسئلة التي تتكشف عن مفكر متأمل فيلسوف ، انطلاقا من مواقع المثقف الاستعراضي ، وانما كان يفعل ذلك تاركا فيمن يستمع اليه الشعور بصدقه ، بل ان المرء ليستطيع ان يلمس عذابه الداخلي وهو يفكر بمثل هذه الاسئلة . لقد كان متحرقا فعلا لكي يرى الثورة الفلسطينية والثورة العربية تتمخضان عن عطاء كبير للثقافة الانسانية والحضارة العالمية ، تواصلان به عطاء الماضي .

لقد كان فكر وائل بوتقة انصهرت فيها مجموعة من الثقافات توجت بما اخذ بيديه في السنين الاخيرة من اهتمام بالتجربة الصينية ، خاصة ، الثورة الثقافية . وربما كانت آخر احلامه رؤية ثورة ثقافية عميقة تحمل اصالة عربية بكل ما تحمل الكلمة من معنى تنتشر بين الجماهير الفلسطينية والعربية ضاربة الجذور بالتراث ، صاعدة من اعماق الشعب ، محررة نفسها من تقليد الغرب ، وضياع الشخصية .

وبكلمة ،

كان وائل كادرا ثوريا قياديا موهوبا ، ولكنه كان يتصرف كعنصر عادي .

وكان متقشفا متفانيا منكرا لذاته ، ولكنه كان يملأ نفسه بغنى داخلي لا حدود له .
وكان فنانا وشاعرا ومفكرا ، ولكنه ظل تلميذا في بحثه عن المعرفة .
وكان انسانا عاملا بسيطا ، ولكنه كان يعاني عذابا داخليا وقلقا عميقا .
وكان فتحاويا وماركسيا ، ولكنه كان في الوقت نفسه ناسكا صوفيا ،
والاهم من هذا كله انه اعطى الثورة الفلسطينية كل هذا دفعة واحدة .

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

أصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١ نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ، السياسيون ، الاعلاميون ، الصحافيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون الخ ...) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرا عليه في مختلف الميادين ، بحيث يسهل على ذوي الشأن ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات اللازمة .

تتميز نشرة مركز الإبحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة العبرية يوميا ، بالاضافة الى تسجيل جميع نشرات الاخبار . وتطبع النشرة على « الاوفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارىء .

يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركون خارج بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي ، او باية وسائل أسرع .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة . وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ، التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر أن تكون قيمة الاشتراك خمسماية ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثماية ليرة للمؤسسات الخاصة والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملات الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في البلاد العربية ١١٠ ل. ل. ، في اوروبه ١٥٠ ل. ل. ، في الاميركتين ٤٠٠ ل. ل. ، وفي آسيه وافريقيه ٣٥٠ ل.ل.

ان مساهمتكم بالاشتراك بأكبر عدد ممكن من النسخ هو الذي سيمكن النشرة من الصدور والاستمرار والنمو (خاصة واننا ننوي ان نبدأ بعد فترة وجيزة بنقل البرامج الاذاعية الاسرائيليــة التي تبث باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والتي سيكون لها قيمة كبيرة لدراسة الحرب النفسية التي توجهها اسرائيل للعرب ، ولدراسة التباين بين ما تذيعه اسرائيل بالعبرية لمواطنيها وما تذيعه بالعربية للعرب وما تذيعه بالانكليزية والفرنسية للراي العام العالمي وما لذلك من فائدة كبيرة لاجهزة الاعلام العربية) .

ترسل الاشتراكات الى :

مركز الابحاث ، نشرة الاستماع

ص. ب ١٦٩١ ، بيروت .

صدر عن

قسم الثقافة الفنية - دائرة الاعلام والتوجيه القومي
منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت - كورنيش المزرعة - ص .ب ٥٣٨٣

موجز تاريخ فلسطين المصور

اعداد وتصميم : إسماعيل شموط

كتاب مصور بالألوان يعرض تاريخ فلسطين منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا
متوفر بأربع لغات : العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، الاسبانية
ثمن النسخة مع اجرة البريد الجوي :

	ليرة لبنانية	دولار
للبلاد العربية	٤,-	١,٢٥
للبلاد الأوروبية	٤,٥٠	١,٥٠
لباقي بلدان العالم	٦,-	٢,-

يطلب من قسم الثقافة الفنية ـ منظمة التحرير الفلسطينية ـ
بيروت ـ ص.ب ٥٣٨٣

(ملاحظة : المجلد الاول من العدد ١ ـــ ٥٢ نافد)